

الجزء الأول

الناشر دار ماجد عسيري \_ جدة

..97706867101 🚳



# إهداء

• إلى شيخي وأستاذي مقدم أهل السنة والجماعة بمصر فضيلة الشيخ الدكتور محمد إسماعيل المقدم حفظه الله، والذي أشار علي بهذا الكتاب عند تقديمه لرهبان الليل.

يا زهر آمال البلاد وحبّها يا حادي الغرباء للأوطانِ وسَمِيّ حَبْرِ وطبً هديْ نبينا أعني البخاريَّ العظيم الشان يا ابنَ إسماعيل ويا بقيةَ سلفنا ارو الغليل بشيخنا الألباني وانشرْ علومَ السابقين وداوِنا لله درك من فتًى رباني لا تنسنا من طيب صالح دعوة بظهر الغيوب لحبّك العفّاني

• إلى زهر أيامي وربيع عمري ونبض قلبي .. من تمنيت أن يرزقني الله به طيلة عمري فرزقني الله به على الكبر، وكانت البشارة به في وقت الابتلاء تسلية لي: ولدي أبو الفداء سيف الإسلام عبد الله العفاني، اللهم اجعله من علماء المسلمين الربانيين المجاهدين في سبيلك، وبارك في عقبه وارزقه وارزقني أفضل الشهادة في سبيلك.. اللهم اجعله من القانتين العابدين المخبتين.

المؤلف سيد حسين العفاني

## مُعَكِّمُةً

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَعْفِرُهُ، وَنَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّنَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ ثُقَالِهِ ۽ وَلَا تَمُوثُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُسْلِمُونَ ۞ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَنَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ فَوْلًا سَدِيلًا ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَلَكُرْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمُ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۞ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

#### أُمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتْهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فَيِ النَّارِ. ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ:

فَحَدِيثُنَا عَنْ «فُرْسَانُ النَّهَارِ» الَّذِينَ اعْتَلَوْا ذُرَى الْإِيمَانِ، فَكَانَ لَهُمْ مِنْ سَنَامِ

الْإِسْلَامِ ذُرُوتُهُ وَقُبَّتُهُ. مَنْ قَاتَلُوا بِالسَّيْفِ وَالسَّهْمِ وَالسَّنَانِ؛ لِنُصْرَةِ الْإِسْلَامِ وَغَلَبَتِهِ، وَتَصَاوَلُوا فِي مَيَادِينِ السِّبَاقِ تَصَاوُلَ الشَّجْعَانِ، وَبَذَلُوا فِي نُصْرَةِ اللَّهِ وَدِينِهِ وَرَسُولِهِ مِنُ أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ نَفَائِسَ الْأَثْمَانِ؛ تَسْلِيمًا لِلْمَبِيعِ الَّذِي جَرَى عَقْدُهُ عَلَى يَدِ الصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ، وَالْتَرَمِّ لِلْبَائِعِ بِالضَّمَانِ؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ اللَّيَ اللَّهُ اللَّهُ مِنَ اللَّهُ مِنَ اللَّهُ مِنَ اللَّهُ اللَّهِ فَيَقَالُونَ اللَّهُ اللَّهُ مِنَ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللْهُ الللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللْهُ اللللْهُ اللللْهُ اللَّهُ اللللْهُ الللللْهُ اللللْهُ اللللْهُ اللللْهُ الللْهُ الللْهُ اللللْهُ الللْهُ الللْهُ اللللْهُ اللللْهُ الللللْهُ اللللْهُ اللللْهُ الللللْهُ اللللْهُ الللْهُ اللللْهُ الللللللْهُ الللللللللْهُ اللللللْهُ اللللْهُ اللللْهُ اللللْهُ اللللللللْهُ الللللْهُ اللللْهُ اللللللللْهُ الللللللللِهُ اللللللِ

سَاحَةُ الْبَذْلِ وَالْعَطَاءِ لِلْإِسْلَامِ حَمَلَتْ لَهْفَةَ الشَّوْقِ إِلَيْهِمْ، وَكُلُّ مَرَاقِي الصُّعُودِ وَجِبَالِ الْهِمَّةِ مَهْمَا عَلَتْ، حَنَّتْ إِلَيْهِمْ. هَمَسَاتُ السَّاحَاتِ، ولَفَتَاتُ الْقِمَمِ وَجَبَالِ الْهِمَّةِ مَهْمَا عَلَتْ، حَنَّتْ إِلَيْهِمْ. هَمَسَاتُ السَّاحَاتِ، ولَفَتَاتُ الْقِمَمِ وَنَجْوَى الْوِدْيَانِ، كُلُّهَا حَنَانٌ وَحَنِينٌ لِوَطْءِ أَقْدَامِهِمُ الطَّاهِرَةِ.

عَبَقُ الْإِسْلَامِ وَأَيَّامُهُ الْحُوَالِيَ النَّضِرَاتُ تَلَفَّتَتْ إِلَيْهِمْ فِي لَهْفَةٍ وَفِي نَجْوَى مَكْبُوتَةٍ، أَوْ وَثْبَةِ أَمَل، أَوْ دَفْقَةِ عَطَاءٍ.

تَرَكُوا إِسَارَ الدُّنْيَا الْخَانِقِ، وَلَهْوَهَا الرَّخِيصَ، فَهُوَ لَا يَلِيقُ بِمَنْ شَبُّوا عَنِ الطَّوْقِ، فَكَيْفَ بِسَادَاتِ الرِّحَالِ، وَأُسُودِ الْإِسْلَامِ.

تَرَكُوا دُنْيَا الْقَاعِدِينَ، وَتَمْتَمَاتِ الْحَالِمِينَ، وَنَهَضُوا إِلَى عَهْدِ وَأَمَانَةٍ مَعَ اللَّهِ، إِلَى الْبَلْلِ وَالْعُطَاءِ الْطِلَاقَةِ، وَفُشحَةِ مَسْعًى، إِلَى غَرَضٍ أَعْلَى وَأَعْلَى، إِلَى مَيَادِينِ الْبَذْلِ وَالْعُطَاءِ لِلْإِسْلَامِ، الْفَوَّارَةِ بِالدَّمِ، السَّاحَاتِ الَّتِي نُثِرَتْ فِيهَا اللَّآلِئُ وَالْجَوَاهِرُ، وَطُوَّفَتْ فِيهَا لِلْإِسْلَامِ، الْفَوَّارَةِ بِالدَّمِ، السَّاحَاتِ الَّتِي نُثِرَتْ فِيهَا اللَّآلِئُ وَالْجَوَاهِرُ، وَطُوَّفَتْ فِيهَا

أَحْلَى الْأُمْنِيَاتِ بِعَوْدَةِ مَجِدِ الْإِسْلَامِ.

يَا لَيْتَ شِعْرِي وَمَا ارْتَفَعَتْ بِنَا هِمَمُ إِلَى الْجِيَانِ وَتَالِي الْقَوْمِ أَوَّابُ إِلَى كَوَاعِبَ لِللْأَطْرَافِ قَاصِرَةٌ وَظِلِّ طُوبَى وَعِطْرُ الشَّدْوِ يَنْسَابُ إِلَى قَنَادِيلَ ذَهَبٍ عُلِّقَتْ شَرَفًا بِعَرْشِ رَبِّي لِمَنْ قُتِلُوا وَمَا غَابُوا مَلَاعًا، وَكَانَ ذِكْرُهُمْ أَعْطَرَ الذَّكْرِ، وَكَانَتْ مَلَقُوا الدَّنْيَا عَبَقًا وَشَذًا، وَخَيْرًا وَصَلَاعًا، وَكَانَ ذِكْرُهُمْ أَعْطَرَ الذَّكْرِ، وَكَانَتْ دَعْوَتُهُم بِمَا سَطَرَهُ، نَجِيعُ الدَّم الْأَحْمَرِ مِنْهُمْ أَرْجَى أَثَرًا وَأَعْظَمَ مَنْفَعَةً مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا. وَعَلَوْا الْعَارَ بِالدَّمِ الزَّكِيِّ، وَدَفَعُوا أُمَّتَهُمْ حَمَلُوا الْعَارَ بِالدَّمِ الزَّكِيِّ، وَدَفَعُوا أُمَّتَهُمْ يَعَلَوا كَلِمَةَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ عَالِيَةً، وَغَسَلُوا الْعَارَ بِالدَّمِ الزَّكِيِّ، وَدَفَعُوا أُمَّتَهُمْ بِعَرْمِهِمُ الْقَوِيِّ عَلَى الطَّرِيقِ السَّوِيِّ، فَظَلَّتْ بِهِمْ غِرَاسُ الْخَيْرِ وَالْجَدِ فِي أَرْضِ عَالِيَةً، وَغَسَلُوا الْعَارَ بِالدَّمِ الْأَيْرِ وَالْجَدِ فِي أَرْضِ عَلِيقًا، فَظَلَّتْ بِهِمْ غِرَاسُ الْخَيْرِ وَالْجَدِ فِي أَرْضِ الْمِيقَةً، وَمَنَابِتُ الْإِحْسَانِ حَانِيَةً.

وَهَذِهِ الْبُطُولَاتُ أَغْرَبُ مِنَ الْحُيَالِ نَفْسِهِ، بَيْدَ أَنَّهَا كَانَتْ فِي دُنْيَا الْوَاقِعِ مَاثِلَةً وَوَاقِعَةً أَمَامَ أَعْيُنِ النَّاظِرِينَ.. هَؤُلَاءِ الْأَبْطَالِ الَّذِينَ عَطَّرُوا التَّارِيخَ مِنْ ذِكْرِهِمْ وَبُطُولَاتِهِمْ عَلَى مَدَارِ التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ.

بدأنا بالحديث عن «فرسان النهار لماذا؟» ثم ذكرنا فضل الجهاد في القرآن الكريم والآيات الدالة عليه، والتحذير من تركه والتقاعس عنه، ثم الأحاديث في فضل الجهاد من السنة المطهرة، ثم ذكرنا فصلًا خاصًا عن إعلام النبلاء بفضل الشهادة والشهداء، ولقد ذكرنا مراتب الجهاد وأنواعه، ومراحل تشريع الجهاد.

وَهَذِهِ مَوْسُوعَةٌ تَضُمُّ ـ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ـ سِتَّ مِئَةِ فَارِسٍ وَأَكْثَرَ، بِدَايَةً مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرَّسُولِ عَلِيْ اللَّهِ الْبَعَاءِ الرَّمَانُ أَبَدًا. وَالرَّسُولِ عَلِيْ الْفَرِينَ الْفَرْنِ الْخَيْرِيِّ الَّذِي لَا يَجُودُ بِمِثْلِهِ الزَّمَانُ أَبَدًا. وَقَدْ بَدَأْنَا بِالْحَدِيثِ عَنِ الْعَشْرَةِ الْبُشَرِينَ بِالْجُنَّةِ ثُمَّ قَادَةِ النَّبِيِّ عَلَيْ الَّذِينَ اخْتَارَهُمْ فَي حَيَاتِهِ لِقِيَادَةِ السَّرَايَا، وَهَذِهِ أَفْضَلُ تَزْكِيَةٍ مِنَ الرَّسُولِ الْقَائِدِ عَلَيْ الَّذِي يَعْرِفُ قَدْرَ

الرِّجَالُ وَيُقَدِّرُ الْبُطُولَةَ وَالْفُرُوسِيَّةَ. ثُمَّ تَكَلَّمْنَا عَنْ أَفْضَلِ الرِّجَالِ مِنَ الْبَدْرِيِّينَ، ثُمَّ قَادَةِ الْفُتُوحَاتِ فِي عَصْرِ الْخُلَفَاءِ قَادَةِ الْفُتُوحَاتِ فِي عَصْرِ الْخُلَفَاءِ النَّائِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ. ثُمَّ بَقِيَّةِ الصَّحَابَةِ، ثُمَّ التَّابِعِينَ، فَتَابِعِي التَّابِعِينَ حَتَّى سَنَةِ الرَّاشِدِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ. ثُمَّ بَقِيَّةِ الصَّحَابَةِ، ثُمَّ التَّابِعِينَ، فَتَابِعِي التَّابِعِينَ حَتَّى سَنَةِ الرَّاشِدِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ.

هَذهِ الْمُوْسُوعَةُ تَضُمُّ بَيْنَ جَنَبَاتِهَا أَهَمَّ مَعَارِكِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى مَدَارِ التَّارِيخِ، وَأَبْطَالَهُمُ الَّذِينَ عَرَفَتْهُمْ سَاحَاتُ الْمُعَارِكِ نُسُورًا حَلَّقَتْ في سَمَاءِ الْجَدِّدِ.

وَتَضُمُّ هَذِهِ الْمُوسُوعَةُ الْفِرَقَ الضَّالَّةَ فِي بَعْضِ أَحْكَامِ الْجِهَادِ، وَالْفَاهِيمَ الْخَاطِئَةَ وَالشُّبُهَاتِ فِي هَذَا الْبَابِ وَالرَّدَّ عَلَيْهَا.

وَتَضُمُّ . أَيْضًا ـ الْأَحَادِيثَ الضَّعِيفَةَ وَالْمَوْضُوعَةَ فِي بَابِ الْجِهَادِ؛ حَتَّى لَا يَحْتَجُّ بِهَا الدُّعَاةُ وَالْوُعَّاظُ وَيُعَوِّلُوا عَلَيْهَا.

هَذِهِ الْمُؤْسُوعَةُ كُلُّهَا لِلْفُرْسَانِ، وَالْفُرْسَانُ فَقَطْ:

وَفِتْيَةٌ فِي رِيَاضِ الذِّكْرِ مَرْتَعُهُمْ لِلَّهِ مَا جَمَعُوا لِلَّهِ مَا وَهَبُوا إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهِمْ خِلْتَ أَنَّهُمْ جَاءُوا مِنَ الْخُلْدِ أَوْ لِلْخُلْدِ قَدْ رَكِبُوا هُمُ الَّذِينَ أَقَامَ الْعَدْلُ عِنْدَهُمُ فَحَيْثُمَا مُحِبُوا فَالْعَدْلُ يُحَتَجَبُ هُمُ الَّذِينَ أَقَامَ الْعَدْلُ يَعْدَهُمُ فَحَيْثُمَا مُحِبُوا فَالْعَدْلُ يُحَتَجَبُ هُمُ الَّذِينَ عَلَى سِيمَائِهِمْ رَكَضَتْ أَعْلَى النَّجُومِ وَشَعَ الْوُسِمُ الخَصِبُ هُمُ اللَّهُومِ وَشَعَ الْوُسِمُ الخَصِبُ تَأْبَى النَّجُومِ وَشَعَ الْوُسِمُ الخَصِبُ تَأْبَى النَّجُومِ وَشَعَ الْوُسِمُ الخَصِبُ تَأْبَى النَّجُومِ وَشَعَ الْوُسِمُ الخَصِبُ تَأْبُوا وَلَيْكُ إِلَّا إِذَا مَا فَوْقَهَا وَتُبُوا وَلَّبُوا وَلَّالِهُ إِلَا إِذَا مَا فَوْقَهَا وَثَبُوا وَلَّالِكُولَ اللَّهُالِ اللَّهُ الْمُ اللَّهُ اللْعُلْلُ اللَّهُ اللْعُولَةُ اللْعُلِي اللْعُلِي الللَّهُ اللللْلُهُ اللْعُلْلُ اللْعُلْمُ الللَّهُ اللْعُلِي اللللْعُلِي اللللللَّهُ الللَّهُ اللللْعُلِي الللَّهُ الللْعُلِي اللللْعُلِي اللللْعُلِي اللللللْعُلِي الللللْعُلِي اللللْعُلِي الللللْعُلِي الللللْعُلِي الللللْعُلِي اللْعُلِي اللللْعُلِي اللللللْعُلِي الللللْعُلِي الللللْعُلِي الللْعُلِي الللللللْعُلِي الللْعُلِي الللللْعُلِي الللْعُلْمُ الللْعُلِي اللللْعُلِي الل

«فُرْسَانُ النَّهَارِ» هُمْ «رُهْبَانُ اللَّيْلِ»، وَمَا عَرَفَ الْإِسْلَامُ رِجَالَهُ إِلَّا كَذِلِكَ: في اللَّيْلِ رُهْبَانٌ وَعِنْدَ قِتَالِهِمْ لِعَدُوِّهِمْ مِنْ أَشْجَعِ الشَّجْعَانِ كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ:

مَنْ خَانَ عَلَيَّ الصَّلَاةَ يَخُونُ حَيَّ عَلَى الْكِفَاخُ

#### وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِل:

اللَّيْلُ! حَنَانُكَ يَجْمَعُهُ وَتَهُبُ إلَيْكَ بَوَادِرُهُ وَقِيَامُ اللَّيْلِ وَهَجْعَتُهُ مَا بَيْنَ سُجُودٍ في رَغَبٍ وَرُكُوع مَالَ عَلَى رَهَب تَتَجَافَى أَضْلُعُه رَهبًا هَلْ هَاجَ الشُّوقَ وحَرَّكَهُ دَفَعَ الأنَّاتِ عَلَى كَبدِ يَطْويهِ اللَّيْلُ وَيَنْشُرُهُ كَمْ شَقَّ الدَّرْبَ وَهَبَّ لَهُ فَسَل الْيُدَانَ وغَضْبَتَهُ وَسَطَ السَّاحَاتِ وخَاضَ بِهَا وَاجْنَّةً رَائِحَةً عَبقَتْ وَالْجُنَّةُ مَلْهُ وَى أَضْلُعِهِ تَهْويُ الْهَامَاتُ بِضَرْبَتِهِ وَتَرَى الْمُهَدَانَ يَخِفُّ لهُ وَالْـوَرْدُ وَدَفْسَقٌ مِسنْ دَمِـهِ وَالْجِهَادُ دَوْمًا يُسْقَى بِدَمْعِ التَّهَجِّدِ.. هَذِهِ سِمَةُ فُرْسَانِ النَّهَارِ أَنَّهُمْ عُبَّادُ الْإِسَلَامِ.

وَيَنزِيدُ الشَّوْقَ ويُوسِعُهُ وعَصِيُّ الدَّمْعِ وَطَيِّعُهُ وَنِــدَاءٌ فِيهِ يُــرَجِّــهُ وَرِضًا في اللَّهِ يُشَفِّعُهُ وَحَنِينَ بَاتَ يُصَدِّعُهُ ويَكَادُ هَوَاهُ يَصْرَعُهُ مَا كَانَتْ تَكْتُمُ أَضْلُعُهُ فَجَرَتْ بِالْأَنَّةِ أَدْمُعُهُ عَزْمًا في السَّاحَةِ يَدْفَعُهُ وعَجَاجُ الوَثبةِ مَطْلَعُهُ يُنْبِئُكَ الجُوْلَةَ مَوْقِعُهُ جُجًا وَالْحَقُّ تَطَلُّعُهُ وَشَذًا قَدْ فَاحَ تَضَوُّعُهُ وَحَنِينُ الْأَضْلُعِ يَدْفَعُهُ وَيَصُدُّ الجُحْفَلَ يَصْدَعُهُ وَحَنَانُ السَّاحِ يُشِيِّعُهُ أَحْـلَاهُ المِسْـكُ وَأَرْوَعُــهُ

رُهْبَانُهُمْ في اللَّيْلِ فُرْسَانٌ إِذَا طَلَعَ النَّهَارُ أَوِ اسْتَحَرَّ قِتَالَا وَقَدْ جَمَعْتُ جَمْعِيَ الْأَوَّلَ «رُهْبَانُ اللَّيْل»، وَهَا أَنَا ذَا أُشَفِّعُهُ ـ وَالْحَمْدُ وَالْمِيَّةُ وَالْفَضْلُ لِلَّهِ - الْيَوْمَ بِصِنْوِهِ «فُرْسَانُ النَّهَارِ» الَّذِي لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُ في أَيَّامِ سَلَفِنَا الصَّالِح حَتَّى يَكُونَ حَقِيقَةً في دُنْيَا الْوَاقِع.

### وَقْفَةٌ مُهِمَّةٌ

حِينَ نَتَكَلَّمُ فِي هَذِهِ الْمُوْسُوعَةِ عَنِ الْفُرْسَانِ وَسَادَاتِ الْجُاهِدِينَ فَإِنَّمَا نَعْنِي بِذَلِكَ مَنْ لَا يَخْتَلِفُ فِي صِحَّة لَمَنْهَجِهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ اثْنَانِ وَلَا يَنْتَطِحُ فِيهِمْ عَنْزَانِ..

أَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى أَنَّهُمْ سَادَةُ الْسُلِمِينَ وَعُبَّادُهُمْ، وَإِلَيْهِمْ إِذَا ادْلَهَمَّتِ الْأُمُورُ مَفْرَعُهُمْ - بَعْدَ اللَّهِ - وَمَلَادُهُمْ.. وَهَوُلَاءِ بِخِلَافِ آخَرِينَ المَتُهِنَ عَلَى أَيْدِيهِمْ مُسَمَّى مَفْرَعُهُمْ - بَعْدَ اللَّهِ - وَمَلَادُهُمْ.. وَهَوُلَاءِ بِخِلَافِ آخَرِينَ المَتُهِنَ عَلَى أَيْدِيهِمْ مُسَمَّى شَرْعِيًّا صَحِيحًا هُو «الْجُهَادُ»، وَذَلِكَ؛ لِأَنَّهُمْ خَاصُوا فِي دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ، وَسَفَكُوا الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ وَضَيَعُوهَا، وَبِسَبَيهِمْ تَطَاوَلَ أَقْرَامُ الْعَلْمَانِيِّينَ عَلَى الدَّمَ الْحَرَامُ، وَوَأَدُوا الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ وَضَيَعُوهَا، وَبِسَبَيهِمْ تَطَاوَلَ أَقْرَامُ الْعَلْمَانِيِّينَ عَلَى اللَّهُ وَضَيعُوهَا، وَبِسَبَيهِمْ تَطَاوَلَ أَقْرَامُ الْعَلْمَانِيِّينَ عَلَى اللَّهُ مِنْ اللَّهُمْ مَنْ اللَّهُمْ مَنْ شَعْمُهُ وَا عَنِ الرُّجُوعِ إِلَى الْعُلَمَاءِ الرَّبَانِيِّينَ الَّذِينَ أَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى إِمَامَتِهِمْ وَالنَّهُمْ مَنْ تَطَاوَلَ وَتَحَرَّأً وَكَفَّرَ وَفَصْلِهِمْ، وَسَمَّوْهُمْ عُلَمَاءَ الْحَيْفِ وَالنَّقُوا عَلَيْهِمْ فَقَ مَ عَلَمَاءَ الْمُؤْلُونِ النَّقُوا عَلَيْهِمْ فَقَمْ عَلَمَاءَ السَّلَطَةِ، بَلْ وَأُقْسِمُ بِاللَّهِ مِنْهُمْ مَنْ تَطَاوَلَ وَتَحَرًّا وَكُولُهِمْ وَاعْتُهُمْ مَنْ تَطَاوَلَ وَتَحَرًّا وَكُولَ وَالْمُهُمْ مَنْ تَطَاوَلَ وَتَحَرًّا وَكُولُوا عَلَى الْإِنْتَاءِ فِي عَلَمَا عَلَيْهِمْ الشَّعْلُوا حَمَاسَ الشَّبَابِ وَأُورَدُوهُمُ الْمُهَالِكَ وَالْمَتَالِفَ، وَتَجَرَّءُوا عَلَى الْإِفْتَاءِ فِي عَلَى اللَّهُ وَاعَلُولُ وَالْمَتَالُولُ اللَّمَاءِ النَّيْ لَوَالَمَ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى الْهُولُ اللَّهُ اللَّهُ وَالْمُهُمْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ الْمُؤْمُ اللَّهُ الْمُؤْمُ اللَّهُ الْمُؤْمُ اللَّهُ الْمُؤْمُ اللَّهُ الْمُؤْمُ اللَّهُ الْمُؤْمُ الْمُؤْمُ الْمُؤْمُ الْمُؤْمُ الْمُؤْمُ اللَّهُ الْمُؤْمُ الْمُؤْ

# وَوَقْفَةٌ أُخْرَى مُهِمَّةٌ

وَمِنْ خَلْطِهِمْ لِلْأَوْرَاقِ تَسْمِيَتُهُمُ الْخُرُوجَ عَلَى الْحُكَّامِ الْمُسْلِمِينَ جِهَادًا. وَهَذَا خَطَأٌ يَيُّ فَادِحٌ، فَلَا يَجُونُ الْخُرُوجُ عَلَى الْحُكَّامِ إِنْ كَانُوا مُسْلِمِينَ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَإِنَّ الصَّبْرَ عَلَى الْحَاكِمِ الظَّلُومِ خَيْرٌ مِنْ فِنْنَةٍ تَدُومُ. وَالْوَاقِعُ يَشْهَدُ بِذَلِكَ،

وَمُحَاوَلَاتُ الْخُرُوجِ الْمُسَلَّحِ هَذِهِ أَتَتْ عَلَى الْأَخْضَرِ وَالْيَابِسِ، وَأَوْدَتْ بِالدَّعْوَةِ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ نُسَمِيَ هَذَا بِالْجِهَادِ، فَالْجِهَادُ الشَّرْعِيُّ مُصْطَلَحٌ عَظِيمٌ وَجَمِيلٌ، وَذُرْوَةٌ عَالِيَةٌ يَخْتَارُ لَهَا اللَّهُ مَنْ يَصْطَفِيهِ مِنْ عِبَادِهِ.

#### 🗖 أما سفك دماء المسلمين فهو من أكبر الكبائر:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ مُؤْمِنِ بِغَيْرِ حَقِّ» (١٠. وَقَالَ ﷺ: «لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ اشْتَرَكُوا فِي دَمِ مُؤْمِنٍ لَكَبَّهُمُ اللَّهُ ﷺ: (لَا أَنْ اللَّهُ ﷺ) اللَّهُ ﷺ اللَّهُ ﴿ النَّارِ» (١٠).

وَقَالَ ﷺ: «لَا يَزَالُ الْعَبْدُ في فُسْحَةِ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا»<sup>(٣)</sup>. وَقَالَ ﷺ: «لَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ مُعْنِقًا صَالِحًا مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا، فَإِذَا أَصَابَ دَمًا حَرَامًا بَلَّحَ<sup>(٤)</sup>»(°).

وَقَالَ ﷺ: «يَجِيءُ الْمُقْتُولُ بِالْقَاتِلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَاصِيَتُهُ وَرَأْسُهُ بِيَدِهِ، وَأَوْدَالَجُهُ تَشْخَبُ دَمًا، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلَنِي؟ حَتَّى يُدْنِيهِ مِنَ الْعَرْشِ» (٢٠). وَهَا نَحْنُ نَرُدُ الْأَمْرَ إِلَى بَسَاتِينِهِ الْفَوَّاحَةِ؛ إنْصَافًا لِفُرْسَانِ أُمَّتِنَا الْأَوَائِل، حَتَّى

<sup>(</sup>١) صحيح: رواه ابن ماجه عن البراء، وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٩٥٤).

<sup>(</sup>٢) صحيح: رواه الترمذي عن أبي سعيد وأبي هريرة معًا، وَصَحَّحُهُ الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢) ... (٢١٢٥).

وَكَبَّهُم؛ أي: ألقاهم على وجوههم.

<sup>(</sup>٣) رواه أحمد والبخاري عن ابن عمر.

<sup>(</sup>٤) بَلِّحَ؛ أي: أعيا وانقطع.

<sup>(</sup>٥) صحيح: رواه أبو داود عن أبي الدرداء، وعن عبادة بن الصامت، ورواه أبو نعيم في «الحلية»، وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧٥٧٠).

<sup>(</sup>٦) صحيح: رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه عن ابن عباس، وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧٨٨٧).

غَيْرُهُ أَنْفَعَ بِوَعْظِهِ مِنْهُ.

يَنْعَمَ الْقَارِئُ وَيَأْنَسُ مَعَ هَؤُلَاءِ الْأَكَابِرِ الَّذِينَ كَانُوا زِينَةَ الدُّنْيَا؛ جَمَالَهَا وَبُسْتَانَهَا، وَرَوْحَهَا وَرَيْحَانَهَا، وَأُنْسَهَا، وَرِجَالَ مَيْدَانِهَا.

وَأَخْتِمُ مُقَدِّمَتِي هَذِهِ بِاسْمِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ: (اللَّهُمُّ إِنِّي أَسْنَ الْمُلُلُ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ لَا إِلَهَ إِلَا أَنْتَ الْمُئَانُ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ. يَا ذَا الْجُلَالِ وَالْإِكْرَامِ. يَا حَيُّ، يَا قَيُومُ. اللَّهُمُّ ارْزُقْنِي أَفْضَلَ الشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِكَ، وَعُدْ بِحِلْمِكَ وَالْإِكْرَامِ. يَا حَيُّ، يَا قَيُومُ. اللَّهُمُّ ارْزُقْنِي أَفْضَلَ الشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِكَ، وَعُدْ بِحِلْمِكَ وَرَكُمتِكَ عَلَى مجرمِي وَزَلَلِي وَحَمَاقَتِي وَجَهْلِي، وَاجْعَلْنِي مِنْ أَهْلِ عِلِيِّينَ، وَارْزُقْنِي فَي الدَّارَيْنِ، وَاجْعَلْنِي مِنْ أَهْلِ عِلِيِّينَ، وَارْزُقْنِي الْمَافِيةَ، وَارْزُقْنِي الْمَافِيةَ، وَاجْعَلْنِي مِنْ تُعِلَّهُمْ فِي فِلْكَ مُنْتَهَى أَمَلِي، وَاغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ؛ دِقَّهُ وَجِلَّهُ، أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، سِرَّهُ وَعَلَائِينَةُ، وَمَسِّكُنِي بِالْإِسْلَامِ حَتَّى أَلْقَاكَ عَلَيْهِ، وَارْزُقْنِي الْعَافِيةَ، وَاجْعَلْنِي مِنْ تُعِلِّهُمْ فِي ظِلْكَ حَوَاصٌ أَوْلِيائِكَ، وَمَتَّعْنِي بِالنَّطْرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ ﴿ وَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالُ وَلَا بَعْعَلْعِي مِنْ تُطِلِّلُهُمْ فِي ظِلْكَ عَلَى اللَّهُمُّ مَا كَانَ مِنْ خَطَلٍ فَمِعْ لَى فَي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ وُدًا، وَلَا تَجْعَلْنِي مِنْ تُطِلِّلُهُمْ فِي ظِلْكَ وَجُهِكَ النَّيْمُ وَالْمُولُ فِي الْلَاكَ، وَاجْعَلْنِي مِنْ تُطِلِّلُهُمْ فِي ظَلْكَ اللَّهُمُّ مَا كَانَ مِنْ خَيْرٍ فِي هَذَا الْجُمْعِ فَوْلِ الشَّيْطَانِ، وَمَا كَانَ مِنْ خَيْرٍ فِي هَذَا الْجُمْعِ فَي فَلُوبُ الشَّيْطَانِ، وَمَا كَانَ مِنْ خَيْرٍ فِي هَذَا الْجُمْعِ فَي فَلُوبُ اللَّهُمُّ مَا كَانَ مِنْ خَيْرٍ فِي هَذَا الْجُمْعِ فَي فَلْونَ فَي الْشَوْلُ فِي الْأَرْضِ، وَلَا تَجْعَلْنِي مِمَّنُ يَكُونُ فَي الْفَرْفِ، وَلَا تَعْقَلَى مَنْ يَكُونُ أَلَى الْمُعْلِى الْمُؤْمِلُ فِي الْفُرْفِ، وَلَا تَعْقَلَ الْمُعْلِى عَلَى الْمَوْلُ فِي الْمُؤْمِلُ فِي الْمُعْرَافِي الْمُنْ يَكُونُ مِنْ خَيْقِي الْفَالِكَ مَلْ الْمُؤْمِلُ فَي الْمُؤْمِلُ فَي الْمُعْرَا فَي الْمُؤْمِلُ فَي الْمُؤْمِلُ فَي الْمُؤْمِلُ فَي الْمُعْرُى وَلَكَ الْمُؤْمِلُ فَي الْمُؤْمِلُ فَي الْمُؤْمِلُ فَي الْمُؤْمِل

يَا غَافِرَ الذَّنْبِ وَقَابِلَ التَّوْبِ اغْفِرْ لِيَ مَقَابِحَ الْعَيْبِ، فَهِّمْنِي عَنْكَ، وَاسْلُكْ بِي سَبِيلَ الْمُوقِنِينَ.

أَسْأَلُكَ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظَّلْمَاتُ وَالْأَرْضُ وَالسَّمَاوَاتُ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَنْ تَجْعَلَنِي فِي حِرْزِكَ وَحِفْظِكَ وَجِوَارِكَ وَكَنَفِكَ، وَاجْعَلْ وَجِهَالِكَ وَجَوَارِكَ وَكَنَفِكَ، وَاجْعَلْ وَجُهَكَ الْكَرِيمَ قَصْدِي وَبُغْيَتِي.

أَيُهَا الْقَارِئُ الْكَرِيمُ؛ الْقَارِئُ لِكِتَابِي وَجَمْعِي هَذَا وَالنَّاظِرَ فِيهِ، هَذِهِ بِضَاعَةُ صَاحِبِهَا الْمُزْجَاةُ مَسُوقَةٌ إِلَيْكَ، وَهَذَا فَهْمُهُ وَجَمْعُهُ مَعْرُوضٌ عَلَيْكَ، لَكَ غُنْمُهُ وَعَلَى صَاحِبِهَا الْمُزْجَاةُ مَسُوقَةٌ إِلَيْكَ، وَهَذَا فَهْمُهُ وَجَمْعُهُ مَعْرُوضٌ عَلَيْكَ، لَكَ غُنْمُهُ وَعَلَى مُؤلِّفِهِ وَجَامِعِهِ غُرْمُهُ، وَلَكَ ثَمَرَتُهُ، وَعَلَيْهِ عَائِدَتُهُ. فَإِنْ عُدِمَ مِنْكَ حَمْدًا وَشُكْرًا وَشُكْرًا وَثُكْرًا وَشُكْرًا وَشُكْرًا وَلَيْكَ بَعْدَمُ مِنْكَ عَلَيْهِ سَيِّدُهُ وَمَوْلَاهُ بِأَفْضَلَ الشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِهِ، فَلَا يُعْدَمُ مِنْكَ عُذْرًا، وَإِنْ أَبَيْتَ إِلَّا الْمَلَامَ فَبَائِهُ مَفْتُوحٌ لِكُلِّ إِنْسَانٍ.

قَدِ اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِالثَّنَاءِ وَبِالْحَمْدِ وَوَلَّى الْمَلَامَةَ الرَّجُلَا.

وَاللَّهُ الْمَسْئُولُ أَنْ يَجْعَلَهُ لِوَجْهِهِ خَالِصًا، وَيَنْفَعَ بِهِ مُؤَلِّفَهُ وَجَامِعَهُ وَقَارِئَهُ وَكَاتِبَهُ في الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاءِ، كَرِيمُ الْعَطَاءِ، وَأَهْلُ الرَّجَاءِ، وَأَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمُغْفِرَةِ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

#### وكَتَبَهُ

خَامِدًا شَاكِرًا وَمُصَلِّيًا عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ الْفَقِيرُ إِلَى رَحْمَةِ رَبِّهِ وَسَائِلُهُ أَفْضَلَ الشَّهَادَةِ في سَبِيلِهِ سَيِّلُ بْنُ حُسَينْ الْعَفَّانِيُّ

جمهورية مِصْر العربية محافظةُ بني سويف ـ مركز بني سويف قرية بني عفان. صندوق بريد (١٢٣) ت ـ وفاكس ٢٣ - ٧٧٠ ٨٠٠ أو/ القاهرة ـ ٣٣ شارع قصر النيل الدور (١١) شقة (١). ت/ فاكس: ٣٩٦٢٤٢٩ ٢٠٠



### فُرْسَانُ النَّهَارِ لِمَاذَا؟

عند زئير الأسدِ في الصباح سَمَّوْنا بأسمائِنا في ليلةِ مولدِ الذئبِ خَرَجْنا إلى الدنيا وفي أعشاشِ النسور أرضعَتْنَا أمهاتُنا ومنذ طُفُولَتِنا علَّمَنا آباؤُنا فنونُ الفروسيةِ والتَّنَقُّلَ بخفةِ الطيرِ في جبالِ بلادِنا الوَعِرَة لا إله إلا الله له الإ الله ولهذا الوطنِ ولدتْنَا أمهاتُنا ووقفنا دائمًا شجعانًا نلبي نداء الأمة والوطن لا إله إلا الله

جبالنا المكسورة بحجر الصَّوَانِ
عندما يُدَوِّي في أرجائها رَصَاصُ الحربِ
نقفُ بكرامة وشرف على مَرِّ السنين
نتحدى الأعداء مهما كانتِ الصعابُ
وبلادُنا عندما تتفجَّرُ بالبارودِ
من المحال أن نُدفنَ فيها إلا بشرفٍ وكرامةٍ
لا إله إلا الله

جرائحنا تضمِّدُها أمهاتُنا وأخواتُنا بذكِر الله

ونظراتُ الفجرِ في عيونِهنَّ تثيرُ فينا مشاعر القوَةِ والتحدي لا إله إلا الله

> إذا حاولُوا تجويعَنا سنأكلُ جذورَ الأشجار وإذا مُنِعَ عنا الماءُ سنشربُ نَدَى النَّبَاتِ

فَنَحنُ في ليلةِ مولدِ الذئب خَرجْنا للدنيا

ونحنُ دائمًا سنبقى مُطِيعين

للهِ وللوطن وهذه الأمةِ

لا إله إلا الله

إن الأمة التي تحسن صناعة الموت، وتعرف كيف تموت الموتة الشريفة، يهب لها الله الحياة العزيزة في الدنيا، والنعيم في الآخرة، وما الوهن الذي أذلّنا إلا حب الدنيا وكراهية الموت، فأعدوا أنفسكم لعمل عظيم، واحرصوا على الموت توهب لكم الحياة.

والموت لا بدَّ منه، ولن يكون إلا مرَّة واحدة، فإن جعلتموها في سبيل اللَّه كان ذلك ربح الدنيا وتواب الآخرة.

إن النفرة للجهاد في سبيل الله انطلاق من قيد الأرض، وارتفاع من ثقلة اللحم والدم، وتحقيق للمعنوي العلوي في الإنسان، وتغليب لعنصر الشوق ـ المجنَّح في كيانه ـ على عنصر القيد والضرورة.

بالجهاد الذي فيه الشُّقة والعناء، يذهب الهمُّ والغمُّ، ولكنها الشُّقة البعيدة التي تتناحر دونها الهمم الساقطة، والعزائم الضعيفة، ولكنه الجهد الخطر الذي تجزع منه الأرواح الهزيلة المنخوبة، ولكنه الأفق العالي الذي تتخاذل دونه النفوس الصغيرة والبنية المهزولة.

كثيرٌ هم أولئك الذين يتهاوون في الطريق الصاعد إلى الآفاق الكريمة، إنهم

ليعيشون على حاشية الحياة، وإن خُيِّل إليهم أنهم بلغوا منافع ونالوا مطالب، واجتنبوا أداء الثمن الغالي، فالثمن القليل لا يشتري سوى التافه الرخيص.

أفلا عاقل يعلم أن الجنة تحت ظلال السيوف، وأن الرَّيَّ الأعظم في شرب كئوس الحتوف، وأنَّ من اغبرَّت قدماه في سبيل الله، حرَّمه اللَّه على النار، ومن أنفق دينارًا، كُتب له به سبعُ مئة دينار، وأن الشهداء حقًّا عند اللَّه من الأحياء، وأن أرواحهم في جوف طير خضر تتبوأ من الجنة حيث تشاء، وأنه لا يحسُّ ألم القتل إلا كمسِّ القرصة، وكم للموت على الفراش من سكْرة وغُصَّة. فهذا فضل لا يضاهي، وخير لا يتناهى، فهل من متعرِّض لهذه الرتب وإن كان نيلها مقسومًا، وصرف عمره في طلبها وإن كان منها محرومًا، ومشمِّر للجهاد على ساق الاجتهاد.

هل من نفير إلى ذوي العناد من كل العباد، وتجهيز الجيوش والسرايا، وبذل الصلات والعطايا، وإقراض الأموال لمن يضاعفها ويزكّيها، ودفع سلع النفوس من غير مماطلة لمشتريها، وأن ننفر في سبيل اللَّه خفافًا وثقالًا، ونتوجه لجهاد أعداء اللَّه رُكبانًا ورجالًا، وأن نجرً الخميس القمقام (١) إلى أولياء إبليس اللئام، حتى يخرجوا إلى الإسلام من أديانهم، ويُعطوا الجزية صغرة بأيّعانهم، أو نستلب نفوسهم من أبدانهم، ونجتذب رءوسهم من تيجانهم، فجموع ذوي الإلحاد مكسّرة، وجيوش أولي العناد مُدبرة مُدمّرة، وعزمات رجال الضلال مؤنثة مُصَغَرة، أفلا نطير إليهم زرافات ووحدانا، ونغير عليهم رجالًا وفرسانًا، ونخاطر بالنفوس والمهج، ونركب قفر البرّ وثبج البحر لنيل الدَّرج، أفلا يبيت كل منا وسلاحه له ضجيعًا، ويصبح معترك الحروب للمسلمين ربيعًا، وحرّ الوطيس لهم غيثًا مَريعًا مَريعًا.

أفلا نُبيد بأيدي الجلاد حماة الشرك وأنصاره، ونصولُ بنصول الحداد على

<sup>(</sup>١) القمقام: العدد الكثير.

<sup>(</sup>٢) المريع: الخصيب.

دُعاة الكفَّار؛ لنهتك أستاره، ونتطهَّر بدماء المشركين والكفَّار من أرجاس الذنوب وأنجاس الأوزار.

ألا من أيام تعود، تلمع البيض البواتر في ظلمات نَقْع كالدياجِرْ، وجريان الدم الذاخر من الحناجر بالخناجر، هُنالك تُفتح من الجنة أبوابها، وترتفع فرشها، وتُوضع أكوابها، وتبرز الحور العين عروبها وأترابها، هنالك يقوم للجهاد خُطَّابها، يضربون فوق الأعناق، ويستعذبون من المنيَّة مُرَّ المذاق، ويبيعون الحياة الفانية بالعيش الباق، يردون مورد الشهادة منهلًا لن يظمئوا بعده أبدًا، تربح تجارتهم وهم أسعد السعداء.

يا رجال الله، أتقفل أبواب الجهاد فلا تُطرَق؟! وتُهمل أسبابه فلا ترمق! وتُصَّفنُ خيوله فلا تركض! وتصمت طبوله فلا تنبض! وتربض أسوده فلا تنهض! أتمتد أيدي الكفرة الأذلاء إلى المسلمين فلا تُقبض! أتُغمد السيوف من أعداء الدين؛ إخلادًا إلى حضيض الدَّعَة والأمان! ويخرس لسان النفير إليهم فصاح نفيرهم في أهل الإيمان!

آمَتْ عروس الشهادة إذْ عدمت الخاطبين، وأمات الناسُ الجهادَ كأنهم ليسوا به مخاطبين، فلا نجد إلا من طوى بساط نشاطه عنه، أو اثاقل إلى نعيم الدنيا الزائل رغبةً منه، أو تركه جزعًا من القتل وهلعًا، أو أعرض عنه شُحًّا على الإنفاق وطمعًا، أوْ جهل ما فيه من الثواب الجزيل، أو رضِي بالحياة الدنيا من الآخرة، وما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل.

أفلا يقظة للهمم الرُّقَّدْ! أفلا نهضة للعزم المُقَّعَد!

أيهوى نجم الجهاد بعد أن كان مشرِقًا سَنِيًّا، وينمحي رسْمُه واسمه كأن لم يكن له من قبل سَمِيًّا؟! (١)

<sup>(</sup>١) انظر: متبارع الأشواق إلى مصارع العشاق لابن البحاس.

#### 🗖 فَرْسَانُ النَّهَارِ.. لِمَاذَا؟

حين نكتب عن فرسان النهار.. ونكتب عن الجهاد فذلك لأسباب؛ منها:

١- أن الجهاد ذروة سنام الإسلام، وعلاة الهمم لا يرضون بالدون من الأمور:

أما صَاح هَذَا الدَّكْ قَدْ سَارَ مُشْءَعًا وَنَحْنُ قُعُودٌ مَا الَّذِي أَنْتَ صَانِعُ

أَيَا صَاحِ هَذَا الرَّكْبُ قَدْ سَارَ مُسْرِعًا وَنَحْنُ قُعُودٌ مَا الَّذِي أَنْتَ صَائِعُ أَتُرْضَى بَأَنْ تَبْقَى الْخُلَفُ بَعْدَهُمْ رَهِينُ الْأَمَانِي وَالْغَرَامُ يُسَازِعُ عَلَى نَفْسِهِ فَلْيَبْكِ مَا كَانَ بَاكِيًا أَيَذْهَبُ وَقْتٌ وَهُوَ بِاللَّهُو ضَائِعُ

«إن الجهاد والهجرة إلى الجهاد جزء أصيل لا يتجزأ عن طبيعة هذا الدين، والدين الذي ليس فيه جهاد لا يستطيع أن يثبت فوق أي أرض، ولا أن تستوي شجرته على سوقها، وأصالة الجهاد ـ التي هي من صميم هذا الدين، ولها وزنها في ميزان ربِّ العالمين ـ ليست ملابسة طارئة من ملابسات تلك الفترة التي تَنَزَّلُ فيها القرآن، وإنما هو ضرورة مصاحبة لهذه القافلة التي يوجهها هذا الدين.

يقول الأستاذ/ سيد قطب في «الظلال» (٧٤٢/٢): «لو كان الجهاد ملابسةً طارئةً في حياة الأمة المسلمة ما استغرق كل هذه الفصول من صلب كتاب الله في مثل هذا الأسلوب، ولما استغرق كذلك كل هذه الفصول من سنَّة رسول الله عَلَيْ وفي مثل هذا الأسلوب.

لو كان الجهاد ملابسة طارئة ما قال رسول اللَّه ﷺ تلك الكلمة لكل مسلم إلى قيام الساعة: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِغَزْوِ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنَ النَّفَاقِ»(١).

إن الله ـ سبحانه ـ يعلم أن هذا أمر تكرهه الملوك، ويعلم أن لا بد لأصحاب السلطان أن يقاوموه؛ لأنه طريق غير طريقهم، ومنهج غير منهجهم، ليس بالأمس فقط، ولكن اليوم وغدًا، وفي كل أرض، وفي كل جيل.

<sup>(</sup>١) رواه مسلم عن أبي هريرة.

وإن الله ـ سبحانه ـ يعلم أن الشر متبجح، ولا يمكن أن يكون منصفًا ولا يمكن أن يدع الخير ينمو مهما يسلك هذا الخير من طريق سليمة موادعة، فإن مجرد نمو الخير يحمل الخطر على الشر، ومجرد وجود الحق يحمل الخطر على الباطل.

ولا بد أن يجنح الشر إلى العدوان، ولا بد أن يدافع الباطل عن نفسه بمحاولة قتل الحق وخنقه بالقوة.

هذه جبلة.. وليست ملابسة وقتية.

هذه فطرة.. وليست حالة طارئة.

ومن ثم لا بد من الجهاد... لا بد منه في كل صورة.. ولا بد أن يبدأ في عالم الضمير، ثم يظهر فيشمل عالم الحقيقة والواقع والشهود... ولا بد من مواجهة الشر المسلح بالخير المسلح... ولا بد من لقاء الباطل المتترس بالعدد بالحق المتوشح بالعدة... وإلّا كان الأمر انتحارًا، أو كان هزلًا لا يليق بالمؤمنين».

أَنَا لَا أَلُومُ الْمُسْتَبِدَّ إِذَا تَجَبَّر أَوْ تَعَدَّى فَسَبِيلُهُ أَنْ يَسْتَبِدَّ وَشَأْنُنَا أَنْ نَسْتَعِدًا

#### ٢. الاستجابة للنداء الرَّباني:

قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ آنفِ رُواْ خِفَافًا وَثِقَ الَا وَجَهِدُواْ بِأَمُوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّ ٱللَّهِ ذَالِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ ﴿ [التوبة: ٤١].

وقد أورد القرطبي (في تفسيره ١٥٠/٨) في تفسيرها عشرة أقوال:

﴿خِفَافًا وَثِقَالًا﴾

١. روي عن ابن عباس: شبانًا وكهولًا.

٢- روي عن ابن عباس، وقتادة: نشاطًا وغير نشاط.

٣- الخفيف: الغني، والثقيل: الفقير، قاله مجاهد.

٤. الخفيف: الشاب، والثقيل: الشيخ، قاله الحسن.

٥ـ مشاغيل وغير مشاغيل، قاله زيد بن على، والحكم بن عتيبة.

٦- الثقيل: الذي له عيال، والخفيف: الذي لا عيال له، قاله زيد ابن أسلم.
 ٧- الثقيل: الذي له ضيعة يكره أن يدعها، والخفيف: الذي لا ضيعة له، قاله ابن زيد.

٨- الحفاف: الرجال، الثقال: الفرسان، قاله الأوزاعي.

٩- الخفاف: الذين يسبقون إلى الحرب كالطليعة وهو مقدمة الجيش، الثقال:
 الجيش بأسره.

١٠ الخفيف: الشجاع، الثقيل: الجبان، حكاه النقاش.

والصحيح في معنى الآية: أن الناس أمروا جملة؛ أي: انفروا، خفت عليكم الحركة أو ثقلت. روي أن ابن أم مكتوم جاء إلى رسول اللَّه ﷺ وقال له: أعليَّ أن أغزو؟ فقال: «نعم» حتى أنزل اللَّه ـ تَعَالَى ـ: ﴿ لِيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ ﴾.

وهذه الأقوال إنما هي على معنى المثال، في الثقل والخفة، ولا يشك عاقل أن حالتنا التي نعيشها في أفغانستان وفي فلسطين (١٠). بل في معظم أرجاء العالم الإسلامي داخلة تحت نص هذه الآية.

فقد اتفق المفسرون، والمحدثون، والفقهاء، والأصوليون على أنه إذا دخل العدو أرضًا إسلامية، أو كانت في يوم من الأيام دارًا للإسلام، فإنه يجب على أهل تلك البلدة أن يخرجوا لملاقاة العدو، فإن قعدوا، أو قصروا، أو تكاسلوا، أو لم يَكْفُوا توسَّع فرض العين على من يليهم، فإن قصروا، أو قعدوا، فعلى من يليهم، وثم وثم حتى يعم فرض العين الأرض كلها، ولا يسع (٢) أحد تركه؛ كالصلاة، والصيام بحيث يخرج الولد دون إذن والده، والمدين دون إذن دائنه، والمرأة دون إذن رجسا الكفار.

<sup>(</sup>١) والعراق، وكشمير، والفلبين، والبوسنة والهرسك.

<sup>(</sup>٢) لا يسع: لا يجوز لأحد.

يقول ابن تيمية: «والعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا ليس أوجب بعد الإيمان من دفعه». والحق المبين الذي لا محيد عنه قول أبي طلحة عندما قرأ: ﴿ اَنْهِ رُوا خِفَافًا وَثِقَ الا ﴾، قال: «شبانًا وكهولًا، ما سمع الله عذر أحد»، ثم قال: «أي بني، جهزوني جهزوني، فقال بنوه: يرحمك الله، لقد غزوت مع النبي على حتى مات، ومع أبي بكر حتى مات، ومع عمر حتى مات، فنحن نغزوا عنك، فقال: لا، جهزوني»، فغزا في البحر، فمات في البحر، فلم يجدوا له جزيرة يدفنوه فيها إلّا بعد سبعة أيام، فدفنوه فيها، ولم يتغير فيها.

يقول القرطبي (١/١٨) في تفسيره: «إذا تعين الجهاد بغلبة العدو على قطر من الأقطار، أو بحلوله بالعقر (أصل الدار)، فإذا كان ذلك وجب على جميع أهل تلك الدار أن ينفروا ويخرجوا إليه خفافًا وثقالًا، شبابًا وشيوخًا، كلَّ على قدر طاقته، من كان له أب بغير إذنه ومن لا أب له.

ولا يتخلف أحد يقدر على الخروج من مقاتل أو مكثر، فإن عجز أهل تلك البلدة على القيام بعدوهم كان على من قاربهم وجاورهم أن يخرجوا على حسب ما لزم أهل تلك البلدة، حتى يعلموا أن فيهم طاقة على القيام بهم ومدافعتهم.

وكذلك كل من علم بضعفهم عن عدوهم، وعلم أنه يدركهم ويمكنه غياثهم لزمه ـ أيضًا ـ الخروج إليهم، فالمسلمون كلهم يد على من سواهم، حتى إذا قام بدفع العدو أهل الناحية التي نزل العدو عليها واحتلها سقط الفرض عن الآخرين.

ولو قارب العدو دار الإسلام، ولم يدخلوها لزمهم - أيضًا - الخروج إليه، حتى يظهر دين الله، وتحمى البيضة، وتحفظ الحوزة، ويخزى العدو، ولا خلاف في هذا، وما أجمل أبيات النابغة الجعدي وهو يخاطب زوجته التي ترجوه أن يجلس عند عائلته: بَاتَتْ تُدُدِّكُرُنِي بِاللَّهِ قَاعِدَةً وَالدَّمْعُ يَهْطِلُ مِنْ شَأْنَيْهِمَا سَبِلَا(١)

<sup>(</sup>١) شأنيهما: طريقا الدمع. سبلًا: غزيرًا.

كَرْهًا وَهَلْ أَمْنَعَنَّ اللَّهَ مَا فَعَلاً؟ وَإِنْ لِحَقْتُ بِرَبِّي فَابْتَغِي بَدْلاً (¹) أَوْ ضَارِعًا مِنْ ضَنَى لَمْ يَسْتَطِعْ حِوَلاً (¹)

يَا بِنْتَ عَمِّي كِتَابُ اللَّهِ أَخْرَجَنِي فَإِنْ رَجَعْنِي فَإِنْ رَجَعْنِي فَإِنْ رَجَعْنِي مَا كُنْتُ أَعْرَجَ أَوْ أَعْمَى فَيعْذِرَنِي مَا كُنْتُ أَعْرَجَ أَوْ أَعْمَى فَيعْذِرَنِي

#### ٣ ـ اتباعًا للسلف الصالح:

فقد كان الجهاد ديدنًا للسلف الصالح، وكان ﷺ سيدًا للمجاهدين، وقائدًا للغرِّ الميامين، فكانوا إذا اشتد الوطيس يحتمون برسول اللَّه ﷺ، فيكون أقربَهُم للعدو، وعددُ مغازيه ﷺ التي خرج بنفسه فيها سبع وعشرون، وقاتل في تسع منها بنفسه: (بدر، وأُحد، والمريسيع، والخندق، وقريظة، وخيبر، وفتح مكة، وحنين، والطائف)، وهذا على قول من قال: مكة فتحت عُنْوَةً.

وكانت سراياه التي بعثها سبعًا وأربعين، وقيل: إنه قاتل في بني النضير. (نهاية المحتاج ١٦/٨).

وهذا يعني أن رسول الله ﷺ كان يخرج في غزوة أو يرسل سرية في كل شهرين أو أقل.

وسار الصحب الكرام على سنَّة النبي الكريم الله على الكريم الله القرآن الكريم يربي هذا الجيل تربية جهادية، ويحميهم من أن ينغمسوا في الدنيا كما يحمي أحدنا لديغه من الماء.

فقد روى الحاكم في «المستدرك» (٢٧٥/٢) وصححه ووافقه الذهبي: عن أسلم أبو عمران قال: حمل رجل من المهاجرين ـ بالقسطنطينية ـ على صف العدو حتى خرقه، ومعنا أبو أيوب الأنصاري، فقال ناس: ألقى بيده إلى التهلكة، فقال أبو أيوب: نحن أعلم بهذه الآية.. إنما نزلت فينا، صحبنا رسول الله على وشهدنا

<sup>(</sup>١) فابتغى بدلًا: تزوجي غيري.

<sup>(</sup>٢) ضارعًا من ضنى: ضعيفًا من مرض.

معه المشاهد، ونصرناه، فلما فشا الإسلام وظهر.. اجتمعنا معشر الأنصار تحببًا، فقلنا: فقد أكرمنا الله بصحبة نبيه وقد وضعت الحرب أوزارها، فنرجع إلى أهلنا على الأهلين، والأموال، والأولاد، وقد وضعت الحرب أوزارها، فنرجع إلى أهلنا وأولادنا، فنقيم فيهما، فنزل فينا: ﴿ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُم إِلَى اللّهِ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُم إِلَى اللّهَ وَاللّه وَرك الجهاد، وقد روى عكرمة أن ضمرة بن العيص وكان من المستضعفين في مكة، وكان مريضًا فلما سمع ما أنزل الله في الهجرة، قال: أخرجوني، فَهُيِّء له فراش، ثم وضع عليه، وخرج به فمات في الطريق بالتنعيم (على بعد ٦ كم من مكة) (١٠). وأسند الطبري عمن رأى المقداد بن الأسود في «حمص» على تابوت صراف، وقد فضل على التابوت من سمنه، وهو يتجهز للغزو، فقيل له: عذرك الله، فقال:

وقال الزهري: خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه، فقيل له: إنك عليل، فقال: استنفر اللَّه الخفيف والثقيل، فإن لم يمكني الحرب كثرت السواد، وحفظت المتاع.

أبت علينا سورة البعوث: ﴿أَنْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾.

وروي أن بعض الناس رأى في غزوات الشام رجلًا قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، فقال له: يا عم، إن الله قد عذرك، فقال: يا ابن أخي، قد أمرنا بالنفر خفافًا وثقالًا...(٢)

وهذا إبراهيم بن أدهم عندما أحسن بالموت قال: أوتروا لي قوسي، وتوفي وهي في كفه، ودفن في إحدى جزائر البحر في بلاد الروم.. (٣).

وهذا عبداللَّه بن المبارك كان يقطع مسافة ألفين وستمائة كيلو متر راجلًا أو

<sup>(</sup>١) القرطبي ٩/٥ ٣٤٩.

<sup>(</sup>٢) القرطبي ١٥١/٨.

<sup>(</sup>٣) تاريخ دمشق لابن عساكر ١٧٩٠/٢]

راكبًا دابته؛ ليقاتل في سبيل اللَّه في ثغور المسلمين..(١)

وهذا زهير بن قمير المروزي يقول: أشتهي لحمًا من أربعين سنة ولا آكلها حتى أدخل الروم فآكله من مغانم الروم (٢)..

وهذا قاضي الكوفة عروة بن الجعد كان في بيته سبعون فرسًا مربوطةً للجهاد<sup>(٣)</sup>..

وهذا محمد بن واسع كان من العبَّاد المحدِّثين، الغزاة المرابطين؛ يقول عنه القائد قتيبة بن مسلم الباهلي: «لَإِصْبَعُ محمد بن واسع تشير إلى السماء في المعركة أحب إليَّ من مئة ألف سيف شهير وشاب طرير (قوي)»(٤)..

وهذا أحمد بن إسحاق السرماري يقول: «أعلم يقينًا أني قتلت بسيفي هذا ألف تركى، ولولا أن يكون بدعة لأمرت أن يدفن معي»(٥)..

وهذا أبو عبداللَّه بن قادوس؛ لكثرة قتله من نصارى الأندلس، كان النصراني إذا سقى فرسه فلم يقبل على الماء؟ الله: مالك، أرأيت ابن قادوس في الماء؟ (٢)... وهذا بدر بن عمار يقتل الأسد بسوطه، فيمدحه المتنبي:

أَمُعَفِّرَ اللَّيْثَ الْهِزَبْرَ بِسَوْطِهِ لِمَنِ ادَّخَرْتَ الصَّارِمَ الْمَصْفُولَا مُعَفِّر: مُرِّع بالتراب. الْهِزَبْرُ: الأسد. الصَّارِمُ: السيف.

وهذا عمر المختار، يقول عنه غراسياني القائد الإيطالي: لقد خاص عمر المختار مع جنودنا (٢٦٣) معركة خلال عشرين شهرًا، أما مجموع معارك فقد بلغت

<sup>(</sup>١) عبدالله بن المبارك، د. المحتسب.

<sup>(</sup>٢) ترتيب المدارك للقاضى عياض ٢٤٩/٣.

<sup>(</sup>٣) تهذيب الأسماء واللغات ٣٣١/١.

<sup>(</sup>٤) المشوق في الجهاد ٦٦].

<sup>(</sup>٥) تهديب التهذيب لابن حجر ١٤/١.

<sup>(</sup>٦) المشوق في الجهاد ٧٧ .

ألف معركة.

وهذا الشيخ محمد فرغلي، كان الإنجليز في الإسماعيلية يعلنون حالة الطوارئ في معسكراتهم إذا دخل الفرغلي المدينة، وقد دفع الإنجليز خمسة آلاف جنيه لمن يأتي برأسه حيًّا أو ميتًا.

وهذا يوسف طلعت، كان يُسمى جزار الإنجليز؛ لكثرة ما قتل منهم في قناة السويس؛ فأعدمهما عبدالناصر» (١).

#### ٤- لقلة الرجال وندرة الفرسان:

عن عبدالله بن عمر ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ «إِنَّمَا النَّاسُ كَإِبِل مِئَةٍ، لَا تَكَادُ تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً» (٢٠).

لقد آن أوان الرجال، وهذا مقام الفعال دون حال المقام.

فَدَعْ عَنْكَ نَهْبًا صَحِيحًا فِي مُجُرَاتِهِ وَلَكِنْ حَدِيثًا مَا حَدِيثُ الرَّوَاحِلِ")

وأزمة العالم الإسلامي اليوم أزمة رجال يضطلعون بحمل المسئولية والقيام بأعباء الأمة.. فارس يحمل همَّ الإسلام بعد أن تخلى الفرسان.. نسر يعلو إلى الأعالى بعد أن سقط الجميع إلى الحضيض والقيعان.

ولله در القائل في هذا الفارس الذي لا يعرف العيش إلا محساما:

لِأَنَّكَ لَا تَعْرِفُ الْعَيْشَ إِلَّا مُحسَامًا

<sup>(</sup>١) الْحَقُّ بالقافلةِ «للدكتور عبدالله عزام » ص (١٤ ـ ٢٢) دار ابن حزم.

<sup>(</sup>٢)رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، والترمذي، وابن ماجه.

أي: أن الكامل في الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة قليل؛ لقلة الراحلة في الإبل، والراحلة هي البعير القري على الأسفار والأحمال النجيب التام الحلق الحسن المنظر، ويقع على الذكر والأنثى، والهاء فيه للمبالغة.

<sup>(</sup>٣) البيت لامرئ القيس، ومعناه الحرفي: اترك الحديث عن الحجرات التي نهبت أمتعتها، وحدثني عن قطيع الجمال القوي التي عليها مدار حياتنا. وهذا مثال يقال لمن يتحدث عن الأمور التافهة ويدع الأمور العظيمة.

وَلَا تَعْرِفُ الْمُوْتَ إِلَّا شَهَادَهُ لِلَّا شَهَادَهُ لِلَّائُكُ تَفْضَحُ فِينَا الْخِيَانَهُ..

لَا تَشْتَهِينَا وُجُوهٌ كَسَتْهَا الْبَلَادَهُ سَيَقْرَؤُكَ الْقَادِمُونَ عَلَى كُلِّ لَحْظَهْ..

صِدْق...

وَيَرْسُمُكَ الطَّالِعُونَ خُطُوطَ إِرَادَهُ لِأَنَّكَ تَعْرِفُ أَنَّ الْحُسَامَ الَّذِي..

يَسْتَكِينُ لِغَمْدٍ يَمُوتُ

وَأَنَّ السُّيُولَ الَّتِي لَيْسَ تَجُرْفُ..

كُلَّ الصُّخُورِ تَمُوتُ

وَأَنَّ الحِصَانِ الذي لا يخبُّ يموتْ

تحدَّيت هذا السكوتْ

تحدَّيْت هذا الهوانَ المقيتْ

وأعْلنتَ... والليل حولك يضربُ..

أطنابَهُ..

أن فجرك آتٍ،..

وصبحك يركض نحو بلاد، يعشعشُ في قلبها العنكبوتُ الضياءُ الذي في فؤادِك يَصْهلُ..

والليل ليلٌ مقيتْ

والأحبَّة ـ حين تذكرتهم ـ

أشعلوك انتصارًا لمجدك..

ها أنت ذا تستميث

والرياح التي حَوْل هذي القبور...

يصفر فيها المساء المُميت

والأسى في فوادي يرسمُ..

أنشودةً مُخرَسهْ

والنشيد الذي أرتجيه..

يسافرُ تحت ظلال السيوف..

ويطلع في الليلة الدامسة

وردة من ضياءٍ، وريحانةً هامسهْ

فلعل جهادك يفرح أجواءنا العابسة

ولعل الذين يبيعون وجهك

يا نسرنا

يدركون بأنك لن تتبدَّدْ

وستبقى مع الخالدين نشيدًا تجدَّدْ

«لك الله يا دعوةَ الخالدين

لقد أوشك البغي أن يهمدًا

نشرنا دمانا الزكيَّة نورًا يضيء الظلامَ، ويجلو الهدى»

\* \* \*

إنك أنت الوحيد الذي ما تبلَّدْ فهل نفروا مثلما قد نفرتَ...؟ وهل سهدوا مثلما ـ أنت مُسْهَدْ؟ وهل عرفوا لغة السيف يأبي المذلَّة يا سيفنا المشرئب الذي..

ليس يُغمد؟

وها أنت طاولت كل النجوم... وها هم عبيدُ القرودِ..

وها هم وطاة لكُلِّ مُشَرَّدْ

تساميتَ كالأقحوانِ..

وأُرهفتَ ... فالكلُّ جَلْمَدْ...

فهمْ كالحجارة... لا حسَّ فيها ولكنكَ الآن نبعُ تَوَلَّدُ

وما غير وجهك فينا ـ لواءً وما غير صوتك فينا يُغَرِّدُ

فيا ويحَ من أسلموا وجههم

للخيانة ...، وارتكنوا للتجمُّدْ

ويا ويحَ ريح الخيانة...

حین تمرُّ علی کل أرض،

فتطفئ روح التمرُّدُ

ويا ويحهم أشعلوا في المدى

شعلةً من ضِرام، وأنشودة تتوقَّدُ

هو الليل... يا نسرنا،

حاصر المترفين بقاعاتِ..

هذا المساء المبدَّدُ

هو الليل... يا نسرنا،

أوغلتْ في القلوب نصال الخيانة...

والكل أزمَدْ

وما عادَ يملؤنا غير خوفِ الذئابِ...

وزَهْو القرود...

وصمتُ التبلُّدُ

وما عاد فينا حسامٌ جرئٌ...

فما ثمَّ غُرٌّ، ولا ثم خيلٌ...

ولا ثُمَّ سُؤدَدْ

وما عادَ إلا رُوَيْبِضةٌ،

فوق كُرْسيَّة يُتقن الدَّوْرَ..

في ريبه يتردَّدْ

وما عاد وجه الأُلي ملئوا الأرض...

عدلا...

وصاروا على الشهب... عِزًّا وكانت لهم ساحة الأرض... مسجد

وهل أنت إلا جوادٌ يخبُ.. سيفٌ مجرَّدْ؟

وهل أنت إلا كتابٌ..

سيقرؤهُ القادمونَ حروفا تُغَرِّدْ؟ وهل أنت إلا الثباتُ الأَبيُّ...؟ وهل أنت إلا التجرُّدْ؟ وهل أنت إلا التجرُّدْ؟ وهل أنت إلا الزمانُ النقيُّ.. يخاطبنا عَبْرَ هذي الفيافي فنشقى ونسعَدْ؟

ويدمغُ من يذبحون الرجولة فينا ويدحضُ من يفقدون اليقين المؤكَّدْ فرسَانُ النَّهَارِ

المساء المُلَبَّدُ

وصورة «مَدْريدَ» في صفحةِ الخزي والكلُّ يَوْتَدْ

وأقنعةٌ فوق هذي الوجوهِ البليدةِ...

في قاعة العار تُعبَدُ

وأصوات خرس يبيعوننا...

فوق هذي الموائد..

لا يحسبون حسابًا لطفل سيولَدْ ويلعنهم حينَ يَرشَدْ

ويومًا سيرجمهم في قبور الخيانة

صَوتُ السنين المُنَدِّدُ

المساء الملبَّدُ

وهذا الغطيط الذي تستحمُّ..

الخرائط فيه...

وأكذوبةٌ تتردَّدْ

وريخ تفجُّو من داخل الصمتِ..

تعلو وتزبد

وتزحف من كل صوبٍ وتطلع من كل مسجِدْ

فرسَانُ النُّهَار

«سئمنا الخيانةَ والخائنينا

سئمنا السنين الكذوبةً...

تحمل هذا البقاء المهينا

سئمنا بلادًا على صدْرها

يجلس المجرمونا

سئمنا عيون الذئاب اللقيطة...

تغزو الجلودَ ... وتسمل منا العيونا

سئمنا سئمنا...

سئمنا المجونا

وهذي الكئوس التي خَدَّرَتْنَا سنينَا وهذي العباراتِ ما أرجعت أرضنَا

فاعتقونا

وما حررَّت قدسنا

أيها القاتلونا

سئمناكُمُ كالدُّمي

فوقَ هذي الخرائطِ وَجْهًا خئونا

سئمنا.. سئمنا

لأن الخرائط أضحَتْ سجونا»

المساء المُليَّدُ

وصوتُك يا نسرنا

منذ حلَّ المساءُ...

وأوغل هذا الظلام المعربد

وعادت خفافیشه تترصَّدْ

يسافر في زمرة القابضينَ...

على الجمر... والجَمْر مُوقَدُ

ووجهكَ... يا نسرنا راحةُ القلبِ...

في زمن أقفرتْ أرضُهُ...

من إمام مُوَحِّدُ

فلا تبتئس،

إنَّ فينا من الذكِر آيًا

تصبِّرنا في التهجُّدْ

وفينا من القبس النبويِّ..

مشاعل ضوءٍ تبث اليقين.. بأرواحنا

في زمان الترَدُّدُ<sup>(\)</sup>.

\* \* \*

<sup>(</sup>١) قصيدة «لأنك لا تعرف العيش إلا حسامًا» من ديوان «الجواد المهاجر» لطاهر العَتَبَاني ص (٢١ ـ ٣٠) دار الوفاء.

#### ٥ ـ تبصير المؤمنين بغاية الجهاد وأهدافه

إن للجهاد غايات وأهدافًا جليلة كثيرة؛ منها:

- تعبيد الناس لله وحده، وإخراجهم من العبودية للعباد إلى العبودية لرب العباد، وإزالة الطواغيت كلها من الأرض جميعًا حتى تنتهي الفتنة الكبرى وهي الشرك ويكون الدين كله لله:

إن للجهاد حِكَمًا بالغة وأهدافًا جليلة ؛ لأن الذي شرعه هو العليم الخبير، فما دام أن الآمِرَ به هو الحكيم فالحكمة والمصلحة ثابتة فيه قطعًا، وتَلَمَّسُ حكمة الجهاد لا يتوقف القيام به على معرفتها عند المسلم الصادق؛ فإن مقتضى العبودية أن ينفذ العبد أمر سيده عرف حكمته أو لم يعرف، ولكن معرفة الحكمة تقوي العزائم، وتشحذ الهمم، وتيسر أمر التكاليف على المكلفين ونحو ذلك من الفوائد والمصالح، ولنرجع إلى ما أمرنا الله بالرجوع إليه ـ الكتاب والسنة ـ نأخذ منهما أهداف الجهاد وغايته.

الهدف الرئيسي هو تعبيد الناس لله وحده، وإخراجهم من العبودية للعباد إلى العبودية لرب العباد، وإزالة الطواغيت كلها من الأرض جميعًا، وإخلاء العالم من الفساد؛ وذلك لأن خضوع البشر لبشر مثلهم وتقديم أنواع العبادة لهم من الدعاء والنذر والذبح والتعظيم والتشريع والتحاكم هو أساس فساد الأجيال المتعاقبة من لدن نوح العَلَيَّة إلى يومنا هذا، وهو انحراف بالفطرة السوية عما خلقها الله عليه من التوحيد؛ كما قال على عن الله قال: «وإني خلقتُ عبادي حنفاء كلَّهم، وإنهم أن أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا...» الحديث (١).

فهدف الجهاد الإسلامي الأكبر هو إرجاع البشر إلى الأصل وهو الملة الحنيفية

<sup>(</sup>١) صحيح مسلم مع النووي (١٩٨/١٧).

التي تخضعهم لرب العالمين، وتجعلهم يستمدون منه ـ سُبْحَانَهُ ـ منهج حياتهم الدنيا، ويعبدونه كما أمر، ولا يعبدون أحدًا غيره، وهذا الخضوع لله هو الذي يحقق لهم السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة.

يقول سيد قطب ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ تحت عنوان «منهج متفرد»: «والآن يقول قائل: إذا كان الإسلام وهو منهج اللَّه للحياة البشرية لا يتحقق في الأرض وفي دنيا الناس إلا بالجهد البشري، وفي حدود الطاقة البشرية، وفي حدود الواقع المادي للحياة الإنسانية في البيئات المختلفة، فما ميزته إذن على المناهج البشرية التي يضعها البشر لأنفسهم، ويبلغون منها ما يبلغه جهدهم في حدود طاقتهم وواقعهم؟! ولماذا يجب أن نحاول تحقيق ذلك المنهج، وهو يحتاج إلى الجهد البشري ككل منهج، فلا يتحقق منه شيء بمعجزة خارقة ولا بقهر إلهي ملزم، وهو يتحقق في حياة الناس في حدود فطرتهم البشرية وطاقتهم العادية وأحوالهم الواقعية، ونحن ملزمون بمحاولة تحقيق ذلك المنهج ابتداء؛ لنحقق لأنفسنا صفة الإسلام؛ فركن الإسلام الأول: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وشهادة «أن لا إله إلا الله» معناها القريب: إفراد اللَّه ـ سبحانه ـ بالألوهية وعدم إشراك أحد من خلقه معه في خاصية واحدة من خصائصها، وأولى خصائص الألوهية حق الحاكمية المطلقة الذي ينشأ عنه حق التشريع للعباد، وحق وضع المناهج لحياتهم، وحق وضع القيم التي تقوم عليها هذه الحياة؛ فشهادة «أن لا إله إلا الله» لا تقوم ولا تتحقق إلا بالاعتراف بأن لله وحده حقَّ وضع المنهج الذي تجري عليه الحياة البشرية، وإلا بمحاولة تحقيق ذلك المنهج لأسباب تتعلق بالمنهج ذاته فهو وحده المنهج الذي يحقق كرامة الإنسان، ويمنحه الحرية الحقيقية، ويطلقه من العبودية، هو وحده الذي يحقق له التحرر الكامل الشامل المطلق في حدود إنسانيته وعبوديته لله؛ التحرر من العبودية للناس بالعبودية لله رب الناس، وما من منهج آخر في الأرض يحقق هذه الخاصية إلا الإسلام.. ونحن ملزمون بمحاولة تحقيق ذلك المنهج، لأنه وحده المنهج المبرأ من نتائج الجهل الإنساني والقصور الإنساني براءته من نتائج الضعف البشري؛ فواضعه هو خالقُ هذا الكائن الإنساني العليمُ بما يصلحه ويصلح له، وهو المطلع على خفايا تكوينه وتركيبه وخفايا الملابسات الأرضية والكونية كلها في مدى الحياة البشرية كذلك»(١).

والأدلة على أن هدف الجهاد الأكبر «تعبيد الناس لله وحده، وإخراجهم من العبودية للعباد، وإزالة الطواغيت كلها من الأرض، وإخلاء العالم من الفساد» كثيرةٌ جدًّا.

يقول اللَّه تَجَلَّىٰ: ﴿ وَقَائِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِنْنَهُ ۗ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنْهَوَاْ فَلَا عُدُونَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّلِلِينَ ﴿ ﴾ [البقرة: ١٩٣].

ويقول ـ تَعَالَى ـ: ﴿ وَقَائِلُوهُمْ حَتَىٰ لَا تَكُونَ فِتَّنَةٌ ۗ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوَا فَإِنَ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۗ ۞ ﴿ [الأنفال: ٣٩].

قال ابن كثير: «ثم أمر ـ تَعَالَى ـ بقتال الكفار؛ ﴿ عَنَّى لَا تَكُونَ فِنْنَهُ ﴾؛ أي: شرك، قاله ابن عباس وأبو العالية ومجاهد والحسن وقتادة والربيع ومقاتل بن حيان والشدِّيُّ وزيد بن أسلم، ﴿ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِللَّهِ ﴾؛ أي: يكون دين اللَّه هو الظاهر على سائر الأديان (٢٠).

وقال ابن الجوزي: ﴿ وَيَكُونَ ٱلدِينُ لِلَّهِ ﴾ قال ابن عباس: أي يخلص له التوحيد (٣).

وقال ابن جرير الطبري: «فقاتلوهم حتى لا يكون شرك ولا يعبد إلا الله وحده لا شريك له؛ فيرتفع البلاء عن عباد الله من الأرض وهو الفتنة، ويكون الدين كله

<sup>(</sup>۱) هذا الدين، لسيد قطب ص (۱۵ - ۲۰).

<sup>(</sup>۲) ابن کتیر (۱: ۳۲۹).

<sup>(</sup>٣) زاد المسير (١: ٢٠٠).

لله، وحتى تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره»(١).

وقال الشوكاني: ﴿ ﴿ وَقَائِلُوهُمْ حَتَىٰ لَا تَكُونَ فِنْنَةً ﴾ فيه الأمر بمقاتلة المشركين إلى غاية هي ألا تكون فتتة وأن يكون الدين لله وهو الدخول في الإسلام والخروج عن سائر الأديان المخالفة له، فمن دخل في الإسلام وأقلع عن الشرك لم يَجِل قتاله (٢٠).

ويقول الرسول على: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» (٣). ويقول على: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله» (٤).

ويقول ﷺ: «بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله ـ تَعَالَى ـ وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذل والصغار على من خالف أمري» (°).

وقد كان هذا الهدف العظيم للجهاد حاضرًا في حس الصحابة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ـ أثناء معاركهم مع أعداء الله؛ ففي صحيح البخاري عن جبير بن حية قال: «فندبنا عمر، واستعمل علينا النعمان بن مُقَرِّنٍ حتى إذا كنا بأرض العدو خرج علينا عامل كسرى في أربعين ألفًا، فقام ترجمان فقال: ليكلمني رجل منكم. فقال المغيرة: سل عما شئت. قال: ما أنتم؟ قال: نحن أناس من العرب كنا في شقاء شديد وبلاء شديد، نمص الجلد والنوى من الجوع، ونلبس الوبر والشعر، ونعبد

<sup>(</sup>١) تفسير الطبري (٥٣٧/١٣).

<sup>(</sup>٢) فتح القدير، للشوكاني (١: ١٩١).

<sup>(</sup>٣) صحيح مسلم بشرح النووي (١٣: ٤٩).

<sup>(</sup>٤) صحيح البخاري مع الفتح (١: ٧٢).

 <sup>(</sup>٥) مجمع الزوائد (٦: ٤٩) وقال: رواه أحمد وفيه عبدالرحمن بن ثابت وثقه المديني وغيره، وضعفه أحمد وغيره، وبقية رجاله ثقات. وَصَحَّحَهُ الألباني.

الشجر والحجر، فبينا نحن كذلك إذ بعث رب السموات ورب الأرضِينَ - تَعَالَى ذِكْرُهُ وَجَلَّتْ عَظَمَتُهُ - إلينا نبيًّا من أنفسنا نعرف أباه وأمه، فأمرنا نبينا رسول ربنا عَلَيْ أن نقاتلكم حتى تعبدوا اللَّه وحده أو تؤدوا الجزية، وأخبرنا نبينا عَلِي عن رسالة ربنا أنه من قُتِلَ منا صار إلى الجنة في نعيم لم ير مثلها قط ومن بقي منا ملك رقابكم» (۱).

وذكر ابن كثير قصة ربعي بن عامر على المنه المنه المنه المنه والحرير، وفيها: «... فدخل عليه وقد زينوا مجلسه بالنمارق المذهبة والزرابي والحرير، وأظهر اليواقيت واللآلئ الثمينة والزينة العظيمة، وعليه تاجه وغير ذلك من الأمتعة الثمينة، وقد جلس على سرير من ذهب، ودخل ربعي بثياب صفيقة وسيف وترس وفرس قصيرة، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها بعض تلك الوسائد، وأقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضته على رأسه، فقالوا له: ضع سلاحك. فقال: إني لم آتكم وإنما جئتكم حين دعوتموني فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت. فقال رستم: ائذنوا له. فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق؛ فخرق عامتها، فقالوا له: ما جاء بكم؟ فقال: الله ابتعثنا؛ لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه؛ لندعوهم إليه فمن قَبِلَ ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن مات على قتال من أتى والظفر لمن بقي...»(٢).

وهذا الهدفُ السامي المتضمن لإعلاء كلمة اللَّه وهي الإسلام ، وإقامة سلطان اللَّه في الأرض، وَجَعْل كلمة الذين كفروا السفلى، وإخلاء العالم من الفساد الأكبر الذي هو الشرك وما ينتج عنه، وإزالة الطواغيت الذين يحولون بين

<sup>(</sup>١) صحيح البخاري مع الفتح (١: ١٩٠).

<sup>(</sup>٢) البداية، لابن كثير (٧: ٣٩).

الناس وبين الإسلام ويعبدونهم لغير الله ـ موضعُ اتفاقِ بين علماء الإسلام، وهاهي ثلة من أقوالهم.

يقول الشافعي: «فَدَلَّ كتاب اللَّه وسننة نبيه ﷺ أن فرض الجهاد إنما هو على أن يقوم به مَن فيه كفاية للقيام به حتى يجتمع أمران:

أحدهما: أن يكون بإزاء العدو المخوف على المسلمين مَن يمنعه.

والآخر: أن يجاهد من المسلمين مَنْ في جهاده كفايةٌ حتى يُسْلِمَ أهل الأوثان أو يعطى أهل الكتاب الجزية»(١).

ويقول محمد بن الحسن: «فرضية القتال المقصود منها إعزاز الدين وقهر المشركين»(٢).

ويقول ابن القيم: «والمقصود من الجهاد إنما هو أن تكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله... فإن من كون الدين كله لله إذلال الكفر وأهله وصغاره وضرب الجزية على رءوس أهله والرق على رقابهم فهذا من دين الله ولا يناقض هذا إلا ترك الكفار على عزهم وإقامة دينهم كما يحبون بحيث تكون لهم الشوكة والكلمة»(").

ويقول ابن عبدالبر المالكي: «يقاتل جميع أهل الكفر من أهل الكتاب وغيرهم من القبط والترك والحبشة والفزارية والصقالبة والبربر والمجوس وسائر الكفار من العرب والعجم، يقاتلون حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون» (٤).

«ويقول سيد قطب: «إن بواعث الجهاد في الإسلام ينبغي تلمسها في طبيعة الإسلام ذاته ودوره في هذه الأرض وأهدافه العليا التي قررها الله وذكر الله أنه

<sup>(</sup>١) الأم، للشافعي (٤: ١٦٧).

<sup>(</sup>٢) السير الكبير، للشيباني (١: ١٨٨).

<sup>(</sup>٣) أحكام أهل الذمة، لابن القيم (١: ١٨).

<sup>(</sup>٤) من كتاب الكافي في فقه أهل المدينة المالكي، للحافظ ابن عبدالبر ص (٢٦٦).

أرسل من أجلها هذا الرسول بهذه الرسالة وجعله خاتم النبيين وجعلها خاتمة الرسالات، إن هذا الدين إعلان عام لتحرير الإنسان في الأرض من العبودية للعباد ـ ومن العبودية لهواه أيضًا وهي من العبودية للعباد ـ وذلك بإعلان ألوهية اللَّه وحده ـ سبحانه ـ وربوبيته للعالمين، إن إعلان ربوبية اللَّه وحده للعالمين معناها الثورة الشاملة على حاكمية البشر في كل صورها وأشكالها وأنظمتها وأوضاعها والتمرد الكامل على كل وضع في أرجاء الأرض الحكم فيه للبشر بصورة من الصور أو بتعبير آخر مرادف الألوهية فيه للبشر في صورة من الصور، ذلك أن الحكم الذي مرد الأمر فيه إلى البشر ومصدر السلطات فيه هم البشر هو تأليه للبشر يجعل بعضهم لبعض أربابًا من دون الله، إن هذا الإعلان معناه انتزاع سلطان اللَّه المغتصب ورده إلى اللَّه وطرد المغتصبين له الذين يحكمون الناس بشرائع من عند أنفسهم فيقومون منهم مقام الأرباب ويقوم الناس منهم مقام العبيد، إن معناه تحطيم مملكة البشر؛ لإقامة مملكة لله في الأرض أو بالتعبير القرآني الكريم: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَهُ ۖ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَنَّهُ ﴾، ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ ذلك الدين القيم، ﴿ قُلْ يَتَأَهْلَ ٱلْكِنَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةِ سَوَآءِ بَيْنَـنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْـبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ، شَـَيْتًا وَلَا يَتَنْخِذَ بَعْضُـنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿ ﴾.

ومملكة الله في الأرض لا تقوم بأن يتولى الحاكمية في الأرض رجال بأعيانهم هم رجال الدين كما كان الأمر في سلطان الكنيسة ولا رجال ينطقون باسم الآلهة كما كان الحال في ما يعرف باسم «الثيوقراطية» أو الحكم الإلهي المقدس، ولكنها تقوم بأن تكون شريعة الله هي الحاكمة وأن يكون مرد الأمر إلى الله وفق ما قرره من شريعة مبينة، وقيام مملكة الله في الأرض وإزالة مملكة البشر وانتزاع السلطان من أيدي مغتصبيه من العباد ورده إلى الله وحده وسيادة الشريعة الإلهية وحدها وإلغاء القوانين البشرية كل أولئك لا يتم بمجرد التبليغ والبيان؛ لأن المتسلطين على رقاب

العباد المغتصبين لسلطان اللَّه في الأرض لا يسلمون في سلطانهم بمجرد التبليغ والبيان وإلا فما كان أيسر عمل الرسل في إقرار دين الله في الأرض وهذا عكس ما عرفه تاريخ الرسل ـ صلوات الله وسلامه عليهم .، وتاريخ هذا الدين على ممر الأجيال، إن هذا الإعلان العام لتحرير الإنسان في الأرض من كل سلطان غير سلطان اللَّه بإعلان ألوهية اللَّه وحده وربوبيته للعالمين لم يكن إعلانًا نظريًّا فلسفيًّا سلبيًّا؛ إنما كان إعلانًا حركيًّا واقعيًّا إيجابيًّا، إعلانًا يراد له التحقيق العملي في صورة نظام يحكم البشر بشريعة الله ويخرجهم بالفعل من العبودية للعباد إلى العبودية لله وحده بلا شريك؛ ومن ثُمَّ لم يكن بد من أن يتخذ شكل الحركة إلى جانب شكل البيان؛ ذلك ليواجه الواقع البشري بكل جوانبه بوسائل مكافئة لكل جوانبه والواقع الإنساني أمس واليوم وغدًا يواجه هذا الدين بوصفه إعلانًا عامًّا لتحرير الإنسان في الأرض من كل سلطان غير سلطان الله بعقبات اعتقادية تصورية، وعقبات مادية واقعية، وعقبات سياسية واجتماعية واقتصادية وعنصرية وطبقية إلى جانب عقبات العقائد المنحرفة والتصورات الباطلة، وتختلط هذه بتلك وتتفاعل معها بصورة معقدة شديدة التعقيد، وإذا كان البيان يواجه العقائد والتصورات فإن الحركة تواجه العقبات المادية الأخرى وفي مقدمتها السلطان السياسي القائم على العوامل الاعتقادية التصورية والعنصرية والطبقية والاجتماعية والاقتصادية المعقدة المتشابكة، وهما معًا ـ البيان والحركة ـ يواجهان الواقع البشري بجملته بوسائل مكافئة لكل مكوناته وهما معًا لا بد منهما لانطلاق حركة التحرير للإنسان في الأرض، الإنسان كله في الأرض كلها، وهذه نقطة مهمة لا بد من تقريرها مرة أخرى.

إن هذا الدين ليس إعلانًا لتحرير الإنسان العربي وليس رسالة خاصة بالعرب، إن موضوعه هو الإنسان نوع الإنسان، ومجاله هو الأرض كل الأرض، إن الله يسحانه ـ ليس ربًّا للعرب وحدهم ولا حتى لمن يعتنقون العقيدة الإسلامية

وحدهم، إن الله هو رب العالمين وهذا الدين يريد أن يرد العالمين إلى ربهم وأن ينتزعهم من العبودية لغيره، والعبودية الكبرى في نظر الإسلام هي خضوع البشر لأحكام يشرعها لهم ناسٍ من البشر وهذه هي العبادة التي يقرر أنها لا تكون إلا لله وأن من يتوجه بها لغير الله يخرج من دين الله مهما ادعى أنه في هذا الدين، ولقد نص رسول اللَّه ﷺ على أن الاتباع في الشريعة والحكم هو العبادة التي صار بها اليهود والنصاري مشركين مخالفين لِمَا أَمِرُوا به من عبادة الله وحده؛ أخرج الترمذي بإسناده عن عدي بن حاتم ضَّيُّتِه أنه لما بلغته دعوة رسول اللَّه ﷺ فَرَّ إلى الشام، وكان قد تنصر في الجاهلية، فأسرت أخته وجماعة من قومه ثم مَنَّ رسول اللَّه ﷺ على أخته وأعطاها فرجعت إلى أخيها فرغبته في الإسلام وفي القدوم على رسول اللَّه ﷺ، فتحدث الناس بقدومه، فدخل على رسول اللَّه ﷺ وفي عنقه ـ أي عدي ـ صليب من فضة وهو ـ أي النبي ﷺ ـ يقرأ هذه الآية: ﴿ أَتَّخَــُ ذُوَّا أَحْبَ ارَهُمْ وَرُهْبَ نَهُمْ أَرْبَ ابُا مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ قال: فقلت: إنهم لم يعبدوهم. فقال: بلي، إنهم حرموا عليهم الحلال، وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم.

وتفسير رسول الله على لقول الله على الدين وأنها هي اتخاذ بعض الناس أربابًا الشريعة والحكم هو العبادة التي تخرج من الدين وأنها هي اتخاذ بعض الناس أربابًا لبعض، الأمر الذي جاء هذا الدين ليلغيه ويعلن تحرير الإنسان في الأرض من العبودية لغير الله؛ ومن ثَمَّ لم يكن بد للإسلام أن ينطلق في الأرض؛ لإزالة الواقع المخالف لذلك الإعلان بالبيان وبالحركة مجتمعين، وأن يوجه الضربات للقوى السياسية التي تُعبِّد الناس لغير الله؛ أي تحكمهم بغير شريعة الله وسلطانه والتي تحول بينهم وبين الاستماع إلى البيان واعتناق العقيدة بحرية لا يتعرض لها السلطان، ثم لكي يقيم نظامًا اجتماعيًا واقتصاديًّا وسياسيًّا يسمح لحركة التحرر بالانطلاق الفعلي بعد إزالة القوة المسيطرة سواء كانت سياسية بحتة أو متلبسة

بالعنصرية أو الطبقية داخل العنصر الواحد»(١). اهـ(٢).

وكانت دعوة الإسلام إلى التوحيد دعوة أيضًا إلى قطع دابر الذين تسنموا ذروة الألوهية واستعبدوا الناس ﴿ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتُنَدُّ فِي اللَّرْضِ وَفَسَادُ كَبِيرٌ ﴾

## ٦- رد اعتداء المعتدين على المسلمين:

قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمُ وَلَا تَعَـٰ تَدُوٓاً إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُ ٱلْمُعْـنَدِينَ ۞ [البفرة: ١٩٠].

وقال - تَعَالَى -: ﴿ أَلَا نُقَائِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُواْ أَيْمَنَهُمْ وَهَكُمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَك مَرَةً أَتَغَشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُ أَن تَخَشَوْهُ إِن كُنتُمُ مُؤَمِنِينَ ﴾ [النوبة: ١٣].

وقال على الله أيسال الله عن ربه أنه قال: «إنما بعثتك؛ لأبتليك وأبتلي بك، وأنزلت عليك كتابًا لا يغسله الماء تقرؤه نائمًا ويقظان، وإن الله أمرني أن أُحَرِّقَ قريشًا؛ فقلت: رَبِّ إِذًا يَثْلَغُوا (٣) رأسي فيدعوه خبزة. قال: استخرجهم كما استخرجوك، واغزهم نُغْزِك، وأنفق فسننفق عليك، وابعث جيشًا نبعث خمسةً مثله، وقاتل بمن أطاعك مَنْ عصاك... الحديث (١).

وقد تقدم معنا أن علماء الإسلام أجمعوا على أن رد اعتداء الكفار عن المسلمين فرض عين على كل قادر.

ومن ذلك ما فعله الناصر صلاح الدين ومن قبله القسيم بن القسيم نور الدين

<sup>(</sup>١) في ظلال القرآن (١٤٣٣/٣ ـ ١٤٣٥)، وانظر: أيضًا: كلام أبي الأعلى المودودي الذي نقله سيد قطب في الظلال (١٤٤٨/٣).

<sup>(</sup>٢) أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية، للدكتور علي بن نفيع العلياني ص (١٥٨ ـ ١٦٦)، دار طيبة.

<sup>(</sup>٣) يثلغ: يكسر ويشج.

<sup>(</sup>٤) صحيح مسلم مع شرح النووي (١٩٨/١٧).

محمود زنكي من رد اعتداء الإفرنج الصليبين على ديار المسلمين وأخذهم للمسجد الأقصى وقتلهم لآلاف من المسلمين في القدس حتى غاص قائد الصليبيين في دماء المسلمين إلى ركبتيه، وبعد عشرات من السنين في إذلال المسلمين وقهرهم كان استرداد بيت المقدس على يد البطل صلاح الدين الأيوبي.

ولما خرج الأذفونس واعتدى على بلاد المسلمين في الأندلس بجيش عدته مئة ألف من المشاة وثمانين ألفًا من الفرسان تصدى لهم يوسف بن تاشفين والمعتمد بن عباد في سهل الزلاقة وكان النصر العظيم للمسلمين.

وقبل هذا كله نجدة المعتصم لامرأة مسلمة لما صاحت ونادت في بلاد الروم: «وامعتصماه»!!.

رُبَّ وامعتصماهُ انطلقتْ مِلْءَ أفواه الصبايا اليُتَّمِ صادفت أسماعنا لكنها لم تصادف نخوة المعتصم في سنة (٢٢٣ هـ) أوقع ملك الروم توفيل بن ميخائيل بأهل ملطية وما وَالاَهَا ملحمة عظيمة، قتل فيها خلقًا كثيرًا من المسلمين، وأسر ما لا يحصون كثرة، وَمَثَّلَ بمن وقع في أسره من المسلمين، فقطع أنوفهم وآذانهم وسمل أعينهم، قَبَّحَهُ الله، وكان جملة مَن أسر ألف امرأة من المسلمات.

فلما سمع بذلك المعتصم انزعج لذلك جدًّا وصرخ في قصره بالنفير، ثم نهض من فوره، وأمر بتعبئة الجيوش، واستدعى القاضي والشهود، فأشهدهم أن ما يملكه من الضياع: ثلثه صدقة، وثلثه لولده، وثلثه لمواليه، وقال للأمراء: أي بلاد الروم أمنع؟ قالوا: عمورية، لم يعرض لها أحد مذ كان الإسلام، وهي أشرف عندهم من القسطنطينية، فاستدعى الجيوش وسار إلى عمورية في جحافل أمثال الجبال، فأنكاهم نكاية عظيمة، لم يُسمع بمثلها لخليفة، وقتل منهم ثلاثين ألفًا وسبى مثلهم.

أما سمعتَ بأرض الرومَ مسلمةً تشكو «لمعتصم» ظُلْمَ المغيرينا

فتسبق الخيل أصوات استغاثتها وتملأ الكون صيحاتُ الْلَهُينا وتصرخ اليوم آلافٌ مُوَّلُفَةٌ فهل سمعتَ سوى أحزانِ باكينا ونحن نسمعُ أصوات استغاثتها وليس نُسْمِعُهَا إلا أغانينا «خضر مرابِعُنَا بيضٌ صنائِعُنَا سودٌ وقائعنا حُمْرٌ مواضينا» ويسبَحُ الطَّهْرُ - طُهْرُ البِكْرِ - في دمه ونحن نسبح في أحلام ماضينا لولا تعطيل المسلمين لهذا الركن ما اسْتُبِيحَتْ أغلى أوطانهم ومقدساتهم، ولما أخذ المغضوب عليهم من شراذم اليهود فلسطين وانتزعوها من أيدي المسلمين، ولما اعتدوا على بلاد المسلمين في البوسنة والهرسك وألبانيا وفعلوا بهم الأفاعيل، والمقابر الجماعية التي تضم المئات والآلاف خير شاهد على ذلك.

وهل كان يظن أحد أن عاصمة الرشيد بغداد تسقط؛ بسبب هذا العلماني سفاك الدماء تلميذ مشيل عفلق صدام حسين الذي أذل شعبه وضرب المسلمين من الأكراد بالقنابل المحرمة دوليًّا، واعتدى على جيرانه من الكويتيين ثم تسقط بغداد درة بلاد المسلمين.

إن ما فعله الصليبيون في معركة «عاصفة الصحراء» أو «المجد للعذراء»، وما فعلوه عند دخولهم العراق وبعد احتلالهم له تشيب منه النواصي والولدان: من اغتصاب للنساء، وقتل للأطفال ـ بعد قتلهم قبل ذلك بالتجويع ـ وهدم المساجد، وانتهاك حرمتها، وإدخالهم الألوف من المنصرين، واستيلائهم على ثروات العراق ونفطه.. إن هذا كله لم يحدث إلا بعد أن ضاعت هوية العراق الإسلامية لتصبح علمانية بعثية محاربة لله ولرسوله، أذلت المسلمين أكبر من ذل الأمريكان لهم. فهل من عودة والعود أحمد.. حتى نقول بصدق « بغداد عودي».

## بغداد عودي

بغدادُ خَارَتُ (۱) فحزنُ الغُمرِ أحزانُ والنّارُ تكوي الحنايا فالطّوى سُعُرِ (۲) والعارُ يَخْفِضُ هام العِزِّ في صَلَفِ (۳) في كُلِّ آنِ (٤) لنا بَيْتُ نُشَيِّعهُ في كُلِّ آنِ (٤) لنا بَيْتُ نُشَيِّعهُ ولَيْسَ يَبْرا (٩) لنا جُرْحُ نُضَمِّدُهُ ولَيْسَ يَرْقَأُ (٧) دَمْعٌ في مَدَامِعِنا ولَيْسَ يَرْقَأُ (٧) دَمْعٌ في مَدَامِعِنا نبيتُ والقُدسُ تبكي في جَوانِحنا (٨) وتُسْفِرُ (٩) الشَّمسُ في كَشميرُ مُظْلِمَةً وكَمْ نَغِيبُ عن الدنيا فَتَحْسَبُنَا وكَمْ نَغِيبُ عن الدنيا فَتَحْسَبُنَا وكَمْ يَظِيشُ لنا لُبِّ ولا مَرَضٌ وكَمْ يَظِيشُ لنا لُبِّ ولا مَرَضٌ عندادُ سِحْرُ الدُّنا

جَتاحُ قلبي فبردُ القلبِ نيرانُ حَبُدانُ حَتَّى كَأَنَّ رُءُوسَ الغُرْبِ عُبْدانُ بِينَ الدُّموعِ وتتلو البيتَ أَوْطَانُ إِلَّا وَيُنَكَأُلًا جُرْحَ القَلْبِ بُركانُ إِلَّا وَيَنْزِفُ في الأَحْشاءِ طُوفَانُ فَي الأَحْشاءِ طُوفَانُ فَتُرْسِلُ الآهَ عبرَ القَلْبِ شِيشَانُ إِثْرَ الدَّواهِي وتُورِي (١٠) القلب شِيشَانُ إِثْرَ الدَّواهِي وتُورِي (١٠) القلب لُبْنَانُ صَرْعى يُخبِّطَ في ألبابِنَا (١١) الجَانُ صَرْعى يُخبِّطَ في ألبابِنَا (١١) الجَانُ لكنما الداءُ بَغدادٌ وشودَانُ الكنما الداءُ بَغدادٌ وشودَانُ

والعين نهرُ الدِّما والهمُّ شُطآنُ

تَسْبِي العُيونَ بها للحُسْنِ أَلْوَانُ

إنِّي لأبكي وما أبكيكِ فاتنةً

<sup>(</sup>١) حارت: خار الرجل: ضعف وانكسر.

<sup>(</sup>٢) سُعُر: جمع سعير: النار أو لهب النار.

<sup>(</sup>٣) صَنف: كِبْر، وثقل روح.

<sup>(</sup>٤) آن: الآن: ظرف للوقت الحاضر، والمراد: في كل وقت.

<sup>(°)</sup> يبرا: يبرأ، برئ المريض بُرْءًا: شفي وتخلص مما به.

<sup>(</sup>٦) ينكأ: نكأ الجرح نَكثًا: أعاد فتحه قبل اكتمال شفائه.

<sup>(</sup>٧) يرقأ: رقأ الدمع رَقْقًا: سكن وجفُّ وانقطع بعد جريانه.

<sup>(</sup>٨) جوانخنا: الجوانح: جمع الجانحة؛ وهي: الضلع القصيرة مما يلي الصدر.

<sup>(</sup>٩) تسفر: سفر شُفُورًا: وضح وانكشف وأضاء وأشرق.

<sup>(</sup>۱۰) توري: أورى النار: أوقدها.

<sup>(</sup>١١) أَلبابنا: الأَلباب: جمع اللبِّ؛ وهو: العقل.

ونَهْرُ دِجْلَةَ يجري بينَ أَضْلُعِهَا إِذْ غَازَلَتْهُ الصَّبَا(١) فَجْرًا فَلاَطَفَهَا وَبَانَ(٢) سِرُ الهوى عطرًا وهَفْهَفةً

شهدًا سَكُوبًا فَزَهْرُ الرَّوْضِ ثَمْلَانُ وَرَفَّ مَرْلَانُ وَرَفْ وَرَيْحَانُ وَرَفْ وَرَيْحَانُ رَغْمَ الحَيَاءِ وهَل للشَّوقِ كتمانُ؟!

## 🗖 بغدادُ عِطرِ ٱلدُّنَا .

إِنِّي لأبكي ولا أَبْكي لعابقَةِ إِذْ كُلُّ رُكْنِ لَدَى «الكَرْخِيِّ»(٣) راويةٌ حَتَّى تَخالَ شُخوصَ القَوْمِ حاضِرةً

قَرَّ الزَّمانُ بها مُذْ كَانَ أَزْمَانُ ثَكلى تُحَدِّثُ عَنْ أَمْجادِ مَنْ كَانُوا فَوقَ العُروشِ وتَعْلُوهُنَّ تَيِجانُ

### بغدادُ صَرْحَ (٤) الدُّنَا

إِنِّي لأبكي وما أبكيكِ شاهقةً إذ الرَّصَافَةُ (٢) في عَيْنَيكِ سَامِقَةٌ والأعظميةُ (٧) طرح النهر فَاتِنَةٌ بغدادُ يَبْكِيكِ دَمْعُ الْقَلْبِ مسْلِمَةً أبكي فَتاةً كَطُهْرِ الثَّلْجِ بَاكِيةً

قَصْرًا مَشِيدًا لَهُ صَرْحٌ وإيوانُ (٥)
رَفَّ العبَيرُ بها وازْدَانَ مَيدَانُ
بها القصورُ تُدَاعِبْهُنَّ أَفْنَانُ
قدْ سَامَهَا (٨) الذُّلُّ دُونَ الخلقِ صِبْيَانُ
قدْ خَالَ (٩) عِفَّتَهَا كَلْبٌ وذُوْبَانُ

<sup>(</sup>١) الصَّبا: ريح مهبها من مشرق الشمس إذا استوى الليل والنهار.

<sup>(</sup>٢) بان: بان الشيء بيانًا: ظهر واتضح.

<sup>(</sup>٣) الكرخيُّ: الاسم الدارج لـ«الكرخ»، وهو أحد شطري بغداد، والذي يمثل الجزء القديم منها.

<sup>(</sup>٤) صرح: الصرح: القصر العالي أو البناء العالي الذاهب في السماء.

<sup>(</sup>٥) إيوان: الإوان والإيوان: مجلس كبير على هيئة صُفَّة واسعة، لها سقف محمول من الأمام على عقد، يجلس فيه كبار القوم.

<sup>(</sup>٦) الرصافة: شطر بغداد الجديد.

<sup>(</sup>٧) الأعظمية: أرقى أحياء الرصافة.

<sup>(</sup>٨) سامها: سام الشيء سَوْمًا وسَوَامًا: لزمه ولم يبرح عنه.

<sup>(</sup>٩) غال: غال فلانًا غولًا: أخذه من حيث لا يدري فأهلكه.

أبكى الصِّغارَ ولا ماءٌ ولا شَجرٌ(١) والبردُ يَنْهُسُ (٣) في أَحْشَائِهِمْ نَهِمًا (٤) يًا طَالَاً قَرَّحَتْ قَلْبِي مَدَامِعُهُمْ أَبْكى الرِّجَالَ وذُلُّ العَارِ يَدْمَغُنَا (٢) دَارَ الرَّشِيدِ وَقَدْ أَصْبَحْتِ أُحْجِيَةً<sup>(٨)</sup> نَقْفُورُ (١٠) عَادَ وَلَا هَارُونُ يُلْجِمُهُ نَقْفُورُ عَادَ وَتِلْكَ العُرْبُ قَدْ بَسَطَتْ وَيْحَ الأَكَابِرَ مِنْ قومِي تَجَاذَبَهم فَمَشْرِقَى رَأى لِينِينَ بُغْيَتَه تَغْدو الْبلَادُ عَلى كَفَّيهِ مَقْبرةً يقْعَى(١٣) هُنَاكَ وَجَوفُ الأَرضِ يَلْفُظُهُ أَوْ «مَغْربيِّ» هَوَى في الغَربِ «لَوْتَتَهُ»

خَلْفَ الْخِيام ولا دِفْءٌ وَتَحْنَانُ (٢) وَهَلْ تَقِي البردَ أَسْمَالٌ<sup>(٥)</sup> وأَغْصَانُ؟! وَقَدْ تَقَافَزَ بِينَ يَدَيُّ ولْدَانُ أَنْ تَسْتَذِلَّ أُنُوفَ الصِّيدِ(٧) نِسْوَانُ!! حَارَ الأريبُ (٩) بِهَا فَالصَّمْتُ تِبْيَانُ نَارًا فَيَجْتُو (١١) وَمِلْءُ القَلْبِ إِذْعَانُ لَهُ الرُءوسَ وكَيفَ تَتُورُ جِرْذَانُ (١٢)؟! عِنْ السَّبِيلِ أَباطِيلُ وأوْثانُ!! فَالكُفْرُ لُبِّ لَهُ والدِّينُ عُنُوانُ وَمَنْ سَينْجُو فَمسْجُونٌ وسَجَّانُ والأرْضُ رُوحٌ لَـهُ حِسٌّ وتِبْيَانُ خَلْفَ السُّتُورِ لَه في الغَوبِ أَخْدَانُ (١٤)

<sup>(</sup>١) لا ماء ولا شجر؛ أي: لا طعام ولا شراب.

<sup>(</sup>٢) تحنان: حنان.

<sup>(</sup>٣) ينهس: نهس اللحم نهسًا: أخذه بمقدم أسنانه ونتفه للأكل. نَهَشَ الشيء نهشًا: تناوله بفمه ليعضه.

<sup>(</sup>٤) نَهِمًا: نَهِم في الشيء نَهَمًا: أَفرط الشهوة أو الرغبة فيه.

<sup>(</sup>٥) أسمال: جمع سَمَل؛ وهو: الثواب الْخَلِقُ البالي.

<sup>(</sup>٦) يدمغن: دمغ فلانًا دمغًا: شجه حتى بلغت الشجة دماغه، أخرج دماغه، محاه.

<sup>(</sup>٧) الصَّيد: حمع الأَصْيَد؛ وهو: كل ذي حول وطول من ذوي السلطان.

<sup>(</sup>٨) أججية: لغز يتبارى الناس في حله.

<sup>(</sup>٩) الأريب: العاقل الداهية.

<sup>(</sup>١٠) نقفور: ملك من ملوك الروم، ذو واقعة شهيرة مع هارون الرسيد.

<sup>(</sup>١١) يجتو: جلس على ركبتيه، أو قام على أطراف أصابعه.

<sup>(</sup>١٢) حرذان: جمع جِرذ: ضَرب من الفأر.

<sup>(</sup>١٣) يقعي: أقمى الكلب: جلس على استه مفترشًا رجليه وناصبًا يديه.

<sup>(</sup>١٤) أخدان: جمع خِدْن؛ وهو: الصاحب في السر وأكثر ما يقال في الفاحشة.

يَهوى «الحَضَارَة» عِند الغَرب رَاقيةً أَوْ «يعْرُبيّ» رأى الأعْرَابَ تمْنعُهُ تُرى تَنَاسَى حَدِيثًا كَانَ أَذْهَلَنَا أَمْ قَدْ تَناسَى عِظَاتِ الدَّهْرِ صَادِقَةً وآخيرُ «موطِنيً» هَـمُّـهُ وَطَينٌ وكيفَ تنهضُ أشلاةً مُبعثَرَةٌ كم ضَلَّلُونَا بأسماء مُرَقَّشَةٍ وانقادَ مِنَّا قطيعُ الجَهْلِ يَتْبَعُهُمْ كما الفراشاتُ تطوي الرَّحْبَ لاهِنةً بغدادُ هل قد تناسَوْا طهر شرعتنا تاللهِ لو المسوا يومًا بشاشَتَهَا شَرْعٌ عَلَيٌ حِسانُ اخْلُق جُتُّهُ (٧) تهفو إليه قلوبُ الخلَّق قاطبةً وكَمْ تَضِلُ فتأويها مرافِئُهُ (١١)

وَاخَجْلتَاهُ وَهَلْ للعِهر(١) أَوْزَانُ؟!! إِنْ غَارَ سَيلُ العِدَا أُو عَمَّ طُوفَانُ عَمَّا جَنَتْ سَالِفًا عَبْسُ وَذُبْيَانُ كَيفَ اسْتَبَاحَ الحِمَى رُومٌ وَغَسَّانُ؟! فليسَ دِينٌ ولا قُرْبي وإخوانُ وقد تهاوَتْ لدى الأَدْوَاءِ(٢) أبدانُ؟!! رَقْشَ الفلاح وتحتَ الرَّقْش<sup>(٣)</sup> خُسرانُ نَحُو الْحُتُوفِ (٤) كما تنقادُ ثِيرانُ!!! خلفَ الضّياءِ فتُصْلِيهنَّ (٥) نيرانُ أم ما تسامي (٦) لها عقلٌ ووجدانُ؟! ما فارقوا هَدْيَهَا أو كان سُلوانُ وقانتاتُ<sup>(٨)</sup> الحِجَا<sup>(٩)</sup> والرُّوح شُطْآنُ كما يُحِنُّ إلى المحبوب هَيْمانُ(١٠) كما تَجِنُ (١٢) رقاقَ الطَّيْرِ أَفْنَانُ

(١٠) الحيحًا: العقل.

<sup>(</sup>١) العِهْر: الفجور والزني.

<sup>(</sup>٢) الأدواء: جمع الداء؛ وهو: المرض.

<sup>(</sup>٣) رقش: رقش كلامه ترقيشًا: زَوَّقه.

<sup>(</sup>٤) الْحُتُوف: جمع الْحَتُفِ؛ وهو: الموت.

<sup>(°)</sup> تُطْنيهن: تحرقهن.

<sup>(</sup>٦) تسامى: سَمَا شُمُوًّا: علا وارتفع.

<sup>(</sup>٧) جُتّه: لجّة البحر: عمقه ومعظمه.

<sup>(</sup>٨) قانتات: قنت قنوتًا: أطاع.

<sup>(°)</sup> هيمان: مشتاق إلى محبوبه.

<sup>(</sup>١١) مرافقه: مرافئ: جمع مَرْفَأَ: وهو: مرسى السفن.

<sup>(</sup>۱۲) نَجِنُّ: تخفی وتستر.

يَحْدُو خُطاهَا بليلِ التِّيهِ شَيْطَانُ؟! وقَدْ أتتْهُ على الأشْوَاق أَكُوَانُ؟! يُحْيِي الأَشَاوس(٢) والصِّيَد الأَلَى كَانُوا بِشَرع رَبِيّ فيلا هَدْيٌ وقُوْآنُ وَكَيْفَ تَنْهَضُ بِالأَجْدَاثِ (٤) أَكْفَانُ وَدَارُ لَـهْـوِ وإِرْهَـابٌ وقُـضْـبَـانُ أَمْ كَيْفَ يُثْمِرُ زُبْدَ الطَّلْحِ(٦) سَعْدَانُ(٧) وذا حديثُ الأُلَى للبَعْثِ عُنوانُ وبالعروبةِ دينًا ما لهُ ثَانٍ<sup>(^)</sup> أليسَ عُقبي جُحود الحَقِّ خُذلانُ؟! بوحَ الدُّهُورِ وأَعْمَى قَلْبَهَا الرَّانُ<sup>(٩)</sup> فالحبُّ مهرٌ وخلعُ الدِّين قُربانُ! لها وأعدا العِدَا صِهْرٌ وأَخْدَانُ! فالدِّينُ سَمْحٌ وأَصْلُ النَّاسِ إخْوانَ!!

فكيفَ تهجرُ دربَ النور أُمَّتُنَا وكيف تصرف عنه القلب زاهدة كَمْ خَدَّرُوكِ بِبَعْثِ (١) وَاعِدٍ زَعَمُوا وتُصْبحينَ فما «بَعْثُ» (٣) سِوى «عَبْثٍ» بعْثُ جديدٌ ولكِنًا إلى عَدَم قَتْلُ ونَفْيٌ وتَشْرِيدٌ ومذْبَحَةٌ وَكَيْفَ تَسْمُو إلى الْعَلْيَاءِ قُبُّرةٌ<sup>(٥)</sup> فكيفَ تَرْقُبُ مِنهُ النَّصْرِ يا وَطنى «آمنتُ بالبعثِ رَبَّا لا شريك لَهُ بغداد قولى فكيفَ الله ينصرنا بغداد لا تعجبي فالغُرْبُ ما فقَهتْ راحَتْ تَطِيرُ إلى الأعداءِ أَفْئِدةٌ طؤرًا جِـهـارًا وأَطْـوارًا مَـوارَبَـةً طَوْرًا جِهارًا وعينُ الشَّعْبِ سِاذِجَةُ (١٠)

<sup>(</sup>١) سَعِتْ: حزب البعثِ: وهو حزب في العراق وسوريا له مبادئ تناقض الشريعة.

<sup>(</sup>٢) الأشاوس: جَمعُ الأشُّوسِ؛ وهو: الجريء الشجاعُ.

<sup>(</sup>٣) بعث: حزب البعث: وهو حزب في العراق وسوريا له مبادئ تناقض الشريعة.

<sup>(</sup>٤) الأجُّداث: جمع جدث؛ وهو: القبر.

<sup>(</sup>٥) قُبُرَةٌ: طائر صعير.

<sup>(</sup>٦) الصَّلُّحُ: الموز.

<sup>(</sup>٧) سَعدان: نبت ذو شوك كثير ولكنه جيد كمرعى.

<sup>(</sup>٨) هذا البيت لأحد كبار شعراء حزب البعث.

<sup>(</sup>٩) الران: الغطاء الكثيف والحجاب الذي يغطي القلب من الذنوب فيمنعه من رؤية الحق حقًا والباطل باطلًا.

<sup>(</sup>١٠) ساذجة حالصة غير مشوبة؛ والمراد: قليلة الخبرة.

والدِّينُ شَيءٌ وأَغْراضُ الدُّنا أَخَرّ كَأَنَّ مَا رَاعَنا مِنْ أَهْلِ أَنْدَلُس كَلَّا ولا قَدْ أتانا عَنْ سريرتهمْ هُمُ العَدُو وبُغضُ السِّلْمِ دَيْدَنهُمْ<sup>(١)</sup> تَبْدُو العداوةُ رَغْمَ المكْر سَافِرةً ودُّوا لَوَ انَّا عَنِتْنا (٣) تِلْكَ مُنْيتهُمْ إِنْ عَنَّ (٤) فَرْحُ لنا يومًا ففرحتُهمْ لَا يَرِقُبُونَ<sup>(٥)</sup> بِنَا إِلَّا<sup>(٦)</sup> ولَا ذِمَةً<sup>(٧)</sup> قُلنا الفُظُوهُمْ فإنَّ اللهَ أَبْعدهُمْ قُلنا مِرارًا فقالوا ما لكم صِلَةً واليومَ عادَ رفاقُ الأمْس يا وطنى عادُوا جميعًا فَمنْ لم يأتِ عَسْكرُه جَاءُوا جَمِيعًا تُثِيرُ الهند غزوَهُمُ جاءُوا عِيانًا وتحت الستر «طارقُهمْ» (١٠٠٠

مَاذا يَضيرُ وهُمْ لِلخَيرِ أَعُوانُ؟! خطْبٌ ولا مِن حليفِ اليوم عُدوانُ!! فَصْحٌ جَلِيٌّ به هَدْيٌ وفُرقَانُ!! مُذْ كَان سِلْمٌ ومُذْ قَدْ كَان كُفْرانُ بينَ الشُّفاهِ وملءُ الصَّدْر شَنْآنُ (٢) يسري بتِلكَ المُنَى في القوم شُريَانُ!! في أَنْ يَعُمَّ دِيارَ السِّلْمِ خُسرانُ!! وهُلْ لِنَبْتِ الْحَنَا(٨) عَهُدٌ وَأَيْمَانُ؟! فالزُّورُ رُوحٌ لَهُمْ والغَدْرُ خُمَانُ بنا دَعُونا فإنَ القَوْمَ إِخْوَانُ أَعْدا الأَعَادِي وأَوْدى الحِقْدَ أَضْغانُ بذُّ(٩) الجحافِل تأييدٌ وإذعانُ وتفضَحُ السرَّ إثْر السرِّ يُونانُ يُبدى الخفاءَ فيأويهِ السربريطانُ»

<sup>(</sup>١) دبدنهم: الدَيْدَنُ والدَيْدَان: العادة والدأب.

<sup>(</sup>٢) شنآن: الشُّنَآن: البغض.

٣) عنتنا: أصابنا العَنَتُ؛ وهو: الشدة.

<sup>(</sup>٤) عَنَّ: عَنَّ الشيء عَنَّا وعُنونًا: بدا وظهر.

<sup>(</sup>٥) يرقُبون: رَقَب رَقْبًا وَرَقُوبًا: حفظ وحرس.

<sup>(</sup>٦) إلا: الإلُّ: العهد والقرابة.

<sup>(</sup>٧) ذمة: الدُمَّة: العهد والأمان والحق والحرمة.

<sup>(</sup>A) الجنا: الفحش في الكلام.

<sup>(</sup>٩) بذّ: غلب وفاق وسبق.

<sup>(</sup>١٠) طارقهم: طارق عزيز نائب وزير الخارجية العراقي وطلبه حق اللجوء السياسي إلى بريطانيا.

جاءوا جميعًا فلا تَغْرُرْكَ خُلْفتُهم<sup>(١)</sup> هِيَ المصالحُ قَدْ أَذَكَتْ (٤) خِلافهُمُ جَاءوا جميعًا وفاقَ الكفرَ شيعتُنا<sup>(٥)</sup> تَجْرِي الخِيانَةُ في أَرْواحِهمْ أَبَدًا كم ذَا يُسامِرُني التَّاريخُ غَدْرهُمُ وكيفَ بَاغُوا قِبابَ القُدْس بَاكِيةً(٧) وكيفَ كَادُوا صلاحًا<sup>(٨)</sup> وابتَغُوا دَمَهُ لا زلْتُ أَقرأُ في عينيكِ غَدْرَتَهمْ عادَ الكلابُ ونارُ الغدر تأكُلُنا بَغْدادُ لا تَعْجبي فالُعرْبُ قد لَفَظَتْ راحَتْ تنكَّرُ للإسلام في سَفَهِ حتَّى غَدَوْنا كَأَنَّ السِّلْمَ عِلَّتُنا حتَّى رَجَعْنا رُعاةَ الشَّاةِ ثانيةً نَغْزُو الكُوَيْتَ ونَعْمَى عَنْ مَذَابِحِنا

فما تَوانَى (٢) غَداةَ الخَطْبِ أَلمَانُ (٣) لا ليسَ دينٌ ولا عَدْلٌ وإنسانُ أَمَا أَتَاكِ حَدِيثُ القَوْمِ إِذْ خَانُوا؟(٢) مَجْرى الدِّماءِ بها للغَدْر أَخْانُ وكيفَ كَادُوا لدين اللهِ مُذْ كانوا كَيْمَا يَعِيشُوا فَهَلْ يَفْدِيكِ خَوَّانُ؟! وكَيْفَ تَصْلَى بغدرِ القَوْم لُبنانُ<sup>(٩)</sup> إذ الرَّوافِضُ والأعداءُ أخدانُ (١٠) تُرى تُعيدُكِ يا بُغدادُ أَحْزَانُ رُوحَ العُروبَةِ حتَّى خَرَّ بُنيانُ بعدَ الودادِ وأقسى الجُرح نُكرانُ وأنَّ سِرَّ تَدَانِي القوم إيمانُ!! تُغيرُ بَكُرٌ وتَسْبَى الأَخْتَ غَزوان عِنْدَ اليهودِ فلا تَحْزُنْكِ إيرانُ

<sup>(</sup>١) حلفتهم: الخلفة: الاختلاف.

<sup>(</sup>۲) توانی: وسی وَنْیًا: فتر وضعُف وتأخّر.

<sup>(</sup>٣) فتح مستشفيات ألمانيا لمصابى حادث المطار من قوات المارينز.

<sup>(</sup>٤) أذكت: ذكى النار: ألهبها.

<sup>(</sup>٥) شيعتما: الشيعة إحدى الفرق الضالة للمسلمين.

<sup>(</sup>٦) خيانة الشيعة بإخبارهم عن المجاهدين العرب.

 <sup>(</sup>۲) خياله السيعة وحبارهم عن الجاهدين العرب.
 (۲) تنازل الفاطميون عن القدس للصليبيين مقابل خروجهم سالمين.

<sup>(^)</sup> محاولتهم اغتيال صلاح الدين الأيوبي ثلاث مرات.

 <sup>(</sup>٩) الدور القذر للشيعة ضد المسلمين السنة في الحرب الأهلية بلبنان.

 <sup>(</sup>۱۰) خيانة ابن العلقمي الرافضي عند سقوط بغداد.

صِوْنَا الْخُواءَ وَكُلُّ صَمَّ مَسْمَعَهُ صِرْنَا الشَّتاتَ ولَيْلُ التِّيهِ مَرْتَعُنا واحَسْرَةَ القَلْبِ لا سِلْمُ يُجمِّعُنا بَغْدادُ لا تَعْجبي فالعُرْبُ قَد مَجَنت<sup>(١)</sup> وكَفْكِفي الدَّمْعَ إِنَّ القومَ قَدْ فَسَقُوا فهَلْ رَجَالُكِ وَالْهَيْجَاءُ قَدْ حَمِيَتْ تِلْكَ الأَعَادِي أَعَدَّتْ نَارَها سَقَرًا فَكَيْفَ أُمِّى تَرَيْنَ النَّصْرِ عَنْ كَثَبِ<sup>(٣)</sup> بَغْداد دَارَ زَمانُ العِهْر دَوْرَتَهُ جاءَ الأعَادِي وجُلُّ القوم مُعْتَضِدٌ بغداد قُولى وهذِي حَرْبُ مُعْتَقَدِ عُرْبٌ وكُلُّ عَتادِ العُرْبِ مِن قِدَم جاء الأعَادِي وقالَ النَّارَ قالتُهم<sup>(^)</sup> بغدادُ أُمِّى ولا آلوك(١١) مَوْعِظَةً

يبغى الأمَانَ وعافَ النَّطْقَ فُرسانُ ثَورٌ يسيرُ لَهْلَكِه فَثِيرانُ نَحْوَ المَعَالَى وما في القوم رُبَّانُ وللمعاصى لدى الهَيْجَاءِ(٢) خُذلانُ وعُدَّةُ الحَرْبِ قبلَ الرُّمْحِ إِيمانُ أُسْدٌ وتَحْتَ جَناحِ الليل رُهْبَانُ؟! ونَحْنَ عُدَّتُنا رقْصٌ وأَخْاَذُ!! وقَدْ تَنَاغَى <sup>(٤)</sup> بكِ المَاخُورُ<sup>(٥)</sup> والحانُ<sup>(٦)</sup>؟! وعاثَ بينَ القُصور البِيض صِبْيانُ بَيْنَ الجَواري وجُلُّ القَوْم ثَمْلَانُ أَيَنْصُرُ الدِّينَ مَنْ للعِهْرِ قد دانُوا؟!(٧) في عَنْتَري الهجا نَثْرٌ وأوزانُ تُرى يَفُلُّ<sup>(٩)</sup> لظى البارودِ سَحْبَانُ<sup>(٢٠)</sup> هذا حديثي ودمعُ القَلْبِ هَتَّانُ

<sup>(</sup>١) مجنت: مَجَنَ مُجُونًا: قل حياؤه.

<sup>(</sup>٢) الهَيْجاء: الحرب.

<sup>(</sup>٣) كَثَب: قُرْب.

<sup>(</sup>٤) تناغى: ناغَى فلانًا: لاطفه بالمحادثة والملاعبة.

<sup>(</sup>٥) الماخور: بيت الريبة (الزني).

<sup>(</sup>٦) الحان: محل بيع الخمور.

<sup>(</sup>٧) دانوا: دان: خضع وذل.

<sup>(</sup>٨) قالتهم: القالة جمع قائل.

<sup>(</sup>٩) يفل: فل السيف فلا: كسر حده.

<sup>(</sup>١٠) سحبان بن وائل خطيب العرب وكان يضرب به المثل في الفصاحة.

<sup>(</sup>١١) آلوك: ألا، ألوّا: فتر وضعف وقصر؛ أي لا أقصر في نصحي لك.

بغدادُ لا تَيْأَسِي فاليأس مهلكة واطوي الشُّجونَ فلَنْ تَجُديكِ أشجانُ تِلكَ الخُطوبُ أراها أنبتَتْ همَمًا مِنَ المَوَاتِ فَهَبَّ لَدَيْكِ وَسْنانُ بغدادُ عُودي فدارُ السِّلم ما فتأتُ(١) تُومي(٢) إليكِ ودَوحُ السِّلْمِ فَيْنانُ بغدادُ عُودي إلى الإسلام خاشعةً يعدُو إليك الحيا والعز والشآنُ(٣)

إن استقراء كتاب الله ـ تَعَالَى ـ وسنة رسوله على ليؤكد تأكيدًا لا ريب فيه أن السبب الرئيس في هزيمة الأمة الإسلامية في كل معركة في عصرنا الحاضر إنما هو تخلي هذه الأمة عن سر قوتها. وهو تمسكها بمبادئ دينها. فإن المعصية أضر على الجيش من سيوف أعدائه، وإنه لا سبيل للنصر إلا بالعودة إلى كتاب الله وسنة رسوله على .

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُرُ وَعَكِمُلُواْ الصَّلِحَتِ لِيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا السَّتَخْلَفَ اللَّذِينَ اللَّهُمْ وَلَيُمَكِّنَنَ لَهُمْ وَيَنَهُمُ اللَّذِيبَ الرَّصَىٰ لَهُمْ وَلَيُمَكِّنَنَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَ لَهُمْ وَيَنَهُمُ اللَّذِيبَ الرَّصَىٰ لَهُمْ وَلَيُمَكِّنَهُمْ مِنْ السَّتَخْلَفَ اللَّهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ الل

سيتحدث التاريخ عما فعله إيفان الرهيب (قيصر روسيا) بالمسلمين في القوقاز أثناء حكمه «٢٥٤٧م»، وما فعلته إمبراطورة الروس «تسارينا آنا» «١٧٣٨ ما ١٧٥٥م، بمساجد المسلمين في قازان.

سيتحدث التاريخ أن «ستالين» نفى شعب الشيشان بأكمله عام ١٩٤٥م «١,٢ مليون» إلى سيبريا، وظل الشعب منفيًّا حتى سُمح له بالعودة عام ١٩٥٧م، وأنه نفاهم قبل ذلك في فبراير عام ١٩٤٤م إلى سيبريا، وقد مات ٥٠٪ من الشعب الشيشاني أثناء هذا التهجير القسري من الأطفال والنساء بسبب سياسة التجويع

<sup>(</sup>١) ما فتأت: ما زالت.

<sup>(</sup>٢) تومي: يومي: يشير.

<sup>(</sup>٣) قصيدة «بغداد عودي» لعبد الله العفاني.

<sup>(</sup>٤) ديوان: حداء الغرباء للشاعر عبد الله العفاني

حتى الموت(١).

أبادت روسيا أكثر من ٢٠مليون مسلم(٢).

وما فعله سلوبودان ميلوسفيتش بالمسلمين في كوسوفا يفوق الخيال... حول حياة المسلمين إلى جحيم مستعر؛ لدفعهم إلى التخلي عن وطنهم والرحيل عنهم طوعًا أو كرهًا(٣).

## ٧- إزالة الفتنة عن الناس حتى يستمعوا إلى دلائل التوحيد من غير عائق:

وحتى يروا نظام الإسلام مطبقًا؛ ليعرفوا ما فيه من عدل وإصلاح للبشر، وما فيه من سمو في شتى المجالات.

#### والفتنة ثلاثة أنواع:

النوع الأول: ما يمارسه الكفار من أشكال التعذيب والتضييق على المسلمين؛ ليرتدوا عن دينهم. وقد ندب الله المسلمين للجهاد؛ لإنقاذ المستضعفين. قال يَتَعَالَى -: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا نُقَالِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَٱلنَّسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرَّجَالِ وَٱلنِسَآءِ وَٱلْوِلْدَانِ اللهِ وَالنَّسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرَّجَالِ وَٱلنِسَآءِ وَٱلْوِلْدَانِ اللهِ وَالنَّسَانَةِ وَالْوَلْدَانِ اللهِ اللهُ وَالنِسَآءِ وَالنِسَآءِ وَالنِسَآءِ وَالنَّا مِن الدُنكَ وَلِيَّا وَاجْعَل لَنا مِن الدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنا مِن الدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنا مِن الدُنكَ نَصِيرًا اللهِ اللهُ الهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ

وفي هذا لا تكفى ـ والله ـ لسرد مآسي المسلمين على مدار التاريخ عند ضعفهم مئاتُ المجلدات، على يد الكافرين، وصنوفهم شتى . بداية من أكل لحومهم بعد قتلهم، كما حدث أثناء الحروب الصليبية في معرَّة النعمان، واغتصاب النساء أمام الآباء والولدان، وجعل المساجد لرعي الخنازير، وعلى قبابها تعلو الصلبان . اقرءوا التاريخ حتى لو كانت قلوبكم أقسى من الحجر، وانظروا إلى مآسي المسلمين

<sup>(</sup>١) محنة الشيشان، لشعبان عبدالرحمن ص (٧٤ - ٧٦)، دار الوفاء.

<sup>(</sup>٢) الدفاع عن أراضي المسلمين، للدكتور عبدالله عزام ص (١٢٤)، مكتبة المنار ـ الأردن.

<sup>(</sup>٣) كارثة المسلمين الجديدة كوسوفا بين التسوية والأساطير، لمحمد يوسف عدس ص (١٥)، المختار الإسلامي.

المستضعفين في فلسطين، وأفغانستان، والعراق والفلبين، والشيشان، وكشمير، وقبلها في الأندلس، ومحاكم التفتيش(١).

#### ماذا فعل الشيوعيون في يوغسلافيا بالمسلمين؟

زجوا بآلاف المسلمين في السجون، وبخيرة الشباب والعلماء، وعزم الحزب الشيوعي على إبادتهم إعدامًا؛ كما فعل أسلافه في الماضي حين قتلوا الفتى عصمت مفتيش والعالم الجليل عصمت يوصلا جيتش، كما أبادوا أكثر من اثني عشر ألف مسلم في المسجد الكبير بفوجا في شرق بوسنة، وعندما ذبحوا أكثر من ستة آلاف مسلم في جسر قورا جدة على نهر الدريفا، وعندما أبادوا أكثر من ثلاثة آلاف في توزلا وضواحيها، وأكثر من ستة آلاف مسلم في مقدونيا، وتم إعدام اثني عشر عالمًا مسلمًا ألبانيًّا في محاكم الشيوعيين، وإرسال عشرات من علماء البوسنة للسجون على رأسهم العالم قاسم دوبراجا ـ عليه رحمة الله ـ، وأعيدت تلك المحاكمات عدة مرات للمحاكمة تحت المادة ٣٣٠ الفترة الأولى والثانية بتهمة الدعاية المضادة للدولة والاتصال بجهات خارجية (٢).

وفي البوسنة والهرسك بعد سقوط يوغسلافيا ذُبح الآباء أمام الأبناء.

صبتُ المسكرات بالقوة في أفواه القاصرات، وحَقْنِهِنَّ بدماء الخنازير قبل الاغتصاب؛ امرأة تموت فورًا فيغتصبها جندي صربي مباشرة بعد موتها وكان يقول: لا تزال ساخنة، يمكنني أن أفعل ذلك... اغتصاب آلاف الفتيات والنساء من مسلمي البوسنة .. المقابر الجماعية للمئات، ذبح الآلاف كما تُذبح الشياه، قطع الرءوس بالمناشير الكهربائية، وتعليق الرءوس على جانبي الطرق وفي المساجد، اغتصاب المئات من القاصرات ما بين خمسة سنوات إلى اثنتي عشرة سنة..

# نناديكم وقد كَثُرَ النحيبُ نناديكم ولكِنْ من يجيبُ

<sup>(</sup>١) نحيلك على كتاب: ٥قادة الغرب يقولون: دمّروا الإسلام أبيدوا أهله، لجلال العالم.

<sup>(</sup>٢) الدفاع عن أراضي المسلمين ص (١٢٠).

تعشرت الخطاحتى رأينا نناديكم وآهات الشكالى اسراييفو» تقول لكم ثيابي محاريبي تَئِنُ وقد تهاوى وأوردتي تُقطع لا لأنّي بناتُ المسلمين هنا سبايا تبيت كريمة ليلى وتضحو تبيت كريمة ليلى وتضحو تُخبّئ وَجْهَهَا يا ليْتَ شِعْري يُموتُ الطّفلُ في أحضانِ أمَّ يكتْ حُزْنًا عليه بِغَيْرِ دَمْع وكَمْ يُرعَى خَلايًا الجِسْمِ داءً وكَمْ يُرعَى خَلايًا الجِسْمِ داءً

خُطَانا لا تَهَشُّ لها الدروبُ تَحُدُّثُكُم بما اقترف الصليبُ مَدِرَقةٌ وجدراني شقوبُ على أركانها القصفُ الرهيبُ جنيتُ ولا لأني لا أتوبُ وشمس المكرمُاتَ هنا تغيب وقد ألغى كَرَامَتَهَا الغريبُ وقد ألغى كَرَامَتَهَا الغريبُ بَعَاذَا يَنْطقُ الوَجْهُ الكَرِيبُ تَعَهُدُهُ وقَدْ جَفَّ الحَلِيبُ وَلَيْنَ الدَّمْعُ والظَّمَأُ النَّصِيبُ وَأَيْنَ الدَّمْعُ والظَّمَأُ النَّصِيبُ وأَيْنَ الدَّمْعُ والظَّمَأُ النَّصِيبُ فَيُهلِكُهُ وَقَدْ عَزَّ الطَّبِيبُ (١) فَيُهلِكُهُ وَقَدْ عَزَّ الطَّبِيبُ (١) فَيُهلِكُهُ وَقَدْ عَزَّ الطَّبِيبُ (١)

وفي بلغاريا عام ١٩٤٠م تم طرد ما يزيد عن مليون تركي من منطقة جنوب دبروكا، وقتل ما يزيد عن ثلاث مئة وخمسين ألفًا في المذابح التي قام بها البلغاريون ضد المسلمين هناك، ولم يستطع اللاجئون بعد الحرب العودة إلى أراضيهم (٢).

تَدَفَّقُ مِنْهَا كُلَّ يَوْمٍ قَوَافِلُ دُرُوبَ جُوءٍ في الْفَيَافِي تقطَّعَتْ دُرُوبَ جُوءٍ في الْفَيَافِي تقطَّعَتْ يَعِيلُونَ بِالطَّرْفِ الذَّلِيلِ لَعَلَّهُمْ قَوَافِلُ تَمْضِي بَيْنَ أَفْوَاجِ رُضَّعِ قَوَافِلُ تَمْضِي بَيْنَ أَفْوَاجِ رُضَّعِ وَبَيْنَ صَبَايَا يَالِذُلُّ دُمُوعِهَا وَبَيْنَ صَبَايَا يَالِذُلُّ دُمُوعِهَا

يَشُقُ دَرُوبًا بِالْأَسَى وَالتَّظَلَّمِ عَلَى دَمْعَةِ أَوْ حَسْرَةِ أَوْ تَنَدُّمَ يَرَوْنَ وَرَاءَ الْأُفْقِ طَلْعَةَ مُسْلِمِ وَأَحْزَانِ شَكْلَى أَوْ تَبَارِيحِ أَيِّمِ وَأَضْوَاجِ أَطْفَالٍ وَأَمْوَاجِ يُتَم

<sup>(</sup>١) من ديوان «من القدس إلى سراييفو» ص (١٤- ١٧).

<sup>(</sup>٢) الدفاع عن أراضي المسلمين ص (١٣٩).

قَوَافِلُ تَمْضِى وَهْيَ تَسْحَبُ خَطْوَهَا لَقَدْ خلَّفُوا التَّاريخ يَدْمَى وَخَلَّفُوا لَقَدْ خلَّفُوا بَيْنَ الْمَيَادِينِ عُصْبَةً فَهَلْ ثَبَتُوا فِيهَا أَمِ الْتَقَمَتُهُمُ يُفَرِّقُهُمْ كَيْدٌ شَدِيدٌ مُدَبَّرُ لَعَلَّك لَوْ عَايَتْتَ أُمًّا إِذَا ذَنَا وزَوْجًا يُمدَاري زَوْجهُ وَصَبيَّةً تَجَلَّدَ كَيْ يُخْفِي الدُّمُوعَ وَلَمْ يَزَلَّ عَرَفْتَ إِذَنْ هَوْلَ الْجَرِيمَةِ وَالْلَدَى جَرائِمُ! أَشْوَاقُ الطُّفُولَةِ لَمْ تَزَلُ تَكَادُ عُيُونُ الطِّفْلِ تَسْأَلُ مَنْ أَنَا وَأَيْنَ أَبِي وَالْأَهْلُ وَيْحِي وَإِخْوَتِي وَأَيْنَ حَنَانُ الْأُمِّ أَوْ ضَمٌّ صَدْرهَا إِذَا اغْرَوْرَقَتْ عَيْنَاهُ غَابَ وَراءَهَا

ذَلِيلًا عَلَى شَوْكِ مُدَمٍّ وَمُوضِم<sup>(١)</sup> أَبًا في مَيَادِين الْجهَادِ الْمُضَرَّم تُـقَـاتِـلُ عَـنْ دِيـن أَعَـزُ وَأَقْـوَم بُطُونُ وُحُوشُ أَوْ مَخَالِبُ قَشْعَم<sup>(٢)</sup> وَمَكْرُ شَيَاطِين وَعُدُوانُ مُجْرِم فِرَاقٌ وَهَاجَتْ بَيْنَ دَمْع وَمَبْسَم وَطِفْلًا وَأَشْوَاقَ الْفِراقِ الْمُصَرِّم يُذَافِعُهَا بَيْنَ الْأُسَى وَالتَّحَلُّم وشِيدَّةَ مَكْرٍ قَاتِل مُتَوَغِّم (٣) تُمُوجُ بِهَا في لَهْفَةِ وَتَلَوُّم<sup>(1)</sup> إِلَى أَيْنَ أَمْضِي يَا فَيَافِي تَكَلَّمِي وَلَهْفَةُ سَاحَاتٍ وَطَلْعَةُ أَنْجُم وَتَحْنَانُ عَيْنَيْهَا وَحُلُوُ التَّبَسُّمُ مَلَاحِمُ تَارِيخِ وأَشْواقُ هُيَّمُ

\* \* \*

وَيَسْأَلُ مَنْ هَذِي الْوُجُوهُ تَحُوطُنِي كَأَنِّي إِذَنْ أَصْبَحْتُ سِلْعَةَ تَاجِرٍ فَشَتَّانَ بَيْنَ الْفَصْل يَأْتِيهِ صَادِقٌ

تَبِيعُ وَتَشْرِي بِي وَلَمْ تَتَأَثَّمِ لَئِيمٍ يُوارِي كَيْدَهُ بِالتَّكَرُمِ وَبَيْنَ يَدٍ مَنَّتْ بِشَوْبٍ وَدِرْهَم

<sup>(</sup>١) موضم: مؤلم، مذل.

<sup>(</sup>٢) القشعم: المس من النسور.

<sup>(</sup>٣) متوغم: مغتاظ، قاهر.

<sup>(</sup>٤) تلوم: تلوم في الأمر: تمكث وانتظر.

وَبَينْ حَنَانِ الْأُمِّ هَاجَتْ ضُلُوعُهَا أَتَّهِ مِلْنِي دُورُ النَّصَارَى وَبَيْعَةٌ لِلتَّنْزَعَ مِنِي فِي فِي طُورة وَطَهَارَةٌ وَطَهَارَةٌ فَيَا وَيْحَ نَفْسِي أَيْنَ قَوْمِي وَعُرُوةٌ أَضَاقَتْ دِيَارُ الْمُسْلِمِينَ وَضُيِّقَتْ فَسِيجِي إِذَنْ في الْأَرْضِ يَا نَفْسُ دُونَنَا فَسِيجِي إِذَنْ في الْأَرْضِ يَا نَفْسُ دُونَنَا

وَبَيْنَ مِسرَاءِ خَسادِعٍ مُستَعَسَّمِ وَسَاحَاتُ شِرْكِ أَوْ مَنَاذِلُ سُوَّمِ وَيُغْرَسَ بِي شِرْكٌ وَفِئْنَةُ مَأْثَمِ مِنَ الدِّينِ كَانَتْ لَحُمْمَةً لَمْ تُفَصَّم عَلَى رَحْبِهَا يا لَلْبَلَاءِ الْمُرَغِّمِ(') أَعَاصِيرُ مِنْ تِيهِ وَأَمْوَاجُ غَيْهَمِ('')

果 ※ ※

## في أوغندا:

«بدأت المذبحة في قرية ناموجونجو على بعد ١٤ كيلو مترًا شمال كمبالا العاصمة الأوغندية. فقد دخل القرية جنود مجهزون بأسلحة ثقيلة ينشرون الدمار في كل شوارعها، ثم توجهوا إلى «كيرو» فبدءوا بالمسجد (وكان به جمع من المصلين يؤدون صلاة الظهر)، لم ينج أحد من القتل بما فيهم إمامهم الشيخ يوسف موللو. ونقل الصحفي الفرنسي دي بارين صورة لما حدث إلى صحيفة «لوموند»، فقال: «بعد أن أحرقوا المسجد الصغير في كيرو جلسوا إلى الجوار يطهون خنزيرًا، ثم يأخذون قطع اللحم على الكتب الدينية المتناثرة في المكان بدلاً من الأطباق. وعندما غادروا المكان خلفوا وراءهم ٤٠ قتيلاً، ومسجدًا أكلته النيران» (٣٠).

كان يوم ٧يوليو ١٩٨٣م يومًا مشهودًا في تاريخ المسلمين في «بولو» التي تقع على بعد ٢٥ميلًا غرب كمبالا، فقد تجمعوا فرحين مستبشرين يحتفلون بعيد الفطر المبارك، وبلا مقدمات دخل المسجد عدة عشرات من الجنود المدججين

<sup>(</sup>١) المرغم: الملصق أو الملزم للتراب.

<sup>(</sup>٢) غيهم: ظلمة.

<sup>(</sup>٣) الدفاع عن أراضي المسلمين ص (١٤٦، ١٤٧).

بالسلاح، سحبوا الإمام وخمسة مسلمين آخرين من قلب المسجد وذبحوهم على بابه دون أن يرمش لهم طرف، ثم قطعوا رقابهم أمام الجمع المذعور. وبعد أسبوعين أصدر مفتي أوغندا بيانًا نعى فيه الشهداء: عباس كتومبا، محمد سجربين، وسليمان زيروا، موسى كونجيزي، محمد رويجزا والشيخ كاتما نجيرا(١).

### وفي الفلبين:

أبادت عناصر الكتيبة التاسعة والثلاثين للجيش الفلبيني بقيادة الكولونيل لاسبيرتو سافيدرا جموعًا كثيرة من المسلمين، في ٣٠أكتوبر ١٩٧٩م، وفي احتفالات عيد الأضحى المبارك يقتل الجيش النصراني أسرة بأكملها بمدينة ماراوي ـ راناو، وفي حملة عسكرية على بلدة واوؤ الإسلامية بمحافظة راناو اغتصب الجيش نساء مسلمات، ورموا بأطفالهم الرضع في سلال المهملات.

## وفي الهند:

قتل وحرق جميع سكان ٥٢ قرية في مرة من المرات، وتدمير ١٥٠٠٠ بيت مسلم وسووها بالتراب<sup>(٢)</sup>.

## وفي أسبانيا:

ويذكر التاريخ للقائد الإسلامي خير الدين بربروس أنه مضى ومعه ٣٦ سفينة من الجزائر وأنقذ ما يقارب من سبعين ألفًا من مسلمي أسبانيا من رجالهم ونسائهم وأطفالهم، كانوا يريدون منهم التخلي عن دينهم (٣) وفي محاكم التفتيش من القتل ما يفوق الخيال.

### النوع الثاني:

من الفتن التي يزيلها الجهاد الأوضاع والأنظمة الشركية وما ينتج عنها من

<sup>(</sup>١) المصدر السابق ص (١٤٨، ١٤٩).

<sup>(</sup>٢) المصدر السابق ص (١٥٨).

<sup>(</sup>٣) يراجع: كتاب خير الدين برباروس، لبسام العسلي ـ دار النفائس.

فساد في شتى مجالات الحياة.

فإن هذه من شأنها أنها تفتن المسلم عن دينه؛ لذلك صارت إزالتها هي الهدف الرئيس للجهاد، كما سبق أن بينا أن أكثر السلف يفسرون الفتنة في قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿ وَقَائِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِنْنَهُ ﴾ بالشرك. ومن فسر الفتنة بما يمارسه الكفار لصد المسلم عن دينه من أنواع التعذيب فلا منافاة بين قوله وقول الفريق الأول، فإزالة الشرك مقصودة، ورفع الفتنة عن المسلمين وإنقاذ المستضعفين مقصود كذلك، وقد دل على كلا الأمرين الكتاب والسنة وإجماع فقهاء الأمة كما تقدم.

ومن هذا الباب إخضاع أهل الجزية لأحكام الإسلام، ومنعهم من المجاهرة بدينهم، ومنعهم من التعامل بالربا، والزنا ونحو ذلك؛ لأن هذه الأوضاع من شأنها أنها تفتن المسلم عن دينه.

وقد أمر الله المسلمين بالجهاد حتى تزول الفتنة، ورسوله الله على لما صالح أهل نجران أرسل إليهم من الصحابة من يقيم على البلاد حكم الإسلام، إلا في أمور النصارى الخاصة بهم داخل كنائسهم، واشترط عليهم ألا يتعاملوا بالربا، فإن تعاملوا به فذمة الرسول على منهم بريئة (١).

ومن إزالة الفتنة عن المسلمين فك أسراهم، فإن من شأن الكفار أنهم يفتنون الأسرى عن دينهم؛ لذلك قال الفقهاء: إن فك الأسير فرض عين على المسلمين، ويتعين عليهم الجهاد حتى يستنقذوا أسرى المسلمين جميعًا (٢). وقال ابن بطال: فكاك الأسير واجب على الكفاية، وبه قال الجمهور (٣).

قلت: معلوم أن فرض الكفاية إذا لم يقم به مَنْ يكفي صار فرض عين على القادر حتى تحصل الكفاية. فإزالة الفتنة عن المسلمين وإعزاز المسلمين وإذلال

<sup>(</sup>٢) القوانين الفقهية، لابن جزي المالكي ص (١٢٦).

<sup>(</sup>٣) فتح الباري، لابن حجر (١١٦/٦).

الكافرين كلها من مقصود الجهاد. وقد روي عن عمر بن الخطاب رفي أنه رُفِعَ إليه ذمي نخس دابة عليها امرأة مسلمة فرمحت فأسقطتها فانكشف بعض عورتها، فأمر بصلبه في الموضع (١٠).

وقول اللّه ـ تَعَالَى ـ: ﴿ حَتَى يُعُطُوا اللّهِ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُون ﴾ دليل على أن إلزام الكفار الذلة والصغار من أهداف الجهاد الإسلامي، وكذلك إعزاز المسلمين ورفع المهانة عنهم، فقد كان من أسباب طرد الرسول عليها ليهود بني قينقاع أن منهم رجلًا كشف عورة امرأة مسلمة اليضحك الناس عليها، فقتله رجل من المسلمين كان حاضرًا، فلم ينكر النبي عليها قتل ذلك اليهودي الذي رام إذلال المسلمة، بل كاد أن يقتل بقية يهود بني قينقاع حتى شفع فيهم رأس النفاق بالمدينة ـ لعنه الله وأخزاه ـ، فترك الرسول عليها قتلهم المقاصد شرعية، وأجلاهم عن المدينة (٢).

#### النوع الثالث من الفتن:

فتنة الكفار أنفسهم، وصدهم عن استماع الحق وقبوله.

وذلك أن الأنظمة والحكومات الشركية تقيم حاجزًا بين الناس واستماع الحق أو قبوله بتخريبها لفطر الناس بما تشرعه لهم من مناهج في شتى مجالات الحياة، فإذا فسدت فطر الناس وعقولهم قل أن يستجيبوا للهدى، وإذا تربى جيل على الذلة والمهانة والعبودية للخلق من دون الخالق وتربى على الإدمان وعلى الخمر، والتمرغ في وحل الجنس، والتحلل من الأخلاق الفاضلة قل أن يرتفع إلى مستوى النفس البشرية السوية التي تعرف المعروف من المنكر وتحب الخير وتبغض الشر إلا أن يتداركه الله برحمة منه.

لذا كان من أهداف الجهاد إزالة الفتنة عن الكفار أنفسهم بالإضافة إلى إزالتها

<sup>(</sup>١) تفسير القرطبي (٨٣/٨).

<sup>(</sup>٢) البداية والنهاية (٣/٤).

عن المسلمين من باب أولى، فإذا زالت الفتنة عن الكفار المحكومين من قبل الطغاة المتألهين الذين يشرعون ما يفسد الفطرة البشرية لكي يضمنوا عبوديتها لهم رُجِيَ إسلامهم واستجابتهم لداعي الهدى، لا سيما إذا عاشوا في المجتمع الإسلامي الذي يخضع لتشريعات الله العليم الخبير، خالق النفس البشرية والعالم بما يصلحها، وهذا طرف من الحكمة الإلهية في تشريع الجزية على أهل الكتاب والمجوس؛ لإعطائهم فرصة تصلح فيها فطرهم بتطبيقها لتشريعات الإسلام العامة، ومخالطة المسلمين، ومعرفة ما في الدين الإسلامي من تكريم للنفس البشرية، وانتشالها من القيائح إلى الفضائل، ومن عبادة الخلق والشيطان والهوى إلى عبادة الحي القيوم.

### ٨. حماية الدولة الإسلامية من شر الكفار:

الناس فقالوا: ما هذه العصا؟ قال: قلت: أعطانيها رسول اللَّه ﷺ وأمرني أن أمسكها، قالوا: أولا ترجع إلى رسول اللَّه ﷺ فتسأله عن ذلك؟ قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، لم أعطيتني هذه العصا؟ قال: «آية بيني وبينك يوم القيامة»، فقرنها عبدالله بسيفه، فلم تزل معه حتى إذا مات أمر بها فصبت معه في كفنه، ثم دفنا جميعًا (١).

ومن ذلك أمر الرسول عَلَيْ بقتل كعب بن الأشرف اليهودي، وسلام بن أبي الحقيق اليهودي؛ فإنهما كانا مصدر خطر على الدولة الإسلامية، فأرسل لهما الرسول عَلَيْ من يقتلهما.

ومن ذلك حض الرسول ﷺ على الرباط وحراسة المسلمين، والرباط هو المرابطة في الثغور على حدود الدولة الإسلامية وفي مقابلة الأعداء.

وفيما تقدم دليل جلي على أن حماية الدولة الإسلامية من أهداف الجهاد العظيمة، ولكن مما ينبغي أن يُتَنَبَّهَ له أن الدولة الإسلامية ليست حوزة من الأرض لها حدود معينة يحافظ عليها فقط، بل كلما امتد الإسلام إلى أرض وأزال عنها أنظمة الشرك صارت داخلة في الدولة الإسلامية، فعلى المسلمين المحافظة عليها، ودفع سلطان الإسلام إلى الأمام في الأراضي المجاورة؛ لكي تتوسع رقعة الدولة الإسلامية؛ لأن الإسلام يتطلب الأرض كلها؛ ليخضعها لحكم الله ورسوله عليها، فليس دين الله مرادًا به بلدًا معينًا أو جنسًا معينًا من الأجناس البشرية.

يقول سيد قطب: «وحقيقة أن حماية دار الإسلام حماية للعقيدة والمنهج والمجتمع الذي يسود فيه المنهج، ولكنها هي ليست الهدف النهائي، وليست حمايتها هي الغاية الأخيرة لحركة الجهاد الإسلامي، إنما حمايتها هي الوسيلة لقيام

<sup>(</sup>۱) مسند أحمد (۲۹۲/۳).

مملكة اللَّه فيها، ثم لاتخاذها قاعدة انطلاق إلى الأرض كلها وإلى النوع الإنساني بجملته، فالنوع الإنساني هو موضوع هذا الدين، والأرض هي مجاله الكبير» (١).

# ٩ قتل الكافرين وإبادتهم ومحقهم:

وذلك لأن الكفر كالسرطان، بل أشد، فإذا لم يسلم الكافر أو يخضع للحكم الإسلامي فلا بد من استئصاله حتى لا يفسد المجتمع الذي يوجد فيه؛ يقول سبحانه وتعالى -: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَى إِذَا آثَغَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ.

ويقول ـ جل شأنه ـ: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرُكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَضُرَّكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْرَكُمْ اللهُ عَلَيْهِمْ وَيَشْرَكُمْ وَيُعْرَفِهِمْ وَيَشْرَكُمْ وَيُعْرَفِهِمْ وَيَنْ عَلَيْهِمْ وَيُعْرَفِهِمْ وَيَعْمُونُونُ وَيُعْرِفِهِمْ وَيَعْمُونُونُ وَيُعْرِفِهِمْ وَيَعْمُونُونُ وَيُعْرِفِهِمْ وَيَعْمُونُونُ وَيُعْرِفُهُمْ وَيُعْرِفُونُ وَيُعْرِفِهِمْ وَيَعْمُونُونُ وَيُعْمِلُونُ وَيُعْرِفِهِمْ وَيَعْمُونُونُ وَيُعْرِفِهِمْ وَيَعْمُونُونُ وَيُعْرِفِهِمْ وَيَعْمُونُونُ وَيُعْرِفِهِمْ وَيَعْمُونُونُ وَيُعْرِفِهِمْ وَيَعْمُونُونُ وَعُولِمُ مِنْ وَاللهِمُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا عَلَيْهِمْ وَيُعْمُونُونُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا عَلَيْهُ وَلَيْتُهُمْ وَيُعْرِفُهُمُ وَاللَّهُ وَلَيْكُمْ وَيُعْرِفِهِمْ وَيُشْرِكُمْ وَاللَّهُ وَيُشْرُكُمُ وَاللَّهُمُ وَيُشْرِقُونُ وَاللَّهُمْ وَيُشْرِقُونُ وَيُعْمُ وَيُعْمُونُ وَاللَّهُمُ وَيُعْمِلُونُ وَاللَّهُمْ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُ وَلَا لَا لَا عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا لَا عَلَيْهِمْ وَاللَّهُمُ وَاللَّالِمُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلِهُمْ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهِمْ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُمُ وَالْمُوالِمُوالِمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَالْمُوالِمُوالِمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَالْمُوالِمُ واللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّهُمُ وَاللَّالِمُ وَاللَّالِمُ وَ

﴿ فَأَضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانِ ﴾ ﴿ وَافْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَلِهُمْ كَلُ بَنَانِ ﴾ ﴿ وَافْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَلِفُكُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرِجُوكُمْ وَالْفِلْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾

﴿ وَيُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقَ الْحَقَ بِكَلِمُنِهِ وَيَقَطَعَ دَابِرَ الْكَفِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٧٦]، ﴿ لِيَعِ أَن يَكُونَ لَهُ أَسُرَىٰ حَتَى يُشْخِن فِي الْأَرْضِ ﴾ [الأنفال: ٢٧]. ﴿ لِيقَطَعَ طَرَفَا مِّنَ الّذِينَ كَفَرُواْ أَوْ يَكْمِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَابِينَ ﴿ لَا يَجْتَمَعُ فِي النارِ كَافِرُ وَمِن ترغيب الرسول ﷺ فِي قتل الكافرين قوله ﷺ (لا يجتمع في النار كافروقاتله أبدًا» (٢٠)، ويدل على هذا ـ أيضًا ـ حرص رسول اللّه ﷺ على قتل أبي جهل وغيره من صناديد الكفر؛ يقول عبدالله بن مسعود فَيْهُ عن مقتل أبي جهل: «فجعلت أتناوله بسيف لي غير طائل فأصبت يده، فندر سيفه، فأخذته فضربته حتى «فجعلت أتناوله بسيف لي غير طائل فأصبت يده، فندر سيفه، فأخذته فضربته حتى قتلته، قال: ثم خرجت حتى أتيت النبي ﷺ كأنما أقل من الأرض، فأخبرته، فقال: فخرج قتلته، قال: لا إله إلا هو، قال: فخرج

<sup>(</sup>١) في ظلال القرآن (٣: ١٤٤١).

<sup>(</sup>۲) صحیح: رواه مسلم وأبو داود.

يمشي معي حتى قام عليه، فقال: «الحمد لله الذي قد أخزاك اللَّه يا عدو اللَّه هذا كان فرعون هذه الأمة»».

ولما قَتَلَ جليبيب سبعة المشركين ثم قتلوه، قال النبي ﷺ مثنيًا عليه: «قتل سبعة ثم قتلوه، هذا مني وأنا منه» الحديث.

وقد نزل القرآن الكريم حاضًا على هذا الهدف وهو قتل صناديد الكفر حتى يتم الإثخان في الأرض. قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيّ أَن يَكُونَ لَهُۥ أَسُرَىٰ حَقَىٰ يَتُم الإثخان في الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنيَا وَاللّهُ يُرِيدُ اللّاَخِرَةُ وَاللّهُ عَزِيزُ حَكِيمٌ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَذَابُ عَظِيمٌ اللهُ عَزِيزُ حَكِيمٌ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَذَابُ عَظِيمٌ اللهُ الله

وفي معركة «نهر الدم» ينادي خالد بن الوليد في المسلمين: الأسر الأسر حتى يوفي بنذره لله وعلى أن يجري النهر من دمائهم، ثم جمعهم على حافة النهر وضرب رقابهم.

وفي معركة «الزلاقة» كانت جيوش النصارى مئة ألف من المشاة، وثمانين ألفًا من الفرسان فأبادهم المسلمون، ولم ينج من هذا الجيش سوى أربع مئة أو خمس مئة فارس، وأمر ابن تاشفين برءوس القتلى فضفّت في سهل الزلاقة على شكل هرم، ثم أمر فأذن للصلاة من فوق أحدها.

ولله دَرُّ خالد بن الوليد لما قال لرسول ملك الروم يوم اليرموك: إنَّا قوم نحب شرب الدماء، وقد بلغنا أن دماء الروم من أحلى الدماء مذاقًا، فلا نعود إلا بشرب دمائكم.

# ١٠- إرهاب الكفار، وإخزاؤهم، وإذلالهم، وإيهان كيدهم، وإغاظتهم:

قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ وَأَعِدُواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَةٍ وَمِن رِبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ ٱللهِ وَعَدُوَّكُم ﴿ وَالأَنفال: ٥٩]، وقال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ قَاتِلُوهُم لَهُ مِنْ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُغُرِهِم وَيَضُرَّكُم عَلَيْهِم وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ فَيُعَذِّبَهُمُ اللهُ عِلَيْهُم وَيُشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ فَي يُعَذِّبُهُمُ الله عَلَيْهُ عَلَيْهِم وَيُشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ فَي وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ فَي وَيُشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ فَي وَيَتُوبُ الله عَلَيْهُم عَلَيْهُم مَرِيمًا وَالله عَلَيْهُ مَرَاهُم وَالله عَلَيْهُ مَرَاهُم وَالله عَلَيْهُم مَرْهِنَ كَيْدِ ٱلْكَنفِرِينَ فَي وَالله وَالله عَلَيْهُم وَالله عَلَيْهُم وَالله والله وَالله والله و

ومما يدل على أن إخافة العدو من مقاصد الجهاد ما رواه الإمام أحمد عن أم مالك البهزية ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ قالت: قال رسول اللَّه ﷺ «خير الناس في الفتنة رجل معتزل في ماله يعبد ربه ويؤدي حقه، ورجل آخذ برأس فرسه في سبيل اللَّه يخيفهم ويخيفونه» (۱).

ويقول ابن القيم «... ولا شيء أحب إلى الله من مراغمة وليه لعدوه، وإغاظته له، وقد أشار ـ سبحانه ـ إلى هذه العبودية في مواضع من كتابه؛ أحدها قوله ـ تَعَالَى ـ فَوَمَن يُهَاجِر في سَبِيلِ اللهِ يَجِد في الْأَرْضِ مُرَغَمًا كَتِيرًا وَسَعَةً ﴾ سمي المهاجر الذي يهاجر إلى عبادة الله مراغمًا يراغم به عدو الله وعدوه، والله يحب من وليه مراغمة عدوه وإغاظته كما قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأُ وَلَا نَصَبُ وَلا مَغْمَصَةٌ في سَبِيلِ اللهِ وَلا يَطَوُن مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكَ فَال وَلا مَنْمَث أَنِي اللهِ وَلا يَطُون مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكَ فَار وَلا يَنْالُون مِنْ عَدُو نَيْلًا إِلَا كُنِبَ لَهُم بِهِ عَمَلُ صَلِحٌ إِنَ اللهَ لا يُضِيبُهُ لَا يُضِيبُ أَلَمُ لا يُضِيبُ أَلَمُ لا يُضِيبُ أَلَمُ لا يُضِيبُ اللهِ وَلا يَطُون مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكَ لَيْبَ لَهُم بِهِ عَمَلُ صَلِحٌ إِنَ اللهَ لا يُضِيبُ أَلَمُ اللهَ لا يُضِيبُ أَلَمُ اللهِ وَلا يَطْوَن مَمَلُ صَلِحٌ إِنَ اللهَ لا يُضِيبُ أَلَمُ اللهِ عَمْلُ صَلِحٌ إِنَ اللهَ لا يُضِيبُهُ أَلُونَ اللهَ لا يُضِيبُ اللهُ عَمْلُ مَا اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَمُ اللهُ اللهُ وَاللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَمْلُ اللهُ الله

وقال ـ تَعَالَى ـ في مثل رسوله ﷺ وأتباعه: ﴿ وَمَثَلُكُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعِ أَخْرَجَ شَطْعَهُ, فَعَازَرَهُ, فَاسْتَغَلَظَ فَاسْـتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ ـ يُعْجِبُ ٱلزُّرِّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارُۗ﴾،

<sup>(</sup>١) صحيح: رواه أحمد (٤١٩/٦)، وسيأتي تخريجه كاملًا.

فمغايظة الكفار غاية محبوبة للرب مطلوبة، فموافقته فيها من كمال العبودية.

وشرع النبي بي المصلي إذا سها في صلاته سجدتين، وقال: «إن كانت صلاته تامة كانتا ترغمان أنف الشيطان»، وفي رواية «ترغيمًا للشيطان»، وسماهما المرغمتين، فمن تعبد الله بمراغمة عدوه فقد أخذ من الصديقية بسهم وافر، وعلى قدر محبة العبد لربه وموالاته ومعاداته لعدوه يكون نصيبه من هذه المراغمة، ولأجل هذه المراغمة حُمِدَ التبختر بين الصفين...»(١).

كتب هارون الرشيد إلى نقفور ملك الروم: «بسم الله الرحمن الرحيم. من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم.

قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة، والجواب ما تراه دون أن تسمعه. والسلام»(٢).

وألب أرسلان يبيع إمبراطور الروم بكلب.

ومحمد بن عبدالرحمن بن الحكم بن هشام الخليفة الأندلسي صاحب «موقعة سليط» الملحمة العظمى التي يقال: إنه قُتل فيها ثلاث مئة ألف كافر.

والحاجب المنصور الذي يكتب إلى قادة النصارى: «إنا لا نكاد نصل إلى بلادنا إلا وقد جاء وقت الغزوة الأخرى، فنقعد هاهنا إلى وقت الغزاة، فإذا غزونا عدنا»، فما زال الإفرنج يسألونه إلى أن قرَّر عليهم أن يحملوا على دوابهم ما معه من الغنائم والسبي، وأن يمدوه بالميرة حتى يصل إلى بلاده، وأن يُنحُوا جيف القتلى عن طريقة بأنفسهم، ففعلو ذلك كله».

وكتب يوسف بن تاشفين إلى ألفونسو ملك أسبانيا: «الذي سيكون ستراه». وكتب يعقوب بن يوسف ملك الموحدين وبطل معركة «الأرك» إلى ألفونسو

<sup>(</sup>١) مدارج السالكين، لابن القيم (٢٢٦/١).

<sup>(</sup>٢) تاريخ الطبري: أحداث سنة (١٨٧، ١٩٠ هـ)، والكامل، لابن الأثير: أحداث سنة (١٨٧هـ).

الثامن ملك قشتالة ممزقًا كتابه، فكتب على ظهر قطعة منه: ﴿ أَرْجِعُ إِلَيْهِمَ فَلَنَأْلِينَهُم بِحُنُودِ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَةً وَهُمْ صَغِرُونَ ﴾ [النمل: ٣٧]، الجواب ما ترى لا ما تسمع.

ولا كُتْبَ إلا المشرفيَّةُ عندَهُ ولا رُسْلَ إلا الخميس العرمرمُ (١) مَنْف المنافقين:

فإن المسلمين في حال الرخاء والسعة ينضاف إليهم غيرهم ممن يطمعون في تحقيق مكاسب مادية وهم لا يريدون رفع كلمة الله على كلمة الكفر، وقد يتصنعون الإخلاص فيخفى أمرهم على كثير من المسلمين، وأكبر كاشف لهم هو الجهاد؛ لأن في الجهاد بذلًا لأغلى ما يملك الإنسان غير عقيدته، وهو روحه، والمنافق ما نافق إلا ليحفظ روحه، وليوفر لنفسه ملذاتها، فإذا دعا داعي الجهاد الذي قد يعرضه لفقد روحه انكشف نفاقه للناس؛ يقول الله ـ تَعَالَى ـ:

﴿ مَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيْبِ ﴿ وَلَا عَمَانَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَى يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيْبِ ﴿ وَلَا عَمَانَ اللَّهُ وَدُكِرَ فِهَا ٱلْطَيْبِ ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، ويقول: ﴿ فَإِذَا أَنزِلَتَ سُورَةً مُحَكَمَةٌ وَدُكِرَ فِهَا ٱلْقِتَالُ لَا يَتَ اللَّهُ مِنَ الْمَغْشِي عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَغْشِي عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَؤْتِ ﴾ [محمد: ٢٠].

ومعرفة المؤمنين للمنافقين فيها فوائد لا تحصى، فإنهم العدو الداخلي وخطرهم يفوق خطر العدو الخارجي أحيانًا. فإذا عُرفوا مُنعوا من الغزو مع المسلمين، ولا يستمع المؤمنون لما يعرضونه عليهم من أراجيف وتثبيط، ومن أقاويل يلبسونها ثياب النصح والإصطلاح، وجاهدهم المؤمنون بما أمرهم الله به: ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّبِيُ جَهِدِ النصح والإصطلاح، وجاهدهم المؤمنون بما أمرهم الله به: ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّبِيُ جَهِدِ النوبة: ٣٧].

#### ١٢ ـ تمحيص المؤمنين من ذنوبهم ومغفرتها.

<sup>(</sup>١) سير أعلام النبلاء (٣١٨/٢١).

17- تربية المؤمنين على الصبر والثبات، والطاعة وبذل النفس، وغير ذلك من الفوائد التربوية:

فإن الركون إلى الراحة والدعة، وعدم ممارسة الشدائد والصعاب تورث العبد ذلًا وخمولًا وتشبئًا بمتاع الحياة الدنيا، وخوض المعارك ومقارعة الأعداء والتعرض لنيل رضا اللَّه في ساحات الوغى يصقل النفوس، ويهذبها، ويذكرها بمصيرها، ويوجب لها استعدادًا للرحيل حتى تصبح ممارسة الجهاد عادةً لها تشتاق لها كما يشتاق الحاملون للقعود والراحة.

وتتربى في النفس البشرية من الجهاد صفات كثيرة؛ كصفة الشجاعة، والنجدة، والصبر، والأخوة، والعفو ونحو ذلك من الصفات المحمودة، ويزول من النفس ما يقابلها من الصفات المذمومة؛ كصفة الجبن، والشح، والأنانية ونحو ذلك.

### ١٤ - ولأن الجهاد أفضل العبادات بعد الإيمان:

عن أبي هريرة ﷺ قال: مرَّ رجل من أصحاب رسول اللَّه ﷺ بشِعْب فيه عُيينة من ماء عَذْبة، فأعجبته لطيبها، فقال: لو اعتزلت الناس فأقمتُ في هذا الشِّعب، ولن أفعل حتى أستأذن رسول اللَّه ﷺ فذكر ذلك لرسول اللَّه ﷺ فقال: «لا تفعل، فإن مقام أحدكم في سبيل اللَّه أفضل من صلاته في بيته سبعين عامًا، ألا تحبون أن يغفر اللَّه لكم ويدخلكم الجنة؟! اغزوا في سبيل الله، من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة»(١).

## ٥١- الجهاد أفضل الأعمال على الإطلاق:

عن عمرو بن عبسة صَحَيَّتُ قال: قال رجل: يا رسول الله، ما الإسلام؟ قال: «أن يُسلِم قلبك لله صَحَالً، وأن يَسْلَم المسلمون من لسانك ويدك».

<sup>(</sup>۱) حسن: أحرجه الترمذي (۱۲۵۰)، والبيهقي (۱۲۰/۹، ۱۲۱)، والحاكم (۲۸/۲)، والحديث حسن.

قال: فأي الإسلام أفضل؟ قال: «الإيمان».

قال: وما الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت». قال: فأي الإيمان أفضل؟ قال: «الهجرة».

قال: فما الهجرة؟ قال: «أن تهجر السوء».

قال: فأي الهجرة أفضل؟ قال: «الجهاد».

قال: وما الجهاد؟ قال: «أن تقاتل الكفار إذا لقيتهم».

قال: فأي الجهاد أفضل؟ قال: «مَن عُقِر جواده وأهريق دمه» (١)

### ١٦ـ الجهاد لا يعدله شيء:

عن أبي هريرة رضي قال: جاء رجل إلى رسول الله عَلَيْ فقال: دُلَّني على عمل يعدل الجهاد؟ قال: «لا أجده». قال: «هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتُر، وتصوم ولا تُفطِر؟» قال: ومن يستطيع ذلك؟ (٢).

وعن أبي هريرة ضي قال: قيل للنبي عَلَيْلِ ما يعدل الجهاد في سبيل الله؟ قال: «لا تستطيعونه».

قال: فأعادوا عليه مرتين وثلاثًا، كل ذلك يقول: «لا تستطيعونه»، وقال في الثالثة: «مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله، لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله ـ تَعَالَى ـ» (٣).

### ١٧. وهو أحب الأعمال إلى الله:

عن عبدالله بن سلام رضي قال: قعدنا نفر من أصحاب رسول الله عَلَيْ فَانْزِل الله ـ تَعَالَى .: فتذاكرنا فقلنا: لو نعلمُ أي الأعمال أحب إلى الله لعملناه؟ فأنزل الله ـ تَعَالَى .:

 <sup>(</sup>١) صحيح: أخرجه أحمد (١١٤/٤).

<sup>(</sup>٢) أخرجه البخاري (٢٧٨٥).

<sup>(</sup>٣) أخرجه مسلم (١٨٧٨).

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَوَتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۞ يَّكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَقْعَلُونَ ۞﴾ [الصف: ١، ٢].

قال عبدالله بن سلام: فقرأها علينا رسول الله ﷺ (١٠).

### ١٨ الجاهد من أفضل الناس عند الله:

عن أبي سعيد الخدري رضي قال: قيل: يا رسول الله، أي الناس أفضل؟ فقال رسول الله عن الله عنه (مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله». قالوا: ثم من؟ قال: «مؤمن في شِعْب من الشِّعاب يتقي الله، ويدع الناس من شره» (٢٠).

#### ١٩ ـ الجهاد مذهب للهمّ والغم:

عن عبادة بن الصامت على قال: قال رسول الله على: «جاهدوا في سبيل الله، فإن الجهاد في سبيل الله، فإن الجهاد في سبيل الله ـ تبارك وتعالى ـ باب من أبواب الجنة يُنجِّي الله ـ تبارك وتعالى ـ به من الهم والغم» (٢٠).

وكيف لا يقتل المسلمين الغمُّ والهمُّ على اغتصاب النساء وسبي الحرائر: كَيفَ القرارُ وَكيفَ يهدأُ مسلمُ والمسلماتُ معَ العدوِّ المعتدِي وانظر إلى الشاعر كيف يستمطر الدمع فيقول:

أَتُسْبَى المسلماتُ بِكُلِّ ثَغْرِ وَعيشُ المسلمين إذن يَطيبُ أَمَا لِللَّهِ وَالإسلامِ حَلَّ يُعالِبُ وَشِيبُ أَمَا لِللَّهِ وَالإسلامِ حَلَّ يُعالِفِعُ عَنهُ شُبَّانٌ وشِيبُ وما أحزن قول الدكتور عدنان النحوي:

وَضَاعَتْ «كُشُوفُو» يَا لِهَوْلِ جَرِيمَةٍ وَ«أَلْبَانِيَا» أَضْحَتْ بِقَبْضَةِ مُجْرِمٍ وَضَاعَتْ وَرَاءَ الْأُفْقِ عَنْكِ قِبَابُهَا عَلَى غُصَصٍ مِنْ حَسْرَةٍ وَتَنَدُّمِ

<sup>(</sup>١) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٣٠٩)، والبيهقي (١٥٩/٩، ١٦٠)، والحاكم (١٩/٢).

<sup>(</sup>٢) أخرجه البخاري (٢٧٨٦)، ومسلم (١٨٨٨).

<sup>(</sup>٣) صحيح لغيره: أخرجه أحمد (٣١٤/٥) واللفظ له، والحاكم (٧٥/٢).

# وَغَابَ أَذَانٌ وَالصَّدَى يَدْفَعُ الصَّدَى عَلَى أُفُق نَاءِ الْمَسَالِكِ أَقْتَم

فَمَنْ لِزُحُوفِ الْيَوْمِ وَالنَّاسُ جُلُّهُمْ تَلاقَتْ عَلَى الْآفَاق أَدْمُعُ أُمَّةٍ وَصَارَتْ شُعُوبُ الْمُسْلِمِينَ بِسَاحِها أَطَلُّتْ وَرَاءَ الْأَفْق مِنْهَا مَآذِنَّ وَتَدْعُو شُغُوبَ الْمُسْلِمِينَ وَقَدْ غَفَوْا تَقُولُ لَهُمْ هَذِي مَيَادِينُ عِزَّةٍ سَتَمْضِي عَلَيْكُمْ إِنْ رَكَنْتُمْ مَذَلَّةٌ أتَعْنُو رقَابُ الْمُسْلِمِينَ لِكَافِر واستمع إلى أبي البقاء الرندي(٢) الأندلسي وهو يرثى الأندلس:

لِكُلِّ شَيْءِ إِذَا مَا تَمُّ نُقْصَانُ

هِيَ الْأُمُورُ كَمَا شَاهَدْتَهَا دُوَلٌ

وَعَالَمُ الْكَوْنِ لَا تَبْقَى مَحَاسِنُهُ

يُمَزِّقُ الدَّهْرُ حَتْمًا كُلَّ سَابِغَةٍ

طَوَائِفُ شَتَّى بَيْنَ لَاهِينَ نُوَّم وَغَابَتْ عَنِ الْآفَاقِ وَثْبَاتُ ضَيْغَم قَوَافِلَ تِيهِ أَوْ تَسَارِيحَ هُوَّم تُنَادِي وَتَدْعُو كُلَّ قَرْنِ مُعَظَّم عَلَى جَهْلِهِمْ في حِيرَةٍ وَتَبَرُّم فَصُبُوا هُنَا يَا قَوْم مَا عَزَّ مِنْ دَم تَذُوقُونَ مِنْ صَابٍ عَلَيْهَا وَعَلْقَم وَتَخْضَعُ دَارٌ لِلْعَدُوِّ الْمُصَلِّم(١)

فَلَا يُغَرَّ بِطِيبِ الْعَيْشِ إِنْسَانُ مَـنْ سَـرَّهُ زَمَـنٌ سَـاءَتْـهُ أَزْمَـانُ وَلَا يَدُومُ عَلَى حَالَ لَهَا شَانُ إذَا نَبَتْ (٣) مَشْرَفِيَّاتٌ وَخِرْصَانُ (١)

<sup>(</sup>١) المصلم: المستأصر.

<sup>(</sup>٢) هو: الشاعر المجود المتقن صالح بن شريف الرندي، والمشتهر بأبي البقاء الرندي، الشاعر الأندلسي المعروف، نظم قصيدته في رثاء الأندلس، مات ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ سنة ٧٩٨هـ.

انظر: «نفح الطيب»، للمقري التلمساني (٢/٤ ١٩ ، ٣٤٧/٣، ٢/٤٢، ٤٨٦، ٤٨٨، ٢٠٢٥)؛ و«الإذاعة في أشراط الساعة»، للسيد صديق حسن خان المقبوجي؛ «وجواهر الأدب»، للسيد أحمد الهاشمي، ص (٦٢٠، ٦٢٢).

<sup>(</sup>٣) نَبَتْ: نَبَا حد السيف: إذا لم يقطع.

<sup>(</sup>٤) مشرفيات: المشارف: قرى من أرض اليمن أو من أرض العرب تدنو من الريف تنسب إليها السيوف المشرفية. خرصان: جمع خرص؛ وهو: سنان الرمح.

وَيُنْتَضَى كُلُّ سيْفٍ لِلْفَنَاءِ وَلَوْ أَيْنَ الْلُّوكُ ذَوُو التِّيجان مِنْ يَمَن وَأَيْنَ مَا شَادَهُ شَدَّادُ مِنْ إِرَم وَأَيْنَ مَا حَازَهُ قَارُونُ مِنْ ذَهَب أَتَى عَلَى الْكُلِّ أَمْرٌ لَا مَرَدًّ لَهُ وَصَارَ مَا كَانَ مِنْ مُلْكِ وَمِنْ مَلِكِ دَارِ الزَّمَانُ عَلَى «دَارَا» وَقَاتِلِهِ كَأَنُّهَا الصَّعْبُ لَمْ يسْهُلْ لَهُ سَبَبٌ فَجَائِعُ الدُّهُرِ أَنْوَاعٌ مُنَوِّعَةً وَلِلْمَصَائِبِ سُلُوانٌ يُهَوِّنُهَا دَهَى الْجُزيرةَ أَمْرٌ لَا عَزَاءَ لَهُ أَصَابَهَا الْعَيْنُ في الإسْلَام فَارْتَزَأَتُ (٢) فَاسْأَلْ «بَلَنْسِيَةً» مَا شَأَنُ «مُرْسِيَةٍ» وَأَيْنَ «حِمْط» وَما تَحْويهِ مِنْ نُزَهِ كَذَا «طُليْطِلَة» دَارُ الْعُلُومِ فكَمْ وَأَيْنَ «غِرْنَاطَةٌ» دَارُ اجْهَادِ وَكَمْ وَأَيْنَ حَمْرَاؤُهَا الْعَلْيَا وَزُخْرُفُها قَوَاعِدٌ كُنَّ أَرْكَانَ الْبلَادِ فَمَا والْمَاءُ يَجْري بِسَاحَاتِ الْقُصُور بِهَا وَنَهْرُهَا الْعَذْبُ يَحْكِي في تَسَلْسُلِهِ

كَانَ ابْنَ ذِي يَزَنِ وَالْغُمْدُ غُمْدَانُ وَأَيْنَ مِنْهُمْ أَكَالِيلٌ وَتِيجَانُ وَأَيْنَ مَا سَاسَهُ في الْفُرْس سَاسَانُ وَأَيْنَ عَادٌ وَشَدَّادٌ وَقَحْطَانُ حَتَّى قَضَوْا فكَأَنَّ الْكُلُّ مَا كَانُوا كَمَا حَكَى عَنْ خَيَالِ الطَّيْفِ وَسْنَانُ وَأُمَّ(١) كِسْرَى فَمَا آوَاهُ إِيوَانُ يَوْمًا ولَمْ يَمْلِكِ الدُّنْيَا سُلَيْمَانُ وَلِمُلوزَّمَان مَسَرَّاتٌ وَأَحْزَانُ وَمَا لِلَا حَلُّ بِالإسلام سُلْوَانُ هوَى لَهُ أُحُدٌ وَانْهَدَّ ثُهُلَانُ حَتَّى خَلَتْ مِنْهُ أَقْطَارٌ وَبُلْدَانُ وَأَيْنِ «قُرْطُبَةٌ» أَمْ أَيْنِ «جَيّانُ» وَنَهْرُهَا الْعَذْبُ فَيَّاضٌ وَمَالْآنُ مِنْ عَالِمِ قَدْ سَمَا فِيهَا لهُ شَانُ أُسْدٌ بِهَا وَهُمُ في الْحَرْبِ عِقْبَانُ كَأَنَّهَا مِنْ جِنَانِ الْخُلُّدِ عَدْنَانُ عَسَى الْبَقَاءُ إِذَا لَمْ تَبْقَ أَرْكَانُ قَدْ حَفَّ جَدْوَلَهَا زَهْرٌ وَرَيْحَانُ سُيُوفَ هِنْدِ لَهَا في الْجُوِّ لَمُعَانُ

<sup>(</sup>١) أُمَّ: قَصَدَ.

<sup>(</sup>٢) ارتزأت: ارتزأ الشيء: انتقص،

في كُلِّ وَقْتِ بِهِ آيٌ وَفُوقَانُ مُدَرِّسٌ وَلَهُ في الْعِلْمِ تِبْيَانُ وَالدَّمْعُ مِنْهُ عَلَى الْخَدَّيْن طُوفَانُ أَرْسَتْ بسَاحَتِهَا فُلْكٌ وَغُرْبَانُ وَذِي فُئُونِ لَهُ حِذْقٌ وَتِبْيَانُ وَجَنَّةٍ حَوْلَهَا نَهْرٌ وَبُسْتَانُ وَأَيْنَ يَا قَوْمُ أَبْطَالٌ وَفُرْسَانُ رَأَى شَبِيهًا لَهَا في الْخُسْنِ إِنْسَانُ تَبْكِيهِ مِنْ أَرْضِهِ أَهْلٌ وَولْدَانُ وَرَدَّ تَوْحِيدَهَا شِرْكٌ وَطُغْيَانُ قُطْب بِهَا عَلمٌ بَحْرٌ لَهُ شَانُ كَمَا بَكَى لِفِرَاقِ الْإلْفِ هَيْمَانُ حَتَّى الْنَابِر تَبْكَى وَهْيَ عِيدَانُ قَدْ أَقْفَرتْ وَلَهَا بِالْكُفْرِ عُمْرَانُ فِيهِنَ إِلَّا نَـوَاقِـيـسٌ وَصُـلْبَانُ إِنْ كُنْتُ في سِنَةٍ فَالدَّهْرُ يَقْظَانُ أَبَعْدَ «حِمْص» تَغُرُّ الْمُرْءَ أَوْطَانُ وَمَا لَهَا مَعْ طَويلِ الدُّهُرِ نَسْيَانُ كَأُنَّهَا في مَجَالِ السَّبْقِ عُقْبَانُ كَأَنَّهَا فِي ظَلَامِ اللَّيْلِ نِيرَانُ لَهُمْ بِأَوْطَانِهِمْ عِزٌّ وَسُلْطَانُ فَقَدْ سَرَى بِحَدِيثِ الْقَوْمِ رُكْبَانُ

وَأَيْنَ جَامِعُهَا الْمَشْهُورُ كَمْ تُلِيَتُ وَعَالِمٌ كَان فِيهِ لِلْجَهُولِ هُدًى وَعَابِدٌ خَاضِعٌ للَّهِ مُبْتَهلٌ وَأَيْنَ «مَالِقَةُ» مَرْسَى الْمَرَاكِب كَمْ وَكُمْ بِداخِلِهَا مِنْ شَاعِر فَطِن وَكُمْ بِخَارِجِهَا مِنْ مَنْزَهِ فَرج وَأَيْنَ جَارِتُهَا «الزَّهْرَا» وَقُبَّتُهَا وَأَيْنَ «بَسْطَةٌ» دَارُ الزَّعْفَرَانِ فَهَلْ وَكُمْ شُجَاعٍ زَعِيمٍ في الْوَغَى بَطَل وَ ﴿ وَادِيَا ﴾ مَنْ عَدَتْ بِالْكُفْرِ عَامِرَةً كَذَا «الْرَيَّةُ» دَارُ الصَّاطِينَ فَكَمْ تَبْكِى الْحَنِيفِيَّةُ الْبَيْضَاءُ مِنْ أَسَفِ حَتَّى الْحَاريبُ تَبْكِى وَهْيَ جَامِدَةٌ عَلَى دِيار مِنْ الإسلام خالِيَةٍ حَيْثُ الْسَاجِدُ قَدْ أَمْسَتْ كَنَائِسَ مَا يَا غَافِلًا وَلَهُ في الدَّهْرِ مَوْعِظَةٌ وَمَاشِيًا مَرحًا يُلْهِيهِ مَوْطِئُهُ تِلْكَ الْمُصِيبَةُ أَنْسَتْ مَا تَقَدَّمَهَا يًا رَاكِبِينَ عِتَاقَ الْحُيْلِ ضَامِرَةً وَحَامِلِينَ سُيُوفَ الْهِنْدِ مُرْهَفَةً وَرَاتِعِينَ وَرَاءَ النَّهْرِ في دَعَةٍ أَعِنْدَكُمْ نَبَأُ مِنْ أَمْرِ أَنْدَلُسِ

أَسْرى وَقَتْلَى فَلَا يَهْتَزُّ إِنْسَانُ وَأَنْتُمُ يَا عِبَادَ اللهِ إِخْوانُ أَمَا عَلَى الْخَيُّر أَنْصَارٌ وَأَعْوَانُ سطا عَلَيْهِمْ بِهَا كُفْرٌ وَطُغْيَانُ وَالْيَوْمَ هُمْ في قُيُودِ الْكُفْرِ عُبْدَانُ عَلَيْهِمُ مِنْ ثَيَابِ الذُّلِّ أَلْوَانُ لَهَالِكَ الْأَمْرُ وَاسْتَهْوَتْكَ أَحْزَانُ كَـمَـا تُـفَـرَّقُ أَرْوَاحٌ وَأَبْـدَانُ كَأَنَّكَ ا هِي يَاقُوتٌ وَمَرْجَانُ وَالْعَينُ بِاكِيَةٌ وِالْقَلْبُ حَيْرَانُ إِنْ كَانَ فِي الْقَلْبِ إِسْلَامٌ وَإِيمَانُ تزَخْرَفَتْ جَنَّةُ الْمُأْوَى لَهَا شَانُ فَازَتْ وَرَبِّي بِهَذَا الْخَيْر شُجْعَانُ مَا هَبَّ ريحُ الصَّبَا وَاهْتَزُّ أَغْصَانُ

كَمْ يَسْتَغِيثُ صَنَادِيدُ الرِّجَالِ وَهُمْ مَاذا التَّقاطُعُ في الإسلام بَيْنَكُمُ أَلَا نُفُوسٌ أَبِيَّاتٌ لَهَا هِمَمٌ يًا منْ لِنُصْرَةِ قَوْم قَسْمُوا فِرَقًا بِالْأَمْس كَانُوا مُلُوكًا في مَنَازِلِهِمْ فَلَوْ تَرَاهُمْ حَيَارَى لَا دلِيلَ لَهُمْ فَلَوْ رأَيْتَ بُكَاهُمْ عِنْدَ بَيْعِهُمْ يَا رُبُّ أُمٌّ وَطِفْل خِيلَ بَيْنَهُمَا وَطِفْلَةٍ مِثْلَ مُحْسُنِ الشَّمْسِ إِذْ طَلَعَتْ يقُودُهَا الْعِلْجُ لِلْمَكْرُوهِ مُكْرِهَةً لِثْل هَذَا يَذُوبُ الْقَلْبُ مِنْ كَمَدِ هَلْ لِلْجِهَادِ بِهَا مِنْ طَالِبِ فَلَقَدْ وَأَشْرَفُ الْحُورُ والْولْدَانُ مِنْ غُرَفٍ ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى الْخُتَّارِ مِنْ مُضَر

\* \* \*

• ٧ ـ طلبًا للدرجات العلى من الجنة:

إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرَفِ مَرُومِ فَلَا تَقْنَعْ بِمَا ذُونَ النُّجُومِ فَلَا تَقْنَعْ بِمَا ذُونَ النُّجُومِ فَطَعْمِ الْمُوْتِ فِي أَمْرٍ عَظِيمٍ فَطَعْمِ الْمُوْتِ فِي أَمْرٍ عَظِيمٍ يَصرى الْجُبْنَاءُ أَنَّ الْجُبْنَ عَقْدالْ وَتِلْكَ خَدِيعَةُ الطَّبْعِ اللَّئِيمِ

إنها الجنة التي غرس غراسها الرحمن بيده، إنها جوار الرحمن، والنظر إلى وجه الكريم العلّام.. إنها دار الطيبين، ورفقة الملائكة والنبيين، والفوز بالحور العين، إنها

الظل الظليل، إنها العيش الهني، إنها السدر المخضود، والطلح المنضود، والماء المسكوب.

ألا من مشمر لها وهي ريحانة تهتز، ونهر مطرد، وغناء الحور العين، وتمجيد داود صاحب المزامير لربه الكريم.

فحَيَّ عَلَى جَنَّاتِ عَدْنِ فَإِنَّهَا مَنَاذِلُكَ الْأُولَى وَفِيهَا الْخُنَيَّمُ وَلَكِنَّا سَبْيُ الْعَدُوِّ فَهَلْ تَرَى نَعُودُ إِلَى أَوْطَانِنَا أَوْنَسْلَمُ

#### ٢١- طلبًا للشهادة، وهذا بيت القصيدة:

اللهم ارزقنا الصدق في طلبها.. اللهم يا حنان يا منان يا ذا الجلال والإكرام مُنَّ عليَّ بأفضل الشهادة في سبيلك، واحشرني إليك من بطون السباع وحواصل الطيور، وارزق أولادي وبناتي أفضل الشهادة في سبيلك.. فالموت في سبيلك وإعلاء كلمتك في الأرض أعظم ميلاد.

يقول سلطان العلماء عِز الدين بن عبدالسلام عن الشهداء: «أحيا القتلى فيه بعد مماتهم، وعوَّضهم عن حياتهم التي بذلوها لأجله بحياة سرمدية، لا يصفها الواصفون، ولا يعرفها العارفون.

وكذلك لما فارقوا الأهل والأوطان أسكنهم في جواره، وآنسهم بقربه بدلًا من أُنس من فارقوه من أحبائهم لأجله. فطويي لمن حَصَل على هذا الأجر الجزيل في جوار الرب الجليل»(١).

## ٢٢- الحصول على الغنائم والسبي، وإن لها لموقعًا في النفس البشرية:

فَلَيْتُهُم إِذْ لَمْ يَذُودُوا حِمْيَةً عَنِ الدِّينِ ضَنُّوا غَيْرَةً بِالْحَارِمْ وَلَيْتُهُم إِذْ كَمِيَ الْوَغَى فَهَالًا أَتَاوْهُ رَغْبَةً في الْغَانِمْ

<sup>(</sup>١) أحكام الجهاد وفضائله، للإمام عبدالعزيز بن عبدالسلام ص (٥٣)، دار الوفاء.

ولذلك كان على يعطي القاتل سلب المقتول، وينفل جزءًا من الغنيمة لبعض الجيش إذا قاموا بعمل حربي بمفردهم. وقال لبعض أصحابه لما بلغه خبر عير أبي سفيان راجعة من الشام: «هذه عير قريش فيها أموالهم، فأخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها»(١).

وقال على حين خروجه من المدينة قاصدًا التعرض لعير قريش: «اللهم إنهم حفاة فاحملهم. اللهم إنهم عراة فاكسهم. اللهم إنهم جياع فأشبعهم»(٢).

وقال القرطبي «ودل خروج النبي ﷺ ليلقى العير على جواز النفير للغنيمة؛ لأنها كسب حلال، وهو يرد ما كره مالك من ذلك إذ قال: ذلك قتال على الدنيا.

وما جاء أن من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله دون من يقاتل للغنيمة يراد به إذا كان قصده وحده وليس للدين فيه حظ<sup>(٣)</sup>.

وقال ـ أيضًا ـ: «ثم قيل: الأسباب التي يطلب بها الرزق ستة أنواع أعلاها كسب نبينا محمد على قال: «مجعل رزقي تحت ظل رمحي، ومجعل الذلة والصغار على من خالف أمري» [أخرجه الترمذي وصححه]، فجعل الله رزق نبيه على في كسبه؛ لفضله، وخصه بأفضل أنواع الكسب وهو أخذ الغلبة والقهر؛ لشرفه» أن

وقال الشوكاني: «قال ابن أبي جمرة: ذهب المحققون إلى أنه إذا كان الباعث الأول إعلاء كلمة الله لم يضره ما ينضاف إليه»(٥).

وبهذا يظهر ـ واللَّه أعلم ـ أن قصد الغنيمة يكون من أهداف الجهاد التابعة لا الأصلية، والذي لا يجاهد إلا للغنيمة فلا خير في جهاده؛ لأن الهدف الأصلي

<sup>(</sup>١) البداية والنهاية (٢٥٦/٣).

<sup>(</sup>٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة، للألباني، المجلد الثالث، رقم الحديث (١٠٠٣).

<sup>(</sup>٣) تفسير القرطبي (٧: ٣٧٦).

<sup>(</sup>٤) تفسير القرطبي (٨: ١٠٨).

<sup>(</sup>٥) نيل الأوطار، للشوكاني (٧: ٢٤٤).

للجهاد هو إعلاء كلمة الله وخفض كلمة الطاغوت ومد سلطان الله على الأرض، فإذا قصد المسلم بجهاده هذا ثم اشتاقت نفسه ورغبت في الحصول على غنيمة من الكفار بعد كسر شوكتهم والاستيلاء عليهم فلا حرج في ذلك إن شاء الله ـ تَعَالَى ـ .

عن أبي هريرة عَلَيْهُ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «تكفَّل اللَّه لمن جاهد في سبيله، لا يُخرجه إلا الجهادُ في سبيله وتصديق كلماته، بأن يُدخله الجنة، أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة (١٠).

وعن أبي هريرة عَلَيْهِ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، والذي نفسي بيده لتُنفقنَّ كنوزهما في سبيل الله» (٢٠).

## ٢٣ـ المجاهد في ضمان الله:

عن أبي هريرة ضَيَّة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «ثلاثة في ضمان اللَّه ﷺ: رجل خرج إلى مسجد من مساجد اللَّه ﷺ ورجل خرج غازيًا في سبيل اللَّه ـ تَعَالَى ـ، ورجل خرج حاجًّا» (٢٠).

وقال رسول الله ﷺ: «ثلاثة كلهم ضامن على الله: رجل خرج غازيًا في سبيل الله فهو ضامن على الله حتى يتوفاه فيدخله الجنة، أو يرده بما نال من أجر أو غنيمة، ورجل راح إلى المسجد فهو ضامن على الله حتى يتوفاه فيدخله الجنة أو يردّه بما نال من أجر، ورجل دخل بيته بسلام فهو ضامن على الله»(٤).

<sup>(</sup>١) أخرجه البخاري (٣١٢٣)، ومسلم (١٨٧٦).

<sup>(</sup>۲) أخرجه البخاري (۳۱۲۰).

<sup>(</sup>٣) صحيح: أخرجه أبو نعيم في ١٥ لحلية»، وَصَحَّحَهُ الألباني في ١١لصحيحة ( ٩٨ ٥)، و٥صحيح الجامع» رقم (٣٠٥١).

<sup>(</sup>٤) صُحَيح: أخرَجه أبو داود، وابن حبان، والحاكم عن أبي أمامة، وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٣٠٥٣).

## ٢٤. المجاهدون وفد اللَّه يستجيب دعاءهم ويتولاهم بعنايته:

عن ابن عمر ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ عن النبي ﷺ قال: «الغازي في سبيل اللَّه وَجَلِلَ، والحاج، والمعتمر، وفد اللَّه دعاهم فأجابوه، وسألوه فأعطاهم»(').

عن عبدالرحمن بن زید بن أسلم قال: خرج قوم غزاة، ومعهم محمد بن المنكدر، وبینما هم یسیرون قال رجل منهم: أشتهی جبنًا طریًا!

قال محمد بن المنكدر: استطعموا الله يطعمكم، فإنه القادر على كل شيء، فدعا القوم، فلم يسيروا إلا قليلًا حتى وجدوا مِكْتلا مخيطًا، فإذا فيه جبن طري! فقال بعض القوم: لو كان عسلًا؟

فقال محمد بن المنكدر: إن الذي أطعمكم جبنًا هاهنا، قادر على أن يطعمكم عسلًا، فاستطعموه يطعمكم!

فدعا القوم فساروا قليلًا، فوجدوا وعاء عسل على الطريق! فأكلوا الجبن والعسل، وتابعوا سيرهم للغزو»(٢).

والمجاهد مسافر في سبيل الله، والمسافر لا ترد دعوته، فما ظنك إذا كان هذا السفر أفضل سفر.

دَعْنَا نُسَافِرُ فِي دُرُوبِ جِهَادِنَا وَلَنَا مِنَ الْهِمَمِ الْعَظِيمَةِ زَادُ دَعْنَا نَمُتْ حَتَّى نَنَالَ شَهَادَةً فَالْمُوْتُ فِي دَرْبِ الْهُدَى مِيلَادُ

## ٥٧- الجهاد رفعة للأمة:

طبيعة المجتمعات كالماء تماما، ففي الماء الراكد تطفو على السطح الطحالب والأعفان، أما الماء المتحرك فلا يحمل العفن فوقه.

<sup>(</sup>١) صحيح: أخرجه ابر ماجه (٢٨٩٣) وابن حبان، والطبراني في «الكبير»، وَصَحَّحَهُ الألباني في «الصحيحة» رقم (١٨٢٠)، و«صحيح الجامع» رقم (٤١٧١).

<sup>(</sup>٢) كتاب مجابي الدعوة، لابن أبي الدنيا ص (٧١، ٧٢).

والجهاد بطول طريقه، ومرارة معاناته، وضخامة تضحياته، وفداحة أرزائه يصفِّي النفوس فتعلو على واقع الأرض الهابط، وترتفع الاهتمامات عن الخصومة الصغيرة وعن الأعراض القريبة وسفساف المتاع، يزيل الأحقاد، ويصقل الأرواح، وتسير القافلة صعدًا من السفح الهابط إلى القمة السامقة بعيدًا عن نتن الطين وصراع الغابات.

«لا بد للمجتمع الإسلامي من ميلاد، ولا بد للميلاد من مخاض، ولا بد للمخاض من آلام».

إن الجهاد يمحو الترهل من حياة الأمة، ويذيب مظاهر البذخ والترف التي تستعبد الشعوب الراكدة.

ذُرْوَةُ الدِّينِ جِهَادٌ فِي الصَّمِيمُ فَلْنُجَاهِدْ أَوْ لِتَلْفُظْنَا الْحَيَاهُ

إما جهاد وتعاهد على إرخاص قطرات الدم، وإما أن تلفظهم الحياة، ويستبدل الله - تَعَالَى - بهم آخرين... أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين - يجاهدون في سبيل الله، ولا يخافون لومة لائم، ولا يغريهم جمال نساء ومال، ولا يرهبهم طغيان طاغية، واستئساد جاهلية.

نعم.. هذا أو لقب ذي العقل المستريح نعم... وإلا فإنها الترهات(١)

٣٦ـ تحريم المجاهد الذي اغبرَّت قدماه في سبيل اللُّه على النار:

قال رسول اللَّه ﷺ: «من اغبرت قدماه في سبيل اللَّه حرَّمه اللَّه على النار» (٢٠).

٧٧ـ نكتب هذا خوفًا من النار واتقاء لغضب القوي الجبَّار:

أيُّ وعيد أشد من النار، أيُّ خزي أعظم ووبال أليم أشد من عذاب المتخلفين

<sup>(</sup>١) «المنطلق»، لمحمد أحمد الراشد ص (٢٣٤)، مؤسسة الرسالة.

<sup>(</sup>۲) أحرحه البحاري رقم (۹۰۷).

عن الجهاد القاعدين عنه.

﴿ إِلَّا نَنفِرُواْ يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيـمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُـرُّوهُ شَيْعً وَاللَّهُ عَلَى اللهِ اللهِ اللهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿ إِلَّا لِللهِ اللهِ اللهِ ٢٩].

قال ابن العربي: العذاب الأليم هو في الدنيا باستيلاء العدو، وبالنار في الآخرة\).

ويقول اللَّه وَ اللَّه وَ اللَّه وَ اللَّه وَ اللَّه وَ اللَّهِ وَاللَّه وَ اللَّه وَ اللَّهُ وَ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللّهُ وَا مُؤْمِدُونُ اللّهُ وَاللّهُ وَلّهُ وَاللّهُ وَاللّ

روى البخاري بإسناده عن عكرمة: أخبرني ابن عباس: أن أناسًا من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على عهد رسول اللَّه ﷺ يأتي السهم، فيرمي به فيصيب أحدهم فيقتله، أو يضرب فيقتل، فأنزل اللَّه ـ تَعَالَى ـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ وَقَالَهُمُ الْمُلَيْكُةُ ظَالِمِي أَنفُسِمٍ ﴿

فإذا كان المؤمنون في مكة ـ القابضون على دينهم كالجمر، ولم يهاجروا، وخرجوا حياءً وخوفًا من الكفار يوم «بدر»، فكثروا سواد المشركين "، ثم قتل بعضهم ـ قد استحقوا جهنم برواية البخاري، فما بالك بالملايين من المسلمين الذين يسامون سوء العذاب، ويعيشون حياة دون حياة السوائم، ولا يملكون أن يردُّوا عاديةً عن أعراضهم أو دمائهم أو أموالهم.

حياة والله ذليلة مهينة مستضعفة، وتتوفاها الملائكة ظالمة لأنفسها.

<sup>(</sup>١) تفسير القرطبي (١٤٢/٨).

<sup>(</sup>٢) سواد المشركين: عددهم

سَأَصْرِفُ وَجْهِي عَنْ بِلَادٍ غَدَا بِهَا لَسَانِي مَعْقُولًا وَقَلْبِي مُقْفَلًا كَامُ وَقَلْبِي مُقْفَلًا ٢٨ رفضًا لهزيمة المسلمين:

قالها سالم مولى أبي حذيفة: «بئس حامل القرآن إذن أنا»؛ يعني: إن فرَّ. ونقولها نحن بملء الفم.

سَيأْخُذُ ثَأْرَ اللَّهِ أَنْصَارُ دِينِهِ فَلِلَّهِ أَوْسٌ آخَـرُونَ وَخَـزْرَجُ بئس حملة القرآن نحن إن قبلنا الذل والهوان، وهزيمة المسلمين على يد المغضوب عليهم والضالين.

وعن عطية بن أبي عطية ـ رحمه الله ـ: أنه رأى عبدالله بن أم مكتوم ظيلته يومًا من أيام القادسية وعليه دروع سابغة يجرها في الصف في ميدان الجهاد (١). كان ابن أم مكتوم ظليته أعمى، ولقد أعذره الله، ولكنه خرج للجهاد واشترك في معركة القادسية، وحمل اللواء فيها واستشهد...

هذا أبصر من قومنا مَن عميت بصيرتهم.. أما ابن أم مكتوم فإنا نواه كَالضَّوْءِ يَسْرِي في مَحَاجِرِنَا فَلَا تَراهُ عُيُونُ الْأَجُلَفِ الْقَالِي عن ابن شهاب الزهري قال: خرج سعيد بن المسيب ـ رحمه الله ـ إلى الغزو، وقد سقطت إحدى عينيه! فقيل له: إنك عليل!

فقال: قد استنفر اللَّه الخفيف والثقيل، فإن لم أتمكن من الحرب والقتال كثَّرت عدد المسلمين وسوادهم وحفظت المتاع! (٢)

نرفض واقعنا.. ونرفض ذل الهزيمة:

.. أَرْفُضُ أَنْ أَتَوَهَّمَ نعشَ خيالٍ،

.. عبَرَتْ فيه!

<sup>(</sup>١) الجهاد، لعبد الله بن المبارك (١١٩/١).

<sup>(</sup>٢) تفسير الطبري (١٠/٩٨).

ترفض روحى، كلٌّ رُؤاها يرفضُ زَمني، أنْ يحياها يرفضُ صمتي، همسَ صداها يرفضُ غضبُ الثأر سُراها .. يرفض وهْمي أن يتمثُّلَ، طيفَ أُسِّي منها يُخزيهُ! .. يرفض أنْ يلقاها شيحًا، ريخُ اللُّعنةِ لا تطُويه! يرفضُ وتَري أنْ يعزفَها يرفض خَلَدِي أَنْ يعرفها أرفضُ أنْ أتوهَّمَ نعشَ خيال عبَرتْ فيه!! ترفُضُ مِثْلَى.. .. أرْض سمعت نجوى اللَّه على شَفَتَيْها أصغَتْ، ورنَتْ، ثم أضاءتْ حَلَكَ الدنبا، من خَدَّيْها تم تهادَى خطْوُ الرُّسُل، يُدَفِّقُ نُورًا بِينْ يَدَيْهِا عانقَ فيها كُلُّ نبئِّ مر أخاهْ.. وغدتْ كلُّ حصاةٍ فيها، قُدْسَ صَلاهْ.. حين أتاها حادي النور،

.. أُرفضُ.. خطوَ العُمْر،

إذا لم تُصبح عدمًا، لا يدريه!

يَشُقُّ ضُحاةً..

.. فوق سفين، عبرتْ لُجَّ الْغيبِ، وطارتْ دون شراع، غير نداء الأفُق الأعلَى سبَّح في أيمناه شعاع..

فدنا منه، وشرب الحقَّ من الآياتْ ومضَى يُنقِذُ وجه الأرض من الظلُماتْ كلُّ ظلامٍ مرَّ عليه، توهَّج نورًا منه وذابْ غيرَ وُجوه أبت اللعنةُ ملء دُجاها أن تنسابْ حملتْ حقدَ الكون وسارتْ

تَيَدُ الطهْرَ بكل ترابُ

ثم رماها التِّيهُ..

فألقَتْ عَارَ خُطاها في المحرابْ!

مهما نهَبَتْ مِني،مهما،

بنْتُ الغدر.. ولا أرْويه!

أرفضُ.. أن أتوهُّم نعش خيالِ عبرتْ فيهْ!!

\* \* \*

أرفُضُ.. نورَ الشمسِ، إذا أحْلامي لم تقْطِفْهُ شرَارْ وَجَرِّعهُ غضبَ الْعزَّة، ووَتُلَقِّنُهُ حقدَ الثَّارْ..

وتجسِّدُهُ فوق سَماها،

بغْتَة هولٍ، في إعصارْ..

كلُّ زمانِي فيه يَدُورْ

كلٌّ ۇجودي فيە عبورْ

كُلُّ دروبي فيه سَعيرْ

كلُّ كياني فيه أسيرْ..

كلَّ الماضي..

كلُّ الآتي..

كلَّ حياتي قَيْدَ خُطاهْ..

.. حتى يسَحَقَ هذا الليلَ،

ويُهْلِكَ في جنبيَّ دُجاهُ!

.. حتَّى يورقَ في مَسْراه،

صوتٌ، كُبِّلَ فيه صَداه،

في مئذنَةٍ...

وقفتْ تَجَأَّرُ في الظلماتِ بِلا كَفَّيْنُ

لا تَسْبيحَ،

ولا ترتيل، يعجُّ به ثاني الحرَمَينُّ ذُبحَ النورُ عليه،

وعاد رُفاتَ دعاءٍ من شفَتَيْنْ

وغدا الرِّجسُ،

يدوسُ ثراهُ، وينهش فيه بالقدمَيْنُ .. مهما دَنَّس بَاغ فيهْ؛ مهما فَجَرَت أُمُّ التيه، أرفُضُ.. حتى أن أتوهَّمَ نَعْشَ خيالٍ.. .. عبَرَتْ فيه!!

\* \* \*

يرفُضْ شيْءٌ.. ظلٌ يغَنِّي فوق جبيني طولَ العُمْرُ ذوَّبَ كِبْرَ الشمس، وذاب، فأنْبَتَ فيه إِباء الدهْرْ لمَعَ النَّجْمُ، وشابَ سَناهُ، وكل شعاع منْه كيمر... خلقَتْ منه صَلاةُ البيدُ أُلْفَ لهَاةٍ، أَلْفَ قصيدُ تُبْدِئُ منه، ثم تُعيدُ هب العزَّةِ في التَّغريدُ!! شيء.. منه انتفَض الأمْسُ، وشقَّ حشايَ على سِكَين وأتى يَزْأَرُ في شَفَتَيْهِ، قسَمُ الثأر بألف يمين: .. لَنْ أَتركها، وخزَةَ عار فيَّ لعينْ!! لن أتركها.. يُطرق منها أيُّ جبينْ!! ترفض أرضى..

ترفض عِرْضي.. يرفضُ كَبْرُ فَي طعينُ!! يرفض وَجْهي يرفض لهبٌ تحت جراح القلب دفينُ!! يرفض كلَّ وجودٍ حَوْلي، كلَّ حراكٍ، كل سكونْ!! يرفض أن يحياها يأسا لم تسحقه رياح يقين حتى يصْعَقَ يومُ الثار، خُطاها السُّودَ بكل بنيهُ! حتى ينْفُضَ حقدُ الرَّمْل، صداها الآثم من أيديه... حتَّى يرفعَ وجهُ القُدْس، أذانَ النَّصْر إلى حاميهْ..

.. أرفُضُ!!

.. حتى أَنْ أَتُوهَّمَ نعش خيالٍ

.. عبرَتْ فيهْ!!(١)

## ٢٩ أمر الإسلام قائم بالكتاب.. والبأس الشديد.

كلام مقدس قاله الله ـ تَعَالَى ـ، محكم غير متشابه، ماض غير منسوخ، أراده ـ عزَّت إرادته ـ أن يكون للدعوة الإسلامية شعارًا، ودستور عمل، ومعلم طريق،

<sup>(</sup>١) قصيدة «رقص الهريمة»، لمحمود حسن إسماعيل ص (١٤٨٧ ـ ١٤٩٤) من «الأعمال الكاملة، لمحمود حسن إسماعيل» مع تغيير لبعض الكلمات التي تخالف العقيدة السلفية.

فجعله ـ جلَّ وعلا ـ في آية يتلوها الملايين كل يوم: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِاللَّبِينَتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِكْنَبَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسُ شَدِيدٌ وَمَنكَفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَضُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللهَ قَوِيُّ عَزِيزٌ اللهَ قَوِيُّ عَزِيزٌ اللهَ وَالْحَدِيدِ وَالْحَدِيدِ وَالْحَدِيدِ وَالْحَدِيدِ وَالْحَدِيدِ وَالْعَلَمُ اللهُ مَن يَضُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللهَ قَوِيُّ عَزِيزٌ وَاللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ الله

فكل قلب أحكمت أقطاره ولم تتشابه، ومضت إلى الخير عزيمته ولم تنسخ فَهِمَ هَذِهِ الْآيَةَ فَهْمَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَهَا.

فهمها أبو بكر ﴿ لَهِ اللَّهُ مُهَانِدٌ ، فكانت حروب الردة.

وفهمها عمر الفاروق رضي المشتق لقبه من أسماء السيف، فكان منه الإقرار لمن للمن للمن للمن الإقرار لمن المن للمن لوح له بالسيف أداة تقويم إن زاغ واتبع الهوى.

وتواصت أجيال المسلمين بعدهما بهذا السلوك، وتواصت بالقرآن، فبعدوا عن الخسران.

حتى إذا خسروا، وفق الله ابن تيمية ـ رحمه الله ـ يتلو عليهم هذه الآية، ويفسرها، ويقول لهم: «ذكر ـ تَعَالَى ـ أنه أنزل الكتاب والميزان، وأنه أنزل الحديد؛ لأجل القيام بالقسط، وليعلم الله من ينصره ورسله، ولهذا كان قوام الدين بكتاب يهدي، وسيف ينصر، وكفى بربك هاديًا ونصيرًا»(١).

ويؤكد لهم أنه «إذا ظهر العلم بالكتاب والسنة، وكان السيف تابعًا لذلك، كان أمر الإسلام قائمًا» (٢).

عن خالد بن الوليد رضي قال: «ما ليلة تهدى إليّ فيها عروس أنا لها محب، أو أبشر فيها بغلام أحب إليّ من ليلة شديدة البرد كثيرة الجليد أُصبّح فيها العدو، فعليكم بالجهاد» (٣).

<sup>(</sup>۱) ، (۲) مجموع فتاوی ابن تیمیة (۱۳/۱) (۳۹۳/۲۰).

<sup>(</sup>٣) المصلف، لابن أبي شيبة (٣١٧/٥).

#### 🗖 الجهاد ماض إلى يوم القيامة

«إذا كانت هذه هي معظم أهداف الجهاد ومقاصده، فما الغاية التي يتوقف عندها الجهاد؟

إن الغاية التي يتوقف عندها الجهاد هي إسلام أهل الأرض كلهم، واعتناقهم عقيدة الإسلام، من غير أهل الكتاب والمجوس. أما أهل الكتاب والمجوس، فإذا دفعوا الجزية ملتزمين لأحكام الإسلام القضائية حال كونهم في ذل وصغار فإن المسلمين يوقفون جهادهم، ويكفون عنهم، ويحمونهم من عدوهم.

ولن يتوقف الجهاد الإسلامي مدى الحياة؛ لأن الشيطان مستمر في إغواء بعض البشر، والصراع بين الحق والباطل سنة إلهية لا تنتهي حتى ينتهي وجود البشر في هذه الأرض.

فعن جبير بن نفير أن سلمة بن نفيل أخبرهم أنه أتى النبي عَلَمْ فقال: إني سئمت الحيل، وألقيت السلاح، ووضعت الحرب أوزارها، قلت: لا قتال. فقال النبي عَلَيْ: «الآن جاء القتال، لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الناس، يزيغ الله قلوب أقوام فيقاتلونهم، ويرزقهم الله منهم حتى يأتي أمر الله عَلَى وهم على ذلك، ألا إن عقر دار المؤمنين الشام، والحيل معقود في نواصيها الحير إلى يوم القيامة» (١).

وقال ﷺ: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، ولا تزال عصابة من المسلمين يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم إلى يوم القيامة» (٢).

وقال البخاري ـ رحمه الله ـ في صحيحه: باب الجهاد ماض مع البر والفاجر؛ لقول النبي على «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة». قال ابن حجر في شرحه لهذه الترجمة: «سبقه إلى الاستدلال بهذا الإمام أحمد؛ لأنه على ذكر بقاء الخير في نواصي الخيل إلى يوم القيامة، وفسره بالأجر والمغنم، والمغنم المقترن بالأجر

<sup>(</sup>١) صحيح: مسند أحمد (١٠٤/٤) وسيأتي تخريجه.

<sup>(</sup>٢) مسند أحمد (٩٣/٤) وهو في الصحيحين.

إنما يكون من الخيل بالجهاد، ولم يقيد ذلك بما إذا كان الإمام عادلًا، فدل على أن لا فرق في حصول هذا الفضل بين أن يكون الغزو مع الإمام العادل أو الجائر» ('). وبهذا يظهر أن الجهاد مستمر إلى قيام الساعة، وأنه لا ينتهي جهاد الكفار إلا إذا أسلموا أو خضعوا لحكم الإسلام ودفعوا الجزية حالة كونهم متلبسين بالذل والصغار» (٢).

## • ٣- وأخيرًا: إحياءً للأمل... وما أحلى الشعر في تصوير الأمل:

نكتب عن «فُرْسان النَّهَارِ»؛ إحياءً للأمل في النفوس، فالمستقبل كلَّ المستقبل للإسلام، وصُمَّتُ أذن الدنيا إن لم تسمع لنا.

أكتب هذه الرسالة؛ ليكون تسكينها للقلب أعظم، وتسليتها للحزين اليائس أبلغ، ولتكون انتشالًا من وهدة، وتوجيهًا في ساعة حيرة، وأذانًا في نيام، وسلوة بين أحزان، ونبلًا عندما يسفل الواقع، وسُمُوًّا إذا نطق الإغراء، ووفاءً في ساعة النكوص، واقتحامًا في مواطن الانخزال، ودفعًا للانزواء الذي كَلْكُلَ على اليائسين القانطين، وترطيبًا للنفوس بعد اليبوسة والجفاف، وتثبيتًا لأفئدة المؤمنين، وبعثًا للأمل، وترجمانًا لأشواق الصحوة التي تسري في ضمير الأمة، كما تسري جداول المياه العذبة في الرمال العطشي.

نُنَقُّبُ في الماضي، نستخرج السوابق، وتسطر دمعاتُ القلم العِبَرَ من نبع الكتاب والسنة الصافي؛ لتجفَّ دمعات قلوب التائهين البائسين اليائسين القانطين، ويكون ثَمَّ ابتسام وأمل في فجرنا الآتي المضمَّخ بطيب القرآن غيث قلوبنا.

﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذُهَبُ جُفَآ أَءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمَكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [الرعد: ١٧]. يقولون: إن المطر

<sup>(</sup>١) صحيح البخاري مع الفتح (٢/٦).

<sup>(</sup>٢) أهمية الجهاد ص (١٨٥، ١٨٦).

يترجئ أشواقه أنهرا يغوص ببطن التراب ليسكن قلب الثرى ويخرج ينبوع ماء نمير يفيض نماءً يفيض عطاءً يعطر هام الروابي ويبهجها منظرًا منظرًا لقد جعل اللَّه هذا المطر حياة لكل النفوس مشاعًا لكل البشر غديرًا.. لتشرب منه الزهور لتنقر منه الطيور لتعكس فيه الضياء البدورُ ليملأ تلك الجداول والأنهرا فيا مطرًا غاب عن أرضنا أدهرًا تحنُّ إليك النفوس ويشتاق كل الورى تعالَ إلينا تحنُّ إليك ضروع اليباس تحن إليك البذور بكل التراب وكل ربوع اليباب

لتنقذها من جيوش التراب وتغسل بالحب وجه الثرى

\* \* \*

أكتب هذه الرسالة ليعقل ساذج، ويتململ راقد، ويتنافس قاعد، ويتأنى متهور، ويفرح هامد يائس بائس؛ لتغمر القلبَ برودةُ السكينة بوعد الله، بعد حرارة القلق، ولذعات الحيرة، ومرارة اليأس والقنوط، وتنفرج أسارير الوجه عن ابتسام وضًاء، بعد عبوس أو ذهول.

إن ابتسامة من يبتسم من الناس، وبث الأمل لن يأتي سهلاً أبدًا في هامد قانط، والذين ما زالت أفواههم تفغر حيرة ليسوا بقادرين على تصور ابتسامة تبتسمها الصفحات، ولا على فهم دور الأقلام المؤمنة ودموعها الباسمة في وجه قلم أسود مأجور غريق، تائه لا يبدو له طريق.

فَدَعْ عَنْكَ الْكِتَابَةَ لَسْتَ مِنْهَا وَلَوْ لَطِّخْتَ وَجْهَكَ بِالْدِادِ النَّهُم اجعل لنا نصيبًا وافرًا في جهاد المنافقين المارقين، والغلظة عليهم بهذا الأمل الذي نبثه في بني الإسلام لفجرهم المرتقب، وتثبيت أفئدة المؤمنين بتحلية حقيقة هذا الدين العظيم وشرف الانتساب إليه، وقَدْر هذه الأمة العظيمة واصطفاء الله لها وكرامتها عليه.

بَنُو الْإِنْسَانِ يَنْتَظِرُونَ فَجُرًا بِلَيْلِ الْوَهْمِ يَخْتَرِقُ الضَّبَابَا وَقَـدْ لَاحَـتْ أَشِعَتْهُ وَضَاءً وَإِرْهَاصَاتُهُ الْطَلَقَتْ شِهَابَا غَدًا تَمْشِي الشُّعُوبُ عَلَى هُدَاهُ وَنُـورُ اللَّهِ يَـحْدُوهَا رِكَابَا أَمَا الشَانِئَ الأَبْر، الذي يظن أن الإسلام لن تعلو له راية، ولن تشرق له شمس مرة أخرى، ولن يكون له فجر، فنقول له: «اخْسَأْ فَلَنْ تَعُدُو قَدْرَكَ».

ونقول له:

سَنَمْضِي وَالنَّجُومُ لَنَا دَلِيلُ مَتَى أَصْغَى السَّحَابُ إِلَى النُّبَاحِ؟ فَقَدْ وَلَّى زَمَانُكَ يَا سِجَاحُ فَقَدْ وَلَّى زَمَانُكَ يَا أُبِيُّ كَمَا وَلَّى زَمَانُكَ يَا سِجَاحُ ونقول له:

لا تُمهَيِّئُ كَفَنِي يَا عَاذِلِي فَأَنَا لِي مَعَ الْفَجْرِ مَوَاثِيقٌ وَعَهْدُ

## 🗖 أخي.. يا بن الإسلام:

لا شيء في هذه الحياة يعدل ذلك الفرح الروحي الشفيف عندما نستطيع أن ندخل الثقة ونبث الأمل في نفوس المسلمين. وقد قال رسول الله الله الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله الله الله على مسلم، أو تكشف عنه كُرْبة (١٠).

من يقيننا بوعد الله ينبثق الفجر وينداح، نعيش لنرقب هذا الفجر الوضيء، والأفق العالي، والمثال السامي.

إن الذي يعيش لنفسه يعيش صغيرًا ويموت صغيرًا، والذي يعيش يرقب ببصر فؤاده ذلك النور فإنه يعيش كبيرًا.

عندما نعيش مع هذا الفجر، ولهذا الفجر، ولمجد بني الإسلام، فإننا نعيش حياة مضاعفة بقدر ما يتضاعف إحساسنا بالمسلمين.

عندما نعيش للإسلام فإن حياتنا تبدو طويلة عميقة، تبدأ من حيث بدأت البشرية، وتمتد بعد مفارقتنا لوجه هذه الأرض.

عن أنس رفي قال: قال رسول الله على الله الله على الله على النائم ـ كأنا في دار عقبة بن رافع، فأتينا برطب من رطب ابن طاب (٢) فأوّلت: الرفعة لنا في

<sup>(</sup>١) حسن: رواه ابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج»، والطبراني في «المعجم الكبير» عن ابن عمر، وَحَشَنَهُ الأَلباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٩٠٦).

<sup>(</sup>٢) نوع من الرطب معروف يُقَالُ له: رطب ابن طاب، وتمر ابن طاب، وابن طاب رجل من أهل المدينة.

الدنيا، والعاقبة في الآخرة، وأن ديننا قد طاب، ١٠٠٠.

وقال رسول الله ﷺ: «إن من الناس ناسًا مفاتيحَ للخير، مغاليقَ للشر، وإن من الناس ناسًا مفاتيحَ المشر، مغاليقَ للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الحير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه، ٢٠٠٠.

وقال رسول اللَّه ﷺ: «عند اللَّه خزائن الخير والشر مفاتيحها الرجال، فطوبى لمن جعله اللَّه مفتاحًا للشر مغلاقًا للخير، مغلاقًا للشر، وويل لمن جعله اللَّه مفتاحًا للشر مغلاقًا للخير، "".

وعن أبيِّ بن كعب قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «بشِّر هذه الأمة بالسناء والدين والرفعة والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا؛ لم يكن له في الآخرة من نصيب (٤٠).

وعند البيهقي: «بشّر هذه الأمة بالتيسير والسناء والرفعة بالدين والتمكين في البلاد والنصر، فمن عمل منهم بعمل الآخرة للدنيا، فليس له في الآخرة من نصيب».

وعن أبي عنبة الخولاني قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لا يزال اللَّه يغرس في هذه الدين غرسًا، يستعملهم فيه بطاعته إلى يوم القيامة»(°).

<sup>(</sup>١) رواه مسلم (٢٢٧٠).

<sup>(</sup>٢) حسن: رواه ابن ماجه عن أنس، وَحَسَّنَهُ الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (١٣٣٢)، و«صحيح الجامع» رقم (٢٢١٩).

<sup>(</sup>٣) حسن: رواه الطبراني في «المعجم الكبير»، والضياء في «المختارة» عن سهل بن سعد، وكذا أخرجه ابن ماجه، وأبو يعلى في «مسنده»، وابن أبي عاصم، والخرائطي، والطيالسي، والمروزي عن أنس، وَحَسَّنَهُ الأَلباني في «تخريج السنة» رقم (٢١٩، ٢٩٦)، و«صحيح الجامع» رقم (٣٩٨٧).

<sup>(</sup>٤) صحيح: رواه أحمد (١٣٤/٥)، وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم (٣١١/٤)، وَصَحَّحَهُ، ووافقه الذهبي، ورواه البيهقي، وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٥/١، ١٦)، و«صحيح الخامع» رقم (٢٨٢٢)، و«أحكام الجنائز» ص (٥٢).

<sup>(</sup>٥) حسن: أخرجه أحمد في «مسنده»، وابن ماجه، والبخاري في «التاريخ»، وَحَسَّنَهُ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٤٤٢)، و«صحيح الجامع» (٧٥٦٩).

هذا غرس الله، ومن أحسن من الله صبغة، ويأبى الغرس إلا طبيعته، والحمقى هم الذين يريدون أن يخرج هذا الغرس نكدًا، وكأنهم يقولون لشجر التفاح: لَا تُحْرِجْ إِلَّا حَنْظَلًا.

فَهَذَا الْغَرْسُ لَيْسَ لَهُ نَظِيرُ وَحَاشًا أَنْ يَكُونَ لَهُ نَظِيرُ وَحَاشًا أَنْ يَكُونَ لَهُ نَظِيرُ إِي إِيمَاءِ الذِّكْرِ يُسْقَى كُلَّ يَوْمٍ وَفِي أَحْضَانِهِ تَنْمُو الْبُذُورُ(١)

※ ※ ※

نعم لأمل بسَّام نعيش به، ولا للمنى فهي رءوس أموال المفاليس والنَّوْكَى (٢). أمل وضيء في وسط ظلام واقعنا الحالك، يطمئن في وسط الزلازل، وثقة لا تتزعزع في وعد الله. نستشرف النصر من بعيد، ونراه رأي العين، ونوقن أن البشرية في طريقها إلى ربيعها المونق المزهر الذي يملأ حياتها بالعطر والدفء والنور.. ربيع الإسلام.

قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوْةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ اللَّهَ اللَّهُ الللللِّهُ الللللِّلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّذِاللَّذِاللَّالِمُ اللَّذِاللَّذِاللَّالِمُ الللللِّلْمُ اللَّذِاللَّالِمُ اللَّذِاللَّذِاللَّالِمُ الللللِّلْمُ اللَّذِاللَّذَالِمُ اللَّهُ الللللِمُ اللَّذَالِمُ الللللِّلْمُوالِمُ الللللْمُوالِمُ اللَّذِلْمُ اللَّذِلْم

لَوْ كَانَ لِي عُنْقُ الأعاصيرِ التي تجتاحُ عندَ تَحَفَّزِ البُرْكَانِ لَا ثَعْفُ الصَّواعِقَ مُعْلِنًا سَحْقَ الدُّجى وَنهايَة القُرْصانِ يا أَيُّها النَّسْرُ المَشُوقُ إلى الذُّرى يَطْوي الفَضاءَ بلَهْفَةِ وَحَنانِ أَتُها النَّسْرُ المَشُوقُ إلى الذُّرى يَطْوي الفَضاءَ بلَهْفَةِ وَحَنانِ أَتُراكَ بَعْدَ البَيْنِ تَعْرِفُ ما الذي يُشْجي الفَتَى في غُرْبَةِ الأَوْطانِ؟ قُمْ وانْتَفِضْ يا ابْنَ العَلاءِ مُبَشِّرًا بتَفَتَّح النِّسْرينِ وَالرَّيْحانِ قُمْ وانْتَفِضْ يا ابْنَ العَلاءِ مُبَشِّرًا بتَفَتَّح النِّسْرينِ وَالرَّيْحانِ

<sup>(</sup>١) من قصيدة «نحن وهم» من ديوان «لأنك مسلم»، لمحمود مفلح ص (٦١).

<sup>(</sup>٢) النوكي: الحمقي.

وَلْتركب الرِّيحَ الغَضوبَ يَهيجُها وَاحْمِلْ إلى الآفاق مُزْعَةَ رايةٍ مَغْموسَةً بجراحِنا مَنْسوجَةً مِنْ كَهْفِنا المَقْرور في غَسَق الدُّجي مِنْ صَرْخَةِ المَوْتور في أَحْشائِهِ مِنْ دَمْعَةِ الطِّفْلِ البَرِيءِ تعاظَمَتْ منْ لَوْعَةِ الأُمِّ الرَّءوم مَهيضَةً وَدَمُ الشُّهيدِ على الرُّغام مُجَدَّلًا مِنْ كُلِّ مَنْ ذَهَبُوا سِياطُ الظُّلْمِ في مِنْ عُمْق هاتيكَ الجِراح شُمُوسُنا وَتَفَتَّقَتْ خُصْرُ البَراعِم في الضَّحي وعلى مُصاوَلَةِ الخُطوب تَمَرَّسَتْ إِنَّ النُّفُوسَ إِذَا تَمَخُّض سَعْيُهَا قَدْ أَبْرَمتْ بِجِهَادِهَا وَتُبَاتِهَا وَلَهَا مَعَ الْأَمْجَادِ وَعْدٌ صَادِقٌ وَإِذَا الرِّجَالُ عَلَى الْعَقِيدَةِ بَايَعُوا ولله دره وهو يقول:

قادِمٌ فَجُرِي وَمِنْ أَعْمَطَافِهِ يَسَخَطَّى عَقَباتٍ كُلُها إِنَّهُ يَبْرُغُ مِنْ أَعْمَاقِنا

قَدَرٌ وَيُطْلِقُها بِغَيْرِ عِنانِ سَقَطَتْ وَتَأْبِي ذِلَّةَ القِيعان مِنْ روحِنا بِالصِّدْقِ والإيمانِ مِنْ عَصَّةِ الآلام والأحسزانِ حُمَمٌ تثورُ بِجاحِم النِّيرانِ حتَّى غَدَتْ في الأرْض كَالطُّوفانِ بالثُّكُل تَسْبِيها يَدُ الطُّغْيان أنفاسُهُ طُويَتْ بللا أَكْفان أَعْقابهم وسَلاسِلُ السَّجَّان وُلِدَتْ وَتُسْقى بالطُّهور القَاني وَتِأَلَقَتْ شُهُبًا بِكُلِّ مَكانِ وَتَرَعْرَعتْ في حَوْمَةِ المَيْدان فَشِمَارُهَا يَوْمَ الْحَصَادِ دَوَانِي عَهْدًا يَدُومُ غَدًا مَعَ الرَّحْمَن قَدْ سُطِّرتْ بُشْرَاهُ في الْقُرْآنِ يَا صِدْقَ أَحْلَام لَهُمْ وَأَمَانِي(١)

يَعْبِقُ الزَّهْرُ ويَنْهَلُ الغَمامُ مِحَدِّ تَتْرَى وَآلامٌ جِسامُ وَالْمِرَاحَاتُ عَلى الأَفْق وسِامُ

<sup>(</sup>١) قصيدة «عودة النسر»، لأحمد محمد الصديق من ديوان «قادمون مع الفجر» ص (٦٨ ـ ٧٠) دار الضياء.

ويقول أيضًا:

يا رايَـةً بالـنُّـور خافِـقَـةً هَيَّا فَإِنَّ الدَّهِرَ مُرْتَقِبٌ وَمَواكِبُ التَّارِيخِ تَنْتَظِرُ

\* \* \*

ولله دَرُّ محمود مفلح حين يقول: هى أمةٌ وَالنَّهْجُ نَهْجُ محمد مُسَتْ عَقِيدَتُهُمْ فَكَانَ دَويُّهُمْ وَلَوَوْا بِجِيدِ الذُّنْبِ لَوْلَا أَنَّهُ ضَاقَتْ بِهِ الْأَرْضُ الرَّحِيبَةُ بَعْدَمَا هِي عِزَّةُ الْإِيمَانِ في فَتَكَاتِهمْ هَذِي سُيُوفُ الْفَاتِحِينَ وَطَالَا هَذِي عَقِيدَتُنَا وَذَلِكَ نَهْجُنَا قَدْ آنَ أَنْ تَلِدَ اللَّيَالِي مُسْلِمًا قَدْ آنَ أَنْ يَعْلُو النَّفِيرُ وَفي دَمِي «بَدْرٌ» تَعُودُ إِلَى الحْيَاةِ وَ«خَيْبَرُ» شَتَّانَ بَيْنَك يَا هَمَّامُ وَبَيْنَ مَنْ ولله دَرُّ محمود مفلح حين يقول:

في سَبِيلِ اللهِ أَمْضِي وَعَلَى هَدْيِ كِتَابِ اللهِ قَدْ أَحْكَمْتُ نَبْضِي أُرْتَدِي الْفَجْرَ وَأَمْضِي في سَبِيلِي

هَيْهَاتَ أَنْ يَرْضَوْا سِوَاهُ إِمَامَا كَالرَّعْدِ يَقْذِفُ عِزَّةً وَضَرَامَا قَدْ فَرَّ يَسْبِقُ في الظَّلام نَعَامَا حَمَلتُه كُرْهًا فَوْقَهَا وَأَثَامَا هَ لَّا عَرَفْتَ الْمُسْلِمَ الْقِدَامِ ا عَانَتْ سُيُوفُ الْفَاتِحِينَ صِيَامَا فَاقْرَأْ عَلَيْنَا «الْفَتْحَ» وَ«الْأَنْعَامَا» وَالْمُسْلِمُونَ يُبَايِعُونَ إِمَامَا صَخَبُ النَّفِيرِ مَتَى يَكُونُ صِدَامَا؟ تُلْقِي عَلَى أَقْدَامِهَا الْأَعْلَامَا بَاعَ الْقُبُورَ حِجَارَةً وَعِظَامَا<sup>(١)</sup>

يَهْفُو إليك السَّمْعُ والبَصَرُ

<sup>(</sup>١) الثائر المسلم من ديوان الراية، لمحمود مفلح ص (٣٥، ٣٦)، دار عمار.

فَإِذَا الشُّمْسُ دَلِيلِي وَإِذَا الْأَنْجُمُ فِي قَلْبِي وَأَعْرَاسُ النَّخِيل خَارِجًا مِنْ مِحْنَةِ اللِّيْل وَمِنْ صَمْتِ الْقُبُورِ نَهَشَتْ أَظْفَارُهُمْ وَجْهِي وَفي جَنْبَيَّ عَضَّاتُ الْحَصِيرِ مُمْسِكًا حَفْنَةَ قَمْح، رَغْمَ عَصْفِ الرِّيحِ وَالْأَنْوَاءِ، وَالْجُرْحِ الْخَطِيرِ وَسُطُورًا مِنْ رَحِيْقِ الذِّكْرِ أَتْلُوهَا فَيَسْتَيْقِظُ سَيْفُ الْحَقِّ أَتْلُوهَا فَيَصْحُو الشُّوقُ أَتْلُوهَا فَتَجْرِي لِلْيَنَابِيعِ طُيُورِي وَعَلَى هَدْي كِتَابِي أَبْصِرُ الْأَشْيَاءَ مِنْ خَلْفِ الضَّبَابِ وَأَرَى الأَوْجُهَ مِنْ غَيْرِ قِنَاعَاتٍ وَمِنْ غَيْرِ خِضَابِ وَعَلَى هَدْي كِتَابِي أَزْرَعُ النَّحْلَةَ تَجْتَازُ الْمَسَافَات لِتَمْتَصَّ رَحِيقَ الشَّمْس مِنْ ثَدْي الرَّوَابِي أَسْمَعُ التَّرْنِيمَةَ الْأُولَى لِطَيْرِ الْفَحْرِ وَالتَّرْجِيعَةَ الأُولَى لِدِيكِ الْفَجْر بَوْحَ<sup>(١)</sup> الْغَيْثِ لِلْأَرْضِ الْيَبَابِ<sup>(٢)</sup> وَعَلَى هَدْي كِتَابِي

<sup>(</sup>١) بوح الغيث: ظهور المطر.

<sup>(</sup>٢) اليباب: الحراب.

أَكْتُبُ الْفَضْلَ الَّذِي يَأْتِي وَأَتِي وَأَخُطُو فَوْقَ حَدِّ الشَّمْسِ أَسْتَنْطِقُ عُرْيَ (١) الْبَرْقِ

ِ كَيْ أُنْقِذَ آلَافَ الرِّقَابِ

قَدْ تَقُولُونَ بِأَنَّ السَّيْفَ فِي كَفِّي أَقَالَتْهُ الْمَعَارِكْ وَبِأَنَّ اللَّيْلَ هَالِكْ

وَبِأَنِّي لَمْ أَعُدْ أُتْقِنُ شَدَّ الْقَوْسِ تَغْرِيدَ النِّبَالِ وَالْفُتُوحَاتِ الَّتِي أَدْمَنَهَا الْعُشَّاقُ فِي السَّبْعِ الطُّوَالِ قَدْ تَقُولُونَ

> «وَإِفْكًا مَا يَقُولُ الزَّيْفُ» ضَرْبٌ مِنْ خَيَالْ قَدْ تَقُولُونَ مُحَالْ

أَنْ يَجِيءَ السَّيْلُ دَفَّاقًا

وَأَنْ تَجْرَي مَعَ السَّيْلِ التِّلَالْ

قَدْ تَقُولُونَ

وَلَكِنِّي أَقُولُ

وَأَنَا جَدُّ خَجُولُ

وَأَنَا أَقْرَأُ فِي فَاتِحَةِ الْعَصْرِ وَأَشْوَاقِ الْحُقُولْ إِنَّ فِي الدَّرْبِ الْحُيُمولْ

ءِ ۚ عَلَى وَقْعِ التِّلَاوَاتِ سَتَخْضَرُ الْفُصُولْ وَعَلَى وَقْعِ التِّلَاوَاتِ سَتَخْضَرُ الْفُصُولْ

وَلَنَا الْيَوْمُ الْجُمِيلُ

وَلَنَا التَّكْبِيرَةُ الْأُولَى

لَنَا الْأُفْقُ

<sup>(</sup>١) عري: يقال: فرس عري: لا سرج له.

لَنَا الرَّايَاتُ وَالصَّوْتُ الْبَدِيلْ وَلَنَا السَّيْفُ الَّذِي خَبَّأَهُ الْبَرْقُ إِلَى الْيَوْمِ الثَّقِيلْ وَلَنَا الشَّجَرُ الْأَخْضَرُ وَالْمَاءُ الَّذِي تَجْرِي إِلَيْهِ الطَّيْرُ وَالظِّلُ الظَّلِيلْ وَلَنَا قَارُورَةُ الْعِطْرِ الَّتِي تَسْفَحُهَا الشَّمْسُ عَلَى كَفِّ الْأَصِيلْ(١)

\* \* \*

## ولله دره وهو يقول:

وَأَقُولُ لِلْجِيلِ الْجَدِيدِ
الْقُولُ لِلْجِيلِ الْجُصَّنِ بِالْعَقِيدَةِ وَالْمُتَوَّجِ بِالصَّبَاحُ
وَأَقُولُ لِلْجِيلِ الْمُحَصَّنِ بِالْعَقِيدَةِ وَالْمُتَوَّجِ بِالصَّبَاحُ
وَأَقُولُ يَا جِيلَ الْمُصَاحِفِ
وَأَقُولُ يَا جِيلَ الْمُصَاحِفِ
يَا خَمِيرَ الْأَرْضِ يَا طَلْقَ الْوِلَادَهُ
هَا أَنْتَ كَالْيَنْبُوعِ تَدْفُقُ فِي صَحَارِينَا
وَتَمْنَحُنَا الْوَثِيقَةَ وَالشَّهَادَةْ

\* \* \*

أَنْتَ الَّذِي سَيْبَدِّلُ الْأَوْزَانَ وَالْأَحْزَانَ يَزْرَعُ فِي الْعُيُونِ نَخِيلَهَا فَلَكَمْ تَبَاطَأَ فِي الرَّحِيلِ عَنِ الْقَرَى عَامُ الرَّمَادَةِ

\* \* \*

<sup>(</sup>١) قصيدة «عندما تزهر الحروف»، لمحمود مفلح، من ديوانه «إنها الصحوة».

وَأَقُولُ حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ

أَقُولُ حَيَّ عَلَى السِّلَاحِ

فَإِنَّ فِيكَ النَّبْضَ يُورِقُ بَيْنَ تَرْتِيلِ الظَّهِيرَةِ وَالْمَسَاءُ

وَأَقُولُ يَا جِيلَ الْفِدَاءُ

أَكُلَتْ مَوَاسِمَنَا الْجُنَادِبُ

وَاسْتَبَدَّ بِنَا الْحُواةُ

وَعَادَرَتْنَا آخِرُ السُّحْبِ فِي السَّمَاءُ

وَعَادَرَتْنَا آخِرُ السُّحْبِ فِي السَّمَاءُ

وَعَادَرَتْنَا آخِرُ السُّحْبِ فِي السَّمَاءُ

مَا إِنَّ أَحْبَارَ الْيَهُودِ تَجَمَّعُوا، هَا إِنَّهُمْ حَشَدُوا لَنَا

هَا إِنَّ أَحْبَارَ الْيَهُودِ تَجَمَّعُوا، هَا إِنَّهُمْ حَشَدُوا لَنَا

هَا إِنَّ أَحْبَارَ الْيَهُودِ تَجَمَّعُوا، هَا إِنَّهُمْ حَشَدُوا لَنَا

هَا إِنَّ أَحْبَارَ الْيَهُودِ تَجَمَّعُوا، هَا إِنَّهُمْ حَشَدُوا لَنَا

هَا إِنَّ أَحْبَارَ الْيَهُودِ تَجَمَّعُوا، هَا إِنَّهُمْ حَشَدُوا لَنَا

هَا إِنَّ أَحْبَارَ الْيَهُودِ تَجَمَّعُوا، هَا إِنَّهُمْ حَشَدُوا لَنَا

\* \* \*

اقْرَأْ عَلَيْنَا بِاسْمِ رَبِّكَ مَا تَيَسَّرَ يَا بِلَالْ الشَّمْسُ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ وَنَحْنُ فِي وَقْدِ الطَّهِيرَةِ كَمْ نَتُوقُ إِلَى الظِّلَالْ الْظُلْلَالُ الْقُوسَكَ الظِّلَالُ الْظُلْلَالُ الْقَوْسَكَ الظِّلَالُ الْقَوْسَكَ لَا تَطِيشُ بِهَا النِّبَالُ لَا تَطِيشُ بِهَا النِّبَالُ كَمْ ذَا سَأَلْتُ فَلَمْ يُجِيبُوا كَمْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُولَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِقُولُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِقُولُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُولُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِقُولُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِقُولُ اللَّهُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلِقُولُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُولُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِقُولُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِقُولُ اللْمُؤْلِقُولُ اللْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِقُولُ اللْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ اللْمُؤْلِقُولُ اللْمُؤْلُولُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلِقُولُ اللْمُؤْلُولُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلُولُ

كُنْ بِاسْمِ رَبِّكَ قَلْعَةً لِلْخَائِفِينَ وَمَنْهَلًا لِلظَّامِئِينَ وَكُنْ رَصَاصًا كُنْ قَصَاصًا كُنْ جُذُورًا كُنْ طُيُورًا كُنْ جَذُورًا كُنْ طُيُورًا كُنْ كَمَا شَاءَتْ لَكَ «الْأَعْرَافُ» فِي الزَّمَنِ الْعَجِينْ (١)

\* \* \*

يَا أَيُّهَا الْجِيلُ الْجَدِيدُ
وَقَفْتُ مُنْدَهِشًا عَلَى عَتَبَاتِ خُطُوتِكَ الْجَدِيدَهُ
وَقَرَأْتُ نَبْضَكَ وَانْطَلَقْتُ بِلَا عِنَانْ
مِنْ سُورَةِ «الْإِسْرَاءِ» جِعْتَ وَمِنْ نَقَاءِ «الْفَجْرِ»
وَالسَّبْعِ الْمُتَانِي
وَالسَّبْعِ الْمُتَانِي
وَرَأَيْتَ مِنْ خَلْفِ الدُّحَانِ وَجُوهَهُمْ
وَرَأَيْتَ مِنْ خُومَكُ وَالْهَجِيرَ وَحُمَلْتَ جُرْحَكَ وَالْهَجِيرَ وَحَمَلْتَ جُرْحَكَ وَالْعَبِيرَ وَحَمَلْتُهُ أَغْرِبَةُ الزَّمَانِ (٢٠)
فَمَا الَّذِي حَمَلْتُهُ أَغْرِبَةُ الزَّمَانِ (٢٠)
ويقول في قصيدته «حكاية نسر» (٣٠):

وَدُ أَصَابِ النَّسْرَ الَّذِي قَدْ أَصَابَهْ فَدَعِ الْيَالْسَ مَرَّةً وَالْكَآبَـهُ لا تُفَجِّرُ فِي النَّسْرِ شَوْقَ الْأَعَالِي فَلَقَدْ تَقْتُلُ النُّسُورَ الصَّبَابَهُ

<sup>(</sup>١) عجن فلال عجنًا: ينهض معتمدًا بيديه على الأرض كِبَرًا. أعجن: شاخ وأسن. العجين: المس، المخنث، الأحمق.

<sup>(</sup>٢) قصيدة «جيل الصحوة» من ديوان «إنها الصحوة»، لمحمود مفلح.

<sup>(</sup>٣) ديوان «نقوش إسلامية على الحجر الفلسطيني»، شعر: محمود مفلح.

لَا تَلُمْهُ فَالنَّوْمُ أَثْقَلَ جَفَنَيْ لِهِ وَأَرْخَى عَلَى الْنُسَى أَهْدَابَهُ وَعُلُمْهُ فَالنَّهِ الصَّلَابَةُ وَعُهُ فِي مُقْلَتَيْهِ الصَّلَابَةُ

\* \* \*

إِنَّ هُوجَ الرِّيَاحِ تَمْضُغُ سَاقَيْ ظُلَّ دَهْرًا يُصَارِعُ الْمُوْتَ فَرْدًا وَذِنَابُ الدُّجَى تُسَاوِرُ فَرْخَيْ وَالْأَلِدَّاءُ (١) يَسْبِصِبُونَ الْنَايَا وَالْأَلِدَّاءُ مَالَتْ عَلَيْهِ بِنْتُ اللَّيَالِي ثُمَّ مَالَتْ عَلَيْهِ بِنْتُ اللَّيَالِي وَإِذَا النَّسُرُ فِي الْقَصَائِدِ يَسْمُو وَإِذَا النَّسُرُ فِي الْقَصَائِدِ يَسْمُو دَجَّنُوهُ فَلَمْ يُخَادِرُ فِينَاءً صَار يَلْهُو مَعَ الْعَصَافِيرِ حَتَّى رَكَلَتْهُ فَلَمْ يُحَرِّكُ جَنَاحًا رَكَلَتْهُ فَلَمْ يُحَرِّكُ جَنَاحًا

بهِ وَيَشْوِي هَجِيرُهَا أَعْصَابَهُ وَالْفَافِيشُ حَوْلَهُ صَحَّابَهُ مِ وَتَلْوِي عَنِ الصَّعُودِ رِكَابَهُ قَدْ تَدَاعَوْا مِنْ كُلِّ جُحْرٍ وَغَابَهُ فَإِذَا خَصْمُهُ الْعَنِيدُ ذُبَابَهُ فَإِذَا خَصْمُهُ الْعَنِيدُ ذُبَابَهُ وَالْفَصَاءُ الرَّحِيبُ يَبْكِي غِيَابَهُ وَأَسَالُوا لِلْمُغْرِيَاتِ لُعَابَهُ وَأَسَالُوا لِلْمُغْرِيَاتِ لُعَابَهُ لَمُ خَيِدً فِيهِ سَطْوَةً أَوْ مَهَابَهُ لَمُ خَيِدً فِيهِ سَطْوَةً أَوْ مَهَابَهُ وَاسْتَبَدَّتُ بِهِ فَغَضَ جَنَابَهُ وَاسْتَبَدَّتْ بِهِ فَغَضَ جَنَابَهُ وَاسْتَبَدَّتْ بِهِ فَغَضَ جَنَابَهُ وَاسْتَبَدَّتْ بِهِ فَغَضَ جَنَابَهُ

\* \* \*

أَيُّ نَسْرِ هَذَا الَّذِي يَلْعَقُ التُّرُ أَيُّ نَسْرِ هَذَا الَّذِي نَسِيَ الْوَثْ يَفْقِدُ اللَّبَّ حِينَما يَسْمَعُ الصَّوْ كَادَ يَنْسَى مِنْ كَثْرَةِ الزَّحْفِ أَفْقًا وَغَفَا مَرَّةً فَضَجَّتْ حوالَيْ بَقِيَتْ هَكَذَا وَلِلنَّسْرِ زَفْرٌ

بَ وَيَحْسُو مِنَ الْأَكُفِّ شَرَابَهْ؟

بَ وَضَاقَتْ بِمُقْلَتَيْهِ الرَّحَابَهُ؟

تَ وَيَدْنُو إِنْ أَوْمَأَتْ سَبَّابَهْ
عَبْقَرِيًّا وَكَادَ يَنْسَى عُبَابَهُ

هِ بُغَاتُ (٢) وَبَعَشَرَتْ أَسْلابَهُ
فَوْقَ صَحْر لَوْ مَسَّهُ لأَذَابَهُ

 <sup>(</sup>١) الألداء: جمع الألد؛ وهو: شديد الخصومة، الجدل: الشحيح الذي لا يزيغ إلى الحق.
 (٢) بَغاث الطير، وبُغاثها: ألائمها، وشرارها، وما لا يصيدُ منها، جمع بُغاثة.

وَصَحَا النَّسْرُ حِينَ مَرَّتْ عَلَيْه أَيْنَ أَيَّامُكَ الْعِتَاقُ وَأَيْنَ الْ مَجْدُ يُلْقِي عَلَى خُطَاكَ إِهَابَهُ؟ أَيْنَ يَا نَسْرُ عُنْفُوانَكَ بِالْأُمِ

غَيْمَةُ عَالَبَتْهُ هَزَّتْ عِتَابَهُ س وَمَرْمَى نُجُومِكَ الْوَقَابَهُ!؟

نَشَقَ الْأُفْقَ فَالْكَوَاكِبُ سَكْرَى حرَّكَ النَّسْرُ جَانِحَيْهِ وَدَوَّى فَسَوارتْ عَس الْعُسُون وَلَاذَتْ ثُمَّ شَقَّ السَّمَاءَ بِالْقَفْزَةِ الْكُبُ

إِنَّ لِـلْأُفْـق نَـكْـهَـةً جَـذَّابَـهُ في سَمَاءِ غِرْبَانُهَا جَوَّابَهُ وَتَـوَارَتْ أَيَّامُهَا الْكَـذَّابَـهُ رَى جَرِيئًا مُحَطِّمًا أَعْتَابَهُ وَاعْتَلَى صَهْوَةَ الرِّيَاحِ وَمَاجَتْ بَنْيَ عَيْنَيهِ قِيمَةٌ خَارَّبَهُ

#### \* \* \*

### وللفرسان أشدو

## سأشدو لكم:

... سأشدُوا!

... وشَدْوي... أعاصيرُ رَفْضٍ؛ ونارٌ تدورُ! على كلِّ صوتٍ بُجُرْحي يُسلى فراغ الصدور ويسرق مِن غضبةِ الثَّار، بركانَ حقدٍ يفورْ! ويمرقُ كالإثم... يحجُبُ عنى أذانَ المصير... ويُغري يَدِي عن رَحيق الفِداءِ! وشؤقِ الدماءِ، وعصف البنادقُ..! وشِريانها يَسْتَرِدُ الكرامةَ من كل باغ!

.. ومِن كل سارقْ..!
ويَلْغُو بوهمي،
وهيهاتَ يُصغي ضياعي وحُزني!
لأشلابِ صيتِ،
صداهُ زوالٌ على كلِّ أُذْنِ!
... فمعركتي...
وصوتِ النشيد، وصوت الوجودِ،
وفوق الحياةِ، وفوق المماتِ...
صداها يُدَوِّي بصوتِ القَدَرُ!

... سأشدو لكم...

وشَدْوِي مناجلُ مجنونةٌ بحصاد الهَشيمُ!

تُعَرِّي الجراح...

لتشتلُّ منها قشورَ الرِّياء،

وزَيْفَ العصورْ!

وتهْتكَ ما بَرْقَعَتْهُ عليْها،

وما كفُّنْتُه بَغايا الستورْ!

وما سَمَّرَتْهُ نعوش الحَقيقةِ،

في دَرْبها مِن ظلامٍ، وزُورْ!!<sup>(١)</sup>

<sup>\* \* \*</sup> 

<sup>(</sup>١) «سأشدو لكم»، لمحمود حسن إسماعيل ص (١٥٣٩، ١٥٤٠) من الأعمال الشعرية الكاملة، لمحمود حسن إسماعيل.

## رفيق صلاح الدين هل لك عودة

زَمَانُكَ بُسْتَانٌ وعْصُرُكَ أَخْصَرُ دَخَلْتَ عَلَى تَارِيخِنَا ذَاتَ لَيْلَةٍ وَكُنْتَ فَكَانَتْ فِي الْحُقُولِ سَنَابِلْ لَمْسَتَ أَمَانِينَا فَلَصَارَتْ جَدَاولًا تَأْخُرْتَ عَنْ نَقْعِ الْوَغَى يَا حَبِيبَنَا سَهدْنَا وَفَكَّرْنَا وَشَاخَتْ دُمُوعُنَا تُعاودُنِي ذِكْرَاكَ كُلَّ عَشِيَّةٍ وَتَأْبَى جِرَاحِي أَنْ تَضُمَّ شِفَاهَهَا تأخُّرْتَ يَا أَغْلَى الرِّجَالِ فَلَيْلُنَا تَأْخُرْتَ فَالسَّاعَاتُ تَأْكُلُ نَفْسَهَا أَتَسْأَلُ عنْ أَعْمَارِنَا أَنْتَ عُمْرُنَا وَأَنْتَ أَبُو الْعَمَرَاتِ أَنْتَ وَقُودُهَا تَأَخَّرْتَ عَنَّا فَالْجِيادُ حَزِينَةٌ حِصَانُكَ في سَيْنَاءَ يَشْرَبُ دَمْعَهُ وَرَايَاتُكَ الْخُصْرَاءُ تَمْضُعُ دَرْبَهَا نِسَاءُ فِلْسُطِينِ تَكَحَّلْنَ بِالْأَسَى وَلَيْمُونُ يَافَا يَابِسٌ في حُقُولِهِ رَفِيقَ صَلَاحِ الدِّينِ هَلْ لَكَ عَوْدَةٌ رِفَاقُكَ فِي الْأَغْوَارِ شَدُّوا سُرُوجَهُمْ

وَذِكْرَاكَ عُصْفُورٌ مِنَ الْقَلْبِ يَنْقُرُ فَرَائِحَةُ التَّارِيخِ مِسْكٌ وَعَنْبَوُ وَكَانَتْ عَصَافِيرٌ وَكَانَ صُنُوبَهُ وَأَمْطُوتَنا حُبًّا وَلَا زَلْتَ تُمْطِرُ وَمَا كَنْتَ عَنْ نَقْعِ الْوَغَى تَتَأْخُرُ وَشَابَتْ لَيَالِينَا وَمَا كُنْتَ تُحْضُرُ وَيُورِقُ فِكْـرِي حِينَ فِيكَ أُفَكِّـرُ كَأَنَّ جِرَاحَ الْحُبِّ لا تَتَخَتَّوُ (١) طَويلٌ وأَضْوَاءُ الْقَنَادِيلِ تَسْهَرُ وَأَيَّامُنَا في بَعْضِها تَتَعَشُّرُ وَأَنْتَ لَنَا الْآمَالُ أَنْتَ أَنْحُرُدُ وَأَنْتَ انْبِعَاثُ الدِّينِ أَنْتَ التَّغَيُّرُ وَسَيْفُكَ مِنْ أَشْوَاقِهِ كَادَ يُنْحَرُ وَيَا لِعَذَابِ الْحَيْلِ إِذْ تَتَذَكَّرُ وَعِنْدَكَ آمَالُ النُّغُورِ تُقصَّرُ وَفِي بَيْتِ خُم قَاصِرَاتٌ وَقُصَّرُ وَهَلْ شَجَرٌ في قَبْضَةِ الظُّلْمِ يُزْهِرُ فَإِنَّ جُيُوشَ الرَّوم تَنْهَى وَتَأْمُرُ وَجُنْدُكَ في حِطِّينَ صَلَّوْا وَكَبَّرُوا

<sup>(</sup>١) لا تتخثر: لا تلتثم بسرعة.

تُعَنِّي بِكَ الدُّنْيَا كَأَنَّكَ طَارِقٌ لَمَكَةٍ لَيَادِيكَ مِنْ شَوْقٍ مَآذِنُ مَكَةٍ وَيَبْكِيكَ مِنْ شَوْقٍ مَآذِنُ مَكَةٍ وَيَبْكِيكَ صَفْصَافُ الشَّآمِ وَوَرْدُهَا تَعَالَى إِلَيْنَا فَالْمُرُوءَاتُ أَطْرَقَتْ هُزِمْنَا وَمَا زِلْنَا شَتَاتَ قَبَائِلٍ هُزِمْنَا وَمَا زِلْنَا شَتَاتَ قَبَائِلٍ يُحَاصِرُنَا كَالْوُتِ بِلْيُونُ كَافِرٍ يُحْمَا وَلَيْهِ مَوَاجِعي يُحَاصِرُنَا كَالْوُتِ بِلْيُونُ كَافِرٍ أَنَا فَارِسًا أَشْكُو إِلَيْهِ مَوَاجِعي أَيَا فَارِسًا أَشْكُو إِلَيْهِ مَوَاجِعي أَنَا شَجَرُ الْأَحْزانِ أَنْزِفُ دَائِمًا أَنَا شَجَرُ الْأَحْزانِ أَنْزِفُ دَائِمًا وَأَصْرُخُ يَا أَرْضَ الْمُوءَاتِ إِحْبَلِي

عَلَى بَرَكَاتِ اللهِ يَرْسُو وَيُبْحِرُ وَتَبْكِيكَ بَدْرٌ يَا حَبِيبِي وَخَيْبَرُ وَتَبْكِيكَ بَدْرٌ يَا حَبِيبِي وَخَيْبَرُ وَيَبْكِيكَ زَهْرُ الْغُوطَتَيْنِ وَتَدْمُرُ وَيَبْكِيكَ زَهْرُ الْغُوطَتِيْنِ وَتَدْمُرُ وَمَوْطِنُ آبَائِي زُجَاجٌ مُكَسَّرُ تَعِيشُ عَلَى الْحِقْدِ الدَّفِينِ وَتَزْأَرُ فَفِي النَّرْبِ «قَيْصَرُ» فَفِي النَّرْبِ «قَيْصَرُ» فَفِي النَّرْبِ «قَيْصَرُ» فَفِي النَّرْبِ «قَيْصَرُ» وَفِي الْغَرْبِ «قَيْصَرُ» وَمِثْلِي لَهُ عُذْرٌ وَمِثْلُكَ يَعْذُرُ وَمِثْلِي لَهُ عُذْرٌ وَمِثْلُكَ يَعْذُرُ وَمِثْلُكَ يَعْذُرُ وَمِثْلُكَ يَعْذُرُ وَمِثْلُكَ يَعْذُرُ لَكُو النَّرْبُ وَمِثْلُكَ يَعْذُرُ لَكُو اللَّانُوارِ أَعْطِي وَأُثْمِرُ لَوَفِي النَّرْبُ مَلَاحًا ثَانِيًا سَوْفَ يَظْهِرُ لَعَلَى مَلَاحًا ثَانِيًا سَوْفَ يَظْهِرُ لَعَلَى مَلَاحًا ثَانِيًا سَوْفَ يَظْهِرُ

\* \* \*

☐ إلى الصابرين المتطلّعين إلى فجر الإسلام الآتي: سأشدو لكم..

> وأُشعلُ بالحرفِ أشواقكمْ وأعصر في الشدو أيامَكمْ وأمتص منكْم رَمادَ الظلام

وامتص منكم رَمادُ الظلامِ وأسقيه نورًا لأحلامكم..

وأعزِف ما عِشتُ للحائرينَ وللواقفينَ على بابِكمْ..

\* \* \*

..سأشدو لكمْ وأسقى العطاش بأكوابكمْ..

وأسْتَلُّ من سَكراتِ الظلام شُعاعاً يغنّي لأسرابكم.. فلى روضة إن دهاها الخريفُ ربيعي على صدرها كل حين ولي رشفةٌ من رحيق عميق بساتينه عطرُها لا يحينُ من الروح للروح يجري شذاهُ وتنهلُّ أنهاره في الجبينْ.. ولي قدرٌ في دمي ناغمٌ تلاغيه إصغاءةُ العابرينْ.. عبرتُ الوجود بلا أي فُلْكِ ولا أي موج يناجي السفينُ سأشدو لكم.. وأشعل بالحرف أشواقكم وأعصر في الشدو أيامَكمْ.. وأسكُّبها في دم الحائرين صلاة لفجر قريب لكم..

\* \* \*

فهيا نغني على دربه.. لتشرّب نجواهُ أبصاركم.. وهيا نشد إليه الزمامَ

ليخضِّرَ للروح بستانكمْ.. وتدنو لكم يانعاتُ الثمارِ قطوفاً.. قطوفاً لأطياركم ولا تبقى تأويهةٌ للحيارى تنغض بالسخط أيامكم

\* \* \*

أصيخوا فإنّى لكُم رافضٌ إذا لم تردوا إلى الجبين.. فقد ضاعَ وجهي .. في غفلة وضاع الغناءُ وضاعَ الرنينْ.. وقلبتُ غيبي في كُلِّ أفق لعلى أعودُ مع العائدينْ.. لعلى أرى الأرضَ ألقتْ كراهَا ودبت بها صحوة النائمين.. لعلُّ الأسى في اختلاج الوجوهِ تشبُّ القيامة في الراقدينْ.. لعل المنادي يهزُّ الدروب ويسقى خطاها لظى الغاضبين.. لعلى أرى فوقَهَا كلُّ شيءٍ حصادَ انتقام وسُخط دفينُ!! لعلى أرى سجدات السماء

عليها أعادت شذى المرسلين وردت عبيرًا سحقنا رياه ودسناهٔ قبل خُطا المجرمين!! لعلي أرى كلَّ شيء إباء ورفضًا لهذا الوجود المهين!! سأشدو لكم..

وتشدو معي ذكرياتُ الضياءُ ويشدو الساءُ ويشدو الصباح ويشدو الساءُ ويشدو الضمير ويشدو المصير ويشدو المصير ويشدو لقاءً مع النور فاتْ ويشدو لقاء بكفيه آت..

ويشدوة صحو ويشدو سباتٍ وتشدو المعاركُ والتضحياتُ.. وتشدو المناراتُ والمعجزات وتفنى الأباطيلُ والترهات..

ضممتم خطاكم .. فسار الضياء ومدَّ على كل أرض سماء.. وفرقتموها فحاق الظلام وصرتُم نداماهُ تَحت الخيام.. وكنتم مع النور مَوجَ الطريق فصرتم بلاهُ لُهاتَ الغريق

وكم قال والحق فيه نشيد وأنتم لما لم يَقُلُهُ عبيد فقال: اتبعوني أزدكم ضياءً فَدُرْتُم نشاوى بخمر الرياء أديروا على النور أقداحكم تروا آية النور تمحو الغروب وتشرق في كل وجه سلامًا وعدلاً ورؤيا وجود خصيب

\* \* \*

... وماذا أنا ... إن أَطَلُّ الضياءُ ولم يلق في الأفق تسبيح جفني!! ولم يلق في انعتاقِ الصباحِ وإيماضهُ في حشاشاتِ لحني!! ولم يلق فِيَّ المدى مستمرًّا ولم يلق فِيَّ المدى مستمرًّا إلى الشمس يعرفُ منها لكوني!! وماذا أنا ... إن عَبرتُ الوجود أناديه... أين الذي ضاع مِنِّي؟ ولابد ... وجهي لوجهي يعود ولو خطفته أساطيرُ جنِّ!! ولو خطفته أساطيرُ جنِّ!!

وأشعِلُ فيها ضرامَ التحرُّكِ من عارها الخامد المطمئن " وأضرى بها نشوة الناظرين ليوم ضحاهُ أهاويلُ جن. ... فلابدُّ من غضبةٍ نارها تردُّ الذي ضاع منكم ومني!! ولابد أمْسِي ليومي يعود!! ويأتى غدي عاتيًا في الصعود ومهما استبد عويل الظلام وَغَطُّ بجنبيه خزيُ النيام فللفجر شوقٌ لأبوابكم وللثأر دقٌّ بأعتابكم فأصغوا بنار الليالي إليَّ ولن يهدأ الحرف في راحتيّ إذا لم يعد لي جبيني الأبئ!! وحتى تعودَ لوجهي سماهُ ويرجعَ للأفقِ عاتي ضحاهْ... ...سأشدو ...وأشدو لكم لا أملُ!! ولو ضاع ـ لا ضاع ـ باقى الأجلْ!!(١)

<sup>\* \* \*</sup> 

<sup>(</sup>١) من قصيدة «سأشدو لكم»، لمحمود حسن إسماعيل، بتصرف.

## أمل ... أمل ... أمل

وجودي أمَلْ وعمري أمَل وكل حياتى أَمَلْ ومهما تكن خافياتُ الأجلْ فإنى أملْ ودرب جديد لشطِّ الأمل فلو هاجت الريخ كنتُ لموجى شْراعَ السفينُ ولۇ زمجرَ المۇمج كنتُ ضِفاف السكونْ ولو ذُبِلَتْ زهرتي في شعاب الجبلْ فربي سيخْلقُ منها الأمل يُجدِّدها روضةً يانعهُ وينسخها جنةً رائعهُ

\* \* \*

خُلِقْتُ لأنسِجَ من كل موتٍ حياة ومن كل أمسٍ غدًا واثبًا في خطاة ومن كلِّ ليلٍ ضياءً ومن كلِّ ليلٍ ضياءً ومن كلِّ دَمْعِ صفاءً في الحريفُ فإنْ شجري قطعته أيادي الحريفُ

ربيعي سيحيه غضَّ القُطوفْ
... وإنْ زهري أسقطته الرياحْ
سيأتي مع العطر عند الصباحْ
ولو مزَّق الشوكُ أحلام قلبي
فحبي وإيمانُ قلبي وروحي
يذيبان جمرَ الأسى من جروحي!!
سأفضي بدربي إلى كلِّ فجُّ
سأفضي بدربي إلى كلِّ فجُّ
ومهما بروضي غصنٌ ذَبَلْ
ومعما بروضي غصنٌ ذَبَلْ
وجودي أملْ
وعمري أملْ
وكل حياتي أملْ(١)

\* \* \*

<sup>(</sup>١) قصيدة «أمل»، لمحمود حسن إسماعيل ص (١٤٧٣ - ١٤٧٥)، من الأعمال الشعرية الكاملة له.



## فضل الجهاد والترغيب فيه والترهيب من تركه في القرآن الكريم

هذه آيات من كتاب الله المجيد «القرآن الكريم».. وكلامُ الملوكِ ملوكُ الكلامِ. وهذه آيات تتحدث عن ذروة السنام «وهو الجهاد»، والترغيب فيه، والحض عليه، والترهيب من التقاعس عنه، والتثاقل إلى الأرض.. وفيها بيان فضل الجهاد:

ال قال - تعالى -: ﴿ يَكَأَيُّهُا اللَّذِينَ ءَ مَنُوا مَن يَرْتَذَ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِى اللَّهُ بِقَوْمِ اللَّهِ مَن مُكُمِّمُ وَيُحِيُّونَهُ وَلَا يَعَافُونَ اللَّهِ وَلَا يَعَافُونَ لَجُهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَعَافُونَ لَجُهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَعَافُونَ لَحَمَّةُ وَاللَّهُ وَسِعٌ عَلِيمٌ ﴿ قَلْهَ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ ﴿ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ ﴿ وَاللَّهُ وَالللَّهُ وَاللَّهُ وَاللّهُ وَاللّه

قال ابن جرير الطبري شيخ المفسرين: «يقول ـ تَعَالَى ذكره ـ للمؤمنين باللَّه وبرسوله، وأقروا بما جاء به نبيهم محمد ﷺ.

وَمَن يَرْتَدَ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَي الكفر، إما في اليهودية أو النصرانية أو غير ذلك من اليوم، فيبدّله ويغيره بدخوله في الكفر، إما في اليهودية أو النصرانية أو غير ذلك من صنوف الكفر فلن يضر الله شيئًا، وسيأتي الله بقوم ويُحِبُّهُم ويُحِبُونَهُ ويُحِبُونَهُ ويقول: فسوف يجيء الله بدلًا منهم بالمؤمنين الذين لم يبدلوا ولم يغيروا ولم يرتدوا، بقوم خير من الذين ارتدوا وبدلوا دينهم، يحبهم الله، ويحبون الله. وكان هذا الوعيد من الله لمن سبق في علمه أنه سيرتد بعد وفاة نبيه محمد وكلا وكذلك وعده مَنْ وعَدَ من المؤمنين ما وعده في هذه الآية لمن سبق له في علمه أنه لا يبدل ولا يغير دينه ولا يرتد. فلما قبض الله نبيه على ارتد أقوام من أهل الوبر وبعض أهل المدر، وأبدل الله المؤمنين بخير منهم كما قال ـ تَعَالَى ذكره ـ ووقى للمؤمنين، وأنفذ فيمن أبدل الله المؤمنين بخير منهم كما قال ـ تَعَالَى ذكره ـ ووقى للمؤمنين، وأنفذ فيمن

ارتد منهم وعيده (١١).

«ثم اختلف أهل التأويل في أعيان القوم الذين أتى الله بهم المؤمنين، وأبدل المؤمنين مكان من ارتد منهم؛ فقال بعضهم: هو أبو بكر الصديق وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة حتى أدخلوهم من الباب الذي خرجوا منه»(٢) وممن قال بذلك: الحسن، والضحاك، وقتادة، وابن جريج.

«وقال آخرون: يعني بذلك قومًا من أهل اليمن، وقال بعض من قال ذلك منهم: هم رهط أبي موسى الأشعري عبدالله بن قيس»(٣)، وممن قال بذلك عياض الأشعري، ومجاهد محمد بن كعب القرظي.

ثم قال ابن جرير: «وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب ما رُوي به الخبر عن رسول الله على أنهم أهل اليمن قوم أبي موسى الأشعري، ولولا الخبر الذي روي في ذلك عن رسول الله على بالخبر الذي رُوي عنه ما كان القول عندي في ذلك إلا قول من قال: هم أبو بكر وأصحابه، وذلك أنه لم يقاتل قومًا كانوا أظهروا الإسلام على عهد رسول الله على ثم ارتدوا على أعقابهم كفارًا غير أبي بكر ومن كان معه ممن قاتل أهل الردة بعد رسول الله على أن كان على معدن البيان عن تأويل ما أنزل الله من وحيه وآى كتابه (٤).

ثم قال عن أهل اليمن: «جاء بهم على عهد عمر، فكان موقعهم من الإسلام وأهله أحسن موقع، وكانوا أعوان أهل الإسلام، وأنفع لهم ممن كان ارتد بعد رسول الله على من طغام الأعراب وجفاة أهل البوادي الذين كانوا على أهل

<sup>(</sup>١) تفسير ابن جرير (١٨٢/٦).

<sup>(</sup>٢) المصدر السابق (١٨٢/٦).

<sup>(</sup>٣) المصدر السابق (١٨٣/٦).

<sup>(</sup>٤) المصدر السابق (١٨٤/٦، ١٨٥).

الإسلام كَلَّ لا نفعًا»(١).

قال القرطبي: «قال الحسن وقتادة وغيرهما: نزلت في أبي بكر الصديق وأصحابه.. وقيل: هي إشارة إلى قوم لم يكونوا موجودين في ذلك الوقت، وأن أبا بكر قاتل أهل الردَّة بقوم لم يكونوا وقت نزول الآية، وهم أحياء من اليمن؛ من كندة وبجيلة، ومن أشجع. وقيل: إنها نزلت في الأشعريين، ففي الخبر أنها لما نزلت قيم بعد ذلك بيسير سفائن الأشعريين، وقبائل اليمن من طريق البحر، فكان لهم بلاء في الإسلام في زمن رسول اللَّه عَلَيْ، وكانت عَامَة فتوح العراق في زمن عمر بن الخطاب على يدي قبائل اليمن، وهذا أصح ما قيل في نزولها. واللَّه أعلم.»(٢).

ويقول ابن كثير: «يقول ـ تَعَالَى ـ مخبرًا عن قدرته العظيمة: أنه من تولى عن نصرة دينه وإقامة شريعته، فإن الله يستبدل من هو خير لها منه؛ وأشد منعة، وأقوم سبيلًا، كما قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوا لَا يَسَبَدِلْ فَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يكُونُوا أَمْثُلُكُم ﴾ [محمد: ٣٠]، وقال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ إِن يَشَأَ يُذَهِبَكُم أَيُّهَا النّاسُ وَيَأْتِ بِعَلْقِ بِعَاخِينَ ﴾ [النساء: ٣٣]، وقال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ إِن يَشَأَ يُذَهِبَكُم وَيَأْتِ بِعَلْقِ بِعَاخِينَ ﴾ وقال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ إِن يَشَأَ يُذَهِبَكُم وَيَأْتِ بِعَلْقِ بِعَلِينِ فَا الله بِعَزِينٍ ﴿ إِن يَشَأَ يُذَهِبَكُم وَيَأْتِ بِعَلْقِ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى الله بِعَزِينٍ ﴾ [إبراهيم: ١٩، ٢٠]؛أي: بممتنع ولا صعب. وقال ـ تَعَالَى ـ ها هنا: ﴿ يَتَأَيُّهُا الّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَ مِنكُمْ عَن دِينِهِ ﴾ أي: يرجع عن الحق إلى الباطل» (٣).

عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: لما نزلت ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمِ يُحِبُّهُمْ وَلَيْ اللَّهُ يَقُومِ يُحِبُّهُمْ وَلَمُ هذا» (٤).

<sup>(</sup>١) تفسير الطبري (١٨٥/٦). (٢) تفسير القرطبي (٢٢١٧/٤).

<sup>(</sup>٣) تفسير ابن كثير (٢٥٨/٥، ٢٥٩)، طبعة أولاد الشيخ.

<sup>(</sup>٤) إسناده صحيح: رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١١٦٠/٤) (١٥٣٥)، وابن جرير في «تفسيره» (١١٥/١) (١١٥/١) (١٢١٨٩) (١٢١٨٩)، وابن سعد في الطبقات (١٠/١٨)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٢٣/١) وفي «مسده» (٦٦٤)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٥١٥).

عن جابر بن عبدالله و رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وقال: «سُئِل رسول اللَّه ﷺ عن قوله: ﴿ فَسَوَّفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمِ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُونَهُ ﴾ [المائدة: ٥٤]قال: هؤلاء قوم من أهل اليمن، ثم من كندة، ثم من السكون، ثم من تجيب»(١).

ثم وصف الله. ثم يحبهم ويحبونه من سادات أولياء اللَّه ﷺ ﴿أَذِلَةٍ عَلَى اللَّهُ عَجَلَاتُ: ﴿أَذِلَةٍ عَلَى اللَّهُ عَلَى الكَّفِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥٤].

قال ابن جرير: «أرقاء عليهم، رحماء بهم، ويعني بقوله: ﴿ أَعِزَةٍ عَلَى ٱلْكَفِرِينَ ﴾ أشداء عليهم، غلظاء بهم».

عن على بن أبي طالب «أهل رقة على أهل دينهم، أعزة على الكافرين، أهل غلظة على من خالفهم في دينهم».

وقال ابن عباس: يعنى بالذلة: الرحمة(٢).

قال ابن كثير: ﴿ وَأَذِلَةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَةٍ عَلَى ٱلْكَفْرِينَ ﴾ [المائدة: ٥٥] هذه صفات المؤمنين الكُمَّل؛ أن يكون أحدهم متواضعًا لأخيه ووليه، متعززًا على خصمه وعدوه، كما قال - تَعَالَى -: ﴿ يُّكَمَّدُ لَيُسُولُ اللَّهِ وَٱلَذِينَ مَعَهُم أَسِدَاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُم ﴾ [الفتح: ٢٩]، وفي صفة رسول الله ﷺ: أنه الضحوك القتال، فهو ضحوك لأوليائه، قتَّال لأعدائه ﴾ (٣).

قال القرطبي: قال ابن عباس: «هم للمؤمنين كالوالد للولد، والسيد للعبد، وهم في الغلظة على الكفار كالسبع على فريسته»(٤).

<sup>(</sup>١) إسناده حسن: رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١١٦٠/٤) (٢٥٣٤)، والطبراني في «الأوسط» وإسناده (١٣٩٢)، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٩/٧)، وقال: رواه الطبراني في «الأوسط» وإسناده حسر، وَحَسَّنَهُ السيوطي في «الدر المنثور» (١٨/٢)، وزاد نسبته إلى الحاكم، وقال ابن كثير: غريب جدًّا.

<sup>(</sup>٢) تفسير الطبري (١٨٥/٦).

<sup>(</sup>٣) تفسير ابن كثير (٢٦٠/٥).

<sup>(</sup>٤) تفسير القرطبي (٢٢١٧/٤).

﴿ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَعَافُونَ لَوْمَةَ لَآبِعً ﴾ [المائدة: ٥٥].

قال ابن جرير: «يجاهدون في قتال أعداء الله على النحو الذي أمر الله بقتالهم والوجه الذي أذن لهم به، ويجاهدون عدوهم، فذلك مجاهدتهم في سبيل الله. ﴿ وَلَا يَخَفُونَ لَوَمَةَ لَآيِمٍ ﴾ [المائدة: ٤٥] يقول: ولا يخافون في ذات الله أحدًا، ولا يصدهم عن العمل بما أمرهم الله به من قتال عدوهم لومة لائم لهم في ذلك» (١٠ قال ابن كثير ﴿ يُجَهِدُونَ في سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَفُونَ لَوْمَةَ لَآيِمٍ ﴾ [المائدة: ٤٥]؟ أي: لا يردهم عما هم فيه من طاعة الله، وإقامة الحدود، وقتال أعدائه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يردهم عن ذلك راد، ولا يصدهم عنه صاد، ولا يحيك فيهم لوم لائم، ولا عذل عاذل» (١٠).

عن أبي ذر قال: أمرني خليلي ﷺ بحب المساكين، والدنوٌ منهم، وأمرني أن أنظر إلى من هو دوني، ولا أنظر إلى من هو فوقي، وأمرني أن أصل الرحم وإن أدبرت، وأمرني أن لا أسأل أحدًا شيئًا، وأمرني أن أقول الحق وإن كان مرًا، وأمرني أن لا أخاف في الله لومة لائم، وأمرني أن أكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنهن من كنز تحت العرش» (٣).

وعن أبي سعيد الخدري في قال: قال رسول الله في «ألا لا يمنعن أحدكم رهبة الناس أن يقول بحق إذا رآه أو شهده، فإنه لا يقرّب من أجل، ولا يباعد من رزق أن يقول بحق، أو أن يذكر بعظم» (٤٠).

<sup>(</sup>١) تفسير الطبري (٦/٥٨٦، ١٨٦).

<sup>(</sup>۲) تفسير ابن كثير (۲٦١/٥).

<sup>(</sup>٣) إسناده صحيح: رواه أحمد في «مسنده» (١٥٩/٥)، والنسائي في «الكبرى» (١٠١٨٦)، وفي «عمل اليوم والليلة» (٣٥٤)، والطبراني في «الأوسط» (٧٧٣٩)، وفي «الصغير» (٢٦٨/١)، والبيهقي في «الكبرى» (٩١/١٠)، وفي «الشعب» (٣٩٣٦)، وفي «الكبرى» (٩١/١٠).

<sup>(</sup>٤) صحيح: رواه أحمد «مسنده» (٥/٣، ٤٤، ٥٠، ٥٠، ٥٥، ٧١، ٨٧، ٩٢)، واللفظ له، وأبو يعلى في «مسنده» (١٤١١)، والطبراني في «الأوسط» (٢٨٠٤)، وعبد بن حميد في «مسنده» كما في=

قال القرطبي: «قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿ يُجَهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ في موضع الصفة ـ أيضًا ـ. ﴿ وَلَا يَعَافُونَ لَوْمَةَ لَآيِمٍ ﴾ [المائدة: ٤٥] بخلاف المنافقين يخافون الدوائر، فدلً بهذا على تثبيت إمامة أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ـ؟ لأنهم جاهدوا في اللّه وَ اللّه وَ حياة رسول اللّه وَ اللّه وَ الله وَ عَلَى اللّه وَ عَلَى الله وَ عَلَى الله وَ عَلَى الله وَ الله وَ الله وَ الله وَ الله وَ الله والله أعلم والله و

﴿ وَاللَّهُ فَضُلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآهُ ﴾ [المائدة: ٤٥] من خلقه؛ مِنَّة عليه وتطوُّلًا. ﴿ وَاللَّهُ حَوَاد بفضله على من جاد به عليه، لا يخاف نفاد خزائنه فيكف من عطائه، عليم بموضع جوده وعطائه، فلا يبذله إلا لمن استحقه، ولا يبذل لمن استحقه إلا على قدر المصلحة؛ لعلمه بموضع صلاحه له من موضع ضره (٢٠).

«هنا ـ في صفة العصبة المؤمنة المختارة لهذا الدين ـ يرد ذلك النص العجيب: ﴿ يُحِبُّهُم ۗ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [المائدة: ٤٥]، ويطلق شحنته كلها في هذا الجو، الذي يحتاج إليه القلب المؤمن، وهو يضطلع بهذا العبء الشاق شاعرًا أنه الاختيار والتفضل والقربي من المنعم الجليل.

ثم يمضي السياق يعرض بقية السمات: ﴿ أَذِلَةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٥٥].. وهي صفة مأخوذة من الطواعية واليسر واللين.. فالمؤمن ذلول للمؤمن.. غير

<sup>«</sup>المنتخب» من المسند (٨٦٩)، والطيالسي في «مسنده» (٢١٥١، ٢١٥٦، ٢١٥٨)، والترمذي في كتاب الفتن ـ باب ما جاء فيما أخبر السي ﷺ أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة، حديث (٢١٩١)، وابن ماجه (٤٠٠٧)، والحاكم (٤/٢٠٥)، وأبو يعلى (٢١٢١)، وابن حبان (٢٧٥، ٢٧٨)، والطبراني في «الحلية» (١٩٨٣)، وهالصغير» (٢٥٨/١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩٨/٣)، ومَسَحَّحَهُ الألباني في «الصحيحة» (١٦٨٨).

<sup>(</sup>١) تفسير القرطبي (٢٢١٧/٤).

<sup>(</sup>۲) تفسير الطبري (۱۸٦/٦).

عصيً عليه ولا صعب. هين لين.. ميسر مستجيب.. سمح ودود.. وهذه هي الذلة للمؤمنين.

وما في الذلة للمؤمنين من ذلة ولا مهانة، إنما هي الأخوة، ترفع الحواجز، وتزيل التكلف، وتخلط النفس بالنفس، فلا يبقى فيها ما يستعصي وما يحتجز دون الآخرين.

إن حساسية الفرد بذاته متحوصلة متحيزة هي التي تجعله شموسًا عصيًّا شحيحًا على أخيه. فأما حين يخلط نفسه بنفوس العصبة المؤمنة معه، فلن يجد فيها ما يمنعه وما يستعصي به.. وماذا يبقى له في نفسه دونهم، وقد اجتمعوا في الله إخوانًا؛ يحبهم ويحبونه، ويشيع هذا الحب العلوي بينهم ويتقاسمونه؟!

فيهم على الكافرين شِمَاسٌ وإِبَاءٌ واستعلاءٌ.. ولهذا الخصائص هنا موضع.. إنها ليست العزة للذات، ولا الاستعلاء للنفس. إنما هي العزة للعقيدة، والاستعلاء للراية التي يقفون تحتها في مواجهة الكافرين.

إنها الثقة بأن ما معهم هو الخير، وأن دورهم هو أن يطوعوا الآخرين للخير الذي معهم، لا أن يطوعوا الآخرين لأنفسهم، ولا أن يطوعوا أنفسهم للآخرين وما عند الآخرين.

ثم هي الثقة بغلبة دين الله دين الهوى؛ وبغلبة قوة الله على تلك القوى؛ وبغلبة حزب الله على أحزاب الجاهلية.. فهم الأعلون حتى وهم ينهزمون في بعض المعارك، في أثناء الطريق الطويل..

﴿ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوُمَةَ لَآبِمٍ ﴾ [المائدة: ٥٤]..

فالجهاد في سبيل الله؛ لإقرار منهج الله في الأرض، وإعلان سلطانه على البشر، وتحكيم شريعته في الحياة؛ لتحقيق الخير والصلاح والنماء للناس.. هي صفة العصبة المؤمنة التي يختارها الله؛ ليصنع بها في الأرض ما يريد.. وهم يجاهدون في سبيل

الله؛ لا في سبيل أنفسهم، ولا في سبيل قومهم؛ ولا في سبيل وطنهم؛ ولا في سبيل وطنهم؛ ولا في سبيل جنسهم.. في سبيل الله؛ لتحقيق منهج الله، وتقرير سلطانه، وتنفيذ شريعته، وقحقيق الخير للبشر عامة عن هذا الطريق.. وليس لهم في هذا الأمر شيء، وليس لأنفسهم من هذا حظ، إنما هو لله، وفي سبيل الله بلا شريك..

وهم ﴿ يُجَهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوُمَةَ لَآيِدٍ ﴾ [المائدة: ٤٥]..

وفيم الخوف من لوم الناس، وهم قد ضمنوا حب رب الناس؟ وفيم الوقوف عند مألوف الناس، وعرف الجيل، ومتعارف الجاهلية، وهم يتبعون سنة الله، ويعرضون منهج الله للحياة؟ إنما يخشى لوم الناس من يستمد مقاييسه وأحكامه من أهواء الناس؛ ومن يستمد عونه ومدده من عند الناس؛ أما من يرجع إلى موازين الله ومقاييسه وقيمه؛ ليجعلها تسيطر على أهواء الناس وشهواتهم وقيمهم؛ ومن يستمد قوته وعزته من قوة الله وعزته، فما يبالي ما يقول الناس وما يفعلون، كائنًا هؤلاء الناس ما كان، وكائنة «حضارة» هؤلاء الناس وعلمهم وثقافتهم ما تكون!

إننا نحسب حسابًا لما يقول الناس، ولما يفعل الناس، ولما يملك الناس، ولما يصطلح عليه الناس، ولما يتخذه الناس في واقع حياتهم من قيم واعتبارات وموازين. لأننا نغفل أو نسهو عن الأصل الذي يجب أن نرجع إليه في الوزن والقياس والتقويم.. إنه منهج الله وشريعته وحكمه.. فهو وحده الحق، وكل ما خالفه فهو باطل؛ ولو كان عرف ملايين الملايين، ولو أقرته الأجيال في عشرات القرون!

إنه ليست قيمة أي موضع، أو أي عرف، أو أي تقليد، أو أية قيمة.. أنه موجود، وأنه واقع، وأن ملايين البشر يعتنقونه، ويعيشون به، ويتخذونه قاعدة حياتهم. فهذا ميزان لا يعترف به التصور الإسلامي. إنما قيمة أي وضع، وأي عرف، وأي تقليد، وأية قيمة، أن يكون لها أصل في منهج الله، الذي منه وحده

تستمد القوانين»<sup>(۱)</sup>.

هذه سمة المؤمنين المختارين، وذلك فضل الله، يعطي عن سعة، ويعطي عن علم.. وما أوسع هذا العطاء؛ الذي يختار الله له من يشاء عن علم، وعن تقدير.

٢- قال - تَعَالَى -: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُ ٱلَّذِينَ يُقَنِتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ - صَفًا كَأَنَّهُ مَ
 بُنْيَنَ تُرْصُوصٌ ۞ [الصف: ٤].

«عن عبداللَّه بن سلام فَيُهُ قال: قعدنا نفر من أصحاب رسول اللَّه عَلَيْ فتذاكرنا، فقلنا: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى اللَّه لعملناه، فأنزل اللَّه ـ تَعَالَى ـ: فَسَنَامَ بِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَوَتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُو ٱلْعَزِيزُ ٱلْمَكِيمُ لَى يَتَأَيَّهُا ٱلَّذِينَ عَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ فَي [الصف: ١، ٢] قال عبداللَّه بن سلام: فقرأها علينا رسول اللَّه عَلَيْ (٢).

<sup>(</sup>١) في ظلال القرآن (٩٢٠، ٩٢٠).

<sup>(</sup>٢) إسناده صحيح: أخرجه الترمذي (٤١٢/٥) حديث (٣٣٠٩)، كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة الصف، وأخرجه الدارمي (٢٠٠/٢)، وابن حبان في «صحيحه» (الإحسان ـ ٤/١٠) حديث (٤٩٥٤)، والحاكم في «المستدرك» (٦٩/٢) وقال: حديث صحيح على شرط الشيحين ولم يخرحاه. ووافقه الذهبي، وأشار إليه الحافظ ابن حجر فقال: «إسناده صحيح قَلَّ أن وقع في المسلسلات مثله مع مزيد علوه» (فتح الباري) (٥٠٩/٨).

وأخرج الطبري ـ أيضًا ـ بسنده الحسن عن قتادة قوله: «ألم تر إلى صاحب البنيان كيف لا يحتلف أمره، وإن البنيان كيف لا يحب أن يختلف بنيانه، كذلك تبارك وتعالى لا يختلف أمره، وإن الله وصف المؤمنين في قتالهم وصفهم في صلاتهم، فعليهم بأمر الله فإنه عصمة لمن أخذ به»(١).

قال سعيد بن جبير: «كان رسول الله ﷺ لا يقاتل العدو إلا أن يصافهم، وهذا تعليم من الله للمؤمنين» (٢).

قال القرطبي: يصفون صفًّا؛ أي: يصفُّون أنفسهم صفًّا ـ ومعنى الآية: يحب من يثبت في الجهاد في سبيل اللَّه ويلزم مكانه كثبوت البناء»(٣).

وقال القاسمي: ﴿إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفَّا كَأَنَّهُم بُنْيَنُ مُرَّصُوصٌ ﴿ وَ اللّه لا يكون إلا عند خلوص النفس في محبة الله؛ إذ المرء إنما يحب كل ما يحب من دون اللّه لا يكون الله لنفسه. فأصل الشرك ومحبة الأنداد محبة النفس، فإذا سمح بالنفس، كان غير محب لنفسه، وإذا لم يحب نفسه فبالضرورة لم يحب شيئًا من الدنيا. وإذا كان بذله للنفس في اللّه وفي سبيله لا للنفس، كما قال: ترك الدنيا للدنيا، كانت محبة اللّه في قلبه راجحة على محبة كل شيء، فكان من الذين قال فيهم: ﴿وَالَّذِينَ اللّهُ فِي قلبه راجحة على محبة كل شيء، فكان من الذين قال فيهم: ﴿وَالَّذِينَ اللّهُ إِياهُم؛ لَقُولُهُ: ﴿ وَالْمَاتُدَةُ وَالْمَاتُهُ إِللّهُ إِياهُم؛ اللّهُ إِياهُم؛ لقوله: ﴿ يُمُيُّهُمْ وَيُعِبُونَهُ وَ اللّهُ إِياهُم؛ اللّه إياهُم؛ لقوله: ﴿ يُمُيُّهُمْ وَيُعِبُونَهُ ﴿ وَالمَاتَدة : ٤٥]. انتهى.

في ذكر هذه الآية عقيب مقت المخلف دليل على أن المقت قد تعلق بقول الذين وعدوا بالثبات في قتال الكفار، فلم يفوا. انتهى.

<sup>(</sup>١) التفسير الصحيح موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، للأستاذ الدكتور حكمت بن بشير بن ياسين (٤٨١/٤)، دار المآثر ـ المدينة السوية.

<sup>(</sup>٢) تفسير ابن كثير ـ مختصر تفسير ابن كثير، لهاني الحاج (٣٧/٣).

<sup>(</sup>٣) تفسير القرطبي (٦٠٦٠/٩).

وأيده الناصر من الوجهة البيانية بأن الأول كالبسطة العامة لهذه القصة (١٠) وقفة مع آيات سورة الصف:

﴿ يَكَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونِ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۞ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ۞ إِنَّ اللّهَ يُحِبُ الَّذِينَ يُقَتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ، صَفًا كَأَنَّهُم بُنْيَنُ مَرْصُوصٌ ۞ [الصف: ٢- ٤].

نقف أمام موضوعات شتى للحديث، والملاحظة، والعبرة.

نقف أولًا أمام النفس البشرية التي تلم بها لحظات الضعف الطارئة، فلا يعصمها منها إلا عون الله، وإلا التذكير الدائم، والتوجيه الدائم، والتربية الدائمة. فهؤلاء جماعة من المسلمين قيل في بعض الروايات: إنهم من المهاجرين الذين كانوا يتمنون أن يأذن الله لهم في القتال وهم في مكة من شدة الحماس والاندفاع. وكانوا يؤمرون بكف أيديهم وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ ﴾ [النساء: ٧٧] في المدينة في الوقت المناسب الذي قدره الله ﴿إِذَا فَرِيقُ مِنْهُمْ يَخْشُونَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللّهِ أَو أَشَد خَشْيَةً وَقَالُوا رَبّنا لِم كَنبّت عَلَيْنا اللهالله الله الله الله الله المسلمين في لؤلا أخَرَننا إلى الله؛ ليفعلوه، فلما أمروا بالجهاد للدينة كانوا يسألون عن أحب الأعمال إلى الله؛ ليفعلوه، فلما أمروا بالجهاد كرهوه!

وهذه الوقفة كفيلة بأن تفتح أعيننا على ضرورة الموالاة للنفس البشرية بالتقوية والتثبيت والتوجيه، وهي تواجه التكاليف الشاقة؛ لتستقيم في طريقها، وتتغلب على لحظات ضعفها، وتتطلع دائمًا إلى الأفق البعيد. كما تلهمنا أن نتواضع في طلب التكاليف وتمنيها ونحن في حالة العافية! فلعنا لا نقوى على ما نقترح على الله حين يكلفنا إياه! وهؤلاء جماعة من المسلمين الأوائل يضعفون ويقولون ما لا يفعلون؛ حتى يعاتبهم الله هذا العتاب الشديد، وينكر عليهم هذا الإنكار المخيف!

<sup>(</sup>١) محاسن التأويل، للقاسمي (١ ٧٨٢/١ - ٥٧٨٣)، طبعة عيسي الحلبي.

ونقف ثانية أمام حب الله للذين ﴿ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ مَهَا كَأَنَّهُ مِ بُنْيَكُنُّ مُرْصُوصٌ ﴾.

نقف أمام هذا الإغراء القوي العميق على القتال في سبيل الله.. وأول ما يسجل هنا أنه كان لمواجهة حالة تقاعس وتخلف وكراهية للقتال. ولكن هذا السبب الغريب في الحادث المحدود لا ينفي أن الحض عام، وأن وراءه حكمة دائمة. إن الإسلام لا يتشهي القتال، ولا يريده حبًّا فيه. ولكنه يفرضه؛ لأن الواقع يحتمه، ولأن الهدف الذي وراءه كبير. فالإسلام يواجه البشرية بالمنهج الإلهي في صورته الأخيرة المستقرة. وهذا المنهج ـ ولو أنه يلبي الفطرة المستقيمة ـ إلا أنه يكلف النفوس جهدًا لتسمو إلى مستواه، ولتستقر على هذا المستوى الرفيع.

وهناك قوى كثيرة في هذه الأرض لا تحب لهذا المنهج أن يستقر؛ لأنه يسلبها كثيرًا من الامتيازات، التي تستند إلى قيم باطلة زائفة، يحاربها هذا المنهج ويقضي عليها حين يستقر في حياة البشر. وهذه القوى تستغل ضعف النفوس عن البقاء في المستوى الإيماني وتكاليفه، كما تستغل جهل العقول، وموروثات الأجيال؛ لتعارض هذا المنهج، وتقف في طريقه. والشر عارم. والباطل متبجح. والشيطان لئيم!

ومن ثم يتعين على حملة الإيمان وحراس المنهج أن يكونوا أقوياء؛ ليغلبوا عملاء الشر وأعوان الشيطان. أقوياء في أخلاقهم، وأقوياء في قتال خصومهم على السواء. ويتعين عليهم أن يقاتلوا عندما يصبح القتال هو الأداة الوحيدة لضمان حرية الدعوة للمنهج الجديد، وحرية الاعتقاد به، وحرية العمل وفق نظامه المرسوم.

<sup>(</sup>١) أخرجه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي.

ومنهج الله في صورته الأخيرة التي جاء بها الإسلام هو الذي يتناسق مع ذلك الناموس، ويجعل الكون كله ـ والناس من ضمنه ـ يحكمون بشريعة الله. لا بشريعة يضعها سواه.

ولم يكن بد أن يقاومه أفراد، وأن تقاومه طبقات، وأن تقاومه دول. ولم يكن بد كذلك أن يمضي الإسلام في وجه هذه المقاومة، ولم يكن بد أن يكتب الجهاد على المسلمين؛ لنصرة هذا المنهج، وتحقيق كلمة الله في الأرض. ولهذا أحب الله - سبحانه - ﴿ ٱلَّذِينَ مُرَّصُوصٌ ﴾ .

ونقف ثالثًا أمام الحالة التي يحب الله للمجاهدين أن يقاتلوا وهم عليها: ﴿ صَفّاً كَأَنَّهُ مِ اللَّهُ كُرَصُوصُ ﴾ .. فهو تكليف فردي في ذاته، ولكنه فردي في صورة جماعية. في جماعة ذات نظام. ذلك أن الذين يواجهون الإسلام يواجهونه بقوى جماعية، ويؤلبون عليه تجمعات ضخمة؛ فلا بد لجنود الإسلام أن يواجهوا أعداءه صفًا؛ صفًا سويًا منتظمًا، وصفًا متينًا راسخًا، ذلك إلى أن طبيعة هذا الدين حين يغلب ويهيمن أن يهيمن على جماعة، وأن ينشئ مجتمعًا متماسكًا.. متناسقًا. فصورة الفرد المنعزل الذي يعبد وحده، ويجاهد وحده، ويعيش وحده، صورة بعيدة عن طبيعة هذا الدين، وعن مقتضياته في حالة الجهاد، وفي حالة الهيمنة بعد ذلك على الحياة.

وهذه الصورة التي يحبها الله للمؤمنين ترسم لهم طبيعة دينهم، وتوضح لهم معالم الطريق، وتكشف لهم عن طبيعة التضامن الوثيق الذي يرسمه التعبير القرآني المبدع: ﴿ صَفّاً كَأَنَّهُ مِ بُنْيَكُنُ مُرَصُوصٌ ﴾ .. بنيان تتعاون لبناته وتتضام وتتماسك، وتؤدي كل لبنة دورها، وتسد ثغرتها؛ لأن البنيان كله ينهار إذا تخلت منه لبنة عن مكانها. تقدمت أو تأخرت سواء. وإذا تخلت منه لبنة عن أن تمسك بأختها تحتها أو فوقها أو على جانبيها سواء. إنه التعبير المصور للحقيقة لا لمجرد التشبيه العام. التعبير المصور لطبيعة الجماعة، ولطبيعة ارتباط الأفراد في الجماعة. ارتباط الشعور،

وارتباط الحركة، داخل النظام المرسوم، المتجه إلى هدف مرسوم(١).

□ تجارة مع الله.. فيها غفران الذنوب، ودخول جنات عدن.. والنصر على الأعداء، ورضا الله:

قال ابن جرير الطبري: «يقول ـ تَعَالَى ذكره ـ: ﴿ يَتَأَيُّهُا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلَ ٱذَٰلُكُوْ عَلَى غَرَةِ نُجِيكُم مِنْ عَذَابٍ جَهِنَم، ثم بين لنا ـ جل ثناؤه ـ ما تلك التجارة التي تنجينا من العذاب الأليم، فقال: ﴿ نُوْمِنُونَ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ ثناؤه ـ ما تلك التجارة التي تنجينا من العذاب الأليم، فقال: ﴿ نُوْمِنُونَ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ محمد ﷺ فقول ـ تَعَالَى ذكره ـ: وتجاهدون في دين الله وطريقه الذي شرعه لكم بأموالكم وأنفسكم، ﴿ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ خَيْرٌ مَن تضيع ذلك والتفريط، ﴿ إِن كُنتُمْ عَلَمُونَ ﴾ مضار الأشياء ومنافعها. عن قتادة: قوله: ﴿ يَتَأَيُّهُا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلَ ٱذَلَكُو عَلَى تَجِزَةٍ نُنْجِيكُم ﴾ الآية، فلولا أن عن قتادة: قوله: ﴿ يَتَأَيُّهُا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلَ ٱذَلَكُو عَلَى تَجِزَةٍ نُنْجِيكُم ﴾ الآية، فلولا أن الله عليها المؤمنين لتلهّف عليها رجال أن يكونوا يعلمونها، حتى يضنوا بها، وقد دلكم الله عليها، وأعلمكم إياها، فقال: ﴿ نُوْمِنُونَ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللّهِ هِذَا لَهُ عَلَيْهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللّهِ هِذَا لَا اللّهُ عليها، وأعلمكم إياها، فقال: ﴿ نُوْمَنُونَ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَهَدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ هِذَا لَا اللّه عليها، وأعلمكم إياها، فقال: ﴿ نُوْمَنُونَ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَلَيْهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَلِيهِ اللّه عليها وأَعْلَى اللّه اللّه عليها وأَعْلَى اللّه عليها وأَعْلَا

قال الحافظ ابن كثير: «فسَّر هذه التجارة العظيمة، التي لا تبور، والتي هي محصلة للمقصود، ومزيلة للمحذور، فقال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ نُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيُّرٌ لَكُمْ إِن كُنُمْ نَعَلُونَ ﴿ إِن كُنُمْ نَعَلُونَ ﴿ إِن كُنُمْ نَعَلُونَ ﴿ إِن كَانُمُ عَلَمُونَ اللَّهِ ﴾؛ أي: من تجارة في سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنُمْ نَعَلُونَ ﴿ إِن اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللّهُ الللّهُو

<sup>(</sup>١) الظلال (٦/٥٥٥٦).

<sup>(</sup>٢) الطبري (٩٠/١١).

الدنيا والكدِّ لها والتصدي لها وحدها. ثم قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ يَغْفِرُ لَكُو دُنُوبَكُو ﴾ أي: إن فعلتم ما أمرتكم به ودللتكم عليه غفرت لكم الزلَّات وأدخلتكم الجنات والمساكن الطيبات والدرجات العاليات، ولهذا قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ وَلَيْدَخِدُكُو جَنَّتِ عَدْنِ ذَلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (١). تَعَالَى مِن تَعْنِهَا ٱلْأَنْهَارُ وَمُسَكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّتِ عَدْنٍ ذَلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (١).

قال ابن جرير «يستر عليكم ربكم ذنوبكم إذا أنتم فعلتم ذلك، فيصفح عنكم ويعفو، ويدخلكم بساتين تجري من تحت أشجارها الأنهار، ويدخلكم - أيضًا مساكن ﴿ طَيِّبَةَ فِي جَنَّنِ عَدْنُ ﴾ يعني: في بساتين إقامة، لا ظعن فيها» (٢٠) قال القرطبي: ﴿ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾؛ أي: السعادة الدائمة الكبيرة، وأصل الفوز: الظفر بالمطلوب (٣٠).

قال ابن كثير: ثم قال - تَعَالَى -: ﴿ وَأُخْرَىٰ تَجُبُّونَهَ ۚ أَي: وأَزيد كم على ذلك زيادة تحبونها، وهي: ﴿ نَصَرُّ مِنَ اللَّهِ وَفَنْحٌ قَرِيبٌ ﴾؛ أي: إذا قاتلتم في سبيله ونصرتم دينه تكفَّل اللّه بنصر كم، كما قال - تَعَالَى -: ﴿ يَتَأَيُّهُا اللَّهِ بنصر كم، كما قال - تَعَالَى -: ﴿ يَتَأَيُّهُا اللَّهِ بنصر كم، هُمَ قَالَ - تَعَالَى -: ﴿ وَلَيَنصُرُنَ اللَّهُ مَن يَضُرُكُمْ وَيُثَبِّتَ أَقَدَامَكُمْ لَيْ ﴾ [محمد: ٧]، وقال - تَعَالَى -: ﴿ وَلَيَنصُرَنَ اللَّهُ مَن يَنصُرُكُمْ وَيُثَبِّتَ اللَّهَ لَقَوِي عَزِيزُ ﴾ [الحج: ٤٠].

وقوله . تَعَالَى .: ﴿ وَفَنْتُ قَرِيبُ ﴾؛ أي: عاجل، فهذه الزيادة هي خير الدنيا موصول بنعيم الآخرة لمن أطاع الله ورسوله ونصر الله ودينه، ولهذا قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤).

﴿ وَبَشِرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾: قال ابن جرير: «وبشر يا محمد المؤمنين بنصر اللَّه إياهم على عدوهم، وفتح عاجل لهم» (٥٠).

<sup>(</sup>۱) مختصر تفسير ابن كثير (۲۰/۳).

<sup>(</sup>۲) الطبري (۱۱/۹۰).

<sup>(</sup>٣) تفسير القرطبي (٩/٦٧/٩).

<sup>(</sup>٤) مختصر تفسير ابن كثير (٣/٥٤٠).

<sup>(</sup>٥) تفسير الطبري (٩١/١١).

قال القرطبي: «وبشر المؤمنين برضا اللَّه عنهم» (١).

قال القاسمي عن سورة الصف: «كان القصد منها تشجيع المؤمنين على قتال محاربيهم، والثبات أمامه، والتحذير من الزيغ عن ذلك، والترغيب في السخاوة ببذل الأنفس والأموال في سبيل الحق؛ لإعلاء شأنه، وإزهاق الباطل» (٢).

«في ظلال قصة العقيدة، وفي مواجهة وعد اللَّه بالتمكين لهذا الدين الأخير، يهتف القرآن الكريم بالذين آمنوا.. من كان يواجه ذلك الخطاب ومن يأتي بعدهم من المؤمنين إلى يوم الدين.. يهتف بهم إلى أربح تجارة في الدنيا والآخرة؛ تجارة الإيمان باللَّه والجهاد في سبيل الله.

﴿ يَكَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلَ آذُلُكُو عَلَى تِجَرَوَ لَنَجِيكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿ يَالَئِهِ وَرَسُولِهِ وَكُنْ مِاللَّهِ وَالْمَوْنَ ﴿ وَالْفُسِكُمْ ذَلِكُو خَيَّرٌ لَكُو إِن كُنُمُ لَعَلَمُونَ ﴾ يَغْفِر وَرَسُولِهِ وَجُنُهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَلِكُو وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُو خَيَّرٌ لَكُو إِن كُنُمُ لَعَلَمُونَ ﴾ يَغْفِر لَكُو دُنُوبَكُو وَيُدَخِلُو جَنَّتِ عَقْرِي مِن تَعْلِهَا الْأَنْهُنُ وَمَسَلِكِنَ طَيِبَةً فِي جَنَّتِ عَقْنِ ذَلِكَ لَكُو لَكُو اللّهَ وَمُنْ مُنْ اللّهِ وَفَنْ مُ وَيَثُمُ وَيَشَرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ واللّهُ وَيَشْرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ واللّهُ وَيَشْرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ واللّهُ ويَقْتُ فَرِيثُ وَيَشْرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ واللّهُ واللهُ اللهُ وَيُشْرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ واللهُ اللهُ واللهُ اللهُ واللهُ اللهُ واللهُ اللهُ واللهُ اللهُ اللهُ واللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ واللهُ اللهُ اللهُ واللهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ الللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ

وصيغة التعبير بما فيها من فصل ووصل، واستفهام وجواب، وتقديم وتأخير، صيغة ظاهر فيها القصد إلى إقرار هذا الهتاف في القلوب بكل وسائل التأثير التعبيرية.

يبدأ بالنداء باسم الإيمان: ﴿ يَمَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾.. يليه الاستفهام الموحي، فاللَّه ـ سبحانه ـ هو الذي يسألهم ويشوقهم إلى الجواب: ﴿ هَلَ آَدُلُكُمْ عَلَىٰ جَِرُوَ لِنَاكِمُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾.

ومن ذا الذي لا يشتاق لأن يدله الله على هذه التجارة؟ وهنا تنتهي هذه الآية، وتنفصل الجملتان للتشويق بانتظار الجواب المرموق، ثم يجيء الجواب وقد ترقبته القلوب والأسماع: ﴿ وُوَّمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾.. وهم مؤمنون باللَّه ورسوله، فتشرق

<sup>(</sup>۱) تفسير القرطبي (۱۹۸۸۹).

<sup>(</sup>٢) محاسن التأويل، للقاسمي (١٦/٩٣/١).

قلوبهم عند سماع شطر الجواب، هذا المتحقق فيهم! ﴿ وَتُجَالِهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ﴾.. وهو الموضوع الرئيس الذي تعالجه السورة، يجيء في هذا الأسلوب، ويكرر هذا التكرار، ويساق في هذا السياق، فقد علم الله أن النفس البشرية في حاجة إلى هذا التكرار، وهذا التنويع، وهذه الموحيات؛ لتنهض بهذا التكليف الشاق، الضروري الذي لا مفرَّ منه لإقامة هذا المنهج وحراسته في الأرض.. ثم يعقب على عرض هذه التجارة التي دلهم عليها بالتحسين والتزيين: ﴿ ذَالِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ . فعلم الحقيقة يقود من يعلم إلى ذلك الخير الأكيد.. ثم يفَصِّل هذا الخير في آية تالية مستقلة؛ لأن التفصيل بعد الإجمال يشوق القلب إليه، ويقره في الحس، ويمكن له: ﴿يَغْفِرُ لَكُرُ ذُنُوبَكُرُ ﴾.. وهذه وحدها تكفي، فمن ذا الذي يضمن أن يغفر له ذنبه ثم يتطلع بعدها إلى شيء؟ أو يدخر في سبيلها شيئًا؟ ولكن فضل الله ليس له حدود. ﴿ وَلِيْدَخِلْكُورَ جَنَّتِ تَجَرَّى مِن تَحْنِهَا ٱلْأَنْهَارُ وَمَسَكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّتِ عَدْنِ ﴾.. وإنها لأربح تجارة أن يجاهد المؤمن في حياته القصيرة ـ حتى حين يفقد هذه الحياة كلها ـ، ثم يعوض عنها تلك الجنات وهذه المساكن في نعيم مقيم.. وحقًّا.. ﴿ ذَالِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾.

وكأنما ينتهي هنا حساب التجارة الرابحة، وإنه لربح ضخم هائل أن يعطي المؤمن الدنيا ويأخذ الآخرة، فالذي يتجر بالدرهم فيكسب عشرة يغبطه كل من في السوق، فكيف بمن يتجر في أيام قليلة معدودة في هذه الأرض، ومتاع محدود في هذه الحياة الدنيا، فيكسب به خلودًا لا يعلم له نهاية إلا ما شاء الله، ومتاعًا غير مقطوع ولا ممنوع؟

ولقد تمت المبايعة على هذه الصفقة بين رسول اللَّه عَلِي وعبداللَّه بن رواحة هَيْنَهُ ليلة العقبة؛ قال لرسول اللَّه عَلِي: اشترط لربك ولنفسك ما شئت. فقال عَلَيْنَ: «أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم».. قال: فما لنا إذا فعلنا ذلك؟ قال: «الجنة» قالوا: ربح البيع

لا نقيل ولا نستقيل! ولكن فضل الله عظيم. وهو يعلم من تلك النفوس أنها تتعلق بشيء قريب في هذه الأرض، يناسب تركيبها البشري المحدود، وهو يستجيب لها فيبشرها بما قدره في علمه المكنون من إظهار هذا الدين في الأرض، وتحقيق منهجه وهيمنته على الحياة في ذلك الجيل: ﴿وَأَخْرَىٰ يَجُبُّونَهُمُ أَنَصُرُ مِّنَ ٱللّهِ وَفَنَحُ قَرِيبٌ وَهَيْرِ اللّهُ وَفَنَحُ فَرِيبٌ وَهَيْرِ اللّهُ وَهَيْرَ اللّهِ وَفَنَحُ فَرِيبٌ وَهَيْرِ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الل

وهنا تبلغ الصفقة ذروة الربح الذي لا يعطيه إلا الله. الله الذي لا تنفد خزائنه، والذي لا ممسك لرحمته، فهي المغفرة والجنات والمساكن الطيبة والنعيم المقيم في الآخرة. وفوقها ـ فوق البيعة الرابحة والصفقة الكاسبة ـ النصر والفتح القريب.. فمن الذي يدله الله على هذه التجارة ثم يتقاعس عنها أو يحيد؟!

وهنا يعن للنفس خاطر أمام هذا الترغيب والتحبيب.. إن المؤمن الذي يدرك حقيقة التصور الإيماني للكون والحياة، ويعيش بقلبه في هذا التصور، ويطلع على آفاقه وآماده، ثم ينظر للحياة بغير إيمان، في حدودها الضيقة الصغيرة، وفي مستوياتها الهابطة الواطية، وفي اهتماماتها الهزيلة الزهيدة.. هذا القلب لا يطيق أن يعيش لحظة واحدة بغير ذلك الإيمان، ولا يتردد لحظة واحدة في الجهاد لتحقيق ذلك التصور الضخم الوسيع الرفيع في عالم الواقع؛ ليعيش فيه، وليرى الناس من حوله يعيشون فيه كذلك.. ولعله لا يطلب على جهاده هذا أجرًا خارجًا عن ذاته، فهو ذاته أجر.. هذا الجهاد.. وما يسكبه في القلب من رضى وارتياح، ثم إنه لا يطيق أن يعيش في عالم بلا إيمان، ولا يطيق أن يقعد بلا جهاد لتحقيق عالم يسوده الإيمان، فهو مدفوع دفعًا إلى الجهاد، كائنًا مصيره فيه ما يكون.

ولكن الله ـ سبحانه ـ يعلم أن النفس تضعف، وأن الاندفاع يهبط، وأن الجهد يكل، وأن حب السلامة قد يهبط بتلك المشاعر كلها، ويقودها إلى الرضى بالواقع الهابط..

ومن ثم يجاهد القرآن هذه النفس ذلك الجهاد، ويعالجها ذلك العلاج، ويهتف

لها بالموحيات والمؤثرات ذلك الهتاف المتكرر المتنوع، في شتى المناسبات. ولا يَكِلُها إلى مجرد الإيمان، ولا إلى نداء واحد باسم هذا الإيمان»(١).

## المجاهدون أنصار الله:

عُـ قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ يَأَيُّهُا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَّادِيّونَ مَنْ أَنصَادِى إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحُوَادِيُّونَ غَنْ أَنصَارُ ٱللَّهِ فَعَامَنَت طَاآبِهَةٌ مِّنْ بَخِت إِسْرَهِ بِلَ وَيَفَرَت طَآبِهَةٌ فَايُدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَى عَدُوهِم فَأَصْبَحُوا طَهِرِينَ ﴿ الصف: ١٤].

فيها قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى، فقراة عامة قراء المدينة والبصرة بتنوين الأنصار ﴿ كُونُوا أَنصار الله ﴾ (٢)، وقرأ عامة قُرَّاء الكوفة بإضافة الأنصار إلى الله «ومعنى الكلام: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، كونُوا أنصار الله، ﴿ كُمَا قَالَ عِيسَى اَبْنُ مَرِّيمَ لِلْمَوَارِيَّوِنَ مَنْ أَنصَارِيّ إِلَى اللّهِ عَني: من أنصاري منكم إلى نصرة الله.

قال قتادة: «قد كانت لله أنصار من هذه الأمة، تجاهد على كتابه وحقه، وذُكِر لنا أنه بايعه ليلة العقبة اثنان وسبعون رجلًا من الأنصار. ذُكِر لنا أن بعضهم قال: هل تدرون علام تُبايعون هذا الرجل؟ إنكم تبايعون على محاربة العرب كلها أو يسلموا. ذُكر لنا أن رجلًا قال: يا نبي الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت. قال: «أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما منعتم منه أنفسكم وأبناءكم»؛ قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا يا نبي الله؟ قال: «لكم النصر في الدنيا، والجنة في الآخرة»، ففعلوا ففعل الله».

<sup>(</sup>١) الظلال (٢/٥٥٩، ٢٥٦٠).

<sup>(</sup>٢) قراءة نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر.

قال مجاهد: ﴿ مَن أَنصَارِى إِلَى ٱللَّهِ ﴾ قال: من يتبعني إلى الله؟ (١) قال ابن كثير: (يقول ـ تَعَالَى ـ آمرًا عباده المؤمنين أن يكونوا أنصارًا لله في جميع أحوالهم بأقوالهم وأفعالهم، وأنفسهم وأموالهم، وأن يستجيبوا لله ولرسوله كما استجاب الحواريون لعيسى حين قال: ﴿ مَن أَنصَارِى إِلَى ٱللَّهِ ﴾ أي: مَن معيني في الدعوة إلى اللّه وَ الله والله عليه الله والله والله والله والله عليه، والله والله والله عليه، والله والله الله عليه، والله الله ورسوله الأنصار، وصار ذلك علمًا عليهم - رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ - وارضاهم.

فأمة محمد ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ ـ لا يزالون ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر اللَّه وهم كذلك، حتى يقاتل آخرهم الدَّجال مع المسيح عيسى ابن مريم التَّلِيُثْلًا كما وردت بذلك الأحاديث الصحاح. واللَّه أعلم»(٣).

وقال القرطبي: «أكَّد أمر الجهاد؛ أي: كونوا حَوَارِيِّ نبيكم؛ ليظهركم اللَّه على من خالفكم، كما أظهر حواري عيسي على من خالفهم.

وقرأ ابن كثير وأبو عمر ونافع ﴿كونوا أنصارًا لله﴾ بالتنوين. قالوا: لأن معناه اثبتوا وكونوا أعوانًا لله بالسيف على أعدائه.

<sup>(</sup>١) تفسير الطبري (١١/١١، ٩٢).

<sup>(</sup>٢) صحيح: أخرجه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح السنن».

<sup>(</sup>٣) مختصر تفسير ابن كثير (٤٠/٣)، ١٤٥).

وقرأ الباقون من أهل البصرة والكوفة والشام ﴿أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ بلا تنوين، وحذفوا لام الإضافة من اسم اللَّه ـ تَعَالَى ـ واختاره أبو عبيد، ومعناه: كونوا أنصارًا لدين الله(١).

قال القاسمي: «فيه بشارة للمؤمنين بالتأييد الرَّباني لهم، ما داموا متناصرين على الحق، مجتمعين عليه، غير متفرقين عنه ولا متخاذلين، كما وقع لسلفهم؛ اتفقوا فملكوا، وإلا فإذا تفرَّقوا هلكوا»(٢).

«الآية هنا تهدف إلى تصوير موقف، لا إلى تفصيل قصة، فنسير نحن معها في ظلالها المقصودة إلى الغاية من سردها في هذا الموضع من السورة.

﴿ يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ أَنصَارَ ٱللَّهِ ﴾ . . في هذا الموضع الكريم الذي يرفعكم إليه الله. وهل أرفع من مكان يكون فيه العبد نصيرًا للرب؟!

إن هذه الصفة تحمل من التكريم ما هو أكبر من الجنة والنعيم. ﴿ كُونُواْ أَنَصَارَ اللَّهِ ﴾ ﴿ كُمَا قَالَ عِيسَى اَبّنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّونَ مَنْ أَنصَارِى إِلَى اللَّهِ قَالَ الْمُوارِيُّونَ خَنُ السَّارِي اللّهِ قَالَ الْمُوارِيُّونَ خَنُ أَنصَارُ اللّهِ ﴿ وَعَيْسَى جَاء لِيبشر بالنبي النّهِ اللّه والدين الجديد. فما أجدر أتباع محمد أن ينتدبوا لهذا الأمر الدائم، كما انتدب الحواريون للأمر الموقوت! وهذه هي اللمسة الواضحة في عرض هذا الحوار في هذا السياق.

والعبرة المستفادة من هذه الإشارة ومن هذا النداء هي استنهاض همة المؤمنين بالدين الأخير، الأمناء على منهج الله في الأرض، ورثة العقيدة والرسالة الإلهية، المختارين لهذه المهمة الكبرى استنهاض همتهم لنصرة الله ونصرة دينه.. والنصر في النهاية لأنصار الله المؤمنين (٣).

<sup>(</sup>۱) تفسير القرطبي (۱۸/۹).

<sup>(</sup>٢) محاسن التأويل، للقاسمي (١٦/١٩٥).

<sup>(</sup>٢) الظلال (٦/٢٥٥٦، ٢٥٥٧).

عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي الا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويتقيدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل» (۱).

☐ الجهاد سبيل النبيين والصالحين، وثوابه عظيم في الدنيا، وحسن الثواب في الآخرة.

عَالَى -: ﴿ وَكَأَيِّن مِن نَبِي قَنْتَلَ مَعْمُهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُ الصَّنبِرِينَ ۞ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلّا أَن قَالُواْ رَبّنَا الْغَفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتُ أَقَدَامَنَا وَأَنصُرُنَا عَلَى الْقَوْمِ أَن قَالُواْ رَبّنَا الْغَفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثُبِيتُ أَقْدَامَنَا وَأَنسَهُ عَلَى الْقَوْمِ الْحَسِنِينَ أَلْحَامِينَ ﴿ وَاللّهُ يُحِبُ اللّهُ سِنِينَ اللّهُ عَمِوانِ: ١٤٨ - ١٤٨].

قال الطبري ـ رحمه الله ـ: «اختلف القُرَّاء في قراءة ذلك؛ فقرأ بعضهم: ﴿ وَكَأَيِّنَ ﴾ بهمز الألف وتشديد الياء، وقرأ آخرون بمد الألف وتخفيف الياء، وهما قراءتان مشهورتان في قراءة المسلمين، ولغتان معروفتان لا اختلاف في معناهما.. ومعناه: وكم من نبى.

القول في تأويل: ﴿قَائَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾ اختلفت القرَّاء في قراءة قوله: ﴿قَائَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾ فقرأ ذلك جماعة من قرَّاء الحجاز والبصرة ﴿قُلِلَ ﴾ بضم القاف، وقرأ جماعة أخرى بفتح القاف وبالألف، وهي قراءة جماعة من قُرَّاء الحجاز والكوفة.

فأما من قرأ: ﴿قَاتَلَ﴾ فإنه اختار ذلك؛ لأنه قال لو قُتِلوا لم يكن لقوله: ﴿فَمَا وَهَنُواْ﴾ وجه معروف؛ لأنه يستحيل أن يوصفوا بأنهم لم يهنوا ولم يضعفوا بعد ما

<sup>(</sup>١) رواه أحمد ومسلم.

ي قتلوا.

الذين انهزموا يوم «أحد» وتركوا القتال أو سمعوا الصائح يصيح: إن محمدًا قد قتل، فعذلهم الله والله والله والمعلى فرارهم وتركهم القتال، فقال: أفإن مات محمد أو قتل أيها المؤمنون ارتددتم عن دينكم وانقلبتم على أعقابكم، ثم أخبرهم عما كان من فعل كثير من أتباع الأنبياء قبلهم، وقال لهم: هلا فعلتم كما كان أهل الفضل والعلم من أتباع الأنبياء قبلكم يفعلون؛ إذ قُتِل نبيهم من المضي على منهاج نبيهم والقتال على دينه وأعداء دين الله على نحو ما كانوا يقاتلون مع نبيهم، ولم تهنوا ولم تضعفوا كما لم يضعف الذين كانوا قبلكم من أهل العلم والبصائر من أتباع الأنبياء إذ قُتِل نبيهم، ولكنهم صبروا لأعدائهم حتى حكم الله بينهم وبينهم» (ألكنهم صبروا لأعدائهم حتى حكم الله بينهم وبينهم)

والربيون هم الجماعة، واحدهم: رِيتيُّ.

قال عبداللَّه بن مسعود: الربيون: الألوف، وقال ابن عباس: ربيون: جموع كثيرة، وعنه أيضًا: علماء كثيرون. وقال الحسن: فقهاء علماء، وعنه: الجموع الكثيرة، وهو قول عكرمة أيضًا، ومجاهد، والضحاك.

﴿ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُوا ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّدِينَ﴾.

<sup>(</sup>١) تفسير الطبري (٧٧/٤).

قال ابن جرير: «فما عجزوا لما نالهم من ألم الجراح الذي نالهم في سبيل الله، ولا لقتل من قُتل منهم عن حرب أعداء الله، ولا نكلوا عن جهادهم.

﴿ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْ ﴾: وما ذلوا فيتخشعوا لعدوِّهم بالدِخول في دينهم ومداهنتهم فيه؛ خيفة منهم، ولكنهم مضوا قدمًا على بصائرهم ومنهاج نبيهم صبرًا على أمر الله وأمر نبيهم، وطاعة لله، واتباعًا لتنزيله ووحيه.

﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّنبِرِينَ ﴾ يقول: واللَّه يحب هؤلاء وأمثالهم من الصابرين لأمره وطاعته وطاعة رسوله في جهاد عدوه، لا من فشل ففرَّ عن عدوه، ولا من انقلب على عقبيه فذلَّ لعدوه؛ لِأَنْ قُتل نبيه أو مات، ولا من دخله وهن عن عدوه، وضعف لفقد نبيه (۱).

﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُواْ رَبَّنَا آغَفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي آَمْرِنَا وَثَبِّتُ أَقَدَامَنَا وَإَسْرَافَنَا فِي آَمْرِنَا وَثَبِّتُ أَقَدَامَنَا وَأَنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَفِرِينَ ۞ ﴾.

«وما كان قول الربيين؛ يعني: ما كان لهم قول سوى هذا القول إذ قُتِل نبيهم. ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَ إِسْرَافَنَا فِي آَمْرِنَا ﴾: لم يعتصموا إذْ قُتِل نبيهم إلا بالصبر على ما أصابهم ومجاهدة عدوهم، وبمسألة ربهم المغفرة والنصر على عدوهم.

﴿ أَغْفِرَ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴾ الصغار منها، وما أسرفنا فيه منها، فتخطينا إلى العظام. قال ابن عباس في قول الله: ﴿ وَإِسْرَافَنَا فِي آَمْرِنَا ﴾؛ قال: خطايانا. وقال الضحاك بن مزاحم: الكبائر.

﴿ وَثُكِيِّتُ أَقَّدَامَنَكَ ﴾: اجعلنا ممن يثبت لحرب عدوك وقتالهم، ولا تجعلنا ممن ينهزم فيفرُّ منهم ولا يثبت قدمه في مكان واحد لحربهم، وانصرنا على الذين جحدوا وحدانيتك ونبوة نبيك.

<sup>(</sup>١) تفسير الطبري (٧٨/٤).

وإنما هذا تأنيبٌ من اللَّه ﷺ عباده الذين فروا عن العدو يوم «أحد» وتركوا قتالهم، وتأديبٌ لهم(١).

قال ابن القيم: «أخبر ـ سبحانه ـ عما استنصرت به الأنبياء وأممهم على قومهم من اعترافهم، وتوبتهم، واستغفارهم، وسؤالهم ربهم أن يثبت أقدامهم، وأن ينصرهم على أعدائهم، فقال: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلّا أَن قَالُواْ رَبَّنَا أُغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي آمْرِنَا وَثَبِّتُ أَقَدَامَنَا وَأَنصُرُنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَفِرِينَ ۞ .

لما علم القوم أن العدو إنما يُدال عليهم بذنوبهم، وأن الشيطان إنما يستزلهم ويهزمهم بها، وأنها نوعان: تقصير في حق، أو تجاوز لحد، وأن النصرة منوطة بالطاعة، قالوا: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي آمْرِنَا ﴿، ثم علموا أن ربهم تبارك وتعالى - إن لم يثبت أقدامهم وينصرهم، لم يقدروا هم على تثبيت أقدام أنفسهم، ونصرها على أعدائهم، فسألوه ما يعلمون أنه بيده دونهم، وأنه إن لم يثبت أقدامهم وينصرهم لم يثبتوا ولم ينتصروا، فوقوا المقامين حقهما: مقام المقتضى، وهو التوحيد والالتجاء إليه - سبحانه -. ومقام إزالة المانع من النصرة، وهو الذنوب والإسراف (٢).

وفي «صحيح مسلم» عن أبي موسى الأشعري عن النبي على أنه كان يدعو بهذا الدعاء: «اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري».

قال القرطبي ﴿ وَكُأْمِنِ ﴾ بمعنى كم. قال الخليل وسيبويه: هي أن دخلت عليها كاف التشبيه، وبُنيت معها، فصار في الكلام بمعنى كم.

قرأ ابن كثير: ﴿وَكَائِنَ، على وزن فاعل، وأصله كَيْءٍ، فقلبت الياء ألفًا، قال الشاعر:

وكائِنْ بالأباطِح من صَدِيقِ يَرَاني لو أُصبتُ هو المصابَا

<sup>(</sup>١) الطبري (٧٩/٤).

<sup>(</sup>٢) زاد المعاد، لابن القيم.

ومعنى الآية تشجيع المؤمنين، والأمر بالاقتداء بمن تقدَّم من خيار أتباع الأنبياء؛ أي: كثير من الأنبياء قُتِلوا فما ارتدت أمهم؛ قولان: الأول للحسن، وسعيد بن جبير، قال الحسن: ما قُتِل نبي في حرب قط. وقال ابن جبير: ما سمعنا أن نبيًّا قُتِل في القتال. والثاني عن قتادة وعكرمة. والوقف على هذا القول على ﴿قَلْتَلَ ﴾ جائز، وهي قراءة نافع، وابن جبير، وأبي عمرو، ويعقوب. وفيه وجهان: أحدهما: أن تكون ﴿قَلْتَلَ ﴾ واقعًا على النبي وحده، وحينئذ يكون تمام الكلام عند قوله: ﴿قَلْتَلَ ﴾، ويكون في الكلام إضمار؛ أي: ومعه ربيون كثير؛ كما يُقال: قاتل الأمير ومعه جيش عظيم. وخرجت معي تجارة؛ أي: ومعي.

الوجه الثاني: أن يكون القتل نال النبي ومن معه من الرِّبيِّين، ويكون وجه الكلام: قُتِل بعض من كان معه، تقول العرب: قتلنا بني تميم وبني سُليم، وإنما قتلوا بعضهم. ويكون قوله ﴿فَمَا وَهَنُواْ﴾ راجعًا إلى من بقي منهم.

قلت: وهذا القول أشبه بنزول الآية وأنسب، فإن النبي ﷺ لم يُقتل، وقُتِل معه جماعة من أصحابه. وقرأ الكوفيون وابن عامر: ﴿قَلْتَلَ ﴾ وهي قراءة ابن مسعود، واختارها أبو عبيد وقال: إن الله إذا حمد من قاتل كان من قُتِل داخلًا فيه، وإذا حمد من قُتِل لم يدخل فيه غيرهم؛ فَ﴿قَلْتَلَ ﴾ أعمُّ وأمدح»(١).

﴿ فَعَالَنَهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنَيَا وَحُسَنَ ثُوابِ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ يُحِبُ الْمُحْسِنِينَ ﴿ ﴾. ثواب الدنيا يعني: جزاء في الدنيا، وذلك النصر على عدوِّهم وعدو الله، والظفر والفتح عليهم، والتمكين لهم في البلاد.

وحسن ثواب الآخرة يعني: وخير جزاء الآخرة؛ وذلك الجنة ونعيمها. قال قتادة: أي: والله لآتاهم الله الفتح، والظهور، والتمكين، والنصر على

<sup>(</sup>۱) تفسير القرطبي (۲۰/۲) ۱۱۲۷۱، ۲۷۲۱).

عدوهم في الدنيا، وحسن الثواب في الآخرة هي الجنة (١).

«يضرب الله للمسلمين المثل من إخوانهم المؤمنين قبلهم. من موكب الإيمان اللاحب الممتد على طول الطريق، الضارب في جذور الزمان.. من أولئك الذين صدقوا في إيمانهم، وقاتلوا مع أنبيائهم، فلم يجزعوا عند الابتلاء، وتأدبوا وهم مقدمون على الموت بالأدب الإيماني في هذا المقام.. مقام الجهاد.. فلم يزيدوا على أن يستغفروا ربهم، وأن يجسموا أخطاءهم فيروها «إسرافًا» في أمرهم، وأن يطلبوا من ربهم الثبات والنصر على الكفار.. وبذلك نالوا ثواب الدارين، جزاء إحسانهم في أدب الدعاء، وإحسانهم في وقت الجهاد. وكانوا مثلًا يضربه الله للمسلمين:

﴿ وَكَأَيِن مِن نَبِي قَامَلَ مَعَهُ رِبِيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا السَّمَكَانُوا وَاللهُ يُحِبُ الصَّنجِرِينَ ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَا أَن قَالُوا رَبَّنَا الْفَعْرِ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي آَمْرِنَا وَثَبِّتُ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَنْوِينَ اللهُ فَعَالَمُهُمُ اللّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللّهُ يُحِبُ الْمُسْنِينَ ﴿ ﴾ .

لقد كانت الهزيمة في «أحد»، هي أول هزيمة تصدم المسلمين، الذين نصرهم الله ببدر وهم ضعاف قليل؛ فكأنما وقر في نفوسهم أن النصر في كل موقعة هو السنة الكونية. فلما أن صدمتهم «أحد»، فوجئوا بالابتلاء كأنهم لا ينتظرونه!

ولعله لهذا طال الحديث حول هذه الواقعة في القرآن الكريم. واستطرد السياق يأخذ المسلمين بالتأسية تارة، وبالاستنكار تارة، وبالتقرير تارة، وبالمثل تارة، تربية لنفوسهم، وتصحيحًا لتصورهم، وإعدادًا لهم. فالطريق أمامهم طويل، والتجارب أمامهم شاقة، والتكاليف عليهم باهظة، والأمر الذي يندبون له عظيم.

والمثل الذي يضربه لهم هنا مثل عام، لا يحدد فيه نبيًّا، ولا يحدد فيه قومًا. إنما

<sup>(</sup>١) تفسير الطبري (٨٠/٤).

يربطهم بموكب الإيمان، ويعلمهم أدب المؤمنين، ويصور لهم الابتلاء كأنه الأمر المطرد في كل دعوة وفي كل دين، ويربطهم بأسلافهم من أتباع الأنبياء؛ ليقرر في حسهم قرابة المؤمنين للمؤمنين، ويقر في أخلادهم أن أمر العقيدة كله واحد. وأنهم كتيبة في الجيش الإيماني الكبير:

﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيِّ قَلْتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ﴾..

وكم من نبي قاتلت معه جماعات كثيرة، فما ضعفت نفوسهم لما أصابهم من البلاء والكرب والشدة والجراح، وما ضعفت قواهم عن الاستمرار في الكفاح، وما استسلموا للجزع ولا للأعداء.. فهذا هو شأن المؤمنين المنافحين عن عقيدة ودين.. ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُ الصَّابِرِينَ ﴾..

الذين لا تضعف نفوسهم، ولا تتضعضع قواهم، ولا تلين عزائمهم، ولا يستكينون أو يستسلمون.

والتعبير بالحب من الله للصابرين له وقعه، وله إيحاؤه، فهو الحب الذي يأسو الجراح، ويمسح على القرح، ويعوض ويربو عن الضر والقرح والكفاح المرير!

وإلى هنا كان السياق قد رسم الصورة الظاهرة لهؤلاء المؤمنين في موقفهم من الشدة والابتلاء. فهو يمضي بعدها ليرسم الصورة الباطنة لنفوسهم ومشاعرهم؛ صورة الأدب في حق الله، وهم يواجهون الهول الذي يذهل النفوس، ويقيدها بالخطر الراهق لا تتعداه. ولكنه لا يذهل نفوس المؤمنين عن التوجه إلى الله.. لا لتطلب النصر أول ما تطلب . وهو ما يتبادر عادة إلى النفوس ولكن لتطلب العفو والمغفرة، ولتعترف بالذنب والخطيئة قبل أن تطلب الثبات والنصر على الأعداء:

إنهم لم يطلبوا نعمة ولا ثراءً، بل لم يطلبوا ثوابًا ولا جزاءً.. لم يطلبوا ثواب

أَقَدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَفرينَ ﴿ ﴾.

الدنيا ولا ثواب الآخرة. لقد كانوا أكثر أدبًا مع الله، وهم يتوجهون إليه، بينما هم يقاتلون في سبيله، فلم يطلبوا منه ـ سبحانه ـ إلا غفران الذنوب، وتثبيت الأقدام.. والنصر على الكفار. فحتى النصر لا يطلبونه لأنفسهم إنما يطلبونه هزيمة للكفر وعقوبة للكفار.. إنه الأدب اللائق بالمؤمنين في حق الله الكريم.

وهؤلاء الذين لم يطلبوا لأنفسهم شيئًا، أعطاهم اللَّه من عنده كل شيء؛ أعطاهم من عنده كل ما يتمناه طلاب الدنيا وزيادة، وأعطاهم كذلك كل ما يتمناه طلاب الآخرة ويرجونه:

﴿ فَعَانَنَهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْآخِرَةِ ﴾.

وشهد لهم ـ سبحانه ـ بالإحسان؛ فقد أحسنوا الأدب وأحسنوا الجهاد، وأعلن حبه لهم، وهو أكبر من النعمة، وأكبر من الثواب:

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾..

وهكذا تنتهي هذه الفقرة في الاستعراض، وقد تضمنت تلك الحقائق الكبيرة في التصور الإسلامي. وقد أدت هذا الدور في تربية الجماعة المسلمة، وقد ادخرت هذا الرصيد للأمة المسلمة في كل جيل» (١).

٥-قال-تَعَالَى -: ﴿ وَلَهِن قُنِلْتُمْ فِي سَجِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَعْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجَمَعُونَ ﴿ مَنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجَمَعُونَ ﴿ وَالْ عَمْرَانِ: ١٥٨، ١٥٧]

قال ابن جرير الطبري: «خاطب ـ جل ثناؤه ـ عباده المؤمنين؛ يقول لهم: لا تكونوا ـ أيها المؤمنون ـ في شك من أن الأمور كلها بيد الله وأن إليه الإحياء والإماتة ـ كما شك المنافقون في ذلك ـ ولكن جاهِدُوا في سبيل الله، وقاتِلُوا أعداء الله على يقين منكم بأنه لا يقتل في حرب ولا يموت في سفر إلا من بلغ أجله وحانت وفاته. ثم وعدهم على جهادهم في سبيله المغفرة والرحمة، وأخبرهم أن

<sup>(</sup>١) الظلال (١/٨٨٤، ٩٨٤).

موتًا في سبيل اللَّه وقتلًا في اللَّه خير لهم مما يجمعون في الدنيا من حطامها ورغيد عيشها الذي من أجله يتثاقلون عن الجهاد في سبيل اللَّه ويتأخرون عن لقاء العدو»(١).

﴿ وَلَهِن قُتِلْتُمْ فِي سَنِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجُمَعُونَ ﴿ مِنْ ٱللَّهِ مُحْشَرُونَ ﴿ مَنْ اللَّهِ مُحْشَرُونَ ﴿ مَا اللَّهِ مُعْمَدُونَ اللَّهِ مُحْسَرُونَ اللَّهِ مُحْسَرُونَ اللَّهِ مُحْسَرُونَ اللَّهِ مُحْسَرُونَ اللَّهُ مَا اللَّهِ مُحْسَرُونَ اللَّهُ مَعْمُونَ اللَّهُ مَا اللَّهُ مُعْمَدُونَ اللَّهُ مَا اللَّهُ مُحْسَرُونَ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مُعْمَدُونَ اللَّهُ مَا اللَّهُ مُعْمَدُونَ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُعْمَدُونَ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ أَلّ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّا مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ أَلَّا مُنْ اللَّهُ مُنْ أَلَّا

فالموت أو القتل في سبيل الله ـ بهذا القيد، وبهذا الاعتبار ـ خير من الحياة، وخير مما يجمعه الناس في الحياة من أعراضها الصغار؛ من مال، ومن جاه، ومن سلطان، ومن متاع. خير بما يعقبه من مغفرة الله ورحمته، وهي في ميزان الحقيقة خير مما يجمعون. وإلى هذه المغفرة وهذه الرحمة يكل الله المؤمنين.. إنه لا يكلهم في هذا المقام ـ إلى أمجاد شخصية، ولا إلى اعتبارات بشرية، إنما يكلهم إلى ما عند الله، ويعلق قلوبهم برحمة الله. وهي خير مما يجمع الناس على الإطلاق، وخير مما تتعلق به القلوب من أعراض..

وكلهم مرجوعون إلى الله، محشورون إليه على كل حال؛ ماتوا على فراشهم، أو ماتوا وهم يضربون في الميدان. فما لهم مرجع سوى هذا المرجع، وما لهم مصير سوى هذا المصير.. والتفاوت إذن إنما يكون في العمل والنية وفي الاتجاه والاهتمام.. أما النهاية فواحدة: موت أو قتل في الوعد المحتوم، والأجل المقسوم، ورجعة إلى الله وحشر في يوم الجمع والحشر.. ومغفرة من الله ورحمة، أو غضب من الله وعذاب.. فأحمق الحمقى من يختار لنفسه المصير البائس.. وهو ميت على كل حال!

بذلك تستقر في القلوب حقيقة الموت والحياة، وحقيقة قدر الله. وبذلك تطمئن القلوب إلى ما كان من ابتلاء جرى به القدر، وإلى ما وراء القدر من

<sup>(</sup>١) تفسير الطبري (٩٨/٤).

حكمة، وما وراء الابتلاء من جزاء.. وبذلك تنتهي هذه الجولة في صميم أحداث المعركة، وفيما صاحبها من ملابسات.. (١٠).

٣- قال - تَعَالَى -: ﴿ وَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلِ مِنكُم مِن ذَكَرٍ أَوْ أَنْنَ بَعْضُكُم مِن بَعْضِ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَدِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَنتُوا وَقُتِلُوا وَاللَّهُ عِندَمُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿ وَاللَّهُ عَمِوان: ١٩٥].

وقرأ ابن كثير وابن عامر :﴿وَقَاتَلُوا وَقُتِّلُوا﴾؛ أي: قاتلوا المشركين، وقتلهم المشركين، وقتلهم المشركون بعضًا بعد بعض وقتلًا بعد قتل.

﴿ لَأُ كَفِّرَنَ عَنْهُم سَيِّئَ آمِم ﴾ يعني: لأمحونها عنهم، ولأتفضلن عليهم بعفوي ورحمتي، ولأغفرنها لهم، ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار . ﴿ فَوَابًا ﴾ يعني: جزاءً لهم على ما عملوا وأبلوا في الله وفي سبيله. ﴿ مِنْ عِندِ الله عني: من قِبَل الله لهم. ﴿ وَاللّه عِندَهُ حُسِّنُ الثَّوَابِ ﴾ يعني: أن الله عنده من جزاء أعمالهم جميع صنوفه، وذلك ما لا يبلغه وصف واصف واضف لأنه مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (٢).

قال ابن كثير: «﴿ وَقَنتَلُوا وَقُتِلُوا ﴾ هذا أعلى المقامات أن يُقاتل في سبيل اللَّه فيعقر جوادُه ويعفَّر وجهه بدمه وترابه. وقد ثبت في الصحيحين أن رجلًا قال: يا رسول اللَّه أرأيت إن قُتلتُ في سبيل اللَّه صابرًا محتسبًا مقبلًا غير مدبر، يكفر اللَّه عني خطاياي؟ قال: «نعم»، ثم قال: «كيف قلت؟»، فأعاد عليه ما قال. فقال: «نعم إلا الذي قاله لي جبريل آنفًا» (٣) ولهذا قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ لَأَكَفِرَنَ عَنَهُمُ سَيَّتَ بِهُمْ وَلَا نَهَا مِن تَحَرِي في خلالها الأنهار من وَلَأَدْ خِلَنَهُمْ جَنَّنتٍ بَحَدِي في خلالها الأنهار من

<sup>(</sup>١) الظلال (٩٩٤).

<sup>(</sup>٢) تفسير الطبري (١٤٤/٤).

<sup>(</sup>٣) صحيح: أخرجه مسلم في الإمارة (١٨٨٥)، وأما عزوه للصحيحين فَوَهْمٌ.

أنواع المشارب؛ من لبن، وعسل، وخمر، وماء، غير آسن، وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وقوله ﴿ قُواَبًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ أضافه إليه، ونسبه إليه؛ ليدل على أنه عظيم؛ لأن العظيم الكريم لا يُعطى إلا جزيلًا كثيرًا.

وقوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿ وَأَلِلَهُ عِندَهُ حُسُنُ ٱلثَّوَابِ ﴾ ؛ أي: عنده حسن الجزاء لمن عمل صالحًا » (١).

٧- قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ وَٱلَّذِينَ عَامَنُوا وَهَاجَرُواْ وَجَنهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ عَاوَواْ
 قَنْصَرُوٓا أُوْلَتَهِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿ إِلاَنْفال: ٧٤].

قال ابن جرير الطبري: «يقول - تَعَالَى ذكره -: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَوُا وَهَاجَرُوا وَهَاجَرُوا وَهَاجَرُوا وَوَا رسول اللَّه ﷺ والمهاجرين معه ونصروهم، ونصروا دين اللَّه أولئك هم أهل الإيمان حقًا... ﴿ لَهُم مَّغْفِرَةٌ ﴾ : لهم ستر من اللَّه على ذنوبهم بعفوه لهم عنها، ﴿وَرِزْقُ كَرِيمٌ ﴾ لهم في الجنة طُعْم ومشرب هَنِيٌ كريم، لا يتغير في أجوافهم فيصير نجوا، ولكنه يصير رشحًا كرشح المسك (٢٠).

هؤلاء ﴿ اَلْمُؤْمِنُونَ حَقَّا لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾.. والرزق يذكر هنا بمناسبة الجهاد والإنفاق والإيواء والنصرة وتكاليف هذا كله.. وفوقه المغفرة وهي من الرزق الكريم، بل هي أكرم الرزق الكريم.

۸ قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَالَّذِينَ جَهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ شُبُلَنَّا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ العنكبوت: ٦٩].

قال ابن جرير: (١١/٢١): «يقول ـ تَعَالَى ذكره ـ: والذين قاتلوا هؤلاء المفترين على الله كذبًا، من كفار قريش المكذبين بالحق لما جاءهم، فينا، مبتغين بقتالهم علوً

<sup>(</sup>١) مختصر تفسير ابن كثير (١١٨/١)، ٤١٩).

<sup>(</sup>٢) تفسير الطبري (١٠/١٠).

كلمتنا ونصرة ديننا؛ ﴿ لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ يقول: لنوفقنهم لإصابة الطرق المستقيمة، وذلك إصابة دين الله الذي هو الإسلام الذي بعث الله به محمدًا على المستقيمة، وذلك إصابة دين الله الذي هو الإسلام الذي بعث الله به محمدًا على أُووَإِنَّ الله لَمَ عَمَا الله عَمَا أَصُحُسِنِينَ ﴾ يقول: وإن الله لمع من أحسن من خلقه، فجاهد فيه أهل الشرك؛ مصدقًا رسوله فيما جاء به من عند الله بالعون له والنصرة على من جاهد من أعدائه».

قال ابن كثير: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَهَدُواْ فِينَا ﴾؛ يعني: الرسول ـ صلوات اللَّه وسلامه عليه ـ وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، ﴿ لَنَهْدِيَنَّهُمُ ﴾؛ أي: لنبصرنهم. ﴿ شُبُلَنَا ﴾؛ أي: طرقنا في الدنيا والآخرة » (١).

لن يتركهم الله وحدهم، ولن يضيع إيمانهم، ولن ينس جهادهم، إنه سينظر إليهم من عليائه، فيرضاهم. وسينظر إلى جهادهم إليه، فيهديهم، وسينظر إلى محاولتهم الوصول، فيأخذ بأيديهم. وسينظر إلى صبرهم وإحسانهم، فيجازيهم خير الجزاء.

٩- قال - تَعَالَى -: ﴿ أَجَعَلْتُمُ سِقَايَةَ ٱلْحَارَةَ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كُمَنَ ءَامَنَ بِأُسَهِ وَٱللَّهُ لَا يَعْدِى الْقَوْمَ ٱلظَّلِلِمِينَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّلِلِمِينَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّلِلِمِينَ اللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّلِلِمِينَ اللَّهِ اللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ الظَّلِلِمِينَ اللَّهِ بِأَمْوَلِمْ وَٱلفُهِمْ أَعْظُمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ وَأُولَئِكَ هُرُ ٱلْفَآيِرُونَ نَهُ ﴿ [التوبة: ١٩، ٢٠].

قال الطبري (١٠/١٠): ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَايَّةِ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِأُللَّهِ وَٱلْمَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوْرُنَ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ الْعَلَمِينَ ﴿ وَهَذَا تُوبِيخُ مِنِ اللَّه ـ تَعَالَى ذكره ـ لقوم افتخروا بالسقاية وسدانة الظّلِمِينَ ﴿ فَي الْمِينَ اللَّه واليوم الآخر والجهاد في البيت، فأعلمهم ـ جل ثناؤه ـ أن الفخر في الإيمان باللَّه واليوم الآخر والجهاد في سبيله، لا في الذي افتخروا به من السدانة والسقاية».

<sup>(</sup>۱) تفسير ابن كثير (۲۰/۱۰).

قال ابن الجوزي: ﴿ أَجَعَلْتُمُ سِقَايَةً ٱلْحَالَجَ ﴾: في سبب نزولها ستة أقوال:

أحدها: رواه مسلم في «صحيحه» من حديث النعمان بن بشير قال: «كنت عند منبر رسول الله على فقال رجل: ما أبالي أن لا أعمل عملًا بعد [الإسلام إلا] أن أسقي الحاج، وقال الآخر: ما أبالي أن لا أعمل عملًا بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام، قال الآخر: الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم، فزجرهم عمر، وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله على وهو يوم الجمعة، ولكني إذا صليت الجمعة، دخلت فاستفتيت رسول الله فيما اختلفتم فيه، فنزلت هذه الآية هذه الآية الآية.

والثاني: أن العباس بن عبدالمطلب قال يوم بدر: لئن كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة والجهاد، لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقي الحاج ونفك العاني (٢)، فنزلت هذه الآية (٣). رواه على بن أبي طلحة عن ابن عباس (٤).

قال ابن جرير: «فتأويل الكلام إذا جعلتم ـ أيها القوم ـ سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كإيمان من آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله، لا يستوون هؤلاء وأولفك، ولا تعتدل أحوالهما عند الله ومنازلهما؛ لأن الله لا يقبل بغير الإيمان به وباليوم الآخر عملًا، ﴿وَاللّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظّلِمِينَ ﴿: واللّه لا يوفق لصالح الأعمال من كان به كافرًا ولتوحيده جاحدًا».

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَلِهِمْ وَٱنْفُسِهِمْ أَعَظُمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُرُ ٱلْفَآبِرُونَ ﴿ ﴾ : وهذا قضاء من اللَّه بين فرق المفتخرين الذين افتخر

 <sup>(</sup>١) رواه مسلم (٢٦/١٣)، والطبري (٢٦/١٤)، وأبو داود، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني،
 وأبو الشيخ. وابن مردويه، وأورده السيوطي في «الدرر» (٢١٨/٣).

انظر: «الصحيح المسند من أسباب النزول»، لمقبل بن هادي ص (١٠٦).

<sup>(</sup>٢) العاني: الأسير.

<sup>(</sup>٣) الطبري (١٧٠/١٤).

<sup>(</sup>٤) «زاد المسير في علم التفسير»، لابن الجوزي (٤٠٩/٣)، المكتب الإسلامي.

أحدهم بالسقاية والآخر بالسدانة والآخر بالإيمان بالله والجهاد في سبيله؛ يقول - تَعَالَى ذكره .: ﴿ اللَّهِ يَامَنُوا ﴾ باللَّه وصدقوا بتوحيده، ﴿ وَهَاجَرُوا ﴾ دور قومهم، ﴿ وَجَنهَدُوا ﴾ المشركين في دين اللَّه ﴿ يِأْمُولِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظُمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ ﴾ وأرفع منزلة عنده من سقاة الحاج وعمار المسجد الحرام وهم باللَّه مشركون. وهؤلاء الذين وصفنا صفتهم أنهم ﴿ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَنهَدُوا ﴾ هم ﴿ أَلفًا يَرُونَ ﴾ بالجنة والناجون من النار ﴾ (١) هه.

قال ابن الجوزي «قوله ـ تَعَالَى ـ ﴿ أَعُظُمُ دَرَجَةً ﴾ قال الزجاج: هو منصوب على التمييز، والمعنى: أعظم من غيرهم درجة.

والفائز: الذي يظفر بأمنيته من الخير. فأمَّا النعيم، فهو لين العيش. والمقيم: الدائم»(٢).

«وأفعل التفضيل هنا في قوله: ﴿ أَعْظُمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ ﴾ ليس على وجهه، فهو لا يعني أن للآخرين درجة أقل، إنما هو التفضيل المطلق. فالآخرون (٣) ﴿ حَبِطَتَ أَعْمَالُهُمْ وَفِي ٱلنَّارِ هُمْ خَلِدُونَ ﴾، فلا مفاضلة بينهم وبين المؤمنين المهاجرين المجاهدين في درجة ولا في نعيم (٤٠٠).

قال القرطبي: ﴿ اللَّهِ عَامَنُوا ﴾ في موضع رفع بالابتداء، وخبره ﴿ أَعَظُمُ دَرَجَةً عِند اللَّهِ ﴾؛ أي: من الذين افتخروا بالسقى والعمارة. وليس للكافرين درجة عند اللّه حتى يُقال: المؤمن أعظم درجة. والمراد أنهم قدَّروا لأنفسهم الدرجة بالعمارة والسقي؛ فخاطبهم على ما قدَّروه في أنفسهم وإن كان التقدير خطأً؛ كقوله - تَعَالَى -: ﴿ أَصْحَبُ الْجَنَّةِ يَوْمَهِ لِ خَيْرٌ مُسْتَقَرًا ﴾ [الفرقان: ٢٤] الآية.

<sup>(</sup>١) تفسير الطبري (١٥/١٠، ٦٩).

<sup>(</sup>٢) زاد المسير (١١/٣).

<sup>(</sup>٣) أي: المشركون.

<sup>(</sup>٤) الظلال (١٦١٤/٣).

• ١ - قال - تَعَالَى -: ﴿ لَا يَسْنَوِى الْقَعِدُونَ مِنَ الْمُوْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الظَّرَرِ وَالْمُجَهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمُولِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْفَعِدِينَ دَرَجَةً سَبِيلِ اللّهِ بِأَمُولِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْفَعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلّ وَعَدَ اللّهُ الْمُحُهِدِينَ عَلَى الْفَعِدِينَ أَجَرًا عَظِيمًا ﴿ وَالْفَعِدِينَ اللّهِ عَلَى الْفَعِدِينَ أَجَرًا عَظِيمًا ﴿ وَكُلّ وَعَدَ اللّهُ الْمُحْهَدِينَ عَلَى الْفَعِدِينَ أَجَرًا عَظِيمًا ﴿ وَكُنّ اللّهُ عَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ٩٥. ٩٦].

يقول ابن جرير الطبري في تفسيره (١٤٤/٥): ﴿ لَا يَسَنَوِى الْقَعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ عَيْرُ أُولِي الضَّرِ وَاللَّبُحَهِدُونَ ﴾: لا يعتدل المتخلفون عن الجهاد في سبيل اللَّه من أهل الإيمان باللَّه وبرسوله، المؤثرون الدعة والخفض والقعود في منازلهم على مقاساة حزونة الأسفار والسير في الأرض ومشقة ملاقاة أعداء اللَّه بجهادهم في ذات اللَّه وقتالهم في طاعة اللَّه له لا أهل العذر منهم بذهاب أبصارهم وغير ذلك من العلل التي لا سبيل لأهلها للضرر الذي بهم إلى قتالهم وجهادهم في سبيل الله، والمجاهدون في سبيل اللَّه ومنهاج دينه؛ لتكون كلمة اللَّه هي العليا، المستفرغون طاقتهم في قتال أعداء اللَّه وأعداء دينه بأموالهم إنفاقًا لها فيما أوهن كيد أعداء أهل الإيمان بالله، وبأنفسهم مباشرة بها قتالهم بما تكون به كلمة اللَّه العالمية وكلمة الذين كفروا السافلة».

﴿ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَلِهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَعِدِينَ دَرَجَةً ﴾ درجة واحدة يعني فضيلة واحدة، وذلك بفضل جهاده بنفسه، فأما فيما سوى ذلك فهما مستويان، ﴿ وَكُلَّ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَى ﴾ وعد اللَّه الكل من المجاهدين بأموالهم وأنفسهم والقاعدين من أهل الضرر الحسنى، ويعني - جلَّ ثناؤه - بالحسنى الجنة.

«عن البراء ﷺ قال: لما نزلت ﴿ لاَ يَسْتَوَى الْقَاعِدُونَ مِنَ اَلْمُؤْمِنِينَ ﴾ دعا رسول اللّه زيدًا فكتبها، فجاء ابن أم مكتوم فشكا ضرارته، فأنزل اللّه ﴿غَيْرُ أُولِى الضَّرَرِ ﴾ (١).

<sup>(</sup>۱) رواه البخاري (۲۸۳۱، ۲۸۹۰، ۲۹۹۰، ۲۰۹۱)، ومسلم (۱۶۱، ۱۶۲، ۱۸۹۸)، والترمذي (۱۲۰، ۱۲۸۰)، والنسائي (۲۰۱، ۲۳۱)، وأحمد (۲۸۲/۲، ۲۸۲، ۲۹۰، ۲۹۹، ۳۰۱).

وعن زيد بن ثابت ﷺ «أن رسول الله ﷺ أملى على ﴿ لاَ يَسْتَوِى الْقَعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِى الضَّرَرِ وَاللَّهَ عَلَى الله على أللَّهِ فَجاءه أبن أم مكتوم وهو بمليها علي، قال: يا رسول الله، والله لو أستطيع الجهاد لجاهدت، وكان أعمى، فأنزل الله على رسوله، وفخذه على فخذي، فثقلت على حتى خفت أن ترض فخذي، ثم شرِّي عنه، فأنزل الله ﴿ غَيْرُ أُولِ الضَّرَرِ ﴾ (١).

وعن ابن عباس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ ﴿ لَا يَسْتَوِى ٱلْقَاهِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ عن بدر، والخارجون إلى بدر (٢).

قال الحافظ ابن كثير: «وقوله ﴿ لا يَسْتَوِى الْقَاعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ كان مطلقًا، فلما نزل بوحي سريع ﴿ غَيْرُ أُولِ الضَّرَرِ ﴾ صار ذلك مخرجًا لذوي الأعذار المبيحة لترك الجهاد: من العمى، والعرج، والمرض عن مساواتهم للمجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم.

وعن أنس بن مالك ضَلِيْه عن النبي ﷺ قال: «لقد تركتم بالمدينة أقوامًا ما سرتم مسيرًا ولا أنفقتم من نفقة، ولا قطعتم من واد، إلا وهم معكم فيه» قالوا: يا رسول الله، كيف يكونون معنا وهم بالمدينة؟ قال: «حبسهم العذر»(1).

<sup>(</sup>١) رواه البخاري (٢٨٣٢، ٤٥٩٢)، والترمذي (٣٠٣٣)، والنسائي (٩/٦)، وأحمد (١٨٤/٥).

 <sup>(</sup>۲) تفسير عبدالرزاق (۱۷۰/۱)، ومن طريقه رواه البخاري (۳۹۰۵، ۳۹۰۵)، وابن جرير (۹/ ۱۸۲۸)، وابن أبي حاتم (۸٤۸/۳).

<sup>(</sup>٣) رواه البخاري (٢٨٣٨/٩، ٢٨٣٩، ٤٤٢٣)، وأحمد (١٠٣/٣، ١٨٢)، وابن ماجه (٢٧٦٤)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (١٤٠٢)، وأبو يعلى في «مسنده» (٣٨٣٩/٦)، وابن حبان (١١/ ٤٧٣١ ـ الإحسان)، والبغوي في «شرح السنة» (٢٦٣٧/١٠).

<sup>(</sup>٤) **حديث حسن صحيح**: أخرجه البخاري معلقًا عقب حديث (٢٨٣٩)، وابن حجر في «تغليق التعليق» (٤٣٤/٣)، وأحمد (٢١٠/١، ٢١٤)، وأبو داود (٢٥٠٨).

وفي هذا المعنى قال الشاعر:

يا راحلين إلى البيت العتيق لقد سرتم جسومًا وسؤنا نحن أرواحًا إنا أقمنا على عذر فقد راحًا(١) ﴿ وَمَنْ أَقُمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى عَلَى عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجَّرًا عَظِيمًا ﴿ .

ثم أخبر - سبحانه وتعالى - بما فضلهم به من الدرجات، في غرف الجنان العاليات، ومغفرة الذنوب والزلات، وحلول الرحمة والبركات؛ إحسانًا منه وتكريمًا، ولهذا قال: ﴿ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمُغْفِرةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا اللهُ عَنْوراً رَّحِيمًا اللهُ عَنْوراً رَّحِيمًا اللهُ عَنْوراً رَحِيمًا اللهُ عَنْوراً منه ومنازل من منازل الكرامة.

قال قتادة: درجات منه ومغفرة ورحمة: كان يُقال الإسلام درجة، والهجرة في الإسلام درجة، والجهاد في الهجرة درجة، والقتل في الجهاد درجة».

عن أبي سعيد الحدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة مئة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض» (٢٠).

وعن كعب بن مُرَّة قال: سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «من بلغ العدو بسهم، رفع اللَّه به درجة له»، فقال له عبدالرحمن بن النحَّام: يا رسول الله، وما الدرجة؟ قال: «أما إنها ليست بعتبة أمك، ما بين الدرجتين مئة عام»(٣).

﴿ لَا يَسْتَوِى الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ إِلَّهُ وَالْفُسِمِ مَا اللّهَ اللّهَ عَلَى اللّهَ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلّا وَعَدَ

قال الحافظ في «الفتح» (٤٧/٦) عقب رواية أبي داود: «هذا عندي حديث صحيح حسن؛ لحس سياقه وجودة رجاله»، ورواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٢٤/٩).

<sup>(</sup>١) تفسير ابن كثير (٢٢٤/٤، ٢٢٥).

<sup>(</sup>٢) رواه مسلم (١١٦) (١٨٨٤) بلفظ: «وأخرى يُرْفَعُ بها العبد مئة درجة من الجنة، ما بين كل درجتين؛ كما بين السماء والأرض. قال: يا رسول الله، وما هي؟ قال: الجهاد في سبيل الله، الجهاد في سبيل الله»، وأخرجه البخاري (٢٧٩٠) واللفظ له.

<sup>(</sup>٣) صعيح: أخرَجه أحمد (٢٥/٤)، والنسائي (٢٧/٦)، وابن حبان (٢١٦/١٠)، وَصَحَّحَهُ الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (٣٢٤/٦).

ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَٰلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَهِدِينَ عَلَى ٱلْقَاعِدِينَ أَجَّرًا عَظِيمًا ۞ دَرَجَنتِ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۞

«إن هذا النص القرآني كان يواجه حالة خاصة في المجتمع المسلم وما حوله، وكان يعالج حالة خاصة في هذا المجتمع من التراخي من بعض عناصره في النهوض بتكاليف الجهاد بالأموال والأنفس. سواء كان المقصود أولئك الذين تخلفوا عن الهجرة؛ احتفاظًا بأموالهم، إذ لم يكن المشركون يسمحون لمهاجر أن يحمل معه شيعًا من ماله، أو توفيرًا لعناء الهجرة وما فيها من مخاطر، إذ لم يكن المشركون يتركون المسلمين يهاجرون، وكثيرًا ما كانوا يحبسونهم ويؤذونهم - أو يزيدون في إيذائهم بتعبير أدق - إذا عرفوا منهم نية الهجرة.. سواء كان المقصود هم أولئك الذين تخلفوا عن الهجرة - وهو ما نرجحه ، أو كان المقصود بعض المسلمين في دار الإسلام، الذين لم ينشطوا للجهاد بالأموال والأنفس - من غير المنافقين المبطئين الذين ورد ذكرهم في درس سابق - أو كان المقصود هؤلاء وهؤلاء ممن لم ينشطوا للجهاد بالأموال والأنفس مواء.

إن هذا النص كان يواجه هذه الحالة الخاصة، ولكن التعبير القرآني يقرر قاعدة عامة، يطلقها من قيود الزمان، وملابسات البيئة، ويجعلها هي القاعدة التي ينظر الله بها إلى المؤمنين في كل زمان وفي كل مكان؛ قاعدة عدم الاستواء بين القاعدين من المؤمنين عن الجهاد بالأموال والأنفس ـ غير أولي الضرر الذين يقعدهم العجز عن الجهاد بالنفس، أو يقعدهم الفقر والعجز عن الجهاد بالنفس والمال ـ؟ عدم الاستواء بين هؤلاء القاعدين والآخرين الذين يجاهدون بأموالهم وأنفسهم.. قاعدة عامة على الإطلاق:

﴿ لَا يَسْتَوِى ٱلْقَاعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي ٱلظَّرَرِ وَٱلْمُجَهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَلِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ﴾ .

ولا يتركها هكذا مبهمة، بل يوضحها ويقررها، ويبين طبيعة عدم الاستواء بين

#### الفريقين:

﴿ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَنعِدِينَ دَرَجَةً ﴾ وهذه الدرجة يمثلها رسول الله ﷺ في مقامهم في الجنة.

عن أبي سعيد الخدري أن رسول اللَّه ﷺ قال: «إن في الجنة مئة درجة أعدها اللَّه للمجاهدين في سبيله، وما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض».

وهذه المسافات التي يمثل بها رسول اللَّه ﷺ، نحسب أننا اليوم أقدر على تصورها، بعد الذي عرفناه من بعض أبعاد الكون. حتى إن الضوء ليصل من نجم إلى كوكب في مئات السنين الضوئية! وقد كان الذين يسمعون رسول اللَّه ﷺ يصدقونه بما يقول. ولكنا ـ كما قلت ـ ربما كنا أقدر ـ فوق الإيمان ـ على تصور هذه الأبعاد بما عرفناه من بعض أبعاد الكون العجيب!

ثم يعود السياق بعد تقرير هذا الفارق في المستوى بين القاعدين من المؤمنين ـ غير أولي الضرر ـ والمجاهدين بأموالهم وأنفسهم، فيقرر أن اللَّه وعد جميعهم الحسنى:

# ﴿ وَكُلَّا وَعَدَ اللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾.

فللإيمان وزنه وقيمته على كل حال؛ مع تفاضل أهله في الدرجات وفق تفاضلهم في النهوض بتكاليف الإيمان؛ فيما يتعلق بالجهاد بالأموال والأنفس.. وهذا الاستدراك هو الذي نفهم منه أن هؤلاء القاعدين ليسوا هم المنافقين المبطئين، إنما هم طائفة أخرى صالحة في الصف المسلم ومخلصة، ولكنها قصرت في هذا الجانب، والقرآن يستحثها لتلافي التقصير، والخير مرجو فيها، والأمل قائم في أن تستجيب.

فإذا انتهى من هذا الاستدراك عاد لتقرير القاعدة الأولى؛ مؤكدًا لها، متوسعًا في عرضها؛ ممعنًا في الترغيب فيما وراءها من أجر عظيم:

﴿ وَفَضَّلَ اللهُ اللهُ المُكِهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجَّرًا عَظِيمًا دَرَجَنتِ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللهُ عَفُورًا رَّحِيمًا اللهُ ﴾.

وهذا التوكيد.. وهذه الوعود.. وهذا التمجيد للمجاهدين.. والتفضيل على القاعدين.. والتلويح بكل ما تهفو له نفس المؤمن من درجات الأجر العظيم.. ومن مغفرة الله ورحمته للذنوب والتقصير.

هذا كله يشي بحقيقتين هامتين:

الحقيقة الأولى: هي أن هذه النصوص كانت تواجه حالات قائمة في الجماعة المسلمة ـ كما أسلفنا ـ وتعالجها، وهذا كفيل بأن يجعلنا أكثر إدراكًا لطبيعة النفس البشرية، ولطبيعة الجماعات البشرية، وأنها مهما بلغت في مجموعها من التفوق في الإيمان والتربية فهي دائمًا في حاجة إلى علاج ما يطرأ عليها من الضعف والحرص والشح والتقصير في مواجهة التكاليف، وبخاصة تكاليف الجهاد بالأموال والأنفس، مع خلوص النفس لله، وفي سبيل الله. وظهور هذه الخصائص البشرية ـ من الضعف والحرص والشح والتقصير ـ لا يدعو لليأس من النفس أو الجماعة، ولا إلى نفض اليد منها، وازدرائها؛ طالما أن عناصر الإخلاص، والجد والتعلق بالصف والرغبة في التعامل مع الله موفورة فيها.. ولكن ليس معنى هذا هو إقرار النفس أو الجماعة على ما بدا منها من الضعف والحرص والشح والتقصير، والهتاف لها بالانبطاح في السفح، باعتبار أن هذا كله جزء من «واقعها»! بل لا بد لها من الهتاف؛ لتنهض من السفح، والحداء؛ لتسير في المرتقى الصاعد، إلى القمة السامقة. بكل ألوان الهتاف والحداء.. كما نرى هنا في المنهج الرباني الحكيم. والحقيقة الثانية: هي قيمة الجهاد بالأموال والأنفس في ميزان اللَّه واعتبارات هذا الدين وأصالة هذا العنصر في طبيعة هذه العقيدة وهذا النظام؛ لما يعلمه الله ـ سبحانه ـ من طبيعة الطريق، وطبيعة البشر، وطبيعة المعسكرات المعادية للإسلام في کل حین.

إن «الجهاد» ليس ملابسة طارئة من ملابسات تلك الفترة، إنما هو ضرورة مصاحبة لركب هذه الدعوة.

وليست المسألة . كما توهم بعض المخلصين . أن الإسلام نشأ في عصر الإمبراطوريات؛ فاندس في تصورات أهله . اقتباسًا مما حولهم . أنه لا بد لهم من قوة قاهرة لحفظ التوازن.

هذه المقررات تشهد ـ على الأقل ـ بقلة ملابسة طبيعة الإسلام الأصيلة لنفوس هؤلاء القائلين بهذه التكهنات والظنون.

لو كان الجهاد ملابسة طارئة في حياة الأمة المسلمة ما استغرق كل هذه الفصول من صلب كتاب الله؛ في مثل هذا الأسلوب! ولما استغرق كذلك كل هذه الفصول من سنة رسول الله علي وفي مثل هذا الأسلوب.

لو كان الجهاد ملابسة طارئة ما قال رسول الله على تلك الكلمة الشاملة لكل مسلم إلى قيام الساعة: «من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة من النفاق»(١).

ولئن كان على رد في حالات فردية بعض المجاهدين؛ لظروف عائلية لهم خاصة، كالذي جاء في الصحيح أن رجلًا قال للنبي على أجاهد؟ قال: «لك أبوان؟» قال: نعم. قال: «ففيهما جاهد».. لئن كان ذلك فإنما هي حالة فردية لا تنقض القاعدة العامة، وفرد واحد لا ينقص المجاهدين الكثيرين. ولعله على عادته في معرفة كل ظروف جنوده فردًا فردًا، كان يعلم من حال هذا الرجل وأبويه ما جعله يوجهه هذا التوجيه.

فلا يقولن أحد ـ بسبب ذلك ـ إنما كان الجهاد ملابسة طارئة بسبب ظروف، وقد تغيرت هذه الظروف! وليس ذلك لأن الإسلام يجب أن يشهر سيفه ويمشى

<sup>(</sup>١) رواه أحمد، ومسلم، وأبو داود، والنسائي عن أبي هريرة.

به في الطريق يقطع به الرءوس! ولكن لأن واقع حياة الناس وطبيعة طريق الدعوة تلزمه أن يمسك بهذا السيف ويأخذ حذره في كل حين!

إن الله ـ سبحانه ـ يعلم أن هذا أمر تكرهه الملوك! ويعلم أن لا بد لأصحاب السلطان أن يقاوموه؛ لأنه طريق غير طريقهم، ومنهج غير منهجهم. ليس بالأمس فقط، ولكن اليوم وغدًا. وفي كل أرض، وفي كل جيل!

وإن اللَّه ـ سبحانه ـ يعلم أن الشر متبجح، ولا يمكن أن يكون منصفًا، ولا يمكن أن يدع الخير ينمو ـ مهما يسلك هذا الخير من طرق سلمية موادعة! ـ فإن مجرد نمو الخير يحمل الخطورة على الشر. ومجرد وجود الحق يحمل الخطر على الباطل. ولا بد أن يجنح الشر إلى العدوان، ولا بد أن يدافع الباطل عن نفسه بمحاولة قتل الحق وخنقه بالقوة!

هذه جبلة! وليست ملابسة وقتية..

هذه فطرة! وليست حالة طارئة..

ومن ثم لا بد من الجهاد.. لا بد منه في كل صورة.. ولا بد أن يبدأ في عالم الضمير، ثم يظهر فيشمل عالم الحقيقة والواقع والشهود. ولا بد من مواجهة الشر المسلح بالخير المسلح. ولا بد من لقاء الباطل المتترس بالعدد بالحق المتوشح بالعدة.. وإلا كان الأمر انتحارًا، أو كان هزلًا لا يليق بالمؤمنين!

ولا بد من بذل الأموال والأنفس، كما طلب الله من المؤمنين، وكما اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة.. فأما أن يقدر لهم الغلب، أو يقدر لهم الاستشهاد؛ فذلك شأنه ـ سبحانه ـ وذلك قدره المصحوب بحكمته.. أما هم فلهم إحدى الحسنيين عند ربهم.. والناس كلهم يموتون عندما يحين الأجل.. والشهداء وحدهم هم الذين يستشهدون..

هناك نقط ارتكاز أصيلة في هذه العقيدة، وفي منهجها الواقعي، وفي خط سيرها المرسوم، وفي طبيعة هذا الخط وحتمياته الفطرية، التي لا علاقة لها بتغيير

الظروف.

وهذه النقط لا يجوز أن تتميع في حس المؤمنين ـ تحت أي ظرف من الظروف. ومن هذه النقط. الجهاد. الذي يتحدث عنه الله ـ سبحانه ـ هذا الحديث. الجهاد في سبيل الله وحده، وتحت رايته وحدها. وهذا هو الجهاد الذي يسمى من يقتلون فيه «شهداء» ويتلقاهم الملأ الأعلى بالتكريم»(١).

وقوله - تَعَالَى -: ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُمْ مَّنَ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَائَلَ ﴾؛ أي: لا يستوي هذا ومن لم يفعل كفعله، وذلك أن قبل فتح مكة كان الحال شديدًا فلم يكن يؤمن حينئذ إلا الصديقون، وأما بعد الفتح فإنه ظهر الإسلام ظهورًا عظيمًا، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، ولهذا قال - تَعَالَى - ﴿ أُولَيْتِكَ أَعْظُمُ دَرَجَةً مِّنَ اللّه أَنفَقُواْ مِنْ بَعَدُ وَقَامَلُوا وَكُم اللّه الله أَنواجًا، ولهذا قال المأتى الله والجمهور على أن المراد الفتح هاهنا صلح الحديبية، بالفتح هاهنا فتح مكة، وعن الشعبي وغيره أن المراد بالفتح هاهنا صلح الحديبية، وقد يستدل لهذا القول بما رواه الإمام أحمد عن أنس قال: كان بين خالد بن الوليد

<sup>(</sup>١) الظلال (٢/٠٤٠ - ٧٤٠).

وبين عبدالرحمن بن عوف كلام فقال خالد لعبد الرحمن: تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها، فبلغنا أن ذلك ذُكِر للنبي في فقال: «دعوا لي أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفقتم مثل أحد أو مثل الجبال ذهبًا ما بلغتم أعمالهم» ومعلوم أن إسلام خالد بن الوليد المواجه بهذا الخطاب كان بين صلح الحديبية وفتح مكة. والذي في الصحيح عن رسول الله في أنه قال: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه».

وَكُلَّا وَعَدَ اللَّهُ اَلَحُسَنَى وَ يعني: المنفقين قبل الفتح وبعده، كلهم لهم ثواب على ما عملوا، وإن كان بينهم تفاوت في تفاضل الجزاء، كما قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ لَا يَسْتَوِى الْقَعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ عَيْرُ أُولِى الضَّرِ وَاللَّبُهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِأَمْوِلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَعِدِينَ دَرَجَةٌ وَكُلَّا وَعَدَ اللّهُ المُسْتَى وَفَضَلَ الله الله الله المُحْتِهِدِينَ عَلَى الْقَعِدِينَ أَجَّرًا عَظِيمًا ﴿ النساء: ٩٥]. وهكذا الحديث الذي في الصحيح: «المؤمن القوي خير من وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير» وإنما نبته بهذا لئلا يهدر جانب الآخر بمدح الأول دون الآخر فيتوهم متوهم ذمه، فلهذا عطف بمدح الآخر والثناء عليه مع تفضيل الأول عليه، ولهذا قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ وَاللّهُ بِمَا نَعْمَلُونَ خَيدٌ ﴾؛ أي: فلخبرته فاوت بين ثواب من أنفق من قبل الفتح وقاتل، ومن فعل ذلك بعد ذلك، وما ذاك إلا لعلمه بقصد الأول وإخلاصه النام وإنفاقه في حال الجهد والقلة والضيق، وفي الحديث: «سبق درهم مئة ألف»، ولا شك عند أهل الإيمان أن الصديق أبا بكر صحيحة له الحظ

<sup>(</sup>١) صحيح: رواه أحمد ولفظه: «دعوا لي أصحابي؛ فوالذي نفسي بيده، لو أنفقتم مثل أحد ذهبًا ما بلغتم أعمالهم»، ورواه البزار عن ابن أبي أوفى، وَصَحَّحَهُ الألباني في «الصحيحة» رقم (١٩٢٣)، و«صحيح الجامع» رقم (٣٣٨٦).

<sup>(</sup>٢) صحيح: أخرجه البخاري في كتاب المناقب (٣٦٧٣)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٥٤٠) من حديث أبي سعيد وأيضًا عن أبي هريرة.

<sup>&</sup>lt;sup>(٣)</sup> أحرجه مسلم (٢٦٦٤).

الأوفر من هذه الآية، فإنه سيد من عمل بها من سائر أمم الأنبياء فإنه أنفق ماله كله التغاء وجه الله عَجَلْلُ ولم يكن لأحد عنده نعمة يجزيه بها»(١).

17- قال - تَعَالَى -: ﴿ لَكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلْذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَنهَدُوا بِأَمْوَلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأَوْلَتَهِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَمُمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَتَهِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَمُمْ اللَّهُ لَمُمْ اللَّهُ لَلَّهُ لَمُمْ اللَّهُ لَلَّهُ لَلَّهُ لَمُمْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ لَمُمُ اللَّهُ اللَّالَالَالَالَالِمُ اللَّهُ اللَّالِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الل

قال ابن جرير الطبري (١٤٤، ١٤٤): «يقول ـ تَعَالَى ذكره ـ: لم يجاهد هؤلاء المنافقون (الذين اقتصصت قصصهم) المشركين، لكن الرسول محمد على الله ورسوله معه هم الذين جاهدوا المشركين بأموالهم وأنفسهم، فأنفقوا في جهادهم أموالهم، وأتعبوا في قتالهم أنفسهم وأجهدوها. وللرسول وللذين آمنوا معه الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم الخيرات، وهي خيرات الآخرة، وذلك نساؤها وجناتها ونعيمها. والخيرة من كل شيء: الفاضلة. ﴿ وَأَوْلَنَهِكُ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿ وَأُولئكُ هُم المخلدون في الجنات، الباقون فيها، الفائزون بها».

قال ابن جرير الطبري: «إن الذين صدَّقوا باللَّه وبرسوله وبما جاء به، والذين هجروا مساكنة المشركين في أمصارهم ومجاورتهم في ديارهم كراهة منهم النزول بين أظهر المشركين وفي سلطانهم بحيث لا يأمنون فتنتهم على أنفسهم، فتحولوا عنهم وعن جوارهم وبلادهم إلى غيرها.

﴿ وَجَنهَدُوا ﴾؛ يعني: وقاتلوا وحاربوا، وأصل المجاهدة المفاعلة من قول الرجل: قد جهد فلان فلانًا على كذا إذا كَرَبه وشقَّ عليه يجهده جهدًا، وأما ﴿ سَبِيلِ اللَّهَ فَطْرِيقه ودينه. فمعنى قوله إذًا: والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل اللَّه

<sup>(</sup>١) محتصر تفسير ابن كثير (٤٩٣، ٤٩٤).

والذين تحوَّلوا من سلطان أهل الشرك هجرة لهم وخوف فتنتهم على أديانهم، وحاربوهم في دين الله؛ ليدخلوهم فيه وفيما يرضي الله ﴿أُوْلَكِمِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ الله ﴿ أُوْلَكِمِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ الله ﴾ أي الله عليهم الله، فيدخلهم جنته بفضل رحمته إياهم، ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ ﴾؛ أي: ساتر ذنوب عباده بعفوه عنها، متفضل عليهم بالرحمة. وهذه الآية ذكر أنها نزلت في عبدالله بن جحش وأصحابه.

ا 14 وَمَا كَانَ لِأَهَلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِنَ الْأَغْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ اللّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِمْ عَن نَقْسِهُ وَلَاكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظُمَّ وَلَا نَصَبُّ وَلَا يَعْمَصُ أَن فِي سَكِيلِ اللّهِ وَلَا يَطَعُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْصَّفَارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُو نَيْلًا إِلّا كُلِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَلِيحٌ إِنَّ اللّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ عَدُو نَيْلًا إِلّا كُلِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَلِيحٌ إِنَّ اللّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ عَدُو نَيْلًا إِلّا كُلِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَلِيحٌ إِنَ اللّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ اللّهُ وَالتَوبَة : ١٢٠].

قال ابن جرير في تفسيره (٤٧/١١) ٤١ (الم يكن ﴿ لِأَمْلِ الْمَدِينَةِ ﴾ مدينة رسول اللَّه ﷺ ﴿ وَمَنْ حَوْلَهُم مِن الْاَعْرَابِ ﴾ اللَّه الله الذين تخلفوا عن رسول اللَّه ﷺ في غزوة (تبوك) وهم من أهل الإيمان به ﴿ أَن يَتَخَلِّقُوا ﴾ في أهليهم ولا دارهم، ولا أن ﴿ يَرَغَبُوا ۚ بِالفَسِمِ عَن نَفْسِدِ ﴾ في صحبته، وفي سفره والجهاد معه، ومعاونته على ما يعانيه في غزوه ذلك؛ يقول: إنه لم يكن لهم هذا لأجل أنهم ﴿ لَا يُصِيبُهُم ﴾ في سفرهم إذا كانوا معه ﴿ ظُما أَ ﴾ وهو العطش، ﴿ وَلا يُصِيبُهُم ﴾ ولا تعب، ﴿ وَلا يَخْمَصُهُ في سَكِيلِ اللّه ﴾؛ يعني: ولا مجاعة في إقامة دين الله ونصرته وهدم منار الكفر، ﴿ وَلا يَطَعُونَ مَوْطِئًا ﴾ ؛ يعني: أرضًا. يقول: ولا يطبون أرضًا. ﴿ يَفْرِيكُ اللّه وعدوهم شيئًا في أموالهم وأنفسهم وأولادهم إلا كتب الله لهم بذلك كله ثواب عمل صالح قد ارتضاه ﴿ إِنَ اللّه لا يدع محسنًا من خلقه أحسن في عمله فأطاعه فيما أمره وانتهى عما نهاه عنه أن يجازيه على إحسانه ويثيبه على عمله فأطاعه فيما أمره وانتهى عما نهاه عنه أن يجازيه على إحسانه ويثيبه على

صالح عمله».

﴿ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً ﴾ ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة في سبيل الله، ﴿ وَلَا يَقَطَعُونَ وَادِيًا ﴾ ولا يقطعون مع رسول الله ﷺ في غزوه واديًا إلا كُتب لهم أجر عملهم ذلك؛ جزاءً لهم عليه كأحسن ما يجزيهم على أحسن أعمالهم التي كانوا يعملونها وهم مقيمون في منازلهم.

عن قتادة قال: ما ازداد قوم من أهليهم في سبيل اللَّه بُعدًا إلا ازدادوا من اللَّه قُربًا.

قال ابن كثير: «وقد حصل لأمير المؤمنين عثمان بن عفان ضِيْ من هذه الآية الكريمة حظ وافر ونصيب عظيم، وذلك أنه أنفق في هذه الغزوة النفقات الجليلة والأموال الجزيلة»(١).

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنَ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنْفُسِهِمْ عَن نَقْسِهِ ﴿ ﴾ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنْفُسِهِمْ عَن نَقْسِهِ ﴿ ﴾ •

وفي التعبير تأنيب خفي. فما يُؤَنَّبُ أحدٌ يصاحب رسول اللَّه ﷺ بأوجع من أن يقال عنه: إنه يرغب بنفسه عن نفس رسول الله، وهو معه، وهو صاحبه!

وإنها لإشارة تلحق أصحاب هذه الدعوة في كل جيل؛ فما كان لمؤمن أن يرغب بنفسه عن مثل ما تعرضت له نفس رسول الله في سبيل هذه الدعوة؛ وهو يزعم أنه صاحب دعوة؛ وأنه يتأسى فيها برسول الله عليه!

إنه الواجب الذي يوجبه الحياء من رسول اللَّه ـ فضلًا على الأمر الصادر من اللَّه ـ ومع هذا فالجزاء عليه ما أسخاه!

﴿ ذَالِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبُ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَكِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطُونُ مَوْطِئًا يَخِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كُنِبَ

<sup>(</sup>١) تفسير ابن كثير (٣١٥/٧)، طبعة أولاد الشيخ.

لَهُم بِهِ عَمَلُ صَكِيْحٌ إِنَ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا يُتَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿ ﴾.

إنه على الظمأ جزاء، وعلى النصب جزاء، وعلى الجوع جزاء، وعلى كل موطئ قدم يغيظ الكفار جزاء، وعلى كل نيل من العدو جزاء، يكتب به للمجاهد عمل صالح، ويحسب به من المحسنين الذين لا يضيع لهم الله أجرًا.

وإنه على النفقة الصغيرة والكبيرة أجر، وعلى الخطوات لقطع الوادي أجر.. أجر كأحسن ما يعمل المجاهد في الحياة.

ألا والله، إن اللَّه ليجزل لنا العطاء، وإنها واللَّه للسماحة في الأجر والسخاء. وإنه لمما يخجل أن يكون ذلك كله على أقل مما احتمله رسول اللَّه ﷺ من الشدة واللأواء في سبيل هذه الدعوة التي نحن فيها خلفاء، وعليها بعده أمناء!»(١).

ا 1. قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ مَامَنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَنَهَدُواْ بِأَمُولِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَكِيلِ ٱللَّهِ أَوْلَيْهِكَ هُمُ ٱلصَكِيفُونَ ۞ ﴾ وَجَنهَدُواْ بِأَمُولِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَكِيلِ ٱللَّهِ أَوْلَيْهِكَ هُمُ ٱلصَكِيفُونَ ۞ ﴾ [الحجوات: 10].

قال ابن كثير: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾؛ أي: إنما المؤمنون الكُمَّل ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ عَنْمَ لَمْ يَرْتَابُواْ ﴾؛ أي: لم يَشُكُّوا ولا تزلزلوا، بل ثبتوا على حال واحدة، وهي التصديق المحض، ﴿ وَجَهَدُواْ بِأَمْوَلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾؛ أي: وبذلوا مهجهم ونفائس أموالهم في طاعة الله ورضوانه، ﴿ أُولَئِيكَ هُمُ الصَّكِدِقُونَ ﴾؛ أي: في قولهم إذ قالوا: إنهم مؤمنون، لا كبعض الأعراب الذين اليس معهم من الدين إلا الكلمة الظاهرة » (٢).

قال ابن زيد: «صدَّقوا إيمانهم بأعمالهم»(٣).

<sup>(</sup>۱) الظلال (۱۷۳۳/۳، ۱۷۳۴). (۲) تفسیر ابن کثیر (۱۲۵/۱۳).

<sup>(</sup>٣) تفسير ابن جرير (٩١/٢٦).

التصديق الذي لا يرد عليه شك ولا ارتياب، التصديق المطمئن، الثابت، المستيقن الذي لا يتزعزع ولا يضطرب، ولا تهجس فيه الهواجس، ولا يتلجلج فيه القلب والشعور، والذي ينبثق منه الجهاد بالمال والنفس في سبيل الله، فالقلب متى تذوَّق حلاوة هذا الإيمان واطمأن إليه وثبت عليه، لا بد مندفعٌ لتحقيق حقيقته في خارج القلب، في واقع الحياة، في دنيا الناس، يريد أن يوجِّد بين ما يستشعره في باطنه من حقيقة الإيمان التي في حسه، والصورة الواقعية من حوله؛ لأن هذه المفارقة تؤذيه وتصدمه في كل لحظة. ومن هنا هذا الانطلاق إلى الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس، فهو انطلاق ذاتي من نفس المؤمن، يريد أن يحقق الصورة الوضيئة التي في قلبه؛ ليراها ممثلة في واقع الحياة والناس. هذا هو الإيمان الكامل الجميل المستقيم.

قال ابن جرير في تفسيره (١٠٦/٥): «وهذا حضَّ من اللَّه المؤمنين على جهاد عدوه من أهل الكفر به على أحايينهم؛ غالبين كانوا أو مغلوبين... وقع جهادهم منزلة من اللَّه رفيعة.

يقول اللَّه لهم: ﴿ فَلَيُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾؛ يعني: في دين اللَّه والدعاء إليه والدخول فيما أمر به أهل الكفر.

﴿ اللَّذِينَ يَشَرُونَ اللَّهَ اللَّهُ اللَّهُ أَمْلُ طاعته بها. وبيعهم إياها إنفاقهم أموالهم في الدنيا بثواب الآخرة وما وعد الله أهل طاعته بها. وبيعهم إياها إنفاقهم أموالهم في طلب رضا الله؛ كجهاد من أمر بجهاده من أعدائه وأعداء دينه وبذلهم مهجهم له في ذلك.

﴿ وَمَن يُقَدِّقُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلُ أَوْ يَغْلِبُ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ إَجَّرًا عَظِيمًا ﴾.

يقول: ومن يقاتل في طلب إقامة دين الله وإعلاء كلمة الله أعداء الله، ﴿ فَيُ لَبُّ وَاعلاء كلمة الله أعداء الله، ﴿ فَيُ لِبُّ وَ يَعْلَمُهُم فَيظُفُر بَهُم. ﴿ فَيَسُوفَ نُوْرِيّهِ أَجُرًا عَظِيمًا ﴾ فسوف نعطيه في الآخرة ثوابًا وأجرًا عظيمًا. وليس لما سمّى ـ جل ثناؤه ـ عظيمًا مقدارٌ يعرف مبلغه عباد الله ».

قال ابن كثير في تفسير هذه الآيات: «كل من قاتل في سبيل الله، سواء قُتِل أو غَلَبَ، فله عند الله مثوبة عظيمة وأجر جزيل، كما ثبت في الصحيحين. وتكفل الله للمجاهد في سبيله إن توفاه أن يدخله الجنة، أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلًا ما نال من أجر أو غنيمة» (١) (٢).

أفق عظيم أراد اللَّه أن يرفع المسلمين إليه، وتعليق نفوسهم بالرجاء في فضل اللَّه العظيم في كلتا الحالتين، وأن يهوِّن عليها ما تخشاه من القتل، فهو شهادة، وما ترجوه من الغنيمة! فالحياة أو الغنيمة لا تساوي شيئًا إلى جانب الفضل العظيم من الله... أين الدنيا من الآخرة؟ وأين غنيمة المال من فضل الله؟ وهو يحتوي المال فيما يحتويه، ويحتوي سواه.

ا ١٦ـ قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُيَــلُوَاْ أَوْ مَاتُواُ لَيَـرَزُقَنَهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَــنَاْ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّزِقِينَ ۞ لَيُدْخِلَنَّهُم مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُمْ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَكِيمُ حَلِيمٌ صَلِيعًا ۞ [الحج: ٥٨، ٥٩].

قال ابن جرير في تفسيره (١٣٦/١٧): «يقول ـ تَعَالَى ذكره ـ: والذين فارقوا أوطانهم وعشائرهم فتركوا ذلك في رضا الله وطاعته وجهاد أعدائه، ﴿ثُمَّ قُتِـلُوٓا أَوْ مَاتُوا﴾ وهم كذلك ﴿لَيَـرُزُقَنَهُمُ اَللَّهُ﴾ يوم القيامة في جناته رزقًا

<sup>(</sup>۱) أخرجه البخاري (۳۱۲۳)، ومسلم (۱۰۶) (۱۸۷٦)، وأحمد (۳۹۸/۲)، والنسائي (۱۲/٦)، كلهم عن أبي هريرة.

<sup>(</sup>۲) تفسير ابن كثير (۹/٤).

كريمًا، وإنما يعني بالرزق الحسن الثواب الجزيل، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَايْرُ اللَّهَ لَهُو خَايْرُ اللَّهَ لهُو خَايْرُ اللَّهُ لهو خير من بسط فضله على أهل طاعته وأكرمهم.

﴿ لَيُدُخِلَنَّهُم مُّدُخَلًا يَرْضُونَ مُرَّ وَ اللّه المقتول في سبيله من المهاجرين والميت منهم ﴿ مُّدُخَلًا يَرْضُونَ مُرَّ وذلك المدخل هو الجنة ، ﴿ وَإِنَّ ٱللّهَ لَعَلَيمٌ ﴾ بمن يهاجر في سبيله ممن يخرج من داره طلب للغنيمة أو عرض من عروض الدنيا».

قال ابن كثير: «فأما من قُتل في سبيل اللَّه من مهاجر أو غير مهاجر، فإنه حيَّ عند ربه يُرزق، كما قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ وَلَا تَحَسَبَنَّ اللَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُونَا بَلِ عَند ربه يُرزق، كما قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ وَلَا تَحَسَبَنَّ اللَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُونَا بَلَ عَمران: ٢٩]، والأحاديث في هذا كثيرة. وأما من توفي في سبيل اللَّه من مهاجر أو غير مهاجر فقد تضمنت هذه الآية الكريمة مع الأحاديث الصحيحة إجراء الرزق عليه، وعظيم إحسان اللَّه إليه.

عن عبدالرحمن بن جحدم الخولاني أنه حضر فضالة بن عُبيدِ في البحر مع جنازتين، أحدهما أصيب بمنجنيق، والآخر تُوفي، فجلس فضالة بن عُبيد عند قبر المتوفَّى، فقيل له: تركت الشهيد فلم تجلس عنده؟ فقال: ما أبالي من أيِّ حفرتيهما بعثت، إن اللَّه يقول: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَكِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُبِلُوا أَوْ مَاتُوا ﴾ إلى قوله: ﴿ يَرْضَوْنَ لَمْ ﴾، فما تبتغي أيها العبد إذا أُدخِلت مدخلًا ترضاه، ورزقت رزقًا حسنًا، واللَّه ما أبالي من أي حفرتيهما بُعِثت » (١).

الهجرة في سبيل الله تجرّد من كل ما تهفو له النفس، ومن كل ما تعتزُّ به وتحرص عليه؛ الأهل، والديار، والوطن، والذكريات، والمال، وسائر أعراض الحياة. وإيثار العقيدة على هذا كله ابتغاء رضوان الله وتطلعًا إلى ما عنده، وهو خير مما في الأرض جميعًا.

<sup>(</sup>۱) تفسير ابن كثير (۹۰/۱۰) ۹۱).

﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ سُواء لاقوا اللَّه شهداء بالقتل، أو لاقوه على فراشهم بالموت، فلقد خرجوا من ديارهم وأموالهم في سبيله مستعدين لكل مصير، واستروحوا الشهادة في هجرتهم عن أيِّ طريق، وضحوا بكل عرض الحياة وتجرَّدوا بهذا لله، فتكفَّل اللَّه لهم بالعوض الكريم عمَّا فقدوه.

﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَـٰ لِيمُ حَلِيكُ ﴾ عليم بما وقع عليهم من ظلم وأذى، وبما يُرضي.

رَضِيَ اللّهُ عَنْ أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان الذين بايعوا رسول
 اللّه ﷺ على عدم الفرار أو على الموت:

١٧ ـ قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ آيدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ آوْفَى بِمَا عَلَهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْنِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا
 (الفتح: ١٠].

عن جابر قال: كنا يوم الحديبية ـ ألفًا وأربع مئة(١).

قال محمد بن إسحاق بن يسار في السيرة: «ثم دعا رسول الله على عمر بن الخطاب؛ ليبعثه إلى مكة، ليبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له، فقال له: يا رسول الله؛ إني أخاف قريشًا على نفسي، وليس بمكة من بني عدي بن كعب من يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظي عليها، ولكني أدلك على رجل أعز بها مني؛ عثمان بن عفان، فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش، يخبرهم أنه لم يأت لحرب، وأنه إنما جاء زائرًا لهذا البيت، معظمًا لحرمته.

فخرج عثمان إلى مكة، فلقيه أبان بن سعيد بن العاص فأجاره حتى بلغ رسالة

<sup>(</sup>١) أخرجه البخاري (٤٨٤٠)، ومسلم (١٨٥٦).

رسول الله على واحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله على والمسلمين أن عثمان قد قُتِل، فقال رسول الله على حين بلغه أن عثمان قد قُتِل: «لا نبرح حتى نناجز القوم»، ودعا رسول الله على الناس إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، فكان الناس يقولون: بايعهم رسول الله على على الموت. وكان جابر بن عبدالله؛ يقول: إن رسول الله على أن لا نفر (۱).

عن جابر الشخيمة قال: كنا يوم الحديبية ألفًا وأربع مئة فبايعناه، وعمر آخذه بيده تحت الشجرة وهي سَمُرة، وقال: بايعناه على أن لا نفر، ولم نبايعه على الموت» (٢).

وعن معقل بن يسار رضي الله قال: لقد رأيتني يوم الشجرة والنبي على يَالِيُّ يبايع الناس، وأنا رافع غصنًا من أغصانها عن رأسه، ونحن أربع عشرة مئة، قال: ولم نبايعه على الموت، ولكن بايعناه على أن لا نفرَّ (١).

وعن سلمة بن الأكوع في قال: بايعتُ رسول اللَّه عَلَيْ تحت الشجرة، قال يزيد بن أبي عبيد: قلت: يا أبا مسلم، على أي شيء كنتم تبايعون يومئذ؟ قال: على الموت (٤٠).

وعن سلمة بن الأكوع عَلَيْهَ قال: بايعتُ رسول اللَّه عَلَيْ يوم الحديبية ثم تنحيْتُ، فقال: «أقبِل فبايع»، فدنوت تنحيْتُ، فقال: «أقبِل فبايع»، فدنوت فبايعته، قلت: علام بايعته يا سلمة؟ قال: على الموت»(°).

وأخرجه مسلم عن يزيد بن عبيد. وكذا روى البخاري عن عباد بن تميم أنهم بايعوه على الموت<sup>(٦)</sup>.

<sup>(</sup>۱) سیرة ابن هشام (۲۷۱/۳، ۲۷۲).

<sup>(</sup>٢) رواه مسلم في كتاب الإمارة (١٨٥٦). (٣) رواه مسلم.

<sup>(</sup>٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٢٩٦٠)، كتاب الجهاد والسير ـ باب: البيعة في الحرب.

<sup>(</sup>٥) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٧٢٠٨)، كتاب الأحكام، باب: من بايع مرتين، وأخرجه مسلم في الإمارة (١٨٦٠).

<sup>(</sup>٦) أخرجه البخاري في المغازي ـ باب: غزوة الحديبية (٤١٦٧) من حديث عباد بن تميم.

وعن جابر رضي قال: قال رسول الله ﷺ «لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة» (٢).

وقال رسول الله ﷺ «من يصعد الثنية ثنية المُرَار فإنه يُحَطَّ عنه ما مُحطَّ عن بني إسرائيل» (٣)، فكان أول من صعد خيل بني الخزرج.

عن الشعبي قال: لما دعا رسول الله ﷺ إلى البيعة، كان أول من انتهى إليه أبو سنان، فقال: ابسط يدك أبايعك، فقال النبي ﷺ «علام تبايعني»؟ فقال أبو سنان: على ما في نفسك.

هذا أبو سنان وهب الأسدي ﷺ

قال ابن كثير: «قال ـ تَعَالَى ـ لرسول اللَّه ﷺ تشريفًا له وتعظيمًا وتكريمًا: ﴿إِنَّ اللَّهِ الرَّسُولَ اللَّه اللَّهِ عَلَيْ اللَّهِ عَلَيْ اللَّهُ اللَّهِ عَلَيْ اللَّهُ اللَّهِ عَلَيْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْلُهُ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ عَلَى اللَّهُ عَلَيْ عَلَى اللَّهُ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَى اللَّهُ عَلَيْ عَلَيْ عَلَى عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَى عَلَيْ عَلَى عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْكِمِ عَلَى عَلَيْكُولِهُ عَلَيْكُو عَلَيْ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُو عَلَيْكُوا عَلَيْ عَلَيْكُو عَلَيْكُوا عَلَيْكُو عَلَيْكُو عَلَيْكُو عَلَيْكُو عَلَيْكُولُهُ عَلَيْكُو عَلَيْكُوا عَلَيْكُو عَلَيْكُو عَلَيْكُو ع

﴿ إِنَّ اللَّهَ اَشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اَنفُسَهُمْ وَأَمْوَلَهُمْ بِأَنَ لَهُمُ الْجَنَّةُ وَعَدَّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَكَةِ يُقَالِلُونَ وَيُقْلُلُونَ وَيُقْلُلُونَ وَعُدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَكَةِ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَكَةِ وَالْمِيلِ وَاللَّهُ مَا يَبِيلِ اللَّهِ فَيَقَالُهُ اللَّهِ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهُ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ اللَّهِ وَالْمِيكِيلِ وَالْقُدُونَ وَمَنْ أَوْفَ بِعَهْدِهِ، مِنَ اللَّهُ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ اللَّهِ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهُ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ اللَّهِ عَلَيْهِ مِنْ اللَّهُ الْمُعْلَى اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ الللِّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِ اللَّهُ اللَّهُ اللللْمُولِي اللْمُؤْمِنِ الللْمُولِي الللْمُؤْمِنُ اللْمُؤْمِنُ الللْمُؤْمِنُ الللْمُوالْمُ اللَّهُ اللْمُؤْمِنُ اللَّهُ الللْمُؤْمِنُ اللْمُؤْمِنُ اللَّهُ اللَّهُ ال

<sup>(</sup>١) أخرجه البخاري (٤١٥٤)، ومسلم (١٨٥٦) (٧١)، والحميدي في «مسنده» (١٢٧٧).

<sup>(</sup>٢) صحيح: أخرجه أحمد في «مسنده» (٣٥٠/٣)، وأبو داود (٤٦٥٣)، والترمذي (٣٨٦٠)، والترمذي (٣٨٦٠)، والنسائي في «تفسيره» (٧٦٨)، ورواه مسلم عن أم مبشر، وَصَحَّحَهُ الأَلباني في «صحيح الجامع» رقم (٧٦٨٠)، و«السلسلة الصحيحة» (٢١٦٠).

<sup>(</sup>٣) رواه مسلم عن جابر (٢٨٨٠).

بَايَعْتُمْ بِدِّ وَذَالِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۞ [التوبة: ١١١].

﴿ فَمَن نَّكَتَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ﴿ أَي: إِنمَا يَعُودُ وَبَالَ ذَلَكَ عَلَى النَّاكَثُ، وَاللَّهُ غَني عَنه، ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَنهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾؛ أي: ثوابًا جزيلًا.

وهذه البيعة هي بيعة الرضوان، وكانت تحت شجرة سمر بالحديبية»(١).

يا لها من بيعة الله صاحبها، والله أخذها، ويده فوق أيدي المتبايعين. ومَن؟ الله! يا للهول! ويا للروعة! ويا للجلال!

إن هذه الصورة لتستأصل من النفس خاطر النكث بهذه البيعة ـ مهما غاب شخص رسول اللَّه ﷺ فاللَّه حاضر لا يغيب، واللَّه آخذ في هذه البيعة ومعط، وهو عليها رقيب.

﴿ فَمَن نَّكُتُ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴿ فَهُو الْحَاسُرِ مَن كُلْ جَانَب، هُو الْحَاسُرِ فَي كُلْ جَانَب؛ هُو الْحَاسُر في الرجاع عن الصفقة الرابحة بينه وبين الله ـ تَعَالَى ـ، وما من بيعة بين الله وعبد من عباده إلا والعبد فيها هُو الرابح من فضل الله، والله هُو الغني عن العالمين.

وهو الخاسر حين ينكث وينقض عهده مع الله؛ فيتعرض لغضبه وعقابه على النكث الذي يكرهه ويمقته، فاللَّه يحب الوفاء، ويحب الأوفياء.

﴿ وَمَنْ أَوْنَى بِمَا عَلَهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ •

هكذا على إطلاقه: ﴿ أَجُرًا عَظِيمًا ﴾ لا يفصّله، ولا يحدده، فهو الأجر الذي يقول عنه الله: إنه عظيم. عظيم بحساب اللّه وميزانه ووصفه الذي لا يرتقي إلى تصوره أبناء الأرض المقلّون المحدودون الفانون!

<sup>(</sup>۱) تفسیر ابن کثیر (۹۱/۱۳، ۹۲).

11. وقال - تَعَالَى -: ﴿ لَقَدْ رَضِى اللّهُ عَنِ اَلْمُؤْمِنِكَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَرَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثْبَهُمْ فَتَحًا قَرِيبًا ﴿ وَمَعَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿ وَعَدَكُمُ اللّهُ مَغَانِهَ حَيْبِرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِى النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ وَايَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَبَهْدِيكُمْ صِرَطًا فَعَجَلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِى النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ وَايَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَبَهْدِيكُمْ صِرَطًا مُسَتَقِيمًا ﴿ وَأَخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطُ اللّهُ بِهَا وَكَانَ اللّهُ عَلَى كُلّ شَيءٍ مَن اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى كُلّ شَيءٍ وَلَكَ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللهُ الللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللللهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللهُ الللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللهُ اللّهُ اللّهُ الللهُ الللهُ الللللهُ الللهُ اللهُ اللهُ اللهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللللهُ الللهُ الله

قال ابن جرير: «يقول ـ تَعَالَى ذكره ـ: ﴿لَقَدْ رَضِى اللَّهُ يَا محمد ﴿عَنِ اللَّهُ عَالِمُ مَا اللَّهُ عَلَيْ رسول اللَّهُ عَتَ الشَّجَرَةِ ﴾؛ يعني: بيعة أصحاب رسول اللَّه عَلَيْ رسول اللَّه بالحديبية حين بايعوه على مناجزة قريش الحرب وعلى أن لا يفروا ولا يولوهم الدبر».

﴿ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمَ ﴾: من صدق النية والوفاء بما يبايعونك عليه، والصبر معك، ﴿ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمَ ﴾: الطمأنينة والثبات على ما هم عليه من دينهم وحسن بصيرتهم بالحق الذي هداهم الله له.

قال قتادة: أنزل السكينة عليهم: الصبر والوقار(١).

﴿ وَأَتَنَبَهُمْ فَتَحًا قَرِيبًا ﴾: (وهو ما أجرى اللَّه على أيديهم من الصلح بينهم ومن أعدائهم، وما حصل بذلك من الخير العام المستمر المتصل بفتح خيبر وفتح مكة، ئم فتح سائر البلاد والأقاليم عليهم، وما حصل لهم من العز والنصر والرفعة في الدنيا والآخرة، ولهذا قال: ﴿ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا أَوْكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا في الدنيا والآخرة، ولهذا قال: ﴿ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا أَوْكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا

يقول ابن جرير (٢٦/٥٥، ٥٦): «أثاب اللَّه هؤلاء الذين بايعوا رسول اللَّه عَلَيْكُ

<sup>(</sup>١) تفسير الطبري (٢٦/٣٥، ٥٥).

تحت الشجرة مع ما أكرمهم به من رضاه عنهم وإنزاله السكينة عليهم، وإثابته إياهم فتحا قريبًا معه مغانم كثيرة يأخذونها من أموال خيبر، فإن الله جعل ذلك خاصة لأهل بيعة الرضوان دون غيرهم.

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾: ذا عزة في انتقامه ممن انتقم من أعدائه، حكيمًا في خلقه وتصريفه إياهم فيما شاء من قضائه» ا. هـ.

﴿ وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِدَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا ﴾: هي جميع المغانم إلى اليوم، ﴿ وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِدَ عَني: صلح الحديبية، قاله الضحاك، وابن إسحاق، وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم.

وقال قتادة: هي فتح مكة، واختاره ابن جرير، وقال: هي كل فتح وغنيمة إلى يوم القيامة.

﴿ وَكُفَّ أَيْدِى ٱلنَّاسِ عَنكُمْ ﴾، وهذه منة أخرى من ربهم عليهم.

﴿ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ يروا فيها عواقب تدبير الله لهم؛ جزاءَ طاعتهم لرسول الله وتسليمهم له.

﴿ وَيَهَدِيكُمْ صِرَطًا مُّسَتَقِيمًا ﴾ جزاء طاعتهم وامتثالهم وصدق سريرتهم. وهكذا يجمع لهم بين المغنم ينالونه، والهداية يرزقونها، فيتم لهم الخير من كل نانب.

﴿ وَأُخْرَىٰ لَمَ تَقَدِرُواْ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ﴾: قال ابن عباس: هذه الفتوح التي تُفتح إلى اليوم.

﴿ وَلَوْ قَنْتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَوا ٱلْآذَبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿ وَلَوْ قَنْتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَوا الْمؤمنين بأنه لو ناجزهم المشركون لنصر الله رسوله وعباده المؤمنين عليهم، ولانهزم جيش الكفار فارًّا مدبرًا لا يجدون وليًّا ولا نصيرًا؛ لأنهم محاربون لله ولرسوله ولحزبه المؤمنين. ثم قال: ﴿ سُنَّةَ اللهِ اللَّهِ وَعَادِتُهُ فِي خَلْفَ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ بَبُدِيلًا ﴿ وَعَادِتُهُ فِي خَلْقَهُ، مَا تَقَابِلِ الْكَفْرِ وَالْإِيمَانُ فِي مُوطَنُ فَيْصِلُ إِلَّا نَصِرِ اللَّهُ الْإِيمَانُ عَلَى الْكَفْر، فرفع الحق ووضع الباطل، كما فعل. تَعَالَى عَنْصِلُ إِلَّا نَصِر اللَّهُ الْإِيمَانُ عَلَى الْكَفْر، فرفع الحق ووضع الباطل، كما فعل. تَعَالَى عَنْصِ بِدَر بأوليائه المؤمنين؛ نصرهم على أعدائه من المشركين، مع قلة عدد المسلمين وعُددهم، وكثرة المشركين وعُددهم» (١).

هكذا يربط نصرهم وهزيمة الكفار بسنته الكونية التي لا تتبدَّل. فأي سكينة؟ وأي ثقة؟ وأي تثبيت يجده أولئك المؤمنون في أنفسهم، وهم يسمعون من اللَّه أن نصرهم وهزيمة أعدائهم سنة من سننه الجارية في هذا الوجود.

وهي سنة دائمة لا تتبدَّل، ولكنها قد تتأخرُ إلى أجل، ولأسباب قد تتعلَّق باستواء المؤمنين على طريقهم، واستقامتهم الاستقامة التي يعرفها اللَّه لهم، أو تتعلَّق بتهيئة الجو الذي يُولد فيه النصر للمؤمنين والهزيمة للكافرين؛ لتكون له قيمته وأثره، أو لغير هذا وذلك مما يعلمه الله، ولكن السنَّة لا تتخلَّف، واللَّه أصدق القائلين: ﴿ وَلَن يَجِدَ لِسُنَّة ِ ٱللَّهِ تَبَدِيلًا ﴾.

## 🗖 كلمات أعطر من شذا الورد.. وأحلى من الشهد.. وأرق من نسيم السحر.

يقول الأستاذ سيد قطب ـ رحمه الله ـ: «إنني لأحاول اليوم من وراء ألف وأربع مئة عام أن أستشرف تلك اللحظة القدسية التي شهد فيها الوجود كله ذلك التبليغ العلوي الكريم من الله العليّ العظيم إلى رسوله الأمين عن جماعة المؤمنين. أحاول أن أستشرف صفحة الوجود في تلك اللحظة وضميره المكنون، وهو يتجاوب جميعه بالقول الإلهي الكريم، عن أولئك الرجال القائمين إذْ ذاك في بقعة معينة من هذا الوجود.. وأحاول أن أستشعر بالذات شيعًا من حال أولئك السعداء الذين يسمعون بآذانهم أنهم هم بأشخاصهم وأعيانهم، يقول الله عنهم: لقد رضِي

<sup>(</sup>۱) تفسیر ابن کثیر (۱۰۷/۱۳).

عنهم، ويحدد المكان الذي كانوا فيه، والهيئة التي كانوا عليها حتى استحقوا هذا الرضى ﴿ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ يسمعون هذا من نبيهم الصادق المصدوق، على لسان ربه العظيم الجليل.

يا لله! كيف تلقّوا ـ أولئك السعداء ـ تلك اللحظة القدسية وذلك التبليغ الإلهي؟ التبليغ الذي يشير إلى كل أحد، في ذات نفسه، ويقول له: أنت بذاتك. يبلغك الله.. لقد رضي عنك.. وأنت تبايع تحت الشجرة! وعلم ما نفسك فأنزل السكينة عليك!

إن الواحد منا ليقرأ أو يسمع: ﴿ اللّهُ وَلِيُّ ٱلّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ [البقرة: ٢٥٧] فيسعد فيقول في نفسه: ألست أطمع أن أكون داخلًا في هذا العموم؟ ويقرأ أو يسمع: ﴿ إِنَّ ٱللّهَ مَعَ ٱلصّلِمِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٦].. فيطمئن.. يقول في نفسه: ألستُ أرجو أن أكون من هؤلاء الصابرين؟ وأولئك الرجال يسمعون ويُبلِّغون: واحدًا أن اللّه يقصده بعينه وبذاته ويبلغه: لقد رضِي عنه! وعلم ما في نفسه، ورضي عما في نفسه! يالله! إنه أمر مهول.

علم الله ما في قلوبهم من حمية لدينهم لا لأنفسهم، وعلم ما في قلوبهم من الصدق في بيعتهم، وعلم ما في قلوبهم من كظم لانفعالاتهم تجاه الاستفزاز، وضبط لمشاعرهم؛ ليقفوا خلف كلمة رسول الله والله التعين مسلمين صابرين، وفَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْمٍم تضفي على تلك القلوب الحارة المتأهبة بردًا وسلامًا وطمأنينة وارتياحًا (١).

<sup>(</sup>۱) الظلال (٦/٥٢٦٦، ٢٢٣٦).

# الحضُّ على القتال والأمر به في القرآن الكريم

#### 🗖 مراحل تشريع الجهاد:

لقد مرَّ الجهاد بنوعيه: جهاد الطلب والابتداء، وجهاد الدفع، بعدة مراحل قبل أن يصل إلى حكمه النهائي.

المرحلة الأولى: مرحلة الكف عن المشركين، والإعراض عنهم، والصبر على أذاهم مع الاستمرار في دعوتهم إلى دين الحق، وبيان دين الإسلام، وبيان تفاهة معبودات الجاهلية، وضلال أهلها وخسارتهم في الدنيا والآخرة.

قال ابن تيمية «... فكان النبي ﷺ في أول الأمر مأمورًا أن يجاهد الكفار بلسانه لا بيده، فيدعوهم، ويعظهم، ويجادلهم بالتي هي أحسن، ويجاهدهم بالقرآن جهادًا كبيرًا، قال ـ تَعَالَى ـ في سورة الفرقان ـ وهي مكية ـ: ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَانِ وَجَاهِدُهُم بِهِ عِهَادًا كَبِيرًا ﴿ الْفرقان: ٢٥]. وكان مأمورًا بالكف عن قتالهم (١٠).

وقال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ فَأَصَّفَحَ ٱلصَّفَحَ ٱلجَّمِيلَ ﴾ [الحجر: ٨٥]، وقال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر: ٩٤]، وقال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ أَدَّعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر: ٩٤]، وقال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ أَدَّعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِاللَّهِ عَنْ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

قال الشافعي: «وأنزل اللَّه وَعَجَلِلٌ فيما يثبته إذا ضاق من أذاهم ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدَّرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۞ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكِ وَكُن مِّنَ ٱلسَّنجِدِينَ ۞ وَأَعْبُدُ رَبَّكَ حَقَّى يَأْنِيكَ ٱلْيَقِينُ ۞ [الحجر: ٩٧-٩٩] ففرض عليه إبلاغهم ولم يفرض عليه قتالهم، وأبان ذلك في غير آية من كتابه (٢).

نهي رسول اللَّه ﷺ أصحابه عن قتال أهل مكة في الفترة المكية، فقال لمن قال

<sup>(</sup>١) الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح (٧٤/١).

<sup>(</sup>٢) أحكام القرآن، للشافعي (٩/٢).

له: «كنا في عزِّ ونحن مشركون، فلما آمنا صرنا أذلة»، فقال: «إني أُمِرت بالعفو فلا تقاتلوا...»(١) وقد ذكر اللَّه هذا النهي في القرآن الكريم فقال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ أَلَوْ تَرَ إِلَى اللَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُوا أَيْدِيكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَوةَ وَءَاثُوا الزَّكُوهَ فَلَمَّا كُبِبَ عَلَيْهِمُ الْفِنَالُ إِذَا فَرِيقُ مِنْهُمْ يَغْشَوْنَ النَّاسَ كَفَشَية اللَّهِ أَوْ أَشَدَ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَنَبَّتَ عَلَيْنَا الْفِنَالَ لَوَلَا أَنْهَا لَكُبِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا لَمُؤْلِلُهُ وَلَكُونَ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَيْ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَوْ اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَهُ وَاللَّهُ وَاللَّ

وقال ﷺ لما استأذنه أهل يثرب ليلة العقبة أن يميلوا على أهل منى فيقتلوهم: «إنى لم أؤمر بهذا»(٢).

قال ابن كثير عند تفسير قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿ قُلُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغَفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ ﴾ [الجاثية: ١٤]: «أي: يصفحوا عنهم، ويحملوا الأذى منهم، وهذا كان في ابتداء الإسلام أُمِروا أن يصبروا على أذى المشركين وأهل الكتاب؛ ليكون ذلك لتأليف قلوبهم، ثم لما أصروا على العناد شرع الله للمؤمنين الجلاد والجهاد، هكذا روي عن ابن عباس وقتادة (٣).

قال الحافظ ابن حجر: «فأول ما شُرِع الجهاد بعد الهجرة النبوية إلى المدينة اتفاقًا»(٤).

وقال القرطبي: «ولم يُؤذن للنبي ﷺ في القتال مدة إقامته بمكة»(°).

<sup>(</sup>١) صحيح: رواه النسائي (٣/٦)، والبيهقي (١١/٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣٠٧/٢) وقال: على شرط البخاري ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

<sup>(</sup>٢) حديث صحيح: أخرجه أحمد في «مسنده» (٤٦٢/٣)، وقد ورد في سياق بيعة العقبة الثانية من رواية كعب بن مالك، وقال الشيخ شعيب الأرناءوط وعبد القادر الأرناءوط: أخرجه ابن هشام (١/ رواية كعب بن مالك، وأحمد (٤٦٠/٣) - ٤٦٠)، والطيالسي (٩٣/٢)، وسنده صحيح.

<sup>(</sup>٣) تفسير ابن كثير (١/٧٥).

<sup>(</sup>٤) فتح الباري (٢٧/٦).

<sup>(</sup>٥) تفسير القرطبي (٣٨/٣).

### المرحلة الثانية: إباحة القتال من غير فرض:

قال - تَعَالَى -: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَنَتُلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ فَيَ اللَّهُ عَلَى نَصْرِهِمْ لِغَيْرِ حَقِّ إِلَّا أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ وَلُوْلَا لَقَدُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضِ لَمَّيِّرَمَتْ صَوَمِعُ وَبِيعٌ وَصَلَوْتُ وَمَسَجِدُ يُذْكُرُ فِيهَ مَنْ اللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضِ لَمَّيِّرَتُ صَوَمِعُ وَبِيعٌ وَصَلَوْتُ وَمَسَجِدُ يُذْكُرُ فِيهَ اللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضِ لَمَّيْرَتُ صَوَمِعُ وَبِيعٌ وَصَلَوْتُ وَمَسَجِدُ يُذْكُرُ فِيهَ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ لَقَوْتُ عَزِيزٌ فَي اللَّهُ لَقُوتُ عَزِيزٌ فَي اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكًا وَلِينَاتُ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَاللَّهِ اللَّهُ لَقُوتُ عَزِيزٌ فَي اللَّهُ لَقُوتُ عَزِيزٌ فَي اللَّهُ لَلَّهُ مِن يَنصُرُهُ وَاللَّهُ اللَّهُ لَقُوتُ عَزِيزٌ فَي اللَّهُ لَا اللَّهُ لَقُوتُ عَزِيزٌ فَي اللَّهُ الللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللللَّهُ اللَّهُ اللللللَّهُ اللللْهُ الللَّهُ اللللِّهُ اللللْمُ الللللْمُ الللللْمُ الللللْمُو

قال ابن كثير عند تفسيره هذه الآية: «وقال غير واحد من السلف: هذه أول آية نزلت في الجهاد، واستدل بهذه الآية بعضهم على أن السورة مدنية، وقاله مجاهد، والضحاك، وقتادة، وغير واحد... وإنما شرع الله ـ تَعَالَى ـ الجهاد في الوقت الأليق به؛ لأنهم لما كانوا بمكة كان المشركون أكثر عددًا، فلو أمر المسلمين وهم أقل من الغشر بقتال الباقين؛ لشق عليهم، ولهذا لما بايع أهل يثرب ليلة العقبة رسول الله وكانوا نيّفًا وثمانين قالوا: يا رسول الله، ألا نميلُ على أهل الوادي ـ يعنون أهل منى ـ ليالي منى فنقتلهم؟ فقال رسول الله على أهل الوادي ـ يعنون أهل المشركون، وأخرجوا النبي من بين أظهرهم، وهموا بقتله وشرّدوا أصحابه شذر مذر، فذهب منهم طائفة إلى الحبشة، وآخرون إلى المدينة، فلما استقروا بالمدينة ووافاهم رسول الله على واجتمعوا عليه وقاموا بنصره وصارت لهم دار إسلام ومعقلًا يلجئون إليه شرع الله جهاد الأعداء، فكانت هذه الآية أول ما نزل في ومعقلًا يلجئون إليه شرع الله جهاد الأعداء، فكانت هذه الآية أول ما نزل في ذلك.

### المرحلة الثالثة: فرض القتال على المسلمين لمن يُقاتلهم فقط:

قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ فَإِنِ ٱعۡتَرَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَائِلُوكُمْ وَٱلۡقَوَا إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُرُ عَلَيْهِمْ سَكِيلًا سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوَا إِلَى

<sup>(</sup>١) تفسير ابن كثير (٥/٠٤، ٤٣١).

ٱلْفِنْنَةِ أَرْكِسُواْ فِيهَا فَإِن لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُواْ إِلَيْكُو ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُواْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَأُولَتِهِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلَطَنَا مُّبِينَا ۞﴾ وَالْفَلْنَا مُبِينَا ۞﴾ [النساء: ٩٠، ٩٠].

قال ابن تيمية عن هذه المرحلة (...ولم يؤمروا بقتال من طلب مسالمتهم بل قال: ﴿ فَإِن تَوَلَّوُا فَخُذُوهُم ﴾ الآيات، وكذلك من هادنهم لم يكونوا مأمورين بقتاله، وإن كانت الهدنة عقدًا جائزًا غير لازم (١).

وقال ابن تيمية: «فمن المعلوم من سيرة النبي الظاهر علمه عند كل من له علم بالسيرة أنه الله المدينة لم يحارب أحدًا من أهل المدينة، بل وادعهم حتى اليهود، خصوصًا بطون الأوس والخزرج، فإنه كان يسالمهم ويتألفهم بكل وجه، وكان الناس إذ قَدِمَهَا على طبقات منهم المؤمن وهم الأكثرون، ومنهم الباقي على دينه وهو متروك لا يُحارِب ولا يُحارَب، وهو والمؤمنون من قبيلته وحلفائهم أهل سلم لا أهل حرب، حتى حلفاء الأنصار أقرهم النبي الله على حلفهم الله قال - تَعَالَى -: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ ﴾ [البقرة: ٢١٦] ففرضه بعد أن كان مائحًا.

المرحلة الرابعة: قتال جميع الكفار على اختلاف أديانهم وأجناسهم ابتداءً، وإن لم يبدأ بقتال، حتى يسلموا أو يدفعوا الجزية، على خلاف بين العلماء فيمن تُؤخذ منه الجزية:

وهذه المرحلة بدأت من انقضاء أربعة أشهر من بعد حج العام التاسع من الهجرة، ومن بعد انقضاء العهود المؤقتة، وتُوفي الرسول على العمل على هذه المرحلة الأخيرة، وعليها استقر حكم الجهاد.

قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَاقْنُلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدَتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْشُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا

<sup>(</sup>١) الجواب الصحيح لمن بدُّل دين المسيح، لابن تيمية (٧٣/١).

<sup>(</sup>٢) الصارم المسلول، لابن تيمية ص (٩٩).

ٱلرَّكَوْةَ فَخَلُواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ [التوبة: ٥].

وقال - تَعَالَى -: ﴿ فَا لِلْهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ وَلَا بِأَلَوْمِ الْلَّخِ وَلَا يُوْمِ الْلَّخِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَكَمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ اللَّهِ أَوْتُواْ اللَّهِ عَن يَدِ وَهُمْ صَنغِرُونَ ﴿ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللّ

وقال رسول الله على أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله (١).

وقد استقر أمر الجهاد على المرحلة الأخيرة التي ذُكِرت في سورة التوبة، وهي قتال المشركين حتى يسلموا، وقتال أهل الكتاب والمجوس حتى يسلموا أو يدفعوا الجزية مع الذل والصغار.

قال ابن القيم (... فاستقر أمر الكفار معه بعد نزول براءة على ثلاثة أقسام: محاربين له، وأهل عهد، وأهل ذمة، ثم آلت حال أهل العهد والصلح إلى الإسلام فصاروا معه قسمين: محاربين، وأهل ذمة (٢٠٠٠).

وروى الحاكم عن علي بن عبدالله بن عباس قال: سمعت أبي يقول: سألت علي بن أبي طالب رهيم الم لكم تكتب في براءة بسم الله الرحمن الرحيم؟ قال: لأن بسم الله الرحمن الرحيم أمان وبراءة نزلت بالسيف ليس فيها أمان (٣).

وقال ابن كثير عند تفسير سورة التوبة: «هذه السورة الكريمة من أواخر ما نزل على رسول الله على كما قال البخاري: حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء يقول: آخر آية نزلت ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُقْتِيكُمْ فِى السَّامَةُ يُقْتِيكُمْ فِى النَّسَاء: ٢٧٦]، وآخر سورة نزلت براءة (١٤).

<sup>(</sup>١) صحيح مسلم بشرح النووي (٢١٢/١). (٢) زاد المعاد (١٦٠/٣).

<sup>(</sup>٣) المستدرك، للحاكم (٣٣٠/٢).

<sup>(</sup>٤) تفسير ابن كثير (٤/٤).

قلت: ولكون سورة براءة المقررة لحكم المرحلة الأخيرة من مراحل الجهاد هي آخر السور نزولًا اعتبر علماء السلف أن المرحلة الأخيرة للجهاد ناسخة لبقية المرحلة؛ قال ابن العربي: «قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشَّهُرُ ٱلْحُرُمُ ﴾.. الآية ناسخ لمئة وأربع عشرة آية »(١).

والقول بالنسخ مروي عن الضحاك بن مزاحم (۲)، والربيع بن أنس (۳)، ومجاهد، وأبو العالية (٤)، والحسين بن الفضل (٥)، وابن زيد (٦)، وموسى بن عقبة (٧)، وابن عباس، والحسن، وعكرمة، وقتادة (٨)، وابن الجوزي (٩)، وعطاء (٢٠).

وكذلك قال بالنسخ ابن تيمية (١١)، والشوكاني (١٢)، والقرطبي (١٣)، وجمع من العلماء في شتى العصور الإسلامية.

يقول صديق حسن البخاري: «ما ورد في موادعتهم أو في تركهم إذا تركوا المقاتلة فذلك منسوخ باتفاق المسلمين» (١٤٠).

<sup>(</sup>١) أحكام القرآن، لابن العربي (٢٠١/١).

<sup>(</sup>٢) ابن کثیر (٤/٥٥).

<sup>(</sup>٣) البغوي (١٦٨/١).

<sup>(</sup>٤) فتح القدير، للشوكاني (١٩١/١).

<sup>(</sup>٥) القرطبي (٧٣/٨).

<sup>(</sup>٦) القرطبي (٣٣٩/٢).

<sup>(</sup>۷) الجصاص (۸۱/۳).

<sup>(</sup>٨) فتح القدير (١/٤٩٧).

<sup>(</sup>٩) زاد المسير، لابن الجوزي (٣٧٦/٣).

<sup>(</sup>۱۰) البغوي (۱۲۲/۳).

<sup>(</sup>١١) الاحتجاج بالقدر، لابن تيمية ص (٣٦).

<sup>(</sup>١٢) فتح القدير، للشوكاني (٢٧٥/١).

<sup>(</sup>۱۳) تفسير القرطبي (۱/۲۳۳).

<sup>(</sup>١٤) الروضة الندية (٣٣٣/٢).

وذكر ابن تيمية عن موسى بن عقبة عن الزهري: «كانت سيرة رسول اللَّه ﷺ في عدوه قبل أن تنزل براءة يقاتل من قاتله، ومن كف يده وعاهده كف عنه؛ قال الله ـ تَعَالَى ـ: ﴿ فَإِنِ اَعْتَرَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَائِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُورَ عَلَيْهِمْ سَيِيلًا ﴾، وكان القرآن ينسخ بعضه بعضًا، فإذا أنزلت آية نسخت التي قبلها، وعمل بالتي أنزلت، وبلغت الأولى منتهى العمل بها، وكان ما قد عمل بها قبل ذلك طاعة لله حتى نزلت براءة » (١).

وادعى الزركشي أنه ليس في مراحل الجهاد نسخ، بل يعمل بكل مراحله عند الحالة المشابهة للحالة التي شرعت فيها، وعاب على من قال بالنسخ؛ إذ قال: «قسم بعضهم النسخ من وجه آخر إلى ثلاثة أَصْرُب. الثالث: ما أمر به لسبب، ثم يزول السبب؛ كالأمر حين الضعف والقلة بالصبر وبالمغفرة للذين لا يرجون لقاء الله ونحوه من عدم إيجاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد ونحوها، ثم نسخه إيجاب ذلك، هذا ليس بنسخ في الحقيقة، وإنما هو نسيء؛ كما قال - تَعَالَى نسخه إيجاب ذلك، هذا ليس بنسخ في الحقيقة، وإنما هو الأمر بالقتال إلى أن يقوى المسلمون». وفي حال الضعف يكون الحكم وجوب الصبر على الأذى، وبهذا التحقيق تبين ضعف ما لهج به كثير من المفسرين في الآيات الآمرة بالتخفيف أنها منسوخة بآية السيف، وليست كذلك، بل هي من المنسأ بمعنى أن كل أمر ورد يجب امتثاله في وقت ما؛ لعلة توجب ذلك الحكم، ثم ينتقل بانتقال تلك العلة إلى حكم آخر، وليس بنسخ، إنما النسخ الإزالة حتى لا يجوز امتثاله أبدًا» (٢).

وأتى السيوطي في كتابه «الإتقان» بكلام الزركشي، هذا غير أنه لم ينسبه له (٣) مع أنه ذكر في كتابه «الإكليل» بأن آية السيف ناسخة لآيات العفو والصفح

<sup>(</sup>١) الصارم المسلول، لابن تيمية ص (١٠٣).

<sup>(</sup>٢) البرهان، للزركشي (٢/٤، ٤٢).

<sup>(</sup>٣) انظر: الإتقان، للسيوطي (٦٦/٣).

والمسالمة(١).

والحقيقة أن الزركشي ـ رحمه الله ـ صادق في قوله: إن مراحل الجهاد يعمل بها في الظروف المشابهة للظروف التي شرعت فيها. مخطئ في تضعيفه لأقوال السلف القائلين بالنسخ؛ لأن السلف لا يقصدون بالنسخ المعنى الذي هو يقصده «وهو الإزالة حتى لا يجوز امتثاله أبدًا»، وإنما يقصدون معنى أعم وأشمل من ذلك، فإن النسخ عندهم يشمل التقييد والبيان والتخصيص ونحو ذلك، فليس للزركشي أن يحاكم السلف إلى اصطلاح المتأخرين، وهذا غفلة منه ـ رحمه الله ـ عن قصد السلف بالنسخ.

يقول ابن تيمية عن مفهوم النسخ عند السلف: «... ولم يكن السلف يقبلون معارضة الآية إلا بآية أخرى تفسرها وتنسخها، أو بسنة الرسول على تفسرها، فإن سنة رسول الله على تبين القرآن وتدل عليه وتعبر عنه، وكانوا يسمون ما عارض الآية ناسخًا لها، فالنسخ عندهم اسم عام لكل ما يرفع دلالة الآية على معنى باطل، وإن كان ذلك المعنى لم يرد بها، وإن كان لا يدل عليه ظاهر الآية، بل قد لا يفهم منها. وقد فهمه منها قوم فيسمون ما رفع ذلك الإبهام والإفهام نسخًا، وهذه التسمية لا تؤخذ عن كل واحد منهم. وأصل ذلك من إلقاء الشيطان، ثم يحكم الله آياته، فما ألقاه الشيطان في الأذهان من ظن دلالة الآية على معنى لم يدل عليه سمى هؤلاء ما يرفع ذلك الظن نسخًا، كما سموا قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿فَالَقُواُ اللهَ مَا السَحًا لقوله: ﴿ اللَّهُ وَلَهُ مَا اللهُ وَاللَّهُ مَا اللهُ وَاللَّهُ مَا اللهُ فَيَعْفِرُ لِمَن لَلْهُ اللَّهُ وَلَهُ وَاللَّهُ مَا ليس هذا موضع ليَشَآءٌ وَيُعَذِبُ مَن يَشَآءٌ ﴾ [البقرة: ٢٨٦] ناسخًا لقوله: ﴿وَلِهُ وَلِهُ مَا ليس هذا موضع ليَشَآءٌ وَيُعَذِبُ مَن يَشَآءٌ ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، وأمثال ذلك مما ليس هذا موضع

<sup>(</sup>١) انظر: الإكليل في استنباط التنزيل ص (١١٦).

بسطه»(۱).

وقد رجح بعض العلماء في العصور المتأخرة ما ذهب إليه الزركشي (٢) ظنًا منهم أن قول السلف يخالف قول الزركشي في العمل بمراحل الجهاد. والحقيقة أن الخلاف بين الزركشي وعلماء السلف هو في مسمى النسخ لا في العمل بمراحل الجهاد، وإلا فالسلف لا يكلفون المستضعف من المسلمين الذي حاله مشابهة لحال الرسول في مكة بالقتال، وإنما الواجب عليه أن يجتهد لكي يصل إلى حال قوة يجاهد فيها الكفار؛ لأن الحال التي توفي عليها الرسول عليه البشري. وإليك أقوال يجب على المسلمين بذل قصارى الجهاد لتحقيقها في الواقع البشري. وإليك أقوال السلف المؤيدة لهذا:

قال ابن حجر . عند الكلام على مهادنة الكفار بمال يدفعه المسلمون لهم في حال الضرورة .: «وأما أصل المسألة فاختلف فيه؛ فقال الوليد بن مسلم: سألت الأوزاعي عن موادعة إمام المسلمين أهل الحرب على مال يؤديه إليهم؛ فقال: لا يصلح ذلك إلا عن ضرورة؛ كشغل المسلمين عن حربهم، قال: ولا بأس أن يصالحهم على غير شيء يؤدونه إليهم؛ كما وقع في الحديبية.

وقال الشافعي: إذا ضعف المسلمون عن قتال المشركين جازت لهم مهادنتهم على غير شيء يعطونهم؛ لأن القتل للمسلمين شهادة، وإن الإسلام أعز من أن يعطى المشركون على أن يكفوا عنهم إلا في حالة مخافة اصطلام المسلمين لكثرة العدو؛ لأن ذلك من معاني الضرورات، وكذلك إذا أسر رجل مسلم فلم يطلق إلا بفدية جاز»(٣).

وقال ابن قدامة: «... لا تجوز المهادنة مطلقًا من غير تقدير مدة؛ لأنه يفضي إلى

<sup>(</sup>۱) مجموع الفتاوي (۳۰/۱۳).

<sup>(</sup>٢) انظر: في ظلال القرآن (٩٠/٣)، ومناهل العرفان، للزرقاني (٢/٥٠١).

٣) فتح الباري، لابن حجر (١٩٨/٦).

ترك الجهاد بالكلية (١٠) ... وتجوز مهادنتهم على غير مال؛ لأن النبي على هادنهم يوم الحديبية على غير مال. ويجوز ذلك على مال يأخذه منهم، فإنها إذا جازت على غير مال فعلى مال أولى. وأما إن صالحهم على مال نبذله لهم فقد أطلق أحمد القول بالمنع منه، وهو مذهب الشافعي؛ لأن فيه صَغَارًا للمسلمين، وهذا محمول على غير حالة الضرورة. فأما إذا دعت إليه ضرورة؛ وهو أن يخاف على المسلمين الهلاك أو الأسر فيجوز؛ لأنه يجوز للأسير فداء نفسه بالمال، فكذا ههنا، ولأن بذله المال إن كان فيه صَغَارٌ فإنه يجوز تحمله لدفع صغار أعظم منه وهو القتل والأسر وسبي الذرية الذي يفضي سبيهم إلى كفرهم» (٢).

وقال أبو حنيفة: «لا ينبغي موادعة أهل الشرك إذا كان بالمسلمين عليهم قوة، وإن لم يكن بالمسلمين قوة عليهم فلا بأس بالموادعة».

وقال الشيباني - بعد ذكره لكلام أبي حنيفة هذا -: «وإذا خاف المسلمون المشركين فطلبوا موادعتهم فأبى المشركون أن يوادعوهم حتى يعطيهم المسلمون على ذلك مالًا فلا بأس بذلك عند تحقيق الضرورة»("").

وقال ابن جزي الغرناطي المالكي: «... لا يجوز الانصراف من صف القتال إن كان فيه انكسار المسلمين، وإن لم يكن فيجوز لمتحرف لقتال أو متحيز إلى فئة، والتحرف للقتال هو أن يظهر الفرار وهو يريد الرجوع مكيدة في الحرب، والتحيز إلى الجماعة الحاضرة جائز. واختلف في التحيز إلى جماعة غائبة من المسلمين أو مدينة، ولا يجوز الانهزام إلا إذا زاد الكفار على ضعف المسلمين، والمعتبر العدد في ذلك على المشهور، وقيل: القوة. وقيل: إذا بلغ عدد المسلمين اثني عشر ألفًا لم

<sup>(</sup>١) بعض العلماء كابن تيمية وابن القيم يرى جواز المهادنة من غير تقدير مدة، لكنهم يرون أنها عقد جائز، غير لازم، للمسلمين فَشخُهُ إذا رأوا المصلحة في ذلك. انظر: الجواب الصحيح (٧٤/١)، وزاد المعاد (٧٠/٣).

<sup>(</sup>۲) المغني، لابن قدامة (۸/۹٥٩ ـ ٤٦١).

<sup>(</sup>٣) شرح السير الكبير، للسرخسي ص (١٦٨٩ - ١٦٩٢).

يحل الانهزام، ولو زاد الكفار على الضعف. وإن علم المسلمون أنهم مقتولون فالانصراف أولى، وإن علموا مع ذلك أنهم لا تأثير لهم في نكاية العدو وجب الفرار، وقال أبو المعالي: لا خلاف في ذلك» (١٠).

فهذه الأقوال التي سلفت من مذاهب الأئمة الأربعة وغيرهم تبين أن مقصود السلف بالنسخ في مراحل الجهاد ليس هو إزالة حكم المراحل حتى لا يجوز العمل بها مطلقًا، فإن هذا من التكليف بما لا يطاق في حال الاستضعاف، والله ـ سبحانه \_ يقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسَعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

يقول ابن تيمية: «... فمن كان من المؤمنين بأرض هو فيها مستضعف، أو في وقت هو فيه مستضعف، فليعمل بآية الصبر والصفح والعفو عمن يؤذي الله ورسوله من الذين أوتوا الكتاب والمشركين. وأما أهل القوة فإنما يعملون بآية قتال أئمة الكفر الذين يطعنون في الدين، وبآية قتال الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون» (٢).

وبهذا يتضع أنه لا خلاف بين الزركشي ومن نحا نحوه ـ كسيد قطب وغيره ـ وبين السلف في حكم مراحل الجهاد، وإنما الخلاف في مسمى النسخ؛ يقول سيد قطب: «والعبرة بنهاية المراحل التي وصلت إليها الحركة الجهادية في الإسلام بأمر من الله لا بأوائل الدعوة ولا بأوسطها» (٣). ويقول ـ عليه رحمة الله ـ: «إن تلك الأحكام المرحلية ليست منسوخة بحيث لا يجوز العمل بها في أي ظرف من ظروف الأمة المسلمة بعد نزول الأحكام الأخيرة في سورة التوبة، ذلك أن الحركة والواقع الذي تواجهه في شتى الظروف والأمكنة والأزمنة هي التي تحدد ـ عن طريق الاجتهاد المطلق ـ أي الأحكام هو أنسب للأخذ به في ظرف من الظروف،

<sup>(</sup>١) القوانين الفقهية، لابن جزي ص (١٢٨).

<sup>(</sup>٢) الصارم المسلول، لابن تيمية ص (٢٢١).

<sup>(</sup>٣) في ظلال القرآن (١٤٣٦/٣).

في زمان من الأزمنة، في مكان من الأمكنة، مع عدم نسيان الأحكام الأخيرة التي يجب أن يصار إليها متى أصبحت الأمة الإسلامية في الحال التي تمكنها من تنفيذ هذه الأحكام، كما كان حالها عند نزول سورة التوبة، وما بعد ذلك أيام الفتوحات الإسلامية التي قامت على أساس من هذه الأحكام الأخيرة النهائية سواء في معاملة المشركين أو أهل الكتاب.

إن المهزومين في هذا الزمان أمام الواقع البائس لذراري المسلمين ـ الذين لم يبق لهم من الإسلام إلا العنوان ـ وأمام الهجوم الاستشراقي الماكر على أهل الجهاد في الإسلام، يحاولون أن يجدوا في النصوص المرحلية مهربًا من الحقيقة التي يقوم عليه الانطلاق الإسلامي في الأرض لتحرير الناس كافة من عبادة العباد وردهم جميعًا إلى عبادة الله وحده وتحطيم الطواغيت والأنظمة والقوى التي تقهرهم على عبادة غير اللَّه والخضوع لسلطان غير سلطانه والتحاكم إلى شرع غير شرعه. ومن ثم نراهم يقولون مثلًا: إن اللَّه ـ سبحانه ـ يقول: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّل عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [الأنفال: ٦١]، ويقول: ﴿ لَا يَنْهَنَكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَائِلُوكُمْ فِ ٱلدِّينِ وَلَهُ يُخْرِجُوكُمُ مِّن دِيْرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمُ وَتُقْسِطُوٓا إِلَيْهِمْ ﴾ [الممتحنة: ٨]. فالإسلام إذن لا يقاتل إلا الذين يقاتلون أهل دار الإسلام في داخل حدود هذه الدار أو الذين يهددونها من الخارج. وإنه قد عقد صلح الحديبية مع المشركين، وإنه قد عقد معاهدة مع يهود المدينة ومشركيها، ومعنى ذلك في تصورهم المهزوم أن لا علاقة للإسلام إذن بسائر البشر في أنحاء الأرض، ولا عليه أن يتخذ الناس بعضهم بعضًا أربابًا من دون اللَّه في الأرض كلها ما دام هو آمنًا داخل حدوده الإقليمية. وهو سوء ظن بالإسلام، وسوء ظن بالله ـ سبحانه ـ تمليه الهزيمة أمام الواقع البائس النكد الذي يواجههم وأمام القوى العالمية المعادية التي لا طاقة لهم بها في اللحظة الحاضرة. وهان الأمر لو أنهم حين يهزمون روحيًا أمام هذه القوى لا يحيلون هزيمتهم إلى الإسلام ذاته ولا يحملونه على ضعف واقعهم الذي جاءهم من

بُعْدِهم عن الإسلام أصلًا، ولكنهم يأبون إلا أن يحملوا ضعفهم هم وهزيمتهم على دين الله القوي المتين.

إن هذه النصوص التي يلتجئون إليها نصوص مرحلية تواجه واقعًا معينًا، وهذا الواقع المعين قد يتكرر وقوعه في حياة الأمة المسلمة، وفي هذه الحالة تطبق هذه النصوص المرحلية؛ لأن واقعها يقرر أنها في مثل تلك المرحلة التي واجهتها تلك النصوص بتلك الأحكام. ولكن هنا ليس معناه أن هذه هي غاية المعنى وأن هذه نهاية خطوات هذا الدين.. إنما معناه أن على الأمة المسلمة أن تمضى قُدُمًا في تحسين ظروفها وفي إزالة العوائق من طريقها؛ حتى تتمكن في النهاية من تطبيق الأحكام النهائية الواردة في سورة التوبة، والتي كانت تواجه واقعًا غير الواقع الذي واجهته النصوص المرحلية. إن النصوص الأخيرة تقول في شأن المشركين: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ إِلَى ٱلَّذِينَ عَنَهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۞ فَيسيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَأَعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُغْزِى ٱلْكَلفِرِينَ ۞ وَأَذَنُّ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُوَ لِهِ ۚ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓۦۗ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينٌ وَرَسُولُهُۥ فَإِن تُبْـتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ۖ وَإِن نَوَلَّيْتُمْ فَأَعْـلَمُوٓاْ أَنَكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَبَشِرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ١ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَنهَدتُم مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيَّا وَلَمْ يُظَاهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَيْمُواْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُ ٱلْمُنَّقِينَ ١ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشَّهُو ٱلْحُرُمُ فَٱقَّنْلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدَتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقَّعُدُواْ لَهُمْ حَكُلٌ مَرْصَدٍّ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا ٱلرَّكَوٰةَ فَخَلُواُ سَبِيلَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَكُمُ ٱللَّهِ ثُمَّ ٱبْلِغُهُ مَأْمَنَهُ ذَالِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ۞ .. وتقول في شَأَنَ أَهِلِ الكَتَابِ: ﴿ فَالْلِلُوا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحُرِيِّمُونَ مَا حَدَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَلِدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَنَ حَتَّى يُعْطُوا ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدِ وَهُمَّ صَنغِزُونَ ﴿ إِنَّ ﴾ ، فإذا كان المسلمون

اليوم لا يملكون بواقعهم تحقيق هذه الأحكام فهم ـ اللحظة ومؤقتًا ـ غير مكلفين بتحقيقها ـ ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، ولهم في الأحكام المرحلية سعة يتدرجون معها حتى ينتهوا إلى تنفيذ هذه الأحكام الأخيرة عندما يكونون في الحال التي يستطيعون معها تنفيذها. ولكن عليهم ألا يلووا أعناق النصوص المنهائية لتوافق أحكام النصوص المرحلية، وعليهم ألا يحملوا ضعفهم الحاضر على دين الله القوي المتين، وعليهم أن يتقوا الله في مسخ هذا الدين وإصابته بالهزال بحجة أنه دين السلم والسلام.

إنه دين السلم والسلام فعلًا، ولكن على أساس إنقاذ البشرية كلها من عبادة غير الله، وإدخال البشرية كافة في السلم كافة. إنه منهج الله هذا الذي يريد البشر على الارتفاع إليه والاستمتاع بخيره، وليس منهج عبد من العبيد، ولا مذهب مفكر من البشر حتى يخجل الداعون إليه من إعلان إن هدفهم الأخير هو تحطيم كل القوى التي تقف في سبيله لإطلاق الحرية للناس أفرادًا في اختياره... إنه حين تكون المذاهب التي يتبعها الناس مذاهب بشرية من صنع العبيد، وحين تكون الأنظمة والشرائع التي تصرف حياتهم من وضع العبيد أيضًا فإنه في هذه الحالة يصبح لكل مذهب ولكل نظام الحق في أن يعيش داخل حدوده آمنًا ما دام أنه لا يعتدي على حدود الآخرين، ويصبح من حق هذه المذاهب والأنظمة والأوضاع المختلفة أن تتعايش وألا يحاول أحدها إزالة الآخر. فأما حين يكون هناك منهج إلهي وشريعة ربانية، ووضع العبودية فيه لله وحده، وتكون إلى جانبه مناهج ومذاهب وأوضاع من صنع البشر، العبودية فيها للعباد، فإن الأمر يختلف من أساسه، ويصبح من حق المنهج الإلهي أن يجتاز الحواجز البشرية ويحرر البشر من العبودية للعباد ويتركهم أحرارًا في اختيار العقيدة التي يختارونها في ظل الدينونة لله وحده. والمهزومون الذين يحاولون أن يلووا أعناق النصوص؛ ليخرجوا من الحرج الذي يتوهمونه في انطلاق الإسلام وراء حدوده الأولى؛ ليحرر البشر في الأرض كلها

من العبودية لغير الله ينسون هذه الحقيقة الكبرى، وهي أن هناك منهجًا ربانيًا، العبودية فيها للعبيد»(١).

قال ابن كثير: «عن أبي العالية في قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿ وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُو ﴾ ، قال: هذه أول آية نزلت في القتال بالمدينة، فلما نزلت كان رسول اللَّه عَلَيْ يقاتل من قاتله، ويكف عمن كفَّ عنه حتى نزلت سورة براءة.

وكذا قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم حتى قال: هذه منسوخة بقوله: ﴿ فَاقَنْلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُمُوهُمْ ﴾ .

وفي هذا نظر؛ لأن قوله: ﴿ اللَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ﴾ إنما هو تهييج وإغراء بالأعداء الذين همتهم قتال الإسلام وأهله؛ أي: كما يقاتلونكم فقاتلوهم أنتم، كما قال: ﴿ وَقَائِلُوا اللَّهُ شَرِكِينَ كَافَةً كَمَا يُقَائِلُونَكُمْ صَافَةً ﴾ [التوبة: ٣٦]، ولهذا قال في هذه الآية: ﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَلِفَنْهُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ﴾ أي: فلتكن همتكم منبعثة على قتالهم كما أن همتهم منبعثة على قتالكم، وعلى إخراجهم من بلادهم التي أخرجوكم منها؛ قِصَاصًا.

وقولهُ: ﴿ وَلَا تَعَلَٰ تَكُوَّأً إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَذِينَ ﴾ ؛ أي: وقاتلوا في

<sup>(</sup>١) أهمية الجهاد، للدكتور علي بن نفيع العلياني ص (١٤٨- ١٥٧) دار طيبة، وفقه الدعوة، لسيد قطب ـ اختيار أحمد حسى ص (٢١٧ - ٢٢٢).

سبيل الله، ولا تعتدوا في ذلك، ويدخل في ذلك ارتكاب المناهي ـ كما قاله الحسن البصري ـ من المثلة، والغلول، وقتل النساء، والصبيان، والشيوخ الذين لا رأي لهم، ولا قتال فيهم، والرهبان، وأصحاب الصوامع، وتحريق الأشجار، وقتل الحيوان لغير مصلحة، كما قال ذلك ابن عباس، وعمر بن عبدالعزيز، ومقاتل بن حيان وغيرهم، ولهذا جاء في «صحيح مسلم» عن بريدة أن رسول الله على كان يقول: «اغزوا في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا ولا أصحاب الصوامع»(۱).

وفي الصحيحين عن ابن عمر قال: «وجدت امرأة في بعض مغازي النبي ﷺ مقتولة، فأنكر رسول الله ﷺ قتل النساء والصبيان» (٢).

ولما كان الجهاد فيه إزهاق النفوس وقتل الرجال نبه ـ تَعَالَى ـ على أن ما هم مشتملون عليه من الكفر بالله والشرك به والصدِّ عن سبيله أبلغ وأشدُّ وأعظم، وأطمُّ من القتل، ولهذا قال: ﴿ وَٱلْفِئْنَةُ أَشَدُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾؛ قال أبو مالك: ما أنتم مقيمون عليهِ أكبر من القتل.

﴿ وَلَا نُقَائِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَائَلُوكُمْ فَٱقْتَلُوهُمْ كَاالِكَ جَزَآءُ ٱلْكَفِرِينَ ﴾ .

«ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام إلا أن يبدءوكم بالقتال فيه، فلكم حينئذ قتالهم، وقتلهم؛ دفعًا للصيال»(٢٠).

ثم أمر الله ـ تَعَالَى ـ بقتال الكفار ﴿ حَتَىٰ لَا تَكُونَ فِنْنَدُ ﴾؛ أي: شرك؛ قاله ابن عباس، وأبو العالية، ومجاهد، والحسن، وقتادة، والربيع، ومقاتل بن حيان،

<sup>(</sup>١) رواه مسلم في الجهاد والسير (١٧٣١)، وأحمد في «المسند» (٣٥٢/٥).

<sup>(</sup>٢) رواه البخاري في الجهاد والسير ـ باب: قتل الصبيان في الحرب، وقتل النساء في الحرب برقم (٢) (١٧٤٤).

<sup>(</sup>٣) الصيال: القهر والعدوان.

والسدي، وزيد بن أسلم.

﴿ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِللَّهِ ﴾ أن يكون دين اللَّه هو الظاهر العالي على سائر الأديان، كما ثبت في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري قال: سئل النبي عَيَالِينُ عن الرجل يُقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويُقاتل رياء، أيُّ ذلك في سبيل الله؟ فقال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» (١).

وفي الصحيحين: «أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله»(٢).

وقوله: ﴿ فَإِنِ اَنهُمَوا فَلَا عُدُونَ إِلَّا عَلَى الظّللِينَ ﴾ : يقول ـ تَعَالَى ـ : فإن انتهوا عما هم فيه من الشرك، وقتال المؤمنين فكفُّوا عنهم، فإن من قاتلهم بعد ذلك فهو ظالم، ولا عدوان إلا على الظالمين، وهذا معنى قول مجاهد: لا يُقاتل إلا من قاتل. أو يكون تقديره: فإن انتهوا فقد تخلصوا من الظلم ـ وهو الشرك ـ فلا عدوان عليهم بعد ذلك. والمراد بالعدوان هاهنا المعاقبة والمقاتلة؛ كقوله: ﴿ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمُ ﴿ فَاعَتَدُىٰ عَلَيْكُمُ ﴿ وَوَلِهُ: ﴿ وَجَزَرُوا السِيّئَةُ سِيّئَةُ مِثْلُهَا ﴾ فأعتدى عَلَيْكُم ﴿ وَوَلِهُ: ﴿ وَجَزَرُوا سَيِّئَةُ سِيّئَةُ مِثْلُهَا ﴾ [الشورى: ٤٠]، ﴿ وَإِنْ عَاقِبُنُ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ﴿ وَالنَّالَمُ الذي أبى أن يقول: لا إله إلا الله.

عن ابن عمر قال: «أتاه رجلان في فتنة ابن الزبير فقالا: إن الناس ضُيِّعوا، وأنت ابن عمر، وصاحب النبي ﷺ، فما يمنعك أن تخرج؟ فقال: يمنعني أن الله حرَّم دم أخي، قالا: ألم يقل الله: ﴿ وَقَائِلُوهُمْ حَتَى لَا تَكُونَ فِنْنَهُ ﴾؟ فقال: قاتلنا حتى لم تكن فتنة، وكان الدين لله، وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة وحتى يكون الدين لغير الله (٣).

<sup>(</sup>١) أخرجه البخاري (١٢٣، ١٨٢٠، ٣١٢٦، ٧٤٥٨)، ومسلم (١٩٠٤).

<sup>(</sup>٢) أخرَجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٣٦) (٢٢) من حديث عبدالله بن عمر ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ..

<sup>(</sup>٣) تفسير ابن كثير (٢١٤/٢ ـ ٢١٨).

٢٠. قال - تَعَالَى -: ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللّهِ أَلَيْكِ ٱللّهِ عَلَيْبَ فَسَوْفَ نُوْتِيهِ أَجًا عَظِيمًا ﴿ وَالْمَالَخِ وَهَ وَمَن يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللّهِ فَيُقْتَلُ أَوْ يَغْلِبَ فَسَوْفَ نُوْتِيهِ أَجًا عَظِيمًا ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا نُقْنِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللّهِ وَٱلْمُسْتَضْفَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَلِ وَالنّسَاءِ وَٱلْوِلْدَانِ ٱلّذِينَ يَقُولُونَ وَمَا لَكُمْ لَا يَا مِن لَدُنك وَلِيّا وَأَجْعَل لَنا مِن رَبّنا أَخْرِجْنا مِن هَلَوه ٱلقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهُا وَأَجْعَل لَنا مِن لَدُنك وَلِيّا وَأَجْعَل لَنا مِن لَدُنك نَصِيمًا ﴿ وَالّذِينَ كَفَرُوا يُقَالِمُونَ فِي سَبِيلِ ٱللّهِ وَٱلّذِينَ كَفَرُوا يُقَالُونَ فِي سَبِيلِ ٱلللّهِ وَٱللّذِينَ كَفَرُوا يُقَالُونَ فِي سَبِيلِ ٱلللّهِ وَالّذِينَ كَفَرُوا يُقَالُونَ فِي سَبِيلِ ٱلللّهِ وَالّذِينَ كَفَرُوا يُقَالُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَاللّهِ عَلَيْهُم ٱللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ عَلَيْهُم ٱللّهُ وَاللّهُ وَلَكُونَ وَاللّهُ وَلّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا لَاللّهُ وَلَا لَعْلَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا لَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلّهُ وَاللّهُ وَاللّهُولَ الللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ

عن ابن عباس قال: كنت أنا وأمي من المستضعفين (١).

وعن ابن أبي مُليكة، أن ابن عباس تلا: ﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْفِسَآءِ وَٱلْفِسَآءِ وَٱلْوِسَآءِ قَالَ: كنت أنا وأمي ممن عذر اللَّه ﷺ.

ثم قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَائِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَائِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَرضوانه، والكافرون سَبِيلِ الطَّاخُوتِ ﴾؛ أي: المؤمنون يُقاتلون في طاعة اللَّه ورضوانه، والكافرون

<sup>(</sup>١) صحيح البخاري (١٥٨٧، ٤٥٨٨).

يقاتلون في طاعة الشيطان.

ثم هيَّج المؤمنين على قتال أعدائه بقوله: ﴿ فَقَانِلُوۤا أَوْلِيَآهَ ٱلشَّيۡطَانِ ۚ إِنَّ كَيْدَ الشَّيۡطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ (١) .

«خطاب للجماعة المسلمة كلها. يلتفت إليها لاستجاشة مروءة النفوس، وحساسية القلوب؛ تجاه المستضعفين من الرجال والنساء والولدان؛ الذين كانوا يقاسون في مكة ما يقاسون على أيدي المشركين غير قادرين على الهجرة إلى دار الإسلام والفرار بدينهم وعقيدتهم؛ وهم يتطلعون إلى الخلاص، ويدعون الله أن يجعل لهم مخرجًا من دار الظلم والعدوان. يلتفت هذه الالتفاتة؛ ليوحي إليهم بسمو المقصد، وشرف الغاية، ونبل الهدف في هذا القتال، الذين يدعوهم أن ينفروا إليه، غير متئاقلين ولا مبطئين. وذلك في أسلوب تحضيضي؛ يستنكر البطء والقعود:

﴿ وَمَا لَكُمْرَ لَا نُقَائِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَآءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَأَجْعَل لَّنَا مِن لَدُنكَ وَلِيًّا وَأَجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ۞ ﴾ · ·

وكيف تقعدون عن القتال في سبيل الله؛ واستنقاذ هؤلاء المستضعفين من الرجال والنساء والولدان؟ هؤلاء الذين ترتسم صورهم في مشهد مثير لحمية المسلم، وكرامة المؤمن، ولعاطفة الرحمة الإنسانية على الإطلاق؟ هؤلاء الذين يعانون أشد المحنة والفتنة؛ لأنهم يعانون المحنة في عقيدتهم، والفتنة في دينهم. والمحنة في المعقيدة أشد من المحنة في المال والأرض والنفس والعرض؛ لأنها محنة في أخص خصائص الوجود الإنساني، الذي تتبعه كرامة النفس والعرض، وحق المال والأرض!

<sup>(</sup>۱) تفسير ابن كثير (۱۹/۶،۱۹۰، ۱۲۰).

ومشهد المرأة الكسيرة والولد الضعيف، مشهد مؤثر مثير، لا يقل عنه مشهد الشيوخ الذين لا يملكون أن يدفعوا ـ وبخاصة حين يكون الدفع عن الدين والعقيدة موهذا المشهد كله معروض في مجال الدعوة إلى الجهاد، وهو وحده يكفي. لذلك يستنكر القعود عن الاستجابة لهذه الصرخات.. وهو أسلوب عميق الوقع، بعيد الغور في مسارب الشعور والإحساس.

ولا بد من لفتة هنا إلى التصور الإسلامي للبلد والأرض والوطن: إن هَاذِهِ الْقَرِّيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا التي يعدها الإسلام . في موضعها ذاك . دار حرب، يجب أن يقاتل المسلمون؛ لاستنقاذ المسلمين المستضعفين منها، هي «مكة» وطن المهاجرين، الذين يُدعون هذه الدعوة الحارة إلى قتال المشركين فيها. ويدعو المسلمون المستضعفون هذه الدعوة الحادة للخروج منه!

إن كونها بلدهم لم يغير وضعها في نظر الإسلام ـ حين لم تقم فيها شريعة الله ومنهجه؛ وحين فتن فيها المؤمنون عن دينهم، وعذبوا في عقيدتهم.. بل اعتبرت بالنسبة لهم هم أنفسهم «دار حرب».. دار حرب، هم لا يدافعون عنها، وليس هذا فحسب بل هم يحاربونها؛ لإنقاذ إخوانهم المسلمين منها.

إن راية المسلم التي يحامي عنها هي عقيدته. ووطنه الذي يجاهد من أجله هو البلد الذي تقام شريعة الله فيه. وأرضه التي يدفع عنها هي «دار الإسلام» التي تتخذ المنهج الإسلامي منهجًا للحياة.. وكل تصور آخر للوطن هو تصور غير إسلامي، تنضح به الجاهليات، ولا يعرفه الإسلام.

ثم لمسة نفسية أخرى؛ لاستنهاض الهمم، واستجاشة العزائم، وإنارة الطريق، وتحديد القيم والغايات والأهداف، التي يعمل لها كل فريق:

﴿ اَلَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَنِئُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَايِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّلغُوتِ فَقَايِلُواً أَوْلِيَاءَ الشَّيَطُانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ۞ ﴾.

وفي لمسة واحدة يقف الناس على مفرق الطريق. وفي لحظة ترتسم الأهداف،

وتتضح الخطوط. وينقسم الناس إلى فريقين اثنين؛ تحت رايتين متميزتين:

﴿ ٱلَّذِينَ مَامَنُوا يُقَائِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَائِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّاغُوتِ ﴾

الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله؛ لتحقيق منهجه، وإقرار شريعته، وإقامة العدل «بين الناس» باسم الله. لا تحت أي عنوان آخر؛ اعترافًا بأن الله وحده هو الإله، ومن ثم فهو الحاكم.

والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت؛ لتحقيق مناهج شتى - غير منهج الله - وإقرار شرائع شتى - غير أذن بها الله - وإقامة قيم شتى - غير التي أذن بها الله - ونصب موازين شتى غير ميزان الله!

ويقف الذين آمنوا مستندين إلى ولاية اللَّه وحمايته ورعايته.

ويقف الذين كفروا مستندين إلى ولاية الشيطان بشتى راياتهم، وشتى شرائعهم، وشتى موازينهم... فكلهم أولياء الشيطان.

ويأمر الله الذين آمنوا أن يقاتلوا أولياء الشيطان؛ ولا يخشوا مكرهم ولا مكر الشيطان؛ ﴿ فَقَائِلُوٓا أَوْلِيَآهَ ٱلشَّيۡطَانِ ۚ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيۡطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾.

وهكذا يقف المسلمون على أرض صلبة، مسندين ظهورهم إلى ركن شديد. مقتنعي الوجدان بأنهم يخوضون معركة لله، ليس لأنفسهم منها نصيب، ولا لذواتهم منها حظ، وليست لقومهم، ولا لجنسهم، ولا لقرابتهم وعشيرتهم منها شيء.. إنما هي لله وحده، ولمنهجه وشريعته. وأنهم يواجهون قومًا أهل باطل؛ يقاتلون لتغليب الباطل على الحق؛ لأنهم يقاتلون لتغليب مناهج البشر الجاهلية على الله؛ ولتغليب ظلم البشر - وكل حكم للبشر من دون الله ظلم - على عدل الله، الذي هم مأمورون أن يحكموا به بين الناس.

كذلك يخوضون المعركة، وهم يوقنون أن الله وليهم فيها، وأنهم يواجهون قومًا الشيطان وليهم، فهم إذن ضعاف... ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾..

ومن هنا يتقرر مصير المعركة في حس المؤمنين، وتتحدّد نهايتها قبل أن يدخلوها. وسواء بعد ذلك استشهد المؤمن في المعركة ـ فهو واثق من النتيجة ـ أم بقي حتى غلب، ورأى بعينيه النصر؛ فهو واثق من الأجر العظيم.

من هذا التصور الحقيقي للأمر في كلتا حالتيه، انبثقت تلك الخوارق الكثيرة التي حفظها تاريخ الجهاد في سبيل الله في حياة الجماعة المسلمة الأولى؛ والتي تناثرت على مدى التاريخ في أجيال كثيرة. وما بنا أن نضرب لها هنا الأمثال؛ فهي كثيرة مشهورة.

ومن هذا التصور كان ذلك المد الإسلامي العجيب، في أقصر فترة عرفت في التاريخ؛ فقد كان هذا التصور جانبًا من جوانب التفوق الذي حققه المنهج الرباني للجماعة المسلمة، على المعسكرات المعادية... وبناء هذا التصور ذاته كان طرفًا من المعركة الكلية الشاملة التي خاضها القرآن في نفوس المؤمنين، وهو يخوض بهم المعركة مع أعدائهم المتفوقين في العدد والعدة والمال؛ ولكنهم في هذا الجانب كانوا متخلفين؛ فأمسوا مهزومين!

وها نحن أولاء نرى الجهد الذي بذله المنهج في إنشاء هذا التصور وتثبيته، فلم يكن الأمر هيئًا، ولم يكن مجرد كلمة تقال، ولكنه كان جهدًا موصولًا، لمعالجة شح النفس، وحرصها على الحياة - بأي ثمن - وسوء التصور لحقيقة الربح والخسارة.. وفي الدرس بقية من هذا العلاج، وذلك الجهد الموصول» (١).

قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ أَلَوْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُوّاً أَيَدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ ﴾؛ كان المؤمنون في ابتداء الإسلام مأمورين بالصلاة والزكاة، وإن لم تكن ذات النصب،

<sup>(</sup>١) الظلال (٧٠٨/٢ ، ٧١٠) بتصرف.

لكن كانوا مأمورين بمواساة الفقراء منهم، وكانوا مأمورين بالصفح والعفو عن المشركين والصبر إلى حين، وكانوا يتحرَّقون ويودون لو أُمِروا بالقتال؛ ليشتفوا من أعدائهم، ولم يكن الحال إذ ذاك مناسبًا؛ لأسباب كثيرة؛ منها: قلة عددهم بالنسبة إلى كثرة عدد عدوهم، ومنها: كونهم كانوا في بلدهم، وهو بلد حرام وأشرف بقاع الأرض، فلم يكن الأمر بالقتال فيه ابتداءً لائقًا، فلهذا لم يؤمر بالجهاد إلا بالمدينة، لمَّا صار لهم دار منعة وأنصار، ومع هذا لما أُمِروا بما كانوا يودونه جزع بعضهم منه وخافوا من مواجهة الناس خوفًا شديدًا، ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَلَبَتَ عَلَيْنَا اللهُ عَلَيْنَا لَوَلا أَجُلِ قَرِبِ ﴾ أي: لو ما أخَرت فريضته إلى مدة أخرى، فإن فيه سفك الدماء، ويُتم الأبناء، وتأيم النساء.

وهذه الآية في معنى قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِلَتَ سُورَةً ۚ فَإِذَا أَنزِلَتَ سُورَةً ۚ أَنزِلَتَ سُورَةً ۗ فَإِذَا أَنزِلَتَ سُورَةً مُتَكَمَّةٌ وَذُكِرَ فِهَا ٱلْقِتَالُ ﴾ [محمد: ٢٠] الآيات..

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن عبدالرحمن بن عوف وأصحابه أتوا النبي عن ابن عباس ـ رضي الله كنا في عزَّة ونحن مشركون، فلما آمنا صرنا أذلة، قال: «إني أُمرتُ بالعفو، فلا تقاتلوا القوم»، فلما حوَّله الله إلى المدينة أمره بالقتال، فكفُّوا، فأنزل الله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى اللَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيكُمْ ﴾ الآية (١).

وقوله: ﴿قُلُ مَنْكُمُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلُ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ ٱنَّقَىٰ﴾؛ أي: آخرة المتقى خير من دنياه.

﴿ وَلَا نُظُلَمُونَ فَنِيلًا ﴾؛ أي: من أعمالكم، بل توفونها أتم الجزاء. وهذه تسلية لهم عن الدنيا، وترغيب لهم في الآخرة، وتحريض لهم على الجهاد.

<sup>(</sup>۱) صحيح على شرط البخاري: رواه النسائي في فاتحة كتاب الجهاد من «السنن الصغرى» (۲/٦، ٣) وفي «التفسير» من «الكبرى» (٦/)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/٣)، وابن جرير (٨/ ٩٥١)، والحاكم (٢/٦، ٢٦، ٢٠، ٣٠)، وعنه البيهقي في «السنن الكبرى» (١١/٩)، وقال الحاكم: صحيح على شرط البخاري. ووافقه الذهبي.

قرأ الحسن: ﴿قُلُ مَنْعُ ٱلدُّنَيَا قَلِيلٌ ﴾ ؛ قال: رحم اللَّه عبدًا صحبها على حسب ذلك، وما الدنيا كلها أولها وآخرها إلا كرجل نام نومة فرأى في منامه بعض ما يحب ثم انتبه.

وقال ابن معين: كان أبو مُشهَر ينشد:

وَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنَ اللَّهِ فِي دَارِ اللَّهَامِ نَصِيبُ فَإِنْ تُعْجِبُ الدُّنْيَا رِجَالًا فَإِنَّهَا مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَالزَّوَالُ قَرِيبُ(')

🗖 وقفات مهمة مع آية سورة النساء:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِبَلَ لَهُمْ كُفُواْ أَيْدِيكُمْ وَأَقِيمُوا ٱلصَّلُوةَ وَءَاثُوا ٱلزَّكُوهَ فَلَمَا كُنِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْفِنَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَعْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَنَبُمُ ٱلْفُونَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَعْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللّهِ أَوْ أَشَدُ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَنَبُمُ اللّهُ اللّهُ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمِنِ كَنَبُمَ عَلَيْنَا ٱلْفَوْلُ وَلَا أَخْرَلُنَا إِلَىٰ أَجَلِ قَرِبِ ثُولِ مَنْعُ ٱللّهُ وَلَا أَنْهُمُ فِي بُرُومٍ النّهَ وَلَا نُعْلَمُونَ فَلِيلًا ﴿ إِنَ أَيْنَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلَا كُونُوا يُدْرِكِكُمُ ٱلْمُونُ وَلَوْ كُذُمُ فِي بُرُومٍ مُشَيَّدَةً ﴾ .

يعجب الله ـ سبحانه ـ من أمر هؤلاء الناس؛ الذين كانوا يتدافعون حماسة إلى القتال ويستعجلونه وهم في مكة، يتلقون الأذى والاضطهاد والفتنة من المشركين. حين لم يكن مأذونًا لهم في القتال؛ للحكمة التي يريدها الله. فلما أن جاء الوقت المناسب الذي قدره الله؛ وتهيأت الظروف المناسبة وكتب عليهم القتال ـ في سبيل الله ـ إذا فريق منهم شديد الجزع، شديد الفزع، حتى ليخشى الناس الذين أمروا بقتالهم ـ وهم ناس من البشر ـ كخشية الله؛ القهار الجبار، الذي لا يعذب عذابه أحد، ولا يوثق وثاقه أحد. ﴿ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ﴾!! وإذا هم يقولون ـ في حسرة وخوف وجزع ـ: ﴿ رَبَّنَا لِمَ كَنَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْفِنَالَ ﴾؟ وهو سؤال غريب من مؤمن، وخوف وجزع ـ: ﴿ رَبَّنَا لِمَ كَنَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْفِنَالَ ﴾؟ وهو سؤال غريب من مؤمن، وهو دلالة على عدم وضوح تصوره لتكاليف هذا الدين؛ ولوظيفة هذا الدين

<sup>(</sup>١) تفسير ابن كثير (١٦١/٤ ـ ١٦٣).

أيضًا ('). ويتبعون ذلك التساؤل، بأمنية حسرة مسكينة! ﴿لَوَلَاۤ أَخَرَٰنَنَاۤ إِلَىٰٓ أَجَلِ وَرِبِّ﴾، وأمهلتنا بعض الوقت، قبل ملاقاة هذا التكليف الثقيل المخيف!

إن أشد الناس حماسة واندفاعًا وتهورًا، قد يكونون هم أشد الناس جزعًا وانهيارًا وهزيمة عندما يجد الجد، وتقع الواقعة.. بل إن هذه قد تكون القاعدة الخلك أن الاندفاع والتهور والحماسة الفائقة غالبًا ما تكون منبعثة عن عدم التقدير لحقيقة التكاليف. لا عن شجاعة واحتمال وإصرار، كما أنها قد تكون منبعثة عن قلة الاحتمال؛ قلة احتمال الضيق والأذى والهزيمة؛ فتدفعهم قلة الاحتمال إلى طلب الحركة والدفع والانتصار بأي شكل دون تقدير لتكاليف الحركة والدفع والانتصار. حتى إذا وُوجهوا بهذه التكاليف كانت أثقل مما قدروا، وأشق مما تصوروا، فكانوا أول الصف جزعًا ونكولًا وانهيارًا.. على حين يثبت أولئك الذين كانوا يمسكون أنفسهم، ويحتملون الضيق والأذى بعض الوقت؛ ويعدون للأمر عدته، ويعرفون حقيقة تكاليف الحركة، ومدى احتمال النفوس لهذه التكاليف. فيصبرون ويتمهلون ويعدون للأمر عدته.. والمتهورون المندفعون المستحمسون فيصبرون ويتمهلون وبعدون للأمر عدته.. والمتهورون المندفعون المستحمسون أي الفريقين أكثر احتمالًا؛ وأي الفريقين أبعد نظرًا كذلك!

وأغلب الظن أن هذا الفريق الذي تعنيه هذه الآيات كان من ذلك الصنف، الذي يلذعه الأذى في مكة فلا يطيقه؛ ولا يطيق الهوان وهو ذو عزة، فيندفع يطلب من الرسول على أن يأذن له بدفع الأذى، أو حفظ الكرامة. والرسول يتبع في هذا أمر ربه بالتريث والانتظار، والتربية والإعداد، وارتقاب الأمر في الوقت المناسب. فلما أن أمن هذا الفريق في المدينة؛ ولم يعد هناك أذى ولا إذلال، وبعد لسع الحوادث عن الذوات والأشخاص؛ لم يعد يرى للقتال مبررًا؛ أو على الأقل لم

<sup>(</sup>١) أي: وقت نزول الآيات.. وإلا فالصحابة خير القرون، وكلهم عدول، وهم أفضل الأمة، ولا يُقاسون بغيرهم.

يعد يرى للمسارعة به ضرورة!

﴿ فَلَمَّا كُنِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْفِنَالُ إِذَا فَرِيقُ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوَ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَنَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْفِنَالَ لَوَلَآ أَخْرَلْنَاۤ إِلَىۤ أَجَلِ قَرِبِ ۖ ﴾

وقد يكون هذا الفريق مؤمنًا فعلًا. بدليل اتجاههم إلى الله في ضراعة وأسى! وهذه الصورة ينبغي أن تكون في حسابنا. فالإيمان الذي لم ينضج بعد؛ والتصور الذي لم تتضح معالمه؛ ولم يتبين صاحبه وظيفة هذا الدين في الأرض ـ وأنها أكبر من حماية الأشخاص، وحماية الأقوام، وحماية الأوطان، إذ إنها في صميمها قرار منهج اللَّه في الأرض، وإقامة نظامه العادل في ربوع العالم؛ وإنشاء قوة عليا في هذه الأرض ذات سلطان، يمنع أن تغلق الحدود دون دعوة الله؛ ويمنع أن يحال بين الأفراد والاستماع للدعوة في أي مكان على سطح الأرض؛ ويمنع أن يفتن أحد من الأفراد عن دينه إذا هو اختاره بكامل حريته ـ بأي لون من ألوان الفتنة ـ، ومنها أن يطارد في رزقه أو في نشاطه حيث هو ـ وهذه كلها مهام خارجة عن وقوع أذي على أشخاص بعينهم أو عدم وقوعه.. وإذن فلم يكن الأمن في المدينة ـ حتى على فرض وجوده كاملًا غير مهدد ـ لينهي مهمة المسلمين هناك؛ وينهى عن الجهاد! الإيمان الذي لم ينضج بعد ليبلغ بالنفس إلى إخراج ذاتها من الأمر؛ والاستماع فقط إلى أمر الله واعتباره هو العلة والمعلول، والسبب والمسبب، والكلمة الأخيرة ـ سواء عرف المكلف حكمتها أم لم تتضح له ـ والتصور الذي لم تتضح معالمه بعد ليعرف المؤمن مهمة هذا الدين في الأرض؛ ومهمته هو ـ المؤمن ـ بوصفه قدرًا من قدر الله، ينفذ به اللَّه ما يشاءه في هذه الحياة.. لا جرم ينشأ عنه مثل هذا الموقف، الذي يصوره السياق القرآني هذا التصوير؛ ويعجب منه هذا التعجب! وينفّر منه هذا التنفير.

فأما لماذا لم يأذن اللَّه للمسلمين ـ في مكة ـ بالانتصار من الظلم؛ والرد على العدوان؛ ودفع الأذى بالقوة.. وكثيرون منهم كان يملك هذا؛ فلم يكن ضعيفًا ولا

مستضعفًا؛ ولم يكن عاجزًا عن رد الصاع صاعين.. مهما يكن المسلمون في ذلك الوقت قلة.

أما حكمة هذا، والأمر بالكف عن القتال، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، والصبر والاحتمال.. حتى وبعض المسلمين يلقى من الأذى والعذاب ما لا يطاق، وبعضهم يتجاوز العذاب طاقته؛ فيفتن عن دينه. وبعضهم لا يحتمل الاستمرار في العذاب فيموت تحت وطأته.

أما حكمة هذا فلسنا في حل من الجزم بها؛ لأننا حينئذ نتألى على الله ما لم يبين لنا من حكمة؛ ونفرض على أوامره أسبابًا وعللًا قد لا تكون هي الأسباب والعلل الحقيقية، أو قد تكون، ولكن يكون وراءها أسباب وعلل أخرى لم يكشف لنا عنها، ويعلم - سبحانه - أن فيها الخير والمصلحة.. وهذا هو شأن المؤمن أمام أي تكليف، أو أي حكم في شريعة الله - لم يبين الله سببه محددًا جازمًا حاسمًا - فمهما خطر له من الأسباب والعلل لهذا الحكم أو لذلك التكليف؛ أو لكيفية تنفيذ هذا الحكم أو طريقة أداء ذلك التكليف، مما يدركه عقله ويحسن فيه.. فينبغي أن يعتبر هذا كله مجرد احتمال. ولا يجزم - مهما بلغت ثقته بعلمه وعقله وتدبره لأحكام الله - بأن ما رآه من حكمة هو الحكمة التي أرادها الله.. نصًّا.. وليس وراءها شيء، وليس من دونها شيء! فذلك التحرير هي مقتضى الأدب الواجب مع الله. ومقتضى ما بين علم الله ومعرفة الإنسان من اختلاف في الطبيعة والحقيقة.

وبهذا الأدب الواجب نتناول حكمة عدم فرض الجهاد في مكة وفرضيته في المدينة. نذكر ما يتراءى لنا من حكمة وسبب. على أنه مجرد احتمال. وندع ما وراءه لله. لا نفرض على أمره أسبابًا وعللًا، لا يعلمها إلا هو.. ولم يحددها هو لنا ويطلعنا عليها بنص صريح!

إنها أسباب اجتهادية تخطئ وتصيب، وتنقص وتزيد، ولا نبغي بها إلا مجرد

تدبر أحكام اللَّه وفق ما تظهره لنا الأحداث في مجرى الزمان:

أ ـ ربما كان ذلك لأن الفترة المكية كانت فترة تربية وإعداد في بيئة معينة، لقوم معينين، وسط ظروف معينة.

ومن أهداف التربية والإعداد ـ في مثل هذه البيئة بالذات ـ تربية نفس الفرد العربي على الصبر على ما لا يصبر عليه عادة من الضيم يقع على شخصه أو على من يلوذون به؛ ليخلص من شخصه، ويتجرد من ذاته، ولا تعود ذاته ولا من يلوذون به محور الحياة في نظره، ودافع الحركة في حياته.. وتربيته كذلك على ضبط أعصابه؛ فلا يندفع لأول مؤثر ـ كما هي طبيعته ـ ولا يهتاج لأول مهيج؛ ليتم الاعتدال في طبيعته وحركته.. وتربيته على أن يتبع مجتمعًا منظمًا له قيادة يرجع إليها في كل أمر من أمور حياته؛ ولا يتصرف إلا وفق ما تأمره ـ مهما يكن مخالفًا لمألوفه وعادته ـ وقد كان هذا هو حجر الأساس في إعداد شخصية العربي؛ لإنشاء «المجتمع المسلم» الخاضع لقيادة موجهة؛ المترقي المتحضر، غير الهمجي أو القبلي. ب ـ وربما كان ذلك ـ أيضًا ـ؛ لأن الدعوة السلمية أشد أثرًا وأنفذ في مثل بيئة قريش؛ ذات العنجهية والشرف؛ والتي قد يدفعها القتال معها ـ في مثل هذه الفترة ـ إلى زيادة العناد وإلى نشأة ثارات دموية جديدة، كثارات العرب المعروفة، التي أثارت حرب داحس والغبراء، وحرب البسوس ـ أعوامًا طويلة، تفانت فيها قبائل برمتها .، وتكون هذه الثارات الجديدة مرتبطة في أذهانهم وذكرياتهم بالإسلام، فلا تهدأ بعد ذلك أبدًا. ويتحول الإسلام من دعوة، إلى ثارات وذحول تنسى معها فكرته الأساسية، وهو في مبدئه، فلا تذكر أبدًا!

ج - وربما كان ذلك ـ أيضًا ـ، اجتنابًا لإنشاء معركة ومقتلة في داخل كل بيت. فلم تكن هناك سلطة نظامية عامة هي التي تعذب المؤمنين وتفتنهم، إنما كان ذلك موكولًا إلى أولياء كل فرد، يعذبونه هم ويفتنونه و«يؤدبونه»!

ومعنى الإذن بالقتال ـ في مثل هذه البيئة ـ أن تقع معركة ومقتلة في كل بيت..

ثم يقال: هذا هو الإسلام! ولقد قيلت حتى والإسلام يأمر بالكف عن القتال! فقد كانت دعاية قريش في الموسم، في أوساط العرب القادمين للحج والتجارة: إن محمدًا يفرق بين الوالد وولده؛ فوق تفريقه لقومه وعشيرته! فكيف لو كان كذلك يأمر الولد بقتل الوالد، والمولى بقتل الولي.. في كل بيت وكل محلة؟

د ـ وربما كان ذلك ـ أيضًا ـ بلا يعلمه الله من أن كثير من المعاندين يفتنون أوائل المسلمين عن دينهم، ويعذبونهم ويؤذونهم بانفسهم سيكونون من جند الإسلام المخلص، بل من قادته . . ألم يكن عمر بن الخطاب من بين هؤلاء؟!

هـ وربما كان ذلك - أيضًا -؛ لأن النخوة العربية في بيئة قبلية، من عادتها أن تثور للمظلوم، الذي يحتمل الأذى، ولا يتراجع! وبخاصة إذا كان الأذى واقعًا على كرام الناس فيهم.. وقد وقعت ظواهر كثيرة تثبت صحة هذه النظرة - في هذه البيئة - فابن الدغنة لم يرض أن يترك أبا بكر - وهو رجل كريم - يهاجر ويخرج من مكة، ورأى في ذلك عارًا على العرب! وعرض عليه جواره وحمايته... وآخر هذه الظواهر نقض صحيفة الحصار لبني هاشم في شعب أبي طالب، بعدما طال عليهم الجوع واشتدت المحنة.

بينما في بيئة أخرى من البيئات ذات الحضارة القديمة التي مردت على الذل، قد يكون السكوت على الأذى مدعاة للهزء والسخرية والاحتقار من البيئة؛ وتعظيم المؤذي الظالم المعتدي!

و ـ وربما كان ذلك ـ أيضًا ـ؛ لقلة عدد المسلمين حينذاك، وانحصارهم في مكة. حيث لم تبلغ الدعوة إلى بقية الجزيرة، أو بلغت أخبارها متناثرة؛ حيث كانت القبائل تقف على الحياد من معركة داخلية بين قريش وبعض أبنائها، حتى ترى ماذا يكون مصير الموقف.. ففي مثل هذه الحالة قد تنتهي المعركة المحدودة، إلى قتل المجموعة المسلمة القليلة ـ حتى ولو قتلوا هم أضعاف من سيقتل منهم ويبقى الشرك، وتنمحي الجماعة المسلمة، ولم يقم في الأرض للإسلام نظام، ولا

وجد له كيان واقعي.. وهو دين جاء ليكون منهج حياة، وليكون نظامًا واقعيًّا عمليًّا للحياة.

ز ـ في الوقت ذاته لم يكن هناك ضرورة قاهرة ملحة لتجاوز هذه الاعتبارات كلها، والأمر بالقتال ودفع الأذى؛ لأن الأمر الأساسي في هذه الدعوة كان قائمًا ـ وقتها ـ ومحققًا.. هذا الأمر الأساسي هو «**وجود الدعوة**».. وجودها في شخص الداعية على وشخصه في حماية سيوف بني هاشم، فلا تمتد إليه يد إلا وهي مهددة بالقطع! والنظام القبلي السائد يجعل كل قبيلة تخشى أن تقع في حرب مع بني هاشم، إذا هي امتدت يدها إلى محمد على فكان شخص الداعية من ثم محميًّا حماية كافية.. وكان الداعية يبلغ دعوته ـ إذن ـ في حماية سيوف بني هاشم ومقتضيات النظام القبلي، ولا يكتمها، ولا يخفيها، ولا يجرؤ أحد على منعه من إبلاغها وإعلانها، في ذوات قريش، في الكعبة، ومن فوق جبل الصفا، وفي اجتماعات عامة.. ولا يجرؤ أحد على سد فمه؛ ولا يجرؤ أحد على خطفه وسجنه أو قتله! ولا يجرؤ أحد على أن يفرض عليه كلامًا بعينه يقوله؛ يلعن فيه بعض حقيقة دينه؛ ويسكت عن بعضها. وحين طلبوا إليه أن يكف عن سب آلهتهم وعيبها لم يكف. وحين طلبوا إليه أن يسكت عن عيب دين آبائهم وأجدادهم وكونهم في جهنم لم يسكت. وحين طلبوا إليه أن يدهن فيدهنوا؛ أي: أن يجاملهم فيجاملوه؛ بأن يتبع بعض تقاليدهم ليتبعوا هم بعض عبادته، لم يدهن... وعلى الجملة كان للدعوة «وجودها» الكامل، في شخص رسول الله ﷺ محروسًا بسيوف بني هاشم ـ وفي إبلاغه لدعوة ربه كاملة في كل مكان وفي كل صورة.. ومن ثم لم تكن هناك الضرورة القاهرة لاستعجال المعركة، والتغاضي عن كل هذه الاعتبارات البيئية التي هي في مجموعها مساندة للدعوة، ومساعدة في مثل هذه البيئة.

هذه الاعتبارات ـ كلها ـ فيما نحسب ـ كانت بعض ما اقتضت حكمة اللَّه ـ

معه ـ أن يأمر المسلمين بكف أيديهم، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة.. لتتم تربيتهم وإعدادهم، ولينتفع بكل إمكانيات الخطة في هذه البيئة، وليقف المسلمون في انتظار أمر القيادة في الوقت المناسب، وليخرجوا أنفسهم من المسألة كلها، فلا يكون لذواتهم فيها حظ؛ لتكون خالصة لله، وفي سبيل الله.. والدعوة لها «وجودها» وهي قائمة ومؤداة ومحمية ومحروسة..

وأيًّا ما كانت حكمة اللَّه من وراء هذه الخطة، فقد كان هناك المتحمسون يبدون لهفتهم على اللحظة التي يؤذن لهم فيها بالقتال، ﴿ فَلَمَّا كُنِبَ عَلَيْهِمُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَنَبّتَ عَلَيْنَا اللَّهُ اللَّهِ أَوْ أَشَدَ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَنَبّتَ عَلَيْنَا اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَنَبّتَ عَلَيْنَا اللَّهُ اللَّهِ أَوْ أَشَدُ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبّنَا لِمَ كَنَبّتَ عَلَيْنَا اللهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُو

وكان وجود هذه الطائفة في الصف المسلم ينشئ فيه حالة من الخلخلة وينشئ فيه حالة من الخلخلة وينشئ فيه حالة من عدم التناسق بين هذه الطائفة الجزوع الهلوع، وبين الرجال المؤمنين، ذوي القلوب الثابتة المطمئنة؛ المستقبلة لتكاليف الجهاد ـ على كل ما فيها من مشقة ـ بالطمأنينة والثقة والعزم والحماسة أيضًا. ولكن في موضعها المناسب. فالحماسة في تنفيذ الأمر حين يصدر هي الحماسة الحقيقة. أما الحماسة قبل الأمر، فقد تكون مجرد اندفاع وتهور؛ يتبخر عند مواجهة الخطر!

وكان القرآن يعالج هذه الحالة بمنهجه الرباني:

﴿ قُلْ مَنْعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمِنِ ٱنَّقَىٰ وَلَا نُظْلَمُونَ فَلِيلًا أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدُرِكُمُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنُمُّمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةً ﴾ يُدْرِكُكُمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنُهُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةً ﴾

إنهم يخشون الموت، ويريدون الحياة، ويتمنون ـ في حسرة مسكينة ـ لو كان الله قد أمهلهم بعض الوقت؛ ومد لهم ـ شيئًا ـ في المتاع بالحياة!

والقرآن يعالج هذه المشاعر في منابتها؛ ويجلو غبش التصور لحقيقة الموت والأجل.

﴿ قُلْ مَنْعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾...

متاع الدنيا كله، والدنيا كلها. فما بال أيام، أو أسابيع، أو شهور، أو سنين؟ ما قيمة هذا الإمهال لأجل قصير إذا كان متاع الحياة الدنيا بطولها في جملته قليلًا؟! ما الذي يملكون تحقيقه من المتاع في أيام، أو أسابيع، أو شهور، أو سنين. ومتاع الدنيا كله والدنيا بطولها قليل!؟

﴿ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱلَّقَىٰ ﴾...

فالدنيا ـ أولًا ـ ليست نهاية المطاف ولا نهاية الرحلة. إنها مرحلة .. ووراءها الآخرة والمتاع فيها هو المتاع ـ فضلًا على أن المتاع فيها طويل كثير ـ فهي خَيِّرٌ في أَنْقَى ... وتذكر التقوى هنا والحشية والحوف في موضعها. التقوى لله. فهو الذي يُتَّقَى، وهو الذي يُحْشَى. وليس الناس. الناس الذين سبق أن قال: إنهم يخشونهم كخشية اللَّه ـ أو أشد خشية! ـ والذي يتقي اللَّه لا يتقي الناس. والذي يعمر قلبه الخوف من اللَّه لا يخاف أحدًا. فماذا يملك له إذا كان اللَّه لا يريد؟

## ﴿وَلَا نُظْلَمُونَ فَنِيلًا ﴾...

فلا غبن، ولا ضير، ولا بخس، إذا فاتهم شيء من متاع الدنيا فهناك الآخرة، وهناك الجزاء الأوفى؛ الذي لا يبقى معه ظلم ولا بخس في الحساب الختامي للدنيا والآخرة جميعًا! (١)

٢١ قال - تَعَالَى -: ﴿ فَقَائِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكُ وَحَرِّضِ ٱلمُؤْمِنِينَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱللَّهُ أَشَـدُ بَأْسَـا وَأَشَدُ تَنكِيلًا ﴿ ﴾ [النساء: ٨٤].

قال الحافظ ابن كثير: «يأمر ـ تَعَالَى ـ عبده ورسوله محمدًا ﷺ بأن يباشر القتال بنفسه، ومن نكل عنه فلا عليه منه، ولهذا قال: ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكُ ﴾

<sup>(</sup>١)الظلال (١/٢) - ٢١٦).

وقوله: ﴿ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾؛ أي: على القتال، ورغبهم فيه وشجّعهم عنده، كما قال لهم ﷺ يوم بدر، وهو يسوي الصفوف: «قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض» (٢٠).

وقد وردت أحاديث كثيرة في الترغيب في ذلك.

وقوله: ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفُّ بَأْسَ اللَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾؛ أي: بتحريضك إياهم على القتال تنبعث هممهم على مناجزة الأعداء، ومدافعتهم عن حوزة الإسلام وأهله، ومقاومتهم ومصابرتهم.

﴿ وَٱللَّهُ أَشَدُ بَأْسَا وَأَشَدُ تَنكِيلًا ﴾؛ أي: هو قادر عليهم في الدنيا والآخرة، كما قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ وَلِكَ وَلِوَ يَشَانُهُ اللَّهُ لَانْضَرَ مِنْهُمْ وَلِكِن لِيَبْلُواْ بَعْضَكُم بِبَعْضِ وَالَّذِينَ قُلِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَ أَعْمَلُهُمْ ﴾ [محمد: ٤] الآية (٣٠٠.

قمة التحضيض على القتال. قمة التكليف الشخصي، الذي لا يُقعدُ الفردَ عنه تبطئةٌ ولا تخذيلٌ، ولا خللَ في الصف، ولا وعورة في الطريق، حيث يوجه الخطاب إلى الرسول عليه أن يُقاتل ولو كان وحيدًا وليس عليه إلا نفسه؛ مع تحريض المؤمنين، غير متوقف مضيه في الجهاد على استجابتهم أو عدم استجابتهم، ولو أن عدم استجابتهم جملة أمر لا يكون، ولكن وضع المسألة في هذا الوضع

<sup>(</sup>۱) إسناده حسن: أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (۲۰٤/۳).

<sup>(</sup>۲) جزء من حدیث طویل رواه مسلم (۱۶۵) (۱۹۰۱)، وأحمد (۱۳۲/۳، ۱۳۳۷) من حدیث أنس بن مالك، وهو عند أبی داود (۲۲۱۸) مختصرًا.

<sup>(</sup>٣) تفسير ابن كثير (١٧٨/٤) ١٧٩، ١٨١، ١٨١).

يدل على ضرورة إبراز هذا التكليف على هذا النحو، واستجاشة النفوس له هذه الاستجاشة، وكذلك يوحي إلى النفوس بالطمأنينة ورجاء النصر، فالله هو الذي يتولى المعركة، ﴿وَاللَّهُ أَشَـدُ بَأْسَـا وَأَشَـدُ تَنكِيلًا ﴾.

وتبرز الآية مدى المخاوف والمتاعب في التعرُّض لقتال المشركين يومذاك. حتى ليكون أقصى ما يعلق اللَّه به رجاء المؤمنين أن يتولى هو ـ سبحانه ـ كفَّ بأس الذين كفروا، مع إبراز قوة اللَّه ـ سبحانه ـ وأنه ﴿أَشَـدُ بَأْسَا وَأَشَدُ تَنكِيلاً ﴾، وإيحاء هذه الكلمات واضح عن قوة بأس الذين كفروا يومذاك، ربما كان هذا بين «أُحُد» و«الخندق»، فهذه أحرج الأوقات التي مرَّ بها المسلمون؛ بين المنافقين وكيد اليهود، وتحفُّز المشركين.

وتبرز الآية لنا حاجة النفس البشرية ـ وهي تُدفع إلى التكاليف التي تشق عليها ـ إلى شدة الارتباط بالله، وشدة الطمأنينة إليه، وشدة الاستعانة به، وشدة الثقة بقدرته وقوته . فكل وسائل التقوية غير هذه لا تُجدي حين يبلغ الخطر قمته . وهذه كلها حقائق يستخدمها المنهج الرباني، والله هو الذي خلق هذه النفوس، وهو الذي يعلم كيف تُربَّى، وكيف تُقوَّى، وكيف تستجاش، وكيف تستجيب (١) .

ثم قال بعد هذه الآية: ﴿مَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعُ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِ شَيْءِ مُّقِينًا ۞ ﴾ يَشْفَعُ شَفَاعَةً سَيِنْفَةً يَكُن لَّهُ كُون لَهُ إِللنساء: ٥٨]؛ فالذي يُشَجِّع ويحرِّض ويعاون على القتال في سبيل اللَّه يكون له نصيب من أجر هذه الدعوة وآثارها، والذي يبطئ ويثبط تكون له تبعة فيها وفي آثارها. وهذا عام في كل شفاعة خير أو شفاعة سوء.

٢٢ قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوا إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَمَلَكُمْ تُقْلِحُونَ ﴿ ﴾ [المائدة: ٣٥].

<sup>(</sup>١) انظر: الظلال (٢/٤/٢، ٢٥٥).

قال ابن جرير في تفسيره (١٤٦/٦) (يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله فيما أخبرهم ووعدهم من الثواب وأوعد من العقاب ﴿ أَتَّقُوا الله عَلَمُ الْحَبُوا الله في ذلك، وحققوا إيمانكم وتصديقكم ربكم ونبيكم بالصالح من أعمالكم.

﴿ وَٱتِّتَغُوّا ۚ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾: اطلبوا القربة إليه بالعمل بما يرضيه، ويعني بالوسيلة: القربة».

والوسيلة: هي القربة في الأعمال، وهو قول ابن عباس، وأبي وائل، وعطاء، ومجاهد، والحسن، وعبدالله بن كثير، والسدي.

قال ابن زيد: ﴿ وَٱبْتَغُوا إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾: المحبة، قال: تحببوا إلى الله.

﴿ وَجَهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُقْلِحُونَ ﴾: «جاهدوا أيها المؤمنون أعدائي وأعداءكم. ﴿ فِي سَبِيلِهِ ﴾؛ يعني: في دينه وشريعته التي شرعها لعباده، وهي الإسلام. يقول: أتعبوا أنفسكم في قتالهم وحملهم على الدخول في الحنيفية المسلمة. ﴿ لَعَلَّكُمْ لُقُلِحُونَ ﴾: كيما تنجحوا؛ فتدركوا البقاء الدائم والخلود في جناته».

وقال ابن كثير: «وقوله: ﴿ وَجَهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُقَلِحُونَ ﴾؛ لما أمرهم بترك المحارم، وفعل الطاعات، أمرهم بقتال الأعداء من الكفار والمشركين، الخارجين عن الصراط المستقيم، والتاركين للدين القويم، ورغبهم في ذلك بالذي أعده للمجاهدين في سبيله يوم القيامة، من الفلاح والسعادة العظيمة الخالدة المستمرة التي لا تبيد ولا تحول ولا تزول، في الغرف العالية الرفيعة الآمنة، الحسنة مناظرها، الطيبة مساكنها، التي من سكنها ينعم ولا يبأس، ويحيى ولا يموت، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه» (١).

<sup>(</sup>۱) تفسير ابن كثير (۲۰٤/٥).

قال البخاري: ﴿ ٱسۡتَجِيبُوا ﴾: أجيبوا. ﴿ لِمَا يُحۡيِيكُمُ ۗ ﴾: لما يصلحكم. قال مجاهد في قوله: ﴿ لِمَا يُحۡيِيكُمُ ﴾ قال: الحق.

عن عروة بن الزبير: ﴿ يَنَا أَيُهَا اللَّذِينَ ءَامَنُواْ السَّتَجِيبُواْ بِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۚ كَالَمُ اللَّه - تَعَالَى - بها بعد الذل، وقواكم بها بعد الضعف، ومنعكم من عدوكم بعد القهر منهم لكم.

ورجح الطبري في قوله: ﴿ لِمَا يُحِيدِكُمْ ﴾ أنه هو: الحق. وذلك أن ذلك إذا كان معناه كان داخلًا فيه الأمر بإجابتهم لقتال العدو والجهاد، والإجابة إذا دعاكم إلى حكم القرآن، وفي الإجابة إلى كل ذلك حياة المجيب، أما في الدنيا فيقال: الذكر الجميل، وذلك له فيه حياة، وأما في الآخرة فحياة الأبدان في الجنان والخلود فيها» (١).

٢٠ قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ وَقَالِلُوهُمْ حَتَىٰ لَا تَكُونَ فِتَنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ
 يلَّهُ فَإِنِ اَنتَهَوَا فَإِنَ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَكُمُ أَيْهُ وَإِن اللَّهُ لِمَ النَّصِيرُ ۞ .
 مَوْلَكُمُ مَ يَعْمَ النَّصِيرُ ۞ .

عن نافع عن ابن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أن رجلًا جاءه فقال: يا أبا عبدالرحمن، ألا تسمع ما ذكر اللَّه في كتابه: ﴿ وَإِن طَآيِفْنَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ الشَّهُ عَنْكُوا ﴾ الآية، فما يمنعك أن لا تقاتل كما ذكر اللَّه في كتابه؟ فقال: يابن أخي، أعيَّر بهذه الآية ولا أقاتل أحبُ إليَّ من أن أُعيَّر بالآية التي يقول اللَّه صَخَلَّ: ﴿ وَمَن يَقَتُ لُ مُؤْمِنَا مُتَعَمِّدًا ﴾ [النساء: ٩٣] إلى آخر الآية. قال: فإن اللَّه - تَعَالَى - يقول: ﴿ وَقَائِلُوهُمْ حَتَى لَا تَكُونَ فِنْنَةُ ﴾. قال ابن عمر: قد فعلنا على عهد رسول يقول: ﴿ وَقَائِلُوهُمْ حَتَى لَا تَكُونَ فِنْنَةُ ﴾. قال ابن عمر: قد فعلنا على عهد رسول اللَّه ﷺ إذ كان الإسلام قليلًا، وكان الرجل يُفتن في دينه، إما أن يقتلوه، وإما أن يوثقوه، حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة... ﴾ (٢).

<sup>(</sup>١) الطبري (١٤١/٩).

<sup>(</sup>٢) أخرجه البخاري، كتاب التفسير برقم (٤٦٥٠).

عن ابن عباس: ﴿ وَقَائِلُوهُمْ حَتَىٰ لَا تَكُونَ فِنَنَهُ ﴾؛ يعني: لا يكون شرك. وكذا قال أبو العالية، ومجاهد، والحسن، وقتادة، والربيع بن أنس، والسدي،

و كذا قال ابو العاليه، ومجاهد، والحسن، وفتادة، والربيع بن انس، والسدي: ومقاتل بن حيان، وزيد بن أسلم.

وقوله: ﴿ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كَالَهُ لِلَّهِ ﴾: عن ابن عباس في هذه الآية، قال: يخلص التوحيد لله.

وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُم لِلَّهِ﴾: لا يكون مع دينكم كفر.

وقوله: ﴿ فَإِنِ ٱنْهَوَا ﴾؛ أي: بقتالكم عما هم فيه من الكفر، فكُفُّوا عنهم، وإن لم تعلموا بواطنهم.

وفي الصحيح أن رسول اللَّه ﷺ، قال لأسامة لما علا ذلك الرجل بالسيف، فقال: لا إله إلا الله، فضربه فقتله، فذكر ذلك لرسول اللَّه ﷺ، فقال لأسامة: «أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله؟ وكيف تصنع بلا إله إلا الله يوم القيامة؟» فقال: يا رسول الله؛ إنما قالها تعوُّذًا. قال: «هلا شققت عن قلبه؟» وجعل يقول ويكرر عليه «من لك بلا إله إلا اللَّه يوم القيامة؟» قال أسامة: حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت إلا ذلك اليوم (١٠).

وقوله: ﴿ وَإِن تَوَلَّوا فَاعَلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَكُمُّ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَيَعْمَ النَّصِيرُ ﴿ ﴾ الله على خلافكم ومحاربتكم، فاعلموا أن الله مولاكم وسيدكم وناصركم على أعدائكم، فنعم المولى ونعم النصير (٢).

قال ربعى بن عامر صَّحَيَّة: إن اللَّه ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ظلم الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة

<sup>(</sup>١) صحيح البخاري، كتاب المغازي (٤٢٦٩)، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان برقم (٩٦).

<sup>(</sup>۲) تفسیر ابن کثیر (۷۱/۷، ۷۷، ۸۷).

الدنيا والآخرة.

جاء الإسلام لدفع الفتنة والأذى عمن يعتنقون هذا الدين، ويرجعون بعبوديتهم لله وحده، ويخرجون من العبودية للعبيد في جميع الصور والأشكال، جاء الإسلام لإزالة الشرك وعبودية البشر للبشر، وإزالة سلطان الطواغيت، وسلطانهم القاهر للأفراد حتى يدين العباد فقط لسلطان الله القاهر.

إن هذا الدين ليس نظرية يتعلمها الناس في كتاب للترف الذهني والتكاثر بالعلم والمعرفة، وليس كذلك عقيدة سلبية يعيش بها الناس بينهم وبين ربهم وكفى، وليس مجرد شعائر تعبدية يؤديها الناس لربهم فيما بينهم وبينه، وإنما هو دين أتى ليزيل حواجز الإدراك والرؤية بالتبليغ والبيان..ويزيل حواجز الأوضاع المادية وسلطان الطواغيت بالجهاد؛ حتى يحرر الإنسان من العبودية لغير الله.

## 🗖 بُعِثَ النبي ﷺ بأربعة أسياف:

قال على بن أبي طالب ﴿ يَعَنُ النبي ﷺ بَارِبِعَةَ أَسِياف: سيف في المشركين من العرب، قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ فَأَقَنُلُواْ ٱلْمُشَرِكِينَ حَيْثُ وَجَدَتُمُوهُمْ ﴾ [التوبة: ٥] هكذا رواه مختصرًا.

والسيف الثالث: قتال المنافقين في قوله: ﴿يَتَأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱغْلُظُ عَلَيْهِم ﴾ [التوبة: ٧٣] الآية.

والرابع: قتال الباغين في قوله: ﴿ وَإِن طَآبِهَنَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْنَــَـَلُواْ فَأَصَّلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۚ فَإِنْ بَغَتَ إِحَدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَائِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيَّءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الحجرات: ٦]. ٢٠- قال - تَعَالَى -: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشُهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْنُلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدَنُمُوهُمُ وَخُدُوهُمُ وَاقْعُدُوا لَهُمْ حَثُلَ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَآقَامُوا ٱلصَّدَوةَ وَءَاتَوا وَخُدُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ حَثُلَ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَآقَامُوا ٱلصَّدَوةَ وَءَاتَوا اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ

قال ابن كثير: «اختلف المفسرون في المراد بالأشهر الحرم هاهنا، ما هي؟ فله ابن جرير إلى أنها المذكورة في قوله ـ تَعَالَى -: ﴿ مِنْهَا أَرْبَعَتُهُ حُرُمُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّالَةُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّالّةُ اللَّاللّا اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ ال

وهذا الذي ذهب إليه حكاه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وإليه ذهب الضحاك أيضًا، وفيه نظر.

والذي يظهر من حيث السياق ما ذهب إليه ابن عباس في رواية العوفي عنه، وبه قال مجاهد، وعمرو بن شعيب، ومحمد بن إسحاق، وقتادة، والسدي، وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم، أن المراد بها أشهر التسيير الأربعة المنصوص عليها في قوله: ﴿فَسِيحُوا فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشَهُرِ ﴾ [التوبة: ٢](١. ثم قال: ﴿فَإِذَا انسَلَحَ ٱلْأَبَهُرُ ٱلْأَرُمُ ﴾؛ أي: إذا انقضت الأشهر الأربعة التي حرمنا عليكم فيها قتالهم، وأجلناهم فيها، فحيثما وجدتموهم فاقتلوهم؛ لأن عود العهد على مذكور أولى من مقدر.

وقوله: ﴿ فَأَقَنُلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدَنَّمُوهُمْ ﴾ أي: من الأرض، وهذا عام، والمشهور تخصيصه بتحريم القتال في الحرم بقوله: ﴿ وَلَا نُقَائِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْمُشَامِدِ حَتَّىٰ يُقَايِلُوهُمْ فِيةً فَإِن قَلَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ﴾ [البقرة: ١٩١].

<sup>(</sup>١) من يوم النحر إلى عشرين خَلُوْنَ من ربيع الآخر، وبعد ذلك يضع فيهم السيف حتى يدخلوا في الإسلام، وهذا فيمن كان له عهد، أما من ليس له عهد أُمَرَ الله نبيه ﷺ إذا انسلخ المحرم أن يضع السيف؛ يقتلهم حتى يدخلوا في الإسلام، قاله الضحاك بن مزاحم.

وقوله: ﴿وَخُذُوهُمْ ﴾؛ أي: وأسروهم، إن شئتم قتلًا، وإن شئتم أسرًا.

وقوله: ﴿ وَالْحَصُرُوهُمُ وَاقَعُدُواْ لَهُمْ حَكُلٌ مَرْصَدِ ﴾ أي: لا تكتفوا بمجرد وجدانكم لهم، بل اقصدوهم بالحصار في معاقلهم وحصونهم، والرصد في طرقهم ومسالكهم، حتى تضيقوا عليهم الواسع وتضطروهم إلى القتل أو الإسلام؛ ولهذا قال: ﴿ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوا الرَّكَوْةَ فَخَلُواْ سَبِيلَهُمْ الْإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة: ٥].

وهذه الآية الكريمة هي آية السيف التي قال فيها الضحاك بن مزاحم: إنها نسخت كل عهد بين النبي عليه وكل مدة.

وقال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية: لم يبق لأحد من المشركين عهد ولا ذمة منذ نزلت براءة وانسلاخ الأشهر الحرم، ومدة من كان له عهد من المشركين ـ قبل أن تنزل ـ أربعة أشهر من يوم أذن ببراءة إلى عشر من أول شهر ربيع الآخر.

وقال على بن أبي طالب، عن ابن عباس في هذه الآية؛ قال: أمره اللَّه ـ تَعَالَى ـ أن يضع السيف فيمن عاهد إن لم يدخلوا في الإسلام؛ ونقض ما كان سمَّى لهم من العهد والميثاق وأذهب الشرط الأول»(١).

قال القرطبي: قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿ فَٱقَنْلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ عام في كل مشرك، لكن السنة خصَّتْ منه ما تقدم بيانه في سورة البقرة (٢) من امرأة وراهب وصبي وغيرهم. وقال الله ـ تَعَالَى ـ في أهل الكتاب: ﴿ حَتَى يُعَطُّوا ٱلْجِزْيَةَ ﴾ (١). إلا أنه يجوز أن يكون لفظ «المشركين» لا يتناول أهل الكتاب، ويقتضي ذلك منع أخذ الجزية من عبدة الأوثان وغيرهم.

واعلم أن مطلق قوله: ﴿ فَٱقَّنُلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ يقتضي جواز قتلهم بأيِّ وجه

<sup>(</sup>۱) تفسير ابن کثير (۱٤٧/٧)، ۱٤۸).

<sup>(</sup>٢) راجع: تفسير القرطبي (٣٤٨/٢)، الطبعة الثانية.

<sup>(</sup>٣) التوبة: ٢٩.

كان؛ إلا أن الأخبار وردت بالنهي عن المُثلة. ومع هذا فيجوز أن يكون الصديق وغلطته حين قتل أهل الردة بالإحراق بالنار، وبالحجارة وبالرمي من رءوس الجبال، والتنكيس في الآثار، تعلق بعموم الآية. وكذلك إحراق عليٍّ وَلِلْجَنْهُ قُومًا من أهل الردة يجوز أن يكون مَيْلًا إلى هذا المذهب، واعتمادًا على عموم اللفظ، والله أعلم.

قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿ حَيْثُ وَجَدَّتُمُوهُم ﴿ عَامَ فِي كُلَّ مُوضَعٍ. وخص أبو حنيفة المسجد الحرام؛ ثم اختلفوا؛ فقال الحسين بن الفضل: نسخت هذه كل آية في القرآن فيها ذكر الإعراض والصبر على الأعداء.

وقال الضحاك، والسدِّي، وعطاء: هي منسوخة بقوله: ﴿ وَإِمَا أَنْ يَعَدُ وَإِمَّا فَذَى. وَقَالَ مجاهد وقتادة: بل هي ناسخة لقوله - تَعَالَى -: ﴿ وَإِمَا مَنَّا بَعَدُ وَإِمَّا فِذَا اللهِ وقال مجاهد وقتادة: بل هي ناسخة لقوله - تَعَالَى -: ﴿ وَإِمَّا مَنَّا بَعَدُ وَإِمَّا فِذَا اللهِ وَقَالَ مَحَمَد: ٤]، وأنه لا يجوز في الأسارى من المشركين إلا القتل. وقال ابن زيد: الآيتان محكمتان. وهو الصحيح؛ لأن المنَّ والقتل والفداء لم يزل من حكم رسول الله على فيهم من أول حرب حاربهم، وهو يوم بدر. ﴿ وَخُذُوهُمُ لَى يدلُّ عليه. والأحد هو الأسر. والأسر إنما يكون للقتل، أو الفداء، أو المنِّ، على ما يراه الإمام. قوله - تَعَالَى - ﴿ وَاقَعُدُوا لَهُمَّ حَكُلٌ مَرْصَدِ ﴾ وفي هذا دليل على جواز اغتيالهم قبل الدعوة (١).

## 🗖 ٢٦. يا ليت قومي يوقنون بكلام الله، فما بعد قول اللَّه من أقوال:

كأن القرآن يُعنَى به غيرنا ولم ينزل إلينا.. كأنما لا نوقن بكلام ربنا وهو الفصل ليس بالهزل، وقد ضعنا يوم أن تركناه وبعدنا عنه، تاه منا الطريق يوم أعرضنا عنه، وهُنَّا على الناس بهوان ديننا..

قد بين اللَّه موقف المشركين من المسلمين فقال ـ تَعَالَى ـ:

<sup>(</sup>١) تفسير القرطبي (٢٩١١/٤) ٢٩١٢).

٢٦- ﴿ أَشْتَرُواْ بِعَايِنَتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۚ ﴿ لَا يَرْقُيُونَ فِى مُؤْمِنِ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَتِيكَ هُمُ ٱلمُعْتَدُونَ ۞ ﴾ يَعْمَلُونَ ۞ لَا يَرْقُيُونَ فِى مُؤْمِنِ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَتِيكَ هُمُ ٱلمُعْتَدُونَ ۞ ﴾ [التوبة: ٩. ١٠].

قال ابن كثير في تفسيره (٧/١٥): «يقول ـ تَعَالَى ـ ذمَّا للمشركين وحثًا للمؤمنين على قتالهم: ﴿ أَشُّتَرَوَّا بِعَايَتِ ٱللَّهِ ثَمَنَا قَلِيلًا ﴾؛ يعني: أنهم اعتاضوا عن اتباع آيات اللَّه بما التهوا به من أمور الدنيا الخسيسة. ﴿ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ﴾؛ أي: منعوا المؤمنين من اتباع الحق ﴿ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُواْ يَعَمَلُونَ ﴾ أ. هـ. ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنِ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً ﴾

قال ابن جرير الطبري في تفسيره (٦١/١٠): «لا يتقي هؤلاء المشركون ـ الذين أمرتكم أيها المؤمنون بقتلهم حيث وجدتموهم ـ في قتل مؤمن لو قدروا عليه إلَّا ولا ذمَّةً. يقول: فلا تُبقوا عليهم ـ أيها المؤمنون ـ كما لا يبقون عليكم لو ظهروا عليكم. ﴿ وَأُوْلَئِيكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴾: المتجاوزون فيكم إلى ما ليس لهم بالظلم والاعتداء».

وقال ـ رحمه الله ـ (٩/١٠) . (واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿ لَا يَرْفَبُوا فِيكُمُ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً ﴾؛ فقال بعضهم معناه: لا يرقبوا الله فيكم ولا عهدًا.

قال مجاهد: ﴿ لَا يَرَقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا ﴾ قال: الله.

وعن أبي مجلز قال: مثل قوله: جبرائيل، ميكائيل، إسرافيل كأنه يقول: يضاف جبر، وميكا، واسراف إلى إيل. يقول: عبدالله، لا يرقبون في مؤمن إلَّا كأنه يقول: لا يرقبون الله.

وعن مجاهد: ﴿إِلَّا وَلَا ذِمَّةً ﴾: لا يرقبون اللَّه ولا غيره.

وقال آخرون: الإل: القرابة.

ذكر من قال ذلك: عن علي عن ابن عباس قوله: ﴿ لَا يَرُقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا

ذِمَّةً﴾ يقول: قرابة ولا عهدًا.

وقال قتادة: لا يرقبون فيكم إلَّا ولا ذمة قال: الإلَّ: الحلف، والذمة: العهد. وقال آخرون: الإل هو العهد. عن مجاهد إلَّا قال: عهدًا.

قال ابن جرير (١٠/١٠): «والإل اسم يشتمل على معان ثلاثة؛ وهي: العهد، والعقد، والحلف والقرابة. وهو ـ أيضًا ـ بمعنى الله، فإذا كانت الكلمة تشمل هذه المعاني الثلاثة ولم يكن الله خصَّ من ذلك معنى دون معنى فالصواب أن يعمَّ ذلك، كما عمَّ بها ـ جلَّ ثناؤه ـ معانيها الثلاثة، فيُقال: لا يرقبون في مؤمن الله ولا قرابةً ولا عهدًا ولا ميثاقًا. ومن الدلالة على أنه يكون بمعنى القرابة.

أَفْسَدَ النَّاسَ خُلُوفٌ خَلَفُوا قَطَّعُوا الْإِلَّ وَأَعْرَاقَ الرَّحِمْ وَوَل حسَّان بن ثابت:

لَعَمْرُكَ إِنَّ إِلَّكَ مِنْ قُرَيْشِ كَإِلِّ السَّقْبِ مِنْ رَأْلِ النَّعَامِ('') وأما معناه إذا كان بمعنى العهد فقول القائل:

إن قلوب المشركين تنغل بالحقد على المسلمين في كل زمان ومكان، وتأبى أن تقيم على عهد، فما بهم وفاء للمسلمين ولا ود.. من أجل الإسلام يعادونهم. «وهذا هو السبب الأصيل لهذا الحقد الدفين عليكم، وإضمار عدم الوفاء بعهودكم، والانطلاق في التنكيل بكم لو قدروا من كل تحرج ومن كل تذم.. إنه الفسوق عن دين الله، والخروج عن هداه. فلقد آثروا على آيات الله التي جاءتهم ثمنًا قليلًا من عرض هذه الحياة الدنيا، يستمسكون به ويخافون فوته. وقد كانوا يخافون أن يُضَيِّع عليهم الإسلام شيئًا من مصالحهم؛ أو أن يكلفهم شيئًا من أموالهم؛ فصدوا عن سبيل الله بسبب شرائهم هذا الثمن القليل بآيات الله. صدوا أموالهم؛ وصدوا غيرهم «فسيجيء أنهم أئمة الكفر».. أما فعلهم هذا فهو الفعل

<sup>(</sup>١) السقب: ولد الناقة. والرَّال: ولد النعام.

السيئ الذي يقرر اللَّه سوءه الأصيل؛ ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾!..

ثم إنهم لا يضمرون هذا الحقد لأشخاصكم؛ ولا يتبعون تلك الخطة المنكرة مع كل معكم بذواتكم.. إنهم يضطغنون الحقد لكل مؤمن؛ ويتبعون هذا المنكر مع كل مسلم.. إنهم يوجهون حقدهم وانتقامهم لهذه الصفة التي أنتم عليها؛ للإيمان ذاته.. كما هو المعهود في كل أعداء الصفوة الخالصة من أهل هذا الدين، على مدار التاريخ والقرون.. فكذلك قال السحرة لفرعون وهو يتوعدهم بأشد أنواع التعذيب والتنكيل والتقتيل: ﴿وَمَا نَيْقِمُ مِنَا إِلَا آنَ ءَامَنَا بِعَايَتِ رَبِنَا لَمَا من ربه: ﴿ قُلْ يَتَاهَلَ الْكِتَابِ مَوَى الله الله الله الله الكالمة المناب بتوجيه من ربه: ﴿ قُلْ يَتَاهَلَ الْكِتَابِ الأَحدود الذين أحرقوا المؤمنين: ﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَا أَنْ ءَامَنَا بِاللهِ الله المناب النقمة، ومن وقال ـ سبحانه ـ عن أصحاب الأخدود الذين أحرقوا المؤمنين: ﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَا أَنْ يُؤْمِنُواْ بِاللهِ الْمَعْدِدِ الذين أحرقوا المؤمنين: ﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَا المنابِ الله عليه الله المناب النقمة، ومن وقال ـ سبحانه ـ عن أصحاب الأخدود الذين أحرقوا المؤمنين: ﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمُ إِلَا المنابِ الله عَد الله عنه عهدًا، ولا يتذمون من منكر؛ شم هم يضطغنون الحقد لكل مؤمن، ولا يراعون فيه عهدًا، ولا يتذمون من منكر؛ ﴿ لَا يَرْفُرُونَ فِي مُؤْمِنِ إِلَا وَلا ذِمَانً وَلا ذِمَانً وَلا ذِمَانً وَلا ذِمَانً وَلا ذِمَانً وَلا ذِمَانً وَلا ذِمَانًا وَلا يَرْفُونَ فِي مُؤْمِنِ إِلَا وَلا ذِمَانًا وَلا يَرْفَرُونَ فِي مُؤْمِنِ إِلَا وَلا ذِمَانً وَلا يَرْفَانِكُ هُمُ المُعْتَدُونَ فَى مُؤْمِنِ إِلَا وَلا ذِمَانًا وَلا يَرْفَانِكُ هُمُ المُعْتَدُونَ فَى مُؤْمِنِ إِلَا وَلا ذِمَانَ المُعَانِينَ اللهُ وَلَا المِنْ اللهُ وَلَا اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ المُعَانِ المؤلف المؤ

فصفة الاعتداء أصيلة فيهم.. تبدأ من نقطة كرههم للإيمان ذاته وصدودهم عنه؛ وتنتهي بالوقوف في وجهه؛ وتربصهم بالمؤمنين؛ وعدم مراعاتهم لعهد معهم ولا صلة، إذا هم ظهروا عليهم؛ وأمنوا بأسهم وقوتهم. وعندئذ يفعلون بهم الأفاعيل غير مراعين لعهد قائم. ولا متحرجين، ولا متذممين من منكر يأتونه معهم.. وهم آمنون..!

إن المسلمين يواجهون أعداء يتربصون بهم؛ ولا يُقعد هؤلاء الأعداء عن الفتك بالمسلمين بلا شفقة ولا رحمة إلا عجزهم عن ذلك، لا يقعدهم عهد معقود. ولا ذمة مرعية، ولا تحرج من مذمة، ولا إبقاء على صلة.. ووراء هذا التقرير تاريخ طويل، يشهد كله بأن هذا هو الخط الأصيل الذي لا ينحرف إلا لطارئ زائل، ثم يعود فيأخذ طريقه المرسوم!

فإما دخول فيما دخل فيه المسلمون، وتوبة عما مضى من الشرك والاعتداء. وعندئذ يصفح الإسلام والمسلمون عن كل ما لقوا من هؤلاء المشركين المعتدين؛ وتقوم الوشيجة على أساس العقيدة؛ ويصبح المسلمون الجدد إخوانًا للمسلمين القدامى؛ ويسقط ذلك الماضي كله بمساءاته من الواقع ومن القلوب!

## ﴿وَنُفَصِّلُ ٱلْآيِئَتِ لِقَوْمِ يَعْلَمُونَ﴾

فهذه الأحكام إنما يدركها ويدرك حكمتها الذين يعلمون، وهم المؤمنون.

وإما نكث لما يبايعون عليه من الإيمان بعد الدخول فيه، وطعن في دين المسلمين. فهم إذن أئمة في الكفر، لا أيمان لهم ولا عهود. وعندئذ يكون القتال لهم؛ لعلهم حينئذ أن يثوبوا إلى الهدى.. كما سبق أن قلنا: إن قوة المعسكر المسلم وغلبته في الجهاد قد ترد قلوبًا كثيرة إلى الصواب؛ وتريهم الحق الغالب فيعرفونه؛ ويعلمون أنه إنما غلب لأنه الحق؛ ولأن وراءه قوة الله؛ وأن رسول الله على صادق فيما أبلغهم من أن الله غالب هو ورسله. فيقودهم هذا كله إلى التوبة والهدى. لا كرهًا وقهرًا، ولكن اقتناعًا بالقلب بعد رؤية واضحة للحق الغالب. كما وقع وكما يقع في كثير من الأحايين.

# والتاريخ يشهد: ﴿ لَا يَرَقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً ﴾:

وبعد.. فما المدى الذي تعمل فيه هذه النصوص؟ ما المدى التاريخي والبيئي؟

أهي خاصة بأهل الجزيرة العربية في ذلك الزمان المحدود؟ أم أن لها أبعادًا أخرى في الزمان والمكان؟

إن هذه النصوص كانت تواجه الواقع في الجزيرة العربية بين المعسكر الإسلامي ومعسكرات المشركين. وما من شك أن الأحكام الورادة بها مقصود بها هذا الواقع، وأن المشركين المعنيين فيها هم مشركو الجزيرة.

هذا حق في ذاته.. ولكن ترى هذا هو المدى النهائي لهذه النصوص؟

إن علينا أن نتتبع موقف المشركين ـ على مدى التاريخ ـ من المؤمنين؛ ليتكشف لنا المدى الحقيقي لهذه النصوص القرآنية، ولنرى الموقف بكامله على مدار التاريخ.

فأما في الجزيرة العربية فلعل ذلك معلوم من أحداث السيرة المشهورة، ولعل في هذا الجزء من الظلال وحده ما يكفي لتصوير مواقف المشركين من هذا الدين وأهله منذ الأيام الأولى للدعوة في مكة حتى هذه الفترة التي تواجهها نصوص هذه السورة.

وحقيقة إن المعركة الطويلة الأمد لم تكن بين الإسلام والشرك بقدر ما كانت بين الإسلام وأهل الكتاب من اليهود والنصارى. ولكن هذا لا ينفي أن موقف المشركين من المسلمين كان دائمًا هو الذي تصوره آيات هذا المقطع من السورة: هلشركين من المسلمين كان دائمًا هو الذي تصوره آيات هذا المقطع من السورة: وحكيف وإن يَظْهَرُوا عَلَيْحَمُّمُ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمُ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفُوهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَحَتَرُهُمُ فَسِقُونَ فَي الشَّرَوا بِعَاينتِ اللَّهِ ثَمَنًا قليلًا فَصَدُوا عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءً مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَي لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنِ إِلَّا وَلَا فِصَدُوا عَن سَبِيلِهِ عَلَى المُعْتَدُونَ فَي هُمُ المُعْتَدُونَ فَي المُعْتَدُونَ فَي اللّهُ المُعْتَدُونَ فَي المُعْتَدُونَ اللّهُ المُعْتَدُونَ اللّهُ الْعَلَالِي المُعْتَدُونَ السُولِي المُعْتَدُونَ المُعُتَدُونَ المُعْتَدُونَ المُعَتَدُونَ المُعْتَدُونَ المُعْتَدُونَ المُعْتَدُونَ المُعْتَدُونَ المُعُنْ المُعُونَ المُعُمُونَ المُعُونَ المُعُنْ المُعُنْ المُعُنْ المُعُونَ المُعُمُونَ المُعُمُونَ المُعُمُونَ المُولِعِي المُعْتَدُونَ المُعُونَ المُعْتَدُونَ المُعْتُونُ المُعْتُونُ المُعْتَعُمُ المُعْتَ

لقد كان هذا هو الموقف الدائم للمشركين وأهل الكتاب من المسلمين؛ فأما أهل الكتاب فندع الحديث عنهم إلى موعده في المقطع الثاني من السورة؛ وأما المشركون فقد كان هذا دأبهم من المسلمين على مدار التاريخ.

وإذا نحن اعتبرنا أن الإسلام لم يبدأ برسالة محمد ﷺ إنما ختم بهذه الرسالة. وأن موقف الشرك من دين موقف الشرك من دين

اللَّه على الإطلاق؛ فإن أبعاد المعركة تترامى؛ ويتجلى الموقف على حقيقته؛ كما تصوره تلك النصوص القرآنية الخالدة، على مدار التاريخ البشري كله بلا استثناء!

ماذا صنع المشركون مع نوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، وشعيب، وموسى، وعيسى - عليهم صلوات الله وسلامه - والمؤمنين بهم في زمانهم؟ ثم ماذا صنع المشركون مع محمد على والمؤمنين به كذلك؟ إنهم لم يرقبوا فيهم إلا ولا ذمة متى ظهروا عليهم وتمكنوا منهم.

وماذا صنع المشركون بالمسلمين أيام الغزو الثاني للشرك على أيدي التتار؟ ثم ما يصنع المشركون والملحدون اليوم بعد أربعة قرنًا بالمسلمين في كل مكان؟.. إنهم لا يرقبون فيهم إِلَّا ولا ذمة، كما يقرر النص القرآني الصادق الخالد.

عندما ظهر الوثنيون التتار على المسلمين في بغداد وقعت المأساة الدامية التي سجلتها الروايات التاريخية والتي نكتفي فيها بمقتطفات سريعة من تاريخ «البداية والنهاية» لابن كثير فيما رواه من أحداث عام ٢٥٦ه(١): «ومالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشبان. ودخل كثير من الناس في الآبار، وأماكن الحشوش، وقنى الوسخ، وكمنوا كذلك أيامًا لا يظهرون. وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الخانات، ويغلقون عليهم الأبواب، فتفتحها التتار، إما بالكسر وإما بالنار، ثم يدخلون عليهم، فيهربون منهم إلى أعالي الأمكنة، فيقتلونهم بالأسطحة، حتى تجري الميازيب من الدماء في الأزقة فإنا لله وإنا إليه راجعون ـ كذلك في المساجد والجوامع والربط. ولم ينج منهم أحد سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى ومَنْ التجأ إليهم(٢) وإلى دار الوزير ابن

<sup>(</sup>١) البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير، (ج/١٣).

<sup>(</sup>٢) ذلك أن اليهود والنصارى ـ من أهل الذّمة ـ كانوا ممن كاتب التتار لغزو عاصمة الحلافة والقضاء على الإسلام والمسلمين فيها، وممن دلوا على عورات المدينة، وشاركوا مشاركة فعليةً في هذه الكارثة، وستقبعوا التتار الوثنيين بالترحاب؛ ليقضوا لهم على المسلمين الذين أعطوهم دمتهم ووفروا لهم الأمن والحماية!!.

العلقمي الرافضي، وطائفة من التجار أخذوا أمانًا بذلوا عليه أموالًا جزيلة حتى سلموا وسلمت أموالهم. وعادت بغداد بعد ما كانت آنس المدن كلها كأنها خراب، ليس فيها إلا القليل من الناس، وهم في خوف وجوع وذلة وقلة.

وقد اختلف الناس في كمية من قتل ببغداد من المسلمين في هذه الوقعة. فقيل: ثمان مئة ألف. وقيل: ألف ألف. وقيل: بلغت القتلى ألفي ألف نفس ـ فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ـ وكان دخولهم إلى بغداد في أواخر المحرم. وما زال السيف يقتل أهلها أربعين يومًا.. وكان قتل الخليفة المستعصم بالله أمير المؤمنين يوم الأربعاء رابع عشر صفر، وعفى قبره، وكان عمره يومئذ ستًا وأربعين سنة وأربعة أشهر. ومدة خلافته خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وأيام. وقتل معه ولده الأكبر أبو العباس أحمد، وله خمس وعشرون سنة. ثم قتل ولده الأوسط أبو الفضل عبدالرحمن وله ثلاث وعشرون سنة، وأسر ولده الأصغر مبارك، وأسرت أخواته الثلاث: فاطمة، وخديجة، ومريم.

وقتل أستاذ دار الخلافة الشيخ محيي الدين يوسف ابن الشيخ أبي الفرج ابن المجوزي، وكان عدو الوزير، وقتل أولاده الثلاثة: عبدالله، وعبدالرحمن، وعبدالكريم، وأكابر الدولة واحدًا بعد واحد؛ منهم: الدويدار الصغير مجاهد الدين أيبك، وشهاب الدين سليمان شاه، وجماعة من أمراء السنة وأكابر البلد. وكان الرجل يستدعى به من دار الخلافة من بني العباس، فيخرج بأولاده ونسائه، فيذهب إلى مقبرة الخلال، تجاه المنظرة، فيذبح كما تذبح الشاة، ويؤسر من يختارون من بناته وجواريه.. وقتل شيخ الشيوخ مؤدب الخليفة صدر الدين علي ابن النيار. وقتل الخطباء، والأئمة، وحملة القرآن. وتعطلت المساجد والجامعات والجُمُعات مدة شهور ببغداد.

ولما انقضى الأمر المقدر، وانقضت الأربعون يومًا، بقيت بغداد خاوية على عروشها، ليس بها أحد إلا الشاذ من الناس، والقتلى في الطرقات كأنها التلول،

وقد سقط عليهم المطر، فتغيرت صورهم، وأنتنت من جيفهم البلد، وتغير الهواء، فحصل بسببه الوباء الشديد حتى تعدى وسرى في الهواء إلى بلاد الشام، فمات خلق كثير من تغير الجو وفساد الريح، فاجتمع على الناس الغلاء، والوباء، والفناء، والطعن، والطاعون. فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولما نودي ببغداد بالأمان، خرج من تحت الأرض من كان بالمطامير والقنى والمقابر كأنهم الموتى إذا نبشوا من قبورهم؛ وقد أنكر بعضهم بعضًا، فلا يعرف الوالد ولده، ولا الأخ أحاه، وأخذهم الوباء الشديد؛ فتفانوا وتلاحقوا بمن سبقهم من القتلى..» إلخ إلخ.

#### 🗖 وعبًاد البقر الوثنيون الهنود:

هذه صورة من الواقع التاريخي، حينما ظهر المشركون على المسلمين فلم يرقبوا فيهم إِلَّا ولا ذمة. فهل كانت صورة تاريخية من الماضي البعيد الموغل في الظلمات، اختص بها التتار في ذلك الزمان؟

كلا! إن الواقع التاريخي الحديث لا تختلف صوره عن هذه الصورة!.. إن ما وقع من الوثنيين الهنود عند انفصال باكستان لا يقل شناعة ولا بشاعة عما وقع من التتار في ذلك الزمان البعيد.. إن ثمانية ملايين من المهاجرين المسلمين من الهند، فآثروا ممن أفزعتهم الهجمات البربرية المتوحشة على المسلمين الباقين في الهند، فآثروا الهجرة على البقاء - قد وصل منهم إلى أطراف باكستان ثلاثة ملايين فقط! أما الملايين الخمسة الباقية فقد قضوا بالطريق.. طلعت عليهم العصابات الهندية الوثنية المنظمة، المعروفة للدولة الهندية جيدًا، والتي يهيمن عليها ناس من الكبار في الحكومة الهندية، فذبحتهم كالخراف على طول الطريق، وتركت جثثهم نهبًا للطير والوحش، بعد التمثيل بها ببشاعة منكرة، لا تقل - إن لم تزد - على ما صنعه التتار بالمسلمين من أهل بغداد!

أما المأساة البشعة المروعة المنظمة فكانت في ركاب القطار الذي نقل الموظفين

المسلمين في أنحاء الهند إلى باكستان، حيث تم الاتفاق على هجرة من يريد الهجرة من الموظفين المسلمين في دوائر الهند إلى باكستان، واجتمع في هذا القطار خمسون ألف موظف في نفق بين الحدود الهندية الباكستانية يسمى «ممر خيبر». وخرج من الناحية الأخرى وليس به إلا أشلاء ممزقة متناثرة في القطار!. لقد أوقفت العصابات الهندية الوثنية المدربة الموجهة القطار في النفق، ولم تسمح له بالمضي في طريقه إلا بعد أن تحول الخمسون ألف موظف إلى أشلاء ودماء! وصدق قول الله ـ سبحانه ـ: ﴿كَيْفُ اللهِ وَلَا يَرْقُبُوا فِيكُم إِلّا وَلَا ذِمَا لَهُ .

وما تزال هذه المذابح تتكرر في صور شتي.

#### 🗖 والشيوعيون:

ثم ماذا فعل خلفاء التتار في الصين الشيوعية وروسيا الشيوعية بالمسلمين هناك؟.. لقد أبادوا من المسلمين في خلال ربع قرن ـ ستة وعشرين مليونًا.. بمعدل مليون في السنة.. وما تزال عمليات الإبادة ماضية في الطريق.. ذلك غير وسائل التعذيب الجهنمية التي تقشعر لهولها الأبدان. وفي هذا العام وقع في القطاع الصيني من التركستان المسلمة ما يغطي على بشاعات التتار.. لقد جيء بأحد الزعماء المسلمين، فحفرت فله حفرة في الطريق العام، وكلف المسلمون تحت وطأة التعذيب والإرهاب، أن يأتوا بفضلاتهم الآدمية (التي تتسلمها الدولة من الأهالي جميعًا لتستخدمها في السماد مقابل ما تصرفه لهم من الطعام!!!) فيلقوها على الزعيم المسلم في حفرته.. وظلت العملية ثلاثة أيام والرجل يختنق في الحفرة على هذا النحو حتى مات!

كذلك فعلت يوغسلافيا الشيوعية بالمسلمين فيها حتى أبادت منهم مليونًا منذ الفترة التي صارت فيها شيوعية بعد الحرب العالمية الثانية إلى اليوم.

وما تزال عمليات الإبادة والتعذيب الوحشي ـ التي من أمثلتها البشعة إلقاء

المسلمين رجالًا ونساء في «مفارم» اللحوم التي تصنع لحوم «البولوبيف» ليخرجوا من الناحية الأخرى عجينة من اللحم والعظام والدماء ـ ماضية إلى الآن!!!

وما يجري في يوغسلافيا يجري في جميع الدول الشيوعية والوثنية.. الآن.. في هذا الزمان.. ويصدق قول الله ـ سبحانه ـ: ﴿كَيْفُ وَإِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُوْلَتَهِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُوْلَتَهِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُوْلَتَهِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَتَهِكَ هُمُ اللَّهُ عَدُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَتَهِكَ هُمُ اللَّهُ عَدُونَ فِي هُونَا فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَتَهِكَ هُمُ اللَّهُ عَدُونَ فِي هُونَا فِي اللَّهُ وَلَا فِي اللَّهُ وَلَا فِي مُؤْمِنِ إِلَّا وَلَا فِي اللَّهُ وَلَا فَيْ اللَّهُ وَلَا فَيْ اللَّهُ وَلَا فِي اللَّهِ وَلَا إِلَّا وَلَا فَيْ اللَّهُ وَلَا فَيْ اللَّهُ وَلَا فِي اللَّهُ وَلَا فِي اللَّهُ وَلَا فَيْ اللَّهُ وَلَا فِي اللَّهُ وَلَا فِي اللَّهُ وَلَا فَا لَهُ فَا أَنْ اللَّهُ مُونَا إِلَا فِي اللَّهُ وَلَا فِي اللَّهُ وَلَا فِي اللَّهُ وَلَا فَا قُولُونَ اللَّهُ وَلَا فِي اللَّهُ وَلَا فِي اللَّهُ وَلَا فَيْ اللَّهُ وَلَا فِي اللَّهُ وَلَا فِي اللَّهُ وَلَا فَا لَا فَا لَهُ فَا لَهُ اللَّهُ مُؤْمِنِ إِلَّا فِي اللَّهِ اللَّهُ وَلَا فِي اللَّهُ وَلَا فِي اللَّهُ وَلَا فَا قُولَ اللَّهِ فَا لَا قَالَا فَا لَا قُولُولُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ فَا لَا قُولُولُ اللَّهُ وَلَا فَا قُولُولُولُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ فَاللَّهُ فَاللَّهُ فَا لَا قُولُولُولُ اللَّهُ فَا لَهُ فَاللَّهُ فَا لَا قُولُولُ اللَّهُ فَا لَا قُولُولُ اللَّهُ فَا لَا فَاللَّهُ فَاللَّهُ فَاللَّهُ فَا لَا قُولُولُولُ اللَّهُ اللَّهُ فَا اللَّهُ فَاللَّهُ فَاللَّهُ اللَّهُ فَاللَّهُ اللَّهُ فَالْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ فَا لَا قَالُمُ لَا اللَّهُ فَاللَّهُ فَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ فَاللَّهُ إِلَّا فَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ فَاللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللل

إنها لم تكن حالة طارئة ولا وقتية في الجزيرة العربية، ولم تكن حالة طارئة ولا وقتية في بغداد.. إنها الحالة الدائمة الطبيعية الحتمية؛ حيثما وجد مؤمنون يدينون بالعبودية لله وحده؛ ومشركون أو ملحدون يدينون بالعبودية لغير الله.

في كل زمان وفي كل مكان.

ومن ثم فإن تلك النصوص - وإن كانت قد نزلت لمواجهة حالة واقعة في الجزيرة، وعنت بالفعل تقرير أحكام التعامل مع مشركي الجزيرة - إلا أنها أبعد مدى في الزمان والمكان؛ لأنها تواجه مثل هذه الحالة دائمًا في كل زمان وفي كل مكان. والأمر في تنفيذها إنما يتعلق بالمقدرة على التنفيذ في مثل الحالة التي نفذت فيها في الجزيرة العربية، ولا يتعلق بأصل الحكم، ولا بأصل الموقف الذي لا يتبدل على الزمان» (١).

٢٧ قال - تَعَالَى -: ﴿ وَإِن نَّكُثُوا أَيْمَنَهُم مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَالِلُوا أَيِمَنَهُ مَ لِا أَيْمَنَهُم لِا أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾ [التوبة: ١٢].

قال ابن كثير (١٧/٥٥): ﴿ ﴿ وَإِن نَكُثُوا ﴾: هؤلاء المشركون الذين عاهدتموهم على مدة معينة. ﴿ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ ﴾؛ أي: عهودهم ومواثيقهم. ﴿ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ ﴾؛ أي: عابوه وانتقصوه. ومن هاهنا أُخِذ قَتْل من سب الرسول. صلوات الله وسلامه عليه

<sup>(</sup>۱) الظلال (۱۲۰۲/۳ - ۱۲۱۰).

وقد قال قتادة وغيره: أئمة الكفر: كأبي جهل، وعتبة، وشيبة، وأمية بن خلف، وعدَّد رجالًا.

وعن حذيفة أنه قال: ما قُوتِل أهل هذه الآية بعد. والصحيح أن الآية عامة، وإن كان سبب نزولها مشركي قريش، فهي عامة لهم ولغيرهم. والله أعلم.

وعن عبدالرحمن بن جبير بن نفير: أنه كان في عهد أبي بكر صَّلَيَّهُ إلى الناس حين وجههم إلى الشام، قال: إنكم ستجدون قومًا مُحَوَّقة رءوسهم، فاضربوا معاقد الشيطان منهم بالسيوف، فواللَّه لأن أقتل رجلًا منهم أحب إليَّ من أن أقتل سبعين من غيرهم، وذلك بأن اللَّه يقول: ﴿فَقَائِلُوّاً أَيِمَةَ ٱلۡكُوْرِ ﴾ (١).

قال القرطبي: قوله: ﴿ وَطَعَـنُوا فِي دِينِكُمْ ﴾؛ أي: بالاستنقاص والحرب وغير ذلك مما يفعله المشرك.

استدل بعض العلماء بهذه الآية على وجوب قتل كل من طعن في الدين إذ هو كافر، والطعن أن يُنسب إليه ما لا يليق به، أو يعترض بالاستخفاف على ما هو من الدين؛ لما ثبت من الدليل القطعي على صحة أصوله واستقامة فروعه. وقال ابن المنذر: أجمع عامة أهل العلم على أنَّ من سب النبي عَلَيُ عليه القتل. وممن قال ذلك مالك، والليث، وأحمد، وإسحاق، وهو مذهب الشافعي.

رُوي أن رجلًا قال في مجلس عليٍّ: ما قُتِل كعب بن الأشرف إلا غدرًا؛ فأمر عليٌّ بضرب عنقه. وقاله آخر في مجلس معاوية فقام محمد بن مسلمة فقال: أيقال هذا في مجلس وتسكت؟! واللَّه لا أساكنك تحت سقف أبدًا، ولئن خلوت به

<sup>(</sup>۱) تفسير ابن كثير (۷/٥٥١).

لأقتلنَّه.

قال علماؤنا: هذا يُقتل ولا يستتاب إنْ نسب الغدر للنبي ﷺ، وهو الذي فهمه عليّ ومحمد بن مسلمة ـ رضوان اللّه عليهما ـ من قائل ذلك؛ لأن ذلك زندقة.

فأما إن نسبه للمباشرين لقتله بحيث يقول: إنهم أمّنوه ثم غدروه لكانت هذه النسبة كذبًا محضًا؛ فإنه ليس في كلامهم معه ما يدل على أنهم أمّنوه ولا صرّحوا له بذلك، ولو فعلوا ذلك لما كان أمانًا؛ لأن النبي عَلَيْ إنما وجّههم لقتله لا لتأمينه، وأذن لمحمد بن مسلمة في أن يقول. وعلى هذا فيكون في قتل من نسب ذلك لهم نظر وتردد. وسببه هل يلزم من نسبة الغدر لهم نسبته للنبي عَلَيْ، لأنه قد صوّب فعلهم ورضي به، فيلزم منه أنه قد رضِي بالغدر، ومن صرّح بذلك قُتِل؟ أو يلزم من نسبة الغدر لهم نسبته للنبي عَلَيْ فلا يُقتل، فلا بد من تنكيل نسبة الغدر لهم نسبته للنبي عَلَيْ فلا يُقتل، فلا بد من تنكيل ذلك القائل وعقوبته بالسجن، والضرب الشديد، والإهانة العظيمة.

فأما الذمي إذا طعن في الدين انتقض عهده في المشهور من مذهب مالك؛ لقوله: ﴿وَإِن نَكْتُوا أَيْمَننَهُم ﴾ الآية. فأمر بقتلهم وقتالهم، وهو مذهب الشافعي ـ رحمه الله ـ.

وإذا حارب الذميُّ نُقض عهده.

أكثر العلماء على أن من سبَّ النبي ﷺ من أهل الذَّة، أو عرَّض، أو استخفَّ بقدره، أو وصفه بغير الوجه الذي كفر به فإنه يُقتل، فإنا لم نعطه الذمة والعهد على هذا.

واستدل عليه بعضهم بأمره ﷺ بقتل كعب بن الأشرف وكان معاهدًا. قوله ـ تَعَالَى -: ﴿فَقَائِلُوٓا أَبِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ﴾.

﴿ أَبِمَّهَ ﴾: جمع إمام، والمراد صناديد قريش ـ في قول بعض العلماء ـ؛ كأبي جهل، وعتبة، وشيبة، وأمية بن خلف، وهذا بعيد؛ فإن الآية في «سورة براءة» وحين نزلت وقُرئت على الناس كان الله قد استأصل شأفة قريش، فلم يبق إلا

مسلم أو مسالِم، فيحتمل أن يكون المراد ﴿ فَقَلْلِلُواْ آَيِمَةَ اللَّهَ عَلَى الْكُفر، فهو من أئمة أقدم على نكث العهد والطعن في الدين يكون أصلًا ورأسًا في الكفر، فهو من أئمة الكفر على هذا، ويحتمل أن يعني به المقدمون والرؤساء منهم، وأن قتالهم قتال لأتباعهم، وأنهم لا حرمة لهم. والأصل: أَأْمِمَة؛ كمثال وأمثلة، ثم أدغمت الميم في الميم، وقُلبت الحركة على الهمزة، فاجتمعت همزتان، فأبدلت من الثانية ياء.

وقرأ ابن عامر: ﴿لَا إِيمَانَ لَهُمْ ﴾ بكسر الهمزة؛ من الإيمان؛ أي: لا إسلام لهم. ﴿لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾؛ أي: عن كفرهم وباطلهم وأذيتهم للمسلمين، وذلك يقتضي أن يكون الغرض من قتالهم دفع ضررهم؛ لينتهوا عن مقاتلتنا، ويدخلوا في ديننا (١).

٢٨- قال - تَعَالَى -: ﴿ أَلَا نُقَـٰلِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُو ا أَيْمَنَهُمْ وَهَكُمُوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَك مَرَّةً أَتَغَشَوْنَهُمُ فَاللَّهُ أَحَقُ أَن تَغَشَوْهُ إِن كُنتُم الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَك مَرَّةً أَتَغَشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُ أَن تَغَشَوْهُ إِن كُنتُم الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوْلَك مَرَّةً أَتَغَشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُ أَن تَغَشَوْهُ إِن كُنتُم الرَّاسُولِة إلَى اللَّهُ اللَّهُ الْمَا إِن اللَّهُ الللللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّه

قال ابن كثير: «وهذا ـ أيضًا ـ تهييج وتحضيض وإغراء على قتال المشركين الناكثين لأيمانهم، الذين همُّوا بإخراج الرسول من مكة، كما قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُشِبُوكَ أَوْ يَقْبُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكُ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ الْمَنْكِرِينَ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ واللَّهُ وَاللَّهُ وَالَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالَةُ وَاللَّلَّا اللَّهُ وَالَّالَّالَالَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالّ

وقال - تَعَالَى -: ﴿ وَإِن كَادُوا ۚ لِيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۗ وَإِذَا لَآ يَبْتُثُونَ خِلَفَكَ إِلَّا قَبِيلًا ۞ [الإسراء:٧٦].

وقوله: ﴿ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَك مَرَّةً ﴾؛ قيل: المراد بذلك يوم «بدر» حين خرجوا لنصر عيرهم، فلما نجت وعلموا بذلك استمروا على وجوههم؛ طلبًا

<sup>(</sup>١) تفسير القرطبي (٢٩٢٠/٤)، ٢٩٢٢، ٢٩٢٢، ٢٩٢٤).

للقتال؛ بغيًا وتكبُّرًا.

وقيل: المراد نقضهم العهد وقتالهم مع حلفائهم بني بكر لخزاعة (أحلاف رسول الله على الل

قال القرطبي: «قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿ أَلَا لُقَائِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوَّا أَيْمَانَهُمْ ﴾ توبيخ، وفيه معنى التحضيض.

﴿ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخَشَوْهُ ﴾ ؟ أي: تخافوا عقابه في ترك قتالهم، مِن أَن تخافوا أن ينالكم في قتالهم مكروه ﴿ ٢ ﴾ .

٢٩ قال - تغالَى -: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَاذِبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَضُرَّكُمْ عَلَيْهِمَ وَيَشْرِكُمْ عَلَيْهِمَ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ۞ وَيُـذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَن يَشْفِ وَلَنَهُ عَلِيمُ هَرِيمُ ﴿ وَالتوبة: ١٤، ١٥].

قال ابن جرير في تفسيره (١٤/١): «يقول ـ تَعَالَى ذكره ـ: قاتلوا أيها المؤمنون باللَّه ورسوله هؤلاء المشركين الذين نكثوا أيمانهم ونقضوا عهودهم بينكم وبينهم وأخرجوا رسول اللَّه عَلَيْ من بين أظهرهم؛ ﴿يُعَذِبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴾؛ يقول: يقتلهم اللَّه بأيديكم. ﴿وَيُخْزِهِمْ ﴾ يقول: ويذلهم بالأسر والقهر. ﴿وَيَضَرُّكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾ فيعطيكم الظفر عليهم والغلبة. ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمِ مُؤْمِنِينَ ﴾؛ يقول: يقول: ويبرئ داء صدور قوم مؤمنين باللَّه ورسوله بقتل هؤلاء المشركين بأيديكم وإذلالكم وقهركم إياهم، وذلك الداء هو ما كان في قلوبهم عليهم من الموجدة بماكانوا ينالونهم به من الأذى والمكروه ». اه.

وقال الحافظ ابن كثير (١٥٦/٧): «قال ـ تَعَالَى ـ عزيمة على المؤمنين، وبيانًا لحكمته فيما شرع لهم من الجهاد مع قدرته على إهلاك الأعداء بأمر من عنده:

<sup>(</sup>۱) تفسير ابن كثير (۱۰٦/۷).

<sup>(</sup>٢) القرطبي (٢٩٢٥/٤).

﴿ قَانِتُلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخَزِهِمْ وَيَضَرَّكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُتَوْمِينِ كُلهم. مُثُومِينِ ﴾، وهذا عام في المؤمنين كلهم.

وقال مجاهد، وعكرمة، والسدي في هذه الآية: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمِ مُثُومِ مُثُورً قَوْمِ مُثُورً فَوْمِ مُثُومِ مُثُومِ مِنْ اللهِ عني: خزاعة».

﴿ فَنَتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَضَرَّكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمِ ثُوَّمِنِينَ ﴿ وَيُذْهِبْ عَيْظَ قُلُوبِهِمْ ﴾.

قاتلوهم يجعلكم اللَّه ستار قدرته، وأداة مشيئته، فيعذبهم بأيديكم، ويخزهم بالهزيمة وهم يتخايلون بالقوة، وينصركم عليهم، ويشف صدور جماعة من المؤمنين ممن آذاهم وشردهم المشركون. يَشْفِهَا من غيظها المكظوم، بانتصار الحق كاملًا، وهزيمة الباطل، وتشريد المبطلين.

وليس هذا وحده، ولكن خيرًا آخر يُنتظر، وثوابًا آخر يُنال: ﴿ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ﴾.

فانتصار المسلمين قد يرد بعض المشركين إلى الإيمان، ويفتح بصيرتهم على الهدى حين يرون المسلمين يُنصرون، ويحسون أن قوة غير قوة البشر تؤيدهم، ويرون آثار الإيمان في مواقفهم ـ وهذا ما كان فعلا ـ وعندئذ ينال المسلمون المجاهدون أجر جهادهم، وأجر هداية الضالين بأيديهم؛ وينال الإسلام قوة جديدة تضاف إلى قوته بهؤلاء المهتدين التائبين.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾؛ عليم بالعواقب المخبوءة وراء المقدمات. حكيم يقدر نتائج الأعمال والحركات.

إن بروز قوة الإسلام وتقريرها؛ ليستهوي قلوبًا كثيرة تصد عن الإسلام الضعيف، أو الإسلام المجهول القوة والنفوذ. وإن الدعوة إلى الإسلام لتختصر نصف الطريق حين تكون الجماعة المسلمة بادية القوة، مرهوبة الجانب، عزيزة الجناب.

على أن الله ـ سبحانه ـ وهو يربي الجماعة المسلمة بالمنهج القرآني الفريد لم يكن يعدها ـ وهي في مكة قلة قليلة مستضعفة مطاردة ـ إلا وعدًا واحدًا؛ هو الجنة. ولم يكن يأمرها إلا أمرًا واحدًا؛ هو الصبر . فلما أن صبرت وطلبت الجنة وحدها دون الغلب، آتاها الله النصر؛ وجعل يحرضها عليه ويشفي صدورها به. ذلك أن الغلب والنصر عندئذ لم يكن لها، ولكن لدينه وكلمته، وإن هي إلا ستار لقدرته (١).

٣٠ قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ قَائِلُوا اللَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْكَاخِرِ وَلَا يُعْرِمُونَ مَا حَكَمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ اللَّذِينَ أُوتُواْ اللَّحِتَنَ عَمْرَمُونَ مَا حَكَمَ اللَّهِ عَن يَدِ وَهُمْ صَلْغِرُونَ ﴿ قَالَهُ إِلَى اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللللَّا الللَّهُ الللللَّاللَّاللَّا

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (١٧٥/١- ١٧٧): «وهذه الآية الكريمة نزلت أول الأمر بقتال أهل الكتاب بعد ما تمهدت أمور المشركين ودخل الناس في دين الله أفواجًا، فلما استقرَّت جزيرة العرب، أمر الله رسوله بقتال أهل الكتابين، اليهود والنصارى، وكان ذلك في سنة تسع؛ ولهذا تجهز رسول الله على لقتال الروم، ودعا الناس إلى ذلك، وأظهره لهم، وبعث إلى أحياء العرب حول المدينة فندبهم، فأوعبوا (٢) معه، واجتمع من المقاتلة نحو من ثلاثين ألفًا، وتخلَّف بعض الناس من أهل المدينة ومن حولها من المنافقين وغيرهم، وكان ذلك في عام جدب ووقت قيظ وحرِّ، وخرج رسول الله على عام الله على مائها قريبًا من عشرين يومًا، ثم استخار الله في الرجوع، فرجع عامه ذلك؛ لضيق الحال وضعف الناس.

وقد استدل بهذه الآية الكريمة مَن يرى أنه لا تُؤخذ الجزية إلا من أهل الكتاب أو من أشبههم كالمجوس، كما صحَّ فيهم الحديث أن رسول اللَّه ﷺ أخذها من مجوس هجر، وهذا مذهب الشافعي، وأحمد في المشهور عنه. وقال أبو حنيفة -

<sup>(</sup>١) الظلال (١٦١٢/٣).

<sup>(</sup>٢) أوعب القوم: خرجوا جميعًا.

رحمه الله .: بل تُؤخذ من جميع الأعاجم، سواءً كانوا من أهل الكتاب أو من المشركين، ولا تُؤخذ من العرب إلا من أهل الكتاب.

وقال الإمام مالك: بل يجوز أن تُضرَب الجزيةِ على جميع الكفار، من كتابي، ومجوس، ووثني، وغير ذلك.

وقوله: ﴿ حَتَّى يُعُطُوا ٱلْجِزْيَةَ ﴾؛ أي: إن لم يسلموا. ﴿ عَن يَدِ ﴾؛ أي: عن قهر لهم وغلبة. ﴿ وَهُمَّ صَنغِرُونَ ﴾؛ أي: ذليلون حقيرون مهانون، فلهذا لا يجوز إعزاز أهل الذمة ولا رفعهم على المسلمين، بل هم أذلاء صغرة أشقياء، كما جاء في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة فَظَّيَّهُ أن النبي ﷺ قال: «لا تبدءوا اليهود والنصارى بالسلام، وإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه»(١)؛ ولهذا اشترط عليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب نظيمه تلك الشروط المعروفة في إذلالهم وتصغيرهم وتحقيرهم، وذلك مما رواه الأئمة الحفَّاظ من رواية عبدالرحمن بن غنم الأشعري قال: كتبت لعمر بن الخطاب صَعْظَتُهُ حين صالح نصاري من أهل الشام: «بسم اللَّه الرحمن الرحيم، هذا كتاب لعبد اللَّه عمر أمير المؤمنين من نصاري مدينة كذا وكذا، إنكم لما قدمتم علينا سألناكم الأمان لأنفسنا وذرارينا وأموالنا وأهل ملتنا، وشرطنا لكم على أنفسنا ألا نحدث في مدينتنا ولا فيما حولها ديرًا، ولا كنيسة، ولا قلاية (٢)، ولا صومعة راهب، ولا نجدُّد ما خرب منها، ولا نحيي منها ما كان خِططا<sup>(٣)</sup> للمسلمين، وألا نمنع كنائسنا أن ينزلها أحد من المسلمين في ليل ولا نهار، وأن نوسِّع أبوابها للمارة وابن السبيل، وأن ننزل من مرَّ بنا من المسلمين ثلاثة أيام نطعمهم، ولا نؤوي في كنائسنا ولا منازلنا جاسوسًا، ولا نكتم

<sup>(</sup>١) صحيح مسلم، كتاب السلام (٢١٦٧/٣).

<sup>(</sup>٢) القلية: كالصومعة، هكذا وردت، واسمها عند النصارى: القلَّاية، وهو تعريب كلَّادة؛ وهي: من بيوت عبادتهم.

<sup>(</sup>٣) الخطيط: جمع خطَّة؛ وهي: الأرض يختطها الإنسان لنفسه، بأن يُعَلِّمَ عليها علامةً ويخطَّ عليها خطًّا؛ ليعلم أنه قد احتازها.

غشًّا للمسلمين، ولا نعلم أولادنا القرآن، ولا نظهر شركًا، ولا ندعو إليه أحدًا، ولا نمنع أحدًا من ذوي قرابتنا الدخول في الإسلام إن أرادوه، وأن نوقر المسلمين، وأن نقوم لهم من مجالسنا إن أرادوا الجلوس، ولا نتشبه بهم في شيء من ملابسهم في قلنسوة، ولا عمامة، ولا نعلين، ولا فرق شعر، ولا نتكلم بكلامهم، ولا نكتني بكناهم، ولا نركب السروج، ولا نتقلد السيوف، ولا نتخذ شيئًا من السلاح ولا نحمله معنا، ولا ننقش خواتيمنا بالعربية، ولا نبيع الخمور، وأن نجزً مقاديم رءوسنا، وأن نلزم زينا حيثما كنا، وأن نشد الزنانير على أوساطنا، وألا نظهر الصليب على كنائسنا، وألَّا نظهر صُلُبتنا ولا كتبنا في شيء من طرق المسلمين ولا أسواقهم، ولا نضرب نواقيسنا في كنائسنا إلا ضربًا خفيفًا، وألا نرفع أصواتنا بالقراءة في كنائسنا في شيء من حضرة المسلمين، ولا نخرج سعانين (١) ولا باعوثا (٢)، ولا نرفع أصواتنا مع موتانا، ولا نظهر النيران معهم في شيء من طرق المسلمين ولا أسواقهم، ولا نجاورهم بموتانا، ولا نتخذ من الرقيق ما جرى عليه سهام المسلمين، وأن نرشد المسلمين، ولا نطلع عليهم في منازلهم».

قال: فلما أتيت عمر بالكتاب زاد فيه: ولا نضرب أحدًا من المسلمين، وشرطنا لكم ذلك على أنفسنا وأهل ملتنا، وقبلنا عليه الأمان، فإن نحن خالفنا في شيء مما شرطناه لكم، ووظفنا على أنفسنا فلا ذمة لنا، وقد حلَّ لكم منا ما يحل من أهل المعاندة والشقاق» (").

قال القرطبي: «أمر ـ سبحانه وتعالى ـ بمقاتلة جميع الكفار لإصفاقهم على هذا الوصف، وخصَّ أهل الكتاب بالذكر؛ إكرامًا لكتابهم، ولكونهم عالمين بالتوحيد والرسل والشرائع والملل، وخصوصًا ذكر محمد ﷺ وملته وأمته. فلما أنكروه

<sup>(</sup>١) سعانين: عيد للنصاري معروف، قبل عيدهم الكبير بأسبوع.

<sup>(</sup>٢) الباعوث للنصاري: كالاستسقاء للمسلمين، وهو اسم سرياني.

<sup>(</sup>٣) مختصر تفسير ابن كثير (١٧٦/٢، ١٧٧).

تأكّدت عليهم الحجّة وعظمت منهم الجريمة، فنبَّه على محلهم، ثم جعل للقتال غاية، وهي إعطاء الجزية بدلًا عن القتل. وهو الصحيح.

قال ابن العربي: سمعت أبا الوفاء علي بن عقيل في مجلس النظر يتلوها ويحتج بها، فقال: ﴿ اللَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ وذلك بها، فقال: ﴿ اللَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ وذلك بيان للذنب الذي أوجب العقوبة، وقوله: ﴿ وَلَا بِاللَّهِ وَرَسُولُهُ ﴾ تأكيد للذنب في جانب الاعتقاد، ثم قال: ﴿ وَلَا يَكُرِمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ زيادة للذنب مع مخالفة الأعمال، ثم قال: ﴿ وَلَا يَدِينُ الْحَقِيّ إشارة إلى تأكيد المعصية بالانحراف والمعاندة والأنفة عن الاستسلام. ثم قال: ﴿ مِّنَ اللَّذِينَ أُوتُوا اللَّكِلَابُ ﴾ تأكيد للحجة؛ لأنهم كانوا يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل، ثم قال: ﴿ حَقَى يُدِ ﴾ فبينَ الغاية التي تمتد إليها العقوبة، وبين البدل الذي ترتفع به.

• وقد اختلف العلماء فيمن تُؤخذ منه الجزية، فقال الشافعي ـ رحمه الله ـ: لا تُقبل الجزية إلا من أهل الكتاب خاصة، عربًا كانوا أو عجمًا؛ لهذه الآية؛ فإنهم هم الذين خصوا بالذكر فتوجّه الحكم إليهم دون من سواهم؛ لقوله وَ الله الله وَ فَاقَنْلُوا الله الله وَ عَبْلًا وَ فَاقَدْلُوا الله الله وَ عَبْلًا في أهل المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدَتُمُوهُم ولم يقل: حتى يعطوا الجزية، كما قال في أهل الكتاب. وقال: وتُقبل من المجوس بالسُنّة؛ وبه قال أحمد، وأبو ثور، وهو مذهب الثوري، وأبي حنيفة وأصحابه.

وقال الأوزاعي: تؤخذ الجزية من كل عابد وثن أو نار أو جاحدٍ أو مكذّب. وكذلك مذهب مالك؛ فإنه رأى أن الجزية تؤخذ من جميع أجناس الشرك والجحد، عربيًّا أو أعجميًّا، تغلبيًّا أو قرشيًّا، كائنًا من كان إلا المرتد.

وأما المجوس فقال ابن المنذر: لا أعلم خلافًا أن الجزية تُؤخذ منهم.

وفي «الموطأ»: مالك عن جعفر بن محمد عن أبيه أن عمر بن الخطاب ذكر أمر المجوس فقال: ما أدري كيف أصنع في أمرهم؟ فقال عبدالرحمن بن عوف: أشهدُ

لسمعت رسول الله ﷺ يقول: «سُنُوا بهم سُنَّة أهل الكتاب». قال أبو عمر: يعني في الجزية خاصة.

• إجماع من العلماء على أن الجزية إنما توضع على جماجم الرجال الأحرار البالغين، وهم الذين يُقاتلون دون النساء والذرية والعبيد والمجانين المغلوبين على عقولهم والشيخ الفاني، واختُلف في الرهبان، فروى ابن وهب عن مالك أنها لا تُؤخذ منهم.

قال مطرف وابن الماجشون: هذا إذا لم يترهّب بعد فرضها، فإن فُرِضت ثم ترهّب لم يُسقطها ترهّبه.

## • وقد اختلف العلماء في مقدار الجزية.

فقال عطاء بن أبي رباح لا توقيت فيها، وإنما هو على ما صُولحوا عليه، وكذلك قال يحيى بن آدم وأبو عبيد والطبري؛ إلا أن الطبري قال: أقله دينار لأكثره لا حد له. واحتجوا بما رواه أهل الصحيح عن عمرو بن عوف أن رسول الله على صالح أهل البحرين على الجزية. وقال الشافعي: دينار على الغني والفقير من الأحرار البالغين، لا يُنقص منه شيء، واحتج بما رواه أبو داود وغيره عن معاذ: أن رسول الله على بعثه إلى اليمن، وأمره أن يأخذ من كل حالم دينارًا في الجزية. قال الشافعي: وهو المبين عن الله - تَعَالَى - مراده، وهو قول أبي ثور. قال الشافعي: وإن صولحوا على أكثر من دينار جاز، وقال مالك: إنها أربعة دنانير على أهل الذهب، وأربعون درهمًا على أهل الورق، الغنى والفقير سواء.

قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿ عَن يَدِ ﴾؛ قال ابن عباس: يدفعها بنفسه غير مستنيب فيها أحدًا.

وقال سلمان: مذمومين. وقال قتادةٍ: عن قهر، وقال عكرمة: يدفعها وهو قائم والآخذ جالس؛ وقاله سعيد بن جبير.

عن عبداللَّه بن عمر أن رسول اللَّه ﷺ قال: «اليد العليا خير من اليد السفلي،

واليد العُليا هي المنفقة، واليد السفلى هي السائلة (١)، فجعل يد المعطي في الصدقة عُليا، وجعل يد المُعطي في الجزية سُفْلي. ويد الآخذ عُليا؛ ذلك بأنه الرافع الخافض، يرفع من يشاء، ويخفض من يشاء، لا إله غيره (٢).

### 🗖 يا ليت قومي يعلمون:

إن المراجعة الموضوعية للتقريرات القرآنية ـ المكية والمدنية ـ عن أهل الكتاب، تظهر بجلاء موقف الإسلام إلى عقائد أهل الكتاب التي جاء الإسلام فوجدهم عليها، وانحرافها وبطلانهم وكفرهم بدين الله الصحيح ـ حتى بما أنزل عليهم منه، وبالنصيب الذي أوتوه من قبل، حتى لا يَدَّع مدع ويفتري كذَّابٌ مفتري أن الإسلام يدعو إلى احترام الأديان، ويعني بها الأديان الموجودة الآن؛ أي: المحرَّفة، أما قبل التحريف فهو دين واحد، وهو الإسلام.

لقد حكم اللَّه بكفرهم وتحريفهم، وهذا معلوم من الدين بالضرورة لا ينكره إلا خارج من ملة الإسلام.

قال - تَعَالَى - ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ الْمِيهُودَ وَالَّذِينَ وَالْمَثُواْ الَّذِينَ عَالَوَاْ إِنَّا نَصَكَرَيًّ أَشَرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُواْ إِنَا نَصَكَرَيًّ وَكُولُونَ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللِهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ

<sup>(</sup>١) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي عن أبي هريرة.

<sup>(</sup>٢) تفسير القرطبي (٢٩٤٨/٤ ـ ٢٩٥٤) مُلَخَّصًا.

الله.

وقال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِٱلْجِكُمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمُ بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْنَلِفُونَ فِيةٍ فَٱتَقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ هُو رَقِي وَرَبُّكُمْ لَكُمُ بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْنَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ هُو رَقِي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَطُ مُسْتَقِيمُ ۞ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِم فَوَيْلُ لِلّذِينَ طَلَمُواْ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلِيمِ ۞ [الزخرف: ٦٣- ٦٥].

وقال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ وَمَا نَفَرَقُوٓا إِلَّا مِنْ بَعَدِ مَا جَآءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيَا بَيْنَهُمُ وَلَوَلَا كَلِمَةُ سَبَقَتْ مِن زَيْكَ إِلَىٰ أَجَلِ مُسَمَّى لَقَضِى بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا ٱلْكِئَبَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكِ مِنْهُ مُرِيبٍ ۞ ﴿ [الشورى: ١٤].

وقال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعَدِهِمْ خَلْفُ وَرِثُواْ ٱلْكِئَبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا ٱلْآذَنَى وَيَقُولُونَ سَيُغَفَّرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضُ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤَخَذَ عَلَيْهِم مِيثَقُ ٱلْكِتَابِ أَلْ يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ وَٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَنَقُونَ أَن لَا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ وَٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَنَقُونَ أَن لَا الْعَراف: ١٦٩]. أَفَلَا تَعْقِلُونَ اللَّهِ إِللَّا عَراف: ١٦٩].

وتضمَّن القرآن المدني الكلمة الأخيرة في حقيقة ما عليه أهل الكتاب، كما حكى عنهم أشنع الوسائل وأبشع الطرق في حرب هذا الدين وأهله في قطاعات طويلة من سور: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، وغيرها.

وقال - تَعَالَى -: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِنَابَ وَقَفَّتِنَا مِنْ بَعْدِهِ عَالَّاسُلُمُ وَءَاتَيْنَا عِيسَى أَبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَاتِ وَأَيَدْنَهُ بِرُوجِ ٱلْقُدُسِ ٱفَكُلَما جَآءَكُمْ رَسُولًا بِمَا لَا بُونَ أَنفُسُكُمُ اَسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَبْتُمْ وَفَرِيقًا نَقْنُلُونَ ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِنَابٌ مِنْ عِندِ اللّهِ لَعَنَهُمُ ٱللّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِنَابٌ مِنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ بَسْفَنِهُونَ عَلَى ٱلّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَآءَهُم مَا مُصَدِقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ بَسْفَنِهُونَ عَلَى ٱلدِّينَ كَفَرُوا فِلْمَا جَآءَهُم مَا عَرَفُوا حَفَرُوا بِهِ قَلْمَا لَهُ مَعْلَمُ اللّهُ عَلَى ٱللّهِ عَلَى ٱلكَانِهِ فِي اللّهُ مِنْ فَصْلِهِ عَلَى مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ قَلْمُ أَن يَكُولُ اللّهُ مِن فَصْلِهِ عَلَى مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ فَلَا مَعُهُمْ عَلَى مَن يَشَآءُ مِنْ عَبَادِهِ فَلَا أَن يُعْلِلُهُ مِنْ فَصْلِهِ عَلَى مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ فَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى مَن يَشَآءُ مِنْ عَبَادِهِ فَلَا عَنْهُمْ عَلَى مَن يَشَآءُ مِنْ عَبَادِهِ فَلَا أَنْ وَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى مَن يَشَآءُ مِنْ عَلَى مَن يَشَآءُ مِنْ عَبَادِهِ عَلَى اللّهُ عَلَى مَن يَشَآءُ مِنْ عَلَى مَن يَشَآءُ مِنْ عَبَادِهِ فَي مَن يَشَآءُ مِن فَلَا وَلِكَالَمُ مُعَلَى مَن يَشَآءُ مِن فَصْلِهِ عَلَى مَن يَشَآءُ مِن فَلَولُوا نَوْمِنُ بِمَا أَنزِلَ اللّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكُفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُ وَهُو ٱلْمَعُهُمُ مُنْ فَلُونَ أَنْفِيلَ أَنْ عَلَيْنَا وَيكُمُونَ فِيمَا وَرَآءَهُ وَهُو الْمُعَلَى اللّهُ مِن فَلَى إِلْ كُنْتُمُ مُولُوا لَيْنِ مَلَى مَا مُعَلِمُ مُن فَلَا إِلَى كُنْتُهُمْ مُولِكُونَ أَنْفِيلِكُمْ وَالْمُولِ الْمُولِمُ اللّهُ مِن اللّهُ اللّهُ عَلْمُ اللّهُ عَلَى مَا مُعَلِمُ مُن اللّهُ عَلَى مُن اللّهُ اللّهُ عَلْمُ اللّهُ اللّهُ عَلَى مُن اللّهُ اللّهُ عَلَى مُن اللّهُ اللّهُ عَلَى مَا مُعَلَى مُن اللّهُ اللّهُ عَلْمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الل

وقال - تَعَالَى -: ﴿ وَلَقَدْ مَاتَيْنَا مُوسَى الْكِنْبَ وَقَفَّتِنَا مِنْ بَعْدِهِ عِالرُّسُلِّ وَاللَّمْنَا عِيسَى اَبْنَ مَرْبَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَهُ بِرُوجِ الْقُدُسِ اَفَكُلُما جَآءَكُمْ رَسُولُ بِمَا لَا جُونَنَا عَلَمْنَا عَلَمْ السَتَكَمْرَتُمُ فَفَرِيقًا كَذَبْتُمْ وَفَرِيقًا نَقْنُلُونَ ﴿ وَلَمَا جَآءَهُمْ كِنَابٌ مِنْ عِندِ اللّهِ لَمَ مَعُهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ بَسْنَفْنِحُونَ عَلَى اللّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ بَسْنَفْنِحُونَ عَلَى اللّذِينَ كَفُرُواْ فِلَمَّا جَآءَهُم مَا عَرَفُواْ حَيْفُواْ مِنْ فَلَمْ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهُ مِن فَضَيْهِ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

وقال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ

بِالْجِبْتِ وَالطَّاعُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلَوُلاَءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا اللهِ أُولَتِهِكَ ٱللَّهُ اللهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا اللهُ النساء: ٥١، وَالنساء: ٥١].

وقال - تَعَالَى -: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَحٌ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَبَنِي إِسَرَّوِيلَ ٱعْبُدُوا ٱللّهَ رَبِّ وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكَ بِاللّهِ فَقَدْ حَمَرَ ٱللّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأُونَهُ ٱلنَّازُ وَمَا لِلظّلِلِمِينَ مِنْ ٱنصَارِ اللهِ اللّهِ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأُونَهُ ٱلنَّازُ وَمَا لِلظّلِلِمِينَ مِنْ ٱنصَارِ اللهِ اللّهِ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ وَمَا مِنْ إِلَيْهِ إِلّا إِلَهُ وَحِدُّ وَإِن لَمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيْمَسَّنَ ٱلّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابُ ٱلِيهُ اللّهِ وَاللّهُ عَنْوَرُونَ وَمَا مِنْ إِلَيْهِ اللّهُ عَنْهُ وَإِن لَمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيْمُ اللّهُ وَيَعْدُونُ وَإِن لَمْ يَعْوَرُونَ وَمَا مِنْ إِلَيْهِ إِلّا إِلَيْهُ اللّهِ اللّهُ وَإِن لَمْ يَعْوَرُونَ مِنْهُمْ عَذَابُ ٱللّهِ وَيَسْتَغُولُونَ مَرْيَعَ إِلّا إِلَى اللّهِ وَيَسْتَغُولُونَهُ وَٱللّهُ عَنْوُرُ رَحِيثُ اللّهُ مَا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَعَ إِلّا إِلَى اللّهِ وَيَسْتَغُولُونَ مَن قَبْلِهِ ٱلللّهُ وَاللّهُ عَنْورُ وَاللّهُ عَنْورُ وَاللّهُ مَا الْمَسِيحُ أَبْنُ مَرْيَعَ إِلّا وَاللّهُ عَنْورُ وَاللّهُ عَنْورُ وَاللّهُ وَاللّهُ مَنْ الْمُولِينَةُ فَيْلُونَ الطّمَامُ وَاللّهُ مَا الْمُسْتِعُ أَبِينَ لَهُمُ الْآلِينَةِ ثُمَا الْفُولَ الْفُلْلِمِ اللّهُ مِنْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ مَا الْمُسْتِعُ أَلِكُونَ الْكُولُونَ اللّهُ اللّهُ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللللللللّهُ الللّهُ الللللللللللّهُ اللللللللللّ

إن الله ـ سبحانه ـ يقرِّر طبيعة موقف أهل الكتاب من المسلمين في عدة مواضع من كتابه الكريم. وهو ـ سبحانه ـ تارة يتحدث عنهم وحدهم، وتارة يتحدث عنهم مع الذين كفروا من المشركين؛ باعتبار أن هناك وحدة هدف ـ تجاه الإسلام والمسلمين ـ تجمع الذين كفروا من أهل الكتاب والذين كفروا من المشركين. وتارة يتحدث عن مواقف واقعية لهم تكشف عن وحدة الهدف ووحدة التجمع الحركي لمواجهة الإسلام والمسلمين. والنصوص التي تقرِّر هذه الحقائق من الوضوح والجزم بحيث لا تحتاج منا إلى تعليق؛ وهذه نماذج منها:

- قال تعالى -: ﴿مَا يَودُ اللَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْـلِ الْكِئْبِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن
   دُينَزَّ لَ عَلَيْكُم مِّن خَيْرِ مِّن رَبِّكُمْ ﴿ [البقرة: ١٠٥].
- وقال تَعَالَى -: ﴿ وَدَ كَثِيرٌ مِن أَهْلِ ٱلْكِئْلِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِنْ بَعْدِ
   إيمنيكُمْ كُفَّارًا حَسكًا مِنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِنْ بَعْدِ مَا نَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقَّ

[البقرة: ١٠٩].

- وقالى تَعَالَى -: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَرَىٰ حَتَّى تَتَبِعَ مِلْتَهُمْ ﴾
   [البقرة: ١٢٠].
- وقال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ وَدَّت طَاآبِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ ﴾ [آل عمران: 19].
- وقال تَعَالَى -: ﴿ أَلَمْ نَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِئْنِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَلَةَ
   وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآبِكُمْ ﴾ [النساء: ٤٤، ٤٥].
- وقال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُونُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَبِ يُؤْمِنُونَ
   بِٱلْحِبْتِ وَٱلطَّلْغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَنَوُلاَءٍ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
   سَبِيلًا ﴿ ﴾ [النساء: ١٥].

وإذا نحن راجعنا الأهداف النهائية للمشركين تجاه الإسلام والمسلمين كما يقررها الله ـ سبحانه ـ في قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَانِلُونَكُمُ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ أُسۡـتَطَعُوا ﴾ [البقرة: ٢١٧].

﴿ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَ تَغَفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَحَدِدَةً ﴾ [النساء: ١٠٢].

﴿ إِن يَنْفَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعَدَآءً وَيَبْسُطُوٓا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَنَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوَ تَكْفُرُونَ ۞﴾ [الممتحنة: ٢].

﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً ﴾ [التوبة: ١٠].

إذا نحن راجعنا هذه التقريرات الربانية عن المشركين، وجدنا أن الأهداف النهائية لهم تجاه الإسلام والمسلمين هي بعينها ـ وتكاد تكون بألفاظها ـ هي الأهداف النهائية لأهل الكتاب تجاه الإسلام والمسلمين كذلك.. مما يجعل طبيعة موقفهم مع الإسلام والمسلمين هي ذاتها طبيعة موقف المشركين.

هذه التقريرات القرآنية الواردة في هؤلاء وهؤلاء ترد في صيغ نهائية تدل

بصياغتها على تقرير طبيعة دائمة.

فإذا نحن ألقينا نظرة سريعة على الواقع التاريخي لهذه العلاقات، متمثلة في مواقف أهل الكتاب من اليهود والنصارى من الإسلام وأهله، على مدار التاريخ، تبين لنا تمامًا ماذا تعنيه تلك النصوص والتقريرات الإلهية الصادقة، وتقرَّر لدينا أنها كانت تقرِّر طبيعة مطردة ثابتة.

تاريخ من العداء العنيد، والكيد الناصب، والحرب الدائبة التي لم تفتر على مدار التاريخ ضد المسلمين.

#### 🗖 كيد اليهود وحربهم للمسلمين:

فأما اليهود فقد تحدثت شتى سور القرآن عن مواقفهم وأفاعيلهم وكيدهم ومكرهم وحربهم؛ وقد وعى التاريخ من ذلك كله ما لم ينقطع لحظة واحدة منذ اليوم الأول الذي واجههم الإسلام في المدينة حتى اللحظة الحاضرة!

وسنشير هنا فقط إلى قليل من كثير من تلك الحرب المسعورة التي شنها اليهود على الإسلام وأهله على مدار التاريخ.

لقد استقبل اليهود رسول الله ﷺ ودينه في المدينة شر ما يستقبل أهل دين سماوي رسولًا يعرفون صدقه، ودينًا يعرفون أنه الحق.

استقبلوه بالدسائس والأكاذيب والشبهات والفتن، يلقونها في الصف المسلم في المدينة بكافة الطرق الملتوية الماكرة التي يتقنها اليهود.. شككوا في رسالة رسول الله على وهم يعرفونه، واحتضنوا المنافقين، وأمدُّوهم بالشبهات التي ينشرونها في الجو، وبالتُّهم والأكاذيب، وما فعلوه في حادث تحويل القبلة، وما فعلوه في حادث الإفك، وما فعلوه في كل مناسبة، ليس إلا نماذج من هذا الكيد اللئيم.. وفي مثل هذه الأفاعيل كان يتنزل القرآن الكريم، وسرو: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والحشر، والأحزاب، والتوبة، وغيرها تضمنت من هذا الكثير؛ قال ـ تعالى ـ:

- ﴿ وَلَمَّا جَآءَ هُمْ كِنَابٌ مِنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ بَسْنَفَيْحُوك عَلَى اللّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَا عَرَفُوا كَفَرُواْ بِيَّهِ فَلَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَنفِرِينَ شَيْ بِنْسَمَا اشْتَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكُفُرُواْ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ بَغْيًا أَن يُنزِلَ اللّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَآهُ مِنْ عِبَادِهِ فَي بَايَهُ وَبِعَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَنفِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ شَهِينٌ هَا [البقرة: ٨٥، ٩٠].
- ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِئنبَ كِتَنبَ اللّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ ﴾ [البقرة: ١٠١].
- ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّذَهُمْ عَن قِبْلَنِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا قُل لِلَهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَى صِرَطٍ مُسْتَقِيمٍ
   ﴿ البقرة: ١٤٢].
- ﴿ يَكَأَهْلَ ٱلْكِنَابِ لِمَ تَكَفُرُونَ بِاللّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿ يَكَاهَلَ اللّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿ يَكَاهُلُونَ اللّهِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿ يَكَاهُلُونَ ﴿ إِلَّهُ اللّهِ ﴿ [آل عمران: ٧٠، ٧١].
- ﴿ وَقَالَت ظَاآبِهَ أَهُ مِنْ أَهُلِ ٱلْكِتَابِ ءَامِنُواْ بِاللَّذِي أَنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ
   ٱلنَّهَادِ وَٱكْفُرُواْ ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۞ [آل عمران: ٧٧].
- ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَغُرِيقًا يَلُورُنَ أَلْسِنَهُم بِٱلْكِئْبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى مِنَ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى مِنَ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْلَهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ الْلَهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْلَهِ الْلَهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ اللهِ الْلَهِ الْلَهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ
- ﴿ قُلْ يَتَأَهْلَ ٱلْكِنْكِ لِمَ تَكُفُرُونَ بِعَايَكِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ۞ قُلْ يَتَأَهْلَ ٱلْكِنْكِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبَغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهُكَدَآءٌ وَمَا ٱللَّهُ بِغَفِلِ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۞ [آل عمران: ٩٨، ٩٩].
- ﴿ يَسْتَلُكَ أَهْلُ ٱلْكِئْكِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِنْنَا مِّنَ ٱلسَّمَآءُ فَقَدْ سَأَلُواْ مُومَىٰ

أَكَبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُوّا أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّنْعِقَةُ بِظُلْمِهِمَّ ثُمَّ ٱلْخَذُوا ٱلْمِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيْنَاتُ﴾ [النساء: ١٥٣].

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَيَأْبِ اللّهُ إِلّا أَن يُتِـمّ نُورَهُ وَلَوَ
 كَرِهُ الْكَفِرُونَ ﴿ إِلَيْهِ إِلَا التوبة: ٣٢].

كذلك شهد التاريخ نقض اليهود لعهودهم مرة بعد مرة، وتحرشهم بالمسلمين، مما أدى إلى وقائع بني قينقاع، وبني النضير، وبني قريظة، وخيبر. كما شهد تأليب اليهود للمشركين في الأحزاب، مما هو معروف مشهور.

ثم تابع اليهود كيدهم للإسلام وأهله منذ ذلك التاريخ؛ كانوا عناصر أساسية في إثارة الفتنة الكبرى التي قتل فيها الخليفة الراشد عثمان بن عفان في التجمع الإسلامي إلى حد كبير، وكانوا رأس الفتنة فيما وقع بعد ذلك بين علي في الحديث والسيرة وروايات التفسير، وكانوا من الممهدين لحملة الوضع في الحديث والسيرة وروايات التفسير، وكانوا من الممهدين لحملة التتار على بغداد وتقويض الخلافة الإسلامية.

فأما في التاريخ الحديث فهم وراء كل كارثة حلت بالمسلمين في كل مكان على وجه الأرض؛ وهم وراء كل محاولة لسحق طلائع البعث الإسلامي؛ وهم حماة كل وضع من الأوضاع التي تتولى هذه المحاولة في كل أرجاء العالم الإسلامي!

ذلك شأن اليهود.

 فأما شأن الفريق الآخر من أهل الكتاب، فهو لا يقل إصرارًا على العداوة والحرب من شأن اليهود!

لقد كانت بين الرومان والفرس عداوات عمرها قرون.. ولكن ما إن ظهر الإسلام في الجزيرة؛ وأحست الكنيسة بخطورة هذا الدين الحق على ما صنعته هي بأيديها وسمته «المسيحية» وهو ركام من الوثنيات القديمة، والأضاليل الكنسية،

متلبسًا ببقايا من كلمات المسيح التَّلَيْكُلُمْ وتاريخه (۱).. حتى رأينا الرومان والفرس ينسون ما بينهم من نزاعات تاريخية قديمة، وعداوات وثارات عميقة؛ ليواجهوا هذا الدين الجديد.

ولقد أخذ الروم يتجمعون في الشمال، هم وعمالهم من الغساسنة؛ ليَنْقَضُّوا على هذا الدين. وذلك بعد أن قتلوا الحارث بن عمير الأزدي رسول رسول الله على إلى عامل بصرى من قبل الروم - وكان المسلمون يؤمنون الرسل، ولكن النصارى غدروا برسول النبي على وقتلوه - مما جعل رسول الله على يبعث بجيش الأمراء الشهداء الثلاثة: زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبدالله بن رواحة في غزوة «مؤتة»، فوجدوا تجمعًا للروم تقول الروايات عنه: إنه مئة ألف من الروم ومعه من عملائهم في الشام من القبائل العربية النصرانية مئة ألف أخرى؛ وكان جيش المسلمين لا يتجاوز ثلاثة آلاف مقاتل، وكان ذلك في جمادى الأولى من السنة الثامنة للهجرة.

ثم كانت غزوة «تبوك» التي يدور عليها معظم هذه السورة ـ وسيجيء تفصيل القول فيها في موضعه إن شاء الله ـ تَعَالَى ـ، ثم كان جيش أسامة بن زيد الذي أعده رسول الله عَلَيْ قبيل وفاته، ثم أنقذه الخليفة الراشد أبو بكر صَحَيْتُه إلى أطراف الشام؛ لمواجهة تلك التجمعات الرومانية التي تستهدف القضاء على هذا الدين! ثم اشتعل مِرْجَلُ الحقد الصليبي منذ موقعة «اليرموك» الظافرة، التي أعقبها انطلاق الإسلام لتحرير المستعمرات الإمبراطورية الرومانية في الشام، ومصر، وشمال إفريقيا، وجزر البحر الأبيض، ثم بناء القاعدة الإسلامية الوطيدة في الأندلس في النهاية.

إن «الحروب الصليبية» ـ المعروفة بهذا الاسم في التاريخ ـ لم تكن هي وحدها

<sup>(</sup>١) راجع: فصل «الفصام النكد» في كتاب «المستقبل لهذا الدين»، «دار الشروق».

التي شنتها الكنيسة على الإسلام.

لقد كانت هذه الحروب مبكرة قبل هذا الموعد بكثير. لقد بدأت في الحقيقة منذ ذلك التاريخ البعيد منذ أن نسي الرومان عداواتهم مع الفرس، وأخذ النصارى يُعِينُون الفرس ضد الإسلام في جنوب الجزيرة، ثم بعد ذلك في «مؤتة»، ثم فيما تلا موقعة «اليرموك» الظافرة. ثم تجلت ضراوتها ووحشيتها في الأندلس عندما زحفت الصليبية على القاعدة الإسلامية في أوربة، وارتكبت من الوحشية في تعذيب ملايين المسلمين وقتلهم هناك ما لم يَعْرِف التاريخ له نظيرًا من قبل.

وكذلك تجلت في الحروب الصليبية في الشرق مثل هذه البشاعة التي لا تتحرج، ولا تتذمم؛ ولا تراعي في المسلمين إلَّا ولا ذمة.

ومما جاء في كتاب «حضارة العرب» لجوستاف لوبون ـ وهو فرنسي مسيحي .:
«كان أول ما بدأ به ريكاردوس الإنجليزي أنه قتل أمام معسكر المسلمين ثلاثة آلاف
أسير سلموا أنفسهم إليه، بعد أن قطع على نفسه العهد بحقن دمائهم. ثم أطلق
لنفسه العنان باقتراف القتل والسلب، مما أثار صلاح الدين الأيوبي النبيل، الذي
رحم نصارى القدس، فلم يمسهم بأذى، والذي أمد فيليب وقلب الأسد بالمرطبات
والأدوية والأزواد، أثناء مرضهما»(١).

كذلك كتب كاتب مسيحي آخر (اسمه يورجا)(٢) يقول: «ابتدأ الصليبيون سيرهم على بيت المقدس بأسوأ طالع، فكان فريق من الحجاج يسفكون الدماء في القصور التي استولوا عليها. وقد أسرفوا في القسوة فكانوا يبقرون البطون، ويبحثون عن الدنانير في الأمعاء!

أما صلاح الدين، فلما استرد بيت المقدس بذل الأمان للصليبيين، ووفى لهم بجميع عهوده، وجاد المسلمون على أعدائهم، ووطئوهم مهاد رأفتهم، حتى إن

<sup>(</sup>١)، (٢) نقلًا عن كتاب «الشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام»، للأستاذ علي علي منصور.

الملك العادل، شقيق السلطان، أطلق ألف رقيق من الأسرى، ومَنَّ على جميع الأرمن، وأُبِيح للأميرات والملكة زيارة أزواجهن».

ولا يتسع المجال - في الظلال - لاستعراض ذلك الخط الطويل للحروب الصليبية على مدار التاريخ، ولكن يكفي أن نقول: إن هذه الحرب لم تضع أوزارها قط من جانب الصليبية. ويكفي أن نذكر ماذا حدث في زنجبار حديثًا؛ حيث أبيد المسلمون فيها عن بكرة أبيهم، فقتل منهم اثنا عشر ألفًا، وألقي الأربعة الآلاف الباقون في البحر منفيين من الجزيرة. ويكفي أن نذكر ماذا وقع في قبرص؛ حيث منع الطعام والماء عن الجهات التي يقطنها بقايا المسلمين هناك؛ ليموتوا جوعًا وعطشًا، فوق ما سلط عليهم من التقتيل والتذبيح والتشريد. ويكفي أن نذكر ما تزاوله الحبشة في إريترية وفي قلب الحبشة، وما تزاوله كينيا مع المئة ألف مسلم الذين ينتمون إلى أصل صومالي، ويريدون أن ينضموا إلى قومهم المسلمين في الصومال. ويكفي أن نعلم ماذا تحاوله الصليبية في السودان الجنوبي!

ويكفي لتصوير نظرة الصليبين إلى الإسلام أن ننقل فقرة من كتاب لمؤلف أوربي صدر سنة ١٩٤٤م يقول فيه: «لقد كنا نخوَّف بشعوب مختلفة، ولكننا بعد اختبار له نجد مبررًا لمثل هذا الخوف. لقد كنا نخوَّف من قبل بالخطر اليهودي، والخطر الأصفر، وبالخطر البلشفي، إلا أن هذا التخويف كله لم يتفق كما تخيلناه. إننا وجدنا اليهود أصدقاء لنا، وعلى هذا يكون كل مضطهد لهم عدونا الألد! ثم رأينا أن البلاشفة حلفاء لنا. أما الشعوب الصفراء فهنالك دول ديمقراطية كبرى تقاومها. ولكن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام، وفي قوته على التوسع والإخضاع، وفي حيويته. إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوربي» (۱).

<sup>(</sup>١) من كتاب جورح براون نقلًا عن كتاب «التبشير والاستعمار في البلاد العربية»، للدكتور مصطفى خالدي، والدكتور عمر فروخ.

ولا نستطيع أن نمضي أبعد من ذلك في استعراض تاريخ تلك الحرب العاتية التي أعلنتها الصليبية على الإسلام وما تزال.. وقد تحدثنا من قبل مرارًا في أجزاء الظلال السابقة - بمناسبة النصوص القرآنية الكثيرة - عن طبيعة هذه المعركة، ومسائلها وأشكالها.

فحسبنا هذه الإشارات السريعة هنا بالإحالة على بعض المراجع الأخرى القريبة (١).

وهكذا نرى من هذا الاستعراض السريع - بالإضافة إلى ما قلناه من قبل عن طبيعة الإعلان الإسلامي العام بتحرير الإنسان، وتحفز الجاهلية في الأرض كلها لسحق الحركة الأخيرة الواردة في هذه السورة هي المقتضى الطبيعي لهذه الحقائق كلها مجتمعة؛ وأنها ليست أحكامًا محدودة بزمان، ولا مقيدة بحالة. وإن كان هذا في الوقت ذاته لا ينسخ الأحكام المرحلية السابقة النسخ الشرعي الذي يمنع العمل بها في الظروف والملابسات التي تشابه الظروف والملابسات التي تنزّلتُ فيها. فهناك دائمًا طبيعة المنهج الإسلامي الحركية، التي تواجه الواقع البشري مواجهة واقعية، بوسائل متجددة، في المراحل المتعددة (٢).

٣٠ قال - تَعَالَى -: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كَتَبِ
اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا آرْبَعَتُهُ حُرُمٌ ذَلِكَ اللِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا
تَظْلِمُواْ فِيهِنَ الْفُسَكُمُ وَقَلْلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَافَةً كَمَا يُقَلِلُونَكُمْ كَافَةً
وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ مَعَ المُنْقِينَ ﴿ وَالتوبة: ٣٦].

قال القرطبي في تفسيره (٢٩٧٥/٤): ﴿ وَفَيْتِلُوا ﴾ أمر بالقتال. و﴿ كَافَّةً ﴾

<sup>(</sup>١) راجع: كتاب «الاستعمار والتبشير»، للدكتور مصطفى خالدي والدكتور عمر فروخ، وكتاب «الغارة على العالم الإسلامي»، للأستاذين اليافي ومحب الدين الخطيب، وكتاب «الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر»، للدكتور محمد محمد حسين، وكتاب «هل نحن مسلمون»، لمحمد قطب، «دار الشروق».

<sup>(</sup>٢) الظلال (٣/٢٢٢، ١٦٢١).

معناه جميعًا، وهو مصدر في موضع الحال؛ أي: محيطين بهم ومجتمعين. لا يثنَّى ولا يجمع؛ مثل: عامَّة، وخاصَّة.

معنى هذه الآية الحضُّ على قتالهم، والتحرُّب عليهم، وجمع الكلمة».

وقال ابن كثير في تفسيره (١٩٨/٧): ﴿ وَقَائِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَافَّةً ﴾؛ أي: جميعهم. ﴿ وَٱعْلَمُواْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ أَنَّ أَلَّهُ مَعَ الْمُثَّقِينَ ﴾ . أَلُمُنَّقِينَ ﴾ . أَلُمُنَّقِينَ ﴾ .

وقد اختلف العلماء في تحريم ابتداء القتال في الشهر الحرام هل هو منسوخ أو محكم؟ على قولين:

أحدهما: وهو الأشهر أنه منسوخ؛ لأنه ـ تَعَالَى ـ قال هاهنا: ﴿ فَلَا تَظَلِمُوا فِيهِنَّ أَمُوا عَامًا، وَلَفُسَكُمُ ﴿ وَأَمَر بِقِتَالِ المُشْرِكِين، وظاهر السياق مُشْعِر بأنه أمر بذلك أمرًا عامًا، فلو كان محرمًا في الشهر الحرام لأوشك أن يقيده بانسلاخها، ولأن رسول اللّه عاصر أهل «الطائف» في شهر حرام وهو ذو القعدة، كما ثبت في الصحيحين أنه خرج إلى «هوازن» في شوال، فلما كسرهم، واستفاء أموالهم، ورجع فَلُهم، فلجئوا إلى «الطائف» ـ عمد إلى «الطائف» فحاصرهم أربعين يومًا، وانصرف ولم يفتحها. فثبت أنه حاصر في الشهر الحرام.

والقول الآخر: أن ابتداء القتال في الشهر الحرام حرام، وأنه لم ينسخ تحريم الشهر الحرام؛ لقوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿ يَمَا أَيُّهَا اللَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَجَلُّواْ شَعَنَيِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الحَرَامِ ﴾ [المائدة: ٢]، وقال: ﴿ الفَّهُرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ ﴾ [المائدة: ٢]، وقال: ﴿ الفَّهُرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمُنَ قِصَاصُ فَمَنِ الْحَرَامِ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ [البقرة: ١٩٤] الآية، وقال: ﴿ فَإِذَا اللَّهِ مَا اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللللّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُو

وأما قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿ وَقَائِلُوا ٱلْمُشْرِكَيِّنَ كَاّفَّةً كَمَا يُقَائِلُونَكُمُ كَافَّةً ﴾ فيحتمل أنه منقطع عما قبله، وأنه حكم مستأنف، ويكون من باب التهييج والتحضيض؛ أي: كما يجتمعون لحربكم إذا حاربوكم، فاجتمعوا أنتم أيضًا لهم

وله نظائر كثيرة. والله أعلم».

إذا حاربتموهم، وقاتلوهم بنظير ما يفعلون. ويحتمل أنه أذن للمؤمنين بقتال المشركين في الشهر الحرام إذا كانت البداءة منهم، كما قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ الشَّهُرُ الْحَرَامُ الْمُرَامُ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامُ وَالْحَرَامُ وَالْحَرامُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْحَرَامُ وَالْحَرامُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالِمُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالِمُ الللَّهُ الللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالِمُ اللَّهُ اللللَّاللَّال

إلى أن دخل الشهر الحرام، فإنه من تتمة قتال هوازن واحلافها من ثقيف، فإنهم هم الذين ابتدءوا القتال، وجمعوا الرجال، ودعوا إلى الحرب والنزال، فعندها قصدهم رسول الله عَلَى كما تقدَّم ـ فلما تحصَّنوا بالطائف ذهب إليهم؛ لينزلهم من حصونهم، فنالوا من المسلمين وقتلوا جماعة، واستمر الحصار ـ بالمجانيق وغيرها ـ قريبًا من أربعين يومًا، وكان ابتداؤه في شهر حلال، ودخل الشهر الحرام فاستمرَّ فيه أيامًا، ثم قفل عنهم؛ لأنه يغتفر في الدوام ما لا يغتفر في الابتداء. وهذا أمر مقرر

قال الأستاذ سيد قطب: ﴿ وَقَائِلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَةً كَمَا يُقَائِلُونَكُمْ كَافَّةً ﴿ قَالُونَكُمْ حَمِيعًا لا كَانَةً ﴾: قاتلوهم جميعًا بلا استثناء أحد منهم ولا جماعة، فهم يقاتلونكم جميعًا لا يستثنون منكم أحدًا، ولا يبقون منكم على جماعة.

والمعركة في حقيقتها إنما هي معركة بين الشرك والتوحيد، وبين الكفر والإيمان، وبين الهدى والضلال. معركة بين معسكرين متميزين، لا يمكن أن يقوم بينهما سلام دائم، ولا أن يتم بينهما اتفاق كامل؛ لأن الخلاف بينهما ليس عرضيًا ولا جزئيًّا. ليس خلافًا على مصالح يمكن التوفيق بينها، ولا على حدود يمكن أن يعاد تخطيطها.

وإن الأمة المسلمة لتخدع عن حقيقة المعركة بينها وبين المشركين ـ وثنيين وأهل كتاب ـ إذا هي فهمت أو أفهمت أنها معركة اقتصادية، أو معركة قومية، أو معركة وطنية، أو معركة العقيدة، والمنهج

الذي ينبثق من هذه العقيدة؛ أي: الدين. وهذه لا تجدي فيها أنصاف الحلول، ولا تعالجها الاتفاقات والمناورات، ولا علاج لها إلا الجهاد والكفاح؛ الجهاد الشامل، والكفاح الكامل. سنة الله التي لا تتخلف، وناموسه الذي تقوم عليه السماوات والأرض، وتقوم عليه العقائد والأديان، وتقوم عليه الضمائر والقلوب. في كتاب الله يوم خلق الله السماوات والأرض.

﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ ٱلْمُنَّقِينَ ﴾.

فالنصر للمتقين الذين يتقون أن ينتهكوا حرمات الله، وأن يحلوا ما حرم الله، وأن يحلوا ما حرم الله، وأن يحرفوا نواميس الله. فلا يقعد المسلمون عن جهاد المشركين كافة، ولا يتخوفوا من الجهاد الشامل؛ فهو جهاد في سبيل الله يقفون فيه عند حدوده وآدابه، ويتوجهون به إلى الله يراقبونه في السر والعلانية. فلهم النصر؛ لأن الله معهم، ومن كان الله معه فهو المنصور بلا جدال» (١).

٣٢ قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ اَنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَ اللَّهِ وَجَهِدُواْ بِأَمُولِكُمْ وَاَنفُسِكُمُ فِي
 سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَلِكُمُ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُرٌ تَعْلَمُونَ ﴿ إِلَّهُ وَالتَّوْبَةُ: ٤١].

قال الحافظ ابن كثير: «أمر الله ـ تَعَالَى ـ بالنفير العام مع الرسول على عام غزوة «تبوك»؛ لقتال أعداء الله من الروم الكفرة من أهل الكتاب، وحتَّم على المؤمنين في الحزوج معه على كل حال، في المنشط والمكره، والعسر واليسر، فقال: ﴿أَنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾؛ عن أبي طلحة: كهولًا وشبانًا، ما أسمعُ اللهَ عَذَرَ أحدًا، ثم خرج إلى الشام فقاتل حتى قُتِل.

وفي رواية: قرأ أبو طلحة سورة براءة، فأتى على هذه الآية: ﴿ آنفِرُواْ خِفَافًا وَثِيْكَ اللَّهِ اللَّهُ اللّ

<sup>(</sup>۱) الظلال (۱/۲۰۲۱، ۱۵۲۲).

الله على حتى مات، ومع أبي بكر حتى مات، ومع عمر حتى مات، فنحن نغزو عنك، فأبى، فركب البحر فمات، فلم يجدوا له جزيرة يدفنوه بها إلا بعد تسعة أيام، فلم يتغيّر، فدفنوه بها.

وهكذا روي عن ابن عباس، وعكرمة، وأبي صالح، والحسن البصري، وشمر بن عطية، والشعبي، وزيد بن أسلم أنهم قالوا في تفسير هذه الآية ﴿ أَنفِرُواْ خِفَافًا وَثِهَا لَا كَهُولًا وشبانًا، وكذا قال عكرمة، والضحاك، وغير واحد.

وقال مجاهد: شبانًا وشيوخًا، وأغنياء ومساكين، وكذا قال أبو صالح و غيره. وقال الحكم بن عتبة: مشاغيل وغير مشاغيل.

وقال العوفي عن ابن عباس في قوله ـ تَعَالَى ـ ﴿ آنفِـرُواْ خِفَافًا وَثِقَـالَا ﴾ يقول: انفروا نُشَّاطًا وغير نُشَّاطٍ، وكذا قال قتادة.

عن مجاهد: ﴿ أَنفِرُوا خِفَافًا وَثِقَ الآ﴾؛ قالوا: فإن فينا الثقيل، وذا الحاجة، والضيعة، والشغل، والمتيسر به أمره، فأنزل الله وأبي أن يعذرهم ـ دون أن ينفروا ـ: ﴿ خِفَافًا وَثِقَ اللَّهِ ؟ أي: على ما كان منهم.

وقال الحسن بن أبي الحسن البصري ـ أيضًا ـ: في العسر واليسر، وهذا كله من مقتضيات العموم [في الآية]، وهذا اختيار ابن جرير.

وقال الإمام أبو عمرو الأوزاعي: إذا كان النفير إلى دروب الروم نفر الناس اليها؛ خفافًا وركبانًا، وإذا كان النفير إلى هذه السواحل نفروا إليها خفافًا وثقالًا، وركبانًا ومشاةً، وهذا تفصيل في المسألة.

وقال ابن جرير (١): عن أيوب عن محمد قال: شهد أبو أيوب مع رسول الله ﷺ بدرًا، ثم لم يتخلّف عن غزاة للمسلمين إلا عامًا واحدًا، قال: وكان أبو أيوب يقول: قال الله ـ تَعَالَى ـ: ﴿ اَنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ فلا أجدني إلا خفيفًا أو

<sup>(</sup>١) تفسير الطبري (٢٦٧/١٤) رقم (١٦٧٥٤).

ئقيلًا.

وعن أبي راشد الحبراني قال: وافيت المقداد بن الأسود فارس رسول الله على السلام عنها من عظمه ـ يريد جالسًا على تابوت من توابيت الصيارفة بحمص، وقد فضل عنها من عظمه ـ يريد الغزو، فقلت له: قد أعذر الله إليك. فقال: أتت علينا سورة البحوث (١) ﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَ لَا ﴾.

وعن حبان بن زيد الشرعبي قال: نفرنا مع صفوان بن عمرو، وكان واليًا على حمص، قبل الأفسوس<sup>(۲)</sup> إلى الجراجمة<sup>(۳)</sup> فلقيت شيخًا كبيرًا هِمَّا<sup>(٤)</sup> قد سقط حاجباه على عينيه، من أهل دمشق على راحلته فيمن أغار، فأقبلت إليه فقلت: يا عم، لقد أعذر اللَّه إليك. قال: فرفع حاجبيه فقال: يا ابن أخي، استنفرنا اللهُ خفافًا وثقالًا، إنه من يحبه اللَّه يَبْتلِه، ثم يعيده اللَّه فيُبقيه، وإنما يبتلي اللَّه من عباده من شكر وصبر وذكر ولم يعبد إلا اللَّه عَبَيْلٌ.

ثم رغّب ـ تَعَالَى ـ في النفقة في سبيله، وبذل المهج في مرضاته ومرضاة رسوله، فقال: ﴿ وَجَنِهِدُوا ۚ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُمْ فقال: ﴿ وَجَنِهِدُوا فِي النفقة تَعْلَمُونَ ﴾؛ أي: هذا خير لكم في الدنيا والآخرة؛ لأنكم تعزمون في النفقة قليلًا، فيغنمكم اللّه أموال عدوكم في الدنيا، مع ما يدخر لكم من الكرامة في الآخرة (٥٠).

انفروا في كل حال، وجاهدوا بالنفوس والأموال، ولا تتلمسوا الحجج والمعاذير، ولا تخضعوا للعوائق والتَّعِلَّات ﴿ ذَالِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كَنْتُمْ

 <sup>(</sup>١) وفي رواية: سورة البعوث. يعني: سورة التوبة؛ سميت بها لما تضمنت عليه من البحث في أسرار المنافقين، وهو إثارتها والتفتيش عنها. تفسير الطبري (٢٦٨/١٤) رقم (١٦٧٥٦).

<sup>(</sup>٢) الأفسوس: بلدة بتغور طرسوس بالشام. ويقال: إنها بلدة أصحاب الكهف.

<sup>(</sup>٣) الجراجمة: قوم من العجم بالجزيرة أو نبط الشام.

<sup>(</sup>٤) هِمَّا؛ أي: فانيًا.

<sup>(</sup>٥) تفسير ابن کثير (٢٠٦/٧ ـ ٢٠٩).

تَعْمَمُونَ ﴾، وأدرك المؤمنون المخلصون هذا الخير، فنفروا والعوائق في طريقهم، والأعذار حاضرة لو أرادوا التمسك بالأعذار، ففتح الله عليهم القلوب والأرضين، وأعزَّ بهم كلمة الله، وأعزَّهم بكلمة الله، وحقق على أيديهم ما يُعدُّ خارقة في تاريخ الفتوح.

وبمثل هذا الجد في أخذ كلمات الله انطلق الإسلام في الأرض، يُخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وتمت تلك الخارقة في تلك الفتوح الفريدة (١٠).

قال القرطبي: «اخْتُلِف في هذه الآية؛ فقيل: إنها منسوخة بقوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿ لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَآءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ [التوبة: ٩١]، وقيل: الناسخ لها قوله: ﴿ فَلُولًا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةِ مِّنْهُمُ طَآبِفَةٌ ﴾ [التوبة: ٢٢]. والصحيح أنها ليست بمنسوخة.

ولقد قال ابن أم مكتوم رضي واسمه عمرو ـ يوم «أحد»: أنا رجل أعمى، فسلِّموا لي اللواء؛ فإنه إذا انهزم حامل اللواء انهزم الجيش، وأنا ما أدري من يقصدني بسيفه فما أبرح.

قلنا: إن النسخ لا يصح. وقد تكون حالة يجب فيها نفير الكل، وهي: وذلك إذا تعين الجهاد بغلبة العدو على قطر من الأقطار، أو بحلوله بالعُقْر، فإذا كان ذلك وجب على جميع أهل تلك الدار أن ينفروا ويخرجوا إليه؛ خفافًا وثقالًا، شبابًا وشيوخًا، كل على قدر طاقته، من كان له أب بغير إذنه، ومن لا أب له، ولا يتخلّف أحد يقدر على الخروج، من مقاتل أو مكثر. فإن عجز أهل تلك البلدة عن القيام بعدو هم كان على من قاربهم وجاورهم أن يخرجوا على حسب ما لزم أهل تلك البلدة، حتى يعلموا أن بهم طاقة على القيام بهم ومدافعتهم. وكذلك كل من

<sup>(</sup>١) انظر: الظلال (١٦٥٧/٣).

علم بضعفهم عن عدوِّهم وعلم أنه يدركهم ويمكنه غياثهم لزم . أيضًا ـ الخروج إليهم؛ فالمسلمون كلهم يد على من سواهم؛ حتى إذا قام بدفع العدوِّ أهل الناحية التي نزل العدو عليها واحتلَّ بها، سقط الفرض عن الآخرين. ولو قارب العدو دار الإسلام ولم يدخلوها؛ لزم ـ أيضًا ـ الخروج إليه، حتى يظهر دين الله، وتحمى البيضة، وتُحفظ الحوزة، ويُخزى العدو، ولا خلاف في هذا.

وقسم ثان من واجب الجهاد: فرض - أيضًا - على الإمام إغزاء طائفة إلى العدو كل سنة مرَّة، يخرج معهم بنفسه، أو يخرج من يثق به؛ ليدعوهم إلى الإسلام ويرغبهم، ويكف أذاهم، ويظهر دين اللَّه عليهم، حتى يدخلوا في الإسلام، أو يُعطوا الجزية عن يد.

ومن الجهاد ـ أيضًا ـ ما هو نافلة، وهو إخراج الإمام طائفة بعد طائفة، وبعث السرايا في أوقات الغِرَّة وعند إمكان الفرصة، والإرصاد لهم بالرباط في موضع الحوف، وإظهار القوة. فإن قيل: كيف يصنع الواحد إذا قصَّر الجميع؟

قيل له: يعمد إلى أسير واحد فيفديه؛ فإنه إذا فدى الواحد فقد أدَّى في الواحد أكثر مما كان يلزمه في الجماعة، فإن الأغنياء لو اقتسموا فداء الأسرى ما أدَّى كل واحد منهم إلا أقلَّ من درهم، ويغزو بنفسه إن قدر، وإلا جهز غازيًا؛ قال ﷺ: «من جهز غازيًا فقد غزا، ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا»؛ وذلك لأن مكانه لا يغنى، وماله لا يكفى.

روي أن بعض الملوك عاهد كفارًا على ألا يحبسوا أسيرًا، فدخل رجل من المسلمين جهة بلادهم فمرَّ على بيت مغلق، فنادته امرأة إني أسيرة فأبلغ صاحبك خبري، فلما اجتمع به واستطعمه عنده تجاذبًا ذيل الحديث، انتهى الخبر إلى هذه المعذَّبة، فما أكمل حديثه حتى قام الأمير على قدميه وخرج غازيًا من فوره، ومشى إلى الثغر حتى أخرج الأسيرة واستولى على الموضع، رفي المن العربي وقال: «ولقد نزل بنا العدو ـ قصمه الله ـ سنة سبع وعشرين وخمس مئة، فجاس ديارنا،

وأسر خيرتنا، وتوسط بلادنا في عدد هال الناس عدده، وكان كثيرًا وإن لم يبلغ ما حدَّدوه. فقلت للوالي والمولى عليه: هذا عدوُّ اللَّه قد حصل في الشَّرَك والشبكة، فلتكن عندكم بركة، ولتظهر منكم إلى نصرة الدين المتعينة عليكم حركة، فليخرج إليه جميع الناس حتى لا يبقى منهم أحد في جميع الأقطار فيُحاط به، فإنه هالك لا محالة إن يسَركم اللَّه له، فغلبت الذنوب ورجفت القلوب بالمعاصي، وصار كل أحد من الناس ثعلبًا يأوي إلى وجاره وإن رأى المكيدة بجاره. فإنا لله وإنا إليه راجعون، وحسبنا اللَّه ونعم الوكيل».

﴿ وَجَهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُيكُمْ ﴾ روى أبو داود عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم» وهذا وصف لأكمل ما يكون من الجهاد وأنفعه عند الله ـ تَعَالَى ـ. فحضٌ على كمال الأوصاف، وقدَّم الأموال في الذكر إذْ هي أول مصرف وقت التجهيز، فرتَّب الأمر كما هو»(١).

٣٣ قال ـ تعَالَى ـ: ﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَافِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَلِهُمْ جَهَنَدُ وَيِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿ اللَّهِ اللَّهُ اللّ

«أمر ـ تَعَالَى ـ رسوله ﷺ بجهاد الكفار والمنافقين، والغلظة عليهم، كما أمره أن يخفض جناحه لمن اتبعه من المؤمنين.

وقد تقدم قول علي بن أبي طالب رَهِينَهُ: بُعِثَ رسول اللَّه ﷺ بأربعة أسياف: ... وسيف للمنافقين: ﴿ جَهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَافِقِينَ ﴾ .

وهذا يقتضي أنهم يُجاهَدُون بالسيوف إذا أظهروا النفاق، وهو اختيار ابن جرير.

وقال ابن مسعود ﷺ في قوله: ﴿جَهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَافِقِينَ﴾؛ قال: بيده، فإن لم يستطع فليكفهر في وجهه.

<sup>(</sup>١) تفسير القرطبي (٩/٩٨٠ - ٢٩٩٢).

وقال ابن عباس: أمره الله ـ تَعَالَى ـ بجهاد الكفار بالسيف، والمنافقين باللسان، وأذهب الرفق عنهم.

وقال الضَّحاك: جَاهِد الكَفَّار بالسيف، واغلظ على المنافقين بالكلام وهو مجاهدتهم؛ وعن الربيع مثله.

وقال الحسن وقتادة: مجاهدتهم إقامة الحدود عليهم.

وقد يقال: إنه لا منافاة بين هذه الأقوال؛ لأنه تارة يؤاخذهم بهذا، وتارة بهذا، بحسب الأحوال. والله أعلم» (١).

قال القرطبي: «قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَفِقِينَ﴾ الخطاب للنبي ﷺ وتدخل فيه أمته من بعده.

قيل: المراد جاهد بالمؤمنين الكفار. وقال الحسن: جاهد المنافقين بإقامة الحدود عليهم، وباللسان واختاره قتادة، وكانوا أكثر من يصيب الحدود. ابن العربي: «أما إقامة الحجة باللسان فكانت دائمة، وأما بالحدود؛ لأن أكثر إصابة الحدود، وكانت عندهم، فدعوى لا برهان عليها، وليس العاصي بمنافق، إنما المنافق بما يكون في قلبه من النفاق كامنًا، لا بما تتلبّس به الجوارح ظاهرًا، وأخبار المحدودين يشهد سياقها أنهم لم يكونوا منافقين.

وقوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿ وَٱغُلُظُ عَلَيْهِمْ ﴾ الغِلظ: نقيض الرَّافة، وهي شدة القلب على إحلال الأمر بصاحبه. وليس ذلك في اللسان.

ومعنى الغلظ خشونة الجانب، فهي ضد قوله ـ تَعَالَى ـ:

﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱلنَّعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ ﴾ [الشعراء: ٢١٥]. ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ﴾ [الإسراء: ٢٤].

<sup>(</sup>١) تفسير ابن كثير (٢٣٧/٧).

وهذه الآية نسخت كل شيء من العفو والصلح والصفح "، فرحم الله رجلًا جاهد المنافقين في هذا الزمان (وهم الزنادقة الذين يطعنون في ثوابت الإسلام بعلم منهم بها)، رحم الله من جاهدهم جهادًا عنيفًا غليظًا لا رحمة فيه ولا هوادة، وعرَّاهم وأبطل شبههم، وكشف خبيئاتهم للنظار.

٣٤ قال . تعالَى .: ﴿ يَتَأَيُّهُا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا قَلِيلُوا ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكَفَّادِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعۡلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُنَّقِينَ ﴿ التوبة: التوبة: 1٢٣].

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: (٣١٩ - ٣١٩): «أمر الله ـ تَعَالَى ـ المؤمنين أن يقاتلوا الكفار أولًا فأولًا، الأقرب فالأقرب إلى حوزة الإسلام، ولهذا بدأ رسول الله على بقتال المشركين في جزيرة العرب، فلما فرغ منهم، وفتح الله عليه مكة، والمدينة، والطائف واليمن، واليمامة، وهجر، وخيبر، وحضرموت، وغير ذلك من أقاليم جزيرة العرب، ودخل الناس من سائر أحياء العرب في دين الله أفواجًا، شرع في قتال أهل الكتاب، فتجهّز لغزو الروم الذين هم أقرب الناس إلى جزيرة العرب، وأولى الناس بالدعوة إلى الإسلام؛ لكونهم أهل الكتاب، فبلغ جزيرة العرب، وأولى الناس بالدعوة إلى الإسلام؛ لكونهم أهل الكتاب، فبلغ «تبوك» ثم رجع؛ لأجل جهد الناس، وجدب البلاد، وضيق الحال، وكان ذلك سنة تسع من هجرته على .

ثم اشتغل في السنة العاشرة بحجته حجة الوداع، ثم عاجلته المنية، صلوات الله وسلامه عليه، بعد حجته بأحد وثمانين يومًا، فاختاره الله لما عنده.

وقام بالأمر بعده وزيره وصديقه وخليفته أبو بكر الصديق ﷺ، وقد مال الدين ميلة كاد أن ينجفل (٢) فثبته الله ـ تَعَالَى ـ به، فوطد القواعد، وثبت الدعائم، وردً

<sup>(</sup>١) تفسير القرطبي (٣٠٤٣، ٣٠٤٤).

<sup>(</sup>٢) انجفل ـ جفله؛ بمعنى: جرفه وأبعده.

شارد الدين وهو راغم، وردَّ أهل الردة إلى الإسلام، وأخذ الزكاة ممن منعها من الطغام، وبينَّ الجهل لمن جهله، وأدَّى عن الرسول ما حمله، ثم شرع في تجهيز الجيوش الإسلامية إلى الروم عبدةِ الصلبان، وإلى الفرس عبدةِ النيران، ففتح اللَّه ببركة سفارته البلاد، وأرغم أنف كسرى وقيصر ومن أطاعهما من العباد، وأنفق كنوزهما في سبيل الله، كما أخبر بذلك رسول الإله.

وكان تمام الأمر على يدي وصيّة من بعده، ووليّ عهده الفاروق الأوّاب، شهيد المحراب، أبي حفص عمر بن الخطاب رضي فأرغم الله به أنوف الكفرة الملحدين، وقمع الطغاة والمنافقين، واستولى على الممالك، شرقًا وغربًا، وحُمِلت إليه خزائن الأموال من سائر الأقاليم، بُعدًا وقربًا، ففرّقها على الوجه الشرعي، والسبيل المرضى.

«قال قتادة: الآية على العموم في قتال الأقرب فالأقرب، والأدنى فالأدنى. قلت ـ أي القرطبي ـ: قول قتادة هو ظاهر الآية.

واختار ابن العربي أن يُبدأ بالروم قبل الدَّيلم؛ على ما قاله ابن عمر؛ لثلاثة أوجه: أحدها: أنهم أهل كتاب، فالحجة عليهم أكثر وآكد.

والثاني: أنهم إلينا أقرب، وأعني أهل المدينة.

الثالث: أن بلاد الأنبياء في بلادهم أكثر فاستنقاذها منهم أوجب. والله

أعلم»(``.

قوله - تَعَالَى -: ﴿ وَلْيَجِدُوا فِيكُمُ غِلْظَةً ﴾؛ أي: وليجد الكفار منكم غلظة عليهم في قتالكم لهم، فإن المؤمن الكامل هو الذي يكون رفيقًا لأخيه المؤمن، غليظًا على عدوه الكافر، كقوله - تَعَالَى -: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمِ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُونَهُ ۖ أَذِلَةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَةٍ عَلَى الْكَفْرِينَ ﴾ [المائدة: ٤٥]، وقوله - تَعَالَى -: ﴿ يُحَمِّدُ رَسُولُ اللّهَ وَالَّذِينَ مَعَهُ وَاللّهُ عَلَى الْكُفْارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُم ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال - تَعَالَى -: ﴿ يَتَأَيُّهُم النّبِي جَهِدِ الشّحَادُ وَالْمُنَفِقِينَ وَاعْلُظْ عَلَيْهِم ﴾ .

وفي الحديث أن رسول اللَّه ﷺ قال: «أنا الضحوك القتَّال»؛ يعني: أنه ضحوك في وجه وليَّه، قتال لهامة عدوه». اهـ من تِفسير ابن كثير.

قال القرطبي: ﴿ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾؛ أي: شدة وقوة وحَمية.

«قوله: ﴿وَٱعۡلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾؛ أي: قاتلوا الكفَّار، وتوكلوا على الله، واعلموا أن الله معكم إن اتقيتموه وأطعتموه.

وهكذا الأمر لما كانت القرون الثلاثة الذين هم خير هذه الأمة، في غاية الاستقامة والقيام بطاعة الله ـ تَعَالَى ـ لم يزالوا ظاهرين على عدوهم، ولم تزل الفتوحات كثيرة، ولم تزل الأعداء في سفال وخسار، ثم لما وقعت الفتن والأهواء والاختلافات بين الملوك، طمع الأعداء في أطراف البلاد، وتقدموا إليها، فلم يمانعوا لشغل الملوك بعضهم ببعض، ثم تقدَّموا إلى حوزة الإسلام فأخذوا من الأطراف بلدانًا كثيرة، ثم لم يزالوا حتى استحوذوا على كثير من بلاد الإسلام، ولله سبحانه ـ الأمر من قبل ومن بعد!! فكلما قام ملك من ملوك الإسلام، وأطاع أوامر الله وتوكل على الله، فتح الله عليه من البلاد، واسترجع من الأعداء بحسبه وبقدر ما فيه من ولاية الله، والله المسئول المأمول أن يمكنَّ المسلمين من نواصي أعدائه

<sup>(</sup>١) تفسير القرطبي (٣١٣٦/٥).

الكافرين، وأن يُعليَ كلمتهم في سائر الأقاليم، إنه جواد كريم، (١).

### وقفة مهمة مع الآية:

﴿ يَاأَيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَائِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ ﴾.

سارت الفتوح الإسلامية، تواجه من يلون «دار الإسلام» ويجاورونها، مرحلة فمرحلة. فلما أسلمت الجزيرة العربية ـ أو كادت ولم تبق إلا فلول منعزلة لا تؤلف قوة يُخشَى منها على دار الإسلام بعد فتح مكة ـ كانت غزوة «تبوك» على أطراف بلاد الروم. ثم كان انسياح الجيوش الإسلامية في بلاد الروم وفي بلاد فارس، فلم يتركوا وراءهم جيوبًا؛ ووحدت الرقعة الإسلامية، ووصلت حدودها، فإذا هي كتلة ضخمة شاسعة الأرجاء، متماسكة الأطراف؛ ثم لم يأتها الوهن فيما بعد إلا من تمزقها، وإقامة الحدود المصطنعة فيما بينها على أساس البيوت، أو على أساس القوميات! وهي خطة عمل أعداء هذا الدين على التمكين لها جهد طاقتهم، وما يزالون يعملون.

وستظل هذه الشعوب التي جعل منها الإسلام «أمة واحدة» في «دار الإسلام» المتصلة الحدود ـ وراء فواصل الأجناس واللغات والأنساب والألوان ـ ستظل ضعيفة مهيضة إلا أن تثوب إلى دينها، وإلى رايته الواحدة؛ وإلا أن تتبع خطى رسول الله عليه على أسرار القيادة الربانية التي كفلت لها النصر والعز والتمكين.

ونقف مرة أخرى أمام قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَنْلِلُواْ ٱلَّذِينَ عَلَمُواْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُنَّقِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْمُنَّقِينَ الْمُنَّقِينَ الْمُنَّقِينَ الْمُنَّقِينَ اللَّهُ مَعَ ٱلْمُنَّقِينَ ﴾.

فنجد أمرًا بقتال الذين يلون المسلمين من الكفار. لا يذكر فيه أن يكونوا معتدين على المسلمين، ولا على ديارهم. وندرك أن هذا هو الأمر الأخير، الذي

<sup>(</sup>۱) تفسير ابن كثير (۲۱/۷).

يجعل «الانطلاق» بهذا الدين هو الأصل الذي ينبثق منه مبدأ الجهاد، وليس هو مجرد «الدفاع» كما كانت الأحكام المرحلية أول العهد بإقامة الدولة المسلمة في المدينة. ويريد بعض الذين يتحدثون اليوم عن العلاقات الدولية في الإسلام، وعن أحكام الجهاد في الإسلام، وبعض الذين يتعرضون لتفسير آيات الجهاد في القرآن أن يتلمسوا لهذا النص النهائي الأخير قيدًا من النصوص المرحلية السابقة؛ فيقيدوه بوقوع الاعتداء أو خوف الاعتداء! والنص القرآني بذاته مطلق، وهو النص الأخير! وقد عودنا البيان القرآني، عند إيراد الأحكام، أن يكون دقيقًا في كل موضع، وألا يحيل في موضع على موضع؛ بل يتخير اللفظ المحدد؛ ويسجل التحفظات والاستثناءات والقيود والتخصيصات في ذات النص. إن كان هناك تحفظ، أو استثناء، أو تقييد، أو تخصيص.

إن الذين يكتبون اليوم عن العلاقات الدولية في الإسلام، وعن أحكام الجهاد في الإسلام، والذين يتصدون لتفسير الآيات المتضمنة لهذه الأحكام، يتعاظمهم ويهولهم أن تكون هذه هي أحكام الإسلام، وأن يكون الله ـ سبحانه ـ قد أمر الذين آمنوا أن يقاتلوا الذين يلونهم من الكفار، وأن يظلوا يقاتلون من يلونهم من الكفار، كلما وجد هناك من يلونهم من الكفار!.. ويتعاظمهم ويهولهم أن يكون الأمر الإلهي هكذا، فيروحون يتلمسون القيود للنصوص المطلقة؛ ويجدون هذه القيود في النصوص المرحلية السابقة!

إننا نعرف لماذا يهولهم هذا الأمر ويتعاظمهم على هذا النحو.

إنهم ينسون أن الجهادَ في الإسلام جهادٌ في «سبيل الله»، جهادٌ لتقرير ألوهية الله في الأرض وطرد الطواغيت المغتصبة لسلطان الله، جهادٌ لتحرير «الإنسان» من العبودية لغير الله، ومن فتنته بالقوة عن الدينونة لله وحده، والانطلاق من العبودية للعباد.. ﴿حَتَّىٰ لاَ تَكُونَ فِتُنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُمُ لِللهِ عَلى مذهب بشري مثله، إنما هو جهاد لتغليب منهج جهادًا لتغليب مذهب بشري مثله، إنما هو جهاد لتغليب منهج

الله على مناهج العبيد! وليس جهادًا لتغليب سلطان قوم على سلطان قوم، إنما هو جهاد لتغليب سلطان الله على سلطان العبيد! وليس جهادًا لإقامة مملكة لعبد، إنما هو جهاد لإقامة مملكة الله في الأرض. ومن ثم ينبغي له أن ينطلق في «الأرض» كلها، لتحرير «الإنسان» كله، بلا تفرقة بين ما هو داخل في حدود الإسلام وبين ما هو خارج عنها، فكلها «أرض» يسكنها «الإنسان»، وكلها فيها طواغيت تُعَبِّدُ العباد!

وحين ينسون هذه الحقيقة يهولهم ـ طبعًا ـ أن ينطلق منهج ليكتسح كل المناهج، وأن تنطلق أمة لتخضع سائر الأمم .. إنها في هذا الوضع لا تستساغ! وهي فعلًا لا تستاغ! .. لولا أن الأمر ليس كذلك. وليس له شبيه فيما بين أنظمة البشر اليوم من إمكان التعايش! إنها كلها اليوم أنظمة بشرية. فليس لواحد منها أن يقول: إنه هو وحده صاحب الحق في البقاء! وليس الحال كذلك في نظام إلهي يواجه أنظمة بشرية؛ ليبطل هذه الأنظمة كلها ويدمرها كي يطلق البشر جميعًا من ذلة العبودية للعباد؛ ويرفع البشر جميعًا إلى كرامة العبودية لله وحده بلا شريك!

ثم إنه يهولهم الأمر ويتعاظمهم؛ لأنهم يواجهون هجومًا صليبًا منظمًا لئيمًا ماكرًا خبيثًا يقول لهم: إن العقيدة الإسلامية قد انتشرت بالسيف، وأن الجهاد كان لإكراه الآخرين على العقيدة الإسلامية؛ وانتهاك حرمة حرية الاعتقاد!

إن الإسلام يقوم على قاعدة: ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَبَيَّنَ الرُّشَدُ مِنَ الْغَيَّ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].. ولكن لماذا ينطلق إذن بالسيف مجاهدًا? ولماذا اشترى اللَّه من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴿ يُقَائِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقَنُلُونَ وَي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقَنُلُونَ وَيُقَائِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقَنُلُونَ وَيُقَائِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيقَنُلُونَ وَيُقَالُونَ فِي اللَّهِ اللَّهِ فَي اللَّهُ وَي اللَّهُ وَاللَّهُ وَي اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَي اللَّهُ وَي اللَّهُ وَي اللَّهُ وَي اللَّهُ وَي اللَّهُ وَي اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَي اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا الللَّهُ وَلَا الللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّ

دائمًا أنظمة تقوم على أساس دينونة العبيد للعبيد؛ كما تحول دونهم ودون اعتناق العقيدة إذا ارتضتها نفوسهم، أو تفتنهم عنها بشتى الوسائل. وفي هذا يتمثل انتهاك حرية الاعتقاد بأقبح أشكاله. وانطلق الإسلام بالسيف ليحطم الكفر.. إما الإسلام، وإما الجزية، وإما السيف.

إن لم يرضوا بالإسلام أو الجزية ـ فالسيف هو الحكم، وبعد السيف إما الإسلام وإما الجزية.

أين الإسلام من الصليبية التي انطلقت على مدار التاريخ تذبح وتبيد شعوبًا بأسرها؛ كشعب الأندلس قديمًا، وشعب زنجبار حديثًا؛ لتكرههم على التنصر، وأحيانًا لا تقبل منهم حتى التنصر، فتبيدهم لمجرد أنهم مسلمون. وأحيانًا لمجرد أنهم يدينون بمذهب نصراني مخالف لمذهب الكنيسة الرسمية.. وقد ذهب مثلًا اثنا عشر ألفًا من نصارى مصر ضحايا بصور بشعة؛ إذ أُحرقوا أحياءً على نار المشاعل لمجرد مخالفتهم لجزئية اعتقادية عن كنيسة روما.

وأخيرًا فإن صورة الانطلاق في الأرض لمواجهة من يلون المسلمين من الكفار تهول المهزومين روحيًّا في هذا الزمان وتتعاظمهم؛ لأنهم يبصرون بالواقع من حولهم وبتكاليف هذا الانطلاق فيهولهم الأمر.. وهو يهول فعلًا مسلمي اليوم البعيدين عن ربهم..

هل هؤلاء هم الله ينطلقون في الأرض يواجهون أمم الأرض جميعًا بالقتال، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله؟! إنه لأمر لا يتصور عقلًا.. ولا يمكن أن يكون هذا هو أمر الله فعلًا!

ولكن فات هؤلاء جميعًا أن يروا متى كان هذا الأمر؟ وفي أي ظرف؟ لقد كان بعد أن قامت للإسلام دولة تحكم بحكم الله؛ دانت لها الجزيرة العربية ودخلت في هذا الدين، ونظمت على أساسه. وقبل ذلك كله كانت هناك العصبة المسلمة التي باعت أنفسها لله بيعة صدق، فنصرها الله يومًا بعد يوم، وغزوة بعد

غزوة، ومرحلة بعد مرحلة<sup>(١)</sup>.

﴿ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾؛ أي: بلا هوادة، ولا تمثيع، ولا تراجع؛ حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله.

ولكنه ينبغي أن نعرف وأن يعرف الناس جميعًا أنها الغلظة على الذين من شأنهم أن يحاربوا وحدهم ـ وفي حدود الآداب العامة لهذا الدين ـ، وليست هي الغلظة المطلقة من كل قيد وأدب!

إنه قتال يسبقه إعلان، وتخيير بين: قبول الإسلام، أو أداء الجزية، أو القتال.. ويسبقه نبذ العهد إن كان هناك عهد ـ في حالة الخوف من الخيانة ـ «والأحكام النهائية تجعل العهد لأهل الذمة الذين يقبلون مسالمة الإسلام وأداء الجزية؛ ولا عهد في غير هذه الحالة إلا أن يكون بالمسلمين ضعف يجعل الحكم المتعين في حالتهم هذه هو الحكم المرحلي الذي كان في حالة تشبه الحالة التي هم فيها».

## • وهذه آداب المعركة كلها، من وصية رسول الله ﷺ:

«عن بريدة على جيش قال: كان رسول الله على إذا أَمَّرَ الأمير على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ـ تَعَالَى ـ ومن معه من المسلمين خيرًا، ثم قال: اغزوا باسم الله، وفي سبيل الله. وقاتلوا من كفر بالله. اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثّلوا، ولا تقتلوا وليدًا. فإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خلال، فإن أجابوك فاقبل منهم فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ادعهم إلى الإسلام. فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما عليهم، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله ـ تَعَالَى ـ الذي يجري عليه شيء، إلا أن يجاهدوا مع يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم من الغنيمة والفيء شيء، إلا أن يجاهدوا مع يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم من الغنيمة والفيء شيء، إلا أن يجاهدوا مع

<sup>(</sup>١) الظلال (١٧٣٦ ـ ١٧٣٩) باختصار وتنقيح.

المسلمين. وإن هم أبوا فسلهم الجزية. فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم. فإن أبوا فاستعن باللَّه ـ تَعَالَى ـ عليهم وقاتلهم...»(١).

وعن ابن عمر ﷺ قال: وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي رسول الله ﷺ فنهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان (٢٠).

«ونهى النبي ﷺ عن المُثْلَة»(٣).

وقال رسول اللَّه ﷺ: «ما بال أقوام جاوز بهم القتل اليوم حتى قتلوا الذُّرِية؟ ألا إن خياركم أبناء المشركين، ألا لا تقتلوا ذرية.. ألا لا تقتلوا ذرية، كل نسمة تولد على الفطرة، فما يزال عليها حتى يُعرب<sup>(1)</sup> عنها لسان، فأبواها يهوِّدانها، أو ينصِّرانها»<sup>(°)</sup>.

## • هذه التعليمات النبوية هي التي سار عليها الخلفاء بعده:

روى مالك عن أبي بكر الصديق صَيَّة أنه قال: «ستجدون قومًا زعموا أنهم حبسوا أنفسهم له، ولا تَقْتُلُنَّ امرأة ولا صبيًّا ولا كبيرًا هرمًا».

وقال زيد بن وهب: أتانا كتاب عمر ﷺ وفيه: «لا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تقتلوا وليدًا، واتقوا الله في الفلاحين».

ومن وصاياه: «ولا تقتلوا هرمًا ولا امرأة ولا وليدًا، وتوقوا قتلهم إذا التقى

<sup>(</sup>١) أخرجه أحمد، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه.

<sup>(</sup>٢) أخرجه البخاري ومسلم.

<sup>(</sup>٣) صحيح: أخرجه الحاكم عن عمران، والطبراني في «الكبير» عن ابن عمر وعن المعيرة، وَصَحَّحَهُ الأَلِباني في «الإرواء» (٢٢٣٠)، و«صحيح الجامع» (٦٨٩٩).

<sup>(</sup>٤) ئِعْرِتُ: يوضح.

<sup>(°)</sup> صحيح: أخرجه أحمد، والنسائي، وابن حبان، والحاكم في «المستدرك» عن الأسود بن سريع، وصَحَّحَهُ الألباني في «الصحيحة» رقم (٤٠١)، و«الإرواء» (١٢٢٠)، و«صحيح الجامع» رقم (٥٧١).

الزحفان، وعند شن الغارات».

وهكذا تتواتر الأخبار بالخط العام الواضح لمستوى المنهج الإسلامي في قتاله لأعدائه، وفي آدابه الرفيعة، وفي الرعاية لكرامة الإنسان. وفي قصر القتال على القوى المادية التي تحول بين الناس وبين أن يخرجوا من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده. وفي اليسر الذي يعامل به حتى أعداءه.

أما الغلظة فهي الخشونة في القتال والشدة؛ وليست هي الوحشية مع الأطفال والنساء والشيوخ والعجزة، غير المحاربين أصلًا؛ وليست تمثيلًا بالجثث والأشلاء على طريقة المتبربرين الذين يسمون أنفسهم متحضرين في هذا الزمان. وقد تضمن الإسلام ما فيه الكفاية من الأوامر لحماية غير المحاربين، ولاحترام بشرية المحاربين. إنما المقصود هو الخشونة التي لا تميع المعركة؛ وهذا الأمر ضروري لقوم أمروا بالرحمة والرأفة في توكيد وتكرار، فوجب استثناء حالة الحرب، بقدر ما تقتضي حالة الحرب، دون رغبة في التعذيب والتمثيل والتنكيل.

#### 🗖 دعوة إلى الثبات

٣٥- قال - تَعَالَى -: ﴿ يَتَأَيُّهُا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةَ فَاقَبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ اللّهَ حَيْرًا لَعَلَّمُ مُنْ لَفْلِحُونَ ﴿ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُواْ فَلَفْشَلُواْ وَلَا تَنَازَعُواْ فَلَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّيرِينَ ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُواْ وَتَنْهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مِن دِيَرِهِم بَطَرًا وَرِعَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللّهِ وَاللهُ وِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿ وَاللهُ اللّهِ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ مِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿ فَي اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهِ وَيَصُدُونَ عَن سَبِيلِ ٱللّهِ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ عَمَلُونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ عَمَلُونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَلَا تَلْمُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَلَّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَالْهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّ

قال ابن كثير: «هذا تعليم من الله ـ تَعَالَى ـ لعباده المؤمنين آداب اللقاء، وطريق الشجاعة عند مواجهة الأعداء، فقال: ﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَكَ فَعُكَ اللَّهِ عَند مواجهة الأعداء، فقال: ﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَكَ فَعُكَ اللَّهِ عَند مواجهة الأعداء، فقال: ﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فَعَكَ اللَّهُ عَنْهُ اللَّهُ اللَّاللَّا اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ

<sup>(</sup>۱) صحیح البخاري (۲۹۳۳، ۲۹۳۳، ۲۰۱۵، ۳۰۲۲، ۲۹۳۳، ۷۶۸۹)، وصحیح مسلم (۱۷۲۲).

عن عبدالله بن أبي أوفى عن رسول الله على أنه انتظر في بعض أيامه التي لقي فيها العدو، حتى إذا مالت الشمس، قام فيهم فقال: «يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف»، ثم قام النبي على وقال: «اللهم منزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم» (١).

وقال سعيد بن أبي عروبة: عن قتادة في هذه الآية قال: افترض الله ذكره عند أشغل ما يكون؛ عند الضرب بالسيوف.

عن عطاء قال: وجب الإنصات وذكر الله عند الزحف، ثم بلا هذه الآية. قلت: يجهرون بالذكر؟ قال: نعم (٢).

عن كعب الأحبار قال: ما من شيء أحب إلى الله ـ تَعَالَى ـ من قراءة القرآن والذكر، ولولا ذلك ما أمر الناس بالصلاة والقتال، ألا ترون أنه أمر الناس بالذكر عند القتال، فقال: ﴿ يَتَأَيُّهَا اللَّيْنِ اللَّهَ اللَّهَ اللَّهَ عَند القتال، فقال: ﴿ يَتَأَيُّهَا اللَّذِينَ اللَّهَ اللَّهُ اللَّهَ اللَّهَ اللَّهُ اللَّهَ اللَّهُ اللّهُو

فأمر الله ـ تَعَالَى ـ بالثبات عند قتال الأعداء، والصبر على مبارزتهم، فلا يفروا ولا ينكلوا، ولا يجبنوا، وأن يذكروا الله في تلك الحال، ولا ينسوه، بل يستعينوا به ويتوكلوا عليه، ويسألوه النصر على أعدائهم، وأن يطيعوا الله ورسوله في حالهم ذلك؛ فما أمرهم الله ـ تَعَالَى ـ به ائتمروا، وما نهاهم عنه انزجروا، ولا يتنازعوا فيما بينهم ـ أيضًا ـ فيختلفوا، فيكون سببًا لتخاذلهم وفشلهم».

﴿ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ أي: قوتكم وحدَّتُكُم وما كنتم فيه من الإقبال، ﴿ وَٱصْبِرُواۤ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّنبِرِينَ ﴾

وقد كان للصحابة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ـ في باب الشجاعة، والائتمار بما أمرهم

<sup>(</sup>١) تفسير ابن أبي حاتم (٩١٣٣/٥).

الله ورسوله، وامتثال ما أرشدهم إليه، ما لم يكن لأحد من الأمم والقرون قبلهم، ولا يكون لأحد ممن بعدهم؛ فإنهم ببركة الرسول في وطاعته فيما أمرهم فتحوا القلوب والأقاليم شرقًا وغربًا في المدة اليسيرة، مع قلة عددهم بالنسبة إلى جيوش سائر الأقاليم من الروم، والفرس، والترك، والصقالبة، والبربر، والحبوش، وأصناف السودان، والقبط، وطوائف بني آدم. قهروا الجميع حتى علت كلمة الله وظهر دينه على سائر الأديان، وامتدت الممالك الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، في أقل من ثلاثين سنة، فرضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين، وحشرنا في زمرتهم إنه كريم وهاب، (١).

قال القرطبي: قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً ﴾ أي: جماعة. ﴿ فَآتُ بُتُوا ﴾ أمر بالثبات عند قتال الكفار، كما في الآية قبلها النهي عن الفرار عنهم، فالتقى الأمر والنهي على سواء. وهذا تأكيد على الوقوف للعدو والتجلُّد له.

قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ لُفُلِحُوكَ ﴾ للعلماء في هذا الذكر ثلاثة أقوال:

الثالث: اذكروا ما عندكم من وعد الله لكم في ابتياعه أنفسكم ومُثامنته لكم.

<sup>(</sup>١) تفسير ابن كثير (٩٦/٧ - ٩٨).

قلت: والأظهر أنه ذكر اللسان الموافق للجنان. قال محمد بن كعب القرظي: لو رُخِّص لأحد في ترك الذكر لرُخِّص لزكريا؛ يقول اللَّه وَعَبَلْكُ: ﴿ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَثْتَهُ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزَاً وَاذَكُر رَبُّكَ كَثِيرًا ﴾ [آل عمران: ٤١]، ولرخص للرجل يكون في الحرب؛ يقول اللَّه وَعَبَلْكُ: ﴿ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَكَةً فَاتَنْبُتُواْ وَاذْكُرُوا اللَّه وَعَبَلْكُ: ﴿ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَكَةً فَاتَنْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللَّه كَيْرًا ﴾.

وحكم هذا الذكر أن يكون خفيًا؛ لأن رفع الصوت في مواطن القتال رديء مكروه إذا كان الذاكر واحدًا. فأما إذا كان من الجميع عند الحملة فحسن؛ لأنه يفُتُ في أعضاء العدو.

وروى أبو داود عن قيس بن عباد قال: كان أصحاب رسول اللَّه ﷺ يكرهون الصوت عند القتال.

وروى أبو بردة عن أبيه عن النبي ﷺ مثل ذلك.

﴿ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾؛ أي: قوتكم ونصركم، كما تقول: الريح لفلان، إذا كان غالبًا في الأمر. قال الشاعر:

إِذَا هُـبَّتُ رِيَـاخُ فَـاغْـتَوِمْـهَـا فَـإِنَّ لِـكُـلِّ خَـافِـقَـةِ سُـكُـونَـا وقال قتادة وابن زيد: إنه لم يكن نصر قط إلا بريح، فتضرب في وجوه الكفار، ومنه قوله التَكْلِيُكُلا: «نُصِرت بالصَّبا، وأهلكت عاد بالدبور».

قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿ وَاصْبِرُوٓا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّبِرِينَ ﴾؛ أمر بالصبر، وهو محمود في كل المواطن وخاصة موطن الحرب(١٠).

#### 🗖 عوامل النصر وأسبابه

﴿ يَنَأَيُّهُمَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاتَبْتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَيْمَا لَعَلَكُمْ لَفُلِحُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُواْ فَلَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ

<sup>(</sup>١) تفسير القرطبي (٢٨٦٢/٤ - ٢٨٦٤).

إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰكِرِينَ ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَـرًا وَرِكَآءَ ٱلتَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ۞ ﴾

فهذه هي عوامل النصر الحقيقية: الثبات عند لقاء العدو، والاتصال بالله بالله بالذكر، والطاعة لله والرسول، وتجنب النزاع والشقاق، والصبر على تكاليف المعركة، والحذر من البطر والرئاء والبغى.

فأما الثبات فهو بدء الطريق إلى النصر. فأثبتُ الفريقين أغلبهما. وما يُدري الذين آمنوا أن عدوهم يعاني أشد مما يعانون، وأنه يألم كما يألمون، ولكنه لا يرجو من الله ما يرجون؛ فلا مدد له من رجاء في الله يثبت أقدامه وقلبه. وأنهم لو ثبتوا لحظة أخرى فسينخذل عدوهم وينهار؛ وما الذي يزلزل أقدام الذين آمنوا وهم واثقون من إحدى الحسنيين؛ الشهادة أو النصر؟ بينما عدوهم لا يريد إلا الحياة الدنيا؛ وهو حريص على هذه الحياة التي لا أمل له وراءها، ولا حياة له بعدها، ولا حياة له سواها؟!

وأما ذكر الله كثيرًا عند لقاء الأعداء فهو التوجيه الدائم للمؤمن؛ كما أنه التعليم المطرد الذي استقر في قلوب العصبة المؤمنة، وحكاه عنها القرآن الكريم في تاريخ الأمة المسلمة في موكب الإيمان التاريخي.

ومما حكاه القرآن الكريم من قول سحرة فرعون عندما استسلمت قلوبهم للإيمان فجأة، فواجههم فرعون بالتهديد المروع البشع الطاغي؛ قولهم: ﴿ وَمَا نَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنَ ءَامَنَّا بِثَايَتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتُنَا كَبَّنَا أَفْرِغُ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ مِنَّا إِلاَّعراف: ١٢٦].

ومما حكاه كذلك عن الفئة المؤمنة من بني إسرائيل، وهي تواجه جالوت وجنوده: ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُمْوُدِهِ قَالُوا رَبَّنَكَ آفَوْغُ عَلَيْمَا صَكَبَّرًا وَشَكِيْتُ أَفْرِغُ عَلَيْمَا صَكَبَّرًا وَتُكَيِّتُ أَقْدُهُ وَلَكُمْ لِينَ اللَّهُ وَلَكُمْ لِينَ اللَّهُ وَلَا عَلَى ٱلْقَوْمِ الْكَافِرِينَ اللَّهُ وَالبقرة: ٢٥٠].

ومما حكاه عن الفئات المؤمنة على مدار التاريخ في مواجهة المعركة: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن

نَبِيِّ قَلَتَلَ مَعَهُ رِبِيْتُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا أَسَتَكَانُواْ وَٱللَّهُ يُجِبُّ ٱلصَّلِبِينَ ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا دُنُوبَنَا وَاللَّهُمْ إِلَّا أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا دُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي ٱلْقَوْمِ ٱلْكَفِرِينَ ﴿ وَهَا كُانَ قَالُواْ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَفِرِينَ ﴾ [آل عَمَانَا وَأَنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٢٤٦].

ولقد استقر هذا التعليم في نفوس العصبة المسلمة؛ فكان هذا شأنها حيثما واجهت عدوًا. وقد حكى الله . فيما بعد . عن العصبة التي أصابها القرح في «أحد»؛ فلما دعيت إلى الخروج ثاني يوم، كان هذا التعليم حاضرًا في نفوسها: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسُ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاتَحْشُوهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَنَا وَقَالُوا حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَبِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿ آلَ عمران: ١٧٣].

إن ذكر اللَّه عند لقاء العدو يؤدي وظائف شتى؛ إنه الاتصال بالقوة التي لا تغلب؛ والثقة باللَّه الذي ينصر أولياءه.. وهو في الوقت ذاته استحضار حقيقة المعركة وبواعثها وأهدافها، فهي معركة لله، لتقرير ألوهيته في الأرض، وطرد الطواغيت المغتصبة لهذه الألوهية؛ وإذن فهي معركة لتكون كلمة اللَّه هي العليا؛ لا للسيطرة، ولا للمغنم، ولا للاستعلاء الشخصي أو القومي.. كما أنه توكيد لهذا الواجب . واجب ذكر اللَّه . في أحرج الساعات وأشد المواقف.. إيحاءات ذات قيمة في المعركة؛ يحققها هذا التعليم الرباني.

وأما طاعة الله ورسوله، فلكي يدخل المؤمنون المعركة مستسلمين لله ابتداء؛ فتبطل أسباب النزاع التي أعقبت الأمر بالطاعة: ﴿وَلاَ تَنَزَعُواْ فَلَفَشَهُواْ وَتَذْهَبَ وَيَكُمُ الله وريعُكُم الله والنواع الناس إلا حين تتعدد جهات القيادة والتوجيه، وإلا حين يكون الهوى المطاع هو الذي يوجه الآراء والأفكار. فإذا استسلم الناس لله ورسوله انتفى السبب الأول الرئيس للنزاع بينهم مهما اختلفت وجهات النظر في المسألة المعروضة عليس الذي يثير النزاع هو اختلاف وجهات النظر، إنما هو الهوى الذي يجعل كل صاحب وجهة يصر عليها مهما تبين له وجه الحق فيها! وإنما هو وضع

«الذات» في كفة، والحق في كفة؛ وترجيح الذات على الحق ابتداء!.. ومن هذا التعليم بطاعة الله ورسوله عند المعركة.. إنه من عمليات «الضبط» التي لا بد منها في المعركة.. إنها طاعة القيادة العليا فيها، التي تنبثق منها طاعة الأمير الذي يقودها. وهي طاعة قلبية عميقة لا مجرد الطاعة التنظيمية في الجيوش التي لا تجاهد لله، ولا يقوم ولاؤها للقيادة على ولائها لله أصلًا.. والمسافة كبيرة كبيرة. وأما الصبر فهو الصفة التي لا بد منها لخوض المعركة.. أية معركة.. في ميدان النفس أم في ميدان القتال.

﴿ وَٱصْبِرُوٓا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّنبِرِينَ ﴾.

وهذه المعية من اللَّه هي الضمان للصابرين بالفوز والغلب والفلاح..

## ويبقى التعليم الأخير:

﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيكَرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَيِيلِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ۞ ﴾.

يبقى هذا التعليم ليحمي العصبة المؤمنة من أن تخرج للقتال متبطرة طاغية، تتعاجب بقوتها، وتستخدم نعمة القوة التي أعطاها الله لها في غير ما أرادها.. والعصبة المؤمنة إنما تخرج للقتال في سبيل الله.

ولقد كانت صورة الخروج بطرًا ورئاء الناس وصدًّا عن سبيل اللَّه حاضرة أمام العصبة المسلمة؛ يرونها في خروج قريش بالصورة التي خرجت بها؛ كما كانت صورة العاقبة لهذا الخروج حاضرة فيما أصاب قريشًا التي خرجت في ذلك اليوم بفخرها وعزها وكبريائها تحاد اللَّه ورسوله، وعادت في آخر اليوم بالذل والخيبة والانكسار والهزيمة.. وكأن اللَّه ـ سبحانه ـ يذكر العصبة المسلمة بشيء حاضر له وقعة وله إيحاؤه:

﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَأَلَذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيكرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ۞﴾ والبطر في اللغة: التقوية بنعم اللَّه وَ البسه من العافية على المعاصي. والبطر والمراءاة والصد عن سبيل اللَّه تتجلى في قولة أبي جهل، وقد جاءه رسول أبي سفيان ـ بعد أن ساحل بالعير فنجت من رصد المسلمين ـ يطلب إليه الرجوع بالنفير، إذ لم تعد بهم حاجة لقتال محمد وأصحابه. وكانت قريش قد خرجت بالقيان والدفوف يغنون وينحرون الجزر على مراحل الطريق. فقال أبو جهل: لا والله لا نرجع حتى نرد بدرًا، فنقيم ثلاثًا، ننحر الجزر، ونطعم الطعام، ونشرب الخمر، وتعزف القيان علينا، فلن تزال العرب تهابنا أبدًا».. فلما عاد الرسول إلى أبي سفيان برد أبي جهل قال: «وا قوماه! هذا عمل عمرو بن هشام (يعني أبا جهل) كره أن يرجع؛ لأنه ترأس على الناس فبغي، والبغي منقصة وشؤم، إن أصاب محمد النصر ذللنا».. وصحّت فراسة أبي سفيان، وأصاب محمد النفير؛ وذل المشركون بالبطر والبغي والرياء والصد عن سبيل الله؛ وكانت بدر قاصمة الظهر لهم.

﴿ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطً ﴾ لا يفوته منهم شيء، ولا يعجزه من قوتهم شيء، وهو محيط بهم وبما يعملون (١).

٣٦- قال - تعَالَى -: ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاً إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَحْفًا فَلَا تُولُوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿ وَمَن يُولِهِمْ يَوْمَهِذِ دُبُرَهُۥ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِنَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى مُتَحَرِّفًا لِقِنَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى مُتَحَرِّفًا لِقِنَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فَنَدَ بَاءَ بِعَضَبِ مِن ٱللّهِ وَمَأُونَهُ جَهَنَّمُ وَبِثْسَ ٱلمَصِيرُ إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَآءً بِعَضَبِ مِن ٱللّهِ وَمَأُونَهُ جَهَنَّمُ وَبِثْسَ ٱلمَصِيرُ اللّهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ الللهُ اللهُ اللهُ الله

قال ابن كثير: «يقول ـ تَعَالَى ـ متوعدًا على الفرار من الزحف بالنار لمن فعل ذلك: ﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوۤا إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا ﴾ ؛ أي: تقاربتم منهم ودنوتم منهم. ﴿ فَلَا تُولُوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴾ ؛ أي: تفروا وتتركوا أصحابكم. ﴿ وَمَن

<sup>(</sup>١) انظر: الظلال (١٥٢٨/٣ - ١٥٣٠).

يُولِهِمْ يَوْمَبِنِ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَكَرِّفًا لِقِنَالِ ﴾ ؛ أي: يفرُّ بين يدي قرنه مكيدةً؛ ليريه أنه قد خاف منه فيتبعه، ثم يكرُّ عليه فيقتله، فلا بأس عليه في ذلك، نصَّ عليه سعيد بن جبير والسدي.

وقال الضحاك: أن يتقدم عن أصحابه ليرى غِرَّة من العدو فيصيبها.

﴿أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَى فِئَةٍ ﴾؛ أي: فرَّ من هاهنا إلى فئة أخرى من المسلمين يعاونهم ويعاونوه، فيجوز له ذلك حتى لو كان في سرية، ففرَّ إلى أميره أو إلى الإمام الأعظم، دخل في هذه الرخصة.

قال عمر بن الخطاب ﷺ في أبي عبيدة لما قُتِل على الجسر بأرض فارس لكثرة الجيش من ناحية المجوس، فقال عمر: لو انحاز إليَّ كنت له فئة.

وقال مجاهد: قال عمر: أنا فئة كل مسلم.

وقال الضحاك في قوله: ﴿أَوَّ مُتَكَيِّرًا إِلَى فِئَةِ﴾: المتحيز الفار إلى النبي وأصحابه، وكذلك من فرَّ اليوم إلى أميره أو أصحابه.

فأما إن كان الفرار لا عن سبب من هذه الأسباب؛ فإنه حرام وكبيرة من الكبائر، لما رواه البخاري ومسلم في الصحيحين عن أبي هريرة و الله قال: قال رسول الله على: «اجتنبوا السبع الموبقات» قيل: يا رسول الله، وما هُنَّ؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرَّم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» (١)، ولهذا قال تعَالَى - ﴿فَقَدُ بَاءَ ﴾؛ أي: رجع. ﴿ بِغَضَبِ مِن اللهِ وَمَأُولَهُ ﴾؛ أي: مصيره ومنقلبه يوم ميعاده. ﴿ جَهَنَمُ وَبِئَسَ ٱلمَصِيرُ ﴾.

عن السدوسي ـ يعني ابن الخصاصية ـ وهو بشير بن معبد رضي الله قال: «أتيت النبي الله الله وأن محمدًا عبده ورسوله،

<sup>(</sup>١) رواه البخاري في الوصايا (٢٧٦٦)، ومسلم في الإيمان (٨٩).

وأن أقيم الصلاة، وأن أؤدي الزكاة، وأن أحج حجة الإسلام، وأن أصوم شهر رمضان، وأن أجاهد في سبيل الله. فقلت: يا رسول الله، أما اثنتان فوالله لا أطيقهما؛ الجهاد؛ فإنهم زعموا أنه من ولى الدبر، فقد باء بغضب من الله؛ فأخاف إن حضرت ذلك خشعت نفسي وكرهت الموت، والصدقة؛ فوالله مالي إلا غنيمة وعشر ذَؤد هن رَسَل أهلي وحمولتهم، فقبض رسول الله على يده، ثم حرّك يده، ثم قال: «فلا جهاد ولا صدقة فيم تدخل الجنة إذًا؟» فقلت: يا رسول الله: أنا أبايعك فبايعته عليهن كلهن (١).

وعن بلال بن يسار بن زيد مولى رسول اللَّه ﷺ قال: سمعت أبي يحدث عن جدي، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «من قال: أستغفر اللَّه الذي لا إله إلا هو وأتوب إليه، غُفِر له وإن كان قد فرَّ من الزحف»(٢).

وقد ذهب ذاهبون إلى أن الفرار إنما كان حرامًا على الصحابة؛ لأنه (يعني: الجهاد) كان فرض عين عليهم، وقيل: على الأنصار خاصة؛ لأنهم بايعوا على السمع والطاعة في المنشط والمكره، وقيل: المراد بهذه الآية أهل بدر خاصة، يروى هذا عن عمر، وابن عمر، وابن عباس، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وأبي نضرة، ونافع مولى ابن عمر، وسعيد بن جبير، والحسن البصري، وعكرمة، وقتادة، والضحاك، وغيرهم.

<sup>(</sup>١) رجاله موثقون: أخرجه أحمد في «المسند» برقم (٧٢٤/٥) (٢٢٠٤٧)، ورواه الطبراني في «الكبير» (١٨٤/١)، وفي «الأوسط»، كما في «مجمع البحرين» (٨٤/١) رقم (٤٤/٢)، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤٢/١)، وقال: رواه أحمد والطبراني في «الكبير والأوسط»، واللفظ للطبراني، ورجال أحمد موثقون.

<sup>(</sup>٢) إسناده جيد: رواه الطبرآني في «المعجم الكبير» (٨٩/٥) (٢٦٧٠)، وهو في سنن أبي داود (٢٥١٧)، والترمذي (٣٥٧٧)، وقال المنذري: إسناده جيد متصل؛ فقد ذكر البخاري في «التاريخ الكبير»: أن بلالًا سمع من أبيه يسار، وأن يسار سمع من أبيه زيد مولى رسول الله على أبيه ورواه الحاكم من حديث ابن مسعود، وقال: صحيح على شرطهما إلا أنه قالها ثلاثًا. ورواه الطبراني في «الصغير» (٩١/٢) عن البراء بن عازب.

ولهذا قال الحسن في قوله: ﴿وَمَن يُولِهِمْ يَوْمَهِـذِ دُبُرَهُۥ قال: ذلك يوم بدر، فأما اليوم فإن انحاز إلى فئة أو مصر فلا بأس عليه.

وعن يزيد بن أبي حبيب قال: أوجب الله ـ تَعَالَى ـ لمن فرَّ يوم بدر النار، قال: ﴿ وَمَن يُولِهِمْ يَوْمَ لِذِ دُبُرَهُۥ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِنَالٍ أَوْ مُتَحَبِّرًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبِ مِن اللهِ ﴾ ، فلما كان يوم أحد بعد ذلك قال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَغَضَبِ مِن اللهِ ﴾ ، فلما كان يوم أحد بعد ذلك قال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ اللّهَ يَوْمَ الْمَتَعَى الْمَدَعَانِ إِنَّمَا السَّمَزَلَهُمُ الشَّيطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللّهُ عَنْهُمْ أَلْهُمُ الشَّيطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللّهُ عَنْهُمْ وَلَيْتُم مُنْدَرِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٥ ١]، ثم كان يوم حنين بعد ذلك بسبع سنين، قال: ﴿ مُنَ مَن بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَن وَلَيْتُم مُنْدَرِينَ ﴾ [التوبة: ٢٥] \* ﴿ وَثُمَّ يَتُوبُ اللهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَن يَشُاءً ﴾ [التوبة: ٢٧].

وعن أبي سعيد أنه قال في هذه الآية ﴿وَمَن يُولِهِمْ يَوْمَجِذِ دُبُرَهُۥ﴾ قال: إنما أنزلت في أهل بدر (٢٠٠٠).

وهذا كله لا ينفي أن يكون الفرار من الزحف حرامًا على غير أهل بدر، وإن كان سبب نزول الآية فيهم، كما دل عليه حديث أبي هريرة المتقدم، من أن الفرار من الزحف من الموبقات، كما هو مذهب الجماهير. والله أعلم (٣٠٠).

قال القرطبي: قوله - تَعَالَى -: ﴿ رَبَّمْفًا ﴾ الزحف الدنو قليلًا قليلًا. وأصله الاندفاع على الألْيَة، ثم سُمِّي كل ماش في الحرب إلى آخر زاحفًا. والتزاحف: التدانى والتقارب؛ يُقال: زحف إلى العدو زحفًا. وازدحف القوم؛ أي: مشى

<sup>(</sup>١) رواه مسلم (١٧٦٣)، والترمذي (٣٠٨١)، وأحمد (٢٢١) عن ابن عمر.

<sup>(</sup>۲) رواه أبو داود (۲٦٤٨)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٢٠٣)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٢٧)، وابن جرير (١٥٨٠٠/١٣).

<sup>(</sup>٣) تفسير ابن کثير (٧/٥٥ ـ ٤٠).

بعضهم إلى بعض.

يقول: إذا تدانيتم وتعاينتم فلا تفرُّوا عنهم ولا تعطوهم أدباركم. حرَّم اللَّه ذلك على المؤمنين حين فرض عليهم الجهاد وقتال الكفار.

قال ابن عطية: والأدبار جمع دُبُر. والعبارة بالدُّبر في هذه الآية متمكنة الفصاحة؛ لأنها بشيعة على الفارِّ، ذامَّة له.

أمر اللَّه ﷺ في هذه الآية ألا يُولِّي المؤمنون أمام الكفار. وهذا الأمر مُقَيد بالشريطة المنصوصة في مِثْلي المؤمنين، فإذا لقيت فئة من المؤمنين فئة هي ضِعف المؤمنين من المشركين فالفرض ألا يفرُّوا أمامهم. فمن فرَّ من اثنين فهو فارُّ من الزحف. ومن فرَّ من ثلاثة فليس بفارٍّ من الزحف، ولا يتوجَّه عليه الوعيد.

والفرار كبيرة موبقة بظاهر القرآن وإجماع الأكثر من الأئمة.

على قول الجمهور لا يحلُّ فرار مئة إلا مما زاد على المئتين؛ فمهما كان في مقابلة مسلم أكثر من اثنين فيجوز الانهزام، والصبر أحسن.

وقد وقف جيش مؤتة وهم ثلاثة آلاف في مقابل مئتي ألف، منهم مئة ألف من الروم، ومئة ألف من المستعربة من لخم ومجذام.

قلت: ووقع في تاريخ الأندلس، أن طارقًا مَوْلى موسى بن نصير سار في ألف وسبع مئة رجل إلى الأندلس، وذلك في رجب سنة ثلاث وتسعين من الهجرة، فالتقى وملك الأندلس «لذريق» وكان في سبعين ألف عنان؛ فزحف إليه طارق وصبر له فهزم اللَّه الطاغية لذريق، وكان الفتح. قال ابن وهب: سمعت مالكًا يسأل عن القوم يَلْقون العدو ويكونون في مَحْرس يحرسون فيأتيهم العدو وهم يسير، أيقاتلون أو ينصرفون فيؤذنون أصحابهم؟

قال: إن كانوا يقوون على قتالهم قاتلوهم، وإلا انصرفوا إلى أصحابهم فآذنوهم.

واختلف الناس هل الفرار يوم الزحف مخصوص بيوم بدر أم عامٌ في الزُّحوف كلها إلى يوم القيامة؟ فرُوي عن أبي سعيد الخدري أن ذلك مخصوص بيوم بدر، وبه قال نافع، والحسن، وقتادة، ويزيد بن أبي حبيب والضحاك، وبه قال أبو حنيفة.

وأن ذلك خاص بأهل بدر، فلم يكن لهم أن ينحازوا، ولو انحازوا لانحازوا للمشركين، ولم يكن في الأرض يومئذ مسلمون غيرهم، ولا للمسلمين فئة إلا النبي عليه.

قال الكِيَا: وهذا فيه نظر؛ لأنه كان بالمدينة خلق كثير من الأنصار لم يأمرهم النبي ﷺ بالخروج ولم يكونوا يرؤن أنه قتال، وإنما ظنوا أنها العِير، فخرج رسول اللَّه عَيْنُ فيمن خفَّ معه.

ويَروى عن ابن عباس وسائر العلماء أن الآية باقية إلى يوم القيامة.

احتج الأولون بما ذكرنا، وبقوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿ يَوْمَ بِذِ ﴾ فقالوا: هو إشارة إلى يوم بدر، وأنه نسخ حكم الآية بآية الضّعف. وبقي حكم الفرار من الزحف ليس بكبيرة. وقد فرَّ الناس يوم «أُحُد» فعفا عنهم، وقال اللَّه فيهم يوم مُحنَينْ: ﴿ ثُمَّ وَلَيْتُمُ مُّدَرِدِينَ ﴾ [التوبة: ٢٥]، ولم يقع على ذلك تعنيف.

وقال الجمهور من العلماء: إنما ذلك إشارة إلى يوم الزحف الذي يتضمنه قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿إِذَا لَقِيـــُتُمُ ﴾ ، وحكم الآية باق إلى يوم القيامة بشرط الضِّعف الذي بيَّنه اللَّه ـ تَعَالَى ـ في آية أخرى، وليس في الآية نسخ.

والدليل عليه أن الآية نزلت بعد القتال وانقضاء الحرب وذهاب اليوم بما فيه. وإلى هذا ذهب مالك، والشافعي، وأكثر العلماء.

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات»... وفيه ـ «والتولي يوم الزحف»، وهذا نص في المسألة.

وأما يوم «أحد» فإنما فرَّ الناس من أكثر من ضعفهم ومع ذلك عُنَّفوا.

وأما يوم «حنين» فكذلك من فرَّ إنما انكشف عن الكثرة.

قال ابن القاسم: لا تجوز شهادة من فرَّ من الزحف، ولا يجوز لهم الفِرار من أكثر من ضِعفهم، وهذا ما لم يبلغ عدد المسلمين اثني عشر ألفًا؛ فإن بلغ اثني عشر ألفًا لم يحلَّ لهم الفرار، وإن زاد عدد المشركين على الضِّعف؛ لقول رسول اللَّه على «ولن يُغلب اثنا عشر ألفًا من قلة»، فإن أكثر أهل العلم خصَّصوا هذا العدد بهذا الحديث من عموم الآية»(١).

«عن ابن عباس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «خير الصحابة أربعة، وخير السرايا أربع مئة، وخير الجيوش أربعة آلاف، ولا تُهزَم اثنا عشر ألفًا من قلّه (٢٠).

قال القرطبي: «وروي عن مالك ما يدل على ذلك من مذهبه، وهو قوله للعمري العابد إذ سأله: هل لك سعة في ترك مجاهدة من غيّر الأحكام وبدَّلها؟ فقال: إذا كان معك اثنا عشر ألفًا فلا سعة لك في ذلك.

وقوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِنَالٍ أَوْ مُتَحَبِّرًا ۚ إِلَى فِئَةٍ ﴾ التَّحَرُّف: الزوال عن جهة الاستواء. فالمتحرف من جانب إلى جانب لمكايد الحرب، غير منهزم، وكذلك المتحيِّز إذا نوى التحيُّز إلى فئة من المسلمين ليستعين بهم فيرجع إلى القتال غير منهزم أيضًا.

قال محمد بن سيرين: لما قُتِل أبو عبيدة جاء الخبر إلى عمر فقال: لو انحاز إليَّ لكنتُ له فئة، فأنا فئة كل مسلم.

وعلى هذه الأحاديث لا يكون الفِرار كبيرة؛ لأن الفئة هنا المدنية والإمام

<sup>(</sup>١) تفسير القرطبي (٢٨١٨ - ٢٨١٨).

<sup>(</sup>٢) صحيح: رواه أبو داود، والترمذي، والحاكم في «المستدرك»، وكذا رواه أحمد، وعبد بن حميد، والدارمي، وابن خزيمة، وابن حبان، وابن عدي، وَصَحَّحَهُ الألباني في «الصحيحة» (٩٨٦)، و«الإرواء» (١٩٨٢).

وجماعة المسلمين حين كانوا. وعلى القول الآخر كبيرة؛ لأن الفئة هناك الجماعة من الناس الحاضرة للحرب. هذا على قول الجمهور أن الفِرار من الزحف كبيرة. قالوا: وإنما كان ذلك القول من النبي الله وعمر على جهة الحيطة على المؤمنين، إذ كانوا في ذلك الزمان يثبتون لأضعافهم مِرارًا. والله أعلم.

وفي قوله: «والتو**لي يوم الزحف**» ما يكفي»<sup>(۱)</sup>.

«يبدو في التعبير القرآني شدة في التحذير، وتغليظ في العقوبة، وتهديد بغضب من اللَّه ومأوى في النار.

إن قلب المؤمن ينبغي أن يكون راسخًا ثابتًا لا تهزمه في الأرض قوة، وهو موصول بقوة الله الغالب على أمره، القاهر فوق عباده.. وإذا جاز أن تنال هذا القلب هزة ـ وهو يواجه الخطر ـ فإن هذه الهزة لا يجوز أن تبلغ أن تكون هزيمة وفرارًا، والآجال بيد الله، فما يجوز أن يولي المؤمن خوفًا على الحياة. وليس في هذا تكليف للنفس فوق طاقتها، فالمؤمن إنسان يواجه عدوه إنسانًا. فهما من هذه الناحية يقفان على أرض واحدة، ثم يمتاز المؤمن بأنه موصول بالقوة الكبرى التي لا غالب لها، ثم إنه إلى الله إن كان حيًّا، وإلى الله إن كُتبت له الشهادة، فهو في كل حالة أقوى من خصمه الذي يواجهه وهو يشاق الله ورسوله.

<sup>(</sup>١) تفسير القرطبي (٢٨٢٠، ٢٨١٩).

قال رسول الله على: «اجتنبوا الكبائر السبع: الشرك بالله، وقتل النفس، والفرار من الزحف، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، وقذف المحصنة، والتعرُّب(١) بعد الهجرة»(٢).

وقال رسول الله على: «الكبائر الإشراك بالله، وقذفُ المحصنة، وقتلُ النفس المؤمنة، والفِرارُ يوم الزحف، وأكلُ مال اليتيم، وعقوق الوالدين المسلمَين، وإلحادٌ بالبيت، قبلتكم أحياءً وأمواتًا»(٣٠).

وقال رسول الله ﷺ: «خمس ليس لهن كفارة: الشرك بالله، وقتلُ النفس بغير حق، وبُهتُ (٤) المؤمن، والفِرارُ من الزحف، ويمين صابرة يقتطع بها مالًا بغير حق»(°).

وقال ﷺ: «الكبائر تسع، أعظمهن إشراك بالله، وقتل النفس بغير حق، وأكلُ الربا، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، والفرار يوم الزحف وعقوق الوالدين، واستحلال البيت الحرام، قبلتكم أحياءً وأمواتًا» (٢٠).

وقال رَسول اللَّه ﷺ: «الكبائر سبع: الإشراك بالله، وقتل النفس التي حرم اللَّه إلا بالحق، وقذف المحصنة، والفرار من الزحف، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والرجوع إلى الأعرابية بعد الهجرة»(٧).

<sup>(</sup>١) أي: العودة للبادية للحياة مع الأعراب.

 <sup>(</sup>۲) حسن: رواه الطبراني في «الكبير» عن سهل بن أبي حثمة، وَحَسَّنَةُ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (۱/
 ۱۰۳)، والألباني في «صحيح الجامع» (۱٤٥).

<sup>(</sup>٣) حسن: أخرجه البيهقي في «سننه» عن ابن عمر، وَحَشَنَهُ الأَلباني في «الإرواء» (٦٩٠)، و«صحيح الجامع» (٤٦٠٢).

<sup>(</sup>٤) المراد: الافتراء والكذب عليه المؤدي لشحوب لونه.

<sup>(</sup>٥) حسن: أخرجه أحمد، وأبو الشيخ في «التوبيخ» عن أبي هريرة، وَحَسَّنَهُ الألباني في «الإرواء» (١٢٠٢) و«صحيح الجامع» (٣٢٤٧).

<sup>(</sup>٦) حسن: أعرجه النسائي، وأبو داود عن عمير، وكذا أخرجه الطحاوي، والحاكم، والبيهقي في «سننه»، وَحَشَنَهُ الألباني في «الإرواء» (٦٩٠) واصحيح الجامع» رقم (٤٦٠٥).

<sup>(</sup>٧) حسن: أخرجه الطبراني في «الأوسط» عن أبي سعيد، وَحَسَّنَهُ الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٠٦).

وقال رسول اللَّه ﷺ: «من جاء يعبد اللَّه لا يشرك به شيئًا، ويقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويصوم رمضان، ويتقي الكبائر فإن له الجنة» قالوا: ما الكبائر؟ قال: «الإشراك بالله، وقتل النفس المسلمة، وفرار يوم الزحف»(١).

٣٧ قَالَى -: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ

تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمُّ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمُّ

وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوفَّ إِلَيْكُمُ وَأَنتُمْ لَا نُظْلَمُونَ ﴾

[الأنفال: ٦٠].

قال ابن كثير (١٠٩/٧، ١١٠): ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم ﴾؛ أي: مهما أمكنكم، ﴿ مِن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ﴾.

عن عقبة بن عامر رضي قال: سمعت رسول الله على يقول وهو على المنبر: « وَأَعِدُواْ لَهُم مَّ اَسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، (٢٠).

قال القرطبي (٢٨٧٤/٤) (٢٨٧٤/٤): «قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿ وَأَعِدُواْ لَهُم ﴾ أمر ـ سبحانه ـ المؤمنين بإعداد القوة للأعداء بعد أن أكد تقدمة التقوي، فإن الله ـ سبحانه ـ لو شاء لهزمهم بالكلام والتَّقْل في وجوههم وبحَفْنة من تراب، كما فعل رسول الله ﷺ، ولكنه أراد أن يبتلي بعض الناس ببعض بعلمه السابق وقضائه النافذ. وكلما تعده لصديقك من خير أو لعدوك من شرِّ فهو داخل في عدتك. قال ابن عباس: القوة هاهنا السلاح والقسى.

<sup>(</sup>١) صحيح: أخرجه أحمد، والنسائي، وابن حبان، والحاكم عن أبي أيوب، وَصَحَّحَهُ الألباني في «الإرواء» (١٢٠٢)، و«صحيح الجامع» رقم (٦١٨٥).

<sup>(</sup>۲) رواه أحمد في «مسنده» (۱۰۶/۶) رقم (۱۷٤۷۹)، ومسلم (۱۹۱۷)، وأبو داود (۲۰۱٤)، وابن ماجه (۹٤٠/۲) حديث (۲۸۱۳)، والدارمي (۲۰٤/۲)، وأبو داود الطيالسي في «مسنده» (۱۱۸۲).

وفضل الرمي عظيم، ومنفعته عظيمة للمسلمين، ونكايته شديدة على الكافرين». اهـ.

قال رسول الله ﷺ «ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميًا» (١٠). وقال ﷺ «رميًا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميًا» (٢٠).

وقال القرطبي: «وتعلُّم الفروسية واستعمال الأسلحة فرض كفاية، وقد يتعيُّ».

قال أبو جعفر ابن جرير: «والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أمر المؤمنين بإعداد الجهاد، وآلة الحرب، وما يتقوّون به على جهاد عدوّه وعدوِّهم من المشركين من السلاح، والرمي، وغير ذلك، ورباط الخيل. ولا وجه أن يُقال: عنى بالقوة معنى دون معنى من معاني القوة، وقد عمَّ الله الأمر بها. فإنْ قال قائل: فإن رسول الله على قد بين أن ذلك مراد به الخصوص بقوله: «ألا إن القوة الرمي». قيل له: إن الخبر إن كان قد جاء بذلك فليس في الخبر ما يدل على أنه مراد بها الرمي خاصة دون سائر معاني القوة عليهم، فإن الرمي أحد معاني القوة؛ لأنه إنما قيل في الخبر: ألا إن القوة الرمي ولم يقل دون غيرها. ومن القوة - أيضًا - السيف والرمح والحربة وكل ما كان معونة على قتال المشركين كمعونة الرمي، أو وأبلغ من الرمي فيهم، وفي النكاية منهم» (٣).

وقال رسول الله على «ستُفتح عليكم أرضون (٤)، ويكفيكم الله، فلا يعجز أحدكم أن يلهو بسهمه» (٥).

<sup>(</sup>١) رواه أحمد والبخاري عن سلمة بن الأكوع، والحاكم عن أبي هريرة وعن سلمة، وابن حبال عن أبي هريرة، وأحمد، وابن ماجه، والحاكم عن ابن عباس.

<sup>(</sup>٢) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، وابن ماجه، والحاكم عن ابن عباس، وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٥٢٠).

<sup>(</sup>۳) تفسير لطبري (۲۳/۱۰).

<sup>(</sup>٤) أرضون: جمع أرض.

<sup>(</sup>٥) رواه أحمد، ومسلم عن عقبة بن عامر.

وقال ﷺ: «ألا إن اللَّه سيفتح لكم الأرض وستُكْفَوْن المؤنة ' ؟ فلا يعجزنَّ أحدكم أن يلهوَ بأسهمه (٢٠).

وقال ﷺ: «عليكم بالرمى، فإنه من خير لعبكم، "".

وقال رسول اللَّه ﷺ: «عليكم بالرمي، فإنه من خير لهوكم، (١).

وقال ﷺ: «من أحسن الرمي ثم تركه، فقد ترك نعمة من النعم» (° ).

وقال ﷺ: «من ترك الرمي بعد ما علمه، رغبة عنه، فإنها نعمة كفرها» (``.

وقال رسول اللَّه ﷺ: «من علم الرمي ثم تركه فليس منا»(٧).

«وقد ذهب أكثر العلماء إلى أن الرمي أفضل من ركوب الخيل، وذهب الإمام مالك ﷺ إلى أن الركوب أفضل من الرمي، وقول الجمهور أقوى؛ للحديث. واللَّه أعلم» (^).

# ﴿ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ﴾

قال ابن زيد: الرباط من الخيل الخَمسُ فما فوقها، وجماعته رُبُط. وهي التي ترتبط، يُقال: ربط يرْبطِ ربْطًا. وارتبط يرتبط ارتباطًا. ومربط الخيل ومرابطها وهي

<sup>(</sup>١) المؤنة: القوت.

<sup>(</sup>٢) رواه أحمد، ومسلم، والترمذي واللفظ له عن عقبة بن عامر.

<sup>(</sup>٣) صحيح: رواه الطبراني في «الأوسط» عن سعد، وَصَحَّحَهُ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٦٢٩)، و«صحيح الجامع» (٤٠٦٥).

<sup>(</sup>٤) صحيح: رواه البزار عن سعد، وَصَحَّحَهُ الألباني في «الصحيحة» (٦٢٩)، و«صحيح الجامع» (٤٠٦٦).

<sup>(°)</sup> صحيح: أخرجه القراب في «الرمي» عن يحيى بن سعيد مرسلًا، وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٩٧٢). انظر: الترغيب (١٧٢/٢).

<sup>(</sup>٦) صحيح: أخرجه الطبراني في «الكبير»، وأحمد، وأبو داود، والنسائي، والدارمي، وابن خزيمة، والحاكم، والبيهقي في «الصغير والأوسط» عن أبي هريرة، وصحيحة الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦١٤٢)، وانظر: الترغيب (٢٧٢/٢).

<sup>(</sup>٧) رواه مسلم عن عقبة بن عامر.

<sup>(</sup>٨) تفسير ابن كثير (١١١/٧).

ارتباطها بإزاء العدو؛ قال الشاعر:

أَمَرَ الْإِلَـهُ بِـرَبْـطِـهَـا لِـعَـدُوِّهِ فِي الْحَرْبِ إِنَّ اللَّهَ خَيْرُ مُوَفَّقِ وَقَالَ مَكُحول بن عبدالله:

تَلُومُ عَلَى رَبْطِ الْجِيَادِ وَحَبْسِهَا وَقَدْ أَوْصَى بِهَا اللَّهُ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا ورباط الحيل فضل عظيم ومنزلة شريفة. وكان لعُروة البارقي ﷺ سبعون فرسًا مُعَدَّة للجهاد.

قال القرطبي: «فإنْ قيل: إن قوله: ﴿ وَأَعِدُواْ لَهُم مَّا اَسْتَطَعْتُم مِن قُوَةٍ كَان يَكُفي، فلم خصَّ الرمي والخيل بالذكر؟ قيل له: إن الخيل لما كانت أصل الحروب وأوزارها (۱) التي عُقد الخير في نواصيها، وهي أقوى القوة وأشد العُدَّة وحصون الفرسان، وبها يُجال في الميدان، حصَّها بالذكر؛ تشريفًا، وأقسم بغبارها تكريًا، فقال: ﴿ وَٱلْمَادِينَ صَبْحًا ﴿ وَالعادیات: ۱] الآیة، ولما كانت السهام من أنجح ما يُتعاطى في الحروب والنكاية في العدو وأقربها تناولًا للأرواح خصها رسول الله ﷺ بالذكر لها والتنبيه عليها. ونظير هذا في التنزيل: ﴿ وَجِبْرِيلَ وَمِيكُنلَ ﴾ [البقرة: ٩٨] ونظيره كثير، (٢). ولله ما أحلى إضافة الخيل إلى الله فيقال: «يا خيل الله اركبي»

🗖 والأحاديث الواردة في فضل ارتباط الخيل كثيرة:

عن عروة بن أبي الجعد البارقي ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة: الأجر والمغنم» (٣) وفي رواية: بنواصيها.

وعن أنس ﴿ إِنَّ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «البركة في نواصي الخيل (٤٠).

<sup>(</sup>١) أوزار الحرب: أثقالها من آلة حرب وسلاح وغيره.

<sup>(</sup>٢) تفسير القرطبي (٢٨٧٦/٤).

<sup>(</sup>٣) رواه البخاري برقم (٢٨٥٠) وأحمد ومسلم والترمذي والنسائي عن عروة، وأحمد ومسلم والنسائي عن جريد.

<sup>(</sup>٤) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، والنسائي.

وعن عبداللَّه بن مسعود فَلَيْهُ عن النبي عَلَيْ قال: «الخيل ثلاثة: ففرس للرحمن، وفرس للشيطان، وفرس للإنسان، فأما فرس الرحمن، فالذي يُرتبط في سبيل الله، فعلفه وروثه وبوله في ميزانه، وأما فرس الشيطان فالذي يُقامَر أو يُراهَن عليه، وأما فرس الإنسان فالفرس يرتبطها الإنسان يلتمس بطنها (١)، فهي ستر من الفقر» (٢). وعن ابن عباس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قال: قال رسول اللَّه عَلَيْ «الخيلُ في نواصى شُقرها الخيرُ» (٣).

وقال رسول اللَّه ﷺ: «الخير معقود بنواصي الخيل إلى يوم القيامة، والمنفق على الخيل كالباسط كفَّه بالنفقة لا يقبضها» (٤).

وعن أبي هريرة على رجل وزر؛ فأما الذي هي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله ولرجل سِتر، وعلى رجل وزر؛ فأما الذي هي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله فأطال لها في مرْج أو روضة (٥)، فما أصابت في طيلها (٦) من المرج والروضة كانت له حسنات، ولو أنها قطعت طيلها فاستنت (٧) شرفًا أو شرفين (٨) كانت آثارها وأرواثها حسنات له، ولو أنها مرَّت بنهر فشربت ولم يُرد أن يسقيها كان ذلك له حسنات. ورجل ربطها تغنيًا، وسِترًا، وتعففًا، ثم لم ينس حق الله في رقابها وظهورها

<sup>(</sup>١) أي: يطلب ما في بطنها للنسر.

<sup>(</sup>٢) صحيح: رواه أحمد في «المسند» (٣٩٥/١)، وَصَحَّحَهُ الأَلباني في «الإرواء» برقم (١٥٠٨)، وصحيح الجامع» رقم (٣٣٥٠).

<sup>(</sup>٣) **حسن**: رواه الخطيب في «تاريخ بغداد»، وَحَسَّنَهُ الأَلباني في «صحيح الجامع» برقم (٣٣٥١). **انظر:** الترغيب والترهيب (١٦٢/٢، ١٦٣).

<sup>(</sup>٤) صحيح: رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» عن أبي هريرة، وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٣٣٤٩)، انظر: الترغيب (١٦٠/٢).

 <sup>(</sup>٥) المرح: هو الأرض الواسعة ذات النبات. والروضة: البستان.

<sup>(</sup>٦) هو: الحبل تُربط به.

<sup>(</sup>Y) أي: عَدَت نشيطة من غير راكب عليها.

<sup>(</sup>٨) شوطًا أو شوطين.

فهي له سِتر، ورجل ربطها فخرًا ورياءً ونواءً (١) لأهل الإسلام فهي له وزر» (٢). وقال ربطها معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة» (٣).

وعن جابر في قال: قال رسول الله في الحين معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وأهلها معانون عليها، فامسحوا بنواصيها، وادعوا لها بالبركة، وقلدوها، وتقلدوها الأوتار (٤) (٥).

وقال ﷺ: «الخيل معقود في نواصيها الخير واليُمْنُ (٢٠) إلى يوم القيامة، وأهلها مُعَانون عليها، قلِّدوها، ولا تقلدوها الأوتار» (٢٠).

وقال ﷺ: «من ارتبط فرسًا في سبيل الله، ثم عالج (^) علفه بيده كان له بكل حمة حسنة» (٩).

وقال رسول اللَّه ﷺ: «ما من امرئ مسلم يُنقي لفرسه شعيرًا، ثم يُعَلِّقُه عليه إلا

<sup>(</sup>۱) عداء.

<sup>(</sup>٢) رواه مالك في «الموطا» (٤١٤/٢) ومن طريقه البخاري (٢٣٧١)، ورواه مسلم (٩٨٧)، وأحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه.

<sup>(</sup>٣) رواه مالك وأحمد والبخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه عن ابن عمر، وأحمد والبخاري ومسلم والنسائي وابن والنسائي وابن ماجه عن عروة بن الجعد، ورواه البخاري عن أنس، ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة، ورواه أحمد عن أبي ذر وعن أبي سعيد، ورواه الطبراني في «الكبير» عن سوادة ابن الربيع، وعن النعمان بن بشير، وعن أبي كبشة.

<sup>(</sup>٤) قلدوها؛ أي: ألزموها الخير والدفاع عن المسلمين. الأوتار: الدم وطلب الثأر.

<sup>(</sup>٥) حسن: أخرجه أحمد في «مسنده»، وَحَسَّنَهُ الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٣٥٥).

<sup>(</sup>٦) البركة.

 <sup>(</sup>٧) حسن: رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» عن جابر، وَحَسَّنَهُ الألباني في «صحيح الجامع» رقم
 (٣٣٥٦).

<sup>(</sup>٨) عالج؛ أي: زاول إطعامه بيده.

<sup>(</sup>٩) صحيح: رواه ابن ماجه، وابن حبان عن تميم الداري، وكذا رواه الطبراني في «الأوسط»، والدولابي، وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٠٠٨).

## كتب الله له بكل حية حسنة<sub>،(1)</sub>

وقال رسول اللَّه ﷺ: «من احتبس فرسًا في سبيل الله، إيمانًا بالله، وتصديقًا بوعده، كان شبعه، وريُّه، حسناتِ في ميزانه يوم القيامة»(٢).

وقال ﷺ: «إن المنفق على الخيل في سبيل الله كالباسط يديه بالصدقة لا يقبضها» (٢٠٠٠).

وقال ﷺ: «المنفق على الخيل في سبيل الله كباسط يديه بالصدقة لا يقبضها» (\*). وقال رسول الله ﷺ: «عليك بالخيل، فإن الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة» (\*).

ونختم بهذا الحديث العجيب الجميل، الجميل الرقيق.

عن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إنه ليس من فرس عربي إلا يُؤذن له مع كل فجر يدعو بدعوتين، يقول: «اللهم إنك خوَّلتني من خوَّلتني من بني آدم، فاجعلني من أحب أهله وماله إليه (٧٠).

<sup>(</sup>١) صحيح: رواه أحمد، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن تميم، وَصَحَّحَهُ الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٢٢٦٩).

<sup>(</sup>٢) رواه أحمد، والبخاري، والنسائي عن أبي هريرة.

<sup>(</sup>٣) حسن: رواه الطبراني في «المعجم الكبير» عن سهل بن الحنظلية، ورواه أبو داود، والحاكم، وَحَسَّنَهُ الأَلباني في «صحيح الجامع» رقم (١٩٦٤)، وانظر: الترغيب (١٦١/٢).

<sup>(</sup>٤) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، والحاكم في «المستدرك» عن ابن الحنظلية، وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٧٣٣).

<sup>(°)</sup> صحيح: رواه الطبراني في «الكبير»، والضياء في «المختارة» عن الصحابي سوادة بن الربيع، وَصَحَّحَهُ الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (١٩٣٦)، و«صحيح الجامع» رقم (٤٠٤٠).

<sup>(</sup>٦) أعطيتني إياه متفضِّلًا.

<sup>(</sup>۷) صحيح: رواه أحمد (١٦٢/٥) (٢١٥٢٣) (١٧٠/٥) (٢١٥٧٨)، والنسائي (٢٢٣/٦)، والخاكم، وَصَحَّحَهُ الأَلباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٤١٤)، وانظر: الترغيب (١٦١/٢).

ولله ما أحلى قول القائل:

جَوَادُ دِينِكَ فِي الْيَدَانِ مُنْطَلِقُ صِهِيلُهُ نَعَمّ يُصْغِي الزَّمَانُ لهُ صَهِيلُهُ نَعَمّ يُصْغِي الزَّمَانُ لهُ تَشْدُو حَوَافِرُهُ خَنْا يُهَشُّ لَهُ يُسَابِقُ الرِّيخِ فِي دَرْبِ الْإِبَاءِ وَكَمْ جَوَادُ دِينِكَ يَجْرِي النُّورُ فِي دَمِهِ بَكُفُ عَنْ وَجْهِهِ الصَّحْرَاءُ مَا حَمَلَتْ يَعُضُ مَضْجَعَ كُلِّ الصَّافِنَاتِ إِذَا يَقُضُ مَضْجَعَ كُلِّ الصَّافِنَاتِ إِذَا يَقُضُ مَضْجَعَ كُلِّ الصَّافِنَاتِ إِذَا يَقُضُ مَضْجَعَ كُلِّ الصَّافِنَاتِ إِذَا مُخَاهِدٌ وَالْأَمَانِي الْبِيضُ لَاهِشَةٌ النَّالُ مَنْهُورًا وَأَعْقَبَهُ وَسَافَرَ اللَّيْلُ مَنْهُورًا وَأَعْقَبَهُ وَسَافَرَ اللَّيْلُ مَنْهُورًا وَأَعْقَبَهُ وَسَافَرَ اللَّيْلُ مَنْهُورًا وَأَعْقَبَهُ وَسَافَرَ اللَّيْلُ مَنْهُورًا وَأَعْقَبَهُ

وَبَيْنَ عَيْنَهِ مِنْ إِصْرارِهِ أَلَقُ وَنَقْعُهُ لِجَابِ الشَّمْسِ يَخْتَرِقُ وَنَقْعُهُ لِجَابِ وتَسْتَرْخِي لَهُ الطُّرُقُ قَلْبُ التُّرَابِ وتَسْتَرْخِي لَهُ الطُّرُقُ خَيْلٌ سِوَاهُ إِلَى الْأَهْواءِ تَسْتَبِقُ وَتَشْرَئِبُ إِلَى غَارَاتِهِ العُنُقُ مِنْ سَفْيِهَا وَيُنَاغِي رَكْضَهُ الشَّفَقُ مِنْ سَفْيِهَا وَيُنَاغِي رَكْضَهُ الشَّفَقُ مِنْ سَفْيِهَا وَيُنَاغِي رَكْضَهُ الشَّفَقُ مَنْ سَفْيِهَا وَيُنَاغِي رَكْضَهُ الشَّفَقُ وَرَاءَهُ وَبِحَارُ الشَّوْقِ تَصْطَفِقُ الخَدَقُ لَرَاءَهُ وَبِحَارُ الشَّوْقِ تَصْطَفِقُ لَخَنْ الضِّياءِ وَأَرْخَى طَرْفَهُ الغَسَقُ لَخَرْ لَاسْتِقْبَالِهِ الْأَفْقُ الغَسَقُ فَحْرِ تَعَقَّزَ لِاسْتِقْبَالِهِ الْأَفْقُ فَاعِدُ الْمُفْقُ الْغَسَقُ فَحْرِ تَعَقَرْ لِاسْتِقْبَالِهِ الْأَفْقُ

• ﴿ وَأَعِدُواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ﴾.

قال القرطبي: «وقد استدل بعض علمائنا بهذه الآية على جواز وقف الخيل والسلاح، واتخاذ الخزائن والخزان لها عُدَّةً للأعداء.

وقد اختلف العلماء في جواز وقف الحيوان كالخيل والإبل على قولين: المنع، وبه قال أبو حنيفة. والصحة، وبه قال الشافعي على الله، وهو أصح؛ لهذه الآية، ولحديث ابن عمر في الفرس الذي حمل عليه في سبيل الله، وقوله التَّلَيُّةُ في حق خالد: «وأما خالد فإنكم تظلمون خالدًا فإنه قد احتبس أدراعه وأعْتَادَهُ (١) في سبيل الله، الحديث، (٢).

﴿ تُرْهِبُونَ بِهِ، عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ قال ابن عباس: تخزون به عدو اللَّه

<sup>(</sup>١) أعتاده: آلات الحرب من السلاح والدواب وغيرها.

<sup>(</sup>٢) تفسير القرطبي (٢٨٧٦/٤، ٢٨٧٧).

وعدوكمه'' .

وقال ابن كثير (١١٢/٧): أي: تخوفون به.

﴿عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ من الكفار.

﴿ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمَ لَا نَعْلَمُونَهُمُ ۗ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُم ۗ قال مجاهد: يعني قريظة، وقال السدي: فارس، وقال سفيان الثوري: قال ابن يمان: «هم الشياطين التي في الدور». وقيل: الجن، وهو اختيار الطبري.

وقيل: المراد بذلك كل من لا تُعرف عداوته.

﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُونَى إِلَيْكُمْ وَأَنتُدُ لَا نُظْلَمُونَ ﴾.

قال الطبري (٢٣/١٠): «وما أنفقتم أيها المؤمنون من نفقة في شراء آلة حرب من سلاح أو حرب أو كراع أو غير ذلك من النفقات في جهاد أعداء الله من المشركين يخلفه الله عليكم في الدنيا ويدَّخر لكم أجوركم على ذلك عنده حتى يوفيكموها يوم القيامة.

﴿وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ لا يضيع أجوركم عليه.

قال ابن إسحاق: لا يضيع لكم عند اللَّه أجره في الآخرة، وعاجل خلفه في الدنيا».

وقال ابن كثير: «مهما أنفقتم في الجهاد، فإنه يوفي إليكم على التمام والكمال، ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتَ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي

<sup>(</sup>۱) تفسير الطبري ۲۲/۱۰.

كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّاثَقُهُ حَبَّةً وَاللَّهُ يُضَلِعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمُ ﷺ [البقرة: ٢٦١].

وقال ﷺ للذي وقف ناقة مخطومة في سبيل اللَّه ﷺ: «لك بها سبع مئة ناقة في الجنة» (١٠)، وقال ﷺ: «لك بها يوم القيامة سبع مئة ناقة مخطومة» (٢٠).

وقال رسول الله ﷺ: «من أظل رأس غازٍ أظله الله يوم القيامة، ومن جهز غازيًا في سبيل الله، فله مثل أجره حتى يموت أو يرجع، ومن بنى لله مسجدًا يذكر فيه السم الله بنى الله له بيتًا في الجنة»(٣).

﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾.

«إنه لا بد للإسلام من قوة ينطلق بها في «الأرض» لتحرير «الإنسان».. وأول ما تصنعه هذه القوة في حقل الدعوة أن تُؤمِّنَ الذين يختارون هذه العقيدة على حريتهم في اختيارها؛ فلا يُصَدُّوا عنها، ولا يفتنوا كذلك بعد اعتناقها.. والأمر الثاني: أن ترهب أعداء هذا الدين، فلا يفكروا في الاعتداء على «دار الإسلام» التي تحميها تلك القوة.. والأمر الثالث: أن يبلغ الرعب بهؤلاء الأعداء أن لا يفكروا في الوقوف في وجه المد الإسلامي، وهو ينطلق لتحرير «الإنسان» كله في «الأرض» كلها.. والأمر الرابع: أن تحطم هذه القوة كل قوة في الأرض تتخذ لنفسها صفة الألوهية، فتحكم الناس بشرائعها هي وسلطانها؛ ولا تعترف بأن الألوهية لله وحده؛ ومن ثم فالحاكمية له وحده ـ سبحانه ..

<sup>(</sup>١) صحيح: رواه أبو نعيم في «الحلية» عن ابن مسعود، وَصَحَّحَهُ الأَلباني في «صحيح الجامع» (٥٠٣٠)، و«السلسلة الصحيحة» رقم (٦٣٤).

<sup>(</sup>٢)رواه أحمد ومسلم والنسائي عن ابن مسعود، ويحتمل أن يكون الحديث على ظاهره، ويكون له بها في الجنة سبع مئة ناقة كلها مخطومة يركبهن حيث شاء للتنزه. قال الثوري: وهذا الاحتمال أظهر. (٣)صحيح: رواه ابن أبي شيبة (٣١٠/١)، وابن ماجه (٢٧٥٨)، وابن حبان (٢٢٨)، والبيهقي (٩/ ١٧٢)، والحاكم (٨٩/٢)، وأحمد (٢٠/١): وقال شعيب الأرناءوط في «الإحسان»: رجاله ثقات، رجال الصحيح.

إن الإسلام ليس نظامًا لاهوتيًّا يتحقق بمجرد استقراره عقيدة في القلوب، وتنظيمًا للشعائر، ثم تنتهي مهمته.

إن الإسلام منهج عملي واقعي للحياة؛ يواجه مناهج أخرى تقوم عليها سلطات وتقف وراءها قوى مادية. فلا مفر للإسلام ـ لإقرار منهجه الرباني ـ من تحطيم تلك القوى المادية، وتدمير السلطات التي تنفذ تلك المناهج الأخرى، وتقاوم المنهج الرباني.

وينبغي للمسلم ألا يتمتم ولا يجمجم وهو يعلن هذه الحقيقة الكبيرة.. ينبغي ألا يستشعر الخجل من طبيعة منهجه الرباني.

ينبغي أن يذكر أن الإسلام حين ينطلق في الأرض إنما ينطلق لإعلان تحرير الإنسان بتقرير ألوهية الله وحده وتحطيم ألوهية العبيد! إنه لا ينطلق بمنهج من صنع البشر؛ ولا لتقرير سلطان زعيم، أو دولة، أو طبقة، أو جنس! إنه لا ينطلق لاسترقاق العبيد ليفلحوا مزارع الأشراف كالرومان؛ ولا لاستغلال الأسواق والحامات كالرأسمالية الغربية؛ ولا لفرض مذهب بشري من صنع بشر جاهل قاصر كالشيوعية وما إليها من المذاهب البشرية.

إنما ينطلق بمنهج من صنع الله العليم الحكيم الخبير البصير؛ ولتقرير ألوهية الله وحده وسلطانه؛ لتحرير «الإنسان» في «الأرض» من العبودية للعبيد.

هذه هي الحقيقة الكبيرة التي يجب أن يدركها المهزومون الذين يقفون بالدين موقف الدفاع؛ وهم يتمتمون ويجمجمون للاعتذار عن المد الإسلامي! والجهاد الإسلامي(١).

ويحسن أن نعرف حدود التكليف بإعداد القوة. فالنص يقول: ﴿وَأَعِـدُّواْ لَهُم

<sup>(</sup>١) تفسير في ظلال القرآن

فهي حدود الطاقة إلى أقصاها. بحيث لا تقعد العصبة المسلمة عن سبب من أسباب القوة يدخل في طاقتها.

كذلك يشير النص إلى الغرض الأول من إعداد القوة: ﴿ تُرَهِبُونَ بِهِ، عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمُ ۖ ﴾.

فهو إلقاء الرعب والرهبة في قلوب أعداء الله الذين هم أعداء العصبة المسلمة في الأرض. الظاهرين منهم الذين يعلمهم المسلمون؛ ومَنْ وراءهم ممن لا يعرفونهم، أو لم يجهروا لهم بالعداوة، والله يعلم سرائرهم وحقائقهم. وهؤلاء ترهبهم قوة الإسلام ولو لم تمتد بالفعل إليهم. والمسلمون مكلفون أن يكونوا أقوياء، وأن يحشدوا ما يستطيعون من أسباب القوة؛ ليكونوا مرهويين في الأرض؛ ولتكون كلمة الله هي العليا، وليكون الدين كله لله.

ولما كان إعداد العدة يقتضي أموالًا، وكان النظام الإسلامي كله يقوم على أساس التكافل، فقد اقترنت الدعوة إلى الجهاد بالدعوة إلى إنفاق المال في سبيل الله؛ ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوفَى إِلَيْكُمُ وَأَنتُمْ لَا نُظُلَمُونَ﴾.

وهكذا يجرد الإسلام الجهاد والنفقة في سبيله، من كل غاية أرضية، ومن كل دافع شخصي؛ ومن كل شعور قومي أو طبقي؛ ليتمحض خالصًا لله ﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾؛ لتحقيق كلمة الله، وابتغاء رضوان الله.

ومن ثم ينفي الإسلام من حسابه منذ الوهلة الأولى مكل حرب تقوم على أمجاد الأشخاص والدول، وكل حرب تقوم للاستغلال وفتح الأسواق، وكل حرب تقوم للاستغلال وفتح الأسواق، وكل حرب تقوم لتسويد وطن على وطن، أو قوم على قوم، أو جنس على جنس، أو طبقة على طبقة.. ويستبقي نوعًا واحدًا من الحركة.. حركة الجهاد في سبيل الله.

والله ـ ـ سبحانه ـ ـ لا يريد تسويد جنس، ولا وطن، ولا قوم، ولا طبقة، ولا فرد، ولا شعب. إنما يريد أن تسود ألوهيته وسلطانه وحاكميته. وهو غني عن

العالمين، ولكن سيادة ألوهيته هي وحدها التي تكفل الخير والبركة والحرية والكرامة للعالمين.

﴿ تُرْهِبُونَ بِهِ، عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾: تخزون به عدو اللَّه وعدوكم؛ إما الإسلام، وإما الجزية، وإما السيف.

يا لها من هزيمة روحية وعقلية.. وأي هزيمة.. الهزيمة الروحية والعقلية يعانيها الكثيرون ممن يكتبون عن «الجهاد في الإسلام»؛ فيثقل ضغط الواقع الحاضر على أرواحهم وعقولهم؛ ويستكثرون على دينهم - الذي لا يدركون حقيقته ـ أن يكون منهجه الثابت هو مواجهة البشرية كلها بواحدة من ثلاث: الإسلام، أو الجزية، أو القتال، وهم يرون القوى الجاهلية كلها تحارب الإسلام وتناهضه؛ وأهله ـ الذين ينتسبون إليه وهم لا يدركون حقيقته ولا يشعرون بها شعورًا جديًّا ـ ضعاف أمام جحافل أتباع الديانات والمذاهب الأخرى؛ كما يرون طلائع العصبة المسلمة الحقة قلة بل ندرة؛ ولا حول لهم في الأرض ولا قوة.. وعندئذ يعمد أولئك الكتاب إلى قلة بل ندرة؛ ولا حول لهم في الأرض ولا قوة.. وعندئذ يعمد أولئك الكتاب إلى على دينهم أن يكون هذا منهجه وخطته!

إنهم يعمدون إلى النصوص المرحلية، فيجعلون منها نصوصًا نهائية؛ وإلى النصوص المقيدة بحالات خاصة، فيجعلون منها نصوصًا مطلقة الدلالة؛ حتى إذا وصلوا إلى النصوص النهائية المطلقة أوَّلوها وفق النصوص المقيدة المرحلية! وذلك كله كي يصلوا إلى أن الجهاد في الإسلام هو مجرد عملية دفاع عن أشخاص المسلمين، وعن دار الإسلام عندما تهاجم! وأن الإسلام يتهالك على أي عرض للمسالمة. والمسالمة معناها مجرد الكف عن مهاجمة دار الإسلام!

إن الإسلام ـ في حسهم ـ يتقوقع، أو يجب أن يتقوقع داخل حدوده ـ في كل وقت ـ، وليس له الحق أن يطالب الآخرين باعتناقه، ولا بالخضوع لمنهج الله، اللهم إلا بكلمة أو نشرة أو بيان، أما القوة المادية ـ الممثلة في سلطان الجاهلية على الناس ـ

فليس للإسلام أن يهاجمها إلا أن تهاجمه، فيتحرك حينئذ للدفاع!

ولو أراد هؤلاء المهزومون روحيًا وعقليًا أمام ضغط الواقع الحاضر، أن يلتمسوا في أحكام دينهم ما يواجه هذا الواقع ـ دون ليِّ لأعناق النصوص ـ لوجدوا فيه هذه الواقعية الحركية في أحكامه وتصرفاته المرحلية التي كان يواجه بها ضغط الواقع المشابه لما نواجهه نحن اليوم؛ ولاستطاعوا أن يقولوا: إنه في مثل هذه الحال كان الإسلام يتصرف على هذا النحو، ولكن هذه ليست هي ألقواعد الدائمة؛ إنما هي الأحكام والتصرفات التي تواجه الضرورة.

ليست خيولهم بالعاديات صبحًا، ولا هي الموريات قدحًا، ولا المغيرات صبحًا؛ الخيل التي أقسم اللَّه بها وبما تثيره من الغبار ليست هي خيولنا، إنما هي خيل أبي سليمان خالد.. هي فرس أبي قتادة فارس رسول اللَّه ﷺ.. إنما خيلنا خيل المعلم متقال.. خيول رقص.. عوَّدُوها على الرقص والمزمار، بل ـ واللَّه ـ وأطعموها القات والسيجار، وجعلوها تنفس هذا التبغ والدخان.

أين فرس خالد، وطارق؟!.. أين فرس أبي قتادة؟!..

سَعَيْتُ يُمَرِّق خَطُوي الضَّيَاغُ لِكَيْمَا أَعَانِقَ فِيكِ الْإِبَاءَ وَأَسْتَنْشِقَ السَعَبَقَ اليَعْرُبِيّ فَيَسْدَاحُ يَأْسِي وَيَلْوِي أَسَايَ وَلَكِنْ بَقَايَا نِعاج عِجَافٍ وَفِي مُقْلتَيْكِ ذُبَابٌ مُقِيمٌ وَمِنْهُمَارُكِ الْفَذُّ أَضْحَى حَلَالًا أَشَاهِدُ كَلْبًا عَفُورًا به فَنَامِي وَنَامِي فَلَا الْفَجُرُ لَاحَ

سَعَيْتُ إِلَيْكِ كَطَيْفِ جَرِيح كَسِيرَ الْفُؤَادِ حَزِينًا عَلِيلًا وَمَا غَيْرُ شَوْقِي إِلَيْكِ الدَّلِيلَا وَأَتْلُوَ سِفْرَ عُلَاكِ الْجَلِيلَا وعَزْمًا عنيدًا ومجدًا أثيلًا وَلَــكِــنَّنِي لَمْ أَجِــدْكِ الْحَيُــولَا مُفَكَّكَةِ الْعرْم تَحْكِي الطُّلُولَا لِيَمْتَصَّ مِنْكِ الْبَريقَ الْأَصِيلَا لِمَنْ يَبْتَغِيهِ وَقَدْ كَانَ غِيلًا وَذِنْبًا حَقِيرًا وَضَبْعًا هَزِيلًا وَلَيْلُكِ يَبْدُو طَوِيلًا طَوِيلًا

وَفِي سَاحَةِ الْهَوْلِ لَا النَّقْعُ ثَارَ وَلَا «سَعْدُ» قَامَ يَشُقُّ الصَّفُوفَ وَلَا الرُّمْحُ شُدِّدَ نَحْوَ النَّحُورِ فَلَنْ تَسْمَعِي قَعْقَعَاتِ الرِّمَاحِ فَلَنْ تَسْمَعِي فَعْقَعَاتِ الرِّمَاحِ وَلَا تَعْجَبِي فَهُمُ كَفَّنُوهَا وَأَنَّى لَكِ الْيَوْمَ أَنْ تَنْهَضِي وَلَوْ قَدْ نَهَضْتِ فَمَا مِنْ غَنَاءِ وَمَا قِيمَةُ السَّعْيِ إِنْ لَمْ يُحَقِّقْ

وَلا «خَالِلا» جَاءَ يَحْمِي الْقَبِيلاَ لِيَجْعَلَ جَيْشَ الْأَعادِي فُلُولاَ لِيَجْعَلَ جَيْشَ الْأَعادِي فُلُولاَ وَلاَ السَّيْفُ عَادَ حُسَامًا صَقِيلاً وَلَنْ تَسْمَعِي لِسُيُوفِ صَلِيلاً بِأَغْهَا لَا أَبَسى أَنْ يَنْوُولاَ بِأَغْهَا لَا أَبَسى أَنْ يَنْوُولاً وَإِنِّي أَرَاكِ كَشِيبًا مَهِيلاً؟ وَالله كَشِيبًا مَهِيلاً؟ وَسَعْيُكِ مَا عَادَ يُجْدِي فَتِيلاً إِبَاءً وَضَرْبًا يُرَوِّي الْعَلِيلاً

وَمَا عُدْتِ تَمْتَلِكِينَ الْبَدِيلَا

يَرُودُ السَّنَا وَالنُّرَا وَالسُّهُولَا

وَشَمْسُ الْأُصِيلِ تُنَاجِي الْخَمِيلَا

وَرِيحًا رَخِيًّا وَظِلًّا ظَلِيلًا

خَريرُ مِيَاهِ جَرَتْ سَلْسِبِيلًا

وتغريد خشونها والهديلا

张 张 张

فَنَامِي فَلَيْسَ سِوَى أَنْ تَنَامِي وَلَا تَحْلُمِي بِالْطِلَاقِ جَلِيلٍ وَلَا تَحْلُمِي بِالْطِلَاقِ جَلِيلٍ تَعِيشِينَ فِيهِ ابْتِسَامَ الصَّبَاحِ وَعُشْبًا نَالِيَّا لَافِيادَ الْلَاَقِ وَعُشْبًا نَالِيَّا لَافِيادَ الْلَاَقِ وَخَنَّا يَاجُوهُ بِهِ فِي الرَّبِيعِ وَخَنَّا يَاجُوهُ بِهِ فِي الرَّبِيعِ وَخَنَّا يَاجُوهُ بِهِ فِي الرَّبِيعِ يُجَاوِبُ فِيهِ حَفِيفَ الْعُصُونِ يُحِاوِبُ فِيهِ حَفِيفَ الْعُصُونِ يُحَاوِبُ فِيهِ حَفِيفَ الْعُصُونِ يُحَاوِبُ فِيهِ حَفِيفَ الْعُصُونِ

杂杂杂

وَإِيَّاكِ أَنْ تَصْهَلِي فَالصَّهِيلُ وَلَا تَصْبَحِي فَالضَّبَاحُ سَيَغْدُو هُوَ الصَّمْتُ أَصْبَحَ أَعْلَى مَقَامًا وَإِيَّاكِ أَنْ تَحْلُمِي بِالْإِبَاءِ فَنَامِي وَشُدِّي عَلَيْكِ الْغِطَاءَ فَمَنْ لَمْ يَنَمْ تَاهَ مِنْهُ الطَّرِيقُ وَلَا تَسْأَلِينِي أَيْنَ الدَّلِيلُ؟ وَلَا تَسْأَلِينِي أَيْنَ الدَّلِيلُ؟

فَهَذَا زَمَانُ اللهِّعِيِّ اللَّذِي وَفِيهِ اخْتَفَتْ مَكْرُمَاتُ الرِّجَالِ وَعَاشَ بِهِ الْحُرُّ يَخْشَى الْحَيَاةَ وَعَاشَ بِهِ الْحُرُّ يَخْشَى الْحَيَاةَ وَيَخْشَى الْحَيَاةَ وَيَخْشَى الْمَيَاةُ إِنْ سَهَا حَنَانَيْكِ نَامِي وَشُدِّي الْغِطَاءَ فَإِنِّي رَأَيْتُ الْخُزَايَا تَسُودُ فَإِنِّي رَأَيْتُ الْخُزَايَا تَسُودُ وَقَدْ مَاتَ فِي شَفَتَيْهِ الْقَصِيدُ وَقَدْ مَاتَ فِي شَفَتَيْهِ الْقَصِيدُ وَقَدْ مَاتَ في شَفَتَيْهِ الْقَصِيدُ يُنَادَى عَلَيْهِ «أَمَنْ يَشْتَرِيهِ» وَهُلَاهِ الْوَثَاقُ وَرَطارِقَ» شُدَّ عَلَيْهِ الْوَثَاقُ وَرُطارِقَ» شُدَّ عَلَيْهِ الْوَثَاقُ وَيُعْرَمُ مَا صَاغَهُ مِنْ فُتُوحٍ وَيُنْكِرَ مَا صَاغَهُ مِنْ فُتُوحٍ وَيُحْجِي قَامَتَهُ لِللَّهِ لِللَّهِ لِللَّهِ الْمَتَاهُ لِللَّهِ الْمَثَاقُ وَيُعْرِعِ وَيُعْرِعِي قَامَتَهُ لِللَّهِ لِللَّهِ الْمَتَاهُ لِللَّهِ الْمَاتِيقِ وَالْمَتَهُ لِللَّهُ عِلَيْهِ الْمَتَاهُ لِللَّهِ الْمَاتِيقِ وَالْمَتَهُ لِللَّهُ عِلَيْهِ الْمَاتِيقِ وَلَيْهِ الْمَاتِيقِ وَالْمَتَهُ لِللَّهُ عَلَيْهِ الْمَاتِيقِ وَالْمَتَهُ لِللَّهِ الْمَاتِيقِ وَلَيْهِ الْمَاتِيقِ وَلَمَاتُهُ لِللَّهُ عَلَيْهِ الْمَاتِيقِ وَالْمَتِهُ لِللَّهُ فَيْعِ وَلَيْهِ الْمَاتِيقِ وَلَهُ الْمَاتِيقِ وَلَهُ الْمَاتِهُ لَلْمَاتُهُ لِللْمُ الْمَاتِهُ لَيْهِ الْمَاتِيقِ وَلَيْهِ الْمَاتِيقِ وَلَيْهِ الْمَاتِيقِ وَلَامِيقِهُ الْمَاتِيقِ وَلَامِيقِيقِ الْمَاتِيقِ وَلَيْهُ اللَّهُ الْمَاتِهُ لِلْمُعِيقِ وَلَامِيقِهُ الْمُتَلِيمِ الْمُعْلِيمِ الْمُعْلِيمِ الْمُعْمِيقِ الْمُعْلِيمِ الْمُعْلَى الْمُ الْمَاتِيمِ وَلَيْهِ الْمُعِيمِ الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمِلْمُ الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلِيمِ الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلِيمِ الْمُتَلِيمِ الْمُعْلِيمُ الْمُعْلِيمِ الْمُعْلِيمِ الْمُعْلَى الْمُعْلِيمِ الْمُعْلِيمِ الْمُعْلِيمِ الْمُعْلَى الْمُعْلِيمِ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِيمِ الْمُعْمِيمِ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمِ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمِ

بِهِ حَرَمُوا الْحُوَّ حَتَّى الرَّحِيلَا وَأَنْكُرَ كُلُّ خَلِيلِ خَلِيلًا وَيَخْشَى الْقِيلَا وَيَخْشَى الْقِيلَا وَيَخْشَى الْقِيلَا فَتُرْدِيهِ غَدْرًا بِخَنْقٍ قَتِيلَا فَتُرْدِيهِ غَدْرًا بِخَنْقٍ قَتِيلَا وَلَوْ كَانَ نَسْجُ الْغِطَاءِ الْوُحُولَا وَشَاهَدْتُ (عَنْقَرَ) عَبْدًا ذَلِيلَا وَشَاهَدْتُ (عَنْقَرَ) عَبْدًا ذَلِيلَا وَشَاهَدْتُ (عَنْقَرَ) عَبْدًا ذَلِيلَا وَيَدْفَعُ فِيهِ السَّوْطُ يَهْوِي مَهُولَا وَيَدْفَعُ فِيهِ الْبَخِيسَ الْقَلِيلَا؟ وَيَدْفَعُ فِيهِ الْبَخِيسَ الْقَلِيلَا؟ يُعَذَّبُ في السِّجْنِ حَتَّى يَمِيلَا يُعَدَّبُ في السِّجْنِ حَتَّى يَمِيلَا وَحَقَّقَ فِيهَا انْتِصَارًا جَلِيلًا وَتَعْرَكَ (لِذْرِيقَ) كَيْمَا يَصُولَا الْمَلِيلَا وَيَتْرُكَ (لِذْرِيقَ) كَيْمَا يَصُولَا اللهِ اللهِ الْمُلِيلَا وَيَتْرُكَ (لِذْرِيقَ) كَيْمَا يَصُولَا اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ الْمُلِيلَا وَيَتْرُكَ (لِذْرِيقَ) كَيْمَا يَصُولَا اللهِ اللهِ الْمُلِيلَا وَيَتْرُكَ (لِلذَّرِيقَ) كَيْمَا يَصُولَا اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ ال

\* \* \*

قال القرطبي: «قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِّ ﴾؛ أي: مُحثَّهم وحضَّهم. يقال: حارض على الأمر وواظب وواصب وأكبَّ بمعنى واحد» (٢٠).

<sup>(</sup>۱) زيارة فوق العادة للخيول العربية، للدكتور جابر قميحة، «مجلة القدس» العدد ۱۳۵» «رمضان ـ شوال ۱۲۰ هـ يناير ۲۰۰۰م، ص (۸۰ ۸۱).

<sup>(</sup>٢) القرطبي (٢١٨٣/٤).

قال ابن جرير (٢٧/١، ٢٨): ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّيِّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ﴾ خُتُ متبعيك ومصدقيك على ما جئتهم به من الحق على قتال من أدبر وتولى عن الحق من المشركين. إن يكن منكم عشرون رجلًا صابرون عند لقاء العدو، يحتسبون أنفسهم، ويثبتوا لعدوهم، يغلبوا مئتين من عدوهم ويقهروهم، وإن يكن منكم مئة عند ذلك يغلبوا ألفًا. ﴿ بِأَنَهُمُ قَوْمٌ لَا يَفَقَهُونَ ﴾ من أجل أن المشركين قوم يقاتلون على غير رجاء وثواب، ولا لطلب أجر ولا احتساب؛ لأنهم لم يفقهوا أن الله موجب لمن قاتل احتسابًا وطلب موعود الله في المعاد ما وعد المجاهدين في سبيله، فهم لا يثبتون إذا صدقوا في اللقاء؛ خشية أن يُقتلوا فتذهب دنياهم.

ثم خفف - تَعَالَى ذكره - عن المؤمنين، إذ علم ضعفهم، فقال لهم: ﴿ آنَانَ خَفَفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَتَ فِيكُمْ ضَعْفَا ﴾ ؛ يعني: أن في الواحد منهم عن لقاء العشرة من عدوهم ضعفًا، ﴿ فَإِن يَكُن مِّنكُمْ مِّأَنَّةٌ صَابِرَةٌ ﴾ عند لقائهم للثبات لهم ﴿ يَغْلِبُوا مِأْنَايِنَ ﴾ منهم وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلَفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ ﴾ منهم ﴿ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلَفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ ﴾ منهم ﴿ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلَفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ ﴾ منهم أَلْقُ يَعْلِبُوا أَلْفَيْنِ ﴾ منهم أَلْقُ إِياهم؛ لغلبتهم ومعونته إياهم. ﴿ وَأَللَّهُ مَعَ الصَّالِمِينَ ﴾ لعدوهم وعدو الله؛ احتسابًا في صبره، وطلبًا لجزيل الثواب من ربه بالعون منه له والنصر عليه.

قال عطاء: كان الواحد لعشرة، ثم جُعِل الواحد باثنين لا ينبغي له أن يفرَّ منهما.

وقال ابن عباس: أمر الله الرجل من المؤمنين أن يقاتل عشرة من الكفار، فشق ذلك على المؤمنين، ورحمهم الله فقال: ﴿ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغَلِبُوا مِائَنَةٌ وَإِن يَكُن مِّنكُم مَّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغَلِبُوا مِائَنَةٍ وَإِن يَكُن مِّنكُم أَلُكُ يَغَلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّنبِينَ ﴾ فأمر الله الرجل من المؤمنين أن يقاتل رجلين من الكفار». وقال: «كان جعل على رجل من المسلمين عشرة من العدو يؤشبهم (يعني: يغريهم) بذلك؛ ليوطنوا أنفسهم على الغزو وأن الله ناصرهم على العدو».

قال ابن جرير: «وهذه الآية: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَكَبُرُونَ ﴾ وإن كان مخرجها مخرج الخبر فإن معناها الأمر، يدل على ذلك قوله: ﴿أَكِنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ ﴾ فلم يكن التخفيف إلا بعد التثقيل، ولو كان ثبوت العشرة منهم للمئة من عدوهم كان غير فرض عليهم قبل التخفيف وكان ندبًا لم يكن للتخفيف وجه؛ لأن التخفيف إنما هو ترخيص في ترك الواحد من المسلمين الثبوت للعشرة من العدو.

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: لما نزلت هذه الآية ثقلت على المسلمين، وأعظموا أن يقاتل عشرون مئتين، ومئة ألفًا، فخفف الله عنهم، فنسخها بالآية الأخرى فقال: ﴿ آلَئَنَ خَفَفَ اللَّهُ عَنكُمُ ﴾ ، فكانوا إذا كانوا على الشطر من عدو لهم لم يَنْبَغِ لهم أن يفروا من عدوهم، وإذا كانوا دون ذلك لم يجب عليهم قتالهم».

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: «كان فرض على المؤمنين أن يقاتل الرجل منهم عشرة من المشركين، فشق ذلك عليهم، فأنزل الله التخفيف. وبمثل قوله قال قتادة، وابن أبى نجيح، ومجاهد، والضحاك.

• ﴿ ذَالِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾

قال ابن إسحاق: أي: لا يقاتلون على نية، ولا حق فيه، ولا معرفة لخير ولا شر».

﴿وَعَلِمَ أَنَ فِيكُمْ ضَعْفَا ﴾ قراءة بعض المدنيين وبعض البصريين بضم الضاد، ﴿وَعَلِمَ أَنَ فِيكُمْ ضَعْفَا ﴾ بفتح الضاد قراءة عامة قرّاء الكوفة، وهما قراءتان معروفتان، ولغتان مشهورتان بمعنى واحد، فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب».

﴿يَاأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ﴾.

«حرضهم. وهُم لعدوهم وعدو الله كفء، وإن قل عددهم وكثر أعداؤهم وأعداء الله حولهم:

(٣٠٨)

﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَكِبُرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْتَنَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمُ مِّائكُ يُغْلِبُواْ مِاْتَنَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائكُ يَغْلِبُواْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ . فأما تعليل هذا التفاوت فهو تعليل مفاجئ عجيب، ولكنه صادق عميق؛ ﴿ بِأَنْهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾.

فما صلة الفقه بالغلب في ظاهر الأمر؟ ولكنها صلة حقيقية، وصلة قوية..إن الفئة المؤمنة إنما تمتاز بأنها تعرف طريقها، وتفقه منهجها، وتدرك حقيقة وجودها وحقيقة غايتها.. إنها تفقه حقيقة الألوهية وحقيقة العبودية؛ فتفقه أن الألوهية لا بد أن تنفرد وتستعلي، وأن العبودية يجب أن تكون لله وحده بلا شريك. وتفقه أنها هي الأمة المسلمة ـ المهتدية بهدى الله، المنطلقة في الأرض بإذن الله؛ لإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده؛ وأنها هي المستخلفة عن الله في الأرض؛ الممكنة فيها لا لتستعلي هي وتستمتع، ولكن لتعلي كلمة الله وتجاهد في سبيل الله، ولتعمر الأرض بالحق، وتحكم بين الناس بالقسط، وتقيم في الأرض مملكة الله التي تقوم على العدل بين الناس.. وكل ذلك فقه يسكب في قلوب العصبة المسلمة النور والثقة والقوة واليقين؛ ويدفع بها إلى الجهاد في سبيل الله في العدل بين الناس.. وكل ذلك فقه يسكب في قلوب العصبة المسلمة النور والثقة والقوة واليقين؛ ويدفع بها إلى الجهاد في سبيل الله في قوة وفي طمأنينة للعاقبة تضاعف القوة. بينما أعداؤها ﴿فَوْمٌ لاَ يَفْقَهُونَ ﴾. قوة وفي طمأنينة للعاقبة تضاعف القوة. بينما أعداؤها ﴿فَوْمٌ لاَ يَفْقَهُونَ ﴾. قلوبهم مغلقة. وبصائرهم مطموسة؛ وقوتهم كليلة عاجزة مهما تكن متفوقة قلوبهم أينها قوة منقطعة معزولة عن الأصل الكبير!

وهذه النسبة .. (واحد لعشرة).. هي الأصل في ميزان القوى بين المؤمنين الذين يفقهون والكافرين الذين لا يفقهون.. وحتى في أضعف حالات المسلمين الصابرين فإن هذه النسبة هي: واحد لاثنين». اهـ. من الظلال.

٣٩. قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ وَجَهِدُواْ فِي ٱللّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ ٱجْتَبَكُمْ وَمَا جَعَلَ عَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٌ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَهِيمَ هُوَ سَمَّلَكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن جَعَلَ عَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٌ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَهِيمَ هُوَ سَمَّلَكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَلْمُواْ فَهُ هَذَا لِيكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَاءَ عَلَى ٱلنّاسِ فَأَقِيمُواْ فَيُعَمَّ اللّهَ وَوَ مَوْلَلَكُمْ فَيْعَمَ ٱلْمَوْلَى وَيَعْمَ ٱلنَّصِيرُ السَّهَلَوَةَ وَاعْتَصِمُواْ بِٱللّهِ هُو مَوْلَلَكُمْ فَيْعَمَ ٱلْمَوْلَى وَيَعْمَ ٱلنَّصِيرُ اللّهِ هُو مَوْلَلَكُمْ فَيْعَمَ ٱلْمَوْلَى وَيَعْمَ ٱلنَّصِيرُ اللّهِ هُو مَوْلَلَكُمْ فَيْعَمَ ٱلْمَوْلَى وَيْعَمَ ٱلنَّصِيرُ اللّهِ هُو مَوْلَلَكُمْ فَيْعَمَ ٱلْمُؤلِى وَيْعَمَ النّصِيرَ اللّهِ هُو مَوْلَلَكُمْ فَيْعَمَ الْمُولَى وَيْعَمَ اللّهُ اللّهِ اللّهُ وَالْمَالَةُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ الل

قال الطبري: «قال بعضهم معناه: وجاهدوا المشركين في سبيل الله حق جهاده.

قال ابن عباس: وجاهدوا في اللَّه حق جهاده كما جاهدتم أول مرة. وقال ابن عباس: ﴿وَجَاهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾: لا تخافوا في اللَّه لومة لائم.

قال ابن جرير: والصواب من القول في ذلك قول من قال: عنى به الجهاد في سبيل الله؛ لأن المعروف من الجهاد ذلك، وهو الأغلب على قول القائل: جاهدت في الله. وحق الجهاد: هو استفراغ الطاقة فيه»(١).

قال ابن كثير في تفسيره (٩٩/١٠): «أي: بأموالكم وألسنتكم وأنفسكم، كما قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ اَتَّقُواْ اللَّهَ حَقَّ تُقَالِهِ ـ ﴿ [آل عمران: ١٠٢].

وقال القرطبي (٤٤٩١/٧): «قيل: عنى به جهاد الكفار. وقيل: هو إشارة إلى امتثال جميع ما أمر الله به، والانتهاء عن كل ما نهى الله عنه؛ أي: جاهدوا أنفسكم في طاعة الله وردُّوها عن الهوى، وجاهدوا الشيطان في ردِّ وسوسته، والظلمة في رد ظلمهم، والكافرين في رد كفرهم».

قال ابن عطية: وقال مقاتل: وهذه الآية منسوخة بقوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿ فَأَنَقُوا ٱللَّهَ مَا السَّطَعُتُمُ ﴾ السَّطَعُتُمُ ﴾ [التغابن: ٢٦]، وكذا قال هبة الله: إن قوله: ﴿ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ ﴾

<sup>(</sup>١) تفسير الطبري (١٤٢/١٧).

وقوله في الآية: ﴿ حَقَّ تُقَالِهِ عَهِ منسوخ بالتخفيف إلى الاستطاعة في هذه الأوامر. ولا حاجة إلى تقدير النسخ، فإن هذا هو المراد من أول الحكم؛ لأن ﴿ حَقَّ عِنهِ الحرج.

وقال أبو جعفر النحَّاس: وهذا مما لا يجوز أن يقع فيه نسخ؛ لأنه واجب على الإنسان».

قال رسول اللَّه عَيَلِيِّ: «أفضل الجهاد أن يجاهد الرجل نفسه وهواه»(١). وقال رسول اللَّه عَيَلِيِّ: «المجاهد من جاهد نفسه في الله (٢).

﴿ هُوَ آجْتَبَكُمُ ﴾: قال الطبري: «هو اختاركم لدينه، واصطفاكم لحرب أعدائه والجهاد في سبيله».

قال ابن زيد: ﴿هُو ٱجْتَبَكُمْ ﴾: هو هداكم.

وقال القرطبي (٤٤٩٢/٧): «أي: اختاركم للذب عن دينه والتزام أمره، وهذا تأكيد للأمر بالمجاهدة؛ أي: وجب عليكم أن تجاهدوا؛ لأن الله اختاركم له».

«يجمع الله في هذه الآية والآية السابقة لها المنهائج الذي رسمه الله لهذه الأمة، ويلخص تكاليفها التي ناطها بها، ويقرر مكانها الذي قدَّره لها، ويثبت جذورها في الماضي والحاضر والمستقبل متى استقامت على النهج الذي أراده لها الله؛ يبدأ بالركوع والسجود، وهما ركنا الصلاة، ويثني بالأمر العام وهو العبادة، ويختم بفعل الخير عامة، فإذا استعدت الأمة المسلمة بهذه العدَّة من الصلة بالله واستقامة الحياة، فاستقام ضميرها، واستقامت حياتها نهضت بالتبعة الشاقة.

﴿ وَجَاهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ وَهُو تَعْبِيرُ شَامِلُ جَامِعُ دَقَيْقٌ، يَصُورُ

<sup>(</sup>١) صحيح: رواه ابن النجار عن أبي ذر، ورواه أبو نعيم، والديلمي، وَصَحَّحَهُ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٤٩٦)، و«صحيح الجامع» رقم (١٠٩٩).

<sup>(</sup>٢) صحيح: رواه الترمذي، وابن حبان، وأحمد عن فضالة بن عُبيد، وَصَحَّحَهُ الأَلباني في «الصحيحة» رقم (٥٠/٢)، و«صحيح الجامع» رقم (٦٦٧٩)، انظر: الترغيب (١٥٠/٢).

تكليفًا ضخمًا يحتاج إلى تلك التعبئة وهذه الذخيرة وذلك الإعداد.

﴿ وَجَاهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ .. فقد انتدبكم لهذه الأمانة الضخمة، واختاركم لها من بين عباده، ﴿ هُو ٱجْتَبَكُمُ ﴾ .. وإن هذا الاختيار يضخم التبعة، ولا يجعل هنالك مجالًا للتخلي عنها أو الفرار! وإنه لإكرام من الله لهذه الأمة ينبغي أن يقابل منها بالشكر وحسن الأداء (١) .

## □ الترهيب من النكوص عن الجهاد وتركه وذمُّ من يتشاغل عنه

٤٠ قال . تَعَالَى -: ﴿ قُلْ إِن كَانَ مَابَآؤُكُمْ وَاَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَلْكُمْ وَأَزَوَا جُكُرٌ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَتَوَا جُكُمْ وَإِخْوَلْكُمْ وَأَزَوَا جُكُرٌ وَعَشِيرِتُكُمْ وَأَمْوَلُهُ آ أَحَبٌ إِلَيْكُمْ وَأَمْوَلُهُ آ أَخْبُ إِلَيْكُمْ مِنْ وَأَمْوِلُهُ آ أَخْبُ إِلَيْكُمْ مِنْ وَأَمْوِلُهُ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَرَبَّصُوا حَتَى يَأْقِي اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِى اللهُ فَا اللهُ عَلَى اللهُ عَلْهُ عَلَى اللهُ عَلْمَى اللهُ عَلَى الله

قال ابن جرير الطبري في تفسيره (١٩/١٠): «يقول ـ تبارك وتعالى ـ لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد للمتخلفين عن الهجرة إلى دار الإسلام، المقيمين بدار الشرك: إن كان المقام مع آبائكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم، وكانت أموال ﴿ اَقْتَرَفْتُهُوهَا ﴾ يقول: اكتسبتموها، ﴿ وَجَدَرَةٌ تَخْشُونَ كَسَادَهَا ﴾ بفراقكم بلدكم، ﴿ وَمَسَدِكُنُ تَرْضُونَهَا ﴾ فسكنتموها ﴿ اَحَبَ إِلَيْكُم ﴾ من بفراقكم بلدكم، ﴿ وَمَسَدِكُنُ تَرْضُونَهَا ﴾ فانتظروا ﴿ حَقَّ يَأْتِي الله ﴾ يعني: في نصرة الهجرة إلى الله ورسوله من دار الشرك، ومن ﴿ جهاد في سبيله ﴾ يعني: في نصرة دين الله الذي ارتضاه، ﴿ فَتَرَبَّصُوا ﴾ فانتظروا ﴿ حَقَّ يَأْتِي الله ﴾ بفتح مكة. ﴿ وَاللّه لا يوفق للخير الخارجين عن طاعته وفي معصيته ».

قال الحافظ ابن كثير (١٦٤/٧) : «أمر ـ تَعَالَى ـ رسوله أن يتوعد من آثر أهله وقرابته وعشيرته على الله ورسوله وجهاد في سبيله، فقال: ﴿ قُلَ إِن كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَأَمْوَالُ أَقْتَرُفَتُمُوهَا ﴾؛ أي: اكتسبتموها وَابَا وَكُمْ وَأَنْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُو وَأَمُولُكُ وَأَمُولُكُ وَاللهُ وَعَشِيرَتُكُو وَأَمُولُكُ وَأَمُولُكُمْ وَأَرْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُو وَأَمُولُكُ وَاللهُ وَعَشِيرَتُكُو وَاللهُ وَعَشِيرَتُكُو وَاللهُ وَعَشِيرَتُكُو وَاللهُ وَاللهُ وَعَشِيرَتُكُو وَاللهُ وَعَشِيرَتُكُو وَاللهُ وَعَشِيرَتُكُوا وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَعَشِيرَتُكُوا وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللّهُ وَالْهُ وَاللّهُ وَاللّه

<sup>(</sup>١) الظلال (٤/٢٤٤٢).

وحصَّلتموها. ﴿وَتِجَدَرُهُ تَخَشُونَ كَسَادَهَا وَمَسَدِكُنُ تَرْضُونَهَا ﴾ ؛ أي تحبونها؛ لطيبها وحسنها؛ أي: إن كانت هذه الأشياء ﴿أَحَبَ إِلَيْكُمْ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ مَنْ عَقَابِه وَنَكَالُه بَكُم، ولهذا قال: ﴿حَتَّى يَأْتِهُ إِلَيْهُ لِا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفُسِقِينَ ﴿ .

قال القرطبي (٢٩٣٤/٤، ٣٩٣٥): ﴿وَأَمُوكُ لَّ أَقَّ تَرَفْتُمُوهَا ﴾ يقول: اكتسبتموها بمكة. وأصل الاقتراف اقتطاع الشيء من مكانه إلى غيره.

﴿ وَتِجَدَرُهُ تَخَشُونَ كَسَادَهَا ﴿ قَالَ ابنَ المَبَارِكُ: هِي البناتِ وَالأَخْوَاتِ إِذَا كَسَدت فِي البناتِ لا يجدن لهن خاطبًا. قال الشاعر:

كَسَدْنَ مِنَ الْفَقْرِ فِي قَوْمِهِنَ وَقَدْ زَادَهُنَّ مَقَامِي كُـسُودَا ﴿ وَمَسَاكِنُ تَرْضُونَهَا ﴾ أي: تعجبكم الإقامة فيها.

﴿ فَتَرَبُّكُمُوا ﴾ صيغة أمر، ومعناه التهديد؛ يقول: انتظروا.

﴿ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِ ۚ ﴾؛ قال الحسن: بعقوبة آجلة أو عاجلة.

﴿ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ ﴾ دليل على فضل الجهاد، وإيثاره على راحة النفس وعلاقتها بالأهل والمال».

قال ابن عطية: «في ضمن قوله: ﴿فَتَرَبُّصُواۚ﴾ وعيد بينٌ.

﴿ وَتِحِدَرُةٌ تَخْشُونَ كَسَادَهَا ﴾ بينٌ في أنواع المال.

وقال ابن المبارك: الإشارة إلى البنات اللواتي لا يتزوجن لا يوجد لهن خاطب»(١).

وقال ابن الجوزي: «فأما العشيرة، فهم الأقارب الأدنون. وروى أبو بكر عن عاصم: ﴿وَعَشِيرَاتُكُمْ عَلَى الجمع. قال أبو علي: وجهه أن كل واحد من المخاطبين له عشيرة، فإذا اجمعت قلت: عشيراتكم. وحجة من أفرد أن العشيرة

<sup>(</sup>١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (١٥٢/٨، ١٥٣) مكتبة ابن تيمية.

واقعة على الجمع، فاسْتُغْنِيَ بذلك عن جمعها.

وقال الأخفش: لا تكاد العرب تجمع عشيرة: عشيرات، إنما يجمعونها عشائر.

# وفي قوله: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِى اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۚ ﴾ قولان:

والثاني: أنه العقاب؛ قاله الحسن،(١).

هنا في هذه الآية «استعرض ألوان الوشائج والمطامع واللذائذ؛ ليضعها كلها في كفة، ويضع العقيدة ومقتضياتها في الكفة الأخرى: الآباء، والأبناء، والإخوان، والأزواج، والعشيرة (وشيجة الدم والنسب والقرابة والزواج)، والأموال، والتجارة (مطمع الفطرة ورغبتها)، والمساكن المريحة (متاع الحياة ولذتها).. وفي الكفة الأخرى: حب الله ورسوله، وحب الجهاد في سبيله.. الجهاد بكل مقتضايته وبكل مشقاته.. الجهاد وما يتبعه من تعب ونصب، وما يتبعه من تضييق وحرمان، وما يتبعه من ألم وتضحية، وما يتبعه من جراح واستشهاد، وهو ـ بعد هذا كله يتبعه من ألم وتضحية، وما يتبعه من الصيت والذكر والظهور.. مجردًا من المباهاة، والفخر والخيلاء، مجردًا من الصيت والذكر والظهور.. مجردًا من المباهاة، والفخر والخيلاء، مجردًا من إحساس أهل الأرض به وإشارتهم إليه وإشادتهم والفخر والخيلاء، وإلا فلا أجر عليه ولا ثواب.

وهذا التجرد لا يُطالب به الفرد وحده، إنما تُطالب به الجماعة المسلمة والدولة المسلمة، فما يجوز أن يكون هناك اعتبار ـ لعلاقة أو مصلحة ـ يرتفع على مقتضيات الجهاد في سبيل الله.

<sup>(</sup>١) زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (٤١٢/٣، ٤١٣)، المكتب الإسلامي.

وما يكلف الله الفئة المؤمنة هذا التكليف إلا وهو يعلم أن فطرتها تطيقه . فالله لا يكلف نفسًا إلا وسعها . وإنه لمن رحمة الله بعباده أن أودع فطرتهم هذه الطاقة العالية من التجرد والاحتمال؛ وأودع فيها الشعور بلذة علوية لذلك التجرد، لا تعدلها لذائذ الأرض كلها.. لذة الشعور بالاتصال بالله، ولذة الرجاء في رضوان الله، ولذة الاستعلاء على الضعف والهبوط، والخلاص من ثقلة اللحم والدم، والارتفاع إلى الأفق المشرق الوضيء، فإذا غلبتها ثقلة الأرض ففي التطلع إلى الأفق، مما يجدد الرغبة الطامعة في الخلاص والفكاك»(١).

قال ابن القيم في هذه الآية: «وأما تقديمهم الأموال في تينك الآيتين فلحكمة باهرة، وهي أن «براءة» متضمنة لوعيد من كانت تلك الأشياء المذكورة فيها أحب إليه من الجهاد في سبيل الله، ومعلوم أن تصور المجاهد فراق أهله وآبائه وإخوانه وعشيرته تمنعه من الخروج عنهم أكثر مما يمنعه مفارقته ماله، فإن تصور مع هذا أن يقتل فيفارقهم فراق الدهر نفرت نفسه عن هذه أكثر وأكثر، ولا يكاد ـ عند هذا التصور ـ يخطر له مفارقة ماله، بل يغيب بمفارقة الأحباب عن مفارقة المال، فكان تقديم هذا الجنس أولى من تقديم المال.

وتأمل هذا الترتيب البديع في تقديم ما قدَّم، وتأخير ما أخَّر يطلعك على عظمة هذا الكلام وجلالته، فبدأ أولا بذكر أصول العبد، وهم: آباؤهم المتقدمون طبعًا وشرفًا ورتبة، وكان فخر القوم بآبائهم ومحاماتهم عنهم أكثر من محاماتهم عن أنفسهم وأموالهم وحتى عن أبنائهم، ولهذا حملتهم محاماتهم عن آبائهم ومناضلتهم عنهم إلى أن احتملوا القتل وسبي الذرية - ولا يشهدون على آبائهم بالكفر والنقيصة ويرغبون عن دينهم؛ لما في ذلك من ازرائهم بهم. ثم ذكر الأبناء؛ لأنهم يتلونهم في الرتبة، وهم أقرب أقاربهم إليهم، وأعلق بقلوبهم، وألصق بأكبادهم من الإحوان والعشيرة. ثم ذكر الإحوان، وهم:

<sup>(</sup>۱) الظلال (۳/۱۲۱۰، ۱۲۱۳).

الكلالة، وحواشي النسب، فذكر الأصول أولًا، ثم الفروع ثانيًا، ثم الفطرة ثالثًا، ثم الأزواج رابعًا؛ لأن الزوجة أجنبية عنده، ويمكن أن يتعوض عنها بغيرها، وهي إنما تراد للشهوة، وأما الأقارب من الآباء والأبناء والإخوان فلا عوض عنهم، ويرادون للنصرة والدفاع، وذلك مقدم على مجرد الشهوة. ثم ذكر القرابة البعيدة «خامسًا»، وهي العشيرة وبنو العم، فإن عشائرهم كانوا بني عمتهم غالبًا، وإن كانوا أجانب فأولى بالتأخير. ثم انتقل إلى ذكر الأموال بعد الأقارب «سادسًا»، ووصفها بكونها مقترفة؛ أي: مكتسبة؛ لأن القلوب إلى ما اكتسبته من المال أميل، وله أحب، وبقدره أعرف؛ لما حصل له فيه من التعب والمشقة، بخلاف مال جاء عفوًا بلا كسب، من ميراث، أو هبة، أو وصية، فإن حفظه للأول ومراعاته له وحرصه على بقائه أعظم من الثاني، والحس شاهد بهذا، وحسبك به. ثم ذكر التجارة «سابعًا»؛ لأن محبة العبد للمال أعظم من محبته للتجارة التي يحصله بها، فالتجارة عنده وسيلة إلى المال المقترف، فقدُّم المال على التجارة تقديم الغايات على وسائلها، ثم وصف التجارة بكونها مما يخشى كسادها، وهذا يدل على شرفها وخطرها، وأنه قد بلغ قدرها إلا أنها مخوفة الكساد. ثم ذكر الأوطان «ثامنًا» آخر المراتب؛ لأن تعلق القلب بها دون تعلُّقه بسائر ما تقدم، فإن الأوطان تتشابه، وقد يقوم الوطن الثاني مقام الأول من كل وجه، ويكون خيرًا منه، فمنها عوض، وأما الآباء والأبناء والأقارب والعشائر فلا يتعوَّض منها بغيرها، فالقلب وإن كان يحنُّ إلى وطنه الأول فحنينه إلى آبائه وأبنائه وزوجاته أعظم، فمحبة الوطن آخر المراتب، وهذا هو الواقع إلا لعارض يترجح عنده إيثار البعيد على القريب فذلك جزئي لا كلي، فلا تناقض به، وأما عند عدم العوارض فهذا هو الترتيب المناسب والواقع» <sup>(١)</sup>.

قال القشيري في هذه الآية: «ليس هذا تخييرًا لهم، ولا إذنًا في إيثار الحظوظ

<sup>(</sup>١) بدائع الفوائد، لابن القيم (١/٥٧، ٧٦).

على الحقوق، ولكنه غاية التحذير والزجر عن إيثار شيء من الحظوظ على الدين، ومرور الأيام حكم عدل يكشِف في العاقبة عن أسرار التقدير، قال قائلهم:

سَوْفَ تَرَى إِذَا الْجُلَى الْغُبَارُ أَفَرَسٌ تَحْتَكَ أَمْ حِمَارُ؟

ويقال: علامة الصدق في التوحيد قطع العلاقات، ومفارقة العادات، وهجران المعهودات، والاكتفاء باللَّه في دوام الحالات.

ويقال: مَنْ كسدت سوقُ دينه كَسَتْ أسواق حظوظه، وما لم تَخْلُ منك منازل الحظوظ لا تعمرُ بك مَشَاهِدُ الحقوق (١٠٠٠).

13- وقال - تَعَالَى -: ﴿ يَتَأَيُّهُا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ إِنَّ كَثِيرًا مِنَ ٱلْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْ كُلُونَ آمَوْلَ ٱلنَّاسِ فِٱلْبَنْطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَكِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ يَكْنِرُونَ ٱلذَّهْبَ وَٱلْفِضَةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابِ يَكْنِرُونَ ٱلذَّهْبَ وَٱلْفِضَةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابِ يَكْنِرُونَ ٱللَّهِ عَيْمًا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكُونَ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُونَهُمْ وَجُنُونَهُمْ وَجُنُونُهُمْ وَظُهُورُهُمُّ هَذَا مَا كُنتُمْ تَكَنِرُونَ ﴿ وَلَا يَنْفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكَنِرُونَ ﴿ ﴾ وَطُهُورُهُمُّ هَذَا مَا كَنتُمْ تَكَنِرُونَ ﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥].

مصائر الكانزين للذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله، والسياق يمهد لغزوة العسرة حينذاك.

تنتهي الآية بإجمال وإبهام في العذاب، ثم يأخذ في التفصيل بعد الإجمال: ﴿ يَوْمَ يُحُمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ ﴾، ثم هاهي ذي حميت واحمرت، وها هي ذي مُعدَّة مهيأة، ويبدأ العذاب الأليم، ها هي ذي الجباه تُكوى.. لقد انتهت عملية الكي في الجباه، فليداروا على الجنوب.. ها هي ذي الجنوب تُكوَى.. لقد انتهت هذه، فليداروا على الجنوب.. ها هي ذي الظهور تُكوى ـ لقد انتهى هذا اللون من العذاب، فليتبعه الترذيل والتأنيب: ﴿هَنَا مَا كَنَاتُمُ لِأَنفُسِكُمُ ﴾ هذا هو بذاته العذاب، فليتبعه الترذيل والتأنيب: ﴿هَنَا مَا كَنَاتُمُ لِأَنفُسِكُمُ ﴾ هذا هو بذاته

<sup>(</sup>١) لطائف الإشارات، للقشيري (١٨/٢)، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الذي كنزتموه للذة، فانقلب أداة لهذا اللون الأليم من العذاب ﴿ فَذُوقُواْ مَا كُنْتُمُ تَكْنِرُونَ ﴾ !.

ذوقوه بذاته، فهو هو الذي تذوقون منه مسَّه للجنوب والظهور والجباه! ألا إنه مشهد مفزع مروع، يعرض في تفصيل وتطويل وأناة.

قال القرطبي (٢٩٦٧/٥): «ظاهر الآية تعليق الوعيد على من كنز ولا ينفق في سبيل الله، ويتعرَّض للواجب وغيره؛ غير أن صفة الكنز لا ينبغي أن تكون معتبرة؛ فإن من لم يكنز ومنع الإنفاق في سبيل اللَّه فلا بد وأن يكون كذلك، إلا أن الذي يخبأ تحت الأرض هو الذي يُعنع إنفاقه في الواجبات عُرْفًا، فلذلك خُصَّ الوعيد به. واللَّه أعلم» اه.

٢٤- قال - تَعَالَى -: ﴿ يَتَ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُوْ إِذَا قِيلَ لَكُوْ اَفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ اتّفَاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَوْةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةَ فَمَا مَتَنعُ الْحَيَوْةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةَ فَمَا مَتَنعُ الْحَيَوْةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ فَمَا مَتَنعُ الْحَيَوْةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلً ۚ إِلَّا لَنفِرُواْ بُعَذِبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى حَمُلِ شَيْءٍ قَدِيرُ وَيَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى حَمُلِ شَيْءٍ قَدِيرُ وَيَسْتَبَدِلْ عَلَى حَمُلِ شَيْءً وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى حَمُلِ شَيْءً وَيَدِيرُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ

آنفِرُواْ، أي: اخرجوا من منازلكم إلى مغزاكم. وأصل النفر: مفارقة مكان إلى مكن آخر لأمر هاجه على ذلك، ومنه: نفور الدابة. غير أنه يُقال: من النفر إلى الغزو. ونفر فلان إلى ثغر كذا ينفر نفرًا ونفيرًا».

قال ابن جرير (٩٤/١٠): «فمعنى الكلام: ما لكم أيها المؤمنون إذا قيل لكم اخرجوا غزاة في جهاد أعداء الله تثاقلتم إلى لزوم أرضكم ومساكنكم والجلوس فيها، ﴿ أَرَضِيتُ مِ بِالْحَيَوْةِ الدُّنِيَا مِنَ الْآخِرَةِ ﴾؟ أرضيتم بحظ الدنيا والدعة فيها عوضًا من نعيم الآخرة وما عند الله للمتقين في جناته. ﴿ فَمَا مَتَنعُ الْحَيَوْةِ الدُّيا من اللهُ في الدنيا من اللهُ في أَلْكُورَةِ إِلَّا قَلِيلُ ﴾: فما الذي يتمتع به المتمتعون في الدنيا من عيشها ولذاتها في نعيم الآخرة والكرامة التي عند الله لأوليائه وأهل طاعته إلا قليل عيشها ولذاتها في نعيم الآخرة والكرامة التي عند الله لأوليائه وأهل طاعته إلا قليل

يسير؛ يقول لهم: فاطلبوا أيها المؤمنون نعيم الآخرة وترف الكرامة التي عند اللَّه لأوليائه بطاعته والمسارعة إلى الإجابة إلى أمره بالنفير لمجاهدة عدوه.

قال مجاهد: أمروا بغزوة «تبوك» بعد الفتح، وبعد الطائف، وبعد مُحنين أُمِروا بالنفير في الصيف حين خرفت النخل وطابت الثمار واشتهوا الظلال، وشق عليهم المخرج فقالوا: منا الثقيل وذو الحاجة والضيعة والشغل والمنتشر به أمره في ذلك كله، فأنزل الله: ﴿ أَنفِرُوا خِفَافًا وَثِقَ الاَهِ ﴾. اهـ.

قال القرطبي: ﴿ مَمَا لَكُونِ ﴾ : «ما» حرف استفهام معناه التقرير والتوبيخ، التقدير: أي شيء يمنعكم عن كذا؛ ولا خلاف أن هذه الآية نزلت عتابًا على تخلَّف مَن تخلَّف عن رسول اللَّه ﷺ في غزوة «تبوك».

قوله - تَعَالَى -: ﴿ أُثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ معناه: اثاقلتم إلى نعيم الأرض، وهو توبيخ على ترك الجهاد وعتاب على التقاعد عن المبادرة إلى الخروج، وهو نحو من أخلد إلى الأرض. وأصله: تثاقلتم، أُدغمت التاء في الثاء؛ لقربها منها، واحتاجت إلى ألف الوصل؛ لتصل إلى النطق بالساكن، ومثله: ﴿ أَدَّارَكُوا ﴾ [الأعراف: اللى ألف الوصل؛ لتصل إلى النطق بالساكن، ومثله: ﴿ أَدَّارَكُوا ﴾ [الأعراف: ٣٨]، و﴿ وَالنَّيْنَا ﴾ [النمل: ٢٤]، و﴿ وَالنَّيْنَا ﴾ [النمل: ٢٤]، و﴿ وَالنَّيْنَا ﴾ [يونس: ٢٤].

﴿ أَرَضِيتُم بِالْحَيَوْةِ الدُّنيَا مِنَ الْآخِرَةِ ﴾ أي: بدلًا؛ لتقدير: أرضيتم بنعيم الدنيا بدلًا من نعيم الآخرة. فرمِن تتضمن معنى البدل؛ كقوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿ وَلَوْ نَشَاءً لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَئَيِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخَلَفُونَ ۞ [الزخرف: ٦٠]؛ أي: بدلًا منكم.

عاتبهم اللَّه على إيثار الراحة في الدنيا على الراحة في الآخرة؛ إذ لا تنال راحة الآخرة إلا بنَصَبِ الدنيا. قال ﷺ لعائشة وقد طافت راكبة: «أجرك على قدر نَصَبكِ» [خرَّجه البخاري].

قال ابن كثير في تفسيره (٢٠٣/٧، ٢٠٤): «هذا شروع في عتاب مَن تخلُّف

عن رسول اللَّه ﷺ غزوة «تبوك»، حين طابت الثمار والظلال في شدة الحر حمَّارَة القيظ (١) فقال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ يَتَأَيُّهُا اللَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُرُ إِذَا فِيلَ لَكُرُ الفَيْرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ﴾ أي: إذا دُعيتم إلى الجهاد في سبيل الله. ﴿ اَثَاقَلْتُمُ إِلَى الْمُعارِقُ فِي الدعة والخفض وطيب الثمار. ﴿ اَلْأَرْضِ ﴾ أي: تكاسلتم، وملتم إلى المُقام في الدعة والخفض وطيب الثمار. ﴿ أَرْضِ يِتُم فِي الدَّيْرَةِ الدُّنيَا مِن الْآخِرَةِ ﴾ أي: ما لكم فعلتم هكذا؟ أرضىً منكم بالدنيا بدلًا من الآخرة؟

ثم زهّد ـ تبارك وتعالى ـ في الدنيا ورغّب في الآخرة، فقال: ﴿ فَمَا مَتَنَعُ اللَّهِ مَا اللَّهِ مَا مَتَنعُ الْكَافِ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّ

عن المستورد أخي بني فهر قال: قال رسول اللَّه ﷺ «ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم أصبعه هذه في اليم، فلينظر بم ترجع؟» وأشار بالسبابة (٢٠). فالدنيا ما مضى منها، وما بقي منها عند اللَّه قليل.

عن الأعمش في الآية: ﴿ فَكَمَا مَتَكُمُ اللَّحَكَوْةِ الدُّنْيَا فِي ٱلْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيكُ ﴾ قال: كزاد الراكب. لما حضرت عبدالعزيز بن مروان الوفاة قال: ائتوني بكفني

قال. خزاد الراكب. لما محصول عبدالعرير بن مروان موقال أمّا لي من كبير ما الذي أكفن فيه أنظر إليه، فلما وضع بين يديه نظر إليه فقال: أمّا لي من كبير ما أخلف من الدنيا إلا هذا؟ ثم ولّي ظهره فبكي وهو يقول: أفٍّ لك من دار، إنْ كان

كثيرك لقليل، وإن كان قليلك لقصير، وإن كنا منك لفي غرور».

ثم توعد على ترك الجهاد، فقال: ﴿ إِلَّا نَنفِرُوا يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾؛ قال ابن عباس: استنفر رسول اللَّه ﷺ حيًّا من العرب فتثاقلوا عنه، فأمسك اللَّه عنهم القطر فكان عذابهم.

﴿ وَيُسْتَبْدِلُ قُومًا غَيْرَكُمْ ﴾؛ أي: لنصرة نبيه وإقامة دينه، كما قال ـ تَعَالَى ـ:

<sup>(</sup>١) حمَّارَة القيظ: شدة الحر.

<sup>(</sup>٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٢٨/٤)، ومسلم (٢٨٥٨).

﴿ وَإِن تَتَوَلَّوَاْ يَسَـنَبَدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُواْ أَمْثَلَكُمُ ﴾ [محمد: ٣٠]. ﴿ وَلَا تَضُـرُوهُ شَيْئًا ﴾؛ أي: ولا تضرُّوا اللَّه شيئًا بتوليكم عن الجهاد، ونكولكم وتثاقلكم عنه.

﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾؛ أي: قادر على الانتصار من الأعداء بدونكم.

وقد قيل: إن هذه الآية، وقوله: ﴿ أَنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ ، وقوله: ﴿ أَنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ ، وقوله: ﴿ أَنهُ وَكَانَ لِأَهْلِ اللَّهِ ﴾ ! إنهن كَانَ لِأَهْلِ اللَّهِ ﴾ ! إنهن منسوخات بقوله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِينفِرُواْ كَافَةً فَلَوْلًا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةِ مِنْهُم طَآبِفَةً ﴾ ؛ روي هذا عن ابن عباس، وعكرمة، والحسن، وزيد بن أسلم، وردَّه ابن جرير وقال: إنما هذا فيمن دعاهم رسول اللَّه ﷺ إلى الجهاد، فتعين عليهم ذلك، فلو تركوه لعوقبوا عليه، وهذا له اتجاه، والله ـ سبحانه وتعالى ـ أعلم بالصواب ». اهـ.

قال القرطبي: ﴿ إِلَّا نَنفِ رُواً ﴾: هذا تهديد شديد، ووعيد مؤكد في ترك النفير.

والتثاقل عن الجهاد مع إظهار الكراهة حرام على كل أحد. فأما من غير كراهة فمن عين كراهة فمن عين كفاية؛ ذكره فمن عينه النبي عليه التثاقل، وإن أمن منهما فالفرض فرض كفاية؛ ذكره القشيري.

وقد قيل: إن المراد بهذه الآية وجوب النفير عند الحاجة وظهور الكفرة واشتداد شوكتهم.

وظاهر الآية يدل على أن ذلك على وجه الاستدعاء، فعلى هذا لا يتَّجه الحمل على وقت ظهور المشركين؛ فإن وجوب ذلك لا يختص بالاستدعاء؛ لأنه متعينٌ. وإذا ثبت ذلك فالاستدعاء والاستنفار يبعد أن يكون موجبًا شيئًا لم يجب من قبل، إلا أن الإمام إذا عينٌ قومًا وندبهم إلى الجهاد لم يكن لهم أن يتثاقلوا عند التعيين،

ويصير بتعيينه فرضًا على من عيَّته، لا لمكان الجهاد، ولكن لطاعة الإمام. واللَّه أعلم\\).

ثم قال اللَّه ـ تَعَالَى ـ: ﴿ إِلَّا نَنصُـرُوهُ فَقَـدٌ نَصَــرَهُ ٱللَّهُ ﴾ الآية.

قال القرطبي: ﴿إِلَّا نَنصُرُوهُ ﴾ يقول: تُعينوه بالنفر معه في غزوة «تبوك»، عاتبهم اللَّه بعد انصراف نبيه التَكِيّل من «تبوك»، والمعنى: إن تركتم نصره فاللّه يتكفّل به، إذ قد نصره اللّه في مواطن القلة، وأظهره على عدوه بالغلبة والعزّة.

«أرضيتم نزر الدنيا على خطير الآخرة وحظها الأسعد؟ ﴿ إِلَّا نَنفِرُوا يُعَذِّبُكُمْ ﴾ لفظ عام يدخل تحته أنواع عذاب الدنيا والآخرة، والتهديد بعمومه أشد تخويفًا »(٢).

قال القشيري في هاتين الآيتين: «عاتبهم على ترك البدار عند توجيه الأمر، وانتهاز فرصة الرخصة. وأمرهم بالجد في العزم، والقصد في الفعل، فالجنوح إلى التكاسل، والاسترواح إلى التثاقل أمارات ضعف الإيمان، إذ الإيمان غريم مُلازِم لا يرضى من العبد بغير ممارسة الأشق، وملابسة الأحق.

قوله: ﴿ أَرَضِيتُ م بِاللَّمَ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ أَلَكُ اللَّهُ اللَّا اللَّلْمُ اللَّالَّ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّه

وهل يحسن بالعارف أن يُؤثر هواه على رضا مولاه؟

أَيَجْمُلُ بِالْأَحْبَابِ مَا قَدْ فَعَلُوا مَضَوا وَانْصَرَفُوا يَا لَيْتَهُمْ قَفَلُوا إِن غيبة الزاهد عن البساط تعدل دهورًا.

﴿إِلَّا نَنفِرُوا يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

العذاب الأليم: إذا أعرض العبد عن الطاعة ألا يبعث وراءه من جنود التوفيق ما

<sup>(</sup>۱) تفسير القرطبي (۲۹۸۰، ۲۹۸۱).

<sup>(</sup>٢) المحرر الوجيز (١٨٤/٨).

## يَردُّه إلى الباب.

العذاب الأليم: أن يسلبه حلاوة النجوى إذا آب.

العذاب الأليم: الصدود يوم الورود

العذاب الأليم: الوعيد بالفِراق، فأما نفس الفِراق فهو تمام التلف.

وَزَعَمْتَ أَنَّ الْبَيْنَ مِنْكَ غَدًا هَدُّه بِذَلِكَ مَنْ يَعِيشُ غَدَا

﴿ وَيَسْتَبَدِلُ قُوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ يصرف ما كان من إقبال عليه إلى غيره من أشكاله، وليس كل من حفر بئرًا يشرب من معينها.

تَسْقِي رَيَاحِينَ الْحِفَاظِ مَدَامِعِي وَسِوَايَ فِي رَوْضِ التَّوَاصُلِ يَرْتَعُ<sup>(١)</sup> عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «من لم يَغْزُ، أو يجهر غازيًا، أو يَخْلُف غازيًا في أهله بخير أصابه اللَّه بقارعة قبل يوم القيامة»<sup>(٢)</sup>.

وهل يعدل عاقل عن الجهاد وقد روى أبو فاطمة رهي الله قال: يا رسول الله! أخبرني بعمل أستقيم عليه وأعمله. قال: «عليك بالجهاد في سبيل الله فإنه لا مِثْل له»(٣).

﴿ يَكَأَيُّهُ اللَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ الْفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ اتَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ﴾.

إنها ثقلة الأرض، ومطامع الأرض، وتصورات الأرض.. ثقلة الخوف على الحياة، والخوف على الحياة، والخوف على الحياة، والحوف على اللذائذ والمصالح والمتاع.. ثقلة الدعة

<sup>(</sup>١) لطائف الإشارات (٢/٢٥، ٢٦).

<sup>(</sup>٢) إسناده حسن: أخرجه ابن أبي عاصم في «الجهاد» واللفظ له (٣١٢/١) (٩٩)، وشمس الدين المقدسي في «فضل الجهاد والمجاهدين»، والطبراني في «مسند الشاميين» وفي «المعجم الكبير» (٨/ ٢١٦) (٧٧٤٧)، وأخرجه أبو داود (٣٠٥٣)، وابن ماجه (٢٧٦٢)، والدارمي في «مسنده» (٢٤٣٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤٨/٩).

<sup>(</sup>٣) إسناده حسن لغيره: أخرجه ابن أبي عاصم في «الجهاد» (١٩٩/١) حديث (٤١)، والطبراني في «مسلد الشاميين» (ق/٦٧٠)، وفي «المعجم الكبير» (٣٢١/٢٢) (٨٠٩).

والراحة والاستقرار. ثقلة الذات الفانية والأجل المحدود والهدف القريب... ثقلة اللحم والدم والتراب. والتعبير يلقي كل هذه الظلال بجرس ألفاظه: ﴿ آثَاقَلْتُمُ ﴾ وهي بجرسها تمثل الجسم المسترخي الثقيل، يرفعه الرافعون في جهد فيسقط منهم في ثقل. ويلقيها بمعنى ألفاظ: ﴿ آثَاقَلْتُمُ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾.. وما لها من جاذبية تشد إلى أسفل وتقاوم رفرفة الأرواح وانطلاق الأشواق.

إن النفرة للجهاد في سبيل الله انطلاق من قيد الأرض، وارتفاع على ثقلة اللحم والدم، وتحقيق للمعنى العلوي في الإنسان، وتغليب لعنصر الشوق المجنح في كيانه على عنصر القيد والضرورة؛ وتطلع إلى الخلود الممتد، وخلاص من الفناء المحدود.

﴿ أَرَضِيتُ مِ إِلَّهَ يَوْ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةَ فَمَا مَتَنَعُ الْحَيَوْةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرةِ إِلَّا قِلِيلًا ﴾.

وما يحجم ذو عقيدة في اللَّه عن النفرة للجهاد في سبيله، إلا وفي هذه العقيدة دخن، وفي إيمان صاحبها بها وهن. لذلك يقول الرسول على النفاق وهو دخل في ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة من شعب النفاق». فالنفاق وهو دخل في العقيدة يعوقها عن الصحة والكمال هو الذي يقعد بمن يزعم أنه على عقيدة عن الجهاد في سبيل الله؛ خشية الموت أو الفقر، والآجال بيد الله، والرزق من عند الله. وما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل.

ومن ثم يتوجه الخطاب إليهم بالتهديد: ﴿ إِلَّا نَنفِرُواْ يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِمُ ا وَيَسْتَبَدِّلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرُ ﴿ ﴾ .

والخطاب لقوم معينين في موقف معين. ولكنه عام في مدلوله لكل ذوي عقيدة في الله. والعذاب الذي يتهددهم ليس عذاب الآخرة وحده، فهو كذلك عذاب الدنيا. عذاب الذلة التي تصيب القاعدين عن الجهاد والكفاح، والغلبة عليهم

للأعداء، والحرمان من الخيرات واستغلالها للمعادين؛ وهم مع ذلك كله يخسرون من النفوس والأموال أضعاف ما يخسرون في الكفاح والجهاد؛ ويقدمون على مذبح الذل أضعاف ما تتطلبه منهم الكرامة لو قدموا لها الفداء.

وما من أمة تركت الجهاد إلا ضرب الله عليها الذل، فدفعت ـ مرغمة صاغرة لأعدائها ـ أضعاف ما كان يتطلبه منها كفاح الأعداء.

﴿ وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾.

يقومون على العقيدة، ويؤدون ثمن العزة، ويستعلون على أعداء الله.

﴿ وَلَا تَضُـرُّوهُ شَيْئًا ﴾.

ولا يقام لكم وزن، ولا تقدمون أو تؤخرون في الحساب.

﴿وَٱللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرُ﴾.

لا يعجزه أن يذهب بكم، ويستبدل قومًا غيركم، ويغفلكم من التقدير والحساب!

إن الاستعلاء على ثقلة الأرض وعلى ضعف النفس، إثبات للوجود الإنساني الكريم، فهو حياة بالمعنى العلوي للحياة.

وإن التثاقل إلى الأرض والاستسلام للخوف إعدام للوجود الإنساني الكريم، فهو فناء في ميزان الله وفي حساب الروح المميزة للإنسان.

ويضرب الله لهم المثل من الواقع التاريخي الذي يعلمونه، على نصرة الله لرسوله بلا عون منهم ولا ولاء، والنصر من الله يؤتيه من يشاء:

﴿ إِلَّا نَصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ اللَّذِينَ كَفَرُواْ ثَالِي آثَنَيْنِ إِذْ هُمَا فِ الْفَصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ اللَّذِينَ كَفَرُواْ ثَالِفَ مَعَنَا فَأَسْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتُهُ عَلَيْهِ وَأَيْكَدُمُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ اللَّذِينَ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيْكَدُمُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ اللَّذِينَ صَكِينَتُهُ عَلَيْهِ وَأَيْكَدُمُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ اللَّذِينَ كَاللَّهُ عَرْبِيلًا وَاللَّهُ عَزِينً عَرِيدً عَرِيدًا اللَّهُ فَلَى اللَّهُ عَلَيْكًا وَاللَّهُ عَزِيدً عَرِيدًا فَاللَّهُ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِي الْعُلِيكَا وَاللّهُ عَزِيدٌ عَرِيدًا كَاللّهُ فَاللّهُ عَلَيْكُ وَاللّهُ عَلَيْكًا وَاللّهُ عَرْبِيلًا عَلَيْكُ اللّهُ فَاللّهُ وَهُمَا لَا اللّهُ فَاللّهُ وَاللّهُ عَلَيْكُمْ وَاللّهُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُ وَاللّهُ عَرْبِيلًا عَلَيْكُ اللّهُ وَاللّهُ عَلَيْكُمْ اللّهُ فَاللّهُ وَاللّهُ عَلَيْكُمْ اللّهُ فَاللّهُ وَاللّهُ عَلَيْكُمْ اللّهُ فَاللّهُ اللّهُ فَاللّهُ وَاللّهُ عَلَيْكُمْ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ عَلَيْكُوا وَاللّهُ اللّهُ فَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ فَاللّهُ وَاللّهُ وَلَى اللّهُ فَاللّهُ وَلَا الللّهُ وَلَيْكُمْ وَاللّهُ وَلَهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَيْكُولُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَهُ وَاللّهُ وَلَهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا الللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللللللّهُ وَاللّهُ وَلّهُ وَاللّهُ وَلَا الللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَال

ذلك مثل على نصرة اللَّه لرسوله ولكلمته؛ واللَّه قادر على أن يعيده على أيدي قوم آخرين غير الذين يتثاقلون ويتباطئون. وهو مثل من الواقع إن كانوا في حاجة بعد قول اللَّه إلى دليل (١).

٣٤- قال - تَعَالَى -: ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَآنَبَعُوكَ وَلَكِنَ بَعُدَتُ عَلَيْهِمُ الشُّقَةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ السَّتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمُ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ لَكَيْهِمُ الشُّقَةُ لَكَيْبُونَ اللَّهُ التوبة: ٢٤].

قال ابن كثير في تفسيره (٢١٠/٧): «يقول - تَعَالَى - موبخًا للذين تخلُّفوا عن النبي على النبي على بعدما استأذنوه في ذلك، مظهرين النبي على في غزوة «تبوك»، وقعدوا عن النبي على بعدما استأذنوه في ذلك، مظهرين أنهم ذوو أعذار، ولم يكونوا كذلك، فقال ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا ﴾؛ قال ابن عباس: غنيمة قريبة. ﴿ وَسَفَرًا قَاصِدًا ﴾؛ أي: قريبًا أيضًا. ﴿ لَاَنْبَعُوكَ ﴾؛ أي: لكانوا جاءوا معك لذلك. ﴿ وَلَكِنَ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشَّقَةُ ﴾؛ أي: المسافة إلى الشام. ﴿ وَسَيَعْلِفُونَ بِاللّهِ ﴾؛ أي: لكم إذا رجعتم إليهم. ﴿ لَو اَسْتَطَعْنَا لَحَرَجُنَا مَعَكُمُ ﴾؛ أي: لو لم تكن لنا أعذار لخرجنا معكم. ﴿ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ إِنّهُمْ لَكَذِبُونَ ﴾.

قال القرطبي: (الشَّقة): حكى أبو عبيدة وغيره أن الشقة: السفر إلى أرض بعيدة. يقال: منه شُقَّة شاقة، والمراد بذلك كله غزوة «تبوك»، وحكى الكسائي أنه يُقال شُقَّة وشِقَّة. وقال الجوهري: الشُّقة بالضم: من الثياب، والشقة أيضًا السفر البعيد، وربما قالوه بالكسر.

﴿ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اَسْتَطَعْنَا ﴾؛ أي: لو كان لنا سعة في الظهر والمال (٢). قال الطبري (٩/١٠): «قال قتادة: إنهم يستطيعون الخروج، ولكن كان تبطئة من عند أنفسهم والشيطان، وزهادة في الخير». اهـ.

<sup>(</sup>۱) الظلال (۳/۱۰۵۱، ۱۹۵۲، ۱۹۵۷).

<sup>(</sup>۲) تفسير القرطبي (۲۹۹۳/٥).

إذا رأيت الرجل يتبع الرخص ويجنح إلى الكسل، ويتعلل بالتأويلات، فاعلم أنه منصرف عن الطريق، متخلف عن السلوك، وأنشدوا:

وَكَذَا الْلُولُ إِذَا أَرَادَ قَطِيعَةً مَلَّ الْوِصَالَ وَقَالَ كَانَ وَكَانَا وَمَن جَدَّ في الطلب لم يُعرِّج في أوطان الفشل، ويواصل السير والشرَى، ولا يحتشم من مقاساة الكد والعناء.

﴿ وَسَيَحْلِفُونَ بِأَلَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ ﴾:

يوجبون لأنفسهم الهلاك والعطب بحلفهم بالله كاذبين، ويورثونها سخط الله، ويكسبونها أليم عقابه.

يمين المتعلل والمتأول يمين فاجرة تشهد بكذبها عيون الفراسة، وتنفر منها القلوب، فلا تجد من القلوب محلًا.

قالوا هذا وعندهم الأموال مما يحتاجه الغازي في غزوه، وصحة الأبدان وقوى الأجسام، ولكنها الدعة والراحة.

«لو كان الأمر أمر عرض قريب من أعراض هذه الأرض، أو سفر قصير الأمد مأمون العاقبة لاتبعوك، ولكنها الشقة البعيدة، التي تتقاصر دونها الهمم الساقطة والعزائم الضعيفة. ولكنه الجهد الخطر الذي تجزع منه الأرواح الهزيلة والقلوب المنخوبة، ولكنه الأفق العالي الذي تتخاذل دونه النفوس الصغيرة والبنية المهزولة. وإنه لنموذج مكروه في البشرية ذلك الذي ترسمه تلك الكلمات الحالدة: ﴿ لَوَ كَانَ عَرَضَا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَا تَبَعُوكَ وَلَكِنَ بَعُدَتُ عَلَيْهِمُ الشُّقَةُ ﴾، فكثيرون هم أولئك الذي يتهاوون في الطريق الصاعد إلى الآفاق الكريمة. كثيرون أولئك الذين أولئك الذين يجهدون لطول الطريق، فيتخلفون عن الركب، ويميلون إلى عرض تافه أو مطلب رحيص. كثيرون تعرفهم البشرية في كل زمان ومكان، فما هي قلة عارضة، إنما هي النموذج المكرور، وإنهم ليعيشون على حاشية الحياة، وإن خُيِّل إليهم أنهم بلغوا منافع ونالوا مطالب، واجتنبوا الثمن الغالي، فالثمن القليل لا يشتري سوى التافه منافع ونالوا مطالب، واجتنبوا الثمن الغالي، فالثمن القليل لا يشتري سوى التافه منافع ونالوا مطالب، واجتنبوا الثمن الغالي، فالثمن القليل لا يشتري سوى التافه

الرخيص.

﴿ وَسَيَحْلِفُونَ بِأَللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمٌ ﴾ فهو الكذب المصاحب للضعف أبدًا.

وما يكذب إلا الضعفاء - أجل ما يكذب إلا ضعيف، ولو بدا في صورة الأقوياء الجبارين في بعض الأحايين. فالقوي يواجه والضعيف يحاور ـ وما تتخلَّف هذه القاعدة في موقف من المواقف ولا في يوم من الأيام.

﴿ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ ﴾: بهذا الحلف وبهذا الكذب، الذي يخيل إليهم أنه سبيل النجاة عند الناس، والله يعلم الحق، ويكشفه للناس، فيهلك الكاذب في الدنيا بكذبه، ويهلك في الآخرة يوم لا يُجدي النكران.

#### \* \* \*

٤٤- قال - تَعَالَى -: ﴿ لَا يَسْتَغْذِنْكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْرِ ٱلْآخِرِ أَن يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْرِ ٱلْآخِرِ وَٱللَّهُ عَلِيدٌ اللَّهُ عَلِيدٌ اللَّهُ عَلِيدٌ اللَّهِ وَٱلْيَوْرِ وَٱلْقَابُ عَلَيدٌ اللَّهِ عَلَيْهُ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ بَهُرَدُدُونَ ﴿ لَا لَكُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ بَهُرَدُدُونَ ﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱلْرَتَابَتُ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ بَهُرَدُدُونَ ﴾ [التوبة: ٤٤، ٤٥].

قال ابن جرير الطبري: «هذا إعلام من الله نبيه ﷺ سيما المنافقين؛ أن من علاماتهم التي يُعرفون بها تخلفهم عن الجهاد في سبيل الله باستئذانهم رسول الله على في تركهم الخروج معه إذا استنفروا بالمعاذير الكاذبة، فأما الذي يصدق بالله ويقرُ بوحدانيته وبالبعث والدار الآخرة والثواب والعقاب فإنه لا يستأذنك في ترك الغزو وجهاد أعداء الله بماله ونفسه». اه.

«هذه هي القاعدة التي لا تُخطئ. فالذين يؤمنون بالله، ويعتقدون بيوم الجزاء، لا ينتظرون أن يُؤذن لهم في أداء فريضة الجهاد، ولا يتلكئون في تلبية داعي النفرة في سبيل الله بالأموال والأرواح، بل يسارعون إليها خفافًا وثقالًا كما أمرهم الله؛

طاعةً لأمره، ويقينًا بلقائه، وثقة بجزائه، وابتغاءً لرضاه، وإنهم ليتطوعون تطوعًا فلا يحتاجون إلى من يستحثهم، فضلًا عن الإذن لهم، إنما يستأذن أولئك الذين خلت قلوبهم من اليقين فهم يتلكئون ويتلمسون المعاذير، لعل عائقًا من العوائق يحول بينهم وبين النهوض بتكاليف العقيدة التي يتظاهرون بها، وهم يرتابون فيها ويترددون.

إن الطريق إلى الله واضحة مستقيمة، فما يتردد ويتلكأ إلا الذي لا يعرف الطريق، أو الذي يعرفها ويتنكبها؛ اتقاءً لمتاعب الطريق».

هؤلاء الذين يُقال لهم: ﴿ أَقَعُـدُواْ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴾ ، وتخلَّفوا مع العجائز والنساء والأطفال الذين لا يستطيعون الغزو ولا ينبعثون للجهاد، فهذا مكانكم اللائق بالهمم الساقطة والقلوب المرتابة والنفوس الخاوية من اليقين.

قلوب حائرة تبث الخور والضعف في الصفوف لو خرجت للقتال.

ولله در القائل: «المخلص في عقده غيرُ مؤثرِ شيئًا على أمره، ولا يدِّخر مستطاعًا في استفراغ وُسْعِه، وبذل جهده، ومقاساة كَدِّه، واستعمال جِدِّه».

أما «من رام عن عهدة الإلزام خروجًا انتهز للتأخير والتخلف فرصة لعدم إيمانه وتصديقه، ولاستمكان الريبة من قلبه وسره. أولئك الذين يتقلَّبون في ريبهم، ويترددون في شكهم.

لو صدقوا في الطاعة لاستجابوا ببذل الوسع والطاقة، ولكن سقمت إرادتهم، فحصلت دون الخروج بلادتهم، وكذلك قيل: لو صحَّ منك الهوى أُرشِدتَ للحيل.

﴿ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواً ﴾

دع ـ قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَكُولُ أَثَذَن تِي وَلَا نَفْتِنِيَّ أَلَا فِي الْفَتِنِيِّ أَلَا فِي الْفِينَةِ سَكَفُولُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ

قال ابن كثير (٢١٣/٧): (يقول الله - تَعَالَى -: ومن المنافقين من يقول لك يا محمد: ﴿ اَتَّذَن لِي ﴾ في القعود، ﴿ وَلَا نَفْتِنِي ﴾ بالخروج معك بسبب الجواري من نساء الروم. قال الله - تَعَالَى -: ﴿ اَلَا فِي الْفِتْ نَةِ سَقَطُوا ﴾؛ أي: قد سقطوا في الفتنة بقولهم هذا، كما قال محمد بن إسحاق، والزهري، ويزيد بن رومان (١) قالوا: قال رسول الله ﷺ ذات يوم، وهو في جهازه للجد بن قيس أخى بني سلمة: (هل لك ياجد العام في جلاد بني الأصفر؟) فقال: يا رسول الله، أو تأذن لي ولا تفتني، فوالله لقد عرف قومي ما رجل أشد عجبًا بالنساء مني، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر عنهن، فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال: (قد أَذِنت لك).

ففي الجد بن قيس نزلت هذه: ﴿ وَمِنْهُم مّن يَكُولُ أَتَّذَن لِي وَلَا نَفْتِنَى ﴾ . قال ابن عباس، مجاهد، وغير واحد: وإنه إن كان إنما يخشى من نساء بني الأصفر وليس ذلك به، فما سقط فيه من الفتنة بتخلفه عن رسول الله عَلَي والرغبة بنفسه عن نفسه أعظم، بين الله أن الذي هربوا منه ـ بزعمهم ـ سقطوا فيه بفعلهم، وكذلك المتجلد بما يهواه متطوّح في وادي بلواه، وسيلقى في الآخرة من الهوان ما يغنى عن الحاجة والبرهان.

وعلى الطرف الآخر التقى قول المؤمنين الموقنين الصادقين: ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبُّصُونَ عَلَى اللَّهِ مِنْ اللَّهُ اللَّا اللَّالَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّاللَّالِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّالِ اللَّهُ اللَّا ا

<sup>(</sup>١) تفسير الطبري (١٤/٢٨٧).

هذه مقالة الذين امتلأت قلوبهم بالتسليم لله، والرضا بقدره. والمسلم الصادق يبذل جهده، ويُقْدِمُ لا يخشى؛ اعتقادًا بأن ما يصيبه من خير أو شر معقود بإرادة الله، وأن الله ناصر له ومعين.

والمؤمن لا تلحقه شماتة عدوه؛ لأنه ليس يرى إلا مراد وليه، فهو يتحقق أن ما يناله مراد مولاه، فيسقط عن قلبه ما يهواه، ويستقبله بروْح رضاه، فَيَعْذُب عنده ما كان يصعبُ من بلواه.

إِنْ كَانَ سَرَّكُمُ مَا قَالَ حَاسِدُنَا فَـمَا لِجُرْحِ إِذَا أَرْضَاكُمُ أَلَمُ وله وشهود جريان التقدير يُخفِّف على العبد كل عسير. والله مولاهم، وله سبحانه أن يفعل ما يريد؛ لأنه تصرفُ مالكِ الأعيان في مُلْكِه، فهو يُبدي ويُجري ما يريد بحق حكمه. وعباده يتوكلون عليه، وأول التوكل الثقة بوعده، ثم الرضا باختياره، ثم نسيان أمورك بما يغلب على قلبك من أذكاره.

﴿ قُلْ هَلْ تُرَبُّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَدَيِّنَ ﴾ :

«قل: هل تنتظرون بنا إلا إحدى الخُلَّتين اللتين هما أحسن من غيرهما؛ إما ظفرًا بالعدو وفتحًا لنا بغَلَبِنَا لهم، ففيها الأجر والغنيمة والسلامة، وإمَّا قتلًا من عدونا لنا،

ففيه الشهادة والفوز بالجنة والنجاة من النار، وكلتاهما مما يُحَبُّ ولا يُكْرَهُ»(١).

إن كان من شأن المؤمنين وقوع الدائرة عليهم في القتال، أو أن القتل ينالهم، فأي واحد من الأمريْن ينالهم فهو لهم من الله نعمة؛ لأنهم إن ظفروا بعدوهم فنصر وغنيمة، وعزِّ للدين ورفعة، وإنْ قُتِلوا فشهادة ورحمة، ورضوان من الله وزلفي. وإن كان الذي يصيبهم في الدنيا هزيمة ونكبة، فذلك موجب للأجر والمثوبة، فإذًا لن يستقبلهم إلا ما هو مُحسني ونعمة».

في كلا الحالتين يصاحبهم رضا الله عنهم ورضاهم عنهم. رضاهم بالله حظًا ونصيبًا، ربًا وإلهاً ومعبودهم. إن لحظة اتصال بالله لحظة شهود لجلاله، لحظة انطلاق من حبسة هذه الأمشاج ومن ثقلة هذه الأرض وهمومها القريبة، لحظة تنبثق فيها في أعماق القلب البشري شعاعة من ذلك النور الذي لا تدركه الأبصار، لحظة إشراق تنير فيها حنايا الروح بقبس من روح الله.

إن لحظة واحدة من هذه اللحظات التي تتفق للندرة القليلة من البشر في ومضة صفاء، ليتضاءل إلى جوارها كل متاع، وكل رجاء. فكيف برضوان من الله يغمر هذه الأرواح، وتستشعره بدون انقطاع.

ال فَرَحُ المخلفين بمقعدهم خلاف رسول الله، وفَرح المؤمنين بالجهاد والشهادة في سبيل الله:

أَفمن رغِب إلى اللَّه كمن رغب عن الله؟ أفمن بقي مع اللَّه كمن بقي عن الله؟ لا يستويان، ولا يلتقيان.

٧٤- قال - تَعَالَى -: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلِّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوۤاْ أَن يُجُهِدُواْ بِأَمْوَلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا نَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَمَ أَشَدُّ حَرًا لَوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿ إِلَيْهِ التوبة: ٨١].

<sup>(</sup>۱) تفسير الطبري (۱۰٥/۱۰).

قال ابن جرير (١٣٩/١٠): «فرح الذين خلَّفهم اللَّه عن الغزو - مع رسوله والمؤمنين به وجهاد أعدائه - بمقعدهم على الخلاف لرسول اللَّه ﷺ، وكره هؤلاء المخلَّفون أن يغزو الكفار بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله؛ لينصروه؛ ميلًا إلى الدعة والحفض، وإيثارًا للراحة على التعب والمشقة، وشحَّا بالمال أن ينفقوه في طاعة الله. وقال المنافقون بعضهم لبعض: لا تنفروا في الحرِّ. قل: نار جهنم - التي أعدها اللَّه أشد حرَّا من هذا الحرِّ الذي تتواصون بينكم أن لا تنفروا فيه، لو كانوا يفقهون عن اللَّه وعظه، ويتدبرون آي كتابه».

﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبَكُواْ كَثِيرًا جَزَآءٌ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۞ ﴿.

«فليضحكوا فرحين قليلًا في هذه الدنيا الفانية بمقعدهم خلاف رسول الله ولهوهم عن طاعة ربهم، فإنهم سيبكون طويلًا في جهنم مكان ضحكهم القليل؛ جزاءً على معصيتهم، وبما كانوا يجترحون من الذنوب».

إذا صاروا إلى الآخرة بكوا بكاءً لا ينقطع.

فليضحكوا قليلًا في الدنيا، وليبكوا كثيرًا في الآخرة؛ قاله الربيع بن خيثم، والحسن، وقتادة.

﴿ بِمَقَّعَدِهِمْ ﴾؛ أي: بقعودهم. قَعَدَ قُعُودًا ومَقْعَدًا؛ أي: جلس. والمخلَّف: المتروك. أي: خلفهم اللَّه وتبطهم، أو خلفهم رسول اللَّه والمؤمنون لما علموا تثاقلهم عن الجهاد.

﴿خِلَافٍ﴾: مصدر من قول القائل: خَالَفَ فُلَانٌ فُلَانًا فهو يخالفه خِلَافًا، وليس مصدرًا من خَلَفَهُ؛ لأن مصدر خَلَفَهُ خَلْف لا خِلَاف.

«استحوذ عليهم سرورهم بتخلفهم، ولم يعلموا أن ثبورهم في تأخرهم، فنزع الله الراحة بما عاقبهم، وسيصلون سعيرًا في الآخرة بما قدَّموه من نفاقهم، وسوف يتحسرون، وَلَاتَ حِينَ تَحَسَّر.

بدَّل اللَّه مسرَّتهم بحسرة، وفرحتهم بترْحة، وراحتهم بعَبْرَة، حتى يكثر

بكاؤهم في العتبي كما كثر ضحكهم في الدنيا.

هؤلاء الذين أدركتهم ثقلة الأرض.. ثقلة الحرص على الراحة، والشح بالنفقة، وقعد بهم ضعف الهمة وهزال النخوة، وخواء القلب من الإيمان.

هؤلاء المخلفون. والتعبير يلقي ظل الإهمال، كما لو كانوا متاعًا يُخلَّف أو هَمَلًا يُترك. فرحوا بالسلامة والراحة خلاف رسول الله، وتركوا المجاهدين يلاقون الحرَّ والجهد، وحسبوا أن السلامة غاية يحرص عليها الرجال!

﴿ وَقَالُواْ لَا لَنَفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ ﴾: وهي قولة المسترخي الناعم، الذي لا يصلح لشيء مما يصلح الرجال.

إن هؤلاء لهم نموذج لضعف الهمة، وطراوة الإرادة، وكثيرون هم الذين يشفقون من المتاعب وينفرون من الجهد، ويؤثرون الراحة الرخيصة على الكدح الكريم، ويفضلون السلامة الذليلة على الخطر العزيز، وهم يتساقطون إعياءً خلف الصفوف الجادة الزاحفة العارفة بتكاليف الجهاد، ولكن هذه الصفوف تظل في طريقها المملوء بالعقبات والأشواك؛ لأنها تدرك بفطرتها أن كفاح العقبات والأشواك فطرة في الإنسان، وأنه ألذ وأجمل من القعود والتخلّف والراحة البليدة التي لا تليق بالرجال.

والنص يرد عليهم بالتهكم المنطوي على الحقيقة: ﴿قُلَ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُ حَرَّاً ﴾: إن كانوا يشفقون من حرّ الأرض، ويؤثرون الراحة المسترخية في الظلال، فكيف بهم في حر جهنم وهي أشد حرًا وأطول أمدًا؟

إما جهاد في سبيل اللَّه فترة محدودة في حرِّ الأرض، وإما انصراح في جهنم لا يعلم مداه إلا الله.

هؤلاء الذين آثروا الراحة على الجهد، وتخلَّفوا عن الرَّكب أول مرة. هؤلاء لا يصلحون لكفاح، ولا يُرْجون لجهاد.. بل ولا يصلحون لشَرَفِهِ.

إن الجهاد يحتاج إلى طبائع صلبة مستقيمة ثابتة مصممة، تصمد في الطريق

الشاق الطويل. إن الجهاد عبء لا ينهض به إلَّا من هم له أهل، لا هؤلاء الذين تعلَّلوا إلى السَّعة، وركنوا إلى اختيار الدَّعة، واحتالوا في موجبات التخلُف، الذين خصَّهم اللَّه بخذلانه، وصرف قلوبهم عن ابتغاء رضوانه.

بعدوا عن بساط العبادة فاستطابوا الدَّعة، ورضوا بالتعريج في منازل الفرقة، ولو أنهم رجعوا إلى اللَّه بصدق التوبة والندم لقابلهم بالفضل والكرم.

٨٤- قال - تَعَالَى -: ﴿ وَإِذَا أَنزِكَ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُواْ بِاللّهِ وَجَهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ اَسْتَعَذَنَكَ أَوْلُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَنعِدِينَ ۞ رَضُوا بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۞ [التوبة: ٨٦، ٨٦].
 أَوْلُواْ الطَّوْلِ ﴾: أهل الغني.

﴿ ٱلْخَوَالِفِ ﴾: من يقعد في منزله مع النساء، وضعفاء الناس، ومرضاهم، والصبيان، وأصحاب الأعذار.

والخوالف جمع خَالِفَة، وقد يُقال للرجل: خَالِفَةٌ وخَالِفٌ ـ أَيضًا ـ إذا كان غير نجيب. يُقال: فُلَانٌ خَالِفَةُ أَهْلِهِ، إذا كان دونهم.

قال النحاس: وأصله من: خَلَف اللبنُ يخْلُفُ إذا حَمُض من طول مكثه. وخَلَفَ فَمُ الصائم إذا تغيَّر ريحه.

«إذا قيل لهم: آمنوا بالله، وجاهدوا مع رسوله استأذنك أهل الغنى منهم في التخلف عن الغزو والخروج معك، ورضوا أن يكونوا في منازلهم؛ كالنساء اللواتي ليس عليهن فرض الجهاد، فهن قعود في منازلهن وبيوتهن».

﴿ وَإِذَا أَنزِلَتَ سُورَةُ أَنَ ءَامِنُوا بِاللّهِ وَجَهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ اَسْتَغَذَنَكَ أُوْلُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَنعِدِينَ ﴿ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُهِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَعُونَ مَعَهُ جَهَدُواْ بِأَمُولِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿ يَعْمَوُلُهُ مِنْ الرّسُولُ وَالّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُ جَهَدُواْ بِأَمُولِهِمْ فَهُمُ الْمُفْلِحُونَ اللّهُ لَهُمْ جَنَاتٍ وَأَوْلَتَهِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿ اللّهُ لَهُمْ جَنَاتٍ مَا مُؤْمِلُهُمْ اللّهُ لَهُمْ جَنَاتٍ مَعْلَمُ اللّهُ لَلْهُ اللّهُ لَهُمْ جَنَاتٍ مَعْلَى مِن تَغْمِا ٱللّهُ لَهُمْ اللّهُ لَكُمْ اللّهُ لَكُمْ اللّهُ لَكُمْ اللّهُ لَكُمْ اللّهُ لَلْهُ اللّهُ لَكُمْ اللّهُ لَكُمْ اللّهُ لَكُمْ اللّهُ لَكُمْ اللّهُ لَكُمْ اللّهُ لَلْهُ اللّهُ لَكُمْ اللّهُ لَكُمْ اللّهُ اللّهُ لَا اللّهُ اللّهُ لَكُمْ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ ا

إنهما طبيعتان.. طبيعة النفاق والضعف والاستخدام، وطبيعة الإيمان والقوة والبلاء. وإنهما خطتان.. خطة الالتواء والتخلف والرضى بالدون، وخطة الاستقامة والبذل والكرامة.

فإذا أنزلت سورة تأمر بالجهاد جاء أولوا الطول، الذين يملكون وسائل الجهاد والبذل، جاءوا لا ليتقدموا الصفوف كما تقتضيهم المقدرة التي وهبها الله لهم، وشكر النعمة التي أعطاها الله إياهم، ولكن ليتخاذلوا ويعتذروا ويطلبوا أن يقعدوا مع النساء، لا يذودون عن حرمة، ولا يدفعون عن سكن. دون أن يستشعروا ما في هذه القعدة الذليلة من صغار وهوان، ما دام فيها السلامة، وطلاب السلامة لا يحسون العار، فالسلامة هدف الراضين بالدون.

﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخُوالِفِ﴾.

﴿ وَكُلِيعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُدُ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ .

ولو كانوا يفقهون لأدركوا ما في الجهاد من قوة وكرامة وبقاء كريم، وما في التخلف من ضعف ومهانة وفناء ذميم.

«إن للذل ضريبة، كما أن للكرامة ضريبة. وإن ضريبة الذل لأفدح في كثير من الأحايين. وإن بعض النفوس الضعيفة ليخيل إليها أن للكرامة ضريبة باهظة لا تطاق، فتختار الذل والمهانة؛ هربًا من هذه التكاليف الثقال، فتعيش عيشة تافهة رخيصة، مفزعة قلقة، تخاف من ظلها، وتفرق من صداها، يحسبون كل صيحة عليهم، ولتجدنهم أحرص الناس على حياة.. هؤلاء الأذلاء يؤدون ضريبة أفدح من تكاليف الكرامة. إنهم يؤدون ضريبة الذل كاملة. يؤدونها من نفوسهم، ويؤدونها من أقدارهم، ويؤدونها من سمعتهم، ويؤدونها من اطمئنانهم، وكثيرًا ما يؤدونها من دمائهم وأموالهم، وهم لا يشعرون».

ومن هؤلاء.. أولئك الذين ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُــُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿ ﴾

(٣٣٦)

وَلَكِكِنِ ٱلرَّسُولُ وَالَذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُ ﴾ .. وهم طراز آخر غير ذلك الطراز.. وجنهدُوا بِأَمْوَلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ﴾ .. فنهضوا بتكاليف العقيدة، وأدوا واجب الإيمان؛ وعملوا للعزة التي لا تنال بالقعود ﴿ وَأُوْلَيَهِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَاتُ ﴾ .. خيرات الدنيا والآخرة؛ في الدنيا لهم العزة، ولهم الكرامة، ولهم المغنم، ولهم الكلمة العالية، وفي الآخرة لهم الجزاء الأوفى، ولهم رضوان الله الكريم، ﴿ وَأُولَيَهِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ ﴾ ..

الفلاح في الدنيا بالعيش الكريم القويم، والفلاح في الآخرة بالأجر العظيم: ﴿ أَعَدَّ اَللَّهُ لَهُمُ جَنَّنَتٍ تَجَدِى مِن تَحَيِّهَا ٱلْأَنْهَالُو خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ . ﴿ ذَلِكَ ٱلْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ .

## □ لا يستويان ولا يلتقيان:

ليس من أقبل كمن أعرض وصُدَّ، ولا من قُبِل أمره كمن رُدَّ، ولا من وحُّد كمن جحد، ولا مَن عَبَد كَمَن عَند، ولا من أتى كَمَن أبى، فلا جرم رَبحت تجارتهم وجَلَّت رَبَتهم. راحاتهم موعودة، وإن كانت مشقاتهم في الحال موجودة مشهودة، وصادق يقينهم بالثواب يُهوِّن عليهم مقاساة ما يلقونه من الأتعاب، صدقوا في الولاء وما احتشموا من مقاساة العناء.

وغيرهم في الولاء مماذِق، وللصدق مفارق، يتعلَّل بما لا أصل له؛ لأنه مُحرِم الخلوص فيما هو أهل له.

استوطنوا مركب الكسل، واكتسوا لباس الفشل، وركنوا إلى مخاريق الحيل، تحرموا استحقاق القُربة، أراد اللَّه هوانهم، وأذاقهم خذلانه.

### □ يكاء الرجال.. حزنًا على حِرمانهم من الجهاد:

٤٩ قال - تَعَالَى -: ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَا آتَوَكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ الْحِدُ مَا آخِلُكُمُ عَلَيْهِ تَوْلُواْ وَّأَعْبُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَا يَجِدُواْ
 مَا يُنفِقُونَ ۚ ﴿ إِلَاهِة: ٩٢].

قال مجاهد: نزلت في بني مقرن من مزينة.

قال محمد بن كعب: كانوا سبعة نفر؛ من بني عمرو بن عوف: سالم بن عوف، ومن بني مازن بن النجار: عبدالرحمن بن كعب، ويكنى أبا ليلى؛ ومن بني المعلى: سلمان بن صخر، ومن بني حارثة: عبدالرحمن بن يزيد، أبو عيلة، وهو الذي تصدَّق بعرضه فقبله الله منه، ومن بني سلمة: عمرو بن عَنَمة وعبدالله بن عمرو المزنى.

وقال محمد بن إسحاق في سياق غزوة «تبوك»: ثم إن رجالًا من المسلمين أتؤا رسول الله على وهم البَكَّاءُون، وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم، من بني عمرو بن عوف: سالم بن عمير، وعَلْبة بن زيد أخو بني حارثة، وأبو ليلى عبدالرحمن بن كعب أخو بني مازن بن النجار، وعمرو بن الحمام بن الجموح أخو بني سلمة، وعبدالله بن المغفل المزني، وبعض الناس يقول: بل هو عبدالله بن عمرو المزني، وقض، وعرباض بن سارية الفزاري، فاستحملوا رسول وهَرَميُّ بن عبدالله أخو بني واقف، وعرباض بن سارية الفزاري، فاستحملوا رسول الله على وكانوا أهل حاجة، فقال: ﴿لاَ أَجِدُ مَا آَمِهُ المَا عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَأَعَيُ نُهُمُّ مَا يَفِقُونَ ﴾ (١).

قَالَ لِي مَنْ أُحِبُ وَالْبَيْنُ قَدْ حَلَّ وَدَمْعِي مُرَافِقٌ لِشَهِيقِي مَا تُرَى فِي الطَّرِيقِ مَا تُرَى فِي الطَّرِيقِ تَصْنَعُ بَعْدِي؟ قُلْتُ أَبْكِي عَلَيْكَ طُولَ الطَّرِيقِ هذا واللَّه بكاء الرجال.. بكاؤهم على موطن تندر فيه الرءوس.

<sup>(</sup>١) تفسير ابن كثير (٢٦٥/٧، ٢٦٦)، والسيرة النبوية، لابن هشام (١٨/٢).

#### 🖵 فرحهم بالجهاد:

قال حاتم الأصم: كنا مع شقيق البلخي، ونحن مصافّو الترك، في يوم لا أرى فيه إلا رءوسًا تندر (١)، وسيوفًا تقطع. فقال لي شقيق، ونحن بين الصفين: يا حاتم، كيف ترى نفسك في هذا اليوم؟ تراها مثلها في الليلة التي زُفَّتُ إليك امرأتك؟ فقلت: لا والله.

فقال: لكني ـ واللَّه ـ أرى نفسي في هذا اليوم مثلها في الليلة التي زُفَّت فيها امرأتي.

قال: ثم نام بين الصفين ودَرَقته (۲) تحت رأسه، حتى سمعت غطيطه (۳) (٤). **تصة أخرى من فرحهم بالجهاد والشهادة:** 

قال أبو قدامة الشامي: كنت أميرًا على الجيش في بعض الغزوات، فدخلتُ بعض البلدان، فدعوت الناس إلى الجهاد، ورغبتهم في الثواب، وذكرت فضل الشهادة، ثم تفرق الناس، وسرت إلى منزلي فإذا بامرأة من أحسن الناس تنادي: يا أبا قدامة، فقلت: هذه مكيدة من الشيطان، فلم أجبها، فعادت فنادتني، فلم أجبها، فقالت: هكذا يفعل أرباب الصلاح بأهل الإرادة؟! فوقفت لها، فجاءت ودفعت إليَّ رقعة وحزمة مشدودة، ثم انصرفت وهي تبكي، قال: فنظرت إلى الورقة، وإذا مكتوب فيها: دعوت الناس إلى الجهاد، وحرَّضتهم على الثواب، وأنا امرأة ولا قدرة لي على الجهاد، وقد قطعت أحسن ما فيَّ وهما ضفيرتاي، وقد أتيت بهما، لتجعلهما قيدًا لفرسك، لعل الله يرى ذلك فيغفر لي.

فلما كانت ليلة القتال أخرجتُ الضفيرتين فقيدتُ بهما فرسي، فلما طلع

<sup>(</sup>١) تندر: تزول.

<sup>(</sup>٢) الدرقة: الترس من جلد ليس فيها خشب ولا عقب.

<sup>(</sup>٣) الغطيط: الشخير.

<sup>(</sup>٤) صفة الصفوة، لابن الجوزي (١٦٠/٤).

الفجر ووقع القتال، فإذا أنا بغلام حسن الوجه صبور على الشدائد فتقدمت إليه، يا بني أنت راجل، ولا آمن أن تجول الخيل فتطؤك بأرجلها، فارجع إلى موضعك، قال: فالتفتَ إليَّ وقال: كيف أرجع وقد قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا لَقِيتُكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُولُّوهُمُ ٱلأَدْبَارَ ١٠﴾ [الأنفال: ١٥]؟ قال: فأعطيته قوسًا كان معي، فقال: يا أبا قدامة أقرضني ثلاثة أسهم، فقلت: ما هذا وقت قرض، فقال: باللُّه عليك أقرضني. قال: فأعطيته سهمًا، فوضعه في قوسه فقتل، فقلت: أنا شريكك في الثواب؟ فقال: نعم، فأعطيته سهمًا آخر فقتل به روميًّا آخر، ثم ناولته الثالث فرمي به وقال: السلام عليك، سلام مودع، فجاءه سهم بين عينيه، فخر صريعًا، فوقفت عليه وقلت: يا ولدي لا تنسني، فإنك عاهدتني، فقال: نعم. ثم قال: يا أبا قدامة لي إليك حاجة إذا دخلت المدينة فائت والدتي وسلم عليها عني، وناولها هذا الخرج، فقلت: ومن والدتك؟ قال: التي قطعت شعرها وقالت: اجعله قيدًا لفرسك، قال: فاشتغلت بالبكاء، فقضى نحبه رحمه الله، فدفنته، فلما انقضى القتال وعدت إلى قبره، رأيته على وجه الأرض قد قذفته الأرض، فحفرت له حفرة أخرى فدفنته، فقذفته ثانيًا، فقال أصحابنا: دعه فهو غلام، ولعله خرج من غير إذن والدته، قال: فوقعت في حيرة، فأذن مؤذن العشاء فقمت فصليت، وجعلت أتضرع إلى اللَّه وأبكي وأقول: يا رب ما أدري ما أصنع به، قال: فسمعت صوتًا: يا أبا قدامة دع ولى اللَّه واذهب، قال: فتركته فنزلت طيور فأكلته، وأتت السباع فابتلعت العظام.

فلما أتيت المدينة ذهبت إلى بيت والدته فطرقت الباب، فخرجت طفلة صغيرة، فلما رأت الخرج رجعت ونادت: يا أماه، جاء أبو قدامة بخرج أخي، وما أرى أخي معه، واحسرتاه! في العام الأول أصبنا بأبي، وفي الثاني بأخي، وفي هذا بأخى الآخر، قال: فكدت أتلف من البكاء.

فخرجت تلك المرأة وهي تقول: أمهنيًا جئت أم معزيًا؟ إن كان ولدي قد مات

فعزني، وإن كان قد استشهد فهنني. فقلت: لا والله، بل استشهد، فقالت: وما علامة ذلك؟ قلت: قتل، قالت: قبلته الأرض أم لا؟ قلت: لا والله. قالت: الحمد لله. ثم فتحت صندوقًا وأخرجتْ مسحًا أسود وغلًّا من حديد وقالت: إنه كان إذا جنَّه الليل يلبس هذا المسح، ويغلُّ يده بهذا الغل ويقول: إلهي، احشرني من حواصل الطير وبطون السباع، فما لي عين تراك. وقد استجاب الله منه ذلك ١٠ .

مَنْ أَنْتَ؟ وَانْبَهَرَتْ حُرُوفِي وَالْتَوَى وَجُهُ السُّوَالِ وَأَثْبَتَتْنِي الْأَسْهُمُ وَوَقَفْتُ حِينَ رَأَيْتُ طِفْلًا شَامِخًا قَامَاتُنَا مِنْ حَوْلِهِ تَنَقَزُّمُ طِفْلٌ صَغِيرٌ غَيْرَ أَنَّ شُمُوخَهُ أَوْحَى إلَى بِأَنَّهُ لَا يَهْرَمُ أنَا مُؤْمِنٌ بِمَبَادِئِي أَنَا مُسْلِمُ عَنَّا رَوَاهَا الْآخَرُونَ وَتَرْجَمُوا مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ الَّذِي انْتَفَضَتْ بِهِ بَطْحَاءُ مَكَّةً وَالْحَطِيْمُ وَزَمْزَمُ مُنْذُ الْتَقَى جِبْرِيلُ فَوْقَ رُبُوعِهَا جِمُحَمَّدِ يَتُلُو لَهُ وَيُعَلِّمُ

أَنَا مِنْ غِرَاسِ اللَّهِ طِفْلٌ فَارِسٌ لُغَةُ الْبُطُولَةِ مِنْ خَصَائِصِ أَمَّتِي

• ٥- قال - تَعَالَى -: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَٱتَّقَوَا أَجْرُ عَظِيمٌ ۞ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدَّ جَمَعُوا لَكُمْ فَأَخْشُوهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَنَنَا وَقَالُوا حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ اللَّهِ فَٱنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ ٱللَّهِ وَفَصَّلِ لَّمْ يَمْسَسَّهُمْ سُوَّةٌ وَٱتَّبَعُوا رِضُوَنَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلِ عَظِيمٍ ۞﴾ [آل عمران: ١٧٢ـ ١٧٤].

«هذا كان يوم «حمراء الأسد»، وذلك أن المشركين لما أصابوا ما أصابوا من المسلمين كرُّوا راجعين إلى بلادهم، فلما استمروا في سيرهم ندموا لِمَ لا تمَّموا على أهل المدينة وجعلوها الفيصلة، فلما بلغ رسول الله ﷺ ندب المسلمين إلى الذهاب وراءهم؛ ليرعبهم، وليريهم أن بهم قوةً وجلدًا، ولم يأذن لأحد سوى من حضر الوقعة يوم «أحد» سوى جابر بن عبداللَّه رَفِيْ له الله منافعة على المسلمون على

<sup>(</sup>١) فضائل الجهاد، لابن النجّاس (٦٩١/٢، ٦٩٢).

ما بهم من الجراح والإثخان؛ طاعة لله ولرسوله ﷺ ``

وقذف الله في قلب أبي سفيان الرعب، وقال له معبد الخزاعي: محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط، يتحرقون عليكم تحرُقًا، فيهم من الحنق عليكم شيء لم أر مثله قط، والله لقد حملني ما رأيت على أن قلت فيهم أبياتًا من شعر.

كَادَتْ تُهَدُّ مِنَ الْأَصْوَاتِ رَاحِلَتِي تَوْدَى بِأُسْدِ كِرَامٍ لَا تَنَابِلَةً فَظَلْتُ عَدُوا أَظُنُ الْأَرْضَ مَائِلَةً فَظَلْتُ وَيْلَ ابْنِ حَرْبٍ مِنْ لِقَائِكُمُ فَقُلْتُ وَيْلَ ابْنِ حَرْبٍ مِنْ لِقَائِكُمُ إِنِّي نَذِيرٌ لِأَهْلِ البَسْلِ ضَاحِيَةً إِنِّي مَنْ جَيْشِ أَخْمَدَ لَا وَخْشٌ تَنَابِلَةً

إِذْ سَالَتِ الْأَرْضُ بِالْجُرْدِ الْأَبَابِيلِ
عِنْدَ اللَّقَاءِ وَلَا مِيلٌ مَعَازِيلُ
لَاَّ سَمَوْا بِرَئِيسٍ غَيْرِ مَحْدُولِ
إذا تغطمطت البطحاء بالجيل
لِكُلِّ ذِي إِرْبَةٍ مِنْهُمْ وَمَعْقُولِ
لِكُلِّ ذِي إِرْبَةٍ مِنْهُمْ وَمَعْقُولِ
وَلَيْسَ يُوصَفُ مَا أَنْذَرْتُ بِالْقِيلِ

﴿ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواۡ لِلّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنْ بَعۡدِ مَاۤ أَصَابُهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْ اللّهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرُ عَظِيمُ إِنَّ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسُ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشُوهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَننَا وَقَالُواْ حَسَبُنَا ٱللّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ اللّهَ فَانَقَلَبُواْ بِنِعْمَةِ فَاخْشُوهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَننَا وَقَالُواْ حَسَبُنَا ٱللّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ اللّهَ فَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ مِّنَ ٱللّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَمّهُمْ شُوّهُ وَٱلتّبَعُوا رَضِوَنَ ٱللّهِ وَٱللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ مِنْ اللّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَمّهُمْ شُوّهُ وَٱلتّبَعُوا رَضِوَنَ ٱللّهِ وَٱللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ اللّهُ فَاللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيمِهُ اللّهُ فَاللّهُ فَاللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللللّهُ

«إنهم أولئك الذين دعاهم الرسول على الحروج معه كرة أخرى غداة المعركة المريرة، وهم مثخنون بالجراح، وهم ناجون بشق الأنفس من الموت أمس في المعركة، وهم لم ينسوا بَعْدُ هولَ الدعكة، ومرارة الهزيمة، وشدة الكرب. وقد فقدوا من أعزائهم من فقدوا، فقل عددهم، فوق ما هم مثخنون بالجراح!

ولكن رسول الله ﷺ دعاهم، ودعاهم وحدهم، ولم يأذن لأحد تخلف عن الغزوة أن يخرج معهم ـ ليقويهم ويكثر عددهم كما كان يمكن أن يقال! ـ

<sup>(</sup>١) تفسير ابن كثير (٢٦٥/٣).

فاستجابوا .. استجابوا لدعوة الرسول ﷺ وهي دعوة الله ـ كما يقرر السياق، وكما هي في حقيقتها وفي مفهومهم كذلك ـ فاستجابوا بهذا لله والرسول هيئي بَعْـدِ مَا أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ، ونزل بهم الضر، وأثخنتهم الجراح.

ولقد دعاهم رسول الله على ودعاهم وحدهم. وكانت هذه الدعوة وما تلاها من استجابة تحمل إيحاءات شتى، وتومئ إلى حقائق كبرى، نشير إلى شيء منها: فلعل رسول الله على شاء ألا يكون آخر ما تنضم عليه جوانح المسلمين ومشاعرهم، هو شعور الهزيمة، وآلام البرح والقرح؛ فاستنهضهم لمتابعة قريش، وتعقبها، كي يقر في أخلادهم أنها تجربة وابتلاء، وليست نهاية المطاف.. وأنهم بعد ذلك أقوياء، وأن خصومهم المنتصرين ضعفاء، إنما هي واحدة وتمضي، ولهم الكرة عليهم، متى نفضوا عنهم الضعف والفشل، واستجابوا لدعوة الله والرسول. ولعل رسول الله على الجانب الآخر ألا تمضي قريش، وفي جوانحها ومشاعرها أخيلة النصر ومذاقاته. فمضى خلف قريش بالبقية ممن حضروا المعركة أمس؛ يشعر قريشًا أنها لم تنل من المسلمين منالًا، وأنه بقي لها منهم من يتعقبها ويكر عليها.

وقد تحققت هذه وتلك، كما ذكرت روايات السيرة.

ولعل رسول الله على شاء أن يشعر المسلمين، وأن يشعر الدنيا كلها من ورائهم، بقيام هذه الحقيقة الجديدة التي وجدت في هذه الأرض.. حقيقة أن هناك عقيدة هي كل شيء في نفوس أصحابها. ليس لهم من أرب في الدنيا غيرها، وليس لهم من غاية في حياتهم سواها. عقيدة يعيشون لها وحدها، فلا يبقى لهم في أنفسهم شيء بعدها، ولا يستبقون هم لأنفسهم بقية في أنفسهم لا يبذلونها لها، ولا يقدمونها فداها.

لقد كان هذا أمرًا جديدًا في هذه الأرض في ذلك الحين. ولم يكن بد أن تشعر الأرض كلها ـ بعد أن يشعر المؤمنون ـ بقيام هذا الأمر الجديد، وبوجود هذه الحقيقة

الكبيرة.

ولم يكن أقوى في التعبير عن ميلاد هذه الحقيقة من خروج هؤلاء الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح، ومن خروجهم بهذه الصورة الناصعة الرائعة الهائلة؛ صورة التوكل على الله وحده، وعدم المبالاة بمقالة الناس وتخويفهم لهم من جمع قريش لهم - كما أبلغهم رسل أبي سفيان - وكما هوَّل المنافقون في أمر قريش، وهو ما لا بد أن يفعلوا -: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ النَّاسُ قِنَ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشُوهُمْ فَرَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُواْ حَسَّبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ النَّاسُ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشُوهُمْ فَرَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُواْ حَسَّبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ

هذه الصورة الرائعة الهائلة كانت إعلانًا قويًّا عن ميلاد هذه الحقيقة الكبيرة، وكان هذا بعض ما تشير إليه الخطة النبوية الحكيمة.

وتحدثنا بعض روايات السيرة عن صور من ذلك القرح ومن تلك الاستجابة: قال محمد بن إسحاق: حدثني عبدالله بن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان أن رجلًا من أصحاب رسول الله على من بني عبدالأشهل كان قد شهد أحدًا قال: شهدنا أحدًا مع رسول الله على أنا وأخي، فرجعنا جريحين. فلما أذَّن مؤذن رسول الله على بالخروج في طلب العدو، قلت لأخي ـ أو قال لي ـ: أتفوتنا غزوة مع رسول الله على وكنت أيسر جراحًا منه، فكان وما منا إلا جريح ثقيل. فخرجنا مع رسول الله على وكنت أيسر جراحًا منه، فكان إذا غلب حملته عقبة.. حتى انتهيا إلى ما انتهى إليه المسلمون.

وقال محمد بن إسحاق: كان يوم «أحد» يوم السبت النصف من شوال، فلما كان الغد من يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال، أذن مؤذن رسول الله في الناس بطلب العدو، وأذن مؤذنه أن لا يخرجن معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس. فكلمه جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام. فقال: يا رسول الله إن أبي كان خلفني على أخوات لي سبع. وقال: يا بني إنه لا ينبغي لي ولا لك أن نترك

هؤلاء النسوة ولا رجل فيهن. ولست بالذي أوثرك بالجهاد مع رسول الله على على نفسي، فتخلف على إخوتك، فتخلفت عليهن.. فأذن له رسول الله على أ فخرج معه.

وهكذا تتضافر مثل هذه الصور الرفيعة على إعلان ميلاد تلك الحقيقة الكبيرة في تلك النفوس الكبيرة. النفوس التي لا تعرف إلا الله وكيلًا، وترضى به وحده وتكتفي، وتزداد إيمانًا به في ساعة الشدة، وتقول في مواجهة تخويف الناس لهم بالناس: ﴿حَسَّبُنَا اللهُ وَيَعْمَ الوَكِيلُ ﴿..

ثم تكون العاقبة كما هو المنتظر من وعد الله للمتوكلين عليه، المكتفين به، المتجردين له: ﴿ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضَّلٍ لَمَّ يَمْسَسُّهُمْ سُوَّةٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضُوَنَ اللَّهِ ﴾ .

فأصابوا النجاة ـ لم يمسسهم سوء ـ، ونالوا رضوان الله، وعادوا بالنجاة والرضى.

﴿ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضَّلٍ ﴾ . .

فهنا يردهم إلى السبب الأول في العطاء: نعمة الله وفضله على من يشاء. ومع التنويه بموقفهم الرائع، فإنه يرد الأمر إلى نعمة الله وفضله؛ لأن هذا هو الأصل الكبير، الذي يرجع إليه كل فضل، وما موقفهم ذاك إلا طرف من هذا الفضل الجزيل!

﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ . .

بهذا يسجل الله لهم في كتابه الخالد، وفي كلامه الذي تتجاوب له جوانب الكون كله، وصورتهم هذه وموقفهم هذا، وهي صورة رفيعة، وهو موقف كريم» (١)

<sup>(</sup>١) الظلال (١/١٥ - ٢١٥).

### 🗖 صورة أخرى وضيئة للموقنين الصادقين:

في يوم الأحزاب، الذي قال اللَّه فيه: ﴿إِذْ جَآءُوكُمْ مِّن فَوَقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِن كُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصُنُرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنكَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴿ عَنَالِكَ ٱبْتُكِي ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿ ﴾ [الأحزاب: ١٠، ١١]. هُنَالِكَ ٱبْتُكِي ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ [الأحزاب: ١٠، ١١].

قال محمد بن مسلمة: كان ليلنا بالخندق نهارًا، وكان المشركون يتناوبون بينهم، فيغدو أبو سفيان بن حرب في أصحابه يومًا، ويغدو خالد بن الوليد يومًا، ويغدو عمرو بن العاص يومًا، ويغدو هبيرة بن أبي وهب يومًا، ويغدو عكرمة بن أبي جهل يومًا، ويغدو ضرار بن الخطاب يومًا، حتى عظم البلاء وخاف الناس خوفًا شديدًا.

إنها صورة الهول الذي روَّع المدينة، والكرب الذي شملها، والذي لم ينج منه أحد من أهلها، وقد أطبق عليها المشركون من قريش وغطفان واليهود من بني قريظة من كل جانب؛ من أعلاها ومن أسفلها، فلم يختلف الشعور بالكرب والهول في قلب عن قلب، وإنما الذي اختلف هو استجابة تلك القلوب، وظنها بالله، وسلوكها في الشدة، وتصوراتها للقيم والأسباب والنتائج، ومِن ثمَّ كان الابتلاء كاملًا، والامتحان دقيقًا، والتمييز بين المؤمنين والمنافقين حاسمًا لا تردد فيه.

10 - قال - تَعَالَى -: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَاذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُمْ وَرَسُولُهُمْ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانَا وَتَسْلِيمًا ۞ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَهَدُوا ٱللَّهَ عَلَيْـةً فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُم وَمِنْهُم مَّن يَلْنَظِرُ وَمَا رَجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَهَدُوا ٱللّهَ عَلَيْـةً فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُم وَمِنْهُم مَّن يَلْنَظِرُ وَمَا رَجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَهَدُوا ٱللهَ عَلَيْـةً فَمِنْهُم مَّن يَلْنَظِرُ وَمَا رَجَالًا اللّهِ وَمِنْهُم مَّن يَلْنَظِرُ وَمَا رَجَالُ اللّهُ عَلَيْهِ وَمِنْهُم مَّن يَلْنَظِرُ وَمَا رَجَالُهُ اللّهِ اللّهُ عَلَيْهُم اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُم مَّن يَلْفَظُرُ وَمَا رَجَالُهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُم اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُم اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُم اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللللللّهُ الللللللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللللللللّهُ الللللّ

«صورة الإيمان الواثق المطمئن؛ وصورة المؤمنين المشرقة الوضيئة، في مواجهة الهول، وفي لقاء الخطر.. الخطر الذي يزلزل القلوب المؤمنة، فتتخذ من هذا الزلزال مادة للطمأنينة والثقة والاستبشار واليقين: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَذَا

مَا وَعَدَنَا ٱللّهُ وَرَسُولُهُم وَصَدَقَ ٱللّهُ وَرَسُولُهُم وَمَا زَادَهُمْ إِلّا إِيمَنَا وَتَسَلِيمًا ﴿ وَكَانَ لَقَدَ كَانَ الهولِ الذي واجهه المسلمون في هذا الحادث من الضخامة؛ وكان الكرب الذي واجهوه من الشدة؛ وكان الفزع الذي لقوه من العنف، بحيث زلزلهم زلزالًا شديدًا، كما قال عنهم أصدق القائلين: ﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونِ كَانَ الْوَالِمُ شَدِيدًا ﴾ .

لقد كانوا ناسًا من البشر. وللبشر طاقة. لا يكلفهم الله ما فوقها. وعلى الرغم من ثقتهم بنصر الله في النهاية؛ وبشارة الرسول على لهم، تلك البشارة التي تتجاوز الموقف كله إلى فتوح اليمن والشام والمغرب والمشرق. على الرغم من هذا كله، فإن الهول الذي كان حاضرًا يواجههم كان يزلزلهم ويزعجهم ويكرب أنفاسهم. ومما يصور هذه الحالة أبلغ تصوير خبر حذيفة. والرسول على يحسن حالة أصحابه، ويرى نفوسهم من داخلها، فيقول: «مَنْ رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع؟» يشرط له رسول الله على الرجعة؛ «أسأل الله \_ تَعَالَى \_ أن يكون رفيقي في الجنة»... ومع هذا الشرط بالرجعة، ومع الدعاء المضمون بالرفقة مع رسول الله في الجنة، فإن أحدًا لا يلبي النداء. فإذا عين بالاسم حذيفة؛ قال: فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني!.. ألا إن هذا لا يقع إلا في أقصى درجات الزلزلة.

ولكن كان إلى جانب الزلزلة، وزوغان الأبصار، وكرب الأنفاس.. كان إلى جانب هذا كله الصلة التي لا تنقطع بالله؛ وإدراك الذي لا يضل عن سنن الله؛ والثقة التي لا تتزعزع بثبات هذه السنن؛ وتحقق أواخرها متى تحققت أوائلها.

ومن ثم اتخذ المؤمنون من شعورهم بالزلزلة سببًا في انتظار النصر. ذلك أنهم صدقوا قول الله ـ سبحانه ـ من قبل: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّتُهُمُ الْبَأْسَآءُ وَالطَّرَّآءُ وَزُلِزِلُواْ حَتَى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوًا مِن قَبْلِكُمْ مَسَّتُهُمُ الْبَأْسَآءُ وَالطَّرَّآءُ وَزُلِزِلُواْ حَتَى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصَرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ نَصَرَ اللَّهِ قَرِبِبُ ﴿ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ فَنصر اللَّه إذن منهم قريب! ومن ثم قالوا: ﴿ هَاذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ فَنصر اللَّه إذن منهم قريب! ومن ثم قالوا: ﴿ هَاذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ

وَرَسُولُهُم ﴿ .. ﴿ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَنَنَا وَتَسْلِيمًا ﴾.

﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾.. هذا الهول، وهذا الكرب، وهذه الزلزلة، وهذا الضيق، وَعَدَنا عليه النصر.. فلا بد أن يجيء النصر.

لقد كانوا ناسًا من البشر، لا يملكون أن يتخلصوا من مشاعر البشر، وضعف البشر. وليس مطلوبًا منهم أن يتجاوزوا حدود جنسهم البشري، ولا أن يخرجوا من إطار هذا الجنس ويفقدوا خصائصه ومميزاته. فلهذا خلقهم الله؛ خلقهم ليبقوا بشرًا، ولا يتحولوا جنسًا آخر. لا ملائكة، ولا شياطين، ولا بهيمة، ولا حجرًا.. كانوا ناسًا من البشر يفزعون، ويضيقون بالشدة، ويزلزلون للخطر الذي يتجاوز الطاقة. ولكنهم كانوا - مع هذا - مرتبطين بالعروة الوثقى التي تشدهم إلى الله، وتمنعهم من السقوط، وتجدد فيهم الأمل، وتحرسهم من القنوط. وكانوا بهذا وذاك نموذجًا فريدًا في تاريخ البشرية لم يعرف له نظير.

وعلينا أن ندرك هذا، لندرك ذلك النموذج الفريد في تاريخ العصور. علينا أن ندرك أنهم كانوا بشرًا، لم يتخلوا عن طبيعة البشر، بما فيها من قوة وضعف، وأن منشأ امتيازهم أنهم بلغوا في بشريتهم هذه أعلى قيمة مهيأة لبني الإنسان في الاحتفاظ بخصائص البشر في الأرض مع الاستمساك بعروة السماء.

وحين نرانا ضعفنا مرة، أو زلزلنا مرة، أو فزعنا مرة، أو ضقنا مرة بالهول والخطر والشدة والضيق. فعلينا ألا نيأس من أنفسنا، وألا نهلع ونحسب أننا لم نعد نصلح لشيء عظيم أبدًا. ولكن علينا في الوقت ذاته ألا نقف إلى جوار ضعفنا؛ لأنه من فطرتنا البشرية! ونصر عليه؛ لأنه يقع لمن هم خير منا! هنالك العروة الوثقى؛ عروة السماء، وعلينا أن نستمسك بها؛ لننهض من الكبوة، ونسترد الثقة والطمأنينة،

ونتخذ من الزلزال بشيرًا بالنصر. فنثبت ونستقر، ونقود ونطمئن، ونسير في الطريق..

هذا في مقابل ذلك النموذج الكريه.. نموذج الذين عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار، ثم لم يوفوا بعهد الله، ﴿وَكَانَ عَهَدُ ٱللَّهِ مَسْتُولًا ﴾.

روى الإمام أحمد ـ بإسناده ـ عن ثابت قال: «عمي أنس بن النضر عليه سميت به ـ لم يشهد مع رسول الله على يوم بدر، فشق عليه، وقال: أول مشهد شهده رسول الله على غبت عنه! لئن أراني الله ـ تَعَالَى ـ مشهدًا فيما بعد مع رسول الله على ليرين الله على ما أصنع. قال: فهاب أن يقول غيرها. فشهد مع رسول الله على ليرين الله على ما أصنع. قال: فهاب أن يقول غيرها. فشهد مع رسول الله على يوم «أحد». فاستقبل سعد بن معاذ نظمه فقال له أنس نظمه: يا أبا عمرو، أين واها لريح الجنة! إني أجده دون «أحد». قال: فقاتلهم حتى قتل نظم قال: فوجد في جسده بضع وثمانون بين ضربة وطعنة ورمية. فقالت أخته ـ عمتي الرّبيع ابنة النضر عنها عرفت أخي إلا ببنانه. قال: فنزلت هذه الآية: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَنهَ مَا عَرفت أخي إلا ببنانه. قال: فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه ـ رضي الله عنهم ـ. [ورواه مسلم، والترمذي، والنسائي من حديث سليمان بن المغيرة].

وهذه الصورة الوضيئة لهذا النموذج من المؤمنين تذكر هنا تكملة لصورة الإيمان، في مقابل صورة النفاق والضعف ونقض العهد من ذلك الفريق؛ لتتم المقابلة في معرض التربية بالأحداث وبالقرآن.

ويعقب عليها ببيان حكمة الابتلاء، وعاقبة النقض والوفاء؛ وتفويض الأمر في

هذا كله لمشيئة الله: ﴿ لِيَجْزِي آللهُ ٱلصَّلدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِبَ ٱلْمُنَافِقِينَ ﴾ إن شاء الله و ﴿ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾

ومثل هذا التعقيب يتخلل تصوير الحوادث والمشاهد .؛ ليرد الأمر كله إلى الله، ويكشف عن حكمة الأحداث والوقائع. فليس شيء منها عبثًا ولا مصادفة، إنما تقع وفق حكمة مقدرة، وتدبير قاصد. وتنتهي إلى ما شاء الله من العواقب.

وفيها تتجلى رحمة الله بعباده، ورحمته ومغفرته أقرب وأكبر: ﴿ إِنَ ٱللَّهَ كَانَ غَـفُورًا رَّحِيـمًا ﴾.

ويختم الحديث عن الحدث الضخم بعاقبته التي تصدق ظن المؤمنين بربهم؛ وضلال المنافقين والمرجفين وخطأ تصوراتهم؛ وتثبت القيم الإيمانية بالنهاية الواقعية. ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ الله

وقد بدأت المعركة، وسارت في طريقها، وانتهت إلى نهايتها. وزمامُها في يد الله، يصرفها كيف يشاء. وأثبت النص القرآني هذه الحقيقة بطريقة تعبيره، فأسند إلى الله ـ تَعَالَى ـ إسنادًا مباشرًا كل ما تم من الأحداث والعواقب؛ تقريرًا لهذه الحقيقة، وتثبيتًا لها في القلوب، وإيضاحًا للتصور الإسلامي الصحيح (١).

<sup>(</sup>١) الظلال (٥/٢٤٨٢ - ٢٨٤٥).

## الجهاد اختبار وتمحيص لشرف أهله عند الله

🗖 الجهاد منهج عجيب في التربية على التفويض والرضا باختيار اللَّه ﷺ

ا ٥٦. قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرُّهُ لَكُمُّ وَعَسَىٰ أَن تَكْرُهُواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرُّ لَكُمُّ وَاللَّهُ يَعَلَمُ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرُّ لَكُمُّ وَاللَّهُ يَعَلَمُ وَأَنتُهُ وَأَللَهُ يَعَلَمُ وَأَنتُهُ لَا تَعْلَمُونَ اللهِ وَالبقرة: ١١٦].

إن القتال في سبيل الله فريضة شاقة، ولكنها فريضة واجبة الأداء. واجبة الأداء؛ لأن فيها خيرًا كثيرًا للفرد المسلم، وللجماعة المسلمة، وللبشرية كلها، وللحق والخير والصلاح.

والإسلام يحسب حساب الفطرة؛ فلا ينكر مشقة هذه الفريضة، ولا يهون من أمرها، ولا ينكر على النفس البشرية إحساسها الفطري بكراهيتها وثقلها. فالإسلام لا يماري في الفطرة، ولا يصادمها، ولا يحرم عليها المشاعر الفطرية التي ليس إلى إنكارها من سبيل. ولكنه يعالج الأمر من جانب آخر، ويسلط عليه نورًا جديدًا. إنه يقرر أن من الفرائض ما هو شاق مرير كريه المذاق؛ ولكن وراءه حكمة تهون مشقته، وتسيغ مرارته، وتحقق به خيرًا مخبوءًا قد لا يراه النظر الإنساني القصير. عندئذ يفتح للنفس البشرية نافذة جديدة تطل منها على الأمر، ويكشف لها عن زاوية أخرى غير التي تراه منها. نافذة تهب منها ريح رخية عندما تحيط الكروب بالنفس وتشق عليها الأمور. إنه من يدري فلعل وراء المكروه خيرًا، ووراء المحبوب شرًا. إن العليم بالغايات البعيدة، المطلع على العواقب المستورة، هو الذي يعلم وحده، حيث لا يعلم الناس شيئًا من الحقيقة.

وعند تنسم تلك النسمة الرخية على النفس البشرية تهون المشقة، وتتفتح منافذ الرجاء، ويستروح القلب في الهاجرة، ويجنح إلى الطاعة والأداء في يقين وفي رضاء.

هكذا يواجه الإسلام الفطرة، لا منكرًا عليها ما يطوف من المشاعر الطبيعية، ولا مريدًا لها على الأمر الصعب بمجرد التكليف، ولكن مربيًا لها على الطاقة، ومفسحًا لها في الرجاء؛ لتبذل الذي هو أدنى في سبيل الذي هو خير، ولترتفع على ذاتها متطوعة لا مجبرة، ولتحس بالعطف الإلهي الذي يعرف مواضع ضعفها، ويعترف بمشقة ما كتب عليها، ويعذرها ويقدرها، ويحدو لها بالتسامي والتطلع والرجاء.

وهكذا يربي الإسلام الفطرة، فلا تمل التكليف، ولا تجزع عند الصدمة الأولى، ولا تخور عند المشقة البادية، ولا تخجل وتتهاوى عند انكشاف ضعفها أمام الشدة. ولكن تثبت وهي تعلم أن الله يعذرها ويمدها بعونه ويقويها، وتصمم عل المضي في وجه المحنة، فقد يكمن فيها الخير بعد الضرر، واليسر بعد العسر، والراحة الكبرى بعد الضنى والعناء. ولا تتهالك على ما تحب وتلتذ، فقد تكون الحسرة كامنة وراء المتعة! وقد يكون المكروه مختبتًا خلف المحبوب، وقد يكون الهلاك متربصًا وراء المطمع البراق.

إنه منهج في التربية عجيب. منهج عميق بسيط. منهج يعرف طريقه إلى مسارب النفس الإنسانية وحناياها ودروبها الكثيرة بالحق وبالصدق، لا بالإيحاء الكاذب، والتمويه الخادع.. فهو حق أن تكره النفس الإنسانية القاصرة الضعيفة أمرًا ويكون فيه الخير كل الخير. وهو حق كذلك أن تحب النفس أمرًا وتتهالك عليه وفيه الشر كل الشر. وهو الحق كل الحق أن الله يعلم والناس لا يعلمون! وماذا يعلم الناس من أمر العواقب؟ وماذا يعلم الناس مما وراء الستر المسدل؟ وماذا يعلم الناس من الحقائق التي لا تخضع للهوى والجهل والقصور؟!».

إن هذه اللمسة الربانية للقلب البشري لتفتح أمامه عالمًا آخر غير العالم المحدود الذي تبصره عيناه. وتبرز أمامه عوامل أخرى تعمل في صميم الكون، وتقلب الأمور، وترتب العواقب على غير ما كان يظنه ويتمناه. وإنها لتتركه حين يستجيب

لها طَيِّعًا في يد القدر، يعمل ويرجو ويطمع ويخاف، ولكن يرد الأمر كله لليد الحكيمة والعلم الشامل، وهو راض قرير.. إنه الدخول في السلم من بابه الواسع.. فما تستشعر النفس حقيقة السلام إلا حين تستيقن أن الخيرة فيما اختاره الله. وأن الخير في طاعة الله دون محاولة منها أن تجرب ربها وأن تطلب منه البرهان!

إن الإذعان الواثق، والرجاء الهادئ، والسعي المطمئن هي أبواب السلم الذي يدعو الله عباده الذين آمنوا ليدخلوا فيه كافة.. وهو يقودهم إليه بهذا المنهج العجيب العميق البسيط في يسر وفي هوادة وفي رخاء. يقودهم بهذا المنهج إلى السلم حتى وهو يكلفهم فريضة القتال، فالسلم الحقيقي هو سلم الروح والضمير حتى في ساحة القتال.

وإن هذا الإيحاء الذي يحمله ذلك النص القرآني، لا يقف عند حد القتال فالقتال ليس إلا مثلًا لما تكرهه النفس، ويكون من ورائه الخير.. إن هذا الإيحاء ينطلق في حياة المؤمن كلها، ويلقي ظلاله على أحداث الحياة جميعها.. إن الإنسان لا يدري أين يكون الخير وأين يكون الشر.. لقد كان المؤمنون الذين خرجوا يوم «بدر» يطلبون عير قريش وتجارتها، ويرجون أن تكون الفئة التي وعدهم الله إياها هي فئة العير والتجارة، لا فئة الحامية المقاتلة من قريش. ولكن الله جعل القافلة تفلت، ولقاهم المقاتلة من قريش! وكان النصر الذي دوى في الجزيرة العربية ورفع راية الإسلام. فأين تكون القافلة من هذا الخير الضخم الذي أراده الله للمسلمين! وأين يكون اختيار المسلمين لأنفسهم من اختيار الله لهم؟ والله يعلم، والناس لا يعلمون!

ولقد نسي فتى موسى ما كانا قد أعداه لطعامهما ـ وهو الحوت ـ فتسرب في البحر عند الصخرة . ﴿ فَلَمَّا جَاوَزًا قَالَ لِفَتَـٰلُهُ ءَالِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَاذَا نَصَبًا ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أُوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّ نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ ۖ إِلَّا الشَّيْطُانُ أَنْ أَذَكُرُمُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدَا

عَلَىٰ ءَاثَارِهِمَا قَصَصَا ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ﴾ [الكهف: ٦٢ ـ ٦٥]، وكان هذا هو الذي خرج له موسى. ولو لم يقع حادث الحوت ما ارتدا، ولفاتهما ما خرجا لأجله في الرحلة كلها!

وكل إنسان - في تجاربه الخاصة - يستطيع - حين يتأمل - أن يجد في حياته مكروهات كثيرة كان من ورائها الخير العميم، ولذات كثيرة كان من ورائها الشر العظيم. وكم من مطلوب كاد الإنسان يذهب نفسه حسرات على فوته ثم تبين له بعد فترة أنه كان إنقاذًا من الله أن فوَّت عليه هذا المطلوب في حينه. وكم من محنة تجرعها الإنسان لاهثًا يكاد يتقطع لفظاعتها ثم ينظر بعد فترة فإذا هي تنشئ له في حياته من الخير ما لم ينشئه الرخاء الطويل.

إن الإنسان لا يعلم. والله وحده يعلم. فماذا على الإنسان لو يستسلم؟ إن هذا هو المنهج التربوي الذي يأخذ القرآن به النفس البشرية؛ لتؤمن، وتسلم، وتستسلم في أمر الغيب المخبوء، بعد أن تعمل ما تستطيع في محيط السعي المكشوف» (١).

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: «في هذه الآية عدة حكم وأسرار ومصالح للعبد، فإن العبد إذا علم أن المكروه قد يأتي بالمحبوب، والمحبوب قد يأتي بالمكروه؛ لم يأمن أن توافيه المضرَّة من جانب المسرَّة، ولم ييأس أن تأتيه المسرة من جانب المضرَّة، لعدم علمه بالعواقب، فإن الله يعلم منها ما لا يعلمه العبد - أوجب له ذلك أمورًا:

منها: أنه لا أنفع له من امتثال أمر ربه، وإن شقَّ عليه في الابتداء؛ لأن عواقبه كلها خيرات ومسرَّات ولذات وأفراح، وإن كرهته نفسه فهو خير لها، وأنفع، وكذلك لا شيء أضرُّ عليه من ارتكاب المنهي، وإن هوته نفسه، ومالت إليه، وإن

<sup>(</sup>١)الظلال (١/٢٢٢ - ٢٢٥).

عواقبه كلها آلام وأحزان وشرور ومصائب. وخاصية العاقل تحمل الألم اليسير؛ لما يعقبه من اللذة اليسيرة؛ لما يعقبها من الألم العظيم والشر الطويل.

فنظر الجاهل لا يجاوز المبادئ إلى غايتها، والعاقل الكيّس دائمًا ينظر إلى الغايات من وراء ستور مباديها؛ فيرى ما وراء تلك الستور من الغايات المحمودة والمذمومة؛ فيرى المناهي لطعام لذيذ قد نُحلط فيه سم قاتل، فكلما دعته لذته إلى تناوله نهاه عنه ما فيه من السمّ، ويرى الأوامر كدواء مُرِّ المذاق مفض إلى العافية والشفاء، وكلما نهته مرارة مذاقه عن تناوله، أمره نفعه بالتناول، ولكن هذا يحتاج إلى فضل علم، تدرك به الغايات من مبادئها، وقوة صبر يوطن به نفسه على تحمل الى فضل علم، تدرك به الغايات من مبادئها، وقوة صبر يوطن به نفسه على تحمل مشقة الطريق لم يؤمل عند الغاية، فإذا فقد اليقين والصبر تعذر عليه ذلك، وإذا قوي يقينه وصبره؛ هان عليه كل مشقة يتحملها في طلب الخير الدائم، واللذة الدائمة.

ومن أسرار هذه الآية أنها: تقتضي من العبد التفويض إلى من يعلم عواقب الأمور، والرضا بما يختاره له، ويقتضيه له؛ لما يرجو من حسن العاقبة.

ومنها: أنه لا يقترح على ربه، ولا يختار عليه، ولا يسأله ما ليس له به علم، فلعلَّ مضرته وهلاكه فيه، وهو لا يعلم، فلا يختار على ربه شيئًا، بل يسأله حسن الاختيار له، وأن يرضيه بما يختاره، فلا أنفع له من ذلك.

ومنها: أنه إذا فوَّض إلى ربه، ورضي بما يختاره له؛ أمده فيما يختاره له بالقوة عليه، والعزيمة والصبر، وصرف عنه الآفات التي هي عرضة اختيار العبد لنفسه، وأراه من حسن عواقب اختياره ما لم يكن ليصل إلى بعضه بما يختاره هو لنفسه.

ومنها: أن يريحه من الأفكار المتعبة في أنواع الاختيارات، ويفرِّغ قلبه من التقديرات والتدبيرات، التي يصعد منها في عقبة، وينزل في أخرى، ومع هذا فلا خروج له عما قدر عليه، فلو رضى باختيار الله؛ أصابه القدر وهو محمود مشكور

ملطوف به فیه، وإلا جرى علیه القدر، وهو مذموم عنده غیر ملطوف به فیه، مع اختیاره لنفسه.

ومتى صح تفويضه ورضاه؛ اكتنفه في المقدور العطف عليه، واللطف به، فيصير بين عطفه ولطفه، فعطفه يقيه ما يحذره، ولطفه يهوِّن عليه ما قدَّره.

إذا نفذ القدر في العبد كان من أعظم أسباب نفوذه تحيَّله في ردِّه، فلا أنفع له من الاستسلام، وإلقاء نفسه بين يديُّ القدر طريحًا كالميت. فإن السبع لا يرضى أن يأكل الجيف» (١).

وقال ـ رحمه الله ـ: «يَرَنَّ ـ سبحانه ـ أن ما أمرهم به يعلم ما فيه من المصلحة والمنفعة لهم التي اقتضت أن يختاره ويأمرهم به، وهم قد يكرهونه إما لعدم العلم، وإما لنفور الطبع. فهذا علمه بما في عواقب أمره مما لا يعلمونه، وذلك علمه بما في اختياره من خلقه بما لا يعلمونه.

فهذه الآية تضمنت الحض على التزام أمر الله وإن شقَّ على النفوس، وعلى الرضا بقضائه وإنْ كرهته النفوس» (٢).

٣٥ ـ قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَثَلُ ٱلَّذِينَ خَلُوا مِن قَبْلِكُمْ مَسَّتُهُمُ ٱلْبَأْسَانَهُ وَالطَّرَّاهُ وَزُلِزُلُواْ حَتَى يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ ٱللَّهِ قَرِبِتُ ﴿ وَالبَقُـرةَ اللهِ قَرِبِتُ ﴿ البَقَـرةَ اللهِ عَرْبِتُ ﴾ [البقرة: ٢١٤].

﴿ ٱلْبَأْسَآءِ ﴾: شدة الحاجة. ﴿ وَٱلضَّرَّاءِ ﴾: هي العلل والأوصاب. ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوًا ﴾: شبه الذين مضوا.

قال ابن جرير (١٩٨/٢): «أم حسبتم أنكم أيها المؤمنون باللَّه ورسله تدخلون الجنة ولم يصبكم مثل ما أصاب مَنْ قبلكم من أتباع الأنبياء والرسل من الشدائد

<sup>(</sup>١) الفوائد. لابن القيم ص (١٣٤، ١٣٥).

<sup>(</sup>٢) شفاء العليل، لابن القيم ص (٣٣).

والمحن والاختبار، فتبتلوا بما ابتلوا واختبروا به من شدة الحاجة والفافة والعلل والأوصاب، ولم تزلزلوا زلزالهم؛ يعني: ولم يصبهم من أعدائهم من الخوف والرعب شدة وجهد حتى يستبطئ القوم نصر الله إياهم فيقولون: متى الله ناصرنا؟ ثم أخبرهم الله أن نصره منهم قريب وأنه مُعْلِيهِمْ على عدوهم، ومظهرهم عليه، ومنجز لهم ما وعدهم، ويعلي كلمتهم، ويُطفئ نار حرب الذين كفروا.

قال قتادة: نزلت في يوم «الأحزاب»؛ أصاب رسولَ اللَّه ﷺ وأصحابَه بلاء وحصرٌ، فكانوا كما قال اللَّه ﷺ (وَبَلَغَتِ الْقُنُوبُ الْمَنَاجِرَ الْأَحزاب: ١٠]». «هكذا خاطب اللَّه الجماعة المسلمة الأولى، وهكذا وجهها إلى تجارب الجماعات المؤمنة قبلها، وإلى سنته ـ سبحانه ـ في تربية عباده المختارين الذين يكل إليهم رايته، وينوط بهم أمانته في الأرض، ومنهجه وشريعته. وهو خطاب مطرد لكل من يُختار لهذا الدور العظيم...

وإنها لتجربة عميقة جليلة مرهوبة.. إن هذا السؤال من الرسول والذين آمنوا معه ـ من الرسول ـ وهو خير الناس وأعلمهم بالله.. الموصول بالله، والمؤمنين الذين آمنوا بالله، إن سؤالهم: ﴿مَتَىٰ نَصَرُ ٱللَّهِ ﴾؟ ليصور مدى المحنة التي تزلزل مثل هذه القلوب الموصولة، ولن تكون إلا محنة فوق الوصف، تُلقى ظلالها على مثل هاتيك القلوب، فتبعث منها ذلك السؤال المكروب: ﴿مَتَىٰ نَصَرُ ٱللَّهِ ﴾؟

وعندما تثبت القلوب على مثل هذه المحنة المزلزلة.. عندئذ تتم كلمة الله، ويجيء النصر من الله.

وألا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِبِبُ : إنه مُدَّخر لمن يستحقونه، ولن يستحقه إلا الذين يشبتون حتى النهاية. الذين يثبتون على البأساء والضراء، الذين يصمدون للزلزلة، الذين لا يحنون رءوسهم للعاصفة، الذين يستيقنون أن لا نصر إلا نصر الله، وعندما يشاء الله. وحتى حين تبلغ المحنة ذروتها، فهم يتطلعون فحسب إلى «نصر الله»، لا إلى أي حل آخر، ولا إلى أي نصر لا يجيء من عند الله، ولا نصر إلا من

عند الله. بهذا يدخل المؤمنون الجنة، مستحقين لها، جديرين بها، بعد الجهاد والامتحان، والصبر والثبات، والتجرد لله وحده، والشعور به وحده، وإغفال كل ما سواه وكل من سواه.

إن الصراع والصبر عليه يهب النفوس قوة، ويرفعها على ذواتها، ويطهرها في بوتقة الألم، فيصفو عنصرها ويضيء، ويهب العقيدة عمقًا وحيوية، فتتلألأ حتى في أعين أعدائها وخصومها، وعندئذ يدخلون في دين الله أفواجًا كما وقع، وكما يقع في كل قضية حق، يلقى أصحابها ما يلقون في أول الطريق، حتى إذا ثبتوا للمحنة انحاز إليهم من كانوا يحاربونهم، وناصرهم أشد المناوئين وأكبر المعاندين. على أنه ـ حتى إذا لم يقع هذا ـ يقع ما هو أعظم منه في حقيقته.. ترتفع أرواح أصحاب الدعوة على كل قوى الأرض وشرورها وفتنتها، وتنطلق من إسار الحرص على الحياة نفسها في النهاية.. وهذا الانطلاق على الله وأمانته وكسب للأرواح التي تصل إليه عن طريق الاستعلاء.. كسب يرجح جميع الآلام، وجميع البأساء والضراء التي يعانيها المؤمنون المؤتمنون على راية الله وأمانته ودينه وشريعته.

وهذا الانطلاق هو المؤهل لحياة الجنة في نهاية المطاف.. وهذا هو الطريق. إيمان وجهاد.. ومحنة وابتلاء.. وصبر وئبات.. وتوجه إلى اللَّه وحده.. ثم يجيء النصر.. ثم يجيء النعيم». اهـ. من الظلال (٢١٨/١، ٢١٩).

30- قال - تَعَالَى -: ﴿إِن يَمْسَسُكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَارَحٌ مِّشْلُهُ مَنْ وَاللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَخِذَ مِنكُمْ شَهُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَخِذَ مِنكُمْ شَهُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَخِذَ مِنكُمْ شَهُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ شَهُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ شَهُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ اللَّهُ اللَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَ

﴿ إِن يَمْسَلُّكُمْ ﴾: قال ابن عباس: إن يصبكم.

﴿ قَرْحٌ ﴾: قال مجاهد جراح وقتل. وقال قتادة: القرح: الجراحة، وهو قول ابن

إسحاق. قال الربيع: «إن كان أصابكم قرح فقد أصاب عدوكم مثله» يعزِّي أصحاب محمد عَلِيْكُمْ ويحثهم على القتال.

قال الحسن: إن يقتلوا منكم يوم «أحد» فقد قتلتم منهم يوم «بدر».

عن ابن عباس قال: نام المسلمون وبهم الكلوم يوم «أحد». قال عكرمة: وفيهم أُنزلت: ﴿إِن يَمْسَسُكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّتَ لُهُمْ وَتِلْكَ الْأَيْنَامُ لَنُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وفيهم أنزلت: ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلُمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ مَا لَا يَرْجُونَ فَإِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلُمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَرَبِّهُونَ مِنَ اللّهِ مَا لَا يَرْجُونَ إِلنساء: ١٠٤].

وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ بَعُعلها دولًا بين الناس، ويعني بالناس: المسلمين والمشركين، وذلك أن الله وَ الله المسلمين من المشركين بناحد، فقتلوا منهم منهم سبعين، وأسروا سبعين، وأدال المشركين من المسلمين بأحد، فقتلوا منهم سبعين سوى من جرحوا منهم.

﴿ وَلِيَعُلَمَ اللَّهُ اللَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ وليعلم اللَّه الذين آمنوا منكم ـ أيها القوم ـ من الذين نافقوا. وليتخذ منكم شهداء؛ أي: ليكرم منكم بالشهادة من أراد أن يكرمه. ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُ الظَّالِمِينَ ﴾

إن الشدة بعد الرخاء، والرخاء بعد الشدة، هما اللذان يكشفان عن معادن النفوس، وطبائع القلوب، ودرجة الغبش فيها والصفاء، ودرجة الهلع فيها والصبر، ودرجة الثقة فيها بالله أو القنوط، ودرجة الاستسلام فيها لقدر الله أو البوم به والجموح!

ومداولة الأيام، وتعاقب الشدة والرخاء، محك لا يُخطئ، وميزان لا يظلم. والرخاء في هذا كالشدة، وكم من نفوس تصبر للشدة والتماسك، ولكنها تتراخى بالرخاء وتنحل. والنفس المؤمنة هي التي تصبر للضراء، ولا تستخفها السراء، وتتجه إلى الله في الحالين وتوقن أن ما أصابها من الخير والشر فبإذن الله.

﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ ٱلْكَفِرِينَ ﴿ ﴾

وليمحص الله الذين آمنوا؛ قال ابن عباس: يبتليهم، وهو قول مجاهد، والسدي.

قال ابن إسحاق: يختبر الذين آمنوا؛ حتى يخلصهم بالبلاء الذي نزل بهم. وكيف صَبْرُهم ويَقِينُهم.

﴿ وَيَمْحَقَ ٱلْكَفِرِينَ ﴾؛ أي: ينقصهم ويفنيهم. يقال منه: محق فلان هذا الطعام إذا نقصه أو أفناه. قال ابن عباس: ينقصهم.

قال ابن زيد: يمحق من محق في الدنيا، وكان بقية من يمحق في الآخرة في النار.

«والتمحيص درجة بعد الفرز والتمييز. والتمحيص عملية تتم في داخل النفس، وفي مكنون الضمير.. إنها عملية كشف لمكنونات الشخصية وتسليط الضوء على هذه المكنونات؛ تمهيدًا لإخراج الدخل والدغل والأوشاب، وتركها نقية واضحة مستقرة على الحق بلا غبش ولا ضباب.

وكثيرًا ما يجهل الإنسان نفسه، ومخابئها ودروبها ومنحنياتها، وكثيرًا ما يجهل ضعفها وقوتها، وحقيقة ما استكنَّ فيها من رواسب لا تظهر إلا بمثير!

وفي هذا التمحيص الذي يتولاه الله ـ سبحانه ـ بمداولة الأيام بين الناس بين الشدة والرخاء، يعلم المؤمنون من أنفسهم ما لم يكونوا يعلمونه قبل هذا المحك المرير.. محك الأحداث والتجارب والمواقف العملية الواقعية.

ولقد يظن الإنسان في نفسه القدرة والشجاعة والتجرد والخلاص من الشح والحرص.. ثم إذا هو يكتشف على ضوء التجربة العملية وفي مواجهة الأحداث الواقعية . أن في نفسه عقابيل لم تمحص، وأنه لم يتهيأ لمثل هذا المستوى من الضغوط! ومن الخير أن يعلم هذا من نفسه ليعاود المحاولة في سبكها من جديد على مستوى الضغوط التي تقتضيها طبيعة هذه الدعوة، وعلى مستوى التكاليف التى تقتضيها هذه العقيدة!».

محص الله هذه الجماعة المختارة لقيادة البشرية، ورباها ومعصها هذا التمحيص الذي تكشَّفت عنه الأحداث في «أُحُد»؛ لترتفع إلى مستوى الدور المقدر لها، وليتحقق على يديها قدر الله الذي ناطه بها.

﴿ وَيَمْحَقَ ٱلْكَفِرِينَ ﴾؛ تحقيقًا لسنته في دمغ الباطل بالحق متى استعلن الحق، وخلص من الشوائب بالتمحيص.

عَهُ قَالَ مَ تَعَالَى مَ: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ اللهِ اللهُ اللَّذِينَ اللهِ اللهُ اللهُ

قال ابن كثير (٢٠٠/٣): «أي: أحسبتم أن تدخلوا الجنة ولم تبتلوا بالقتال والشدائد. كما قال ـ تَعَالَى ـ في سورة البقرة: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَكَةَ وَالطَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا ﴾ [البقرة: وَلَمَّا يَأْتِكُمُ مَّشُلُ الَّذِينَ خَلَوا مِن قَبْلِكُمُ مَّسَتَهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالطَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا ﴾ [البقرة: ٢١٤] الآية.

وقال - تَعَالَى -: ﴿ الْهَ ﴿ الْهَ ﴿ الْمَسِبُ النَّاسُ أَن يُتَرَكُّواْ أَن يَقُولُواْ ءَامَنَا وَهُمْ لَا يُفتَنُونَ ﴿ وَ الْعَنكُبُوتِ: ١، ٢] الآية. ولهذا قال هاهنا: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن يُفتَنُونَ ﴾ [العنكبوت: ١، ٢] الآية. ولهذا قال هاهنا: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن يَعْلَمُ الصَّلْمِدِينَ ﴾ أي: تَدْخُلُواْ الْمَجَنَّةُ وَلَمَّا يَعْلَمُ اللَّهُ اللَّذِينَ جَلهَ كُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّلْمِدِينَ ﴾ أي: لا يحصل لكم دخول الجنة حتى تبتلوا ويرى اللّه منكم المجاهدين في سبيله، والصابرين على مقاومة الأعداء ﴾ اهد.

وقال الطبري (٧٠/٤): «أظننتم أن تدخلوا الجنة، وتنالوا كرامة ربكم وشرف المنازل عنده. ﴿ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ﴾ ولما يتبين لعبادي المؤمنين المجاهد منكم في سبيل اللَّه على ما أمره به، ﴿ وَيَعْلَمَ ٱلصَّـٰكِرِينَ ﴾ عند البأس على ما ينالهم في ذات اللّه من جرح وألم ومكروه».

قال ابن إسحاق: أم حسبتم أن تدخلوا الجنة وتصيبوا من ثوابي الكرامة ولم أختبركم بالشدة وأبتليكم بالمكارة؛ حتى أعلم صدق ذلك منكم الإيمان بي

والصبر على ما أصابكم فيّ.

«في سؤال استنكاري يصحح القرآن تصورات المسلمين عن سنة الله في الدعوات وفي النصر والهزيمة، وفي العمل والجزاء، ويبين لهم أن طريق الجنة محفوف بالمكاره، وزاده الصبر على مشاق الطريق، وليس زاده التمني والأماني الطائرة التي لا تثبت على المعاناة والتمحيص.

إن صيغة السؤال الاستنكارية يقصد بها التنبيه بشدة إلى خطإ هذا التصور: تصور أنه يكفي الإنسان أن يقولها كلمة باللسان: أسلمت وأنا على استعداد للموت، فيبلغ بهذه الكلمة أن يؤدي تكاليف الإيمان، وأن ينتهي إلى الجنة والرضوان! إنما هو الجهاد وملاقاة البلاء، ثم الصبر على تكاليف الجهاد، وعلى معاناة البلاء.

# ﴿ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَلَّهَ كُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّلْمِينَ

ربما كان الجهاد في الميدان أخف من تكاليف الدعوة التي يطلب لها الصبر ويختبر بها الإيمان. الصبر على الاستقامة على أفق الإيمان، والاستقرار على مقتضياته في الشعور والسلوك. الصبر في أثناء ذلك على الضعف الإنساني في النفس وفي الغير.. فمن يتعامل معهم المؤمن في حياته اليومية... والصبر على الفترات التي يستعلي فيها الباطل وينتعش ويبدو كالمنتصر.. والصبر على طول الطريق وبُعد الشقة وكثرة العقبات.. الصبر على وسوسة الراحة وهفوة النفس لها في زحمة الجهد والكرب والنضال.. والصبر على أشياء كثيرة ليس الجهاد في الميدان إلا واحدًا منها، في الطريق المحفوف بالمكاره ـ طريق الجنة التي لا تنال بالأماني وكلمات اللسان!

أخي: من صبر ظفر، ومن ضجر في حَمْل ما لقي خَسِر.. ومن ظن أنه يصل إلى محل عظيم من دون مقاساة الشدائد ألقته أمانيه في مهواة الهلاك، ومن عرف مطلوبه سهل عليه بذل مجهوده.

إِذَا شَامَ الْفَتَى بَرَقَ الْمَعَانِي فَأَهْوَنُ فَائِتِ طِيبُ الرُّقَادِ ٥٥ قَالُ ثَالُمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوَّهُ فَقَدِ كَنْتُمُ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوَّهُ فَقَدً رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ لَنظُرُونَ ﴿ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ا

«أي: قد كنتم أيها المؤمنون، قبل هذا اليوم تتمنون لقاء العدو، وتتحرقون عليه، وتودون مناجزتهم ومصابرتهم، فها قد حصل لكم الذي تمنيتموه وطلبتموه، فدونكم فقاتلوا وصابروا.

وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف»(١).

ولهذا قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾؛ يعني: الموت، شاهدتموه في لمعان السيوف، وحدٌ الأسنة، واشتباك الرماح، وصفوف الرجال للقتال»(٢).

إِذَا انْسَكَبَتْ دُمُوعٌ فِي خُدُودٍ تَبَيَّ مَنْ بَكَى مِمَّنَ تَبَاكَى وَزِنَ الْحَقِيقَة تُواجِه فِي العيان:

يعلمهم الله بهذا أن يحسبوا حسابًا لكل كلمة تطلقها ألسنتهم، ويزنوا حقيقة رصيدها الواقعي في نفوسهم، على ضوء ما واجهوه من حقيقتها حين واجهتهم! وبذلك يقدِّرون قيمة الكلمة، وقيمة الأمنية، وقيمة الوعد، في ضوء الواقع الثقيل! ثم يعلمهم أن ليست الكلمات الطائرة، والأماني المرفوفة هي التي تبلغهم الجنة، إنما هو تحقيق الكلمة وتجسم الأمنية، والجهاد الحقيقي، والصبر على المعاناة، حتى يعلم الله منهم ذلك كله واقعًا كائنًا في دنيا الناس!

لقد كان الله ـ سبحانه ـ قادرًا على أن يمنح النصر لنبيه، ولدعوته، ولدينه، ولمنهجه منذ اللحظة الأولى، وبلا كدِّ من المؤمنين ولا عناء، وكان قادرًا على أن

<sup>(</sup>۱) أخرجه البخاري (۲۸۱۸، ۲۸۲۳، ۲۹۲۱، ۳۰۲۵، ۳۰۲۰)، ومسلم (۱۷٤۲) من حديث عبدالله بن أبي أوفي.

<sup>(</sup>۲) تفسير ابن كثير (۲۰۰/۳).

ينزل الملائكة تقاتل معهم ـ أو بدونهم ـ وتدمر على المشركين، كما دمرت على على عاد، وثمود، وقوم لوط.

ولكن المسألة ليست هي النصر - إنما هي تربية الجماعة المسلمة التي تُعدُّ لتتسلم قيادة البشرية.. البشرية بكل ضعفها ونقصها، وبكل شهواتها ونزواتها، وبكل جاهليتها وانحرافها.. وقيادتها قيادة راشدة تقتضي استعدادًا عاليًا من القادة. وأول ما تقتضيه صلابة في الخلقُ، وثبات على الحق، وصبر على المعاناة، ومعرفة بمواطن الضعف ومواطن القوة في النفس البشرية، وخبرة بمواطن الزلل ودواعي الانحراف، ووسائل العلاج. ثم صبر على الرخاء كالصبر على الشدة، وصبر على الشدة بعد الرخاء، وطعمها يومئذ لاذع مرير.

وقدرُ الله في إعداد الجماعة المسلمة للقيادة يمضي في طريقه بشتى الأسباب والوسائل، وشتى الملابسات والوقائع.. يمضي أحيانًا في طريق النصر الحاسم للجماعة المسلمة فتستبشر، وترتفع ثقتها بنفسها ـ في ظل العون الإلهي ـ وتجرِّب لذة النصر، وتصبر على نشوته، وتجرِّب مقدرتها على مغالبة البطر والزهو والخيلاء، وعلى التزام التواضع والشكر لله.. وتمضي أحيانًا عن طريق الهزيمة والكرب والشدة، فتلجأ إلى الله، وتعرف حقيقة قوتها الذاتية، وضعفها حين تنحرف أدنى انحراف عن منهج الله، وتجرُّب مرارة الهزيمة، وتستعلي ـ مع ذلك ـ على الباطل بما عندها من الحق المجرد، وتعرف مواضع نقصها وضعفها، ومداخل شهواتها، ومزالق أقدامها، فتحاول أن تصلح من هذا كله في الجولة القادمة.. وتخرج من النصر ومن الهزيمة بالزاد والرصيد.. ويمضي قدر الله وفق سنته، لا يتخلف، ولا يحيد..

وقد كان هذا كله طرفًا من رصيد معركة «أُحُد»، الذي يحشده السياق القرآني للجماعة المسلمة على نحو ما نرى في هذه الآيات - وهو رصيد مُدَّخر لكل جماعة مسلمة ولكل جيل من أجيال المسلمين»(١).

<sup>(</sup>١) الطلال (١/٣٨٤، ٤٨٤).

## 🗖 ودرس قبل ذلك من حياة بني إسرائيل وآيات عالية المقام بعيدة الغايات:

٥٦ قال ـ تعالَى ـ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَا مِنْ بَنِيَّ إِسْرَهِ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُواْ لِنَبِي لَّهُمُ ٱبْعَثُ لَكَ مَلِكًا نُقَاتِل فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَدَلَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَسَيْحُهُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا لُقَاتِبُوا ۚ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِنَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَدرِنَا وَأَبْنَآبِنَا ۚ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَ لُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَأَلَّهُ عَلِيمُوا بِ لَظَالِمِينَ ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ أَلَتُهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا فَالْوَا أَنَى يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْثُ عَلَيْمَا وَنَحْنُ أَحَقُ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَـَةً مِن ٱلْمَالِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ أَصْطَفَلُهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي ٱلْمِلْمِ وَٱلْجِسْمِ وَٱللَّهُ لُؤْتِي مُلْكُمُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِغُ عَكِيمٌ اللَّهِ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَاكِةً مُلْكِهِ، أَن يَأْيُكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَا تَكَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَكُرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَكَيْمِكُةُ إِنَّ فِي ذَالِكَ لَآكِيَةً لَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَ ٱللَّهَ مُبْتَيِكُم بِنَهَا مِنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنَّ إِلَّا مَن ٱغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكُم قَالُواْ لَا طَافَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ ٱنَّهُم مُكَنَّقُواْ اللَّهِ كَم مِّن فِسَةٍ قَلِيكَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّدِينَ اللهُ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبِّنَكَ أَفْدِغُ عَلَيْمَنَا صَبِّرًا وَثُكِيِّت أَقَدَامَنَا وَٱنصُدْنَا عَلَى ٱلْقُوْمِ ٱلْكَافِرِينَ ٥ فَهَرَمُوهُم بِإِذْرَبِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُر دُ جَالُوتَ وَءَاتَكُهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكُمَةُ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَامُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضِ لَفَسَكَدتِ ٱلْأَرْضُ وَلَكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضَّلِ عَلَى ٱلْمُكْبِينَ ﴿ إِلْهِوْدُ: ٢٤٦- ٢٥١].

يقص الله علينا في القرآن ـ كتاب هذه الأمة ورائدها الناصح، ومدرستها التي تلَّقت فيها دروس تربيتها وإعدادها لقيادة الخليفة، وسنجد في القرآن عجائب لا تخطر على البال الساهي.. سنجد كلماته وعباراته وتوجيهاته حية تنبض وتتحرك

وتشير إلى معالم الطريق.. وهو دعوة للحياة.. الحياة الدائمة المتجددة.. لا الحياة التاريخية المحدودة في صفحة عابرة من صفحات التاريخ.. وهذا درس من بني إسرائيل لأمة محمد على بصفتها وارثة العقيدة، ووارثة التجارب في هذا الحقل الخصب.

والعبرة الكلية التي تبرز من القصة كلها هي أن انتفاضة العقيدة على الرغم من كل ما اعتورها أمام التجربة الواقعة من نقص وضعف، ومن تخلى للقوم عنها فوجًا بعد فوج في مراحل الطريق ـ على الرغم من هذا كله فإن ثبات حفنة قليلة من المؤمنين عليها قد حقق لبني إسرائيل نتائج ضخمة جدًّا.. فقد كان فيها النصر والعز والتمكين بعد الهزيمة المنكرة، والمهانة الفاضحة، والتشريد الطويل والذل تحت أقدام المتسلطين، ولقد جاءت لهم بمُلك داود، ثم ملك سليمان ـ، وهذه أعلى قمة وصلت إليها دولة بني إسرائيل في الأرض، وهي عهدهم الذهبي.

وكان هذا النصر كله ثمرة مباشرة لانتفاضه العقيدة من تحت الركام، وثبات حفنة قليلة عليها أمام جحافل جالوت.

وفي خلال التجربة تبرز عظات أخرى جزئية؛ كلها ذات قيمة للجماعة المسلمة في كل حين؛ من ذلك:

أن الحماسة الجماعية قد تخدع القادة لو أخذوا بمظهرها.. فيجب أن يضعوها على محك التجربة قبل أن يخوضوا بها المعركة الحاسمة.. فقد تقدم الملأ من بني إسرائيل من ذوي الرأي والمكانة فيهم - إلى نبيهم في ذلك الزمان، يطلبون إليه أن يختار لهم ملكًا يقودهم إلى المعركة مع أعداء دينهم، فلما أراد نبيهم أن يستوثق من صحة عزيمتهم على القتال وثبات نيتهم قال لهم: ﴿ هَلَ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ مَا عَدَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَا نُقَتِلُونَ ﴾ إنها الكلمة اللائقة بنبي، والتأكد اللائق بنبي، فما يجوز أن تكون كلمات الأنبياء وأوامرهم موضع تردد أو عبث أو تراخ.

وهنا ارتفعت درجة الحماسة والفورة إلى الذروة، وذكر الملأ أن هناك من

الأسباب الحافزة للقتال في سبيل الله ما يجعل القتال هو الأمر المتعينَّ الذي لا تردد فيه. ﴿ قَالُوا وَمَا لَنَا ۚ أَلَا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَادُ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَا ﴾ ؟

ونجد أن الأمر واضح في حسّهم، مقرر في نفوسهم.. إن أعداءهم أعداء لله ولدين الله، وقد أخرجوهم من ديارهم، وسبوا أبناءهم .. فقتالهم واجب، والطريق الواحدة التي أمامهم هي القتال، ولا ضرورة إلى المراجعة في هذه العزيمة أو الجدل. ولكن هذه الحماسة الفائرة البالغة في ساعة الرخاء ما لبثت أن انطفأت شعلتها ولم تدم، وتهاوت على مراحل الطريق.. وهذه ظاهرة بشرية، وسمة كل جماعة لا تنضج تربتها الإيمانية، ولا تبلغ مبلغًا غاليًا في التدريب.

سمة بشرية عامة لا تُغيِّر منها إلا التربية الإيمانية العالية، الطويلة الأمد، العميقة التأثير. وهي سمة ينبغي للقيادة أن تكون منها على حذر، وأن تحسب حسابها في الطريق الوعر، كي لا تفاجأ بها؛ فيتعاظمها الأمر! فهي متوقعة من الجماعات البشرية التي لم تخلص من الأوشاب، ولم تصهر ولم تطهر من هذه العقابيل. ووقالله عَلِيمٌ فِالظّلمِينَ وصم للكثرة التي تولَّت عن هذه الفريضة ـ بعد طلبها وقبل أن تواجه الجهاد مواجهة عملية. وصمها بالظلم ـ فهي ظالمة لنفسها، وظالمة لنبيها، وظالمة للحق الذي خذلته وهي تعرف أنه الحق، ثم تتخلى عنه للمبطلين! ودرس آخر هو أن اختبار الحماسة الظاهرة والاندفاع الفائر في نفوس الجماعات ودرس آخر هو أن اختبار الحماسة الظاهرة والاندفاع الفائر في نفوس الجماعات ينبغي أن لا يقف عند الابتلاء الأول. فمع كثرة بني إسرائيل هؤلاء قد تولوا ينبغي أن لا يقف عند الابتلاء الأول. فمع كثرة بني إسرائيل هؤلاء قد تولوا ينبغي أن لا يقف عند الابتلاء الأول. فمع كثرة بني إلى قلة مستمسكة بعهدها بمجرد أن كُتب عليهم القتال استجابةً لطلبهم، ولم تبق إلا قلة مستمسكة بعهدها

هاهم أولاء ينغضون رءوسهم، ويلوون أعناقهم، ويجادلون في اختيار الله لطالوت ملكًا عليهم ـ ولقد كشف لهم نبيهم عن أحقيتة الذاتية، وعن حكمة الله

مع نبيها.. وهم الجنود الذين خرجوا مع طالوت بعد اللجاج والجدال حول جدارته

بالملك والقيادة واختيار اللُّه له.

في اختياره.

إنه رجل قد اختاره الله ـ فهذه واحدة.. وزاده بسطة في العلم والجسم ـ وهذه أخرى.. ﴿ وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلُكُمُ مَن يَشَاءً ﴾ فهو ملكه، وهو وحده صاحب التصرف فيه، وهو يختار من عباده من يشاء.

﴿ وَٱللَّهُ وَسِيعٌ عَكِيدُ ﴾ ليس لفضله خازن، وليس لعطائه حد.. وهو الذي يعلم الخير، ويعلم كيف توضع الأمور في مواضعها.

ثم آية آخرى خارقة «الإتيان بالتابوت» فانتهى القوم إلى اليقين.

وفي ثنايا هذه التجربة تكمن عبرة القيادة الصالحة الحازمة المؤمنة، وكلها واضحة في قيادة طالوت. تبرز منها خبرته بالنفوس، وعدم اغتراره بالحماسة الظاهرة، وعدم اكتفائه بالتجربة الأولى، ومحاولته اختبار الطاعة والعزيمة في نفوس جنوده قبل المعركة.

إن طالوت ـ الذي اصطفاه الله ـ مقدم على معركة، ومعه جيش من أمة مغلوبة عرفت الهزيمة والذل في تاريخها مرة بعد مرة، وهو يواجه جيش أمة غالبة، فلا بد إذن من قوة كامنة في ضمير الجيش تقف به أمام القوة الظاهرة الغالبة.. هذه القوة الكامنة لا تكون إلا في الإرادة.. الإرادة التي تضبط الشهوات والنزوات، وتصمد للحرمان والمشاق، وتستعلى على الضرورات والحاجات، وتؤثر الطاعة وتحتمل تكاليفها، فتجتاز الابتلاء بعد الابتلاء.. فلا بد للقائد المختار إذن أن يبلو إرادة جيشه، وصموده وصبره؛ صموده أولًا للرغبات والشهوات، وصبره ثانيًا على الحرمان والمتاعب..

واختار هذه التجربة، وهم ـ كما تقول الروايات ـ عطاش؛ ليعلم من يصبر معه ممن ينقلب على عقبيه ويؤثر العافية .. وصحت فراسته.

﴿ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيكُ مِّنْهُمُ مَ وانفصلوا عنه بمجرد استسلامهم ونكوصهم، وكان من الخير ومن الحزم أن ينفصلوا عن الجيش الزاحف؛ لأنهم

بذرة ضعف وخذلان وهزيمة.. والجيوش ليست بالعدد الضخم، ولكن بالقلب الصامد، والإرادة الجازمة، والإيمان الثابت المستقيم.

ودلَّت هذه التجربة على أن النيَّة الكامنة وحدها لا تكفي، ولا بد من التجربة العملية، ومواجهة واقع الطريق إلى المعركة قبل الدخول فيها، ودلت كذلك على صلابة عُود القائد المختار الذي لم يهزه تخلُف الأكثرية من جنده عند التجربة الأولى.. بل مضى في طريقه.

وهنا كانت التجربة قد غربلت جيش طالوت ـ إلى حد ـ، ولكن التجارب لم تكن قد انتهت بعد.

﴿ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكُهُ فَكَالُواْ لَا طَاقَـَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ ﴾.

لقد صاروا قلة وهم يعلمون قوة عدوهم وكثرته، إنهم مؤمنون لم ينكصوا عن عهدهم مع نبيهم، ولكنهم أمام الواقع الذي يرونه بأعينهم فيحسون أنهم أضعف من مواجهة. إنها التجربة الحاسمة. تجربة الاعتزاز بقوة أخرى أكبر من قوة الواقع المنظور. وهذه لا يصمد لها إلا من اكتمل إيمانهم. فاتصلت قلوبهم بالله، وأصبحت لهم موازين يستمدونها من واقع إيمانهم غير الموازين التي يستمدها الناس من واقع حالهم!

وهنا برزت الفئة المؤمنة.. القليلة المختارة.. الفئة ذات الموازين الربانية.

﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُونَ أَنَّهُم مُلَاقُوا اللَّهِ كَم مِن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً عَلَبَتْ فِئَةً عَلَبَتْ فِئَةً عَلَبَتْ فِئَةً عَلَبَتْ فِئَةً عَلَبَتْ فِئَةً مَعَ ٱلصَّمَا بِرِينَ ﴾.

«ظَنَّ» إذا أتت بعدها «أَنَّ» تفيد اليقين ـ أي: أنهم متأكدون.

هكذا.. ﴿ كُمْ مِّن فِئْكَةٍ قَلِيكَةٍ غَلَبَتُ فِئَةً كَثِيرَةً ﴾.. بهذا التكثير ـ فهذه هي القاعدة: أن تكون الفئة المؤمنة قليلة؛ لأنها هي التي ترتقي الدرج الشاق حتى تنتهي إلى مرتبة الاصطفاء

والاختبار، ولكنها تكون الغالبة؛ لأنها تتصل بمصدر القوى، ولأنها تُمثِّل القوة الغالبة؛ قوة اللَّه الغالب على أمره، القاهر فوق عباده، محطم الجبارين، ومخزي الظالمين، وقاهر المتكبرين.

وهم يكلون هذا النصر لله؛ ﴿ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ .. ويعلِّلونه بعلته الحقيقية: ﴿ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّهَ بِهِذِا كُلَّهُ عَلَى أَنهم المُختارون من اللَّه لمعركة الحق، الفاصلة بين الحق والباطل.

ونمضي مع القصة فإذا الفئة القليلة الواثقة بلقاء الله، التي تستمد صبرها كله من اليقين بهذا اللقاء، وتستمد قواتها كلها من إذن الله، وتستمد يقينها كله من الثقة في الله، وإنه مع الصابرين.. إذًا هذه الفئة القليلة الواثقة الصابرة الثابتة ـ التي لم تزلزها كثرة العدو وقوته.. مع ضعفها وقلتها.. إذًا هذه الفئة المؤمنة هي التي تقرر مصير المعركة، بعد أن تجدد عهدها مع الله، وتتجه بقلوبها إليه.. وتطلب النصر منه وحده، وهي تواجه الهول الرعيب.

﴿ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُواْ رَبَّنَ آفَرِغَ عَلَيْمَنَا صَبَّرًا وَثَكِبَّ أَقَدَامَنَا وَأَنصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَغِينَ ﴿ فَهَ زَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُهُ دُ جَالُوتَ وَءَاتَنَهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِحْمَةُ وَعَلَّمَهُم مِحَمّاً يَشَكَآءُ ﴾ الآية.

هكذا.. ﴿رَبَّنَكَ آفَرِغَ عَلَيْمَنَا صَرَبَرًا ﴾ وهو تعبير يصور مشهد الصبر فيضًا من الله يفرغه عليهم فيغمرهم، وينسكب عليهم سكينةً وطمأنينةً واحتمالًا للهول والمشقة. ﴿ وَثَكِيِّتُ أَقَدَامَنَكَا ﴾ فهي في يده ـ سبحانه ـ يثبتها فلا تتزحزح، ولا تتزلزل، ولا تميد. ﴿ وَأَنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَفْرِينَ ﴾.

فقد وضح الموقف.. إيمانٌ تجاه كفر.. وحقٌ إزاء باطل، ودعوةٌ إلى اللَّه لينصر أولياءه المؤمنين على أعدائه الكافرين، فلا تلجلج في الضمير، ولا غبش في التصور، ولا شك في سلامة القصد ووضوح الطريق.

وكانت النتيجة هي التي ترقبوها واستيقنوها. ﴿ فَهَـٰزَمُوهُم بِادِّنِ ٱللَّهِ ﴾

يؤكد النص هذه الحقيقة ﴿ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾؛ ليعلمها المؤمنون، أو ليزدادوا بها علمًا، وليتضح التصور الكامل لحقيقة ما يجري في هذا الكون، ولطبيعة القوة التي تجريه. إن المؤمنين ستار القدرة، يفعل اللَّه بهم ما يريد، وينفذ بهم ما يختار .. بإذنه .. ليس لهم من الأمر شيء، ولا حول لهم ولا قوة.. ولكن اللَّه يختارهم لتنفيذ مشيئته .. فيكون منهم ما يريده بإذنه.. وهي حقيقة خليقة بأن تملأ قلب المؤمن بالسلام والطمأنينة واليقين.. إنه عبد الله .. اختاره الله لدوره .. وهذه منة من الله وفضل.. وهو يؤدي هذا الدور المختار، ويحقق قدر اللَّه النافذ، ثم يكرمه اللَّه ـ بعد كرامة الاحتيار - بفضل الثواب، ولولا فضل الله ما فعل، ولولا فضل الله ما أهيب.. ثم إنه مستيقن من نبل الغاية، وطهارة القصد، ونظافة الطريق.. فليس له في شيء من هذا كله أرَبُّ ذاتي، إنما هو منفِّذ لمشيئة اللَّه الحيِّرة، قائم بما يريد ـ استحق هذا كله بالنيَّة الطيبة، والعزم على الطاعة، والتوجه إلى اللَّه في خلوص. العبرة الأخيرة ـ التي تكمن في مصير المعركة ـ أن القلب الذي يتصل باللَّه تتغيَّر موازينه وتصوراته؛ لأنه يرى الواقع الصغير المحدود بعين تمتد وراءه إلى الواقع الكبير الممتد الواصل، وإلى أصل الأمور كلها وراء الواقع الصغير المحدود.

يوقن القلب المتصل باللَّه أن ميزان القوى ليس في أيدي الكافرين، إنما هو في يد اللَّه وحده، فيطلب منه النصر، ويناله من اليد التي تملكه وتعطيه.

هكذا تتغير التصورات والموازين عند الاتصال باللَّه حقَّا، وعندما يتحقق في القلب اليقين، وهكذا يثبت أن التعامل مع وعد اللَّه الواقع الظاهر للقلوب أصدق من التعامل مع الواقع الصغير الظاهر للعيون.

## ﴿ وَقَتَلَ دَاوُرُدُ جَالُوتَ ﴾:

كان داود التَّكِيِّلُمْ فتى صغيرًا من بني إسرائيل، وجالوت كان ملكًا قويًّا وقائدًا مخوفًا، ولكن شاء اللَّه أن يرى القوم أن الأمور لا تجري بظواهرها.. إنما تجري بحقائقها.. وحقائقها يعلمها هو.. ومقاديرها في يده وحده.. فليس عليهم إلا أن

ينهضوا هم بواجبهم، ويفوا لله بعهدهم، ثم يكون ما يريده الله بالشكل الذي يريده.. والله ما أحلى الإشارة في قول الشاعر:

# لَا تُسَدِّبُ لَسِكَ أَمْسُرًا فَأُولُو التَّدْبِيرِ هَلْكَى سَلِكَ مِنْكَا لَبَحْنُ أَوْلَى بِكَ مِنْكَا

ولقد أراد اللَّه أن يجعل مصرع هذا الجبار الغشوم على يد هذا الفتى الصغير؛ ليرى الناس أن الجبابرة الذين يرهبونهم ضعاف ضعاف، يغلبهم الفتية الصغار، حين يشاء اللَّه أن يقتلهم.

ويكون النصر الأخير للعقيدة الواثقة، لا للقوة المادية، وللإرادة المستعلية، لا للكثرة العددية.. حينئذ يعلن عن الغاية العليا من اصطراع تلك القوى.. إنها ليست المغانم والأسلاب، وليست الأمجاد والهالات.. إنما هو الصلاح في الأرض، والتمكين للخير بالجهاد مع الشر.

## ﴿ وَلَوْ لَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضِ لَفَسَكَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾.

لقد كانت الحياة تأسن وتتعفَّن لولا دفع اللَّه الناس بعضهم ببعض.

قال ابن جرير: (٢٠٣/٢): «لولا أن الله يدفع ببعض الناس ـ وهم أهل الطاعة له والإيمان به ـ بعضًا ـ وهم أهل المعصية لله والشرك به ـ كما دفع عن المتخلفين عن طالوت يوم جالوت بمن جاهد معه من أهل الإيمان بالله واليقين والصبر جالوت وجنوده ـ ﴿ لَفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ لهلك أهلها بعقوبة الله إياهم، ولكن الله ذو مَنِّ على خلقه وتطوُّل عليهم بدفعه بالبر من خلقه عن الفاجر، وبالمطيع عن العاصي منهم، وبالمؤمن عن الكافر.

وهذه الآية إعلام من الله ـ تَعَالَى ذكره ـ أهل النفاق الذين كانوا على عهد رسول الله على الله الله الذي في نفوسهم، والله على الذي في نفوسهم، ومرض قلوبهم، والمشركين وأهل الكفر منهم، وأنه إنما يدفع عنهم معالجتهم العقوبة على كفرهم ونفاقهم بإيمان المؤمنين به وبرسوله الذين هم أهل البصائر والجد في

أمر الله، وذو اليقين بإنجاز الله إياهم وعده على جهاد أعدائه وأعداء رسوله من النصر العاجل والفوز بجنانه في الآخرة.

فرسَانُ النَّهَار

قال مجاهد: «ولولا دفع الله بالبار عن الفاجر، ودفعه ببقية أخلاف الناس بعضهم عن بعض لفسدت الأرض بهلاك أهلها».

قراءتان: ﴿ وَلَوْ لَا دَفْعُ ٱللَّهِ ﴾ ، ﴿ وَلَوْ لَا دِفَاعُ اللَّهِ ﴾ :

قرأ نافع وأبو جعفر ويعقوب: ﴿وَلَوْلَا دِفَاعُ اللَّهِ ﴾، وقرأ الباقون: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ ﴾. وقرأ الباقون: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ

واحتج أصحاب القراءة الأولى بأنه مصدر من قول القائل: دافع الله عن خلقه، فهو يدافع مدافعة ودفاعًا، واحتجت لاختيارها بأن كثيرًا من خلقه يعادون أهل دين الله وولايته والمؤمنين به، فهم بمحاربتهم إياهم ومعاداتهم لله مدافعون بباطلهم ومغلوبون بجهلهم، والله مدافعهم عن أوليائه وأهل طاعته والإيمان به.

ومن قرأ: ﴿ وَلَوْ لَا دَفْعُ ٱللَّهِ ﴾ فهو على وجه المصدر من قول القائل: دفع اللَّه عن خلقه، فهو يدافع دفعًا، واحتجت لاختيارها بأن اللَّه ـ تَعَالَى ذكره ـ هو المتفرد بالدفع عن خلقه، ولا أحد يدافعه فيغالبه.

قال ابن جرير: «وليس في القراءة بأحد الحرفين إحالة معنى الآخر، وذلك أن من دافع غيره عن شيء فدافعه عنه دافع، ومتى امتنع المدفوع عن الاندفاع فهو لمدافعة مدافع، ولا شك أن جالوت وجنوده كانوا بقتالهم طالوت وجنوده محاولين مغالبة حزب الله وجنده، وكان في محاولتهم ذلك محاولة مغالبة الله، ودفاعه عما قد تضمن لهم من النصر، وذلك هو معنى مدافعة الله عن الذين دافع الله عنهم بمن قاتل جالوت وجنوده من أوليائه».

وتنتصر الفئة القليلة المؤمنة الواثقة بالله، فهي الفئة الخيرة البانية، التي استجاش الجهاد أنبل ما فيها وأكرمه، وأبلغَها أقصى درجات الكمال المقدر لها في الحياة، فهي تمثل أغلى وأغلى غاية.

٧٥. قال - تَعَالَى -: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ وَ اللَّهِ مَسَرَثُ أَوْلَا نُزِلَتَ سُورَةً فَإِدَا أُنزِلَتَ سُورَةً فَإِدَا أُنزِلَتَ سُورَةً فَحَكَمَةُ وَذُكِرَ فَهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ اللَّذِينَ فِي قُلُومِهِ مَسَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمُغْشِي عَنَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَاقَوْلَى لَهُمْ ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلُ مَعْمُرُوفَ فَإِذَا عَزَمَ الْمُغْشِي عَنَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَاقَوْلَى لَهُمْ ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلُ مَعْمُرُوفَ فَإِذَا عَزَمَ اللَّهُ مَا لَكُونَ فَيْرًا لَهُمْ ﴿ فَا عَمَى اللَّهُ عَلَيْتُمْ اللَّهُ وَلَيْتُمْ اللَّهُ وَلَيْكَ اللَّهُ عَلَيْتُمْ اللّهُ فَاصَمَهُمْ وَاعْمَى أَنْ اللَّهُ عَلَيْكَ اللَّهُ عَلَيْكَ اللَّهُ عَلَيْكَ اللَّهُ عَلَيْكَ اللَّهُ عَلَيْكَ اللَّهُ عَلَيْكَ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ فَاصَمَهُمْ وَاعْمَى أَنْ فَيَعْمُ اللَّهُ فَاصَمَهُمْ وَاعْمَى أَنْ اللَّهُ عَلَيْكَ اللَّهِ عَلَيْكَ اللَّهُ عَلَيْكَ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ فَاصَمَعُمْ وَاعْمَى أَنْهُمُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُولُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُومُ اللّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُومُ اللَّهُ عَلَيْكُومُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُومُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُومُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُومُ اللّهُ عَلَيْكُ اللّهُ عَلَيْكُ اللّهُ عَلَيْكُومُ اللّهُ عَلَيْكُ اللّهُ عَلَيْكُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْكُ اللّهُ عَلَيْكُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْكُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُ اللّهُ عَلَيْكُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّه

#### قال ابن كثير في «تفسيره» (٧٤/١٣):

«يقول ـ تَعَالَى ـ مخبرًا عن المؤمنين أنهم تمنوا شرعية الجهاد، فلما فرضه اللَّه وَ اللَّهُ وَ اللَّهُ وَ النَّاس؛ كقوله ـ تَعَالَى ـ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُوا الْمَدِيكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَوة وَ النَّوا الرَّكُوا فَلَمَا كُنِبَ عَلَيْهِمُ الْفِئالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنَهُمُ يَحَشُونَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَو أَشَدَ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِم كَنَبْتَ عَلَيْنَا الْفِئالُ لَوَلاَ أَخْرَنَنَا إِلَىٰ أَجَلِ كَخَشْيَةِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّ

#### ويقول الطبري:

«يقول الذين صدقوا اللهَ ورسولَهُ: هَلَّا نزلت سورة من اللَّه تأمرنا بجهاد أعداء اللَّه من الكفار، ﴿ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُعْكَمَةٌ ﴾؛ يعني: أنها محكمة بالبيان والفرائض وَذُكِرَ فيها الأمر بقتال المشركين.

قال قتادة: كل سورة ذُكِرَ فيها الجهاد فهي محكمة وهي أشد القرآن على المنافقين.

فإذا أنزلت رأيت الذين في قلوبهم شك في دين اللَّه وضعف ينظرون إليك نظر

المغشي عليه من الموت؛ خوفًا أن تغريهم وتأمرهم بالجهاد مع المسلمين فهم ـ خوفًا من ذلك وتجبنًا على لقاء العدو ـ ينظرون إليك نظر المغشي عليه الذي قد صُرِعَ من خوف الموت».

وهو تعبير لا يمكن محاكاته ولا ترجمته إلى أي عبارة أخرى، وهو يرسم الخوف إلى حد الهلع، والضعف إلى حد الرعشة، والتخاذل إلى حد الغشية!! وهي صورة لكل نفس خوَّارة لا تعتصم بإيمان، ولا بفطرة صادقة، ولا بحياء تتجمَّل به أمام الخطر..

وهي هي طبيعة المرض والنفاق..

﴿فَأُوْلَىٰ لَهُمْ ﴾:

قال ابن جرير: ﴿ فَأُوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ : وعيد تَوَعَّدَ اللَّه به هؤلاء المنافقين.

عن قتادة قال: ﴿ فَأُولَىٰ لَهُمْ ﴾ قال: هذه وعيد فأولى لهم، ثم انقطع الكلام؛ فقال: ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلُ مَعْ رُوفُ ﴾ قبل وجوب الفرض عليكم، فإذا عزم الأمر كرهتموه وشق عليكم، وقوله: ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلُ مَعْ رُوفُ ﴾ مرفوع بمضمر؛ وهو: قولكم قبل نزول فرض القتال: طاعة وقول معروف.

﴿ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ ﴾ : فإذا جَدَّ الأمر، وهو قول مجاهد والحسن.

﴿ فَلَوْ صَكَفُواْ اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴾: فلو صدقوا اللَّه ما وعدوه قبل نزول القتال فوفوا له بذلك، لكان خيرًا لهم في عاجل دنياهم وآجل معادهم.

وقال قتادة: طاعة اللَّه وقول بالمعروف عند حقائق الأمور خير لهم».

وقال ابن الجوزي:

﴿ فَأُوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ :

قال الأصمعي: معنى قولهم في التهديد: ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ ﴾ ؛ أي: وَلِتِكَ وَقَارَبَكَ مَا تَكُره.

وقال ابن قتيبة: هذا وعيد وتهديد؛ تقول للرجل ـ إذا أردت به سوءًا ففاتك ـ: أولى لك. ثم ابتدأ، فقال: ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعَـ رُوكٌ ﴾.

وقال سيبويه والخليل: المعنى: طاعة وقول معروف أمثل.

وقال الفرَّاء: الطاعة معروفة في كلام العرب؛ إذا قيل لهم: افعلوا كذلك، قالوا: سمع وطاعة. سمع وطاعة. فوصف اللَّه قولهم قبل أن تنزل السورة أنهم يقولون: سمع وطاعة. فإذا نزل الأمر كرهوا.

قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمَّرُ ﴾:

قال الحسن: جَدَّ الأمر. وقال غيره: جَدَّ رسول اللَّه ﷺ وأصحابه في الجهاد، ولزم فرض القتال، وصار الأمر معروفًا عليه. وجواب «إذا» محذوف، تقديره: فإذ عزم الأمر نكلوا؛ يدل على المحذوف ﴿ فَلَوْ صَكَفُواْ أَلِلَهُ ﴾؛ أي: في إيمانهم وجهادهم، ﴿ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمُ مَن المعصية » (١).

قال ابن كثير (٧٤/١٣): «قال مشجعًا لهم: ﴿ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلُ مَسْجعًا لهم: ﴿ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلُ مَمْ مَعْرُونُ كَهُمْ اللهِ اللهُ اللهُ

«أولى من هذه الفضيحة، ومن هذا الخور، ومن هذا الهلع، ومن هذا النفاق... أولى لهم ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ ﴾... طاعة تستسلم لأمر الله عن طمأنينة، وتنهض بأمره عن ثقة، وقول معروف يشي بنظافة الحس، واستقامة القلب، وطهارة الضمير. وأولى لهم إذا عزم الأمر، وَجَدَّ الجدُّ، وواجهوا الجهاد أن يصدقوا الله؛ يصدقوه عزيمةً، ويصدقوه شعورًا؛ فيربط على قلوبهم، ويشد من عزائمهم، ويثبت أقدامهم، وييسر المشقة عليهم، ويهون الخطر، ويكتب لهم إحدى الحسنيين: النجاة

<sup>(</sup>١) زاد المسير (٤٠٦/٧).

والنصر، أو الاستشهاد والجنة، هذا هو الأولى، وهذا هو الزاد الذي يقدمه الإيمان؛ فيقوي العزائم، ويشد القوائم، ويذهب بالفزع، ويحل محله الثبات والاطمئنان» اه. من الظلال. ﴿فَهَلَ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ شَيْ ﴾:

قال ابن كثير: «فهل عسيتم إن توليتم عن الجهاد ونكلتم عنه ﴿أَن تُفْسِدُواْ فِي الْحَرْضِ وَتُقَطِّعُواْ أَرْحَامَكُمْ ﴾ ؛ أي: تعودوا إلى ما كنتم فيه من الجاهلية الجهلاء؛ تسفكون الدماء، وتقطعون الأرحام» اهـ.

۸ هـ قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ وَلَنَـبُلُونَكُمْ حَقَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُرُ وَالصَّابِدِينَ وَنَبْلُوا اَخْبَارَكُمْ ﷺ [محمد: ٣١].

قرأ شعبة: ﴿وليبلونكم﴾ و﴿يَعَلُّمُ ﴾، و﴿يبلو﴾.

وقرأ رويس: ﴿ وَلَنَبَلُونَكُم ﴾ و﴿ نَعُلُمُ ﴾ ، و﴿ نَبُلُوْ ﴾.

وقرأ الباقون: ﴿ وَلَنَبْلُونَكُمْ ﴾ ، و﴿ نَعْلَمُ ﴾ ، و﴿ نَعْلُمُ ﴾ ،

قال ابن جرير: «ولنبلونكم أيها المؤمنون بالقتل وجهاد أعداء الله؛ ﴿حَنَّى نَعْلَمَ الْمُجَهِدِينَ مِنكُرُ ﴾ يقول: حتى يعلم حزبي وأوليائي أهل الجهاد في الله منكم وأهل الصبر على قتال أعدائه؛ فيظهر ذلك لهم، ويُعْرَف ذَوُو البصائر منكم في دينه من ذوي الشك والحيرة فيه، وأهل الإيمان من أهل النفاق، ﴿وَنَبْلُوا الْخَبَارَكُرُ ﴾ فنعرف الصادق منكم من الكاذب».

نبلونكم: نختبركم. والبلوى: الاختبار.

وقال ابن الجوزي: ﴿ وَلَنَبْلُونَكُم ﴾؛ أي: ولنعاملنكم معاملة الْمُخْتَبَرِ بأن نأمركم بالجهاد؛ ﴿ حَتَّى نَعْلَمَ ﴾ العلم الذي هو علم وجود وبه يقع الجزاء.

قال أبو عبيدة: فَلَيُميزن؛ لأنه قد علم ذلك من قبل.

وقال الثعلبي: فليظهرن ذلك حتى يوجد معلومًا.

واللَّه ـ سبحانه ـ يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وهذا مجمع عليه عند أهل السنة والجماعة.

﴿ وَنَبْلُوا لَخْبَارَكُو ﴾؛ أي: نظهرها ونكشفها بإباء من يأبي القتال ويصبر على الحهاد» (١).

وقال ابن کثیر (۸۰/۱۳):

« ﴿ وَلَنَبْلُونَكُم ﴾؛ أي: ولنختبرنكم بالأوامر والنواهي؛ ﴿ حَتَىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَهِدِينَ مِنكُرُ وَلَلْتَابِدِينَ وَنَبْلُوا أَخْبَارَكُمُ ﴾ وليس في تقدم علم الله ـ تَعَالَى ـ بما هو كائن أنه سيكون شك ولا ريب؛ فالمراد: حتى نعلم وقوعه؛ ولهذا يقول ابن عباس في مثل هذا: إلا لنعلم؛ أي: لنرى ».

### ﴿ وَلَنَبْلُونَّكُم ﴾...

هذا وعد من الله بالابتلاء... ابتلاء الأمة الإسلامية كلها؛ لينكشف المجاهدون والصابرين، ويتميزوا، وتصبح أخبارهم معروفة، ولا يقع الالتباس في الصفوف، ولا يبقى مجال لخفاء أمر المنافقين ولا أمر الضعاف والجزعين.

واللَّه يعلم حقائق النفوس معادنها، ويطلع على خفاياها وخباياها، ويعلم ما يكون من أمرها، علمه بما هو كائن فعلًا فما هذا الابتلاء؟ ولمن يكون العلم من ورائه بما ينكشف عنه؟

إن الله ـ جَلَّتْ حِكْمَتُهُ ـ يأخذ البشر بما هو في طوقهم، وما هو من طبيعتهم واستعدادهم، وهم لا يعلمون عن الحقائق المستكنة ما يعلمه، فلا بد لهم من تكشُّف الحقائق؛ ليدركوها ويعرفوها ويستيقنوها ثم ينتفعوا بها.

والابتلاء بالسراء والضراء، وبالنعماء والبأساء، وبالسعة والضيق، وبالفرج والكرب، كلها تكشف عما هو مخبوء من معادن النفوس، وما هو مجهول من

<sup>(</sup>۱) **انظر**: راد المسير (٦/٥٥٦، ١١/٧٤).

(444)

أمرها حتى لأصحابها.

اللهم سترك، اللهم إنك إن بلوتنا فضحتنا وهتكت أستارنا، فاسترنا بسترك الجميل، واجعل تحت الستر ما تحب، فربما سترت على ما تكره.

٥٥- قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرَّبَ ٱلرِّقَابِ حَتَى إِذَا أَغْسَتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّ بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَى تَضَمَ ٱلْمَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ ٱللَّهُ لَانْتُصَرَ مِنْهُمْ وَلَاكُونَ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَى تَضَمَع ٱلْمُربُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ ٱللَّهُ لَانْتُصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِيَبْلُوا بَعْضَكُم بِبَعْضِ وَاللَّذِينَ قُلِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَ أَعْمَلَهُمْ اللهِ وَلَكِن لِيَبْلُوا بَعْضَكُم بِبَعْضِ وَاللَّذِينَ قُلِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللهِ فَلَن يُضِلَ أَعْمَلُهُمْ اللهِ وَلَكِن لِيَبْلُوا بَعْضَكُم بِبَعْضِ وَاللَّذِينَ قُلِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللهِ فَلَن يُضِلَ أَعْمَلُهُمْ اللهِ وَلَا مَعْمَلُهُمْ اللهِ اللهِ فَلَن يُضِلَ أَعْمَلُهُمْ اللهِ وَلَا يَعْمَلُوا اللهِ اللهِ فَلَن يُضِلَ أَعْمَلُهُمْ اللهِ اللهِ اللهِ فَلَن يُضِلَ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ ال

قال ابن كثير: «يقول ـ تَعَالَى ـ مرشدًا للمؤمنين إلى ما يعتمدونه في حروبهم مع المشركين: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرَبَ الرِّقَابِ حَتَى إِذَا آتَخْنَتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ الْوَتَاقَ فَإِمَا مَنَا بَعْدُ وَإِمَا فِدَاءً حَتَى تَضَعَ الْحَرُبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللّهُ لاَتَنصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِيَبْلُواْ مَنَا بَعْضِ وَالَّذِينَ قَبُلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَلَن يُضِلَ أَعْمَلَهُمْ ﴿ فَي اللّهِ اللّهِ فَلَن يُضِلَ أَعْمَلَهُمْ فَي اللّهِ أَي: إذا واجهتموهم فاحصدوهم حصدًا بالسيوف؛ ﴿ حَتَى إِذَا آتَخْنَتُمُوهُمْ ﴾؛ أي: إذا أهلكتموهم قتلا، ﴿ وَشَدُولُ اللّهُ اللّهِ اللهِ اللهِ وَاللّهُ اللهُ اللهُ عَلَيهم فأطلقتم أُسَارَاهُمْ وانفصال المعركة مخيرون في أمرهم؛ إن شئتم مننتم عليهم فأطلقتم أُسَارَاهُمْ مجانًا، وإن شئتم فاديتموهم عليه.

والظاهر أن هذه الآية نزلت بعد وقعة بدر؛ فإن الله ـ سبحانه ـ عاتب المؤمنين على الاستكثار من الأُسَارَى يومئذ ليأخذوا منهم الفداء، والتقلل من القتل يومئذ؛ فقال: ﴿ مَا كَانَ لِنَيِّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسَرَىٰ حَتَىٰ يُتُخِنَ فِي ٱلْأَرْضَ تُرِيدُونَ عَرَضَ اللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيدٌ ﴿ لَا كِنَبُ مِن اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَكُمُ اللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيدٌ ﴿ لَا كِنَبُ مِن اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَكُمُ اللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيدٌ ﴿ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللللللَّهُ اللَّهُ

وقال الآخرون ـ وهم الأكثرون ـ: ليست منسوخة.

ثم قال بعضهم: إنما الإمام مُخَيَّر بين المَنِّ على الأسير ومفاداته فقط، ولا يجوز له قتله.

وقال آخرون منهم: بل له أن يقتله إن شاء؛ لحديث قتل النبي ﷺ النضر بن الحارث وعقبة بن أبي مُعَيط من أُسَارَى بدر.

وقال ثمامة بن أثال لرسول اللَّه ﷺ حين قال له: «ما عندك يا ثمامة؟» فقال: إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تمنن تمنن على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل تُعْطَ منه ما شئت (١).

وزاد الشافعي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ فقال: الإمام مخيَّر بين قتله، أو المنِّ عليه، أو مُفَادَاتِهِ، أو المُسِّرُقَاقِهِ» (٢).

«الوثاق» اسم من الإيثاق؛ تقول: أوثقته إيثاقًا ووثاقًا، إذا شددت أسره؛ لئلا يفلت.

وهذه الآية محكمة عند عامة العلماء، وممن ذهب إلى أن حكم المنّ والفداء باقٍ لم يُنْسَخْ: ابن عمر، ومجاهد، والحسن، وابن سيرين، وأحمد، والشافعي. قال ابن جرير الطبري (٢٧/٢٦):

«والصواب من القول عندنا في ذلك أن هذه الآية محكمة غير منسوخة، وغير مستنكر أن يكون جعل الخيار في المن والفداء والقتل إلى الرسول على وإلى القائمين من بعده بأمر الأمة، وإن لم يكن القتل مذكورًا في هذه الآية؛ لأنه قد أذن بقتلهم في آية أخرى؛ وذلك قوله: ﴿ فَاقَنْلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدَتُمُوهُمْ ﴾ الآية، بل ذلك كذلك؛ لأن رسول الله عَلَيْ كذلك كان يفعل فيمن صار أسيرًا في يده من أهل

<sup>(</sup>١) حديث ثمامة رواه البخاري (٤٣٧٢)، ومسلم (١٧٦٤)، واختصره البخاري في مواضع من «صحيحه» (٤٦٢، ٤٦٩، ٢٤٢٢، ٢٤٢٣).

<sup>(</sup>۲) تفسير ابن كثير (۹/۱۳، ۲۰).

الحرب؛ فيقتل بعضًا، ويفادي ببعض، ويمنُّ على بعض؛ مثل يوم بدر؛ قتل عقبة بن أبي معيط وقد أُتيَ به أسيرًا، وقتل بني قريظة وقد نزلوا على حكم سعد وصاروا في يده سلمًا، وهو على فدائهم والمنِّ عليهم قادر، وفادى بجماعة أُسَارَى المشركين النين أُسِرُوا ببدر، وَمَنَّ على ثمامة بن أثال الحنفي وهو أسير في يده، ولم يزل ذلك ثابتًا في سيره في أهل الحرب من لدن أَذِنَ اللَّه له بحربهم إلى أن قبضه إليه على ثابتًا في سيره في الأسارَى، دائمًا ذلك فيهم، وإنما ذكر - جل ثناؤه - في هذه الآية المنَّ والفداء في الأُسارَى، فخصَّ ذكرهما فيها؛ لأن الأمر بقتلهما والإذن منه بذلك قد كان تقدم في سائر فخصَّ ذكرهما فيها؛ لأن الأمر بقتلهما والإذن منه بذلك قد كان تقدم في سائر مع القتل» اهـ.

﴿ حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرِّبُ أَوْزَارَهَا ﴾: حتى تضع آثامها وأثقال أهلها المشركين باللَّه بأن يتوبوا إلى اللَّه من شركهم، فيؤمنوا به وبرسوله ﷺ.

وقيل: حتى تضع الحرب أوزار أهلها، وقيل: حتى يضع المحارب أوزاره.

قال مجاهد: ذلك ظهور للإسلام على الدين كله.

وقال قتادة: حتى لا يكون شرك.

وقالوا: عنى بالحرب مَنْ كان يقاتلهم سماهم حربًا:

عن قتادة ﴿ حَتَّىٰ تَضَعَ لَلْرَبُ أَوْزَارَهَا ﴾ الحرب: من كان يقاتلهم، سماهم حربًا. ﴿ وَلُو يَشَاءُ لَانتَصر من هؤلاء ﴿ وَلُو يَشَاءُ لَانتَصر من هؤلاء المشركين بعقوبة منهم لهم عاجلة، وكفاكم ذلك كله، ولكنه ـ تَعَالَى ـ كره الانتصار منهم وعقوبتهم عاجلًا إلَّا بأيديكم أيها المؤمنون.

قال قتادة: ﴿ وَلَوْ يَشَآءُ اللَّهُ لَاَنْكَرَ مِنْهُمْ ﴾؛ أي: واللَّه بجنوده الكثيرة، كل خلقه له جند، ولو سلط أضعف خلقه لكان جندًا.

﴿ وَلَكِن لِيَبْلُوا بَعْضَكُم بِبَعْضِ ﴾ ؛ أي: ليختبركم بهم؛ فيعلم المجاهدين منكم

والصابرين، ويبلوهم بكم؛ فيعاقب بأيديكم من شاء منهم، ويتعظ من شاء منهم بمن أهلك بأيديكم من يشاء منهم حتى ينيب إلى الحق.

قال ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣٩٧/٧):

﴿ ﴿ حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرِّبُ أَوْزَارَهَا ﴾ قال ابن عباس: حتى لا يبقى أحد من المشركين.

وقال مجاهد: حتى لا يكون دين إلا دين الإسلام. وقال سعيد بن جبير: حتى يخرج المسيح. وقال الفراء: حتى لا يبقى إلا مسلم أو مسالم» اهـ.

وهي مثل قوله: ﴿ وَقَائِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِنْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِينُ لِلَّهِ ﴾؛ والفتنة هي الشرك.

﴿ ذَالِكَ وَلَوْ يَشَآهُ ٱللَّهُ لَانَتُصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِيَبْلُوا بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ﴾.

قال ابن كثير (٦٢/١٣): «أي هذا ولو شاء اللَّه لانتقم من الكافرين بعقوبة ونكال من عنده، ولكن شرع لكم الجهاد وقتال الأعداء؛ ليختبركم، ويبلو أخباركم».

"إن هؤلاء الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله، وأمثالهم في الأرض كلها في كل زمان من البغاة الطغاة المفسدين، الذين يَظْهَرُونَ في ثوب البطش والاستكبار، ويَتَرَاءَوْنَ لأنفسهم وللضالين من أتباعهم قادرين أقوياء، إن هؤلاء جميعًا حفنة من الخلق تعيش على ظهر هذه الهباءة الصغيرة المسماة بالأرض، بين هذه الكواكب والنجوم والمجموعات الفلكية والمجرات والعوالم التي لا يعلم عددها ولا مداها إلا الله في هذا الفضاء الذي تبدو فيه هذه المجرات والعوالم نُقطًا متناثرة، تكاد تكون ضائعة، لا يمسكها ولا يجمعها ولا ينسقها إلا الله، فلا يبلغ هؤلاء ومن وراءهم من الأتباع ـ بل لا يبلغ أهل هذه الأرض كلها ـ أن يكونوا نمالًا صغيرة، لا بل إنهم لا يبلغون شيئًا أصلًا حين يقفون أمام قوة الله.

إنما يتخذ اللَّه المؤمنين حين يأمرهم بضرب رقاب الكفار وشد وثاقهم بعد

إثخانهم، إنما يتخذهم ـ سبحانه ـ ستارًا لقدرته، ولو شاء لانتصر من الكافرين جهرة؛ كما انتصر من بعضهم بالطوفان والصيحة والريح العقيم، بل لانتصر منهم من غير هذه الأسباب كلها، ولكنه إنما يريد لعباده المؤمنين الخير، وهو يبتليهم، ويربيهم، وييسر لهم أسباب الحسنات الكبار.

يريد ليبتليهم، وفي هذا الابتلاء يستجيش في نفوس المؤمنين أكرم ما في النفس البشرية من طاقات واتجاهات، فليس أكرم في النفس من أن يعزَّ عليها الحق الذي تؤمن به حتى تجاهد في سبيله، فَتَقتل وتُقتل، ولا تُسَلِّمُ في هذا الحق الذي تعيش له وبه، ولا تستطيع الحياة بدونه، ولا تحب هذه الحياة في غير ظله.

ويريد ليربيهم؛ فيظل يخرج من نفوسهم كل هوى وكل رغبة من أعراض هذه الأرض الفانية مما يعزُّ عليهم أن يتخلُّوا عنه، ويظل يقوي في نفوسهم كل ضعف ويكمل كل نقص، وينفي كل زغل ودخل، حتى تصبح رغائبهم كلها في كفة وفي الكفة الأخرى تلبية دعوة اللَّه للجهاد والتطلع إلى وجه اللَّه ورضاه، فترجح هذه وتشيل تلك.

ويعلم الله من هذه النفوس أنها نُحيِّرتْ فاختارت، وأنها تربَّتْ فعرفت، وأنها لا تندفع بلا وعي، ولكنها تقدِّر وتختار.

ويريد ليصلحهم، ففي معاناة الجهاد في سبيل الله، والتعرض للموت في كل جولة، ما يعوِّد النفس الاستهانة بهذا الخطر المخوف، الذي يكلف الناس الكثير من نفوسهم وأخلاقهم وموازينهم وقيمهم ليتقوه، وهو هين هين عند من يعتاد ملاقاته، سواء سلم منه أو لاقاه، والتوجه به لله في كل مرة يفعل في النفس في لحظات الخطر شيئًا يقربه للتصور فعل الكهرباء بالأجسام!! وكأنه صياغة جديدة للقلوب والأرواح على صفاء ونقاء وصلاح.

ثم هي الأسباب الظاهرة لإصلاح الجماعة البشرية كلها، عن طريق قيادتها بأيدي المجاهدين الذي فرغت نفوسهم من كل أعراض الدنيا وكل زخارفها، وهانت عليهم الحياة وهم يخوضون غمار الموت في سبيل الله، ولم يعد في قلوبهم ما يشغلهم عن الله والتطلع إلى رضاه... وحين تكون القيادة في مثل هذه الأيدي تصلح الأرض كلها، ويصلح العباد، ويصبح عزيزًا على هذه الأيدي أن تسلم راية القيادة للكفر والضلال والفساد، وهي قد اشترتها بالدماء والأرواح، وكل عزيز وغال أرخصته لتتسلم هذه الراية لا لنفسها ولكن لله!!

ثم هو بعد ذلك كله تيسير الوسيلة لمن يريد الله بهم الحسن؛ لينالوا رضاه وجزاءه بغير حساب، وتيسير الوسيلة لمن يريد الله بهم السوء؛ ليكسبوا ما يستحقون عليه غضبه وعذابه وفق ما يعلمه من سره ودخيلته (١) اهـ.

٦٠ قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِدَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِي ۗ عَنِ
 ٱلْعَالَمِينَ ﴿ ﴾ [العنكبوت: ٦].

قال ابن جرير الطبري (٨٤/٢٠): «ومن جاهد عدوه من المشركين فإنما يجاهد لنفسه؛ لأنه يفعل ذلك ابتغاء الثواب من الله على جهاده والهرب من العقاب، فليس بالله إلى فعله ذلك حاجة؛ وذلك أن الله غني عن جميع خلقه، له الملك والخلق والأمر».

«لا يقفن أحد في وسط الطريق، وقد مضى في الجهاد شوطًا، يطلب من الله لا ثمن جهاده، ويمن عليه وعلى دعوته، ويستبطئ المكافأة على ما ناله؛ فإن الله لا يناله من جهاده شيء، وليس في حاجة إلى جهد بشر ضعيف هزيل؛ ﴿إِنَّ اللّهَ لَا غَنِ ٱلْعَلَمِينَ﴾، وإنما هو فضل من الله أن يعينه في جهاده، وأن يأجره في الآخرة بثوابه».

«من أحسن فنجاة نفسه طلبها وسعادة حاله حصَّلها، ومن أساء فعقوبة نفسه جلبها وشقاوة جدِّه اكتسبها؛ ثواب المطيعين إليهم مصروف، وعذاب العاصين

<sup>(</sup>١) الظلال (٦/٢٨٦٢).

عليهم موقوف، والحق عزيز لا يلحقه بالوفاق زَيْن، ولا يمسه من الشقاق شين».

قال ابن القيم: «جهادهم فيه، إنما هو لأنفسهم، وثمرته عائدة عليهم، وأنه غني عن العالمين، ومصلحة هذا الجهاد ترجع إليهم، لا إليه ـ سبحانه ـ، ثم أخبر أنه يدخلهم بجهادهم وإيمانهم في زمرة الصالحين» (١).

71- قال - تَعَالَى -: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَنفِرِينَ وَجَنهِدُهُم بِهِ حِهَادًا كَبِيرًا ﴿ وَهَا اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ

قال ابن جرير الطبري (١٩/٥): «فلا تطع الكافرين فيما يدعونك إليه من أن تعبد آلهتهم؛ فنذيقك ضعف الحياة وضعف الممات، ولكن جاهدهم بهذا القرآن جهادًا كبيرًا حتى ينقادوا للإقرار بما فيه من فرائض الله، ويدينوا به، ويذعنوا للعمل بجميعه طوعًا وكرهًا؛ قال ابن عباس: ﴿وَبَحَهِدُهُم بِهِ عَلَى قال: بالقرآن. وقال ابن زيد: الإسلام، وقرأ: ﴿وَاغَلُظُ عَلَيْهِمُ الله وقرأ: ﴿وَلْيَجِدُواْ فِيكُم غِلْظَةً ﴾ وقال: هذا الجهاد الكبير».

#### • ﴿جِهَادًا كَبِيرًا ﴾:

قال القرطبي (٧٤٧٤/٧): لا يخالطه فتور.

وقال ابن الجوزي: ﴿جِهَادًا كَبِيرًا ﴾؛ أي: تامًّا شديدًا.

قال ابن القيم: «فهذه سورة مكية، أمر فيها بجهاد الكفار بالحجة، والبيان، وتبليغ القرآن، وكذلك جهاد المنافقين، إنما هو بتبليغ الحجة، وإلا فهم تحت قهر أهل الإسلام»(٢).

«إن في هذا القرآن من القوة، والسلطان، والتأثير العميق، والجاذبية التي لا تُقَاوَمُ ما كان يهز قلوبهم هزًّا، ويزلزل أرواحهم زلزالًا شديدًا، فيغالبون أثره بكل وسيلة

<sup>(</sup>١) زاد المعاد، لابن قيم الجوزية (١٧/٣).

<sup>(</sup>٢) زاد المعاد، لابن القيم (٥/٣).

فلا يستطيعون إلى ذلك سبيلًا.

ولقد كان كبراء قريش يقولون للجماهير: ﴿ لاَ تَسْمَعُوا لِمِلْنَا ٱلْقُرَّءَانِ وَٱلْغَوَّا فِيهِ لَعَلَى الْذَعِ الذِي تضطرب به نفوسهم ونفوس أتباعهم من تأثير هذا القرآن، وهم يرون هؤلاء الأتباع كأنما يُسحرون بين عشية وضحاها من تأثير الآية والآيتين، والسورة والسورتين، يتلوهما محمد بن عبدالله علي فتنقاد إليه النفوس، وتهوي إليه الأفتدة، ولم يقل رؤساء قريش لأتباعهم وأشياعهم هذه المقالة وهم في نجوة من تأثير هذا القرآن، فلولا أنهم أحسوا في أعماقهم هزة روَّعتهم ما أمروا هذا الأمر، وما أشاعوا في قومهم بهذا التحذير الذي هو أدل من كل قول على عمق التأثير!!

قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري أنه حُدِّثَ: أن أبا سفيان بن حرب، وأبا جهل بن هشام، والأخنس بن شريق بن عمر بن وهب الثقفي حليف بني زهرة، خرجوا ليلة؛ ليستمعوا من رسول الله عظي وهو يصلي من الليل في بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلسًا يستمع فيه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرَّقوا، فجمعهم الطريق، فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا، فلو رآكم بعض سفهائكم، لأوقعتم في نفسه شيئًا!! ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرَّقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة!! ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرَّقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض: لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود!! فتعاهدوا على ذلك ثم تفرَّقوا. فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته، فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد. فقال: يا أبا ثعلبة، واللَّه لقد سمعت أشياء أعرفها، وأعرف ما يراد بها، وسمعت أشياء ما

عرفت معناها، ولا ما يراد بها. قال الأخنس: وأنا والذي حلفت به. قال: ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل، فدخل عليه بيته، فقال: يا أبا الحكم، ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: ماذا سمعت؟! تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك مثل هذه؟ والله لا نؤمن به أبدًا ولا نصدقه!! قال: فقام عنه الأخنس وتركه».

فهكذا كانوا يغالبون أنفسهم أن تهفوا إلى هذا القرآن فتغلبهم، لولا أن يتعاهدوا وهم يحسون ما يتهدّد زعامتهم، لو اطلع عليهم الناس، وهم مأخوذون شبه مسحورين!!

وإن في هذا القرآن من الحق الفطري البسيط لما يصل القلب مباشرة بالنبع الأصيل؛ فيصعب أن يقف لهذا النبع الفوَّار، وأن يصدَّ عنه تدفق التيار، وأن فيه من مشاهد القيامة، ومن القصص، ومن مشاهد الكون الناطقة، ومن مصارع الغابرين، ومن قوة التشخيص والتمثيل لما يهز القلوب هزًّا لا تملك معه قرارًا، وإن السورة الواحدة لتهز الكيان الإنساني في بعض الأحيان، وتأخذ على النفس أقطارها ما لا يأخذه جيش ذو عدة وعتاد!!

فلا عجب مع ذلك أن يأمر اللَّه نبيه ألا يطيع الكافرين، وألا يتزحزح عن دعوته، وأن يجاهدهم بهذا القرآن، فإنما يجاهدهم بقوة لا يقف لها كيان البشر ولا يثبت لها جدال أو محال»(١).

ولله در الإمام الصنعاني وهو يقول:

تلا «فُصِّلَتْ» لما أتاه مجادل (٢) أقرر بأن القول فيه طلاوة

فأبلس حتى ما يكون جواب ويعلو ولا يعلو عليه خطاب

<sup>(</sup>١) الظلال (٥/١٧٥٦، ٢٧٥٢).

<sup>(</sup>٢) هو: الوليد بن المغيرة المخزومي.

وقام عتبة بن ربيعة لما تَلا عليه رسول اللَّه ﷺ: ﴿ فَإِنَّ أَعْرَضُواْ فَقُلَ أَنَذَرْتُكُورُ صَعِقَةً مِّشْلَ صَعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿ اللَّهِ ﴾ فأمسك عتبة على فيه (١) وناشده الرحم، ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش، واحتبس عنهم.

وَفِي رواية أنه رجع لقومه فقال: «خلُّوا بين الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فواللَّه ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ».

لقد غلب القرآن عقولهم، وعجزوا عن مغالبة أثر القرآن في أنفسهم، وفرَّق بين الوالد وولده، والزوج وزوجه، لقد كان القرآن يفرِّق نَعَمْ؛ ولكن بفرقان اللَّه بين الكفر والإيمان، والهدى والضلال، كان يستخلص القلوب له، فلا تحفل بوشيجة غير وشيجته؛ فكان هو الفرقان.

عجزوا عن مواجهته بالحجة والمقارعة بالبرهان، كانوا يلغون بالسجع والرجز، ولكن هذا كله ذهب أدراج الرياح وغلب القرآن؛ لأنه يحمل سر الغلب، إنه الحق.. والحق غالب مهما جهد المبطلون!!

٦٢ قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِن نَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرُكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقَدَامَكُوْ
 (عحمد: ٧].

قال ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢٦/٢٦):

«يقول ـ تَعَالَى ذِكْرُهُ ـ: يأيها الذين صدَّقوا اللَّه ورسوله، إن تنصروا اللَّه بنصر كم رسوله محمدًا ﷺ على أعدائه من أهل الكفر به وجهادكم إياهم معه لتكون كلمته العليا، ينصركم عليهم ويظفركم بهم؛ فإنه ناصِرُ دينِهِ وأوليائِهِ.

قال قتادة: ﴿إِن نَتَصُرُوا اللَّهَ يَنَصُرُكُمْ ﴾؛ لأنه حَقٌّ على اللَّه أن يعطي من سأله وينصر من نصره.

﴿ وَيُشَيِّتُ أَقْدَامَكُمْ ﴾ يقول: ويقوِّكم عليهم ويجرئكم حتى لا تولوا عنهم وإن

<sup>(</sup>١) فم رسول الله 選.

(YAA)

كثر عددهم وَقَلَّ عددكم» اهـ.

«كيف ينصرُ المؤمنون الله، حتى يقوموا بالشرط وينالوا ما شرط لهم من النصر والتثبيت؟ إن لله في نفوسهم أن تتجرد له، وألا تشرك به شيئًا، شركًا ظاهرًا أو خفيًا، وألا تستبقي فيها معه أحدًا ولا شيئًا، وأن يكون الله أحب إليها من ذاتها ومن كل ما تحب وتهوى، وأن تحكمه في رغباتها ونزواتها وحركاتها وسكناتها، وسرها وعلانيتها، ونشاطها كله وخلجاتها. فهذا نصر الله في ذوات النفوس.

وإن لله شريعة ومنها عالى الله يتحقق بنصر شريعته وموازين وقيم وتصور خاص للوجود كله وللحياة، ونصر الله يتحقق بنصر شريعته ومنهاجه، ومحاولة تحكيمها في الحياة كلها بدون استثناء، فهذا نصر الله في واقع الحياة، ونقف لحظة أمام قوله تعالَى -: ﴿وَاللَّهِ بِن فَيْكُوا اللهِ هِن كلتا الحالتين عَالَى -: ﴿وَاللَّهِ النَّهِ اللهِ وَفِي كلتا الحالتين حالة القتل وحالة النصرة ـ يشترط أن يكون هذا لله وفي سبيل الله، وهي لفتة بديهية، ولكن كثيرًا من الغبش يغطي عليها عندما تنحرف العقيدة في بعض الأجيال، وعندما تمتهن كلمات الشهادة والجهاد وترخص، وتنحرف عن معناها الوحيد القويم، إنه لا جهاد، ولا شهادة، ولا جنة، إلا حين يكون الجهاد في سبيل الله وحده، والموت في سبيله وحده، والنصرة له وحده، في ذات النفس وفي منهج الحياة، لا جهاد ولا استشهاد ولا جنة إلا حين يكون الهدف هو أن تكون كلمة الله هي العليا.

عن أبي موسى الأشعري رضي قال: سُئِلَ رسول اللَّه عَلَيْ عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء.. أي ذلك في سبيل الله؟ فقال: «من قاتل لتكون كلمة اللَّه هي العليا فهو في سبيل الله»(١).

ليس هنالك راية أخرى أو هدف آخر يجاهد في سبيله من يجاهد، ويُستشهد

<sup>(</sup>١) أخرجه الشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي.

دونه من يُستشهد، فيحق له وعد الله بالجنة إلا تلك الراية وإلا هذا الهدف من كل ما يرُّوج في الأجيال المنحرفة التصور من رايات وأسماء وغايات!!

وَبَعْدُ، فهذا شرط اللَّه على الذين آمنوا؛ فأما شرطه لهم فهو النصر وتثبيت الأقدام وعد اللَّه لا يخلفه، فإذا تخلَّف فترة، فهو أجل مقدر لحكمة أخرى تتحقق مع تحقق النصر والتثبيت، ذلك حين يصح أن المؤمنين وفوا بالشرط ثم تخلف عنهم ـ فترة ـ نصر الله.

ثم نقف لحظة أمام لفتة خاصة في التعبير: ﴿ يَنْصُرَّكُمْ وَيُثَبِّتَ أَقْدَامَكُمْ ﴾ ، إن الظن يذهب لأول وهلة أن تثبيت الأقدام يسبق النصر، ويكون سببًا فيه، وهذا صحيح، ولكن تأخير ذكره في العبارة يوحي بأن المقصود معنى آخر من معاني التثبيت، معنى التثبيت على النصر وتكاليفه؛ فالنصر ليس نهاية المعركة بين الكفر والإيمان، وبين الحق والضلال، فللنصر تكاليفه في ذات النفس وفي واقع الحياة.. للنصر تكاليفه في عدم الزهو به والبطر، وفي عدم التراخي بعده والتهاون، وكثير من النفوس يثبت على النصر والنعماء، النفوس يثبت على النصر والنعماء، وصلاح القلوب وثباتها على الحق بعد النصر منزلة أخرى وراء النصر، ولعل هذا هو ما تشير إليه عبارة القرآن، والله أعلم»(١).

نصرة الله للعبد بإعلاء كلمته، وقمع أعداء الدين ببركات سَعْيِهِ وَهِمَّتِهِ. ﴿ وَيُثَيِّتُ أَقَدَا مَكُونِ اللهِ التوفيق؛ لئلا ينهزم من صولة أعداء الدين.

اً ٣٧- قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ وَقَائِلُوا فِي سَكِبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُ عَلِيـــُمُّـ [ البقرة: ٢٤٤].

لاً يقعدن بكم حب الحياة وحذر الموت عن الجهاد في سبيل الله. قاتلوا في سبيل اللَّه لا في سبيل غاية أخرى، وتحت راية اللَّه لا تحت راية أخرى.

<sup>(</sup>١) الظلال (١/٩٨٦).

والله يسمع ويعلم..

قاتلوا في سبيل الله، وليس هناك عمل ضائع عند الله واهب الحياة وآخذ الحياة. ومن اللفتة الجميلة أن الله أفرد للجهاد سورة سماها سورة القتال أو سورة محمد؛ فهو نبي الملاحم عليه وسورة أخرى هي الأنفال، وثالثة هي التوبة.. وفيها من الإشارة ما فيها، فليتعظ امرؤ ويثامن بنفسه ويبذلها في أعلى الغايات وأسمى الأمنيات؛ عساه يلحق بالركب والقافلة.

لقد جاءت هذه العقيدة في صورتها الأخيرة التي جاء بها الإسلام؛ لتكون قاعدة للحياة البشرية في الأرض من بعدها، ولتكون منهجًا عامًّا للبشرية جميعها، ولتقوم الأمة المسلمة بقيادة البشرية في طريق اللَّه وفق هذا المنهج المنبثق من التصور الكامل الشامل لغاية الوجود كله ولغاية الوجود الإنساني، كما أوضحهما القرآن الكريم المنزل من عند الله؛ قيادتها إلى هذا الخير الذي لا خير غيره في مناهج الجاهلية جميعًا، ورفعها إلى هذا المستوى الذي لا تبلغه إلا في ظل هذا المنهج، وتمتيعها بهذه النعمة التي لا تعدلها نعمة، والتي تفقد البشرية كل نجاح وكل فلاح حين تحرم منها، ولا يعتدي عليها معتد بأكثر من حرمانها من هذا الخير والحيلولة بينها وبين ما أراده لها خالقها من الرفعة والنظافة والسعادة والكمال.

ومن ثَمَّ كان من حق البشرية أن تبلغ إليها الدعوة إلى هذا المنهج الإلهي الشامل، وألا تقف عقبة أو سلطة في وجه التبليغ بأي حال من الأحوال.

ثم كان من حق البشرية كذلك أن يُتْرَكَ الناسُ بعد وصول الدعوة إليهم أحرارًا في اعتناق هذا الدين؛ لا تصدهم عن اعتناقه عقبة أو سلطة، فإذا أبى فريق منهم أن يعتنقه بعد البيان، لم يكن له أن يصد الدعوة عن المضي في طريقها، وكان عليه أن يعطي من العهود ما يكفل لها الحرية والاطمئنان وما يضمن للجماعة المسلمة المضي في طريق التبليغ بلا عدوان.

فإذا اعتنقها من هداهم الله إليها كان من حقهم ألا يُفتنوا عنها بأي وسيلة من وسائل الفتنة؛ لا بالأذى، ولا بالإغراء، ولا بإقامة أوضاع من شأنها صد الناس عن الهدى وتعويقهم عن الاستجابة، وكان من واجب الجماعة المسلمة أن تدفع عنهم بالقوة من يتعرض لهم بالأذى والفتنة؛ ضمانًا لحرية العقيدة، وكفالةً لأمن الذين هداهم الله، وإقرارًا لمنهج الله في الحياة، وحمايةً للبشرية من الحرمان من ذلك الخير العام.

وينشأ عن تلك الحقوق الثلاثة واجب آخرُ على الجماعة المسلمة؛ وهو: أن تحطم كل قوة تعترض طريق الدعوة وإبلاغها للناس في حرية، أو تهدد حرية اعتناق العقيدة، وتفتن الناس عنها، وأن تظل تجاهد حتى تصبح الفتنة للمؤمنين بالله غير ممكنة لقوة في الأرض، ويكون الدين لله، لا بمعنى إكراه الناس على الإيمان، ولكن بمعنى استعلاء دين الله في الأرض؛ بحيث لا يخشى أن يدخل فيه من يريد الدخول، ولا يخاف قوة في الأرض تصده عن دين الله أن يبلغه، وأن يستجيب له، وأن يبقى عليه، وبحيث لا يكون في الأرض وضع أو نظام يحجب نور الله وهداه عن أهله، ويضلهم عن سبيل الله بأية وسيلة وبأية أداة.

وفي حدود هذه المبادئ العامة كان الجهاد في الإسلام.. وكان لهذه الأهداف العليا وحدها غير متلبسة بأي هدف آخر، ولا بأي شارة أخرى.

إنه الجهاد للعقيدة؛ لحمايتها من الحصار، وحمايتها من الفتنة، وحماية منهجها وشريعتها في الحياة، وإقرار رايتها في الأرض بحيث يرهبها من يهم بالاعتداء عليها

قبل الاعتداء، وبحيث يلجأ إليها كل راغب فيها لا يخشى قوة أخرى في الأرض تتعرض له أو تمنعه أو تفتنه.

وهذا هو الجهاد الوحيد الذي يأمر به الإسلام، ويقره، ويثيب عليه، وَيَعتبر الذين يُقتلون فيه شهداء، والذين يحتملون أعباءه أولياء» (١).

## ﴿ وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمُ ﴾.

إنه القتال لله، لا لأي هدف آخر من الأهداف التي عرفتها البشرية في حروبها الطويلة.

القتال في سبيل الله، لا في سبيل الأمجاد والاستعلاء في الأرض، ولا في سبيل المغانم والمكاسب، ولا في سبيل الأسواق والخامات، ولا في سبيل تسويد طبقة على طبقة أو جنس على جنس..

إنما هو القتال لتلك الأهداف المحددة التي من أجلها شُرِعَ الجهاد في الإسلام. القتال لإعلاء كلمة الله في الأرض، وإقرار منهجه في الحياة، وحماية المؤمنين به أن يفتنوا عن دينهم، أو أن يجرفهم الضلال والفساد، وما عدا هذه فهي حرب غير مشروعة في حكم الإسلام، وليس لمن يخوضها أجر عند الله ولا مقام. ومع تحديد الهدف تهديد المدى.

وَمَعَ صَعَدِيدٌ الْهَدُّنَ اللهُ لَا يُحِبُّ الْمُعُسَدِينَ﴾..

والعدوان يكون بتجاوز المحاربين المعتدين إلى غير المحاربين من الآمنين المسالمين الندين لا يشكلون خطرًا على الدعوة الإسلامية ولا على الجماعة المسلمة؛ كالنساء والأطفال والشيوخ والعباد المنقطعين للعبادة من أهل كل ملة ودين. كما يكون بتجاوز آداب القتال التي شَرَعَهَا الإسلام وَوَضَعَ بها حدًّا للشناعات التي عرفتها حروب الجاهليات الغابرة والحاضرة على السواء.. تلك الشناعات التي ينفر منها

<sup>(</sup>١) الظلال (١/٢٨١، ١٨٧).

حس الإسلام، وتأباها تقوى الإسلام.

وهذه طائفة من أحاديث الرسول و وصايا أصحابه، تكشف عن طبيعة
 هذه الآداب، التي عرفتها البشرية أول مرة على يد الإسلام.

عن ابن عمر ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قال: ﴿وُجِدَتْ امرأةٌ مقتولة في بعض مغازي رسول اللَّه ﷺ ؛ فنهى رسول اللَّه ﷺ عن قتل النساء والصبيان ﴿()...

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه»(٢).

وعن أبي هريرة وَ الله على قال: «بعثنا رسول الله على فقال: إن وجدتم فلانًا وفلانًا و رجلين من قريش ـ فأحرقوهما بالنار. فلما أردنا الخروج قال: كنت أمرتكم أن تحرقوا فلانًا وفلانًا، وإن النار لا يعذب بها إلا الله ـ تَعَالَى ـ؛ فإن وجدتموهما فاقتلوهما (٣٠).

وعن عبدالله بن يزيد الأنصاري ﴿ الله عَلَيْهُ قال: «نهى رسول الله عَلَيْ عَنِ النَّهْبَى والله عَلَيْ عَنِ النَّهْبَى والله الله عَلَيْ عَنِ النَّهْبَى والله الله عَلَيْ عَنِ النَّهْبَى والمُثلة » (١٤).

وعن بريدة قال: «كان رسول الله على إذا أمر الأمير على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ـ تَعَالَى ـ، وبمن معه من المسلمين خيرًا، ثم قال له: اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا»(٥).

وروى مالك عن أبي بكر الصديق ﴿ إِنَّهُ أَنَّهُ قَالَ في وصيته لجنده: «ستجدون قومًا زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله، فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له، ولا تَقْتُلُنَّ

<sup>(</sup>١) أخرجه مالك والشيخان وأبو داود والترمذي.

<sup>(</sup>٢) أخرجه الشيخان.

رُم) أخرجه الشيخان، وأبو داود، والترمذي.

<sup>(</sup>٤) أخرجه البخاري.

<sup>(</sup>٥) أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي.

امرأة ولا صبيًّا ولا كبيرًا هرمًا».

فهذه هي الحرب التي يخوضها الإسلام.. وهذه هي آدابه فيها.. وهذه هي أهدافه منها.. وهي تنبثق من ذلك التوجيه القرآني الجليل.

﴿ وَقَاتِلُواْ فِي سَكِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمُ وَلَا تَعَـٰتَدُوَأً إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُ ٱلْمُعُـنَدِينَ ﷺ . اللَّهُ لَا يُحِبُ

وقد كان المسلمون يعلمون أنهم لا يُنصرون بعددهم ـ فعددهم قليل ـ، ولا يُنصرون بعدتهم وعتادهم ـ فما معهم منه أقل مما مع أعدائهم ـ؛ إنما هم يُنصرون بإيمانهم وطاعتهم وعون الله لهم، فإذا هم تخلوا عن توجيه الله لهم وتوجيه رسول الله على فقد تخلوا عن سبب النصر الوحيد الذي يرتكنون إليه؛ ومن ثُمَّ كانت تلك الآداب مرعية حتى مع أعدائهم الذين فتنوهم ومثلوا ببعضهم أشنع التمثيل. ولما فَارَ الغضب برسول الله على فأمر بحرق فلان وفلان ـ رجلين من قريش ـ، عاد فنهى عن حرقهما؛ لأنه لا يحرق بالنار إلا الله.

﴿ وَاقْتَلُوهُمْ حَيْثُ ثَلِفَنْهُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِنْنَةُ أَشَدُ مِنَ الْقَتَلُ وَلَا نُقَائِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْمُحَرَامِ حَتَىٰ يُقَاعِلُوكُمْ فِيةٍ فَإِن قَائَلُوكُمْ فَأَقْتُلُوهُمُّ كَالَكَ جَزَآهُ الْكَافِينَ اللهَ عَفُورٌ تَحِيمٌ اللهَ عَفُورٌ تَحِيمٌ اللهَ عَفُورٌ تَحِيمٌ اللهَ عَفُورٌ تَحِيمُ اللهَ عَفُورٌ تَحِيمُ اللهَ عَفُورٌ تَحِيمُ اللهَ عَنْمُورُ تَحْمِيمُ اللهُ عَنْمُ اللهُ عَنْمُورُ تَحْمِيمُ اللهُ عَنْمُورُ تَحْمِيمُ اللهُ عَنْمُورُ تَحْمِيمُ اللهُ عَنْمُورُ تَحْمِيمُ اللهَ عَنْمُورُ تَحْمِيمُ اللهُ عَنْمُورُ تَحْمِيمُ اللهُ عَنْمُ اللهُ عَنْمُ اللهُورُ تَحْمِيمُ اللهُ عَنْمُ اللهُ اللهُ عَنْمُ اللهُ اللهُ عَنْمُ اللهُ عَنْمُ اللهُ عَنْمُ اللهُ عَنْمُ اللهُ اللهُ عَنْمُ اللهُ اللهُ اللهُ عَنْمُ اللهُ اللهُ اللهُ عَنْمُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَنْمُ اللهُ اللهُولُ اللهُ اللهُ

إن الفتنة عن الدين اعتداء على أقدس ما في الحياة الإنسانية؛ ومن ثُمَّ فهي أشد من القتل، أشد من قتل النفس وإزهاق الروح وإعدام الحياة، ويستوي أن تكون هذه الفتنة بالتهديد والأذى الفعلي، أو بإقامة أوضاع فاسدة من شأنها أن تضل الناس وتفسدهم وتبعدهم عن منهج الله، وتزين لهم الكفر به أو الإعراض عنه.

وأقرب الأمثلة على هذا هو النظام الشيوعي الذي يحرم تعليم الدين ويبيح تعليم الإلحاد، ويسن تشريعات تبيح المحرمات؛ كالزنا والخمر، ويحسنها للناس بوسائل التوجيه، بينما يُقَبِّحُ لهم اتباع الفضائل المشروعة في منهج الله، ويجعل من هذه الأوضاع فروضًا حتمية لا يملك الناس التفلت منها.

وهذه النظرة الإسلامية لحرية العقيدة، وإعطاؤها هذه القيمة الكبرى في حياة البشرية.. هي التي تتفق مع طبيعة الإسلام، ونظرته إلى غاية الوجود الإنساني؛ فغاية الوجود الإنساني هي العبادة ـ ويدخل في نطاقها كل نشاط خير يتجه به صاحبه إلى الله ـ، وأكرم ما في الإنسان حرية الاعتقاد؛ فالذي يسلبه هذه الحرية، ويفتنه عن دينه فتنة مباشرة أو بالواسطة يجني عليه ما لا يجني عليه قاتل حياته؛ ومن ثَمَّ يدفعه بالقتل..

لذلك لم يقل: وقاتلوهم، إنما قال: ﴿ وَاَقْتُلُوهُمْ ﴾ . . ﴿ وَاَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ نَفِقْنُلُوهُمْ ﴾ ؟ أي: حيث وجدتموهم في أية حالة كانوا عليها، وبأية وسيلة تملكونها، مع مراعاة أدب الإسلام في عدم المثلة أو الحرق بالنار.

ولا قتال عند المسجد الحرام، الذي كتب الله له الأمن، وجعل جواره آمنًا؛ استجابة لدعوة خليله إبراهيم التَّلِيُّكُلْم، وجعله مثابة يثوب إليها الناس؛ فينالون فيه الأمن والحرمة والسلام..

لا قتال عنه المسجد الحرام إلا للكافرين الذين لا يرعون حرمته، فيبدءون بقتال المسلمين عنده؛ وعند ذلك يقاتلهم المسلمون ولا يكفون عنهم حتى يقتلوهم؛ فذلك هو الجزاء اللائق بالكافرين، الذين يفتنون الناس عن دينهم، ولا يرعون حرمة للمسجد الحرام، الذي عاشوا في جواره آمنين.

## ﴿ فَإِنِ ٱنَّهُوْا فَإِنَّ ٱللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ ﴿.

والانتهاء الذي يستأهل غفران الله ورحمته هو الانتهاء عن الكفر، لا مجرد الانتهاء عن قتال المسلمين أو فتنتهم عن الدين؛ فالانتهاء عن قتال المسلمين وفتنتهم قصاراه أن يهادنهم المسلمون، ولكنه لا يؤهل لمغفرة الله ورحمته؛ فالتلويح بالمغفرة والرحمة هنا يقصد به إطماع الكفار في الإيمان؛ لينالوا المغفرة والرحمة بعد الكفر والعدوان.

وما أعظم الإسلام، وهو يلوح للكفار بالمغفرة والرحمة، ويسقط عنهم

القصاص والدية بمجرد دخولهم في الصف المسلم، الذي قتلوا منه وفتنوا، وفعلوا بأهله الأفاعيل!!!

وغاية القتال هي ضمانة ألا يُفتن الناس عن دين الله، وألا يُصرفوا عنه بالقوة أو ما يشبهها؛ كقوة الوضع الذي يعيشون فيه بوجه عام، وتُسلط عليهم فيه المغريات والمضللات والمفسدات؛ وذلك بأن يعز دين الله، ويقوي جانبه، ويهابه أعداؤه؛ فلا يجرءوا على التعرض للناس بالأذى والفتنة، ولا يخشى أحدٌ يريد الإيمان أن تصده عنه قوة أو أن تُلْحِقَ به الأذى والفتنة.

والجماعة المسلمة مكلفة ـ إِذَنْ ـ أن تظل تقاتل حتى تقضي على هذه القوى المعتدية الظالمة، وحتى تصبح الغلبة لدين الله والمنعة..

﴿ وَقَائِلُوهُمْ حَتَىٰ لَا تَكُونَ فِنْنَهُ ۗ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱننَهَوْا فَلَا عُدُونَ إِلَا عَلَى الظَّالِمِينَ ﷺ.

وإذا كان النص عند نزوله عواجه قوة المشركين في شبه الجزيرة، وهي التي كانت تفتن الناس، وتمنع أن يكون الدين لله، فإن النص عام الدلالة، مستمر التوجيه، والجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة؛ ففي كل يوم تقوم قوة ظالمة تصد الناس عن الدين، وتحول بينهم وبين سماع الدعوة إلى الله، والاستجابة لها عند الاقتناع، والاحتفاظ بها في أمان. والجماعة المسلمة مكلفة في كل حين أن تحطم هذه القوة الظالمة، وتطلق الناس أحرارًا من قهرها، يستمعون ويختارون ويهتدون إلى الله.

وهذا التكرار في الحديث عن منع الفتنة بعد تفظيعها واعتبارها أشد من القتل.. هذا التكرار يوحي بأهمية هذا الأمر في اعتبار الإسلام؛ وينشئ مبدأ عظيمًا، يعني في حقيقته ميلادًا جديدًا للإنسان على يد الإسلام، ميلادًا تتقرر فيه قيمة الإنسان بقيمة عقيدته، وتوضع حياته في كفة وعقيدته في كفة؛ فترجح كفة العقيدة.

كذلك يتقرر في هذا المبدأ من هم أعداء الإنسان... إنهم أولئك الذين يفتنون مؤمنًا عن دينه، ويؤذون مسلمًا بسبب إسلامه.. أولئك الذين يحرمون البشرية

أكبر عنصر للخير ويحولون بينها وبين منهج الله.. وهؤلاء على الجماعة المسلمة أن تقاتلهم وأن تقتلهم حيث وجدتهم؛ ﴿ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِئْنَةٌ ۖ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾.

وهذا المبدأ العظيم الذي سَنَّةُ الإسلام في أوائل ما نزل من القرآن عن القتال ما يزال قائمًا، وما تزال العقيدة تواجه من يعتدون عليها وعلى أهلها في شتى الصور، وما يزال الأذى والفتنة تلم بالمؤمنين أفرادًا وجماعات وشعوبًا كاملة في بعض الأحيان.. وكل من يتعرض للفتنة في دينه والأذى في عقيدته في أية صورة من الصور، وفي أي شكل من الأشكال مفروض عليه أن يقاتل، وأن يحقق المبدأ العظيم الذي سَنَّةُ الإسلام؛ فكان ميلادًا جديدًا للإنسان..

فإذا انتهى الظالمون عن ظلمهم؛ وكفوا عن الحيلولة بين الناس وربهم، فلا عدوان عليهم ـ أي: لا مناجزة لهم ـ؛ لأن الجهاد إنما يُوَجَّهُ إلى الظلم والظالمين.. ﴿ فَإِنِ اَنهُوا فَلَا عُدُونَ إِلَا عَلَى الظّلمِينَ ﴾ (١).

ويسمى دفع الظالمين ومناجزتهم عدوانًا من باب المشاكلة اللفظية، وإلا فهو العدل والقسط ودفع العدوان عن المظلومين» (٢).

٦٤ قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِشْتَيْنِ ٱلْتَقَنَّا فِئَةٌ تُقَايِلُ فِ سَيِسِ اللهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْمَايْنِ وَٱللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاآةٌ إِنَ فِي ذَالِكَ لَهِ بَرَةً لِإُولِ ٱلْأَبْصَدِ ﴿ ﴾ [آل عمران: ١٣].

قرأ نافع، ويعقوب، وأبو جعفر: ﴿ نُرُونَهُمْ ﴾.

وقرأ الباقون: ﴿يَرَوُنَهُم﴾.

قال ابن جرير في «**تفسيره**» (۱۲۹/۳ - ۱۳۳):

«قل: يا محمد للذين كفروا من اليهود الذين بين ظهراني بلدك: قد كان لكم

<sup>(</sup>١) نزل فيما بعد في سورة براءة الأمرُ بقتال المشركين كافة.

<sup>(</sup>۲) الظلال (۱/۹۸۱ - ۱۹۱).

علامة ودلالة على صدق ما أقول أنكم ستغلبون وعبرة».

«قد كان لكم آيةٌ يا معشر اليهود في فئتين التقتا؛ إحداهما تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يراهم المسلمون مثليهم رأي أعينهم، فأيدنا المسلمة ـ وهم قليلٌ عددُهُمْ ـ على الكافرة ـ وهم كثيرٌ عددُهُمْ ـ حتى ظفروا بهم، مُعْتَبَرٌ وَمُتَفَكَّرٌ، والله يقوي بنصره من يشاء.

﴿ فِئَةٌ تُقَايِّلُ فِ سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ ﴾ قال ابن عباس: أصحاب رسول اللَّه ﷺ ببدر ﴿ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ ﴾ فئة قريش الكفار. وبمثل هذا القول قال الربيع ومجاهد وعكرمة.

وعلى قراءة من قرأ: ﴿ يَكُونَهُم مِّثْلَيْهِمْ ﴾ يرى المسلمون الذين يقاتلون في سبيل الله الجماعة الكافرة مثلي المسلمين في القدر».

قال عبداللَّه بن مسعود: «نظرنا إلى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا، ثم نظرنا إليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلًا واحدًا، وذلك قول اللَّه صَالَّى: ﴿وَإِذَ يُولِنُهُمُ فَهَذَا أَحَد معني يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيَّتُمُ فِي أَعْيُنِهُمْ فَهَذَا أَحَد معني التقليل، والمعنى الآخر منه التقليل الثاني، على ما قاله ابن مسعود، وهو أن أراهم عدد المشركين مثل عددهم لا يزيدون عليهم».

فالنصر راجع إلى تأييد الله وتدبيره.. وفي هذا تخذيل للذين كفروا وتهديد، كما أن فيه تثبيتًا للذين آمنوا، وتهوينًا من شأن أعدائهم، فلا يرهبونهم.

وما يزال القرآن يعمل بحقيقته الكبيرة، وبما يتضمنه من مثل هذه الحقيقة. إن وعد الله بهزيمة الذين يكفرون ويكذبون وينحرفون عن منهج الله قائم في كل لحظة، ووعد الله بنصر الفئة المؤمنة ـ ولو قلَّ عددها ـ قائم في كل لحظة، وتوقف النصر على تأييد الله الذي يعطيه من يشاء حقيقة قائمة لم تُنسخ، وسنة ماضية لم تتوقف.

وليس على الفئة المؤمنة إلا أن تطمئن إلى هذه الحقيقة، وتثق في ذلك الوعد،

وتأخذ للأمر عدته التي في طوقها كاملة، وتصبر حتى يأذن الله، ولا تستعجل، ولا تقنط إذا طال عليها الأمد المغيب في علم الله، المدبر بحكمته، المؤجل لموعسده.

يقول ابن جرير في تفسيره: «الذين صدقوا الله ورسوله وأيقنوا بموعود الله لأهل الإيمان به ﴿ يُقَائِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾؛ في طاعة الله ومنهاج دينه وشريعته التي شرعها لعباده. ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾: والذين جحدوا وحدانية الله، وكذبوا رسوله وما جاءهم به من عند ربهم ﴿ يُقَائِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّاغُوتِ ﴾؛ يعني: في طاعة الشيطان وطريقه ومنهجه الذي شرعه لأوليائه من الله الكفر بالله.

﴿ فَقَائِلُوا أَوْلِيَا هَ الشَّيْطُانِ ﴾: يقول اللَّه مقوِّيًا عزم المؤمنين من أصحاب رسول اللَّه عَلَيْ ومحرِّضهم على أعدائه وأعداء دينه من أهل الشرك به: فقاتلوا أيها المؤمنون أولياء الشيطان الذين يتولونه، ويطيعون أمره في خلاف طاعة اللَّه والتكذيب به، وينصرونه.

﴿ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾؛ يعني: بكيده ما كاد به المؤمنين من تحزيبه أولياءه ـ من الكفار باللَّه ـ على رسوله. وأولياؤه: أهل الإيمان به.

يقول: فلا تهابوا أولياء الشيطان، فإنما هم حزبه وأنصاره، وحزب الشيطان أهل وهن وضعف، وإنما وصفهم الله ـ جل ثناؤه ـ بالضعف؛ لأنهم لا يقاتلون رجاء ثواب، ولا يتركون القتال خوف عقاب، وإنما يقاتلون حمية، أو حسدًا للمؤمنين على ما آتاهم الله من فضله. والمؤمنون يقاتل مَنْ قَاتَلَ منهم رجاء العظيم من ثواب الله، ويترك القتال إن تركه على خوف من وعيد الله في تركه، فهو يقاتل على بصيرة بماله عند الله إنْ قُتل، وبما له من الغنيمة والظفر إنْ سلم. والكافر يُقاتل على

حذر من القتل، وإياس من معاد، فهو ذو ضعف وخوف (١٠).

﴿ اَلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَائِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾؛ لتحقيق منهجه، ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَائِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَشَرِيعَته، سَبِيلِ الطَّنغُوتِ ﴾؛ لتحقيق مناهج شتى، وإقرار شرائع شتى غير منهج اللَّه وشريعته، وإقامة قيم شتى غير ميزان الله!

وهكذا يقف المسلمون على أرض صلبة، مسندين ظهورهم إلى ركن شديد، مقتنعي الوجدان بأنهم يخوضون معركة لله، ليس لأنفسهم منها نصيب، ولا لذواتهم منها حظ، وليست لقومهم، ولا لجنسهم، ولا لقرابتهم وعشيرتهم منها شيء، إنما هي لله وحده، وأنهم يواجهون قومًا أهل باطل، يقاتلون لتغليب الباطل على الحق، ولتغليب شرائع البشر على شرع الله، ولتغليب ظلم البشر على عدل الله.

ومن هنا يتقرر مصير المعركة في حس المؤمنين، وتتحدد نهايتها قبل أن يدخلوها، سواء بعد ذلك استشهد المؤمن في المعركة ـ فهو واثق من النجر العظيم. بقي حتى غلب، ورأى بعينيه النصر، فهو واثق من الأجر العظيم.

من هذا التصور الحقيقي للأمر في كلتا حالتيه، انبثقت تلك الخوارق الكثيرة التي حفظها تاريخ الجهاد في سبيل الله في حياة الجماعة المسلمة الأولى، والتي تناثرت على مدى التاريخ في أجيال كثيرة.. ومن هذا التصور كان ذلك المد الإسلامي العجيب في أقصر فترة عُرفت في التاريخ، فقد كان هذا التصور جانبًا من جوانب التفوق الذي حققه المنهج الرباني للجماعة المسلمة وبناء هذا التصور ذاته كان طرفًا من المعركة الكلية الشاملة التي خاضها القرآن في نفوس المؤمنين وهو يخوض بهم المعركة مع أعدائهم المتفوقين في العدد والعدة والمال، ولكنهم في هذا الجانب كانوا متخلفين، فأمسوا مهزومين.

<sup>(</sup>١) تفسير الطبري (١٠٧/٥) مفسير

| ٦٦- قال - تَعَالَى -: ﴿ تُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَمُّهُ أَشِدًآ مُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَآ مُ ا يَيْنَهُمُ اللَّهِ وَرِضْوَنَا اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللهِ عَلَى اللَّهُ اللهُ

قال أبن جرير: «يقول - تَعَالَى ذكره -: ﴿ تُعَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ ﴾ عَلَيْهُم قالبهم وأَشِدًا عَلَى الْكُفَّارِ ﴾ عليظة عليهم قلوبهم، قليلة بهم رحمتهم، ﴿ رُحَمَاءُ بَيْنَهُم ﴾ يقول: رقيقة قلوب بعضهم لبعض، لينة أنفسهم لهم، هينة عليهم، ﴿ رُحَمَاءُ بَيْنَهُم وَ رُكَعًا ﴾ أحيانًا لله في صلاتهم، ﴿ سُجَّدُه أحيانًا لهم، هينة عليهم، ﴿ تَرَبْهُم وُكُعًا ﴾ أحيانًا لله في صلاتهم، ﴿ سُجَدَه أحيانًا هم، بينتَعُونَ فَضَلًا مِنَ الله ﴾ يقول: يلتمسون - بركوعهم وسجودهم وشدتهم على الكفار ورحمة بعضهم بعضًا - ﴿ فَضَلَا مِن اللهِ ﴾ وذلك رحمته إياهم بأن يتفضل عليهم فيدخلهم جنته ».

هذه نقاط ارتكاز أصيلة في حياة المؤمنين، تبرزها وتصوغ منها الخطوط العريضة في الصور الوضيئة.. وإرادة التكريم واضحة في اختيار هذه اللقطات، وتثبيت الملامح والسمات التي تصورها.. التكريم الإلهي لهذه الجماعة السعيدة.

إرادة التكريم واضحة، وهو يسجّل لهم في اللقطة الأولى أنهم ﴿ أَشِدَآءُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ وَفَيْهُم اللَّهُ اللَّالِمُلَّا اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّه

وهم - فقط - إخوة دين. فهي الشدة لله، والرحمة لله. وهي الخمية للعقيدة، والسماحة للعقيدة، فليس لهم في أنفسهم شيء، ولا لأنفسهم فيهم شيء، وهم يقيمون عواطفهم ومشاعرهم، كما يقيمون سلوكهم وروابطهم على أساس عقيدتهم وحدها، يشتدون على أعدائهم فيها، ويلينون لإخوتهم فيها. قد تجردوا من الأنانية، ومن الهوى، ومن الانفعال لغير الله.

قال ابن جرير: «يقول ـ تَعَالَى ذكره ـ: فلا تضعفوا ـ أيها المؤمنون باللَّه ـ عن

جهاد المشركين وتجبنوا عن لقائهم.

عن مجاهد ﴿فَلَا تَهِنُواْ﴾؛ قال: لا تضعفوا. قال ابن زيد: لا تضعف أنت. ﴿وَلَدُّعُواْ إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعَلَوْنَ﴾؛ يقول: لا تضعفوا عنهم، وتدعوهم إلى الصلح والمسالمة وأنتم القاهرون لهم والعالون عليهم. ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ ﴾: واللَّه معكم بالنصر لكم عليهم.

قال قتادة في قوله: ﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى ٱلسَّلَمِ ﴾؛ قال: لا تكونوا أولى الطائفتين صرعت لصاحبتها ودعتها إلى الموادعة، وأنتم أولى بالله منهم، والله معكم.

﴿ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ ﴾ ؟ قال قتادة: أنتم أولى باللَّه منهم.

وقال مجاهد: الغالبون.

قال ابن زيد في قوله: ﴿ فَلَا تَهِنُواْ وَنَدَّعُواْ إِلَى السَّلِمِ وَالْتَعُ الْأَعْلَوْنَ ﴾: هذا منسوخ، قال: نسخه القتال والجهاد. يقول: لا تضعف أنت، وتدعوهم أنت إلى السلم وأنت الأعلى. قال: وهذا حين كانت العهود والهدنة فيما بينه وبين المشركين قبل أن يكون القتال. يقول: لا تهن فتضعف، فيرى أنك تدعو إلى السلم، وأنت فوقه وأعزَّ منه، ثم جاء القتال بعد فنسخ هذا أجمع، فأمره بجهادهم والغلظة عليهم.

وقد قيل: عنى بقوله: ﴿وَأَنتُهُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾: وأنتم الغالبون آخر الأمر وإن غلبوكم في بعض الحروب.

﴿ وَلَن يَتِرَكُّرُ أَعْمَلُكُمْ ﴾؛ قال ابن عباس: لن يظلمكم أجور أعمالكم. وقال مجاهد: لن ينقصكم، وعن قتادة مثله.

من قولهم: وترت الرجل إذا قتلت له قتيلًا، فأخذت له مالًا غصبًا (١٠).

<sup>(</sup>۱) تفسير ابن جرير (۲۶/۲۶).

#### 🗖 فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم:

هذا الذي يحذر المؤمنين إياه. وهذا التخدير يشي بوجود أفراد من المسلمين كانوا يستثقلون تكاليف الجهاد الطويل ومشقته الدائمة؛ وتهن عزائمهم دونه، ويرغبون في السلم والمهادنة؛ ليستريحوا من مشقة الحروب، وربما كان بعضهم ذوي قرابة ـ في المشركين ـ ورحم، أو ذوي مصالح وأموال؛ وكان هذا يجنح بهم إلى السلم والمهادنة، فالنفس البشرية هي؛ والتربية الإسلامية تعالج هذا الوهن وهذه الخواطر الفطرية بوسائلها، وقد نجحت نجاحًا خارقًا. ولكن هذا لا ينفي أن تكون هناك رواسب في بعض النفوس، وهذه الآية بعض العلاج لهذه الرواسب، فلننظر كيف كان القرآن يأخذ النفوس، فنحن في حاجة إلى تحري خطوات القرآن في التربية، والنفوس هي النفوس.

﴿ فَلَا نَهِنُواْ وَنَدْعُواْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُدُ ٱلْأَعْلَوْنَ ﴾.

أنتم الأعلون اعتقادًا وتصورًا للحياة، وأنتم الأعلون ارتباطًا وصلةً بالعلي الأعلى، وأنتم الأعلون شعورًا وخلقًا وسلوكًا.. الأعلى، وأنتم الأعلون شعورًا وخلقًا وسلوكًا.. ثم أنتم الأعلون قوة ومكانةً ونصرةً، فمعكم قوة الله ﴿وَاللّهُ مَعَكُم ﴾.. فلستم وحدكم.. إنكم في صحبة العليِّ الجبار، القادر القهّار، وهو لكم نصير، حاضر معكم، يدافع عنكم، فما يكون أعداؤكم هؤلاء والله معكم؟ وكل ما تبذلون، وكل ما تبذلون، وكل ما يصيبكم من تضحيات محسوب لكم، لا يضيع منه شيء عليكم.

﴿ وَلَن يَبِرَكُمُ أَعْمَلَكُمُ ﴾ .. لن يقطع منها شيئًا لا يصل إليكم أثره ونتيجته وجزاؤه.

فعلام يهن ويضعف ويدعو إلى السلم مَن يُقرِّر اللَّه ـ سبحانه ـ له أنه الأعلى، وأنه معه، وأنه لن يفقد شيئًا من عمله، فهو مكرم منصور مأجور؟ ﴿
فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُواْ إِلَى السَّلِمِ وَأَنتُكُ ٱلأَعْلَوْنَ﴾ .

وخذ معها: ﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَائِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّادِ وَخَدُ معها: ﴿ يَكُمُ غِلْظُمُّ ۚ وَالتوبة: ١٢٣].

إلى الذين يثقل ضغط الواقع الحاضر على أرواحهم وعقولهم، ويستكثرون على دينهم - الذي لا يدركون حقيقته - أن يكون منهجه الثابت في مواجهة البشرية كلها بواحدة من ثلاث: الإسلام، أو الجزية، أو القتال، وهم يرون جمع الكافرين كلهم يحاربون الإسلام ويناهضونه.

إلى الذين ينتسبون إلى الإسلام، وهم لا يدركون حقيقته، ولا يشعرون بها شعورًا جدِّيًّا، وهم ضعاف أمام جحافل أتباع الديانات الأخرى.

إلى أولئك الكتاب الذين يعمدون إلى ليِّ أعناق النصوص؛ ليؤولوها تأويلًا يتمشى مع ضغط الواقع وثقله.

إلى الذين يعمدون إلى النصوص المرحلية، فيجعلون منها نصوصًا نهائية، وإلى النصوص المقيدة بحالات خاصة، فيجعلون منها نصوصًا مطلقة الدلالة، حتى إذا وصلوا إلى النصوص النهائية المطلقة أوَّلوها وفق النصوص المقيدة المرحلية! وذلك كله كي يصلوا إلى أن الجهاد في الإسلام هو مجرد دفاع عن أشخاص المسلمين وعن دار الإسلام عندما تُهاجم! وأن الإسلام يتهالك على أَيِّ عَرْضٍ للمسالمة. والمسالمة معناها مجرد الكف عن مهاجمة دار الإسلام!

إن الإسلام في حسهم يتقوقع، أو يجب أن يتقوقع داخل حدوده ـ في كل وقت.

إلى الذين نسوا أن رسولنا بعث بالسيف.. وجعل رزقه تحت ظل رمحه.

إلى الذين نَسَوْا صوت المعركة؛ لميلهم إلى ظل الدعة الرقيق.. نذكرهم بهذا الصوت.. بالصهيل، والصليل، وغبار الحرب، والصوت المعركة» الذي قال فيه الشاعر:

# سَمِعْتُكَ تُوقِظُ الْمُؤْتَى،

وَترعشهُمْ..، وتَنُشُرهُمْ..، علَى خلَدِي!! وتَقرَعُ رَاحَتَاكَ الْبَابَ حوْل سكينةِ الأبَد!! تَدُقُّ. تَدُقُّ، حتَّى تُورق الأكفانُ بين يَدَيْكُ! وتنْزَعُ صَمْتَها أبديَّةٌ خرساءُ، ساحَتُها تَطيرُ إليْكُ! وتزرَعُ نفْسَها الأرواح، فوق جُذوع رابيةٍ بلا أغصانْ حدائقُها مسحرةٌ، تفوحُ بعطرها النّيرانْ! .. يُطلُّ بزَهْرها الشُّهداءُ، مِن ظمإ لنار صداك، وتصرُخُ آهةٌ للصبر هالعةٌ ليوم لقَاكْ!!

\* \* \*

أنا قبلَ أنْ أطَأَ الترابَ...، .. سمِعْتُ صوتكَ هادِرًا، كالموج، يصْرُخ في عروقي

.. وسمعتُ نَهْشَ صداكَ، وهُو يَشُبُّ كالإعصار، في أعماق ذاتي.. للتفجُّر والشُّروق! .. وسمعتُ دَقٌ يديكَ، في بابي المصفَّدِ بالْقيود، وبالسُّدود الضاربات على رحيقي! ... وسمعتُ خطَوكَ كالرياح، تُذيقُ صمتَ الذلِّ ما شاءَتْ، من الندم العميق! .. وسمعتُ كفَّكَ، تلطِمُ الوجهَ المكفَّن بالهدوء، على سفين في سلاسله غريق! ... وسمعتُ نارك في الفضاءِ، تذيق كلَّ صدىً سِوَاكَ، مجازرَ العدم السَّحيق؛ .. وسمعْتُ زَجْرَكَ لِلْهديل، يَقُصُّ نَوْحَ حمامَة، لسكينةِ الأقفاص جاثية الخُفوقِ! ... وسمعتُ جمرَكَ يلْسَعُ الأَيَّامَ، وهي تَسيرُ في خلَدي، مُطَفَأَةً البَريق! شوهاءً.. ثاكلة الوجود..،

تئنُّ ضاحكة..،

وترتعُ في الطريق.. بلا طريق! بكْمَاءَ، غافلَةَ السكونِ، تموت بين يديهِ،

وهي تعبُّ زَمْزَمَةَ الحريقِ!!

\* \* \*

.. زمجرْ على كبدي، على جَسَدِي، على جَسَدِي، على روحي المزنَّر ي خيالِكْ! .. واعصف على قلبي، على دربي، على وتري المصَفَّد في حِبالِك! .. وانْزِفْ لهيبَك، .. وانْزِفْ لهيبَك، في دمي، وعلى فَمي، والْشِعْلِك في اشتعالِك!!

\* \* \*

من الله، أنت! من الروح، أنت! ومن كل صمت يُنادي صَداكْ وفي كل صوتٍ أبيٍّ أراكْ

وأسمع في كل شيءٍ مَداكْ.. فأسمعه في دمي ثورةً للضياءُ من النار والثار تشعلُ فجرَ الإباءُ وفى خَلَدي نَبْضُهُ كاحتدام الرياحُ وكالعاصف المنبري لاختراق البطاح .. وفي كبد، ماردٌ عبقريُّ الجناح يشدُّ من الليل نور الصَّباحُ .. ويزأر بالثَّأر تحت العروقُ ليَسْتَلُّ منها ضياء الشروق .. وفي خطوتي درب عمر جديدٌ وفي نظرتي صحوة للوجودْ.. تُنفِّضُ عنه غبارَ الليالي السحيقَهُ وتمضى به في هدير الحقيقةُ جبيني جديڈ ووجهى جديڈ وإيماء عيني.. جديدٌ وإصغاء سمعي.. جديدٌ وذاتى شواظً على جلدها المستضام القديمُ وكِبْرٌ من النور يسطع تحت الأديمُ ينوِّر ليل الكهوف الضريرَهُ ويلسعُ كلُّ بقايا الكرَى في السَّريرَهُ ويُوقظُها كى تشُقَّ المصيرْ

وتوغلَ صامدةً في المسيرْ وأسمعُهُ طارقًا من حديث السماءْ يدقُ على كل باب بأعتى النداء..

... ... ..

فمن صوت جبريل وهو يناجي «محمَّد» ومن رعشة الوحى وهو لهيبٌ ومَوْقِدْ ونار مجلَّجلةً من سماء الغيوبُ لمعركة الحق جاءت تشق الدروب وتزأر في كل ليل يتيم شليل الضياءُ وفى كل يأس ذبيح الأمانِ جريح الرجاءْ.. وفي كل قيْد.. على الذلِّ أغفى وغني حديدُهْ وفي كل غُلِّ. من القهر صلَّى عليه عبيدُهْ.. ومن عنكبُوتٍ على الغار أرخى الستُورَا بأوْهَى خيوطٍ، أدار الزمان، وأحيا الدهورا.. .. ومن (بدْر).. وهي تميمة كلِّ المعاركَ وصوْتُكَ فيها من الحق.. نازٌ تُشاركَ.. .. ومن كل خطو النبيّينَ فوق الصحاري وهُمْ يحصُدون الدجي، من وجوه الحيارَى.. من الله أنت! مِن الروح أنت! ترنُّمْ.. وجلجلْ وبالنور.. أقبلْ..

ولمَلَمْ زئيرَكَ من كلِّ ليلٍ توارَى بأرضِكْ ومن كل كأسٍ سَقَتها الضحايا.. فداءً لعرضِكْ ومن كل سيفٍ وضعنا مع البيد أنها شمسهْ ودرنا نَشاوَى بهالات شِعْرِ تُغَنَّى لبأسِهْ ترَّغْ.. وجلجل وبالنور.. أقبِلْ وهاتِ الخيولَ وهاتِ الخيولَ وهاتِ البيارقْ

وهات الصدَى من مزامير «طارقْ» وأيقظْ عموريَّةَ من كراها وذق نارها، واسقني من لظاها بقايا ضحاها

وخذ نغمةً من سماوات حِطَينَ، واخضِبْ نداءَكْ..

وأوغلْ مع الريح في كل أُفْقِ، وفَجُرْ إباءكْ..

ودُرْ بالعصور، وبوق النشور، على الهامِدين..

وأنشِبْ هديرك في كل كهفِ على الشَّامِتينْ ولا تخْشَ ليْلًا بغَفْلاتنا في نسَجنا ظلامهْ ورُحنا من الوهم نشكو دجاه ونَبكي خيامهْ ونحن الذين افترقنا فتُهنا ضياعًا بدربهْ

ودُسْنا بأقدامنا كل نورِ هدانا بركبهْ..

فكم صَحْوة للشعوب تردُّ من الموت صحو الحياةً!

وكم يقظة من رمادِ الزوال!

هي الفجر تخْضَرُ منهًا رُباهُ!

.. صَحَونا. ولا بد نسحق بالنور ليل الطريقُ ونصمد، حتى نردَّ من الليل ضوءَ الشروقُ فزمجرْ كما كنتَ،

حَتَّى تردَّ إباء السِّنين!

وشُقَّ الصدورَ،

وأضرمْ بها غفلَةَ الواقفِينْ!

وغَيَّرْ هوانا..

وغَيَّرْ رؤانا..

وأشعلْ منا ثورة لليقين

ولن يغسلَ العارَ...

.. إلَّا امتدادك في كل شَي!

ولن يُرْجعَ الثارْ!..

.. إلا انتفاضك في كل حَي!

ولن يرجعَ الدارَ

.. إلَّا اقتحامكَ ذلَّ الحليَّهُ!

ومحُوُكَ لليأسِ من كل روع غبيَّهُ؛ قصوتُكَ في كل روح حياه

وصوتك للنصر أثقى صلاه

فقاتلْ به في العروق دم اليائسينْ وأيْقظ به في الدماء رؤى الهامِدينْ وأعجِلْ به النصرَ للصامِدينْ ويوم نردُ الترابَ الحبيب لأقدامنا وصوتك بالنصر يجري نشيدًا لأيًّامِنا ستسمع من كل أفق أذانا يهز الشهُبْ ويخضرُ في الأرض لحن البطوله..

#### ومن الملائكة مقاتلون:

٦٨- قال - تَعَالَى -: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكَفِيكُمْ أَن يُمِدَكُمْ رَبُكُم بِثَلَنَةِ وَالنَّهِ مِّن الْمُلَتِهِكَةِ مُعْزَلِينَ ﴿ بَلَقَ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَقُواْ وَيَأْتُوكُم مِن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدُكُمْ رَبُكُم مِحْمَسَةِ ءَالنفِ مِّن الْمُلَتَهِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَيْمُ وَلِنَّامَ مِعْمَسَةِ ءَالنفِ مِّن الْمُلَتَهِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِنَظْمَ إِنَّهُ وَمَا النَّصَرُ إِلَّا مِن عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْمُكَكِيمِ ﴿ لِيلَّا مِن عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْمُكَكِيمِ ﴿ لِيلَّا مِن عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْمُكَكِيمِ ﴿ لِيلَّا لَهُ لَيْكُمْ وَلِيطُعَ لَي اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْدِ اللَّهُ عَمْران: ١٢٤٤ عَمران: ١٢٤٤].

قال ابن كثير في تفسيره: «اختلف المفسرون في هذا الوعد: هل كان يوم «بدر» أو يوم «أحد»؟

على قولين:

أحدهما: أن قوله: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ متعلق بقوله: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَّكُمُ ٱللَّهُ اللَّهُ مِبْدَرِ﴾ [آل عمران: ٢٣]، وروي هذا عن الحسن البصري، وعامر الشعبي،

<sup>(</sup>١) قصيدة «صوت المعركة»، محمود حسن إسماعيل من ديوانه «صلاة ورفض» ص (١٥٤١ ـ ١٥٥٤) من الأعمال الكاملة، محمود حسن إسماعيل ـ دار سعاد الصباح.

والربيع بن أنس، وغيرهم، واختاره ابن جرير.

قال الحسن: هذا يوم بدر(١).

عن عامر الشعبي أن المسلمين بلغهم يوم بدر أن كرز بن جابر يمدُّ المشركين، فشَقَّ ذلك عليهم، فأنزل اللَّه - تَعَالَى -: ﴿ أَلَن يَكُفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَثَةِ عَالَىٰ مِن اللَّه مُنزَلِينَ ﴾ إلى قوله: ﴿ مُسَوِّمِينَ ﴾ . قال: فبلغت كرزًا الهزيمة، فلم يمد المشركين، ولم يمد اللَّه المسلمين بالخمسة.

وقال الربيع بن أنس: أمد الله المسلمين بألف، ثم صاروا ثلاثة آلاف، ثم صاروا خمسة آلاف.

فإن قيل: فما الجمع بين هذه الآية على هذا القول، وبين قوله في قصة بدر: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمُ فَأَسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَكَيِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ إلى قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزُ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٩، ١٠]؟

فالجواب أن: التنصيص على الأُلْفِ هاهنا لا ينافي الثلاثة آلاف فما فوقها؛ لقوله: ﴿مُرَدِفِيرِ ﴾؛ بمعنى: يردفهم غيرهم، ويتبعهم ألوف أخر مثلهم. وهذا السياق شبيه بهذا السياق في سورة آل عمران، فالظاهر أن ذلك كان يوم «بدر»، كما هو المعروف من أن قتال الملائكة إنما كان يوم «بدر». واللَّه أعلم.

وقال قتادة: أمدَّ اللَّه المسلمين يوم «بدر» بخمسة آلاف.

القول الثاني: أن هذا الوعد متعلق بقوله: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنَ أَهَلِكَ تُبُوِّئُ اللَّهُ وَمِنِ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ﴾ ، وذلك يوم «أحد»؛ وهو قول مجاهد، وعكرمة، والضحاك، والزهري، وموسى بن عقبة، وغيرهم، لكن قالوا: لم يحصل الإمداد بالخمسة الآلاف؛ لأن المسلمين فروا يومئذ. زاد عكرمة: ولا بالثلاثة الآلاف؛ لقوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿ بَلَيَ ۖ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَقُونَ ﴾ ، فلم يصبروا، بل فروا؛ فلم يمدوا بملك

<sup>(</sup>١) تفسير ابن أبي حاتم (١٩/٢ه) رقم (١٣٤٧)، وابن جرير (١٧٤/٧) رقم (١٧٤٥).

واحد.

﴿ مُسَوِّمِينَ ﴾ ؟ أي: معلمين ـ بالسيما.

عن علي بن أبي طالب ضي قال: كان سيما الملائكة يوم «بدر» الصوف الأبيض؛ وكان سيماهم ـ أيضًا ـ في نواصى خيولهم(١).

وقال مجاهد: ﴿ مُسَوِّمِينَ ﴾ ؟ أي: محدقة أعرافها، معلمة نواصيها بالصوف الأبيض في أذناب الخيل.

وقال قتادة وعكرمة: ﴿ مُسَوِّمِينَ ﴾ ؟ أي: بسيما القتال. وقال مكحول: مسوِّمين بالعمائم.

قال ابن عباس: كانت سيما الملائكة يوم «بدر» عمائم بيض، قد أرسلوها في ظهورهم، ويوم «حنين» عمائم حمر، ولم تضرب الملائكة في يوم سوى يوم «بدر»، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عددًا ومددًا لا يضربون .

وعن يحيى بن عباد: أن الزبيرضِّ ، كان عليه يوم «بدر» عمامة صفراء معتجرًا بها، فنزلت الملائكة عليهم عمائم صفر "،

﴿ وَمَا ٱلنَّصَٰرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ ؛ أي: هو ذو العزة التي لا ترام، والحكمة في قَدَرِهِ والأحكام.

<sup>(</sup>۱) **إسناده صحيح**: أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (۲۰/۲) رقم (۱۳٥٠).

<sup>(</sup>٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣٨٩/١١) رقم (٢٠٨٥).

<sup>(</sup>٣) إسناده صحيح: أُخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/٢٨) رقم (١٣٧٤)، وأخرجه الطبري في «تفسيره» (١٨٨/٧) رقم (١٨٨/٧) بإسناد حسن.

ثم قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ لِيَقَطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا ﴾ ؛ أي: أمركم بالجهاد؛ لما له في ذلك من الحكمة في كل تقدير، ولهذا ذكر جميع الأقسام الممكنة في الكفار، فقال: ﴿ لِيَقَطَعَ طَرَفَا ﴾ ؛ أي: ليهلك أمة من الذين كفروا. ﴿ أَوْ يَكِيّمَ هُمْ ﴾ أي: يخزيهم ويردهم بغيظهم لما لم ينالوا منكم ما أرادوا؛ ولهذا قال: ﴿ أَوْ يَكْمِتَهُمْ فَينَقَلِبُوا ﴾ ؛ أي: يرجعوا. ﴿ فَإِينِ هَا لَي يحصلوا على ما أمَّلوا ». اه(١).

79- قال - تَعَالَى -: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمُكَتَهِكَةِ مُرِّدِفِينَ لِهِ عُلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَهِنَّ بِهِ عُلُوبُكُمُ وَمَا اللَّمُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَهِنَّ بِهِ عُلُوبُكُمُ وَمَا اللَّمُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَظْمَهِنَّ بِهِ عُلُوبُكُمُ وَمَا النَّصَرُ إِلَا مِنْ عِندِ اللَّهُ إِنَّ اللَّهُ عَزِيزُ حَكِيمُ ﴿ ﴾ [الأنفال: ٩، ١٠]. النَّصَرُ إِلَا مِنْ عِندِ اللَّهُ إِنَّ اللَّهُ عَزِيزُ حَكِيمُ ﴿ اللَّهُ إِلَا مِنْ عِندِ اللَّهُ إِنَّ اللَّهُ عَزِيزُ حَكِيمُ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ إِلَىٰ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللِهُ اللَّهُ اللِهُ اللَّهُ الللّهُ اللَّهُ الللّهُ اللَّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّه

عن عمر بن الخطاب على المشركين فإذا هم ألف وزيادة، فاستقبل النبي على أصحابه، وهم ثلاث مئة ونيف، ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة، فاستقبل النبي على القبلة، ثم مدَّ يديه وعليه رداؤه وإزاره، ثم قال: «اللهم، أين ما وعدتني. اللهم، أنجز لي ما وعدتني. اللهم، إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تعبد في الأرض أبدًا». قال: فما زال يستغيث ربه ويدعوه حتى سقط رداؤه، فأتاه أبو بكر، فأخذ رداءه فردًاه، فألبسه، ثم التزمه من ورائه، ثم قال: يا نبي الله؛ كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله على الله؛ كفاك مناشدتك فأستَجَابَ لَكُمْ أَنِي مُمِدُّكُم بِأَلْفِ مِّن المَكتم كَوْ مُرْدِفِين فَلَى الله على من ورائه، ثم سبعون رجلًا، وأسر منهم سبعون رجلًا، وأسر منهم سبعون رجلًا، وأسر منهم سبعون رجلًا، وأسر منهم سبعون

كَتَائِبُ النَّصْرِ مِلْءَ الْجُوِّ تَنْتَظِمُ وَأَنْتَ أَعْلَمُوا وَأَنْتَ أَعْلَمُ الْأَلَى ظُلِمُوا

دَعَا فَمَاجَتْ سَمَاءُ اللَّهِ وَانْطَلَقَتْ لَاهُمَّ غَوْثَكَ إِنَّ الْحَقَّ مَطْلَبْنَا

<sup>(</sup>۱) تفسير ابن كثير (۱۷٤/۳ ـ ۱۷۸).

<sup>(</sup>۲) رواه أحمد في «المسند» (۳۰/۱)، ومسلم برقم (۱۷٦۳)، وأبو داود برقم (۲٦٩٠)، والترمذي برقم (۳۰۸۱)، وابن جرير (۲۰۷۳٤/۱۳).

تِلْكَ الْعِصَابَةُ مَا لِلَّهِ إِنْ هَلَكَتْ جَاءَ الْغِيَاتُ فَدِينُ اللَّهِ مُنْتَصِرٌ ولله در القائل:

وَضَجَّ رَسُولُ اللَّهِ يَدْعُو إِلَهَهُ

تَنَزَّلَ يُزْجِي النَّصْرَ تَنْسَابُ مِنْ عَلِ

أَحَيْزُومُ أَقْدِمْ إِنَّهُ الْجِدُّ لَنْ يُرَى

هُوَ اللَّهُ يَحْمِي دِينَهُ وَيُعِزَّهُ

هُوَ اللَّهُ يَحْمِي دِينَهُ وَيُعِزَّهُ

هُو بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَكَتِهِكَةِ مُرْدِفِينَ

فَيَالَكَ مِنْ جُنْدِ طَوَى الْجُوَّ جَافِلُهُ شَآبِيبُهُ نُورًا وَيَنْهَلُّ وَابِلُهُ (١) سِوَاهُ عَدُوِّ كَاذِبٌ الْبَأْسِ هَازِلُهُ فَمَنْ ذَا يُتَاوِيهِ (٢)؟ وَمَنْ ذَا يُصَاوِلُهُ؟

في الْأَرْض مِنْ عَابِدِ لِلْحَقِّ يَلْتَرْمُ

عَالِي اللُّوَاءِ وَدِينُ الشَّرْكِ مُنْهَزمُ

﴿ بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَتَهِكَةِ مُرَّدِفِينَ ﴾؛ أي: يردف بعضهم بعضًا.

قال ابن عباس: متتابعين.

ويحتمل أن المراد ﴿ مُرَّدِفِينَ ﴾ لكم؛ أي: نجدة لكم، كما قال العوفي عن ابن عباس: ﴿ مُرَّدِفِينَ ﴾: المدد. كذا قال مجاهد، وابن كثير القارئ، وابن زيد عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس؛ قال: وأمد الله نبيه على والمؤمنين بألف من الملائكة، فكان جبريل في خمس مئة من الملائكة مُجَنِّبة، وميكائيل في خمس مئة من الملائكة مُجَنِّبة، وميكائيل في خمس مئة من الملائكة مُجَنِّبة،

عن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: بينا رجل من المسلمين يشتد في إثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول: «أقدم حيزوم». إذ نظر إلى المشرك أمامه، فخرَّ مستلقيًا، قال: فنظر إليه، فإذا هو قد خطم أنفه، وشق وجهه كضربة السوط، فاخضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري، فحدَّث ذلك رسول اللَّه عَلِيُّ، فقال: «صدقت، ذلك مدد من السماء الثالثة». فقتلوا يومئذ سبعين، وأسروا سبعين».

<sup>(</sup>١) الشآبيب: الدفعات من المطر، جمع شؤبوب. والوابل: المطر الشديد.

<sup>(</sup>٢) ناوأه: عاده.

<sup>(</sup>٣) أخرجه ابن جرير (١٥٧٣٤/١٢)، وهو عند مسلم في الجهاد والسير برقم (١٧٦٣).

عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزرقى عن أبيه ـ وكان أبوه من أهل «بدر» ـ قال: جاء جبريل إلى النبي على فقال: «ما تعدون أهل بدر فيكم؟» قال: «من أفضل المسلمين»، أو كلمة نحوها، قال: «وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة»(١).

وبلفظ آخر: «جاء جبريل فقال: ما تعدون من شهد بدرًا فيكم؟ قلت: خيارُنا، قال: وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة هم عندنا خيار الملائكة»(٢).

حَيُوا الْلَائِكَةَ الْأَبْرَارَ يَقْدُهُهُمْ جِبْرِيلُ فِي غَمَرَاتِ الْهَوْلِ يَقْتَحِمُ الْأَرْضُ تَوْجُفُ رُعْبًا وَالسَّمَاءُ بِهَا غَيْظٌ يَظَلُ عَلَى الْكُفَّارِ يَحْتَدِمُ الْأَرْضُ تَوْجُفُ رُعْبًا وَالسَّمَاءُ بِهَا غَيْظٌ يَظَلُ عَلَى الْكُفَّارِ يَحْتَدِمُ فَوْوَمَا جَعَلَهُ اللهُ بعث الملائكة وإعلامه إياكم بهم إلا بشرى، ﴿ وَلِيَظَمَ إِنَّ بِهِ عَلُوبُكُمْ ﴾ وإلا فهو - تَعَالَى - قادر على نصركم على أعدائكم بدون ذلك؛ ولهذا قال: ﴿ وَمَا النَّصُرُ إِلَا مِنْ عِندِ اللّهِ ﴾ كما قال - تَعَالَى -: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ اللّهِ فَ كَفُرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَى إِذَا أَثَعْنَتُمُوهُمْ فَشُدُّوا اللّهِ فَالَ وَلَوْ يَشَاءُ اللّهُ لَانْضَرَ مِنْهُمْ الْوَيَانَ فَإِمَا مِنْ عَنْ وَلَوْ يَشَاءُ اللّهِ فَلَى يُولِقُ فَلَا اللّهِ فَلَى يُطِقًا أَعْمَلُهُمْ ﴿ مَنْ اللّهِ فَلَى يُضِلُ أَعْمَلُهُمْ اللّهِ مَنْ يَعْفِ وَلَقِيمَ اللّهِ فَلَى يُضِلّ أَعْمَلُهُمْ اللّهُ سَيَهِ مِعْمِ وَلَيْ يَعْفُ وَلَا لِيَهِ فَلَى يُضِلّ أَعْمَلُهُمْ اللّهُ سَيَهِ مِعْمِ وَلَيْكِنَ لِيَبْلُوا بَعْضَكُمُ مِبْعُضٍ وَالّذِينَ قُلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَلَى يُضِلّ أَعْمَلُهُمْ اللّهُ سَيَهِ مِهُ وَلَيْكُ وَلَوْ يَشَاءُ اللّهُ مَنْ اللّهُ فَلَى يُضِلّ أَعْمَلُهُمْ اللّهُ مَنْ يُعْفِلُ وَيُعْمَلُكُمْ اللّهُ وَلَا لَهُ اللّهُ مَا اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ عَلَى الللّهُ الللّهُ الللهُ وَلَكَ يُطَلّمُ اللّهُ مَا اللّهُ مَلْ الللهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللهُ اللّهُ وَلَا يَعْمَلُكُ مُ اللّهُ وَلَيْ يَسَاعُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ فَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ الللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللهُ الللهُ اللهُ اللهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللهُ اللهُ اللهُ الللهُ اللهُ الللهُ اللهُ الللهُ اللهُ اللللهُ اللهُ اللهُ اللهُ الللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ ا

وقال: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءً وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّلِمِينَ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَفِرِينَ ﴿ وَآلَ عَمْرانَ: ١٤٠، ١٤٠].

فهذه حِكَمٌ شَرَعَ اللهُ جهادَ الكفار بأيدي المؤمنين لأجلها. وقد كان ـ تَعَالَى ـ إنما يعاقب الأمم السالفة المكذبة للأنبياء بالقوارع التي تعم تلك الأمة المكذبة، كما أهلك قوم نوح بالطوفان، وعادًا الأولى بالدبور، وثمود بالصيحة، وقوم لوط

<sup>(</sup>١) رواه البخاري ـ كتاب المغازي ـ باب شهود الملائكة بدرًا رقم (٣٩٩٢).

<sup>(</sup>٢)رواه أحمد والبخاري وابن ماجه عن رفاعة بن رافع الزرقي، وأخرجه أحمد وابن ماجه وابن حبان عن رافع بن خديج.

بالخسف والقلب وحجارة السجيل، وقوم شعيب بيوم الظلة، فلما بعث الله ـ تَعَالَى ـ موسى، وأهلك عدوه فرعون وقومه بالغرق في اليم، ثم أنزل على موسى التوراة شرع فيها قتال الكفار، واستمر الحكم في بقية الشرائع بعده على ذلك، كما قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ وَلَقَدْ ءَانْيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَبُ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكُنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَعَدِ مَا أَهْلَكُنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَعَدِ مَا أَهْلَكُنَا الْقُرُونَ اللهِ الْقُلُولَ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ ال

وقتل المؤمنين للكافرين أشد إهانة للكافرين، وأشفى لصدور المؤمنين، كما قال ـ تَعَالَى ـ للمؤمنين من هذه الأمة: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمُ وَيَضُرَّكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمِ مُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ١٤].

﴿ حَكِيمُ ﴾: فيما شرعه من قتال الكفار مع القدرة على دمارهم وإهلاكهم بحوله وقدرته ـ سبحانه وتعالى ـ »(٢).

<sup>(</sup>١) العدسة: هي بثرة تشبه العدسة تخرج في مواضع من الجسد، من جنس الطاعون، تقتل صاحبها غالبًا. انظر: النهاية، لابن الاثير (١٩٠/٣).

<sup>(</sup>۲) تفسير ابن كثير (۲۱/۷ ـ ۲۹).

٧٠ قال - تَعَالَى -: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَكَيْمِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَيْتُوا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوأَ سَأَلَقِى فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ ٱلأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمَ صَأْلَةِي فِي قُلُوبِ ٱللَّنْفال: ١٢].

قال الإمام ابن كثير: «هذه نعمة خفية، أظهرها الله ـ تَعَالَى ـ لهم؛ ليشكروه عليها، وهو أنه ـ تَعَالَى وتقدَّس وتبارك وتمجَّد ـ أوحى إلى الملائكة الذين أنزلهم لنصر نبيه ودينه وحزبه المؤمنين، يوحي إليهم فيما بينه وبينهم أن يثبتوا الذين آمنوا.

قال ابن إسحاق: وازروهم. وقال غيره: قاتلوا معهم. وقيل: كثّروا سوارهم. وقيل: كان ذلك بأن الملك كان يأتي الرجل من أصحاب النبي على يقول: سمعتُ هؤلاء القوم ـ يعني: المشركين ـ يقولون: واللَّه لئن حملوا علينا لننكشفن، فيحدث المسلمون بعضهم بعضًا بذلك، فتقوى أنفسهم. حكاه ابن جرير، وهذا لفظه بحروفه.

وقوله: ﴿ سَأُلِقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ ﴾ ؛ أي: ثبتوا أنتم المسلمين، وقووا أنفسهم على أعدائهم، عن أمري لكم بذلك، سألقي الرعب والمذلة والصغار على من خالف أمري، وكذَّب رسولي، ﴿ فَأَضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُواْ مِنْهُمُ صَكُلَّ بَنَانِ ﴾ ؛ أي: اضربوا الهام فافلقوها، واحتزوا الرقاب فقطعوها، وقطعوا الأطراف منهم، وهي أيديهم وأرجلهم.

وقد اختلف المفسرون في معنى ﴿فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾ ؛ فقيل: معناه اضربوا الرءوس. قاله عكرمة.

وقيل: معناه: ﴿فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ ﴾ أي: على الأعناق، وهي الرقاب، قاله الضحاك، ويشهد لهذا المعنى أن الله ـ تَعَالَى ـ أرشد المؤمنين إلى هذا في قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرَّبَ ٱلرِّقَابِ حَقَّنَ إِذَا أَنْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا ٱلْوَثَاقَ ﴾ [محمد:

واختار ابن جرير أنها تدل على ضرب الرقاب وفلق الهام.

وقال الربيع بن أنس: كان الناس يوم «بدر» يعرفون قتلى الملائكة ممن قتلوهم، بضرب فوق الأعناق وعلى البنان، مثل سمة النار قد أُحرق به.

وقوله: ﴿ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمُ كُلَ بَنَانِ ﴾؛ قال ابن جرير: معناه: واضربوا من عدوكم ـ أيها المؤمنون ـ كل طرف ومفصل، من أطراف أيديهم وأرجلهم. والبنان: جمع بنانة.

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿وَاَضْرِيُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانِ﴾؛ يعني بالبنان: الأطراف، وكذا قال الضحاك، وابن جريج.

وقال عكرمة، وعطية العوفي، والضحاك: كل مفصل.

وقال الأوزاعي: ﴿وَأَضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَ بَنَانِ۞: اضرب منه الوجه والعين، وارمه بشهاب من نار، فإذا أخذته حرم ذلك كله عليك.

ولله در القائل:

اللَّه أَرْسَلَ فِي السَّحَابِ كَتِيبَةً تَهِوِي مُجَلْجِلَةً تَلَهَّبُ أَعْيُنَّ لِلْخَيْلِ حَمْحَمَةٌ تُرَاعُ لِهَوْلِهَا

تَهْفُو كَمَا هَفَتِ الْبُرُوقُ اللَّمَّحُ (٢) مِنْهَا وتَقْذِفُ بِالْعَوَاصِفِ أَجْنُحُ (٣) صِيدُ الفَوَارِسِ والعِتَاقُ القُرَّحُ (٤)

(٣) مجلجلة: مرعدة. أجنح: جمع جناح.

<sup>(</sup>١) تفسير ابن كثير (٣٢/٧ ـ ٣٤).

<sup>(</sup>٢) الكتيبة: القطعة من الجيش. تهفو: تسرع.

<sup>(</sup>٤) القارح من الخيل: الذي شق نابه وطلع.

حَيزُومُ أَقِدمُ إِنَّمَا هِيَ كَرَّةً جِبْرِيلُ يَضْرِبُ وَالْلَائِكُ حَوْلَهُ تِلْكَ الْحُصُونُ الْمَانِعَاتُ بِمِثْلِهَا لِلقوم من أعناقهم وبنائهم جَفَّتُ جُذُورُ الْجَاهِلَيَّةِ وَالْتَوَى طَفِقَ الثَّرَى مِنْ حَوْلِهَا لَمَّ ارْتَوَى وَمِنَ الدَّم الْمَسْفُوح رِجْسٌ مُوبِقٌ وَمِنَ الدَّم الْمَسْفُوح رِجْسٌ مُوبِقٌ وَمِنَ الدَّم الْمَسْفُوح رِجْسٌ مُوبِقٌ

عَجُلَى تُجَاذِبُكَ الْعِنَانَ فَتَمْرَحُ (')
صَفِّ تُرَضُّ بِهِ الصَّفُوفُ وَتُرْضَحُ ('')
تذري المعاقل والحصون وتذرح ("')
نَارٌ تُرِيكَ الدَّاءُ كَيْفَ يُبَرِّحُ ('')
هَذَا النَّبَاتُ النَّاضِرُ الْمُسْتَرِشِحُ ('')
مِنْ ذَوْبِ مُهْجَتِهَا يَجِفُ وَيَعْلَحُ ('')
وَمُطَهَرٌ يَلِدُ الْحَيَاة وَيَلقَحُ ('')

### 🗖 النصر من عند الله والمنة والفضل له:

٧١ قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ أَنَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَةً ۚ فَٱتَّقُواْ أَنَّهَ لَعَلَكُمْ مَشَكُرُونَ
 [آل عمران: ١٢٣].

﴿ وَأَنتُمْ أَذِلَةً ﴾؛ أي: قليل عدد كم؛ لتعلموا أن النصر إنما هو عند الله، لا بكثرة العدد والعُدد، ولهذا قال ـ تَعَالَى ـ في الآية الأخرى: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنِ إِذَ أَعْجَبَنَّكُمُ كُرُنّكُمُ فَكُمْ تُعَنِّنِ عَنكُمُ شَيًّا ﴾ إلى ﴿ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ٢٥ - ٢٧]. عن عياض الأشعري قال: شهدت «اليرموك» وعلينا خمسة أمراء: أبو عبيدة، ويزيد بن أبي سفيان، وابن حسنة، وخالد بن الوليد، وعياض ـ وليس عياض هذا الذي حدث ـ قال: وقال عمر ﷺ إذا كان قتالًا فعليكم أبو عبيدة. قال: فكتبنا إليه أنه: قد جاش إلينا الموت.

<sup>(</sup>١) حيزوم: اسم فرس جبريل.

<sup>(</sup>۲) ترضح: تكسر.

<sup>(</sup>٣) تذري وتذرح بمعنّي.

<sup>(</sup>٤) المبرح: المؤلم.

<sup>(</sup>٥) استرشح النبات: طال.

<sup>(</sup>٦)يىلح: ييبس.

<sup>(</sup>٧) موبق: مهلك.

واستمددناه، فكتب إلينا: إنه قد جاءني كتابكم تستمدونني، وإني لأدلكم على من هو أعزُّ نصرًا، وأحصن جندًا، اللَّه فَجَالَ، فاستنصروه، فإن محمدًا وَاللَّهِ تُصِر في يوم «بدر» في أقل من عدتكم، فإذا جاءكم كتابي هذا فقاتلوهم، ولا تراجعوني.

قال: فقاتلناهم فهزمناهم أربعة فراسخ...»(١).

### 🗖 وما رميت إذ رميت:

٧٧ قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَ اللَّهَ قَالَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَ اللَّهَ سَمِيعُ عَلِيمٌ ﴿ وَلَكِنَ اللَّهَ سَمِيعُ عَلِيمٌ ﴿ قَالَكُمْ وَلَكِكَ اللَّهَ سَمِيعُ عَلِيمٌ ﴿ قَالَكُمْ وَلَكِكَ اللَّهَ سَمِيعُ عَلِيمٌ ﴿ قَالَكُمْ وَأَنَ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَفِرِينَ ﴿ قَالَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيمٌ ﴿ وَالْأَنْفَالَ: ١٧، ١٨].

قال الإمام ابن كثير - رحمه الله -: «يبين - تَعَالَى - أنه خالق أفعال العباد، وأنه المحمود على جميع ما صدر عنهم من خير؛ لأنه هو الذي وفقهم لذلك، وأعانهم عليه، ولهذا قال: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَ اللّهَ قَنْلَهُمْ ﴾؛ أي: ليس بحولكم وقوتكم عليه، ولهذا قال: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَ اللّهَ قَنْلَهُمْ أي: بل هو الذي أظفركم عليهم، كما قتلتم أعداءكم، مع كثرة عددهم وقلة عددكم؛ أي: بل هو الذي أظفركم عليهم، كما قال: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِي مَواطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَينٍ عَمران: ١٢٣]، وقال - تَعَالَى -: ﴿لَقَدُ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِي مَواطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَينٍ عَمران: ٢٣]، وقال - تَعَالَى -: ﴿لَقَدُ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِي مَواطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَينٍ وَرَحُونَ فِي مَواطِنَ كَثِيرَةً وَيَوْمَ حُنَينٍ عَنكُمْ اللّهُ فِي مَواطِنَ كَثِيرَةً وَيَوْمَ حُنَينٍ وَلَقَ مَن فِي عَلَى -، كما قال - رَحُبَتُ مُمْ وَلَيْ اللّهِ وَاللّه مَن فِي وَاللّه والمُعَدَى، وإنما النصر من عند اللّه - تَعَالَى -، كما قال - عن كثرة العدد، ولا بلبس اللأمة والعُدَد، وإنما النصر من عند اللّه - تَعَالَى -، كما قال - الصّريرينَ والبقرة: ١٤٤٩].

<sup>(</sup>١) إسناده حسن: أخرجه أحمد في «مسنده» (٤٩/١)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٣/١١): ٥٥/ الإحسان) رقم (٤٧٦٦)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢١٦/٦): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

ثم قال ـ تَعَالَى ـ لنبيه عَلَيْ أيضًا - في شأن القبضة من التراب، التي حصب بها وجوه المشركين يوم «بدر»، حين خرج من التراب ـ التي حصب بها وجوه المشركين يوم بدر ـ خين خرج من العريش، بعد دعائه وتضرعه واستكانته، فرماهم بها، وقال: «شاهت الوجوه»، ثم أمر أصحابه أن يصدقوا الحملة إثرها ففعلوا، فأوصل الله تلك الحصباء إلى أعين المشركين، فلم يبق أحد منهم إلا ناله منها ما شغله عن حاله! ولهذا قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِكِ اللهَ اللهَ منها ما رُمَيْ بُ أي: هو الذي بلّغ ذلك إليهم وكبتهم بها، لا أنت.

عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: رفع رسول اللَّه عَلَيْ يديه ـ يعني يوم بدر ـ فقال: «يا رب إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض أبدًا». فقال له جبريل: خذ قبضة من التراب، فارم بها في وجوههم، فأخذ قبضة من التراب، فرمى بها في وجوههم، فما من المشركين أحد إلا أصاب عينيه ومنخريه وفمه تراب من تلك القبضة، فولوا مدبرين.

وقد روى في هذه القصة عن عروة بن الزبير، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، وغير واحد من الأئمة أنها نزلت في رمية النبي ﷺ يوم بدر، وإن كان قد فعل ذلك يوم «حنين» أيضًا.

عن حكيم بن حزام قال: لما كان يوم «بدر» سمعنا صوتًا من السماء، كأنه صوت حصاة وقعت في طست، ورمى رسول الله ﷺ تلك الرمية، فانهزمنا (١٠). ﴿ وَلِكُ بُلِي اللهُ عَلَيْكُ بِكُمْ عَلَمُ بُلَاءً حَسَنًا ﴾.

قال عروة بن الزبير: أي: ليعرِّف المؤمنين من نعمته عليهم، من إظهارهم على عددهم، مع كثرة عدوهم وقلة عددهم؛ ليعرفوا بلك حقه، ويشكروا بذلك نعمته. وهكذا فسَّر ذلك ابن جرير أيضًا.

<sup>(</sup>١) رواه الطبراني في ٥الكبير والأوسط»، وإسناده كما قال الهيثمي في «المجمع» (٨٤/٦) حسن.

وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾؛ أي: سميع الدعاء، عليم بمن يستحق النصر الغلب.

قوله: ﴿ ذَلِكُمْ وَأَنَ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَفِرِينَ ﴿ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَفِرِينَ اللَّهُ الكافرين فيما يستقبل، مصغّر أمرهم، وأنهم كل ما لهم في تبار ودمار، ولله الحمد والمنة (١٠).

هِيَ حِفْنَةٌ لِلْمُشْرِكِينَ مِنَ الْحَصَى خَفَّ الْوَقُورُ بِهَا وَطَاشَ المُوْجَحُ<sup>(۲)</sup>
مِثْلُ الثَّمِيلَةِ مِنْ مُجَاجَةِ نَافِثِ وَكَأَنَّمَا هِيَ صَيِّبٌ يَتَبَدَّحُ<sup>(۳)</sup>
قال الإمام ابن القيم: «اعتقد جماعة أن المراد بالآية: سَلْب فعل الرسول ﷺ،
وإضافته إلى الرب ـ تَعَالَى ـ.

وجعلوا ذلك أصلًا في الجبر، وإبطال نسبة الأفعال إلى العباد، وتحقيق نسبتها إلى الرب وحده. وهذا غلط منهم في فهم القرآن.

فلو صحَّ ذلك لوجب طرده في جميع الأفعال، فيُقال: ما صليت إذ صليت، وما صمت إذ صمت، وما ضحيت إذ ضحيت، ولا فعلت كل فعل إذ فعلته، ولكن الله فعل ذلك، فإن طردوا ذلك لزمهم في جميع أفعال العباد ـ طاعتهم ومعاصيهم ـ إذ لا فرق، فإن خصوه بالرسول و حده وأفعاله جميعها، أو رميه وحده؛ تناقضوا، فهؤلاء لم يوفقوا لفهم ما أريد بالآية.

وبعد، فهذه الآية نزلت في شأن رميه ﷺ المشركين يوم «بدر» بقبضة من

<sup>(</sup>١) تفسير ابن كثير (١٠/٧ ـ ٤٣).

<sup>(</sup>٢) المرجح: الحليم.

<sup>(</sup>٣) الثميلة: البقية. والصيب: المطر. وتبذح السحاب: أمطر.

<sup>(</sup>٤) صحيح: رواه ابن إسحاق (٢٧٠/٢)، والطبراني في «الكبير» (٢٠٣/٣) من حديث حكيم بن حزام، قال الهيثمي: (٨٤/٦): رواه الطبراني في «الكبير والأوسط»، وإسناده حسن. ورواه في «الكبير» أيضًا (٢٨٥/١) عن ابن عباس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ. قال الهيثمي (٨٤/٦): ورجاله رحال الصحيح. وَصَحُحَهُ الألباني كما في «فقه السيرة» ص (٢٣٩).

الحصباء، فلم تدع وجه أحد منهم إلا أصابته، ومعلوم أن تلك الرمية من البشر لا تبلغ هذا المبلغ.

فكان منه ﷺ مبدأ الرمي وهو الخذف، ومن الله ـ سبحانه وتعالى ـ نهايته، وهو الإيصال.

فأضاف إليه رمي الحذف الذي هو مبدؤه، ونفى عنه رمي الإيصال الذي هو نهايته، ونظير هذا قوله في الآية نفسها: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِرَ اللّهَ قَنْلَهُمْ . ثم قال: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِرَ اللّهَ رَمَى فأخبره أنه وحده هو الذي تفرّد بقتلهم، ولم يكن ذلك بكم أنتم، كما تفرّد بإيصال الحصى إلى أعينهم، ولم يكن ذلك من رسوله، ولكن وجه الإشارة بالآية أنه ـ سبحانه ـ أقام أسبابًا ظاهرة، كدفع المشركين، وتولى دفعهم وإهلاكهم، بأسباب باطنة غير الأسباب التي تظهر للناس، فكان ما حصل من الهزيمة والقتل والنصرة مضافًا إليه وبه، وهو خير الناصرين (۱).

وقال ابن القيم - أيضًا رحمه الله -: «وقد ظن طائفة من الناس أنَّ من هذا الباب قوله - تَعَالَى -: ﴿ فَلَمْ تَقَتُلُوهُمُ وَلَكِكُ ۖ اللَّهَ قَنْلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَاكِكِ ۖ اللَّهَ قَنْلَهُمْ وَلَاكِكِ اللّهَ وَمَا رَمَيْتُ إِذْ رَمَيْتُ وَلَاكِكِ اللَّهَ رَمَنْ ﴾ .

وجعلوا ذلك من أدلتهم على القدرية، ولم يفهموا مراد الآية.

وليست من هذا الباب، فإن هذا خطاب لهم في وقعة «بدر»، حيث أنزل الله عسبحانه ملائكته فقتلوا أعداءه، فلم يفرد المسلمون بقتلهم، بل قتلتهم الملائكة. وأما رميه على فقدوره، كان هو الخذف والإلقاء، وأما إيصال ما رمى به إلى وجوه العدو مع البعد، وإيصال ذلك إلى وجوه جميعهم فلم يكن من فعله، ولكن فعل الله وحده، فالرمي يراد به الخذف والإيصال، فأثبت له الخذف بقوله: ﴿إِذْ

<sup>(</sup>١) مدارج السالكين (٣/٤٢٦، ٤٢٧).

رَمَيْتَ﴾، ونفي عنه الإيصال بقوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾، (١).

فالبلاء الحسن هنا هو النعمة بالظفر والغنيمة والنصر على الأعداء، وليس من الابتلاء الذي هو الامتحان بالمكروه، بل من أبلاه بلاءً حسنًا إذا أنعم عليه. قال: أبلاك الله ولا ابتلاك، فأبلاه بالخير، وابتلاه بالمكاره، غالبًا ٢٠٠٠.

#### 🗖 متى نصر الله:

٧٣- قال - تَعَالَى -: ﴿ إِنَّ اللَّهُ يُدَافِعُ عَنِ اللَّذِينَ ءَامَنُوٓ أَ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانِ
 كَفُورٍ ۞ ﴾ [الحج: ٣٨].

قرأ ابن كثير، وأبو عمر، ويعقوب: ﴿يَدْفَعَ﴾، وقرأ الباقون: ﴿يُدَفِعُ﴾ (<sup>٣)</sup>
قال ابن كثير: «يخبر ـ تَعَالَى ـ أنه يدفع عن عباده الذين توكلوا عليه شر الأشرار
وكيد الفجار، ويحفظهم ويكلؤهم وينصرهم، كما قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿أَلِيْسَ اللّهُ
بِكَافٍ عَبْدَهُ ۚ ﴾ [الزمر: ٣٦]، وقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلُ عَلَى اللّهِ فَهُوَ حَسَّبُهُ ۚ إِنَّ اللّهَ بَلِغُ
أُمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق: ٣].

﴿ إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانِ كَفُورٍ ﴿ ... فقد ضمن للمؤمنين ـ إذن ـ أنه هو ـ تَعَالَى ـ يدافع عنهم. ومن يدافع الله عنه فهو ممنوع ـ حتمًا ـ من عدوه، ظاهر ـ حتمًا ـ على عدوه.. ففيم إذن يأذن لهم بالقتال؟ وفيم إذن يكتب عليهم الجهاد؟ وفيم إذن يقاتلون فيصيبهم القتل والجرح، والجهد والمشقة، والتضحية والآلام... والعاقبة معروفة، والله قادر على تحقيق العاقبة لهم بلا جهد، ولا مشقة، ولا تضحية ولا ألم، ولا قتل ولا قتال ولا قتال؟

والجواب: أن حكمة الله في هذا هي العليا، وأن لله الحجة البالغة.. والذي ندركه نحن البشر من تلك الحكمة، ويظهر لعقولنا ومداركنا من تجاربنا ومعارفنا

<sup>(</sup>١) شفاء العليل، لابن القيم ص (٩٥).

<sup>(</sup>٢) طريق الهجرتين، لابن القيم ص (٣٢٠).

<sup>(</sup>٣) القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة، لعلوي بن محمد بلفقيه.

أن الله ـ سبحانه ـ لم يرد أن يكون حَمَلَةُ دعوته وحُمَاتُهَا من «التنابلة» الكسالي، الذين يجلسون في استرخاء، ثم يتنزل عليهم نصره سهلًا هيئًا بلا عناء، لمجرد أنهم يقيمون الصلاة، ويرتلون القرآن، ويتوجهون إلى الله بالدعاء، كلما مسهم الأذى ووقع عليهم الاعتداء!

نعم، إنهم يجب أن يقيموا الصلاة، وأن يرتلوا القرآن، وأن يتوجهوا إلى الله بالدعاء في السراء والضراء. ولكن هذه العبادة وحدها لا تؤهلهم لحمل دعوة الله وحمايتها؛ إنما هي الزاد الذي يتزودونه للمعركة، والذخيرة التي يدخرونها للموقعة، والسلاح الذي يطمئنون إليه وهم يواجهون الباطل بمثل سلاحه، ويزيدون عنه سلاح التقوى والإيمان والاتصال بالله.

لقد شاء الله - تَعَالَى - أن يجعل دفاعه عن الذين آمنوا يتم عن طريقهم هم أنفسهم؛ كي يتم نضجهم هم في أثناء المعركة. فالبنية الإنسانية لا تستيقظ كل الطاقات - المذخورة فيها - كما تستيقظ وهي تواجه الخطر؛ وهي تدفع وتدافع، وهي تستجمع كل قوتها لتواجه القوة المهاجمة... عندئذ تتحفز كل خلية بكل ما أودع فيها من استعداد؛ لتؤدي دورها، ولتتساند مع الخلايا الأخرى في العمليات المشتركة، ولتؤتي أقصى ما تملكه، وتبذل آخر ما تنطوي عليه، وتصل إلى أكمل ما هو مقدور لها وما هي مهيأة له من الكمال.

والأمة التي تقوم على دعوة الله في حاجة إلى استيقاظ كل خلاياها، واحتشاد كل قواها، وتوفز كل استعدادها، وتجمع كل طاقاتها؛ كي يتم نموها، ويكمل نضجها، وتتهيأ بذلك لحمل الأمانة الضخمة والقيام عليها.

والنصر السريع لا يكلف عناء، والذي يتنزل هينًا لينًا على القاعدين المستريحين يعطل تلك الطاقات عن الظهور؛ لأنه لا يحفزها، ولا يدعوها.

وذلك فوق أن النصر السريع الهين اللين سهل فقدانه وضياعه؛ أولًا: لأنه رخيص الثمن، لم تبذل فيه تضحيات عزيزة. وثانيًا: لأن الذين نالوه لم تدرب

قواهم على الاحتفاظ به، ولم تشحذ طاقاتهم وتحشد لكسبه، فهي لا تتحفز ولا تحتشد للدفاع عنه.

وهناك التربية الوجدانية، والدربة العملية، تلك التي تنشأ من النصر والهزيمة، والكر والفر، والقوة والضعف، والتقدم والتقهقر، ومن المشاعر المصاحبة لها.. من الأمل والألم، ومن الفرح والغم، ومن الاطمئنان والقلق، ومن الشعور بالضعف والشعور بالقوة... ومعها التجمع والفناء في العقيدة والجماعة، والتنسيق بين الاتجاهات في ثنايا المعركة، وقبلها، وبعدها، وكشف نقط الضعف ونقط القوة، وتدبير الأمور في جميع الحالات.. وكلها ضرورية للأمة التي تحمل الدعوة وتقوم عليها وعلى الناس.

ومن أجل هذا كله، ومن أجل غيره مما يعلمه الله. جعل الله دفاعه عن الذين آمنوا يتم عن طريقهم هم أنفسهم، ولم يجعله «لقية» تهبط عليهم من السماء بلا عناء.

والنصر قد يبطئ على الذين ظُلِمُوا وأُخْرِجُوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا: ربنا الله، فيكون هذا الإبطاء لحكمة يريدها الله.

- قد يبطئ النصر؛ لأن بنية الأمة المؤمنة لم تنضج بعد نضجها، ولم يتم بعد تمامها، ولم تحشد بعد طاقاتها، ولم تتحفز كل خلية وتتجمع؛ لتعرف أقصى المذخور فيها من قوى واستعدادات. فلو نالت النصر حينئذ لفقدته وشيكًا؛ لعدم قدرتها على حمايته طويلًا!
- وقد يبطئ النصر حتى تبذل الأمة المؤمنة آخر ما في طوقها من قوة، وآخر ما
   تملكه من رصيد، فلا تستبقي عزيزًا ولا غاليًا لا تبذله هيئًا رخيصًا في سبيل الله.
- وقد يبطئ النصر حتى تجرب الأمة المؤمنة آخر قواها، فتدرك أن هذه القوة وحدها بدون سند من الله لا تكفل النصر. إنما يتنزل النصر من عند الله عندما تبذل آخر ما في طوقها ثم تكل الأمر بعدها إلى الله.

- وقد يبطئ النصر؛ لتزيد الأمة المؤمنة صلتها بالله، وهي تعاني وتتألم وتبذل، ولا تجد لها سندًا إلا الله، ولا متوجهًا إلا إليه وحده في الضراء. وهذه الصلة هي الضمانة الأولى لاستقامتها على النهج بعد النصر عندما يتأذن به الله. فلا تطغى، ولا تنحرف عن الحق والعدل والخير الذي نصرها به الله.
- وقد يبطئ النصر؛ لأن الأمة المؤمنة لم تتجرد بعد في كفاحها وبذلها وتضحياتها لله ولدعوته، فهي تقاتل لمعنم تحققه، أو تقاتل حمية لذاتها، أو تقاتل شجاعة أمام أعدائها. والله يريد أن يكون الجهاد له وحده، وفي سبيله؛ بريعًا من المشاعر الأخرى التي تلابسه. وقد سئل رسول الله عَلَيْنُ: الرجل يقاتل حمية، والرجل يقاتل ليركى. فأيها في سبيل الله؟ فقال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»(١).
- كما قد يبطئ النصر؛ لأن في الشر الذي تكافحه الأمة المؤمنة بقية من خير، يريد الله أن يجرد الشر منها؛ ليتمحض خالصًا، ويذهب وحده هالكًا، لا تتلبس به ذرة من خير تذهب في الغمار!
- وقد يبطئ النصر؛ لأن الباطل الذي تحاربه الأمة المؤمنة لم ينكشف زيفه للناس تمامًا. فلو غلبه المؤمنون حينئذ فقد يجد له أنصارًا من المخدوعين فيه، لم يقتنعوا بعد بفساده وضرورة زواله؛ فتظل له جذور في نفوس الأبرياء الذين لم تنكشف لهم الحقيقة. فيشاء الله أن يبقى الباطل حتى يتكشف عاريًا للناس، ويذهب غير مأسوف عليه من ذي بقية!

وقد يبطئ النصر؛ لأن البيئة لا تصلح بعد لاستقبال الحق والخير والعدل الذي تمثله الأمة المؤمنة. فلو انتصرت حينئذ للقيت معارضة من البيئة لا يستقر لها معها قرار؛ فيظل الصراع قائمًا حتى تتهيأ النفوس من حوله لاستقبال الحق الظافر،

<sup>(</sup>١) رواه الشيخان.

### ولاستبقائه!

من أجل هذا كله، ومن أجل غيره مما يعلمه الله، قد يبطئ النصر، فتتضاعف التضحيات، وتتضاعف الآلام، مع دفاع الله عن الذين آمنوا وتحقيق النصر لهم في النهاية.

وللنصر تكاليفه وأعباؤه حين يتأذن الله به بعد استيفاء أسبابه وأداء ثمنه، وتهيؤ الجو حوله لاستقباله واستبقائه: ﴿ وَلَيَنصُرُنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِئُ عَزِيزٌ اللَّذِينَ إِن مَّكَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ الصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ الزَّكُوةَ وَأَمَرُواْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَواْ عَنِ ٱلْمُنكِرُ وَلِلَّهِ عَلِقِبَةُ ٱلْأُمُورِ اللهِ.

فوعد اللَّه المؤكد لوثيق المتحقق الذي لا يتخلف هو أن ينصر من ينصره.. فمن هم هؤلاء الذين ينصرون الله، فيستحقون نصر الله، القوي العزيز الذي لا يهزم من يتولاه؟ إنهم هؤلاء:

وَالنَّذِينَ إِن مَّكُنَّكُهُمْ فِي الْأَرْضِ ... فحققنا لهم النصر، وثبتنا لهم الأمر.. وأقامُوا الصَّلَوة ... فعبدوا الله، ووثقوا صلتهم به، واتجهوا إليه طائعين خاضعين مستسلمين.. ووَالوُوا الرَّكَوة ... فأدوا حق المال، وانتصروا على شح النفس، وتطهروا من الحرص، وغلبوا وسوسة الشيطان، وسدوا خلة الجماعة، وكفلوا الضعاف فيها والمحاويج، وحققوا لها صفة الجسم الحي . كما قال رسول الله عَلَيْ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى». ﴿ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُونِ ... فدعوا إلى الخير والصلاح، ودفعوا إليه الناس.. ﴿ وَنَهَوْا عَنِ ٱلْمُنكُرُ ... فقاوموا الشر والفساد، وحققوا . بهذا وذاك . صفة الأمة المسلمة التي لا تُبقي على منكر وهي قادرة على تخقيقه.

هؤلاء هم الذين ينصرون الله، إذ هم ينصرون نهجه الذي أراده للناس في الحياة، معتزين بالله وحده دون سواه. وهؤلاء هم الذين يعدهم الله بالنصر على

وجه التحقيق واليقين. فهو النصر القائم على أسبابه ومقتضياته، المشروط بتكاليفه وأعبائه.. والأمر بعد ذلك لله، يصرفه كيف يشاء، فيبدل الهزيمة نصرًا، والنصر هزيمة، عندما تختل القوائم، أو تهمل التكاليف ﴿ وَلِلَّهِ عَاقِبَةٌ ٱلْأُمُورِ ﴾ .

إنه النصر الذي يؤدي إلى تحقيق المنهج الإلهي في الحياة؛ من انتصار الحق والعدل والحرية المتجهة إلى الحير والنصر، المنظور فيه إلى هذه الغاية التي يتوارى في ظلها الأشخاص والذوات والمطامع والشهوات.. وهو نصر له سببه، وله ثمنه، وله تكاليفه، وله شروطه، فلا يُعطي لأحد جزافًا أو محاباة، ولا يبقى لأحد لا يحقق غايته ومقتضاه (١).

# مراتب الجهاد

قال الإمام ابن القيم: «لما كان جهاد أعداء اللهِ في الخارج فرعًا على جهادِ العبد نفسه في ذاتِ اللهِ، كما قال النبيُ ﷺ: «المجاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ في طَاعَةِ الله، والمُهاجِرُ مَنْ هَجَرَ ما نَهَى اللهُ عنه» (٢). كان جهادُ النفس مُقدَّمًا على جِهَادِ العدوِّ في الخارجِ، وأصلًا له، فإنه ما لم يُجاهِدُ نفسه أَوَّلًا؛ لِتفعل ما أُمِرَتْ به، وتتركَ ما نُهيتْ عنه، ويُحارِبُهَا في الله، لم يُمكِنْهُ جهادُ عدوه في الخارج، فكيف يُمكِنْهُ جهادُ عدوه والانتصاف منه، وعدوَّه الذي بين جنبيه قاهرٌ له، متسلطٌ عليه، لم يُجاهِده، ولم يُحاربه في الله، بل لا يُمكنه الخرومُ إلى عدوِّه، حتى يُجاهِدَ نفسَه على الخروم.

فهذان عدوًانِ قد امْتُحِنَ العبدُ بجهادهما، وبينهما عدوٌ ثالث، لا يمكنه

<sup>(</sup>١) الظلال (٤/٥٢٤ - ٢٤٢٨).

<sup>(</sup>٢) أخرجه أحمد (٢١/٦) من حديث فضالة بن عبيد قال: قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: «ألا أخبركم بالمؤمن؟ مَنْ أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب، وسنده جيد، وَصَحَّحَهُ ابن حبان (٢٥)، والحاكم (١١/١)، ووافقه الذهبي.

جهادُهما إلا بجهاده، وهو واقف بينهما يُنَبُّطُ العبدَ عن جهادهما، ويُخذِّلُه، ويُرجِفُ به، ولا يزالُ يُخيِّل له ما في جهادهما مِن المشاق، وتركِ الحظوظ، وفوتِ اللذاتِ، والمشتهيات، ولا يُمكنه أن يُجاهِدَ ذَيْنِكَ العدويْنِ إلا بجهاده، فكان جهادُه هو الأصل لجهادهما، وهو الشيطان، قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ لَكُو عَدُوُّ عَدُوُّ النبيه على استفراغ الوسع في فَاتَخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ [فاطر: ٦]. والأمر باتخاذه عدوًا تنبيه على استفراغ الوسع في محاربته ومجاهدته، كأنَّهُ عدو لا يَفْتُر، ولا يُقصِّر عن محاربة العبد على عدد الأنفاس.

فهذه ثلاثة أعداء، أُمِرَ العبدُ بمحاربتها وجهادها، وقد بُلي بمحاربتها في هذه الدار، وسُلِّطَتْ عليه؛ امتحانًا من اللَّه له وابتلاء، فأعطى اللهُ العبدَ مددًا وعُدَّةً وأعوانًا وسلاحًا لهذا الجِهَادِ، وأعطى أعداءه مددًا وعُدَّةً وأعوانًا وسِلاحًا، وبَلا أحدَ الفريقين بالآخر، وجعل بعضهم لبعض فتنة؛ لِيَبْلُوَ أخبارهم، ويمتحِنَ من يَتولَّاه ويتولَّى رَسُلُهُ ممن يتولَّى الشيطانَ وحِزبه، كما قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِمَعْضِ فِتْنَةً أَتَصُّبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢٠]، وقال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ ذَلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَأَنْصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِيَبْلُواْ بَعْضَكُم بِبَعْضِ ﴾ [محمد: ٤]، وقال ـ تَعَالَى -: ﴿ وَلَنَبَلُونَكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ ٱلْمُجَهِدِينَ مِنكُورٌ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوا أَخْبَارَكُو ﴿ ١ [محمد: ٣١]. فأعطى عباده الأسماع والأبصار، والعُقول والقُوى، وأنزل عليهم كُتُبَه، وأرسلَ إليهم رسُلَه، وأمدَّهم بملائكته، وقال لهم: ﴿ أَنِّي مَعَكُمْ فَتَبِتُوا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [الأنفال: ١٢]، وأمرهم من أمره بما هو مِن أعظم العونِ لهم على حرب عدوهم، وأخبرهم أنَّهم إن امتثلوا ما أمرهم به؛ لم يزالوا منصورين على عدوه وعدوِّهم، وأنه إن سلَّطه عليهم، فلتَرْكِهِم بعضَ ما أمروا به، ولمعصيتهم له، ثم لم يُؤَيِّسْهُم، ولم يُقنِّطْهُمْ، بل أمرهم أن يسْتَقْبِلُوا أمرهم، ويُداووا جِرَاحَهُم، ويَعُودوا إلى مُناهضةِ عدوهم؛ فينصرَهم عليهم، ويُظفرَهم بهم، فأخبرهم أنه معَ المتقين مِنهم، ومعَ المحسنينَ، ومع الصابرين، ومعَ المؤمنين، وأنه يُدافع عن عباده المؤمنين ما

لا يدافعون عن أنفسهم، بل بدفاعه عنهم انتصروا على عدوِّهم، ولولا دفاعُه عنهم، لتخطَّفهم عدوُّهم، واجتاحهم.

وهذه المدافعةُ عنهم بحسب إيمانِهم، وعلى قَدْرِهِ، فإِنْ قَوِيَ الإيمانُ، قويتِ المُدافعة، فمن وجد خيرًا، فليحمَدِ الله، ومن وجد غيرَ ذلِكَ، فلا يلومنَّ إلا نفسه.

وأمرهم أن يُجاهدوا فيه حقَّ جهاده، كما أمرهم أن يتَّقوه حقَّ تُقاته (١)، وكما أن حقَّ تُقاته أن يُطاع فلا يُعصى، ويُذكَر فلا يُنسى، ويُشكَر فلا يُكفر، فحقُّ جهاده أن يُجاهِدَ العبد نفسَه؛ لِيُسْلِم قلبه ولِسانه وجوارِحه لِلَّهِ، فيكون كُلُه لله، وباللهِ، لا لنفسه، ولا بنفسه، ويُجاهدَ شيطانه بتكذيبِ وعده، ومعصيةِ أمره، وارتكابِ نهيه، فإنه يَعِدُ الأمانيَّ، ويُعنِّي الغُرورَ، ويَعِدُ الفقرَ، ويأمرُ بالفحشاء، وينهى عن التَّقى والهُدى، والعِفة والصبرِ، وأخلاقِ الإيمان كُلِّهَا، فجاهده بتكذيبِ وعده، ومعصيةِ أمره، فينشأ له من هذين الجهادين قوةٌ وسلطان، وعُدَّة يُجاهد بها أعداءَ اللَّه في الخارج بقلبه ولسانه ويده ومالهِ، لِتكونَ كلمةُ اللَّه هي العليا.

# واختلفت عباراتُ السلف في حقٌ الجهاد:

فقال ابن عباس: هو استفراغُ الطاقة فيه، وألا يَخافَ في اللهِ لومةَ لائم. وقال مقاتل: اعملوا للهِ حقَّ عمله، واعبدُوه حقَّ عِبادته.

وقال عبداللَّه بنُ المبارك: هو مجاهدةُ النفس والهوى.

ولم يُصِبُ من قال: إن الآيتين منسوختان؛ لظنه أنهما تضمنتا الأمر بما لا يُطاق.

وحقٌ تُقاته وحق جهاده: هو ما يُطيقه كلَّ عبد في نفسه، وذلك يختلِف باختلافِ أحوال المكلفين في القُدرةِ، والعجزِ، والعلمِ، والجهلِ. فحقُ التقوى،

<sup>(</sup>١) وذلك في قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿ يَتَأَيُّهُا الَّذِينَ مَامَنُوا النَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَالِهِ ـ وَلَا تَمُوثُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُسْلِمُونَ ۞ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، وقوله: ﴿ وَجَلِهِدُوا فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ ٱجْتَبَنكُمُ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ ٱجْتَبَنكُمُ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي اللَّهِ عَنْ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى عَلَيْكُمْ فِي اللَّهِ عَلَى عَلَيْكُمْ فِي اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى عَلَيْكُمْ فِي اللَّهِ عَلَى عَلَيْكُمْ فِي اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى عَلَيْكُمْ اللَّهِ فَيْكُمْ اللَّهِ عَلَى عَلَيْكُمْ اللَّهِ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهِ عَلَيْكُمْ اللَّهِ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهِ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهِ عَلَيْكُمْ اللّ

وحقُّ الجهاد بالنسبة إلى القادر المتمكن العالم شيء، وبالنسبة إلى العاجز الجاهل الضعيف شيء، وتأمل كيف عقَّب الأمر بذلك بقوله: ﴿هُوَ اَجْتَبَلَكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٌ ﴾ [الحج: ٧٨] والحَرَج: الضِّيقُ، بل جعله واسعًا يسَعُ كُلَّ عَي الدِينِ مِنْ حَرَجٌ ﴾ وكلَّف العبدَ بما يسعه العبدُ، ورزق العَبدَ ما أحد، كما جعل رزقه يسع كُلَّ حي، وكلَّف العبدَ بما يسعه العبدُ، ورزق العَبدَ ما يسعُ العبد، فهو يسعُ تكليفَه، ويسعه رزقُهُ، وما جعل على عبده في الدين من حرج بوجه ما، قال النبيُ ﷺ (البي الحقيقة السَّمْحَةِ السَّمْحَةِ السَّمْحَةِ أَي: بالملة: فهي حنيفيّة في التوحيد، سمحةٌ في العمل.

وقد وسّع اللّه ـ سبحانه وتعالى ـ على عباده غاية التّوسِعة في دينه، ورِزْقه، وعفوه، ومغفرته، وبسط عليهم التوبة ما دامت الروح في الجسد، وفتح لهم بابًا لها لا يُغْلِقُهُ عنهم إلى أن تَطْلُعَ الشمسَ مِن مغربها، وجعلَ لِكلِّ سيئة كفارة تُكفرها من توبة، أو صدقة، أو حسنة ماحية، أو مُصيبة مكفرة، وجَعل بكل ما حرَّم عليهم عوضًا مِن الحلال أنفعَ لهم منه، وأطيّب، وألذَّ، فيقومُ مقامه؛ ليستغني العبدُ عن الحرام، ويسعه الحلال، فلا يضيقُ عنه، وجعل لِكل عُسْرٍ يمتحنهم به يُسرًا قبله، ويُسرًا بعده، «فلن يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسرَيْنِ» (٢). فإذَا كان هذا شأنه ـ سبحانه ـ مع عاده، فكيف يُكلِّفهم ما لا يسعهم، فضلًا عما لا يُطيقونه ولا يقدِرُونَ عليه؟! إذَا عُرِفَ هذا، فالجهادُ أربع مراتب: جهادُ النفس، وجهادُ الشيطان، وجهادُ النفان، وجهادُ النفان، وجهادُ النفان، وجهادُ النفان، وجهادُ المنافقين.

فجهاد النفس أربع مراتب ـ أيضًا ـ:

إحداها: أَنْ يُجاهِدَها على تعلُّم الهُدى، ودين الحق الذي لا فلاح لها، ولا

<sup>(</sup>١) أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخه» (٢٠٩/٧) من حديث جابر بلفظ: «بعثت بالحنيفية السمحة، ومن خالف سنتي، فليس مني» وسنده ضعيف.

<sup>(</sup>٢) أخرجه الحاكم (٥٢٨/٢) عن الحسن في قول الله ﷺ : ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْمُشْرِ يُشَرَّا ۞﴾ قال: خرج النبي ﷺ مسرورًا فرحًا وهو يضحك وهو يقول: «لن يغلب عسرٌ يسرين؛ إن مع العسر يسرًا، إن مع العسر يسرًا» ورجاله ثقات، لكنه مرسل.

سعادة ـ في معاشها ومعادها ـ إلا بهِ، ومتى فاتها عِلمُه، شقيت في الدَّارين.

الثانية: أن يُجاهدها على العمل به بعد علمه، وإلا فمجرَّدُ العلم بلا عمل إن لم يَضُرَّها لم ينفعُها.

الثالثة: أن يُجاهدها على الدعوة إليه، وتعليمِهِ مَنْ لا يعلمهُ، وإلا كان مِن الدين يكتُمون ما أنزل اللَّه مِن الهُدى والبينات، ولا ينفعُهُ علمُهُ، ولا يُنجِيه مِن عذاب الله.

الرابعة: أن يُجاهِدَها على الصبر على مشاقَّ الدعوة إلى الله، وأذى الخلق، ويتحمَّل ذلك كله لله.

فإذا استكمل هذه المراتب الأربع، صار من الرَّبَّانِيينَ، فإن السلفَ مُجمِعُونَ على أن العَالِمَ لا يَستحِقُ أن يُسمى ربانيًّا حتى يَعرِفَ الحقَّ، ويعملَ به، ويُعَلِّمَه. فمن علم وعَمِلَ وعلَّمَ فذاكَ يُدعى عظيمًا في ملكوتِ السماوات»(١).

## 🗖 أعدى عدو لك نفسك التي بين جنبيك:

# ٧٤ قال الله تعالى: ﴿ فَنَيْلُوا ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم ﴾

الجهاد قسمان: جهاد الظاهر مع الكفار، وجهاد الباطن مع النفس والشيطان. وكما أن في جهاد الكفار غنيمة عند الظفر، ففي جهاد النفس غنيمة، وهو أن يملك العبد نفسه التي كانت في يد العدو (الهوى والشيطان)، فبعد أن كانت ظواهره مَقَرًا للأعمال الذميمة، وبواطنه مستقرًا للأحوال الدنيَّة يصير محلُّ الهوى مسكنَ الرضا، ومقرُّ الشهوات والمني مُسَلَّما لِما يَرد عليه من مطالبات المولى، وتصير النفس مستلبةً من أَسْرِ الشهوات، والقلب مُختَطَفًا من وصف الغَفلات، والروح منتزعة من أيدي العلاقات، والسِّر مصونًا عن الملاحظات، وتصبح غاغة النفس منهزمة، ورياسة الحقوق بالاستجابة لله خافقة.

<sup>(</sup>١) زاد المعاد، لابن القيم (٦/٣ - ١٠)-

وكما أن من جملة الغنيمة سهمًا لله وللرسول، وهو الخُمْس. فمما هو غنيمة على لسان الإشارة ـ سهم خالص لله؛ وهو ما لا يكون للعبد فيه نصيب، لا من كرائم العقبى، ولا من ثمرات التقريب، ولا من خصائص الإقبال، فيكون العبد عند ذلك مُحَرِّرًا عن رق كل نصيب، خالصًا لله وبالله، يمحو ما سوى الله». وأما جهادُ الشيطان، فمرتبتان:

إحداهما: جهادُه على دفع ما يُلقي إلى العبد مِن الشبهات والشُّكوكِ القادحة في الإيمان.

الثانية: جِهادهُ على دفع ما يُلقي إليه من الإرادات الفاسدة والشهواتِ؛ فالجهادُ الأول يكون بعده اليقين، والثاني يكون بعدَه الصبر. قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيِمَةً يَهَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواً وَكَانُواْ بِتَايَلِنَا يُوقِنُونَ الله والسجدة: عَاجَهُ فَاخِبر أَن إمامة الدين، إنما تُنال بالصبر واليقين، فالصبر يدفع الشهوات والإرادات الفاسدة، واليقينُ يدفع الشكوكَ والشبهات.

وأما جهادُ الكفار والمنافقين، فأربع مراتب: بالقلب، واللِّسان، والمالِ، والمالِ، والنفسِ، وجهادُ الكفار أخصُّ باليد، وجهادُ المنافقين أخصُّ باللسان.

وأما جهادُ أرباب الظلم، والبدع، والمنكرات، فثلاث مراتب:

الأولى: باليدِ إذا قَدَرَ، فإن عَجَزَ، انتقل إلى اللسان، فإن عَجَزَ، جاهد بقلبه، فهذِهِ ثلاثة عشرَ مرتبة من الجهاد، و«مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِالغَزْهِ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنَ النَّفَاق»(١).

ولا يَتِمُّ الجِهادُ إلا بالهِجْرَةِ، ولا الهِجْرة والجهادُ إلا بالإيمَانِ، والرَّامُجُونَ رحمة اللَّه هم الذين قاموا بِهذِهِ الثلاثة؛ قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ مَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ

<sup>(</sup>١) أخرجه مسلم (١٩١٠) في الإمارة: باب ذم من مات ولم يحدث نفسه بالغزو من حديث أبي هريرة، وأخرجه أبو داود (٢٠٩٦) في الجهاد: باب كراهية ترك الغزو، والنسائي (٣٠٩٩) في الجهاد: باب التشديد في ترك الجهاد.

هَاجَرُواْ وَجَنهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَتِهِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمُ ﴿ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢١٨].

وكما أن الإيمان فرضّ على كل أحد، ففرضٌ عليه هِجرتان في كل وقت: هجرةٌ إلى الله عَنَالِّ بالتوحيد، والإخلاص، والإنابة، والتَّوكُلِ، والحوف، والرَّجاء، والحجية، والتوبة، وهِجرةُ إلى رسوله بالمتابعة، والانقيادِ لأمره، والتَّصديقِ بخبره، وتقديم أمره وخبره على أمر غيرهِ وخبره؛ «فمن كانت هجرتُهُ إلى اللهِ ورسولِهِ، فهن كانت هجرتُهُ إلى اللهِ ورسولِهِ، فه غيرةً للهِ ورسولِهِ، ومن كانت هِجُرتُهُ إلى دُنيا يُصيبها، أو امرأةٍ يتزوَّجُهَا، فَهجُرته إلى ما هاجر إليه».

وفرضَ عليه جهادَ نفسه في ذات الله، وجِهادَ شيطانه، فهذا كُلُهُ فرضُ عينٍ لا ينوبُ فيه أحدٌ عن أحد.

وأما جِهَادُ الكَفار والمنافقين، فقد يُكتفى فيه ببعض الأُمَّةِ إذا حَصَلَ منهم مقصود الجهاد». اهد كلام الإمام ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ.

\* \* \*



# الترغيب في الجهاد ذروة سنام الإسلام والترهيب من تركه في السنة الْمُطهرة

هذه أحاديث نبوية عطرة نطق بها أطهر فم .. نطق بها الذي لا ينطق عن الهوى رسول اللَّه ﷺ يُرَغِّبُ في الجهاد، ويحث عليه، ويبين فضله وشرفه وَعِظَمَ قدره وكونه سنام الإسلام:

#### □ المنابعة على الجهاد أبدًا:

كَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكِ صَالِحَ قَالَ: جَعَلَ الْهُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ يَحْفِرُونَ الْخَنْدَقَ حَوْلَ الْلَهِينَةِ وَيَنْقُلُونَ الْتُرَابَ عَلَى مُتُونِهِمْ وَيَقُولُونَ:

نَحْنُ الَّذِينَ بَايِعُوا مُحَمَّدًا عَلَى الْجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَدا وَالنَّبِيُ ﷺ يُجِيبُهُمْ وَيَقُولُ:

اللَّهُمُّ إِنَّهُ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الْآخِرَهُ فَبَارِكُ فِي الْأَنْصَارِ وَالْلُهَاجِرَهُ (''. وعند البخاري أيضًا (٢٩٦١) (٣٧٩٦): «كانت الأنصاريوم الخندق تقول: نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما حيينا أبدا. فأجابهم:

اللهم لا عيش إلا عيش الآخره فأكسرم الأنصار المهاجره خرج النبي على في غداة باردة والمهاجرون والأنصار يحفرون الخندق، فقال: «اللهم إن الخير خير الآخرة؛ فاغفر للأنصار والمهاجرة» فأجابوا: «نحن الذين بايعوا محمدًا على الجهاد ما بقينا أبدًا».

□ الجهاد من أحب الأعمال إلى الله:

٢ وعن عبداللَّه بن مسعود ﷺ قال: سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب

<sup>(</sup>١) رواه البخاري «الفتح» (٦/ ٢٨٣٤، ٢٨٣٥) واللفظ له، ومسلم (١٨٠٥).

<sup>(</sup>٢) رواه البخاري (٧٢٠١).

إلى اللَّه ﷺ؟ قال: الصلاة على وقتها. قال: ثم أي؟ قال: بر الوالدين. قال: ثم أي؟ قال: بر الوالدين. قال: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله. قال: حدثني بهن ولو استزدتُهُ لزادني (١٠).

أَخِي!! ليس الشأن أن تُحِبُّ، إنما الشأن أن تُحَبُّ.

نعم.. شأن عظيم أن تحب مولاك.. وأعظم منه أن يحبَّك المولى.. فاحرص على العمل الذي يوصلك إلى درجة المحبوبية؛ فهذا مطلب سادات العباد والربانيين وشرفهم وعزُّهم.

قال المناوي: «الجمع بين هذا وأخبار إطعام الطعام خير أعمال الإسلام، وأحب الأعمال إلى الله أدومها، وغير ذلك أن المصطفى على كان يُجيب كُلًا بما يُوافقه ويصلحه أو بحسب الوقت أو الحال، وقد تعارضت النصوص في تفضيل الصلاة على الصدقة، والذي عليه الجمهور أن الصلاة أفضل، لكن قد يعرض حال يقتضي مواساة مضطر فتكون الصدقة أفضل، وقس عليه. قال في المطامح: وَأَخَّرَ الجهاد مع أن فيه بذلَ النفس؛ لأن الصبر على أداء الصلاة أول وقتها وعلى ملازمة برُّهِما أمر متكرر دائم بدوام الأنفاس، ولا يصبر على مراقبة أمر الله ـ تَعَالَى ـ فيه إلا الصديقون، أو لأن فضل الجهاد يكاد يكون بديهيًّا؛ إذ لا تنتظم العبادات والعادات العديق من شأن غيره تحقيقًا لمراتب الأعمال والعبادات وترغيبًا في الجد في الطاعات»(٢).

# تنبيه!! )إن قيل: ما الحكمة في تعبيره بالأعمال دون الأفعال؟

قلنا: وجهه أن الفعل عامٌ يُقال لِمَا كان بإجادة وغيرها، وما كان بعلم وغيره، وبقصد وغيره، ومن الإنسان وغيره؛ كالحيوان والجماد، والعمل لا يُقال إلَّا لِمَا كان

<sup>(</sup>۱) رواه البخاري «الفتح» (٦/ ٢٧٨٢، ٢٠/١٠)، ومسلم، وأحمد في «مسنده»، وأبو داود، والنسائي.

<sup>(</sup>٢) فيض القدير، للمناوي (١٦٥/١).

بإجادة تعلم وبقصد من الآدمي؛ كما ذكره الراغب، وقال بعضهم: العمل مقلوب عن العلم؛ فإن العلم فعل القلب، والعمل فعل الجارحة، وهو يبرز عن فعل القلب الذي هو العلم وينقلب منه»(١).

### 🗖 الجهاد من أفضل الأعمال:

سول الله، أي العمل أفضل؟ قال: «الصلاة على ميقاتها»، قلت: يا الله على أي؟ قال: «بر الوالدين»، قلت: ثم أي؟ قال: «بر الوالدين»، قلت: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»، فسكت عن رسول الله على ولو استزدته لزادني» (٢٠).

وللجمع بين الأحاديث التي تذكر أفضل الأعمال قال الحافظ في «الفتح» (٢/ ومحصل ما أجاب به العلماء عن هذا الحديث وغيره مما اختلفت فيه الأحاديث بأنه أفضل الأعمال أن الجواب اختلف؛ لاختلاف أحوال السائلين بأن أغلم كل قوم بما يحتاجون إليه، أو بما لهم فيه رغبة، أو بما هو لائق بهم، أو كان الاختلاف باختلاف الأوقات؛ بأن يكون العمل في ذلك الوقت أفضل منه في غيره؛ فقد كان الجهاد عند ابتداء الإسلام أفضل من الصدقة، ومع ذلك ففي وقت مواساة المضطر تكون الصدقة أفضل، أو أن أفضل ليست على بابها؛ بل المراد بها الفضل المطلق، أو المراد من أفضل الأعمال؛ فحذفت «مِن» وهي مرادة؛ قال ابن دقيق العيد: الأعمال في هذا الحديث محمولة على البدنية، وأراد بذلك الاحتراز عن الإيمان؛ لأنه من أعمال القلوب، فلا تعارض حينئذ بينه وبين حديث أبي هريرة: «أفضل الأعمال إيمان بالله...» الحديث.

وقال غيره: المراد بالجهاد هنا ما ليس بفرض عين؛ لأنه يتوقف على إذن

<sup>(</sup>١) المصدر السابق (١/٥١١).

<sup>(</sup>٢) رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي.

الوالدين؛ فيكون برُّهما مقدمًا عليه. واللَّه أعلم».

قال الحافظ في «الفتح» (٧/٦): «قال الطبري: إنما خصَّ عَلَيْ هذه الثلاثة بالذكر؛ لأنها عنوان على ما سواها من الطاعات؛ فإن مَن ضَيَّعَ الصلاة المفروضة حتى يخرج وقتها من غير عذر مع خفة مُؤنَتِهَا عليه وعظيم فضلها فهو لما سواها أَضْيَع، وَمنْ لم يبرَّ والديه مع وفور حقهما عليه كان لغيرهما أقلَّ برَّا، ومَن ترك جهاد الكفار مع شدة عداوتهم للدين كان لجهاد غيرهم من الفُسَّاق أترك؛ فظهر أن الثلاثة تجتمع في أنَّ من حافظ عليها كان لما سواها أحفظ، ومَن ضيعها كان لما سواها أضيْع».

وعند البخاري أيضًا: أن رجلًا سأل النبي ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ قال: «الصلاة لوقتها، وبر الوالدين، ثم الجهاد في سبيل الله».

وعن أبي ذر الغفاري ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «أفضل العمل: الإيمان بالله، والجهاد في سبيله»(٢).

<sup>(</sup>١) صحيح: أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد»، وَصَحَّحَهُ الألباني في «الصحيحة» رقم (١٤٨٩)، و و«صحيح الجامع» رقم (١٠٩٥).

<sup>(</sup>٢) رواه البخاري واللفظ له «الفتح» (٢٥١٨/٥)، ومسلم (٨٤).

<sup>(</sup>٣) رواه البخاري واللفظ له (الفتح) (٢٦/١)، ومسلم (٨٣)، من حديث أبي هريرة، و(٨٤) من حديث أبي ذر، و(٨٥) من حديث ابن مسعود.

وقال رسول الله على: «أفضل الأعمال الإيمان بالله وحده، ثم الجهاد، ثم حجة برَّة تفضل سائر الأعمال كما بين مطلع الشمس إلى مغربها»(١).

وقال ﷺ: «أفضل العمل: الصلاة لوقتها، والجهاد في سبيل الله»<sup>٣٠</sup>.

روقال رسول اللَّه ﷺ: «أفضل العمل: إيمان بالله، وجهاد في سبيل الله» (٤٠).

قال المناوي في «فيض القدير» (٢٧/١): «قال النووي: وذكر هنا الحج بعد الإيمان، وفي خبر آخر بدل الحج العتق، وفي آخر بدأ بالصلاة فالبر فالجهاد، وفي آخر السلامة من نحو يد ولسان، واختلاف الأجوبة باختلاف الأحوال والأشخاص كما تقدم. وقدَّم الجهاد وليس بركن على الحج وهو ركن؛ لقصور نفع الحج غالبًا، وتعدي نفع الجهاد أو كان حيث كان الجهاد فرض عين وكان أهم منه حَالَتَئِذِ» اهر.

قال العلامة ابن رجب الحنبلي في كتابه «لطائف المعارف»: «الإيمان بالله ورسوله وظيفة القلب واللسان، ثم يتبعهما عمل الجوارح، وأفضلها الجهاد في

<sup>(</sup>١) صحيح: رواه الطبراني في «المعجم الكبير» عن ماعز، وَصَحَّحُهُ المناوي في «فيض القدير» (٢٧/١)، والمحيح الجامع» وأشار السيوطي إلى تحسينه، وَصَحَّحَهُ الألباني في «تخريج الترغيب» (١٠٧/٢)، والصحيح الجامع» رقم (١٠٩١).

<sup>(</sup>٢) صحيح: أخرجه ابن حبان في «صحيحه»، وأحمد في «مسده»، وَصَحَّحَهُ.

<sup>(</sup>٣) صحيح: رواه البيهقي في «شعب الإيمان» عن ابن مسعود، وَصَحَّحَهُ الأَلباني في «الصحيحة» رقم (٢١٤٨٩)، و«صحيح الجامع» رقم (١١٢٣).

<sup>(</sup>٤) صحيح: رواه ابن حبان في «صحيحه» عن أبي ذر، وَصَحَّحَهُ الأَلباني في «الصحيحة» رقم (١١٢٤)، و«صحيح الجامع» رقم (١١٢٤).

سبيل الله، وهو نوعان:

أفضلهما: جهاد المؤمن لعدوه الكافر، وقتاله في سبيل الله.

والثاني من الجهاد: جهاد النفس في طاعة الله؛ كما قال النبي ﷺ: «المجاهد من جاهد نفسه في الله».

وقال بعض الصحابة لمن سأله عن الغزو: ابدأ بنفسك فاغزها، وابدأ بنفسك فَجَاهِدْهَا، وأعظم مجاهدة النفس على طاعة الله عمارة بيوته بالذكر والطاعة.

والنوع الأول من الجهاد أفضل من هذا الثاني؛ قال الله ـ تَعَالَى ـ: ﴿ أَجَعَلْتُمُ اللَّهِ عَالَى ـ: ﴿ أَجَعَلْتُمُ اللَّهِ وَالْمَا اللَّهِ وَالْمَوْمِ الْأَخِرِ وَجَهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَمْدَى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿ اللَّهِ وَاللَّهُ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ إِلْمُولِمِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظُمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ التوبة: ١٩، ٢٠].

رسول الله على فقال رجل: ما أبالي أن لا أعمل عملًا بعد الإسلام إلا أن أسقى رسول الله على فقال رجل: ما أبالي أن لا أعمل عملًا بعد الإسلام إلا أن أسقى الحاج. وقال آخر: ما أبالي أن لا أعمل عملًا بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام. وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم. فزجرهم عمر وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله على ـ وهو يوم الجمعة ـ، ولكن إذا صليت الجمعة دخلتُ فاستفتيتُهُ فيما اختلفتم فيه؛ فأنزل الله قَطَلَ: ﴿ أَجَعَلْتُم سِقَايَةَ الْحَالَجُ وَعَارَةَ الْمَسْجِدِ لَلْمَامِ كَمَنَ ءَامَنَ بِاللّهِ وَالْمَوْمِ الْاَحْرِ التوبة: 19] إلى آخرها (١٠).

فهذا الحديث الذي ذكر فيه سبب نزول هذه الآية يبين أن المراد أفضل ما يُتَقَرَّبُ به إلى اللَّه ـ تَعَالَى ـ من أعمال النوافل «الجهاد»، وإن الآية تدل على أن أفضل من أفضل ذلك الجهاد مع الإيمان؛ فَلدَلَّ على أن التطوع بالجهاد أفضل من التطوع بعمارة المسجد الحرام وسقاية الحاج ، وعلى مثل هذا يُحمل حديث

<sup>(</sup>١) صحيح مسلم (١٨٧٩).

أبي هريرة ﴿ فَانَ الْجَهَادُ أَفْضُلُ مِنَ الْحَجِ الْمُتَطُوعِ بِهِ ۚ فَإِنْ فَرَضَ الْحَجِ تَأْخُرُ عَنْدَ كثير مِن العلماء إلى السنة التاسعة، ولعل النبي ﷺ قال هذا الكلام قبل أن يُفْرَضَ الجهاد بالكلية؛ فكان حينئذ تطوعًا.

وقد قيل: إن الجهاد كان في أول الإسلام فرضَ عينٍ؛ فلا إشكال في هذا على تقديمه على الحج قبل افتراضه، فأما بعد أن صار الجهاد فرض كفاية، والحج فرض عين؛ فإن الحج المفترض حينئذ يكون أفضل من الجهاد.

قال عبدالله بن عمرو بن العاص: حجة قبل الغزو أفضل من عشر غزوات، وغزوة بعد حجة أفضل من عشر حجات.

وقد يكون المراد بحديث أبي هريرة وللتختيه: أن جنس الجهاد أشرف من جنس الحج، فإن عُرض للحج وصف يمتاز به عن الجهاد وهو كونه فرض عين صار الحج المخصوص أفضل من الجهاد، وإلا فالجهاد أفضل، والله أعلم».

وقال عمر ﴿ فَيُطِّنُّهُ: شدوا الرحال في الحج؛ فإنه أحد الجُهَادَيْنِ (١).

وقال ابن مسعود ﴿ إِنَّهُ اللهِ عَلَيْ اللهِ عَلَيْ اللهِ عَلَيْ اللهِ وَالرَّحَلُ اللهِ وَالرَّحَلُ الحجر (٢).

قال المناوي: «الجهاد تحملُ الآلام بالبدن والمال وبذل الأرواح، والحج تحمل الآلام بالبدن وبعض المال دون الروح؛ فهو جهاد أضعف من الجهاد في سبيل الله، فمن ضعف عن الجهاد لعذر، فالحج له جهاد»(٣).

اللَّه عَن أَبِي هُرِيرَة أَن رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «تَكَفَّلُ اللَّه لَمْن جَاهِد في سبيله لا يُخرِجه إلا الجهاد في سبيله وتصديق كلماته بأن يدخله الجنة أو يُرجعه إلى

<sup>(</sup>١) رواه البخاري ـ كتاب الحج ـ باب الحج على الرجال (٤٤٤/٣) (٤٤٥) ذكره البخاري تعليقًا، ووَصَلَهُ عبدالرزاق وسعيد بن منصور.

 <sup>(</sup>٢) خَرَّجَهُ الإمام أحمد في «مناسكه».

٣) فيض القدير (٤٠٧/٣).

مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة»(١).

وعنه ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه من بيته إلا الجهاد في سبيله وتصديق كلمته أن يُدخله الجنة أو يرده إلى مسكنه بما نال من أجر أو غنيمة (٢).

قال الحافظ في «الفتح» (٤٥١/١٣): «وتصديق كلماته»: أي الواردة في القرآن بالحث على الجهاد وما وعد فيه من الثواب.

النبي النبي

وقال مجاشع بن مسعود السلمي: أتيت النبي الله أبايعه على الهجرة؛ فقال: «إن الهجرة قد مضت لأهلها، ولكن على الإسلام والجهاد والخير»(٥).

<sup>(</sup>١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿ وَلَفَدْ سَبِفَتْ كَلِمَلْنَا لِعِبَادِهَ الْمُرْسَلِينَ ۞﴾ [٧٤٥٧]، ومسلم، والنسائي.

<sup>(</sup>٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله . تَعَالَى .: ﴿ فُل نُو كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِكَامِمَتِ رَقِي ﴾ [٧٤٦٣].

<sup>(</sup>٣) رواه البخاري في «صحيحه»، كتاب المغازي (٤٣٠٥).

<sup>(</sup>٤) رواه البخاري في «صحيحه»، كتاب المغازي (٤٣٠٧).

<sup>(</sup>٥) رواه مسلم في «صحيحه» (١٨٦٣)، كتاب الإمارة ـ باب المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد والخير.

اللَّه ﷺ بعد الفتح فقلتُ: يا رسول اللَّه بايغهُ على الهجرة؛ قال: «قد مضت الهجرة بأهلها»؛ قلتُ: فبأي شيء تبايعه؟ قال: «على الإسلام، والجهاد، والخير»، قال أبو عثمان: فلقيت أبا معبد فأخبرته بقول مجاشع؛ فقال: صدق (١٠).

□ تمني النبي ﷺ للغزو والشهادة في سبيل الله.. وأي شرف فوق ما تمناه النبي ﷺ:

□ الجهاد باب من أبواب الجنة:

الله عن أبي هريرة على قال: سمعت رسول الله على يقول: «من أنفق وجين في شيء من الأشياء في سبيل الله دُعِيَ من أبواب ـ يعني الجنة ـ: «يا

<sup>(</sup>١) المصدر السابق (١٨٦٤).

قال النووي في «شرح مسمم» (٢٨/٤): قوله: «إن الهجرة قد مضت لأهلها» معناه: أن الهجرة الممدوحة الفاضلة التي لأصحابها المزية الظاهرة فإنما كانت قبل الفتح، ولكن أبايعث على الإسلام والجهاد وسائر أفعال الخير، وهو من باب ذكر العام بعد الخاص، فإن الخير أعمُّ من الجهاد، ومعنه: أبايعك على أن تفعل هذه الأمور.

<sup>(</sup>٢) رواه مسلم ـ كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله ـ تَعَالَى ـ (١٨٧٦).

عبدالله هذا خير»؛ فمن كان من أهل الصلاة دُعِيَ من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعِيَ من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دُعِيَ من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام وباب الريان. فقال أبو الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دُعِيَ من باب الصيام وباب الريان. فقال أبو بكر: ما على هذا الذي يُدْعى من تلك الأبواب من ضرورة، وقال: هل يُدْعَى منها كلها أحد يا رسول الله؟ قال: نعم، وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر»(١).

آملی علیه: ﴿ لَا يَسْتَوِى الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِ الضَّرَرِ وَاللَّهُ عَلِيهُ أُولِ الضَّرَرِ وَاللَّهُ عَلِيهُ أُولِ الضَّرَرِ وَاللَّهُ عَلِيهُ أُولِ الضَّرَرِ وَاللَّهُ عَلَيهُ اللّهِ عَلَيهُ اللّهِ عَلَيهُ اللّهِ عَلَيهُ اللّهُ وَاللّهُ لَو استطيع اللّهِ فَجَاءه ابن أم مكتوم وهو نجيلها عليَّ قال: يا رسول الله، واللّه لو استطيع الجهاد لجاهدت ـ وكان أعمى ـ؛ فأنزل اللّه على رسوله علي وفخذه على فخذي؛ فأنزل الله: ﴿ غَيْرُ أُولِ اللّهُ عَلَى عَنهُ فَأَنزل الله: ﴿ غَيْرُ أُولِ اللّهَ عَلَى عَنهُ فَأَنزل الله: ﴿ غَيْرُ أُولِ اللّهَ عَلَى مَا اللّهُ عَلَى عَنهُ فَأَنزل الله: ﴿ غَيْرُ أُولِ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الل

قال الحافظ في «الفتح» (١١١/٨): «استثنت أولي الضرر من عدم الاستواء؛ فأفهمت إدخالهم في الاستواء؛ إذ لا واسطة بين الاستواء وعدمه؛ لأن المراد منه استواؤهم في أصل الثواب لا في المضاعفة؛ لأنها تتعلق بالفعل».

رم عن أبي هريرة ﷺ قال: جاء رجل إلى رسول اللَّه ﷺ، فقال: دُلَّني على عمل يعدل الجهاد. قال: «لا أجده». قال: «هل تستطيعُ إذا خرج المجاهد أن

<sup>(</sup>١) رواه البخاري واللفظ له (٣٦٦٦)، ومسلم، والترمذي، والنسائي.

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١١٢/٤): والمراد بالزوجين إنفاقً أي صنف من أصناف المال من نوع واحد.

<sup>(</sup>٢) أي: تدقها. وَسُرِّيَ؛ أي: كشف.

رُسُ) رواه البخاري «الفتح» (٦) (٢٨٣٢)، كتاب التفسير، باب ﴿ لَّا يَسْتَوِى الْقَلِيدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿ وَالْلَجُهَدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾

تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر، وتصومَ ولا تُفطر؟» قال: ومن يستطيع ذلك؟ قال أبو هريرة: إن فرس المجاهد ليَسْتَنُّ (١) في طِوَلِهِ (٢) فيكتب له حسنات» (٣).

قال الحافظ في «الفتح» (٧/٦، ٨): «وهذه فضيلة ظاهرة للمجاهد في سبيل اللّه تقتضي أن لا يعدل الجهاد شيّة من الأعمال... قال عياض: اشتمل حديث الباب على تعظيم أمر الجهاد؛ لأن الصيام وغيره مما ذُكِرَ في فضائل الأعمال قد عدلها كلها الجهادُ حتى صارت جميع حالات المجاهد وتصرفاته المباحة معادلة لأجر المواظب على الصلاة وغيرها؛ ولهذا قال عَلَيْ «لا تستطيع ذلك»... واستدل به على أن الجهاد أفضل الأعمال مطلقًا.

وقال ابن دقيق العيد: القياس يقتضي أن يكون الجهاد أفضل الأعمال التي هي وسائل؛ لأن الجهاد وسيلة إلى إعلان الدين ونشره وإخماد الكفر ودحضه؛ ففضيلته بحسب فضيلة ذلك، والله أعلم، اهـ.

### 🗖 المجاهد في سبيل اللَّه كالصائم القانت:

رم وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قيل للنبي على ما يعدل الجهاد في سبيل الله على ؟ قال: «لا تستطيعونه»، قال : فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثًا كل ذلك يقول: «لا تستطيعونه»، وقال في الثالثة: «مَثَلُ المجاهد في سبيل الله؛ كمثل الصائم القائم القائم القائت بآيات الله لا يفترُ من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله \_ تَعَالَى » (2).

<sup>(</sup>١) استن الفرس يستن استنانًا؛ أي: عدا لمرحه ونشاطه شوطًا أو شوطين، ولا راكب على ظهره.

 <sup>(</sup>٢) الطول والطيل ـ بالكسر ـ: الحبل الطويل يشد أحد طرفيه في وتد أو غيره، والآخر في يد الفرس ليدور فيه ويرعى.

<sup>(</sup>٣) رواه البخاري في «صحيحه»، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد والسير (٢٧٨٥)، ومسلم، والنسائي.

<sup>(</sup>٤) رواه مسلم في «صحيحه»، كتاب الإمارة ـ باب فضل الشهادة في سبيل الله ـ تَعَالَى.

قال النووي في «شرحه لمسلم» (٤/٤): «معنى القانت هنا المطيع».

وفي هذا الحديث: عظيم فضل الجهاد؛ لأن الصلاة والصيام والقيام بآيات اللَّه أفضل الأعمال، وقد جعل المجاهد مثل من لا يفتر عن ذلك لحظة من اللحظات، ومعلوم أن هذا لا يتأتى لأحد؛ ولهذا قال ﷺ: «لا تستطيعونه».. واللَّه أعلم».

رحم وعن أبي هريرة على قال: «قال رسول الله على: «مثل المجاهد في سبيل الله على القائم، الخاشع، الخاشع، الله على الساجد» (٢٠).

الله وعن أبي هريرة صلى قال: قال رسول الله كلى: «مثل المجاهد في سبيل الله و وعن أبي هريرة صلى قال: قال رسول الله كلى: «مثل المجاهد في سبيله لا يفتر من صيام ولا صدقة حتى يرجع، وتوكل الله ـ تَعَالَى ـ للمجاهد في سبيله إن توفاه أن يدخله الجنة، أو يرجعه سالِمًا مع أجر أو غنيمة (٢٠).

رعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللّه ﷺ: «انتدب اللّه لمن خرج في سبيله، لا يخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسلي، أن أُرجعه بما نال من أجر أو

<sup>(</sup>١) صحيح: رواه أحمد وابن ماجه والترمذي.

<sup>(</sup>٢) صحيح: رواه النسائي عن أبي هريرة، وَصَحَّحَهُ الأَلباني في «تخريج الترغيب» (١٧٩/٢)، و«صحيح الجامع» رقم (٥٨٥٠).

<sup>(</sup>٣) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي.

غنيمة، أو أدخله الجنة، ولولا أن أشق على أمتي ما قعدت خلف سرية، وَلَوَدِدْتُ أَنى أُقْتَلُ في سبيل اللَّه ثم أحيا، ثم أُقْتَلُ ثم أحيا، ثم أُقْتَلُ ثم أحيا، ثم أُقْتَلُ ثم أحيا، (١).

#### □ الجهاد ذروة سنام الإسلام:

وعن معاذ بن جبل في قال: أقبلنا مع رسول الله عن من غزوة تبوك، فلما رأيته خَلِيًّا، قلت: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة قال: بخ!! لقد سألتني عن عظيم، وإنه ليسير على من يسَّره الله عليه؛ تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتُؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، ألا أدلك على أبواب الخير؟! الصوم مجنّة، والصدقة تُطفئ الخطيئة؛ كما يطفئ الماء الناز، وصلاة الرجل في جوف الليل. ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ رأس الأمر الإسلام؛ من أسلم سلم، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد. ألا أخبرك بملاك(٢) ذلك كله؟ كُفَّ عليك هذا ـ وأشار إلى لسانة ـ قال: يا نبي الله، وإنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بما نتكلم به؟ قال: ثكلتك(٣) أمك يا معاذ!! وهل يَكُبُ الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم»(٤).

- وزاد البيهقي والطبراني: «إنك لن تزال سالماً ما سكت، فإذا تكلمت كُتِب لك
   أو عليك».
- وعند الترمذي عن معاذ بن جبل رفي قال: قال رسول الله عليه: «ألا أخبرك برأس الأمر كله وذِروة سنامه؟ قلت: بلى يا رسول الله. قال: رأس الأمر الإسلام،

<sup>(</sup>١) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، والنسائي عن أبي هريرة.

<sup>(</sup>۲) خلاصته.

<sup>﴿ ﴿</sup> فَقَدَتُكُ، وَهِي كُلُّمَةً تَجْرِي عَلَى أَلْسَنَةَ العَرْبُ دُونَ قَصِدَ الدَّعَاءُ.

صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، والترمذي، والحاكم في «المستدرك»، وابن ماجه، والبيهقي في «المستدرك»، وابن ماجه، والبيهقي في «الشعب»، والطبراني في «الكبير» عن معاذ، وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٣٦٥)، و«الإرواء» (٤١٣)، وتخريج إيمان ابن أبي شيبة (١، ٢).

وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد» وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

#### 🗖 الجنة تحت ظلال السيوف:

(واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف» (١).

الجنة تحت ظلال السيوف»، فقام رجل رث الهيئة فقال: «قال رسول الله على الله الله المعت الجنة تحت ظلال السيوف»، فقام رجل رث الهيئة فقال: يا أبا موسى، آنت سمعت رسول الله على يقول هذا؟! قال: نعم. قال: فرجع إلى أصحابه فقال: أقرأ عليكم السلام. ثم كسر جَفْنَ سيفه فألقاه، ثم مشى بسيفه إلى العدو؛ فضرب به حتى أتيل الهيئة الله العدو؛ فضرب به حتى أيل الهيئة الله الهيئة الله الهيئة الله الهيئة الهي

«يعني أن ظلال السيوف والضرب بها في سبيل الله سبب للفوز بظلال بساتين الجنة ونعيمها؛ لما أنه سبب موصل إليها ذكره بعضهم. وفي النهاية: هو كناية عن الدنو من الضرب في الجهاد حتى يعلوه السيف ويصير ظله عليه. وقال الطيبي معناه: ثواب الله والسبب الموصل إلى الجنة عند الضرب بالسيف في سبيل الله؛ فأحضروا الجهاد بصدق النية واثبتوا، وإنما هي عن لقاء العدو؛ لما فيه من صورة الإعجاب والاتكال على النفس والوثوق بالقوة» (٣).

وعن عمار بن ياسر بسند صحيح أنه قال: «الجنة تحت البارقة»؛ أي: السيوف اللامعة.

<sup>(</sup>١) رواه البخاري (٢٨١٨)، ومسلم وأبو داود.

<sup>(</sup>٢) رواه أحمد ومسلم في المغازي، وأبو داود في الجهاد، والترمذي، ورواه الحاكم في «المستدرك» عن أبي موسى، وقال: صحيح على شرط مسلم. وأقره الذهبي، وظاهر كلام الحاكم أن هذا مما لم يخرجه الشيخان ولا أحدهما، وهو ذهول.

وفي رواية للبخاري: «بارقة السيوف».

<sup>(</sup>٣) فيض القدير (٣٦٢/٣).

#### 🗖 الجهاد سياحة هذه الأمة؛ كالصوم:

قال المناوي: «إن سياحة أمتي ليست هي مفارقة الوطن، وهجر المألوفات، وترك اللذة والجمعة والجماعات، والذهاب في الأرض، والانقطاع عن النساء، وترك النكاح للتخلي للعبادة؛ بل هي الجهاد في سبيل الله؛ أي: قتال الكفار؛ بقصد إعلاء كلمة الجبار».

#### الجهاد رهبانية الإسلام:

سعيد الخدري على قال: قال رسول اللَّه على : «أوصيك بتقوى اللَّه عَالَى اللَّه عَلَى : «أوصيك بتقوى اللَّه ـ تَعَالَى ـ ؛ فإنه رأس كل شيء، وعليك بالجهاد؛ فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر اللَّه ـ تَعَالَى ـ وتلاوة القرآن؛ فإنه رَوْحك في السماء وذكرك في الأرض (٣).

«أي الزم الجهاد؛ فإنه رهبانية الإسلام؛ أي أن الرهبان وإن تخلوا عن الدنيا وزهدوا فيها، فلا تخلّي وزهد أفضل من بذل النفس في سبيل الله؛ فكما أن الرهبانية أفضل عمل أولئك، فإن الجهاد أفضل عملنا»<sup>(٤)</sup>.

<sup>(</sup>۱) صحيح: رواه أبو داود، والحاكم، وقال: صحيح. وأقره الذهبي، ورواه البيهقي في «شعب الإيمان»، وقال النووي في «رياضه» ثم العراقي: إسناده جيد. وَصَحَّحَهُ السيوطي، والألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٠٩٣)، وهتخريج المشكاة» (٧٢٤)، ورواه ابن عساكر وابن المبارك عن سعد بن مسود الكندي.

<sup>(</sup>٢) رَوْحك ـ بفتح الراء ـ: راحتك.

<sup>(</sup>٣) رواه أجمد في «مسنده»، وقال الهيثمي: رجاله ثقات. وَحَسَّنَهُ السيوطي، وحَسَّنَهُ الألباني في السلسة «الصحيحة» رقم (٥٥٥)، و«الروض النضير» (٣٧٢/٢)، و«صحيح الجامع» رقم (٢٥٤٣).

<sup>(</sup>٤) «فيض القدير» (٣/٥٧).

الشيطان قعد لابن آدم بِأَطْرُقِهِ (١)؛ فقعد له بطريق الإسلام فقال: تُسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء أبيك؟ فعصاه؛ فأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال: تهاجر وتدع أرضك وسماءك ـ إنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطّول!!(٢) ـ؟ فعصاه؛ فهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد فقال: تجاهد ـ فهو جَهْدُ (٣) النفس والمال ـ فَتُقَاتِل؛ فهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد فقال: تجاهد ـ فهو جَهْدُ (٣) النفس والمال ـ فَتُقَاتِل؛ فهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد فقال: تجاهد ـ فهو جَهْدُ (٣) النفس والمال ـ فَتُقَاتِل؛ فنه فعل فَتُنْكُحُ المرأةُ وَيُقَسَّمُ المالُ، فعصاه؛ فجاهد؛ فقال رسول الله عَنْنَ فمن فعل فَتُلُ فَتُنْكُحُ المرأةُ وَيُقَسَّمُ المالُ، فعصاه؛ فجاهد؛ فقال رسول الله عَنْنَ فمن فعل في ذلك كان حقًا على الله فَيْكُ أن يدخله الجنة، وإن عَرِقَ كان حقًا على الله أن يُدخله الجنة، وإن وَقَصَتْهُ دابته كان حقًا على الله وَيَنْكُ أن يدخله الجنة، وإن وَقَصَتْهُ دابته كان حقًا على الله وَيَنْكُ أن يدخله الجنة، وإن وَقَصَتْهُ دابته كان حقًا على الله وَيَنْكُ أن يدخله الجنة، وإن وَقَصَتْهُ دابته كان حقًا على الله وَيَنْكُ أن يدخله الجنة، وإن وَقَصَتْهُ دابته كان حقًا على الله وَيَنْكُ أن يدخله الجنة، وإن وَقَصَتْهُ دابته كان حقًا على الله وَيَنْكُ أن يدخله الجنة، وإن وَقَصَتْهُ دابته كان حقًا على الله وَيَنْكُ أن يدخله الجنة، وإن وَقَصَتْهُ دابته كان حقًا على الله وَيَنْكُ أن يدخله الجنة، وإن وَقَصَتْهُ دابته كان حقًا على الله وَيَالُهُ أن يدخله الجنة، وإن وَقَصَدْهُ دابته كان حقًا على الله وَيَالُهُ أن يدخله الجنة، وإن وَقَلَا الله وَيَالُهُ وَالله وَيَالُهُ وَالله وَيَالُهُ وَلَالله وَيَالُهُ وَلَا وَلَا وَلَا وَلَا وَلَا وَلَا وَلَا وَلَا وَلَالله وَيَالُهُ وَلَا وَلَا وَلَا وَلَا وَلَا وَلَا الله وَيُعْلُهُ وَلَا الله وَيَالِلهُ وَلَا وَ

□ المجاهد في سبيل اللَّه أفضل من الذي يعتزل الناس:

ومن أبي سعيد الخدري الله قال: «قيل: يا رسول الله، أي الناس أفضل؟ قال رسول الله قالوا: ثُمَّ مَن؟ أفضل؟ قال رسول الله على: مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله. قالوا: ثُمَّ مَن؟ قال: مؤمن في شِعْب (٥) من الشعاب يتقي الله ويدع الناس من شره» (٢).

<sup>(</sup>١) أطرقه: جميع طريق.

<sup>(</sup>٢) الطَّوَل ـ هو تكسر الطاء وقتح الواو ـ: وهو الحبل الطويل الذي يُشَدُّ أحد طرفيه في وتد غيره. قال السندي في قوله «وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطُوّل: «هذا من كلام الشيطان. ومقصوده أن المهاجر يصير كالمقيد في بلاد الغربة، لا يدور إلا في بيته ولا يخالط إلا بعض معارفه، فهو كالفرس في طول لا بدري ولا يرعى إلَّا بقدره، بخلاف أهل البلاد في بلادهم، فإنهم مبسطون لا ضيق عليهم فأحدهم كالفرس المرسل.

<sup>(</sup>٣) أي: إضاعة المال.

 <sup>(</sup>٤) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، والنسائي، وابن حبان في «صحيحه»، وَصَحَّحَهُ الألباني في
 «تخريج الترغيب» (١٧٣/٢)، و«صحيح الجامع» رقم (١٦٥٢).

<sup>(</sup>٥) شعب: انفراج بين الجبلين.

<sup>(</sup>٦) رواه البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه.

قال الحافظ في «الفتح» (٦/٦): «وكأن المراد بالمؤمن مَن قام بما يتعين عليه القيام به، ثم حَصَّلَ هذه الفضيلة، وليس المراد مَن اقتصر على الجهاد وأهمل الواجبات العينية؛ وحينئذ فيظهر فضل المجاهد؛ لما فيه من بذل نفسه وماله لله تَعَالَى .، ولما فيه من النفع المتعدي، وإنما كان المؤمن المعتزل يتلوه في الفضيلة؛ لأن الذي يخالط الناس لا يسلم من ارتكاب الآثام؛ فقد لا يفي هذا بهذا، وهو مقيد بوقوع الفتن».

وعن ابن عباس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «ألا أخبركم بخير الناس منزلة؟ رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل اللَّه حتى يموت أو يُقْتَل. ألا أخبركم بالذي يتلوه؟ رجل معتزل في شعب، يقيم الصلاة، ويُؤتي الزكاة، ويعتزل شرور الناس. ألا أخبركم بشر الناس؟ رجل يُسأل باللَّه ولا يُعطي»(١).

وعن أبي هريرة مرفوعًا: «يأتي على الناس زمان يكون خير الناس فيه منزلة مَن أخذ بعنان فرسه في سبيل الله يطلب الموت في مَظَانَّهِ، ورجل في شِعْب من هذه الشِّعاب يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويدع الناس إلّا من خير»(٢).

وعن أبي هريرة ﷺ: أن رسول اللَّه ﷺ قال: «مِنْ خير معاش<sup>(٣)</sup> الناس لهم: رجلٌ ممسك عِنان فرسه في سبيل الله، يطير على متنه كلما سمع هَيْعَةً أو فَزْعَةً، طار عليه يبتغي القتل والموت مَظَانَّهُ<sup>(٤)</sup>، أو رجل في غنيمة في رأس شَعَفَةٍ

<sup>(</sup>١) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، والترمذي، والنسائي، وابن حبان، وَصَحَّحَهُ الألباني في «الصحيحة» (٢٥٥١)، و«تخريج الترغيب» (١٧٣/٢)، و«المشكاة» (١٨٨١)، (١٩١٤).

<sup>(</sup>٢) أخرجه مسلم وابن حِبان.

 <sup>(</sup>٣) قال النووي ـ رَحِمَهُ اللّهُ ـ (٣٥/١/٥): المعاش هو العيش، وهو الحياة، وتقديره ـ والله أعدم ـ من خير
 أحوال عيشهم رجل ممسك.

<sup>(</sup>٤) وقال ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: قوله ﷺ: «يطير على متنه كلما سمع هيعةً أو فزعةً طار على متنه يبتغي القتل والموت مظانه» معناه: يُسارع على ظهره ـ وهو متنه ـ، كلما سمع هيعةً وهي الصوت عند حضور العده.

من هذه الشَّعَف أو بطن واد من هذه الأودية يقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين، ليس من الناس إلَّا في خير» (١).

وعبد الخميصة؛ إن أُعْطِيَ رَضِيَ، وإنْ لم يُعط سَخِطَ، تعس وانتكس (٣) الدرهم وعبد الخميصة؛ إن أُعْطِيَ رَضِيَ، وإنْ لم يُعط سَخِطَ، تعس وانتكس (٣) وإذا شيكَ فلا انْتَقَشَ (٤)، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل اللَّه أشعث رأسُهُ مُغْبَرَّةٍ قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة (٥)، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يُؤذن له، وإن شفع لم يُشَفَّع» (٢).

رسول الله على يقول: «أنا زعيم والزعيم الحميل (١٠) عن فضالة بن عُبَيْد شَهِ قال: سمعت رسول الله على يقول: «أنا زعيم والزعيم الحميل (١٠) الجنة - وببيت في ربض في واسلم وجاهد في سبيل الله ببيت في ربض في وسط الجنة، وأنا زعيم لمن آمن بي وأسلم وجاهد في سبيل الله ببيت في ربض

ومعنى يبتغي القتل مظانه: يطلبه في مواطنه التي يرجى فيها لشدة رغبته في الشهادة.
 غُنيمة: تصغير غنم. والشغفة: أعلى الجبل، وفي هذا الحديث فضيلة الجهاد والرباط والحرص على الشهادة.

<sup>(</sup>١) رواه مسلم وابن ماجه.

 <sup>(</sup>٢) تَعِسَ أو تَعَسَ؛ أي: شقي، وقيل: التعس: الكب على الوجه، والنكس: أن يَخِرُّ على رأسه، قال الخليل: التعس: أن يعثر فلا يفيق من عثرته. وقيل: التعس: الشر والبعد والهلاك.

<sup>(</sup>٣) وانتكس؛ أي: عاوده المرض.

<sup>(</sup>٤) وإذا شيك فلا انتقش؛ أي: إذا أصابته الشوكة فلا وجد من يخرجها بالمنقاش.

<sup>(°)</sup> قال ابن الجوزي: المعنى أنه خامل الذكر لا يقصد السمو، فإن اتفق له السير سار، فكأنه قال: إن كان في الحراسة استمر فيها وإن كان في الساقة استمر فيها.

<sup>(</sup>٦) رواه البخاري في «صحيحه»، كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله ( ٢٨٨٧)، ورواه ابن ماجه.

 <sup>(</sup>٧) قال السندي: الحميل: الكفيل، والظاهر أن تفسير الزعيم مدرج من بعض الرواة، وقال السيوطي:
 ويشبه أن يكون قوله: «والزعيم الحميل» من قول ابن وهب ـ أحد الرواة ـ، أدرج في الخبر.

 <sup>(</sup>٨) قال السيوطي: قال في «النهاية»: «ربض» ـ بفتح الباء ـ: ما حولها خارجًا عنها تشبيهها بالأبنية التي تكون حول المدن.

الجنة، وببيت في وسط الجنة، وببيت في أعلى غُرَفِ الجنة، مَن فعل ذلك فلم يدع للخير مطلبًا(١) ولا من الشر مهربًا(٢)، يموت حيث شاء يموت،(٣).

### □ ف الجنة مئة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله:

سبيل الله وبرسوله، وأقام النبي عَلَيْ: «مَن آمن بالله وبرسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان، كان حقًا على الله أن يدخله الجنة، جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي وُلد فيها. فقالوا: يا رسول الله، أفلا نُبَشِّرُ الناس؟ قال: إن في الجنة مئة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين؛ كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس؛ فإنه أوسط(٤) الجنة وأعلى الجنة \_ أراه قال: وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة»(٥).

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٦/٦): «في الحديث فضيلة ظاهرة للمجاهدين، وفيه عِظَمُ الجنة وَعِظَمُ الفردوس منها، وفيه إشارة إلى أن درجة المجاهد قد ينالها غير المجاهد؛ إما بالنية الخالصة أو بما يوازيه من الأعمال الصالحة؛ لأنه عَلَيْ أمر الجميع بالدعاء بالفردوس بعد أن علمهم أنه أعد للمجاهدين».

تنبيه!! ) زعم بعض شُرَّاحِ المصابيح أن النبي ﷺ سوى بين الجهاد في سبيل اللَّه وبين عدمه وهو الجلوس في الأرض التي وُلِدَ المرء فيها، وليست التسوية على

<sup>(</sup>١) قال السندي: أي محل طلب؛ أي: ما من مكان يُطلب منه الخير إلا حضر، وطلب فيه الخير وأخذ منه حظه.

<sup>(</sup>٢) أي: ما من مكان يُهرب إليه من الشر ويُلجأ إليه ويُعتصم به للخلاص منه إلا هرب إليهٍ.

<sup>(</sup>٣) صحيح: رواه النسائي، وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم في «المستدرك»، وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الترغيب» (١٤٦٥). و«صحيح الجامع» (١٤٦٥).

<sup>(</sup>٤) قال الحافظ: المراد بـ «الأوسط» هنا: الأعدل والأفضل؛ كقوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿ وَكَذَالِكَ جَعَلْنَكُمُ أُمَّةً وَسَطَّاكُ ،

<sup>(</sup>٥) رواه البحاري في كتاب «الجهاد والسير» باب «درجات المجاهدين في سبيل الله » حديث رقم ٢٧٩٠.

عمومها؛ وإنما في أصل دخول الجنة لا في تفاوت الدرجات، وليس في هذا السياق ما ينفي أن يكون في الجنة درجات أخرى أعدت لغير المجاهدين دون درجة المجاهدين.

### 🗖 المجاهدون في ضمان اللَّه وعونه وحمايته:

قال المناوي: «ثلاثة كلهم ضامن»؛ أي: مضمون على حد ﴿عِشَةِ رَّاضِيَةٍ ﴾؛ أي: مرضية، أو ذو ضمان؛ كالقاسط فهو من باب النسب ذكره البيضاوي، وساق نحوه النووي في «الأذكار»؛ فقال: معنى ضامن صاحب الضمان، والضمان الرعاية للشيء؛ كما يُقَالُ: تَامِرٌ وَلَابِنٌ؛ أي: صاحب تمر ولبن.

«رجل خرج غازيًا في سبيل الله»؛ أي: لإعلاء كلمة الله «فهو ضامن على الله» الآية: ﴿وَمَن يَخْرُجُ مِنَ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ ﴾، ولا يزال مضمونًا عليه «حتى يتوفاه» الله «فيدخله الجنة» برحمته «أو يرده بما نَالَ من أجر أو غنيمة» «ورجل راح إلى المسجد فهو ضامن على الله حتى يتوفاه فيدخله الجنة أو يرده بما نال من أجر أو غنيمة، ورجل دخل بيته بسلام»؛ أي: لازم بيته؛ إيثارًا للعزلة وطلبًا للسلامة من الفتنة، أو المراد أنه إذا دخل سلم على أهله؛ ائتمارًا بقوله وسبحانه من الفتنة، أو المراد أنه إذا دخل سلم على أهله؛ ائتمارًا بقوله سبحانه من الفتنة، أو المراد أنه إذا دخل سلم على أهله؛ ائتمارًا بقوله سبحانه من الفتنة، أو المراد أنه إذا دخل سلم على أهله؛ ائتمارًا بقوله سبحانه من الفتنة بيُوتًا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ الله النور: ٢١]، قال الطيبي:

<sup>(</sup>١) صحيح: رواه أبو داود في «سننه»، كتاب الجهاد ولم يضعفه، وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم في «مستدركه»، كتاب البيوع، وَصَحَّحَهُ وأقره الذهبي، وَصَحَّحَهُ السيوطي، وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٠٥٣)، «تخريج المشكاة» (٧٢٧)، و«صحيح الجامع» (٣٠٥٣).

والأول أوجه وبملاءمة ما قبله أوفق؛ لأن المجاهدة في سبيل الله سفر، والرواح إلى المسجد حضر، ولزوم البيت اتقاءً من الفتن أخذ بعضها بحجزة بعض «فهو ضامن على الله» قال النووي رضي الأذكار»: معناه أنه في رعايته وما أجزل هذه العطية. وقال الطيبي: عَدَّى «ضامن» بـ«على» تضمينًا لمعنى الوجوب والمحافظة على سبيل الوعد؛ أي: يجب على الله وعدًا أن يكلأه من مضار الدنيا والدين، ولم يذكر الشيء المضمون به في الثالث؛ اكتفاء بما قبله»(١).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «ثلاثة في ضمان اللَّه ﷺ: «ثلاثة في ضمان الله عَلَّى: رجل خرج غازيًا في سبيل الله، ورجل خرج غازيًا في سبيل الله، ورجل خرج حاجًا» (٢٠).

«في ضمان الله»؛ أي: في حفظه وكلاءته ورعايته.

عن معاذ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «خمسٌ من فعل واحدة منهن كان ضامنًا على الله: مَن عاد مريضًا، أو خرج غازيًا، أو دخل على إمامه يريد تعزيره وتوقيره، أو قعد في بيته فسلم الناس منه وسلم من الناس (٣).

قل رسول اللَّه ﷺ: «يقول اللَّه عن أنس ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «يقول اللَّه ـ تَعَالَى ـ: المجاهد في سبيلي هو عليَّ ضامن؛ إن قبضته أورثته الجنة، وإن رجعته رجعته بأجر أو غنمة (\*).

<sup>(</sup>۱) «فيض القدير» (۳۱۹/۳، ۳۲۰).

<sup>(</sup>٢) صحيح: رواه أبو نعيم في «الحلية»، وَصَحَّحَهُ الأَلباني في «الصحيحة» (٩٨٥)، و«صحيح الجامع» رقم (٣٠٥١).

<sup>(</sup>٣) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، والطبراني في «الكبير». قال الهيثمي: فيه ابن لهيعة وفيه مقال مشهور، وبقية رجاله ثقات. وَصَحَّحه السيوطي، والألباني في «الترغيب» (١٦٦/٢)، و«صحيح الجامع» رقم (٣٢٥٣).

<sup>(</sup>٤) صحيح: رواه الترمذي في «سننه»، وَصَحَّحَهُ الألباني في «الترعيب» (١٧٨/٢)، والصحيح الحامع» (٤).

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة حق على الله ـ تَعَالَى ـ عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتَب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف "(٢).

قال المناوي: «إنما آثر هذه الصيغة إيذانًا بأن هذه الثلاثة من الأمور الشاقة التي تكدح الإنسان وتقصم ظهره لولا أن يُعان عليها.

فإذا رأيتَ واحدًا من هؤلاء فأعنه بمال أو قال أو حال؛ فإنك إذا أعنتهم فأنت نائب الحق في عونهم؛ فإنه إذا كان عون هؤلاء حقًّا على الله، فمن أعانهم فقد أدَّى عن الله ما أوجبه على نفسه؛ فيتولى الله كرامته بنفسه، فما دام المجاهد مجاهدًا بما أعنته عليه؛ فأنت شريكه في الأجر ولا ينقصه شيء، وإذا وُلِدَ للناكح ولدٌ صالح كان لك في ولده وعقبه أجر، وأقر به عين محمد عليه يوم القيامة».

# □ الجهاد باب من أبواب الجنة يُذْهِبُ اللَّه به الهم والغم:

عن أبي أمامة رضي قال: قال رسول الله رسول الله الله عليكم بالجهاد في سبيل الله؛ فإنه باب من أبواب الجنة، يُذْهِبُ الله به الهم والغم (٣٠٠.

وما أكثر الهموم والغموم والأحزان، ودم المسلم أرخص الدماء في كل شبر ومكان!!

قالوا سهرتَ وفي فؤادِك حرقة تَدْمَى وألفُ تساؤلِ يسردُّهُ وعلى جبينك قصَّةٌ مكلومَةٌ تروي المآسي للجميع وتسرهُ

<sup>(</sup>١) المكاتب: العبد الذي كاتبه سيده على نجوم إذا أدَّاها عُتِق.

<sup>(</sup>٢) رواه أحمد، والترمذي، والنسائي في الجهاد، وابن ماجه في الأحكام، والحاكم في النكاح، وقال: على شرط مسلم. وقال الترمذي: حسن. وحَسَّنَهُ الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٠٥٠).

 <sup>(</sup>٣) صحيح: رواه الطبراني في «الأوسط» عن أبي أمامة، ورواه أحمد في «مسنده»، والحاكم في «المستدرك»،
 والهيثم، وابن بشران، والضياء في «المختارة» عن عبادة، قال الحاكم: صحيح. وأقرَّهُ الذهبي.

قال الهيثمي: فيه عمرو بن الحصين متروك، وعمرو هذا قال الطبراني تفرَّد به. والحديث ضعَّفه السيوطي، وَصَحَّحَهُ الأَلباني في السلسة «الصحيحة» رقم (١٩٤١)، و«صحيح الجامع» رقم (٤٠٦٣).

ودموعك المُلاَى بألف حكاية أنا يا صحاب قضيَّة مسلوبةً أنا يا صحاب مشاعر موتورةً أنا يا صحاب مدامع محمومةً أنا يا صحاب من الجراح معذَّبٌ في كل أرض تُستباحُ دماؤنا هل هذه كشمير ضاع نحيبها أم هذه القدس الجريحة تشتكي أم هذه أفغانُ تلعق جرحها وأبيت تلحقنى معرَّة ذلتى

رسمتْ على خَدَّيْك نارًا تُوقدُ لَعِبَ الدَّعِيُّ بها وغاب السيِّدُ للثأر تسعى والمسالِكُ تُوصَدُ تَهْمَى من الألم المميت فتبردُ في كل أرض جُرْحنا يتمددُ في كل أرض يُستباحُ المسجدُ بين اللظى وبها الكلاب استأسدوا بين اللظى وبها الكلاب استأسدوا صمت يقطعه الأنين الأسودُ مما يخططه القريبُ الأنجدُ وتبيت تبحث عن صديق يُنْجِدُ وبكاءُ أحبابى هناك استنجدوا

□ الروحة والغدوة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها، وخير مما . طلعت عليه وغربت:

وعن سهل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الروحة والغدوة في سبيل الله أفضل من الدنيا وما فيها» (١).

تِعَ وقال رسول اللَّه ﷺ: «غدوة في سبيل اللَّه أو روحة خير من الدنيا وما فيها»(٢).

وعن أبي أيوب رضي قال: قال رسول الله على: «غدوة في سبيل الله أو روْحة خير مما طلعت عليه الشمس وغربت» (٣).

<sup>(</sup>١) رواه البحاري ـ كتاب الجهاد والسير ـ باب العدوة والروحة في سبيل الله (٢٧٩٤)، ومسلم، والنسائي. (٢) رواه أحمد، والبخاري ومسلم عن أنس، والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن سهل بن سعد، ومسلم وابن ماجه عن أبي هريرة، والترمذي عن ابن عباس.

<sup>(</sup>٣) رواه أحمد، ومسلم، والنسائي.

حمل وعن أبي هريرة والنبي النبي قال: «لَقَابُ قوسٍ في الجنة خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب». وقال: «لغدوة أو رؤحة في سبيل الله خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب» (١).

الغَدُّوة ـ بالفتح ـ: المرة الواحدة من الغدو؛ وهو: الخروج في أي وقت كان من أول النهار إلى انتصافه.

والروحة: المرة الواحدة من الرواح؛ وهو: الخروج في أي وقت كان من زوال الشمس إلى غروبها.

«في سبيل الله»؛ أي: الجهاد.

«خير ثما تطلع عليه الشمس وتغرب» هو المراد بقوله «خير من الدنيا وما فيها». قال ابن حجر في «الفتح» (١٨/٦): «قوله خير من الدنيا وما فيها» قال ابن دقيق العيد: يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون من باب تنزيل المغيب منزلة المحسوس تحقيقًا له في النفس؛ لكون الدنيا محسوسة في النفس مستعظمة في الطباع؛ فلذلك وقعت المفاضلة بها، وإلا فمن المعلوم أن جميع ما في الدنيا لا يساوي ذرة مما في الجنة.

والثاني: أن المراد أن هذا القدر من الثواب خير من الثواب الذي يحصل لمن لو حصلت له الدنيا كلها لأنفقها في طاعة الله - تَعَالَى .... والحاصل أن المراد تسهيل أمر الدنيا وتعظيم أمر الجهاد، وأن من حصل له من الجنة قدر سوط يصير كأنه حصل له أمر أعظم من جميع ما في الدنيا؛ فكيف بمن حصل منها أعلى الدرجات.

والنكتة في ذلك: أن سبب التأخير عن الجهاد الميل إلى سبب من أسباب الدنيا؛ فنبه هذا المتأخر أن هذا القدر اليسير من الجنة أفضل من جميع ما في الدنيا».

<sup>(</sup>١) رواه البخاري في «صحيحه»، كتاب الجهاد والسير ـ باب الغدوة والروحة في سبيل الله (٢٧٩٣).

وعن أنس بن مالك على عن النبي الله الله عن النبي الله قال: «لغدوة في سبيل الله أو روْحة خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم أو موضع قدّه (١) في الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض، لملأت ما بينهما ريحًا، ولأضاءت ما بينهما، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها» (٢).

• وعند البخاري: «لروْحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها، ولقاب (٣) قوس أحدكم من الجنة أو (٤) موضع قيد ـ يعني: سوْطه ـ خير من الدنيا وما فيها، ولو أنَّ امرأة من أهل الجنة اطَّلعت إلى أهل الأرض، لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحًا، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها» (٥). إن كان نصيفها وخمارها خيرًا من الدنيا وما فيها؛ فما بالك بصاحبة الخمار؟! وإن كان كل واحدة يُعْطَاهَا من الحور العين لو اطلعت على الدنيا لأضاءتها كلها؛ فما ظنك باثنتي وسبعين زوجة من الحور العين للشهيد؟!

□ الغازي من وفد الله الذين دعاهم فأجابوه وسألوه فأعطاهم:

و عن ابن عمر ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «الغازي في سبيل اللَّه ﷺ، والحاج، والمعتمر وفد الله، دعاهم فأجابوه، وسألوه فأعطاهم» (٢٠).

<sup>(</sup>١) قدِّه: سوطه المتخذ من الجلد.

<sup>(</sup>٢) رواه أحمد، والبخاري ومسلم، والترمذي، وابن ماجه.

<sup>(</sup>٣) ولقاب؛ أي: ولقدر، وكذلك قيد . بكسر القاف .: معناه القدر.

<sup>(</sup>٤) أُو . هنا .: شك من الراوي هل قال قاب أو قِيد. نصيفها؛ أي: خمارها.

<sup>(°)</sup> رواه البخاري في «صحيحه»، كتاب الجهاد والسير ـ باب الحور العين وصفتهن (٢٧٩٠).

<sup>(</sup>٦) صحيح: رواه ابر ماجه، وابن حبان في «صحيحه»، والطبراني في «الكبير».

### 🗖 عُلُقُ درجة المجاهدين:

وَضِيَ بِاللَّهُ رَبًّا، وبِالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًّا، وَجَبَتْ له الجنة»، فعجب لها أبو سعيد! فقال: «والإسلام دينًا، وبمحمد نبيًّا، وَجَبَتْ له الجنة»، فعجب لها أبو سعيد!! فقال: أعِدها عليَّ يا رسول الله!! ففعل، ثم قال: «وأخرى يُرفع بها العبد مئة درجة في الجنة ما بين كل درجتين؛ كما بين السماء والأرض». قال: وما هي يا رسول الله؟! قال: «الجهاد في سبيل الله، الجهاد في سبيل الله»(١).

قال النووي - رَحِمَهُ اللَّهُ -: قال القاضي عياض وَ الناه الناه الله على ظاهره، وأن الدرجات هنا المنازل التي بعضها أرفع من بعض في الظاهر، وهذه صفة منازل الجنة؛ كما جاء في أهل الغرف أنهم يتراءون الكوكب الدري. قال: ويحتمل أن المراد الرفعة بالمعنى؛ من كثرة النعيم وعظيم الإحسان مما لم يخطر على قلب بشر ولا بصفة مخلوق، وأن أنواع ما أنعم الله به عليه من البر والكرامة يتفاضلا كثيرًا، ويكون تباعده في الفضل؛ كما بين السماء والأرض في البعد. قال القاضي: والاحتمال الأول أظهر، وقال النووي: وهو كما قال، والله أعلم».

ولا مانع من اجتماع المعنيين؛ فجود اللَّه لا يُحَدُّ وكذلك قدرته.

# □ الغبار في سبيل الله يُحَرِّمُ النار على المجاهد:

ريخ العبير لكم ونحن عبيرنا وهج السنابك والغبار الأطيبُ ويخ العبير لكم ونحن عبيرنا وهج السنابك والغبار الأطيبُ وي عن أبي هريرة الله قال: قال رسول الله على: «لا يجتمع غبارٌ في سبيل الله ودخان جهنم في منخري مسلم أبدًا» (٢).

وقال رسول الله ﷺ: «لا يجتمع غبارٌ في سبيل الله ودخان جهنم في

<sup>(</sup>١) رواه أحمد في «مسنده» (١٤/٣)، ومسلم (١٨٨٤)، والنسائي (٧/٢).

<sup>(</sup>٢) صحيح: رواه النسائي، وابن ماجه، وابن حبان في «صحيحه»، وَصَحَّحَهُ الألباني في «تخريج المشكاة» (٣٨٢٨)، و«صحيح الترغيب» (١٦٦/٢)، و«صحيح الجامع» رقم (٧٦١٧).

جوف عبد أبدًا، ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبدًا»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي هريرة في قال: قال رسول الله في الله على: «لا يجتمعان في النار: مسلم قتل كافرًا ثم سدَّد وقارب، ولا يجتمعان في جوف مؤمن غبار في سبيل الله وَفَيْحُ جهنم، ولا يجتمعان في قلب عبد الإيمان والحسد»(٢).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لا يلج النار رجل بكى من خشية اللَّه حتى يعود اللبن في الضَّرْع، ولا يجتمع غبار في سبيل اللَّه ودخان جهنم في منخري مسلم أبدًا»(٣).

حَمْ وَعَنْ عَائِشَةً ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «ما خالط قلب امرئ مسلم رَهَجُ في سبيل اللَّه إلا حرَّم اللَّه عليه النار»<sup>(1)</sup> والرهج: هو غبار القتال.. فما أطيب هذا الغبار.. إن كان يُحرِّم علينا النار!!.

وي عن أنس ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «من راح روحة في سبيل اللَّه كان له بمثل ما أصابه من الغبار مسكًا يوم القيامة (٥٠).

<sup>(</sup>١) صحيح: رواه النسائي، والحاكم في «مستدركه» عن أبي هريرة، وَصَحَّحَهُ الألباني في «تخريج المشكاة» (٣٨٢٨)، و«صحيح الجامع» رقم (٧٦/٦).

<sup>(</sup>٢) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، والنسائي، والحاكم في «المستدرك»، وَصَحَّحَهُ الألباني في «الترغيب» (١٦٧/٢)، و«صحيح الجامع» رقم (٧٦٢٠).

<sup>(</sup>٣) صحيح: رواه أحمد، والترمذي، والنسائي، والحاكم في «المستدرك»، وَصَحَّحَهُ الألباني في «تخريح المشكاة» (٣٨٢٨)، و«صحيح الترغيب» (١٦٦/٢).

<sup>(</sup>٤) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، ورهز السيوطي لجِسْنِهِ، قال المناوي في «فيض القدير» (٤٣/٥): وهو كما قال أوْ أعلى؛ فقد قال الهيثمي: رجاله ثقات. وَصَحَّحَهُ الأَلباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٢٢٧)، و«صحيح الجامع» رقم (٢٦١٦).

<sup>(</sup>٥) حسن: رواه ابن ماجه في «سننه»، والضياء في «المختارة»، وفيه شبيب البجلي، قال أبو حاتم: لين. نقله عمه في «الكاشف»، وأشار إلى حُسنه السيوطي، وحَسَّنَهُ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٣٣٨). و «صحيح الجامع» رقم (٢٢٦٠).

ما أعد اللَّه له من النعيم قدر ذلك الغبار الذي أصابه في المعركة وفي ذهابه إليها مسكًا يتنعم به!!.

والله، إن الدنيا كلها من يوم خلقها اللّه إلى يوم القيامة لا تساوي أقل ذرة من هذا المسك. ففي نيل هذا المسك نافس.. وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

### 🗖 فضل من اغْبَرَّتْ قدمه في سبيل الله:

ما اغبرًتا عن أبي عَبْس عبدالرحمن بن جبر: أن رسول الله على قال: «ما اغبرًتا قدما عبدٍ في سبيل الله إلا حرَّم الله عليه النار»(١).

• ولفظ البخاري: «ما اغبرَّتا قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار» (٢٠).

قال ابن حجر: «والمعنى أن المسَّ ينتفي بوجود الغبار المذكور؛ وفي ذلك إشارة إلى عظيم قدر التصرف في سبيل الله؛ فإذا كان مجرد مسِّ الغبار للقدم يحرِّم عليها النار؛ فكيف بمن سعى وبذل جهده واستنفد وسعه؟!»<sup>(٣)</sup>.

وه عن أبي عبس ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ «من اغبرت قدماه في سبيل الله، حرَّمه اللَّه على النار»(٤٠).

والمراد: المشي في سبيل الله؛ أي: في طريق يطلب فيها رضا الله؛ فشمل طريق الجهاد، وطلب العلم، وحضور الجماعة والحج وغير ذلك؛ لأنه اسم جنس مضاعف يفيد العموم إلَّا أن المتبادر في سبيل اللَّه الجهاد.

فيه تنبيه على فضيلة المشي على الأقدام للطاعات، وأنه من الأعمال الرابحة

<sup>(</sup>١) صحيح: أخرجه الشيرازي في «الألقاب» عن عثمان، وأحمد، والبخاري، والترمذي والنسائي عن عبدالرحم بن جبر، ورواه أحمد، والدارمي عن مالك بن عبدالله، والطيالسي وأحمد عن جابر. وصَحَّحَهُ الألباني في «الصحيحة» رقم (٢٢١٩)، و«صحيح الجامع» (٥٥٤٣).

<sup>(</sup>٢) رواه البخاري في «صحيحه»، كتاب الجهاد والسير . باب من اغبرَّت قدماه في سبيل الله (٢٨١١).

<sup>(</sup>٣) فتح الباري (٣٦/٦).

<sup>(</sup>٤) رواه أحمد في «مسنده»، والبخاري، والترمذي، والنسائي.

التي يستوجب العبد بها معالي الدرجات والفردوس الأعلى.

وعند ابن حبان من حديث جابر: أنه كان في غزاة فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: فذكر نحو حديث الباب، قال: فتواثب الناس عن دوابهم فما رئيني أكثر ماشيًا من ذلك اليوم.

### 🗖 حرام على النار أن تمسُّ عين المجاهد:

حن ابن عباس ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ «عينان لا تُصيبهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله» (١٠).

راك وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «عينان لا تمسهما النار أبدًا: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله» (٢).

رعن أنس ﷺ قال: قال رسول اللّه ﷺ: «عينان لا تريان النار: عين بكت وجلًا من خشية الله، وعين باتت تكلأ في سبيل الله»(٣).

«قال الطيبي: قوله: «عين بكت...» إلخ كناية عن العالم العابد المجاهد مع نفسه؛ لقوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿ إِنَّمَا يَغْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَا وَأَلَّى حيث حصر الخشية غير متجاوزة عنهم؛ فحملت النسبة بين العينينِ: عين مجاهدة مع النفس والشيطان وعين مجاهدة مع الكفار» (٤).

<sup>(</sup>۱) صحيح: رواه الترمذي، وَصَحَّحَهُ السيوطي، والألباني في «تخريج المشكاة» (۳۸۲۹)، و«الترغيب» (۱۰۳/۲)، و«صحيح الجامع» (٤١١٢).

<sup>(</sup>٢) صحيح: رواه أبو يعلى، والضياء في «المختارة»، وقال المنذري: رجاله ثقات. وَصَحَّحَهُ السيوطي، والألبابي في «تحريج المشكاة» (٣٨٢٩)، و«الترغيب» (١٥٣/٢)، و«صحيح الجامع» (٤١١٣).

<sup>(</sup>٣) صحيح: رواه الطراني في ١٥ لأوسط، وقال المناوي في «فيض القدير» (٣٦٨/٤): الوفيه زافر بن سليمان، فال ابن عدي: لا يُتَابَعُ على حديثه، وشبيب بن بشر أورده الذهبي في الضعفاء، وقال: قال أبو حاتم: لين الحديث، اهـ. وَصَحَّحَهُ السيوطي، والألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤١١١)، و«المشكاة» (٣٨٢٩)، و«الترغيب» (١٥٣/٢).

<sup>(</sup>٤) «فيض القدير» (٣٦٨/٤).

رح وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «حُرِّم على عينين أن تنالهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله، (١٠).

«باتت تحرس في سبيل الله» في أيام القتال أو في الرباط في الثغر، و «عين بكت من خشية الله» فهذان لا يردان النار إلا تحلة القسم؛ جزاء بما كانوا يعملون.

حَن أبي ريحانة على عالى: قال رسول الله على: خُرِّمت النار على عين بكت من خشية الله، وحُرِّمت النار على عين بكت من خشية الله، وحُرِّمت النار على عين سهرت في سبيل الله، وحُرِّمت النار على عين غضَّت عن محارم الله، أو عين فُقِئت في سبيل الله، "٢).

حديثًا لم يمنعني أن أحدثكم به إلَّا الضنَّ به: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «حرس ليلة في سبيل اللَّه أفضل من ألف ليلة يُقامُ ليلها ويُصام نهارُهَا» أ

<sup>(</sup>١) حسن: رواه الحاكم والبيهقي في «شعب الإيمان».

وسكت عنه الحاكم فتعقبه الذهبي وقال: فيه انقطاع. وَصَحَّحَهُ السيوطي في «الجامع الصغير»، وحَسَّنَهُ الألباني في «صحيح الترغيب» (١٥٥/٢).

<sup>(</sup>٢) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير»، والحاكم في «المستدرك»، وقال الحاكم: صحيح. وأقرّه الذهبي، وقال الهيثمي والطبراني: رجال أحمد ثقات. وصحححه السيوطي في «الجامع الصغير» قال أبو ريحانة في الحداد و الله الله على الله على الله على شرف، فأصابنا برد شديد حتى كاد أحدنا يحمر الحفير، فيدخل فيه ويغطى بجحفته. فلما رأى ذلك فقال: «ألا رجل يحرسنا الليلة أدعو الله له بدعاء يصيب فضلًا؟» فقال رجل من الأنصار: أنا. فدعا له، فقلت: أنا. فدعا لي ثم ذكره...

<sup>(</sup>٣) حسن: رواه الطبراني في «المعجم الكبير»، والحاكم في «المستدرك»، والبيهقي في «شعب الإيمان»، قال الحاكم: صحيح. وأقره الذهبي في «التلخيص»، قال المناوي في «الفيض» (٣٧٩/٣): «وهو غير سديد، كيف وقد أورد هو مصعبًا هذا في الضعفاء، وقال: ضعفوا حديثه. وقال في «الكاشف»: فيه لين لغلطه. نعم، قال ابن حجر: إسناده حسن» اه.

# عينان<sup>(١)</sup>

عينانِ كلتاهما في الليل ساهرة في كل رعشة جَفْنِ منهما أَلَقٌ إحداهما في سبيل اللَّه قائمة وأختُهَا في سكون الليل خاشعة من خشية اللَّه أوْ مِن فيضِ رحمته كأنها في بحار الشوق سابحة بين الرجاء وبين الخوفِ منزلة عينان هذا مع الرحمن شأئهما

وتحت ثوب الدجى والصمت تلتحف إلى السماء ونحو الخلد مُنْعَطَفُ على الثغور وفي جَفنِ الرَّدى يَقِفُ مقروحة الجَفن في المحراب تعتكِفُ باتت ومَدْمَعُهَا في لوعة يكِفُ أو من رحيق الهدى والطهر تعترفُ ينبيك عن سرها المكنون من عرفوا يأويهما منه في جناته كَنفُ

الله عن أبي أمامة ﴿ قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس شيء أحب إلى الله عَلَى عن أبي أمامة ﴿ وقطرة دم الله عنالَى عن قطرتَيْنِ وأَثْرَيْنِ: قطرة دموع من خشية الله عنالَى عن وقطرة دم تُهراق في سبيل الله عنالَى عنه وأثر في أثر في سبيل الله عنالَى عنه وأثر في فريضة من فرائض الله عنالَى (٢).

قال المناوي في «فيض القدير» (٣٦٥/٥): «ليس شيء أحب إلى الله ـ تَعَالَى ـ من قطرتين وأثرين قطرة دموع»؛ أي: قطراتها؛ فلما أضيفت إلى الجمع أفردت ثقة بذهن السامع «من خشية الله»؛ أي: من شدة خوف عقابه أو عتابه «وقطرة دم تهراق في سبيل الله» أفرد الدم وجمع الدمع تنبيهًا على تفضيل إهراق الدم في سبيل الله على تقاطر الدموع.

«وأما الأثران: فأثر في سبيل الله، وأثر في فريضة من فرائض الله» قال ابن العربي: الأثر ما يبقى بعده من عمل يجري عليه أجره من بعده؛ ومنه قوله عَجَلَّتْ:

<sup>(</sup>١) نداء الحق، لأحمد محمد الصديق ص (١١١، ١١٢).

 <sup>(</sup>٢) صحيح: رواه الترمذي في «سننه» في الجهاد، والضياء في «المختارة»، وفي سند الترمذي الوليد بن جميل قال في الكاشف: لَيَّتُهُ أبو زرعة. وَصَحَّحَهُ الألباني.

﴿ وَنَكَتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثَكُوهُم ﴿ وَقَالَ غَيْرِه: الأَثْرِ مَا يَبْقَى مِنْ رَسُومِ الشّيءِ وَحَقَيقته مَا يَدَلُ عَلَى وَجُودِ الشّيء، والمراد خطوة الماشي وخطوة الساعي في فريضة من فرائض الله أو ما بقي على المجاهد من أثر الجراحات وعلى الساعي المتعب نفسه في أداء الفرائض والقيام بها والكد فيها كاحتراق الجبهة من حرّ الرمضاء التي يسجد عليها وانفطار الأقدام من برد ماء الوضوء ونحو ذلك» اهـ.

#### 🗖 قيام ساعة في الصف وأجرها العظيم:

حرب قال رسول الله ﷺ: «قيام ساعة في الصف للقتال في سبيل الله خير من قيام ستين سنة (١٠).

نعم، قيام ساعة في الصف إذا تعين الجهاد والقتال في سبيل الله خير من تهجد ستين سنة!!.

حَيْنَةٌ من ماءِ عَذْبَةٌ، فأعجبته؛ لِطِيبِهَا؛ فقال: لو اعتزلت الناسَ، فأقمت في هذا الشَّعْبِ، ولن أفعل حتى أستأذن رسولَ اللَّهِ عَلَىٰ ، فَذَكَرَ ذلك لرسول اللَّه عَلَىٰ ؛ فقال: «لا تفعل؛ فإن مقام أحدكم في سبيل اللَّه أفضلُ من صلاته في بيته سبعين عامًا؛ ألا تحبون أن يغفر اللَّه لكم ويدخلكم الجنة؟ اغزوا في سبيل الله؛ من قاتل في سبيل اللَّه فُواق ناقة وجبت له الجنة (٢٠).

٦٩ عن أبي هريرة رهيه قال: قال رسول الله عليه : «موقف ساعة في

<sup>(</sup>۱) صحيح: رواه ابن عدي وابن عساكر عن أي هريرة، وأحمد والترمذي، والحاكم، ورواه أحمد عن أبي أمامة، والدارمي والحاكم والبيهقي في «سننه» عن عمران بن حصين، وَصَحَّحَهُ الألباني في «السلسة الصحيحة» رقم (٩٠٢).

<sup>(</sup>٢) حسن: رواه الترمذي، والحاكم في «المستدرك» عن أبي هريرة، وَصَحَّحَهُ الألباني في «تخريج المشكاة» (٣٨٣٠)، و«الترغيب» (١٧٤/٢)، و«صحيح الجامع» (٧٣٧٩).

سبيل اللَّه خيرٌ من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود» (١).

٧٠ وعن عمران بن حصين ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لقيام رجل في الصف في سبيل اللَّه ﷺ: «لقيام رجل في الصف في سبيل اللَّه ﷺ:

٧١ وعن عمران بن حصين ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مقام الرجل في الصف في سبيل اللَّه أفضل من عبادة ستين سنة» (٣).

وما ورد من الاختلاف في الروايات من كون المقام في الصف أفضل من ستين وفي غيرها أفضل من سبعين «قال البيهقي: القصد به تضعيف أجر الغزو على غيره، وذلك يختلف باختلاف الناس في نياتهم وإخلاصهم، ويختلف باختلاف الأوقات، ويحتمل أن يعبر عن التضعيف والتكثير مرة بأربعين مرة، ومرة بستين، وأخرى بما دونها، وأخرى بما فوقها اه. وقال بعضهم: فمن وجب عليه الغزو وكان التخلي للعبادة المندوبة يفوته فالتخلي لها معصية بل هي حينئذ معصية؛ لإستيلائمها ترك القرض، وأما التعليل بأن الاشتغال بالعبادة لا يوجب الغفران ودخول الجنان فغير صواب» (٤).

<sup>(</sup>١) صحيح: رواه ابن حبان في «صحيحه»، والبيهقي في «شعب الإيمان»، وَصَحَّحَهُ الأَلباني في «السسلة الصحيحة» (٦٦٣٦)، و«الترغيب» (١٠٢/٢)، و«صحيح الجامع» رقم (٦٦٣٦).

<sup>(</sup>٢) صحيح: أورده البيهقي في «سننه»، والخطيب في «تاريخه» في ترجمة عبدالرحمن البخاري، وفيه إسماعيل بن عبيد الله المكي، قال في «الميزان»: لا يُعرف. وسبقه العقيلي فأورده في «الضعفاء» فقال: لا تُحفظ أحاديثه. وساق له هذا الحديث.

أخرجه الدارمي، والعقيلي، وابن عساكر عن عمران، وأحمد والترمذي والحاكم، والبيهقي في «سننه» عن أبي هريرة، وأحمد عن أبي أمامة، وَصَحَّحَهُ الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٩٠٢، ١٩٠٠). و«صحيح الجامع» رقم (١٥١٥).

<sup>(</sup>٣) صحيح: رواه الطبراني في «المعجم الكبير»، والحاكم، والبيهقي كلهم في الجهاد، وقال الحاكم: على سرط البخاري. وأقرّه الذهبي، وقال الهيثمي ـ بعدما عزاه للطبراني ـ: فيه عبدالله بن صالح كاتب الليث وَتُقَّهُ ابن معين، وَضَعَّفَهُ أحمد. وَصَحَّحَهُ السيوطي في «الجامع الصغير»، والألباني في «السلسلة الصحيحة» (٩٠٢)، و«صحيح الجامع» (٥٨٨٦).

<sup>(</sup>٤) افيض القديرا (٥٢٨/٥).

وي أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب، يأخذون بسنته، ويتقيدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خُلُوف () ، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل (٢٠).

قال المناوي: «أيما مسلم رمى بسهم في سبيل الله»؛ أي: في الجهاد؛ لإعلاء كلمة الله «فبلغ» إلى العدو «مخطعًا أو مصيبًا فله من الأجر كرقبة»؛ أي: مثل أجر نسمة أعتقها من ولد إسماعيل بن إبراهيم الخليل التَكْيِّكُلْ ، «وأيما رجل شَابَ في سبيل الله»؛ أي: في الجهاد أو في الرباط؛ يعني: من هول ذلك، ويحتمل أن المراد دَوَامَ على الجهاد حتى أسنَّ (٤٠).

٧٤ وعن عمرو بن عبسة رضي قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَن رمي العدو

<sup>(</sup>١) خلوف: جمع خَلْف؛ وهو: القرن من الناس.

<sup>(</sup>۲) رواه أحمد في «مسنده»، ومسلم.

 <sup>(</sup>٣) صحيح: رواه الطبراني في «المعجم الكبير»، وَصَحَّحَهُ الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم
 (١٧٥٦)، و«صحيح الجامع» رقم (٢٧٣٩).

<sup>(</sup>٤) «فيض القدير» (١٥٦/٣).

بسهم في سبيل الله، فبلغ سهمه العدو، أصاب أو أخطأ، يعدل رقبة»(١).

وعن أبي نجيح ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من رمى بسهم في سبيل الله، فهو له عدل مُحَرَّر» (٢٠).

«والمعنى من رمى بسهم بنية جهاد الكفار، كان له ثواب مثل ثواب تحرير رقبة؟ أي: عتقها» (٣).

قال أبو نجيح: حاصرنا قصر الطائف، فسمعت رسول اللَّه ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ يقول:... الحديث. قال أبو نجيح: فبلغت يومئذ ستة عشر سهمًا.

٧٦ عن أبي نجيح ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَن بلغ بسهم في سبيل اللَّه فَهُو له درجة في الجنة» (عن شارك بسهم.

#### 🗖 المجاهد الصابر الصادق الثابت حبيب إلى الله:

٧٧ عن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «ثلاثة يحبهم الله، وثلاثة يُشْتِعُ مُنْ الله: الرجل يلقى العدو في فئة فَيَنْصِبُ لهم نحره حتى يُقتل أو يُفْتَحَ لأصحابه، والقوم يسافرون فيطول شرَاهم حتى يحبوا أن يمسوا الأرض فينزلون، فيتنحى أحدهم فيصلي حتى يوقظهم لرحيلهم، والرجل يكون له الجار يؤذيه جاره

<sup>(</sup>١) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، والنسائي، وابن ماجه، والطبراني في «المعجم الكبير»، والحاكم في «المستدرك»، وَصَحَحَهُ الألباني في «الترغيب» (١٧١/٢)، و«صحيح الجامع» (٦٢٦٧).

<sup>(</sup>٢) صحيح: رواه الترمذي، والنّسائي، والحاكم في «المستدرك»، قالَ الحاكم: على شرطهما. وأقره الذهبي، وَصَحَّحَهُ السيوطي، وكذا صححه الألباني في «الترغيب» (١٧١/٢)، و«صحيح الجامع» (٦٢٦٨).

وعدل ـ بكسر العين وفتحها ـ؛ أي: مثل.

<sup>(</sup>٣) «فيض القدير» (١٣٨/٦).

<sup>(</sup>٤) صحيح: رواه أبو داود، والنسائي، وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم في «المستدرك»، وَصَحَّحَهُ الألباني في «تحريج فقه السيرة» (٢٢٥)، و«تخريج المشكاة» (٣٨٧٣)، و«الترغيب» (١٧١/٢)، و«صحيح الجامع» (٢١٢٦).

فيصبر على أذاه حتى يفرَّق بينهما موت أو ظعن، والذين يشنؤهم الله: التاجر الحلاف، والفقير المختال، والبخيل المنَّان»(١).

وعن أبي ذر الله والله و

🗖 ويضحك اللَّه إليه، ومن ضحك اللَّه إليه فلا حساب عليه:

ولا الله عن أبي سعيد رضي قال: قال رسول الله على: «ثلاثة يضحك الله الله على: «ثلاثة يضحك الله إليهم: الرجل إذا قام من الليل يصلي، والقوم إذا صَفُّوا للصلاة، والقوم إذا صَفُّوا للقتال»(٤).

<sup>(</sup>١) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، قال العراقي: فيه ابن الأحمس ولا يُعرف حاله. قال: ورواه ـ أيضًا ـ أحمد والنسائي بلفظ آخر بإسناد جيد. اهـ.

وكذا رواه الترمذي، وابن حبان، والحاكم، وابن المبارك، وابن أبي شيبة، وابن نصر والطحاوي، وَصَحَّحَهُ الأَلباني في «تخريج المشكاة» (١٩٢٢)، و«صحيح الجامع» (٣٠٧٤). ويشنؤهم؛ أي: يغضهم.

<sup>(</sup>٢) أي: يتضرع إليَّ ويزيد في الدعاء.

 <sup>(</sup>٣) صحيح: رواه الترمذي في «سننه» في صفة الجنة، والنسائي في الزكاة، وابن حبن والحاكم في الزكاة والجهاد، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وقال الحاكم: على شرطهما. وأقرَّه الذهبي، وصَحَّحَهُ السيوطي.

 <sup>(</sup>٤) صحيح: رواه أحمد في «مسده»، وأبو يعلى، وَصَحَّحَهُ السيوطي، ورواه ابن ماجه في باب ما أنكرت الجهمية من حديث أبي سعيد مع بعض خلاف لفظي.

من ضحك اللَّه إليه، فلا حساب عليه؛ فطوبي للمجاهدين!!. والضحك صفة من صفات اللَّه عَلَيْ أَثبتها له رسول اللَّه عَلَيْ

من ضحك اللَّه إليه، لا يدع شيئًا من الرضا والقرب والإنعام والإكرام إلَّا فعله حقه.

قال الطيبي: «قدَّم قيام الليل على صف الصلاة، وأخَّر صف القتال؛ إما تنزُلًا؛ فإن محاربة النفس التي هي أعدى عدو لله أشق من محاربة عدوك الذي هو الشيطان، ومحاربة الشيطان أصعب من محاربة أعداء الدين، أو ترقيًا؛ فإن محاربة مَنْ يَلِيكَ أقدم، والأخذ بالأصعب فالأصعب أحرى وأولى من أخذ الأصعب ثم الأسهل».

مر وعن أبي الدرداء على عن النبي الله والمهم الله ويضحك إليهم، ويستبشر بهم: الذي إذا انكشفت فئة قاتل وراءها بنفسه لله ويخفيه، فإما أن يُقتل وإما أن ينصره الله ويخفيه، فيقول: انظروا إلى عبدي هذا كيف صبر لي بنفسه? والذي له امرأة حسنة وفراش لين حسن، فيقوم من الليل، فيقول: يذر شهوته ويذكرني، ولو شاء رقد. والذي إذا كان في سفر، وكان معه ركب، فسهروا، ثم هجعوا، فقام من السحر في ضرّاء وسراء»(١).

## 🗖 ويعجب ربك من الذي صبر بنفسه لله:

∧ «عجب ربنا من رجل غزا في سبيل الله، فانهزم أصحابه، فعلم ما عليه، فرجع حتى أهريق دمه؛ فيقول الله ﷺ لملائكته: انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي، وشفقة مما عندي حتى أهريق دمه (٢٠).

<sup>(</sup>١) حسن: رواه الطبراني في «المعجم الكبير»، وقال: إسناده حسن. وقال الهيثمي في المجمع: رجاله ثقات. وحَشَّنَهُ الألباني في «صحيح الترغيب» رقم (٦٢٥).

<sup>(</sup>٢) حسن: رواه أبو داود عن ابن مسعود، وكذا رواه أحمد، وابن أبي عاصم، وابن حبان، والحاكم وقال الحاكم: صحيح. وأقره الذهبي ورمز السيوطي لحِسْنِه، وحَسَّنهُ الألباني في «صحيح الترغيب» (٦٢٦)، و«السنة» (٥٦٩)، و«صحيح الحامع» (٣٩٨١).

وصفة العجب أثبتها علماء السلف لربنا؛ قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ بَلَ عَجِبْتَ وَلِيهَا مُولِكُ عَجِبْتَ وَلِيهَا وَلا نَعْطُلُهَا، وَلا نَعْطُلُهَا، وَلا نَعْطُلُهَا، وَلا نَعْطُلُهَا، وَلا نَعْطُلُهَا، وَلا نَعْدُ، وَلا نَفُوضَ.

وَالْتُعَجَّبُ منه وهو المجاهد الذي صبر بنفسه لله حين فَرَّ غيره حتى أريق دمه عند اللَّه بمنزلة عظيمة، وجزاؤه كثير وفير قد استحسن اللَّه منه فعله وعمله، وهذه منزلة عظيمة للذين يصدقون اللَّه ويصبرون عند البأس.

مرك وقال رسول اللَّه ﷺ: «عجب ربنا من رجلين: رجل ثار (۱) عن وطائه ولحافه، مِن بين أهله وحِبِّه إلى صلاته؛ فيقول اللَّه ـ جَلَّ وَعَلاَ ـ: [أيا ملائكتي] (۱) انظروا إلى عبدي ثار عن فراشه ووطائه من بين حِبِّهِ وأهله إلى صلاته، رغبة فيما عندي، وشفقة مما عندي. ورجل غزا في سبيل الله، وانهزم أصحابه، وعلم ما عليه في الانهزام، وماله في الرجوع، فرجع حتى يُهْريق دمه؛ فيقول اللَّه [للائكته] (۱): انظروا إلى عبدي رجع رجاءً فيما عندي، وشفقة مما عندي، حتى يهريق دمه!!» (٤٠).

المجاهدون يقودون أقوامًا إلى الجنة بالسلاسل؛ فيعجب الرب ـ جَلً
 وعَلا ـ ويعجب رسول اللَّه الكريم ﷺ:

<sup>(</sup>١)أي: نهض ووثب. وَحِبه؛ أي: حبيبه.

<sup>(</sup>٢) زيادة من المسند.

<sup>(</sup>٣) زيادة من المسند وابن حبان.

<sup>(</sup>٤) حسن: قال المندري في «الترغيب والترهيب»: رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني وابن حبان في «صحيح» من رواية ابن مسعود، وحسننه الهيثمي. وقال الشيخ أحمد شاكر في «تحقبق المسند»: إسناده صحيح. وَحَسَّنَ إسنادَهُ الألبانيُ في «صحيح الترغيب» (٢٥٨/١) حديث (٢٢٦). وقال الأرناءوط في «تحقيق شرح السنة» (٩٣٠): أحرجه أحمد ورجاله ثقات، إلا أن عطاء بن السائب قد احتلط، وحماد بن سلمة ممن روى عنه قبل الاختلاط وبعده. وَصَحَّحهُ ابن حبان.

يقادون إلى الجنة في السلاسل»(١).

كُ ولفظ البخاري: «عجب اللَّه من قوم يدخلون الجنة في السلاسل» (٢٠). وقال رسول اللَّه ﷺ: «عجبت لأقوام يُساقون إلى الجنة في السلاسل وهم كارهون» (٣٠).

وفي الصحيح الموقوف على أبي هريرة: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتَ لِلنَّاسِ ﴾ قال: «خير الناس للناس، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الاسلام»(٤).

قال الحافظ في «الفتح» (١٦٨/٦، ١٦٩): «إن كان المراد حقيقة وضع السلاسل في الأعناق فالترجمة مطابقة، وإن كان المراد المجاز عن الإكراه فليست مطابقة، قلت: المراد بكون السلاسل في أعناقهم مقيَّد بحالة الدنيا، فلا مانع من حمله على حقيقته، والتقدير يدخلون الجنة، وكانوا قبل أن يسلموا في السلاسل»، ثم ساق قول أبي هريرة ثم قال: «قال ابن الجوزي: معناه أنهم أُسِرُوا وقُيِّدوا، فلما عرفوا صحة الإسلام؛ دخلوا طوْعًا؛ فدخلوا الجنة، فكان الإكراه على الأسر والتقييد هو السبب الأول، وكأنه أُطْلِقَ على الإكراه التسلسل، ولما كان هو السبب في دخول الجنة أقام المسبب مقام السبب.

وقال الطيبي: ويحتمل أن يكون المراد بالسلسلة الجذب الذي يجذبه الحق من خلص عباده من الضلالة إلى الهدى ومن الهبوط في مهاوي الطبيعة إلى العروج للدرجات، لكن الحديث في تفسير آل عمران يدل على أنه على الحقيقة، ونحوه ما

<sup>(</sup>١) رواه أحمد في «مسنده»، والبخاري، وأبو داود، ورواه أحمد عن أبي أمامة.

<sup>(</sup>٢) صحيح البخاري ـ كتاب الجهاد والسير ـ باب الأساري في السلاسل (٣٠١٠).

 <sup>(</sup>٣) حسن: رواه الطبراني في «المعجم الكبير» عن أبي أمامة، وأبو نعيم في «الحلية» عن أبي هريرة وأشار
 السيوطي إلى محشنيه، وَحَشْنَهُ الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٩٨٣)، و«تخريج السنة» (٧٧٥).

<sup>(</sup>٤) رواه البخاري في كتاب التفسير ـ باب ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتَ لِلنَّاسِ﴾ (٤٥٥٧).

أخرجه من طريق أبي الطفيل رفعه: «رأيت ناسًا من أمتي يُساقون إلى الجنة في السلاسل كرهًا. قلت: يا رسول الله، من هم؟ قال: قوم من العجم يسبيهم المهاجرون فيدخلونهم في الإسلام مكرهين».

وأما إبراهيم الحربي فمنع حمله على حقيقة التقييد، وقال: المعنى يقادون إلى الإسلام مُكرهين؛ فيكون ذلك سبب دخولهم الجنة، وليس المراد أن ثم سلسلة. اهفلله درهم، وما أعظم فضلهم، وقد أسلم الكثيرون على أيديهم، وقد قال على «فوالله، لأن يهدي الله بك رجلًا خيرٌ لك من أن يكون لك حمر النَّعَم».

## أقرب العمل إلى اللَّه رَجَّالٌ الجهاد:

من فضالة عن فضالة على قال: «أقبل رجل فقال: يا رسول الله، صَلَّى اللَّه عليك، ما أقرب العمل إلى اللَّه على الله؟ فقال على الله على من قيام وصيام] (١) .

#### 🗖 الحث على الجهاد:

من المغنم ثم يقول: ما لي فيه إلا مثل ما لأحدكم. ثم يقول: إياكم والغلول؛ فإن الغلول خزي على صاحبه يوم القيامة، فأدُّوا الخيط والمخيط وما فوق ذلك، وجاهدوا في اللَّه القريب والبعيد، في الحضر والسفر؛ فإن الجهاد باب من الجنة؛ إنه ينجي من الهم والغم، وأقيموا حدود اللَّه في القريب والبعيد، ولا تأخذكم في اللَّه لومة لائم (٢).

<sup>(</sup>١) إسناده حسن: رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (١٥٢/٢/٢). وَحَسَّنَ إِسندَهُ الأَلبانيُّ في «السلسلة الصحيحة» رقم (٣٩٣٨).

<sup>(</sup>٢) إسناده جيد: أخرجه عبدالله بن أحمد (٣٣٠/٥)، والضياء في «المختارة» (١/٦٧).

عن ابن عباس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قال: قال رسول اللَّه عَنْهُمَا ـ قال: قال رسول اللَّه عَنْهُمَا ورحمةً، ثم هذا الأمر نُبُوَّةٌ ورحمة، ثم يكون خلافةً ورحمةً، ثم يكون مُلكًا ورحمةً، ثم يتَكَادَمُونَ عليه تَكَادُمَ الحُمُرِ، فعليكم بالجهاد، وإن أفضل جهادكم الرِّباط، وإن أفضل رباطكم عسقلان»(٣).

ومول الله، انطلق زوجي غازيًا، وكنت أقتدي بصلاته إذا صَلَّى وبفعله كله،

<sup>(</sup>١) صحيح بمجموع الطرق: أخرجه أحمد (٣١٤/٥، ٣١٦، ٣٢٦)، وقال الألباني في «السلسلة الصحيحة». الحديث حسن على أقل الدرجات بل هو صحيح».

<sup>(</sup>٢) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن حبان، والحاكم في «المستدرك» في الجهاد عن أنس بن مالك، قال الحاكم: على شرط مسلم. وأقرَّه الذهبي، وقال في «الرياض» بعد عزوه لأبي داود: إسناد صحيح. وَصَحَّحَهُ الألباني في «تخريج المشكاة» (٣٨٢١)، و«صحيح الجامع» (٣٠٩٠).

<sup>(</sup>٣) إسناده جيد: أخرجه الطبرابي في «المعجم الكبير» (١١١٣٨/٨٨/١). وقال الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٣٢٧٠): إسناد جيد.

فأخبرني بعمل يبلِّغني عمله حتى يرجع. فقال لها: أتستطيعين أن تقومي ولا تقعدي، وتصومي ولا تفطري، وتذكري الله ولا تَفْتَري حتى يرجع؟! قالت: ما أطيق هذا يا رسول الله. فقال: والذي نفسي بيده، لو طُوِّقْتِيهِ ما بَلَغْتِ العشر من عمله حتى يرجع»(١).

#### الطائفة المنصورة طائفة مجاهدة:

<sup>(</sup>١) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٤٣٩/٣)، والطبراني في «الكبير» (٤٤١،٤٤٠/٢٠)، والحاكم (٧٣/٢)، وعفيف الدين أبو الفرج المقرئ في «الأربعين في الجهاد والمجاهدين».

وَأُورِده الهيثمي في «المجمع» (٢٧٤/٥) وقال: «رواه أحمد والطبراني، وفيه رشدين بن سعد وَثَّقَهُ أحمد وَضَعَّفَهُ جماعة» اهـ.

قال الشيخ بدر بن عبدالله اليدر: قد رواه الطبراني من غير طريقه؛ فكان على الهيئمي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ أَن يُنبَّهُ على ذلك؛ فرسناده خير بن نعيم حسن لذاته، والله أعلم. وَصَحَّحَهُ الحاكم ووافقه الذهبي، وذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» من رواية أحمد ولم يعزه إلى الطبراني وقال: «رواه أحمد من رواية رشدين بن سعد، وهو ثقة عنده، ولا بأس بحديثه في المتابعات والرقائق». وقال الألباني في «صحيح الترغيب» رقم (١٣٢١): صحبح لغيره.

 <sup>(</sup>٢) أذال الناس الخين: الإذالة: الإهانة؛ أي: أهاموها واستخفوا بها بقلة الرغبة فيها، وقيل: أراد أنهم وضعوا أداة الحرب عنها وأرسلوها.

<sup>(</sup>٣) أفنادًا؛ أي: جماعات متفرقين قومًا بعد قوم، واحدها فِنْد؛ كذا هي «النهاية، لابن الأثير» (٣/٧٥/٣).

<sup>(</sup>٤) العُقر ـ بضم العين وفتحها .؛ أي: أصلها وموضعها.

- وعند أحمد في «المسند» (١٠٤/٤): «الآن جاء القتال، لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الناس، يزيغ اللَّه قلوب أقوام يقاتلونهم، ويرزقهم اللَّه منهم حتى يأتي أمر اللَّه وهم على ذلك، ألا إن عقر دار المؤمنين بالشام، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة»(١).
- وفي رواية أخرى: «ولا يزال من أمتي أمة يقاتلون على الحق، ويزيغ الله لهم قلوب أقوام، ويرزقهم منهم حتى تقوم الساعة، وحتى يأتي وعد الله»(٢).

وعن عقبة بن عامر شهة قال: قال رسول الله شهد: «لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على الحق، لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك (٣).

وعن عقبة بن عامر فله قال: قال رسول الله فله: «لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله، قاهرين لعدوهم، لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك»(1).

وه عن جابر رضي قال: قال رسول الله الله الله على: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، فينزل عيسى ابن مريم، فيقول أميرهم: تعال صل لنا. فيقول: لا؛ إن بعضكم على بعض أمير تكرمة الله لهذه الأمة (٥٠).

<sup>(</sup>١) إسناده حسن: أحرجه أحمد (١٠٤/٤)، وقال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٩٦١): وهذا إسناد شامي حسن، رجاله كلهم موثقون.

<sup>(</sup>٢) إسناد صحيح على شرط مسلم: أخرجه النسائي (٢١٧/٢، ٢١٨)، وابن حبان (١٦١٧)، وأحمد (٤/٤)، وأسناد صحيح على شرط مسلم: أخرجه النسائي (٤٢٨، ٢١٨)، والحربي في «غريب الحديث»، والطبراني في «الطبراني في «المسلمة في «المعجم الكبير» (٦٣٥٧، ٦٣٥٨، ٦٣٥٩) عن سلمة بن نفيل، وقال الألباني في «السلسة الصحيحة» رقم (١٩٣٥): إسناد صحيح على شرط مسلم.

<sup>(</sup>٣) أحرجه مسلم.

<sup>(</sup>٤) أخرجه مسلم، والحاكم.

<sup>(</sup>٥) أخرجه أحمد ومسلم عن جابر.

وعن عمران بن حصين ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم، حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال»(''.

وب عن أبي هريرة شه قال: قال رسول الله شه : «أفضل الأعمال عند الله إيمان لا شك فيه، وغزو لا غُلُولَ فيه، وحج مبرور»، قال أبو هريرة: حجة مبرورة تكفر الخطايا سنة (٢).

وعن أبي هريرة ﷺ، عن رسول الله ﷺ: «أنه سُئِلَ: أي الأعمال أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله. قال: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله سَنَامُ العمل. قال: ثم أي؟ قال: حج مبروره (٣).

وه عن عبدالله بن سلّام قال: قعدنا نفر من أصحاب رسول الله على فتذاكرنا، فقلنا: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لعملنا؛ فأنزَل الله عَلَى : ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَتِ وَمَا فِي الْأَرْضُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْمَكِيمُ ۞ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۞ كَبُرَ مَقْتًا ﴾ " حتى ختمها، قال عبدالله: فقرأها علينا رسول الله على حتى ختمها " ".

<sup>(</sup>١) صحيح: أخرجه أبو داود (٣٨٨/١، ٣٨٩)، والحاكم (٤٥٠/٤)، وأحمد (٤٢٩/٤)، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي، وقال الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (١٩٥٩): وهو كما قالا.

<sup>(</sup>٢) إسناده صحيح على شرط الشيخين: أخرجه أحمد (٢٥٨/٢، ٤٤٢، ٢٥١)، والطيالسي (٢٠١٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٠٩٧)، واللفظ له.

<sup>(</sup>٣) إسناده حسن: أخرجه أحمد (٢٨٧/٢)، والترمذي (١٦٥٨) في فضائل الجهاد، وقال: حديث حسن صحيح. وابن حبان في «صحيحه (الإحسان/ ٥٩٨)، واللفظ له.

<sup>(</sup>٤) إسناده صحيح: أخرجه الدارمي (٢٣٩٥)، وعنه الترمذي (٣٣٠٩)، وابن كثير في «تفسيره» (٨/ ١٣٠)، والحاكم (٢٩/٢، ٢٢٨، ٢٢٩)، وقال: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي، والبيهقي في «الشعب» (٢٤١/٨)، وَصَحَّحَهُ ابن حجر في «الفتح» (٢٤١/٨)، قال الحافظ في «الفتح»

• وعند ابن حبان، عن عبدالله بن سلام ﷺ قال: جلستُ في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فقلت: أيكم يأتي رسول الله ﷺ فيسأله: أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: فَهِبْنَا أَن يسأله منا أحد، قال: فأرسل إلينا رسول الله ﷺ يُفردنا رجلًا رجلًا يتخطّى غيرنا، فلما اجتمعنا عنده، أَوْمَا بَعضنا إلى بعض: لأي شيء أرسل إلينا؟ ففزعنا أن يكون نزل فينا، قال: فقرأ علينا رسول الله ﷺ: ﴿سَبَّحَ بِلّهِ مَا فِ السَّمَوَتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُو الْعَزِيرُ الْمَكِيمُ ﴿ يَتَأَيُّما الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَقْعَلُونَ ﴾ [الصف: ١] قال: فقرأ من فاتحتها إلى خاتمتها (١٠).

### □ فضل الرباط في سبيل الله:

الرباط ـ بكسر الراء وبالموحدة الخفيفة ـ: ملازمة المكان الذي بين المسلمين والكفار؛ لحراسة المسلمين منهم. وبين المرابطة والحراسة عموم وخصوص.

قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَى مَ ثُولًا وَسَابِرُوا وَرَابِطُوا وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَىٰ مُ ثُولِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

قال الحسن البصري وقتادة: ﴿أُصِّبِرُواْ﴾ على طاعة الله، ﴿وَصَابِرُواْ﴾ أعداء الله في الجهاد، ﴿وَرَابِطُواْ﴾ في سبيل الله.

وعن محمد بن كعب القرظي: اصبروا على الطاعة، وصابروا لانتصار الوعد، ورابطوا العدو، واتقوا الله فيما بينكم.

وعن زيد بن أسلم: اصبروا على الجهاد، وصابروا العدو، ورابطوا الخيل. قال ابن قتيبة: أصل الرباط أن يربط هؤلاء خيلهم وهؤلاء خيلهم استعدادًا للقتال؛ قال الله ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَأَعِدُوا لَهُم مَا اَسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾. وليس من ذلك ملازمة الصوفية للربط، وانقطاعهم فيها للتعبد، وتركهم

<sup>= (</sup>٥٠٩/٨): وقع لنا سماع هذه السورة؛ يعني: سورة «الصف» مسلسلًا في حديث ذُكِرَ في أول نزولها، وإسناده صحيح قُلُ أن وقع في المسلسلات مثله مع مزيد علوه.

<sup>(</sup>١) إسناده حسن: رواه ابن حبان في «صحيحه» (٤٥٩٤/ الإحسان).

الاكتساب، اكتفاءً منهم - كما زعموا - بكفالة مسبب الأسباب - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وفائدة العدول عن قوله «وما فيها» وذكر «خير من الدنيا وما عليها» أن معنى الاستعلاء أعم من الظرفية وأقوى؛ فقصده زيادة المبالغة.

رباط يوم وعن سلمان رفي قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «رباط يوم وليلة خيرٌ من صيام شهر وقيامه، وإن مات فيه جرى عليه عمله الذي كان يعمل، وأجري عليه رزقه، وأمن الفُتَّان (٢٠)«(٣).

وعند مسلم أيضًا: «وإن مات مرابطًا جرى عليه عمله...».

الله عمله إلا المرابط في سبيل الله؛ فإنه يُنمى له عمله إلى يوم القيامة، ويؤمن من فتنة القبر»(٤).

رباط شهر خير من الله على قال: «رباط شهر خير من الله على قال: «رباط شهر خير من صيام دهر، ومن مات مرابطًا في سبيل الله أمِن من الفزع الأكبر، وغُدِيَ عليه

<sup>(</sup>١) رواه البخاري والترمذي وروى مسلم منه جملة «الغدوة».

<sup>(</sup>٢) بضم الفاء جمع (فاتن)؛ وهما: منكر ونكير اللذان يفتنان المقبور؛ من إطلاق الجمع على اثنين.

<sup>(</sup>٣) رواه مسلم واللفظ له، والترمذي، والنسائي.

<sup>(</sup>٤) صحيح: رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح. والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم. وابن حبان في «صحيحه، وزاد في آخره قال: وسمعت رسول الله على يقول: «المجاهد من جاهد نفسه لله على »، وهذه الزيادة في بعض نسخ الترمذي.

برزقه، ورِيحَ من الجنة، ويُجرى عليه أجر المرابط حتى يبعثه اللَّه ﷺ (¹).

وعن العرباض بن سارية رضي قال: قال رسول الله وكل عمل ينقطع عن صاحبه إذا مات إلا المرابط في سبيل الله؛ فإنه يُنَمَّى له عمله، ويُجرى عليه رزقه إلى يوم القيامة (٢٠٠٠).

رباط وعن ابن عمرو ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ عن رسول اللَّه ﷺ قال: «رباط يوم خير من صيام شهر وقيامه» (٤).

🗖 «رباط يوم وليلة أفضل من صيام شهر وقيامه».

(١٠٧ وعن أنس بن مالك مرفوعًا: «رباط يوم في سبيل اللَّه أفضل من قيام رجل وصيامه في أهله شهرًا» (٥٠).

وعن سلمان ﷺ: قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «رباط يوم في سبيل اللَّه

<sup>(</sup>١) صحيح لغيره: رواه الطبراني في «الكبير»، وقال المنذري في «الترغيب»: رواته تقات. وَصَحَّحَهُ السيوطي، وقال الألباني في «صحيح الترغيب» (١٢١٩): صحيح لغيره.

<sup>(</sup>٢) حسن صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» (٦٤١/٢٥٦/١٨) وفيه معاوية بن يحيى وهو الصدفي، قال الألباني: قال الحافظ: ضعيف، وما حدَّث بالشام أحسن مما حدَّث بالريِّ. وهذا من رواية الشاميين عنه، فهو حسر ـ إن شاء الله ـ، وصحيح بما قبله. انظر: «صحيح الترغيب» (١٢٢٠).

<sup>(</sup>٣) صحيح لغيره: رواه ابن ماجه بإسناد صحيح، قال المنذري في «الترغيب» وقال الألباني في «صحيح الترغيب» (١٢٢١): صحيح لغيره.

<sup>(</sup>٤) صحيح: رواه أحمد في «مسنده» عن ابن عمرو، ورواه أحمد عن سلمان، وَصَحَّحَهُ الأَلباني في «السيسة الصحيحة» رقم (٣٤٨٠).

<sup>(</sup>٥) صحيح: رواه أحمد أبو حزم الحنبلي في «الفروسية» (١/٨/١)، وَصَحُّحَهُ الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (١٨٦٦).

أفضل من صيام شهر وقيامه، ومن مات فيه وُقِيَ فتنة القبرِ، وَغَمَا له عمله إلى يوم القيامة» (١).

الله كان له كأجر صيام شهر وقيامه، ومن مات مرابطًا جرى له مثل ذلك من الأجر، وأُجري عليه الرزق، وأمن الفتَّان» (٢).

رباط وعن عثمان بن عفان ﷺقال: سمعت رسول اللَّه ﷺيقول: «رباط يوم في سبيل اللَّه خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل» (٣).

ورواه ابن ماجه إلا أنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «من رابط ليلة في سبيل الله، كانت كألف ليلة صيامها وقيامها».

• ولفظ ابن حبان: «قال عثمان في مسجد الخيف بمنى: أيها الناس، إني سمعت من رسول الله على حديثًا كنت كتمتكموه ضنًّا بكم، وقد بدا لي أن أُبديه نصيحة لله ولكم؛ سمعت رسول الله على يقول: «يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه»، فلينظر كل امرئ منكم لنفسه.

قال المناوي: «جعل حسنة الجهاد بألف، وأخذ البعض من تعبيره بالجمع المُحلَّى بلام الاستغراق أن المرابط خير من المجاهد في المعركة، وَعَكَسَهُ بَعْضُهُمْ مجيبًا بأن الحديث في حق من فُرِضَ عليه الرباط وتعينٌ بنصب الإمام. قال في المطامح: الحديث في الأفضل الجهاد أم الرباط؟ والحديث يدل على أن الرباط أفضل؛ لأنه

<sup>(</sup>١)صحيح: رواه الترمذي عن سلمان، وَصَحَّحَهُ الألباني في «الإرواء» (١٢٠٠) و«صحيح الجامع» (٣٤٨١).

<sup>(</sup>٢) صحيح: رواه النسائي والحاكم عن سلمان، وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الحامع» رقم (٦٢٥٩). (٣) حسن لغيره: رواه النسائي (٤٠/٦) والترمذي (١٦٦٧)، وقال: حديث حسن غريب. ورواه ابن حبان في «صحيحه» والحاكم (٦٨/٣)، وزاد: «فلينظر كل امرئ لنفسه»، وهذه الزيادة مدرجة من كلام عثمان غير مرفوعة، وقال الحاكم: على شرط البخاري. ووافقه الذهبي، وأخرجه أحمد (١/ ٢١)، والدارمي (٢١١/٢).

جعله الغاية التي ينتهي إليها أعمال البر، والرباط يحقن دماء المسلمين، والجهاد يسفك دماء المشركين، فانظر ما بين الدمَيْنِ حتى يصح لك أفضل العملينِ»(١).

وقال المناوي: «قال ابن حبيب: الرباط شعبة من الجهاد، وبقدر خوف ذلك الثغر يكون كثرة الأجر. وقال أبو عمرو: شُرِعَ الجهاد؛ لسفك دماء المشركين، وشُرِعَ الرباط؛ لصون دماء المسلمين، وصون دمائهم أحب إليَّ من سفك دماء أولئك، وهذا يدل على أنه مُفَضَّلٌ على الجهاد» (٢).

وعن واثلة بن الأسقع ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من سنَّ سنَّةً حسنةً، فعليه فله أجرُها ما عُمِلَ بها في حياته وبعد مماته حتى تُتْرَكَ، ومن سنَّ سنَّةً سيئةً، فعليه إثمها حتى تُتْرَكَ، ومَن مات مرابطًا في سبيل اللَّه جرى عليه عمل المرابط في سبيل اللَّه حتى يبعث يوم القيامة (٣).

وعن أبي هريرة ﷺ: «أنه كان في الرباط، ففزعوا إلى الساحل، ثم قيل: لا بأس. فانصرف الناس وأبو هريرة واقفٌ، فَمَرَّ به إنسان، فقال: ما يوقفك يا أبا هريرة؟! فقال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «موقف ساعةٍ في سبيل اللَّه خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود» أن .

ولا تعارض واختلاف بين أحاديث الرباط.

قال ابن حجر في «الفتح» (١٠١/٦): «قال ابن بزيزة: ولا تعارض بينهما؛ لأنه يُحمل على الإعلام بالزيادة في الثواب عن الأول، أو باختلاف العاملين.

<sup>(</sup>١) فيض القدير (١٤/٤).

<sup>(</sup>٢) فيض القدير (١٣٤/٦).

<sup>(</sup>٣) حسن صحيح: رواه الطبراني في «المعجم الكبير» بإسناد لا بأس به، قاله المنذري، وقال الألباني في «صحيح الترغيب»: حسن صحيح.

<sup>(</sup>٤) صحيح: رواه ابن حبان في «صحيحه» والبيهقي في «شعب الإيمان»، وَصَحَّحَهُ الأَلباني في «صحيح الترغيب» (١٢٢٣)، و«السلسلة الصحيحة» (١٠٦٨)، و«صحيح الجامع» رقم (٦٦٣٦).

قلت: أو باختلاف العمل بالنسبة إلى الكثرة والقلة».

#### 🗖 رباط عُبَّاد السلف:

لقد هام الربانيون بالرباط؛ لعلمهم بفضله العظيم؛ وإليك نماذج من رباطهم: فهذا الإمام إبراهيم بن أدهم:

قال عنه ابن شاكر: «غزا في البحر مع أصحابه، فَاخْتَلَفَ في الليلة التي مات فيها إلى الحلاء خمسًا وعشرين مرة، كل مرة يجدد الوضوء، فلما أحس بالموت قال: أَوْتِرُوا لي قوسي، وتوفي وهي في كفنه، وَدُفِنَ في جزيرة من جزائر البحر في بلاد الروم»(١).

## وشيخ الإسلام عبدالله بن المبارك:

قال حِبَّان بن موسى السلمي: خرجنا مع ابن المبارك مرابطين إلى الشام، فلما نظر إلى ما فيه القوم من التعبد والغزو والسرايا كل يوم التفت إليَّ وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون على أعمار أفنيناها وليال وأيام قطعناها في علم «الخلية والبرية»، وتركنا هاهنا أبواب الجنة مفتوحة»(٢).

ومعنى الخلية والبرية؛ أي: كنايات الطلاق.

«وكان ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ يقطع مسافة «٢٦٠٠» كيلو متر راجلًا أو راكبًا دابته؛ ليقاتل في سبيل اللَّه في ثغور المسلمين» (٢).

وتوفي وهو منصرف من الغزو في «١٨٢» هـ.

## وشيخ الإسلام وحافظ الدنيا الإمام محمد بن إسماعيل البخاري:

يقول محمد بن أبي حاتم وراق البخاري: «رأيته استلقى على قفاه يومًا ونحن

<sup>(</sup>١) فوات الوفيات، لابن شاكر (١٣/١).

<sup>(</sup>٢) العقد الفريد (٥/٥٨).

<sup>(</sup>٣) المشوق في الجهاد، لعدنان بن سالم الرومي، وعلى بن صالح الهزاع ص (٥٧)، مكتبة المنار بالكويت نقلًا عن عبدالله بن المبارك، للدكتور عبدالمجيد المحتسب ص (١٢٠).

ب «فرير» في تصنيف كتاب «التفسير»، وكان أَتْعَبَ نفسه في ذلك اليوم في كثرة إخراج الحديث، فقلتُ له: يا أبا عبدالله، سمعتك تقول: ما أتيت شيئًا بغير علم قط مذ عقلتُ؛ فأي علم في هذا الاستلقاء؟! فقال: أتعبنا أنفسنا في هذا اليوم، وهذا ثغر خشيتُ أن يحدث حدث في أمر العدو، فأحببتُ أن أستريح، وآخذ أهبة ذلك، فإن عافصنا عدو كان بنا حِراك» (١).

## الإمام عبدالرحيم بن عبد ربه الربعي المالكي الثقة المتوفى سنة «٢٤٦» هـ:

كان الإمام سحنون «يعرف له فضله ويعظمه ويسأله الدعاء له، وكان يقول: رأيت ابن القاسم وفلانًا وذكر شيوخه، فما رأيتُ مثل عبدالرحيم»(٢).

«كان ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ أُولًا بزازًا، ثم لزم الرباط حتى مات»(٣).

## زهير بن قمير المروذي الثقة المتوفى سنة «٢٥٨» هـ:

كان يقول: «أشتهي لحمًا من أربعين سنة ولا آكله حتى أدخل الروم فآكله من مغانم الروم»(<sup>1)</sup>.

قال الخطيب: «كان ثقة صادقًا ورعًا زاهدًا، وانتقل في آخر عمره عن بغداد إلى طرسوس فرابط بها إلى أن مات»(٥).

سيد أهل زمانه الفقيه المالكي: جبلة بن حمود بن عبدالرحمن بن جبلة الصدفي:

قال أبو سعيد محمد بن سحنون: «كانت مع جبلة همة يتيه بها على الخلفاء»(٦).

<sup>(</sup>١) تهذيب الأسماء واللغات، للنووي (١/٧٥، ٧٦).

<sup>(</sup>٢) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، للقاضي عياض (٩٥/٣).

<sup>(</sup>٣) المصدر السابق.

<sup>(</sup>٤) تهذيب التهذيب، لابن حجر (٣٤٨/٣).

<sup>(</sup>٥) ترتیب المدارك (٢٤٩/٣) ٢٥١، ٢٥١).

<sup>(</sup>٦) ترتیب المدارك (٢٤٩/٣، ٢٥١، ٢٥٢).

رباطه: يقول القاضي عياض: «لما دخل عبيد اللَّه ـ الرافضي ـ أفريقية ونزل رقادة، ترك جبلة سكنى الرباط ونزل القيروان، فَكُلِّمَ في ذلك فقال: كنا نحرس عدوًّا بيننا وبينه البحر، والآن حَلَّ هذا العدو بساحتنا وهو أشد علينا من ذلك. فكان إذا أصبح وصلى الصبح خرج إلى طرف القيروان من ناحية رقادة ومعه سيفه وترسه وقوسه وسهامه وجلس محاذيًا لرقادة نهاره إلى غروب الشمس، ثم يرجع إلى داره، ويقول: أحرس عورات المسلمين منهم، فإذا رأيت منهم شيئًا حركت المسلمين عليهم!!» (١).

## قاضى الكوفة التابعي الجليل عروة بن الجعد:

وهو راوي حديث: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة» (٢٠).

قال شيب بن غرفدة: «رأيت في دار عروة بن الجعد سبعين فرسًا مربوطة للجهاد في سبيل الله» (٣). ونزل الكوفة، وولي القضاء بها، وأتى المدائن، ثم انتقل إلى مرو الروذ ـ على مرحلة من النهروان ـ، فأقام بها مرابطًا وقد اشترى لذلك فرسًا وأخذه بعشرين ألف درهم» (٤).

(من رابط حارسًا من وراء المسلمين كان له مثل أَجْر من خَلَفه ممن صام وصلى» (٥٠).

<sup>(</sup>١) المصدر السابق.

<sup>(</sup>٢) أخرجه البخاري (٢٨٥٠).

<sup>(</sup>٣) تهذيب الأسماء واللغات (٣٣١/١)، وفتح الباري (٥/٦).

<sup>(</sup>٤) تاريخ بغداد (١٩٤/١).

<sup>(</sup>٥) حديث حسن: أخرجه أحمد (٢٢)، والطبراني (٣٠٨/١٧)، وابن عساكر في «الأربعين في الجهاد في الخربعين في الجهاد في الخباد» (٢٢)، والدارمي (٢٤٣٠)، والمقرئ في كتاب «الأربعين في الجهاد والمجاهدين». قال الهيشمي في «المجمع» (٢٨٩/٥): «وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن، قال الشيخ بدر البدر: ليس حديث ابن لهيعة حسنًا بعمومه، بل هو مخصص برواية من روى عنه قبل اختلاطه، وهذا الحديث يرويه عنه الدارمي، وعنه المصنف (المقرئ) وابن عساكر وأحمد عبدالله بن يزيد المقرئ وهو من روى عنه قبل اختلاطه، فيكون الحديث بذلك حسنًا ـ والله أعلم» اهـ.

ونختم بهذا الحديث الجليل القدر في فضل المرابط:

الله ﷺ يقول: «كل ميت رسول الله ﷺ يقول: «كل ميت يُختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله ﷺ فإنه يجري له عمله حتى يُبعث» (١٠).

□ الترغيب في النفقة في سبيل اللَّه وتجهيز الغزاة وخلفهم في أهلهم:

الله عن عبدالله بن سهل بن مُنيف، عن أبيه: أن رسول الله على قال: «من أعان مجاهدًا في رقبته، أظله الله في عُسْرته، أو مكاتبًا في رقبته، أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله» (٢٠).

را عن عمر بن الخطاب رضي قال: قال رسول الله على «من أظل رأس غاز، أظله الله يوم القيامة» (٣).

<sup>(</sup>١) إسناد الحديث لا بأس به: أخرجه أبو الفرج محمد بن عبدالرحمن المقرئ في «كتاب الأربعين في الجهاد والمجاهدين (٦) ص (٣١) »، وابن النجار في «ذيل تاريخ بغداد»، كما في «كنز العمال» (١٣٣٧) وفيه: «من رابط ليلته حارسًا»، وأخرجه كذلك ابن زنجويه، والدارقطني في االأفراد»، كما في «الكنز» (١٠٧٢٠)، وقال الشيخ بدر بن عبدالله البدر في تخريجه كتاب «الأربعين»: وإسناد الحديث لا بأس به.

<sup>(</sup>٢) سنده جيد: أخرجه أحمد (٤٨٧/٣)، وابن أبي شيبة (٢٥٠/٧)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (٤٧٠) (٤٢٤/١) وابن أبي عاصم (٩٤)، والطبراني في «الكبير» (٥٩٠) (٢٠٤/٦، ١٠٥)، والحاكم (٩٤/٦) والبيهقي في «سننه» (٣٠/١٠)، وفي «الشعب» (٤/٥٣)، وقال الحاكم: صحيح الإسناد. وتعقبه الذهبي في «التلخيص» وقال: عمرو رافضي خبيب.

قال الشيخ بدر البدر: تابع عمرو بن ثابت زهير بن محمد. وجوَّد إسناده الحافظ في «الفتح» (٢/ ١٦٨)، وَصَحَّحَهُ السيوطي في «تمهيد الفرش» ص (٥٨)، وحَسَّمَهُ المناوي في «فيض القدير» (٢/٦)، والشيخ بدر البدر في تخريجه لكتاب «الأربعين لمحمد بن عبدالرحمن المقرئ» ص (٥٦)، وإن كان الألباني قد ضعَّفه في «ضعيف الجامع» رقم (٥٤٥٦) و«الضعيفة» (٥٥٥).

<sup>(</sup>٣) حديث صحيح: أحرجه أحمد (٢٠/١)، وأبو يعلى (٢٥٣)، وابن ماجه (٢٤٣/١) رقم (٧٣٥، ٢٥٥٨)، والبزار (١٦٢٥)، والحاكم (٨٩/٢)، والبيهقي (١٧٢/٩)، وابن حبان (٨٩/٢. الإحسان)، والطبري في «تهذيب الآثار»، والمزي في «تهذيب الكمال»، وَصَحَّحَهُ الحاكم ووافقه الذهبي.

ولفظ ابن حبان: «من أظل رأس غاز، أظله الله يوم القيامة، ومن جَهَّزَ غازيًا في سبيل الله لجهاده، فله مثل أجره، ومن بنى مسجدًا يُذْكَرُ فيه اسم الله، بنى الله له بيتًا في الجنة».

الله عن خُرَيْم بن فاتك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من أنفق نفقة في سبيل الله ﷺ: «من أنفق نفقة في سبيل الله كُتِبَتْ له بسبع مئة ضعف»(١).

الله ﷺ قال: «من جَهَّزَ عَن زيد بن خالد الجهني ﷺ: أن رسول اللَّه ﷺ قال: «من جَهَّزَ عَازِيًا في أهله بخير فقد غزا»(٢).

وعنه ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «من جَهَّزَ غازيًا في سبيل الله، الله عَلِيُّ: «من جَهَّزَ غازيًا في سبيل الله، أو خلفه في أهله، كُتِبَ له مثل أجره حتى أنه لا ينقص من أجر الغازي شيء (٣).

• وعند ابن حبان: «أيكم خلف الخارج في أهله وماله بخير كان له مثل نصف أجر

<sup>(</sup>١) صحيح: رواه النسائي والترمذي وقال «حديث حسن»، وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم، وقال: صحيح الإسناد. وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الترغيب» (١٢٣٦).

<sup>(</sup>٢) رواه البخاري (٢٤٨٣)، ومسلم (١٨٩٥)، وأبو داود (٢٥٠٩)، والترمذي (١٦٢٨)، والسبائي (٢٦/٦)، وأحمد (١١٥/٤، ١١٦، ١١٧) (١٩٣/٥)، والطيالسي (٩٥٦)، وابن حبان (١٦٣١) الإحسان).

<sup>(</sup>٣) إسناده صحيح على شرط مسلم: رواه أحمد (١١٤/٤)، (١١٥ / ١١٦) (١٩٢/٥)، والحميدي (٨١٨)، وسعيد بن منصور في «سننه» (٢٣٢٨)، والدارمي (٢٠٩/٢)، والترمذي (٢٦٢٩)، وابن ماجه (٢٧٥٩)، ولم يدكر خلفه في أهله، والطبراني في «الكبير» (٢٢٥٠، ٥٢٦٨، ٥٢٧٠، ٥٢٧١ إلى ٧٢٧٥)، وفي المعجم الصغير (٨٣٦)، والبيهقي (٢٤٠/٤)، وابن حبان (٣٣٠٠) الإحسان) واللفظ له.

<sup>(</sup>٤) رواه مسلم (١٨٩٥)، وأبو داود (٢٥١٠)، والحاكم (٨٢/٢) وَصَحَّحَهُ، ووافقه الذهبي، وأحمد (٨٢/٢)، وابن الجارود في «المنتقى» (١٠٣٨) وابن حبان (٤٦٢٩).

الخارج».

ا الله أو خلفه في أهله، كُتِب له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجره شيء، ومن فطر صائمًا كُتِب له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجره شيء، ومن فطر صائمًا كُتِب له مثل أجره لا ينقص من أجره شيء» (١٠).

اللَّه فله مثل أجره، ومن خلف غازيًا في أهله بخير وأنفق على أهله فله مثل أجره» (٢).

وعن بريدة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «حرمة نساء المجاهدين على القاعدين يُخلف رجلًا من على القاعدين يُخلف رجلًا من

<sup>(</sup>١) إسناده صحيح: رجاله ثقات رجال الصحيح، رواه ابن حبان في «صحيحه» (٤٦٣٣ . الإحسان).

<sup>(</sup>٢) حسن: رواه الطبراني في «الأوسط»، وقال المنذري والهيثمي: رجاله رجال الصحيح. وحَسَّنَهُ الأَلِباني في «لصحيحة» (٣٣٥٦)، و«صحيح الترغيب» (١٢٣٩).

<sup>(</sup>٣) حسن: رواه الترمذي وقال: حديت حسن صحيح. «طروقة الفحل، وأقل سنها ثلاث سنين وبعض «طروقة الفحل، وأقل سنها ثلاث سنين وبعض الرابعة، وهذه هي «الحُقة» ومعناه: أن يُعطي الغازي خادمًا أو ناقة هذه صفتها، فإن ذلك أفضل الصدقات.

<sup>(</sup>٤) صحيح: رواه أبو داود، وأحمد، والطحاوي وأبو عوانة، وَصَحَّحَهُ الأَلباني في «الصحيحة» رقم (٢١٥٣)، والجاعل هو المجهزُ للغازي تطوعًا.

المجاهدين في أهله، فيخونه فيهم إلا وقف له يوم القيامة، فقيل له: قد خلفك في أهلك فخذ من حسناته ما شئت، فيأخذ من عمله ما شاء، فما ظنكم؟!»(١).

وفي لفظ آخر: «حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كأمهاتهم، وما من رجل من القاعدين يخلف رجلًا من المجاهدين إلا نُصِبَ له يوم القيامة، فيقال: يا فلان هذا فلان، فخذ من حسناته ما شئت. ثم التفت إلى أصحابه فقال: فما ظنكم ما أرى يدع من حسناته شيئًا؟!

وعن بريدة على الله على: قال رسول الله على: «حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم، وما من قاعد يخلف مجاهدًا في أهله بسوء إلا أُقِيمَ له يوم القيامة، فيقال له: هذا خَلفَك في أهلك بسوء، فخذ من حسناته» أُقِيمَ له يوم النفقة في سبيل الله:

اللَّه دَعَاهُ خزنة الجِنة ـ كُلُّ خزنة باب ـ: أيْ فُل، هَلُمَّ». قال أبو بكر: يا رسول الله، الله دَعَاهُ خزنة الجِنة ـ كُلُّ خزنة باب ـ: أيْ فُل، هَلُمَّ». قال أبو بكر: يا رسول الله، ذاك الذي لاَ تَوَى عليه. فقال النبي ﷺ: «إنى لأرجو أن تكون منهم» (1).

<sup>(</sup>١) رواه أحمد، ومسلم، وأبو داود، والنسائي.

<sup>(</sup>٢) أخرجه سعيد بن منصور (٢٣٣١)، وعنه مسلم (١٨٩٧) (١٤٠) في الإمارة: باب حرمة نساء المجاهدين، وأبو داود (٢٤٩٦)، والبيهقي (١٧٣/٩)، وأحمد (٣٥٢/٥)، والنسائي (٢/١٥)، وابن حبان (٤٦٣٤).

<sup>(</sup>٣) أحمد (٣٥٥/٥)، ومسلم (١٨٩٧)، والنسائي (٦/٠٠)، والطبراني (١١٦٤)، وابن حبان (٤٦٣٥ ـ الإحسان).

<sup>(</sup>٤) رواه البخاري (٢٨٤١)، ومسلم (٧١٢/٢، ٧١٣)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٢٣٣)، والنسائي (٣١٨٤).

أي: ﴿فَلَّ: تَرْخَيْمُ مِنْ فَلَانَ؟ كَمَا جَزْمُ الْخَطَّابِي.

لا توى: لا ضياع ولا خسارة وهو من التوى: الهلاك.

### 🗖 من رمى بسهم وجبت له الجنة:

(۱۲۸ عن عتبة بن عبد السلمي: أن النبي على قال الأصحابه: «قوموا فقاتلوا»؛ فرمى رجل بسهم؛ فقال النبي على: «أَوْجب هذا»(١).

اللَّه ﷺ: «مَن قاتل في سبيل اللَّه ﷺ فُواق ناقة وجبت له الجنة (٢٠ وفواق ناقة: هو ما بين الحُلَبَتَيْنِ من الراحة. وقال الدارمي: هو قدر ما تدر حلْبها.

الله يُدخل الله يُدخل الله يُدخل الله عامر الله على الله يُله الله يُدخل اله

## □ فتح أبواب السماء وإجابة الدعاء عند الصف:

الله عن سهل بن سعد على قال: قال رسول الله على: «ساعتان تُفَتَّحُ فيهما أبواب السماء، وَقَلَّمَا تُرَدُّ على داع دعوتُهُ: عند حضور النداء، والصف في

<sup>(</sup>۱) إسناده حسن: أخرجه أحمد (١٨٤/٤)، وعنه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣٠٥/١٧)، وأخرجه -أيضًا ـ أحمد (١٨٣/٤)، والطبراني (٣٠٦/١٧)، وذكر اللفظَ الأولَ الهيثميُّ في «المجمع» (٥/ ٢٧٠)، وعزاه إلى أحمد والطبراني، وقال: «إسنادهما حسن»، وذكر اللفظَ الثانيَ (١٤/٧)، وَحَسَّنَهُ كذلك. وذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢٨١/٢) باللفظ الأول، وحَسَّنَهُ كذلك.

<sup>(</sup>۲) صحيح: أخرجه أبو داود في الجهاد (۲۰۱۱)، وأحمد (۲۳۰/، ۲۳۱، ۲۶۲)، والنسائي (۲/ ۲۵)، والترمذي (۱۲۰۷)، وابن ماجه (۲۷۹۲)، والطبراني (۲۰۱/۲، ۲۰۲،)، والبيهقي في «الشعب» (۱۷۰/۹)، والحاكم (۷۷/۲) وقال: على شرط مسلم. والدارمي (۲۰۱/۲)، وابن أبي عاصم (۱۳۷)، وابن حان (۲۰۱۸ ـ الإحسان).

<sup>(</sup>٣) إسناد حسن: أخرجه الدارمي (٢٤١٠)، والظيالسي (٢٠٠١)، وابن أبي شيبة (٣٠٠، ٣٥٠)، وابن أبي شيبة (٣٠٠، ٣٤٩)، وأحمد (٤٤/٤)، والترمذي (١٦٣٧)، وابن ماجه (٢٨١١)، والفسوي (٢٨٠٠)، والطبراني (٢٨٠١)، والبيهقي في «سننه» (١٦٣٠، ١٤)، وابن عساكر في «تاريخه» ص (٧١٥)، وقد صَرَّحَ يحيى بن أبي كثير بالتحديث عند أحمد (١٤٤/٤)، وابن عساكر ص (٧١٥)؛ فَانْتَفَتْ شبهةُ تدليسِهِ لهذا الحديث.

#### سبيل الله»(١).

• وفي لفظ: «ثنتان لا تُرَدَّانِ ـ أَوْ قَلَّمَا يُرَدَّانِ ـ: الدعاء عند النداء، وعند البأس حين يلحم بعضٌ بعضً بعضًا»(٢).

### 🗖 المجاهد ضامن على الله:

الله إن عاش رُزِقَ وكُفِيَ، وإن مات أدخله الله الجنة: من دخل بيته فَسَلَّمَ، فهو ضامن على الله إن عاش رُزِقَ وكُفِيَ، وإن مات أدخله الله الجنة: من دخل بيته فَسَلَّمَ، فهو ضامن على الله، ومن خرج إلى المسجد فهو ضامن على الله، ومن خرج في سبيل الله فهو ضامن على الله، "".

الله عَنْهُمَا عن رسول الله عَنْهُمَا عن رسول الله عَنْهُمَا عن رسول الله عَنْهُمَا والله عَنْهُمَا والله عَنْهُمَا والله عَنْهُمَا والله عَنْهُمَا والله على الله والله والله والله والله والله على الله والله والله والله عند إمام مقسط يُعَزِّرُهُ، ويُوقره، والله عند إمام مقسط يُعَزِّرُهُ، ويُوقره، أو في مشهد جهاد (٤).

#### □ الإسلام ثمانية أسهم:

175 عن حذيفة ﷺ: «الإسلام ثمانية أسهم: الإسلام سهم، والصلاة سهم، والأمر بالمعروف والصلاة سهم، والزكاة سهم، والحهاد في سبيل الله سهم، وقد خاب من لا سهم

<sup>(</sup>١) صحيح: رواه أبو داود، وابن حبان في «صحيحه»، وابن حجر في «نتائج الأفكار» (٣٨٠/١)، والدارقطني في «غرائب مالك»، وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الترغيب» (١٣٢٧).

<sup>(</sup>٢) حسن: حَسَّنة الألباني في «صحيح الترغيب» (١٣٢٧).

<sup>(</sup>٣) صحيح: رواه أبو داود، وابن حبان في «صحيحه»، وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الترعيب» رقم (٣١٩).

<sup>(</sup>٤) حسن: رواه الطبراني في «الكبير»، والبزار، وقال المنذري: ليس إسناده بذاك، لكن روي من حديث معاذ بإسناد صحيح. والحديث حَسَّنَهُ الألباني في «صحيح الترغيب» رقم (٣٢٦).

له(۱) في

□ الترهيب من التكاسل عن الجهاد وتركه، أو أن يموت الإنسان ولم يحدث نفسه بالغزو:

الروم؛ فخرج إليهم من المسلمين مثلُهُمْ وأكثر، وعلى أهل مصر عقبة بن عامر، الروم؛ فخرج إليهم من المسلمين مثلُهُمْ وأكثر، وعلى أهل مصر عقبة بن عامر، وعلى الجماعة فضالة بن عبيد، فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل بينهم؛ فصاح الناس وقالوا: سبحان الله!! يُلْقِي بيديه إلى التهلكة!!. فقام أبو أيوب فقال: يأيها الناس، إنكم لَتَأُوّلُونَ هذه الآية هذا التأويل، وإنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار؛ لمَّا أَعَزَّ اللهُ الإسلامَ وكثر ناصروه، فقال بعضنا لبعض سرًّا دون رسول الله على إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله \_ تَعَالَى \_ قد أَعَزَّ الإسلامَ، وكثر ناصروه، فلو أقمنا في أموالنا وأصلحنا ما ضاع منها!!. فأنزل الله \_ تَعَالَى \_ على نيه ما يرد علينا ما قلناه: ﴿ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ ٱللهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمُ إِلَى التَهْلُكَةً ﴾، نبيه ما يرد علينا ما قلناه: ﴿ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ ٱللهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمُ إِلَى التَهْلُكَةً الإقامة على الأموال وإصلاحها وتَرْكنا الغزو. فما زال أبو أيوب شاخصًا في سبيل الله حتى دُفِنَ بأرض الروم» (٢).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قال: قال رسول اللَّه عَنْهُمَا ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إذا تبايعتم بِالْعِينَةِ(٣)، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط اللَّه عليكم ذلًا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم»(٤).

<sup>(</sup>١) حسن لغيره: رواه البزار، وقال الألباني في الصحيح الترغيب؛ (٢٣٢٤): حسن لغيره.

<sup>(</sup>٢) صحيح: رواه الترمذي، وقال: حديثُ غريب صحيح. وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الترغيب» (١٣٨٨).

<sup>(</sup>٣) الْعِينَةُ: هي أن يبيع الرجلُ سلعةً بثمنٍ إلى أجلٍ إلى رجلٍ آخرَ، ثم يشتريها منه بأقل من ذلك الثمن نقدًا، وهو محرم؛ لما فيه من الاحتيار على الربا.

<sup>(</sup>٤) صحيح: رواه أبو داود، وأحمد، وابن شاهين، والطبراني في «الكبير» وابن عدي، وأبو نعيم في =

الله ﷺ: «من مات ولم يَعْزُ، ولم يَعْزُ، ولم يَعْزُ، ولم يَعْزُ، ولم يَعْزُ، ولم يَعْزُ،

الله عن أبي أمامة عن النبي على قال: «من لم يَغْزُ، أو يجهِّزْ غازيًا، أو يجهِّزْ غازيًا، أو يجهِّزْ غازيًا، أو يُخلفْ غازيًا في أهله بخير؛ أصابه اللَّه ـ تَعَالَى ـ بقارعة قبل يوم القيامة» (١٠). وعن أبي بكر على قال: قال رسول اللَّه على: «ما ترك قوم الجهاد؛ إلا عمَّهُمُ اللَّه بالعذاب» (٣).

النقير بني الزمان وحديث عظيم من أعلام نبوة سيد ولد عدنان الله عنه الله عنه أبي عبدالرحمن عبدالله بن عمرو - رَضِيَ الله عنه ما أقال رسول الله على: «ليأتينَ على الناس زمان؛ قلوبهم قلوب الأعاجم؛ حب الدنيا، سُنتُهم سُنّةُ الأعراب، ما أتاهم من رزق جعلوه في الحيوان، يَرَوْنَ الجَهاد ضررًا، والزكاة مغرمًا» (٤).

<sup>= «</sup>الحلية»، وَصَحِّحَهُ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١١)، و«صحيح الترغيب» (١٣٨٨).

<sup>(</sup>١) رواه مسلم وأبو داود والنسائي.

<sup>(</sup>٢) حسن: رواه أبو داود، وابن ماجه، وَحَسَّنَهُ الألباني في «صحيح الترغيب» (١٣٩١).

<sup>(</sup>٣) حسن: رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٨٥١)، وَحَسَّنَهُ الألباني في «صحيح الترغيب» (١٣٩٢).

<sup>(</sup>٤) إسناده جيد ورجاله ثقات: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨٢/٣٦/١٣)، قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣٣٥٧): وهذا إسناد جيد، رجاله ثقات، رجال الصحيح، غير خالد بن حميد المهري؛ قال أبو حاتم: لا بأس به، ورواه أبو يعلى في «المسند الكبير»، والحارث كما في «المطالب العالية» (ق ٢/١٠١) موقوفًا على عبدالله بن عمرو، ولا يضر؛ لأنه في حكم المرفوع؛ كما لا يخفى.

<sup>(</sup>٥) إسناده صحيح: أحرجه الترمذي، وابن ماجه، والحاكم، وَضَعَّفَهُ الألباني في «ضعيف الترمذي» (٢٨٠)، و«ضعيف الجامع» (٥٨٣٣).

الجهاد وليس لي مال أتجهز به. قال: «اذهب إلى فلان الأنصاري؛ فإنه كان قد الجهاد وليس لي مال أتجهز به. قال: «اذهب إلى فلان الأنصاري؛ فإنه كان قد تجهز فمرض، فقل له: إن رسول الله على يُقرئك السلام، وقُل: له ادفع إلي ما تجهزت به»؛ فأتاه فقال له ذلك؛ فقال لامرأته: يا فلانة، ادفعي له ما جهزتني به ولا تحبسي منه شيئًا؛ فوالله، لا تحبسين منه شيئًا فيبارك الله فيه» (١).

الله عمر - رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا - قال: قال رسول اللّه عَنْهُمَا - قال: قال رسول اللّه على «إذا ضَنَّ الناس بالدينار والدرهم، وتبايعوا بالعينة (٢)، وتبعوا أذناب البقر، وتركوا الجهاد في سبيل الله؛ أدخل اللّه - تَعَالَى - عليهم ذلّا لا يرفعه عنهم، حتى يراجعوا دينهم» (٣).

(١٤٤ وفي التعليقات الرضية (٢/٥٠٤): «إذا ضَنَّ الناس بالدينار والدرهم، وتبايعوا بالعينة، واتبعوا أذناب البقر، وتركوا الجهاد في سبيل الله؛ أنزل الله بهم بلاء، فلا يرفعه حتى يراجعوا دينهم» (٤).

وعد قال رسول الله على «من عَلِمَ الرمي ثم تركه فليس منا، أو قد عصى» (٥).

<sup>(</sup>١) صحيح: أخرجه أبو داود في «سننه»، وَصَحَّحَهُ الأَلباني في «صحيح أبي داود» (٢٤١٧).

 <sup>(</sup>٢) هو أن يبيع من رجل سلعة بثمن معلوم إلى أجل مسمى، ثم يشتريها منه بأقل من الثمن الذي باعها
 به. انظر: النهاية.

<sup>(</sup>٣) صحيح: أخرجه أحمد، والطبراني في «الكبيره، والبيهقي في «شعب الإيمان»، وَصَحَّحَهُ الألباني في «الصحيحة» (١١)، و«صحيح الجامع» (٦٧٥).

<sup>(</sup>٤) إسناده صحيح: صحح إسناده الألباني في «التعليقات الرضية» (٢/٥٠٥).

<sup>(</sup>٥) أحرجه مسلم (٢/٦)، وأبو عوانة (١٠٢/٥، ١٠٣)، والبيهقي في «السنن» (١٣/١٠)، والروياني في «مسنده» (١٩٣/١٦٣١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨٨٢/٣١٨/١٧) وليس في رواية أبي عوانة والطبراني: «أو قد عصي».

آرك قال رسول الله ﷺ: «آمركم بخمس: بالجماعة، والسمع، والطاعة، والهجرة، والجهاد في سبيل الله، وإنه من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع رِبْقة الإسلام من عنقه إلا أن يراجع، ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من مُختًا جهنم وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم»(1).

(1٤٧) وفي كتاب «السنة، لابن أبي عاصم» (١٠٣٦): قال رسول الله ﷺ: «أنا آمركم بخمس كلمات أمرني الله بهن: السمع، والطاعة، والجماعة، والهجرة، والجهاد» (٢٠).

وأولهن: أن تعبدوا اللَّه ولا تشركوا به شيئًا؛ فإن مثل من أشرك بالله؛ كمثل رجل اشترى عبدًا من خالص ماله بذهب أو وَرِقٍ، ثم أسكنه دارًا، فقال: اعمل وارفع إليَّ. فجعل العبد يعمل ويرفع إلى غير سيده، فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك؟! وإن اللَّه خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئًا.

وأمركم بالصلاة، وإذا قمتم إلى الصلاة فلا تلتفتوا؛ فإن اللَّه عَجَلَكٌ يُقْبِلُ بوجهه

<sup>(</sup>١) إسناده حسن: حَشَنَ إسنادَهُ الألباني في «مشكاة المصابيح» (٣٧٥٨).

<sup>(</sup>٢) إسناده صحيح: صحح إسناده الألباني في «تخريج كتاب السنة، لابن أبي عاصم» (١٠٣٦).

على عبده ما لم يلتفت.

وأمركم بالصيام، ومثل ذلك؛ كمثل رجل معه صرةً مِشكِ في عصابة كلهم يجد ريح المسك، وإنَّ خَلُوفَ فم الصائم أطيب عند اللَّه من ريح المسك.

وأمركم بالصدقة، ومثل ذلك؛ كمثل رجل أسره العدو فشدوا يديه إلى عنقه وقدَّموه؛ ليضربوا عنقه فقال لهم: هل لكم أن أفتدى نفسي منكم؟ فجعل يفتدي نفسه منهم بالقليل والكثير حتى فَكَّ نفسه.

وأمركم بذكر اللَّه كثيرًا، ومثل ذلك؛ كمثل رجل طلبه العدو سراعًا في أثره، فأتى حصنًا حصينًا، فأحرز نفسه فيه، وإن العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر اللَّه ـ تَعَالَى.

وأنا آمركم بخمس أمرني الله بهن: الجماعة، والسمع والطاعة، والهجرة، والجهاد في سبيل الله؛ فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع رِبْقَةَ الإسلام من عنقه إلا أن يُرَاجع، ومن دعا بدعوة الجاهلية فهو من مُثنَاء جهنم، وإن صام وزعم أنه مسلم، فادعوا بدعوة الله التي سَمَّاكُمْ بها المسلمين المؤمنين عباد الله الله (١).

<sup>(</sup>۱) صحيح: أحرجه أحمد. والبخاري في «التاريخ»، والترمذي، والنسائي، وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم في «المستدرك»، والطيالسي، وابن خزيمة، وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٧٢٤) و«صحيح الترغيب» (٥٥٣)، و«تخريج المسكاة» (٣٦٩٤)، وقال الشيخ مقبل بن هادي الودعى في «الصحيح المسد» (٢٩٥): صحيح على شرط مسلم.

<sup>(</sup>٢) إسناده حُسن: أخرَجه أحمد (٩٨/١)، والبيهقي في «السنن» (٢١٣/١، ٢١٤)، وَحَسَّنَ إساده الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٣٩٣٩).

• وعند الشيخين: «بُعِشْتُ بجوامع الكلم، وَنُصِرْتُ بالرعب، وبينا أنا نائم أُتِيتُ عِفاتيح خزائن الأرض، فَوُضِعَتْ بين يدي».

رمن وعن جندب بن سفيان: «أن رسول اللَّه ﷺ كان في بعض المشاهد قد دَمِيَتْ إِصْبَعُهُ فقال: هل أنت إلا إصبَعٌ دَمِيتِ وفي سبيل اللَّه ما لَقِيتِ»(١).

احندق (۲) وعن البراء بن عازب ﷺ قال: «كان يوم الأحزاب وفي رواية: يوم الخندق (۲) ينقل معنا التراب، ولقد وَارَى الترابُ بياضَ بطنِهِ وفي رواية: شعر صدره (۳) و واكان رجلًا كثير الشعر (٤) ، وهو [يرتجز برجز عبدالله بن رواحة (٥) ؛ وهو : واللّه لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدّقنا ولا صلينا فأنسزلن سكينة علينا [وثبت الأقدام إن لاقينا] (۱) إن الألى قد أَبُوا وفي رواية: بَغَوا (۷) علينا

إذا أرادوا فتنة أبينا [أبينا](^)

ويرفع بها صوته»<sup>(۹)</sup>.

<sup>(</sup>۱) أخرجه البخاري (۲۸۰۲) والسياق له، ومسلم (۱۸۱/٥)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٦٢٠)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٥٣٣)، وكذا ابن السني في «عمله» (٥٠٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٨٦/٢/ ١٧٠٨).

<sup>(</sup>٢) رواية البخاري.

<sup>(</sup>٣) رواية البخاري، وأحمد، والبيهقي.

<sup>(</sup>٤) عمد البخاري والبيهقي.

<sup>(</sup>٥) عند البخاري، وأحمد، والبيهقي.

<sup>(</sup>٦) عند البخاري، وأحمد.

<sup>(</sup>٧) عند البخاري.

<sup>(</sup>٨) عند البخاري.

<sup>(</sup>٩) أخرجه البخاري (٢٨٣٧، ٢٠١٦، ٦٦٢٠، ٢٣٣٧)، ومسلم (١٨٧/٥، ١٨٨)، والدارمي (٢/ ٢٢١)، وابن حبان (٢٥١٨، ٤٥١٨)، والبيهقي (٢٣/٧)، وفي «الدلائل» (٤١٣/٣)، وابن أبي شيبة (٤١٩/١٤)، وأحمد (٢٨٢/٤، ٢٨٥، ٢٩١، ٣٠٠، ٣٠٠)، والطيالسي (٢١٢/٩٧)، وأبو يعلى (٣٠٢ ١٧١).

وعند البخاري عن مجاشع بن مسعود عَيْجَتِه قال رسول اللَّه عَيَا ﴿ لا هجرة بعد فتح مكة ».

رود وقال رسول اللَّه ﷺ «إن الهجرة لا تنقطع ما دام الجهاد» (٢٪)

وفي سنن أبي داود: «أن رجلًا قال: يا رسول الله، رجل يريد الجهاد في سبيل اللّه وهو يبتغي عرضًا من عرض الدنيا؟! فقال رسول اللّه على لا أجر له!! فَأَعْظَمَ ذلك الناس؛ قالوا للرجل: عُدْ لرسول اللّه عَلَى فلعلك لم تفهمه. فقال: يا رسول الله، رجل يريد الجهاد في سبيل اللّه وهو يبتغي عرضًا من عرض الدنيا؟! فقال: لا أجر له!! فقالوا للرجل: عُدْ لرسول اللّه عَلَى فقال له في الثالثة؛ فقال له: لا أجر له!!» (٤٠)

من أبي هريرة وَ إِن أول الناس يُقْضَى يوم القيامة عليه رجل النتُشْهِدَ، فَأَتِيَ به، فَعَرَّفَهُ نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتى اسْتُشْهِدْتُ. قال: كذبتَ؛ ولكنك قاتلتَ؛ لأن يُقال: فلان جريء، فقد قيل.

 <sup>(</sup>١) أخرجه مسلم عن عائشة، وأحمد والنسائي عن صفوان بن أمية، وأحمد والترمذي والنسائي عن ابن عسس.

 <sup>(</sup>٢) صحيح: رواه أحمد عن جنادة، ورواه أحمد والطحاوي وابن حبان والخطيب عن عبدالله بن السعدي، وَصَحَّحَهُ الألباني في الصحيح الجامع، رقم (١٩٩١).

<sup>(</sup>٣) صحيح: أخرجه أحمد، والطبراني في «الكبيرة» وابن أبي عاصم، وابن عساكر عن عتبة بن عبد، وَصَحَّحَهُ الأَلباني في «صحيح الجامع» (٣٣٤٢)، و«السلسلة الصحيحة» رقم (١٨٥١).

<sup>(</sup>٤) حسن: رواه أبو داود في «سننه»، وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح أبي داود» رقم (٣١٩٦).

هُ فَرَسَانُ النَّهَارِ ﴿ وَ اللَّهُ اللَّ

ثم أُمِرَ به فَسُجِبَ على وجهه حتى أُلقِي في النار..»<sup>(١)</sup>.

رود قال رسول اللَّه ﷺ: «أفضل الجهاد من عُقِرَ جواده وأهريق دمه» (٢٠).

\* \* \*

<sup>(</sup>١) رواه مسلم والنسائي عن أبي هريرة.

<sup>(</sup>٢) حسن بمجموع الطرق: أخرجه أحمد من طريقين عن عمرو بن عبسة مرفوعًا (٣٨٥/٥)، (٥/ ١٨٧) في أثناء حديث (٣٨٥/٥)، فهذا القدر منه حسن بمجموع الطريقين. قاله الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٥٥٠).

## الفصل الرابع

# إِعْلَامُ النُّبَلَاءِ بِفَصْلِ الشَّهَادَةِ وَالشُّهَدَاءِ

إلى الجنان وَتَبَالِي القوم أَوَّابُ وظل طوبى وعطر الشدو يَسْسَابُ بعرش ربى لمن قُتِلُوا وَمَا غَابُوا

يا ويحَ نفسي وما ارتفعت بنا هِمَمٌ إلى كواعب للأطراف قاصرةٍ إلى قناديل ذَهَبِ عُلِّقَتْ شرفًا

## إِعْلَامُ النَّبَلَاءِ بِفَصْلِ الشَّهَادَةِ وَالشُّهَدَاءِ

الشهادة أعلى فضائل الإنسان، ارتقت معه إلى ذروتها العليا، واستعد بها النوع البشري لفهم العقيدة والإيمان، والشهادة حيث وُجدت مقرونة بفضيلة الفداء وبذل النفس والنفيس في سبيل الله أقول في هذا:

يا ويحَ نفسي وما ارتفعت بنا هِمَمٌ إلى الجنانِ وَتَالِي القومِ أَوَّابُ الى كواعب للأطراف قاصرةِ وظل طوبى وعطر الشدو يَنْسَابُ الى قنابل ذهب عُلِّقَتْ شرفًا بعرش ربي لمن قُتِلُوا وَمَا غَابُوا(١) الشهيد من يُشهد اللَّه على صدقه وإنْ كذَّبه الناس، وخسر عندهم الحياة وحسن الأحدوثة على الأفواه بعد الحياة.

والشهيد من يبذل حياته في سبيل الحق، أو من يذهب مظلومًا في سبيله صابرًا غير متزعزع ولا ناكص على عقبيه.

والشهيد في الرفيق الأعلى، مع النبيين والصديقين والصالحين..

غاية لا يبلغها كل طالب ولا يطلبها كل من شاء، إلا أن يشاءها بما هي أهله من عدة الخلق والبصيرة والإيمان.

هذي بساتين الجنان تزيَّنتْ للطالبين فأين من يرتادُ

## 🗖 الشهيد ومعاني الشهادة:

## «اخْتُلِفَ في سبب تسمية الشهيد شهيدًا:

فقال النضر بن شُمَيْلٍ: لأنه حي فكأن أرواحهم شاهدة؛ أي: حاضرة. وقال ابن الأنباري: لأن الله وملائكته يشهدون له بالجنة.

وقيل: لأنه يشهد عند خروج روحه ما أُعِدُّ له من الكرامة.

<sup>(</sup>١) الأبيات لسيد حسين العفاني.

وقيل: لأنه يشهد له بالأمان من النار.

وقيل: لأن عليه شاهدًا بكونه شهيدًا.

وقيل: لأنه لا يشهده عند موته إلا ملائكة الرحمة.

وقيل: لأنه الذي يشهد يوم القيامة بإبلاغ الرسل.

وقيل: لأن الملائكة تشهد له بحسن الخاتمة.

وقيل: لأن الأنبياء تشهد له بحسن الاتباع.

وقيل: لأن اللَّه يشهد له بحسن نيته وإخلاصه.

وقيل: لأنه يشاهد الملائكة عند احتضاره.

وقيل: لأنه يشاهد الملكوت من دار الدنيا ودار الآخرة.

وقيل: لأنه مشهود له بالأمان من النار.

وقيل: لأن عليه علامةً شاهدةً بأنه قد نجا.

وبعض هذه يختص بمن قُتِلَ في سبيل الله، وبعضها يعم غيره، وبعضها قد ينازع فيه<sup>(۱)</sup>.

قالوا: الشهيد بمعنى الشاهد؛ والشاهد: هو الحاضر في الجنة، وقال القربي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: وهذا هو الصحيح (٢).

وقال ابن فارس في «معجم مقاييس اللغة»: «الشهيد القتيل في سبيل الله، وسُمِّيَ بذلك: إما لأن الملائكة تشهده، وإما لأنه شهد على نفسه لله وَ الله حتى لزمه الوفاء بالبيعة التي بايع اللَّه عليها والتي أشار لها في قوله ـ تَعَالَى ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ الشَّرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُم وَأَمُولَهُم بِأَنَ لَهُمُ ٱلْجَنَّةُ يُقَالِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيقَالُونَ وَيُقَالُونَ وَعُمَّا عَلَيْهِ حَقًا فِي ٱلتَّوْرَدِةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانَ فِي اللَّهُ وَلَا عَلَيْهِ حَقًا فِي التَّوْرَدِةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانَ اللهُ اللهِ فَيقَالُونَ وَيُقَالُونَ وَعُمَّا عَلَيْهِ حَقًا فِي التَّوْرَدِةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانَ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ

(١) فتح الباري (١/٦٥).

<sup>(</sup>٢) عشَّاق الحور وطُلَّاب دار السرور، لإبراهيم محمد العلي ص (٤١)، دار النفائس.

وَمَنْ أَوْفَ بِعَهَدِهِ. مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِ. وَذَالِكَ هُوَ ٱلْفَوِّزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿ ﴾ [التوبة: ١١١].

## ﴿ وَيَشَخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءً ﴾:

قال ابن القيم - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «إن الشهادة عند اللَّه من أعلى مراتب أوليائه، والشهداء هم خواصه والمقرَّبون من عباده، وليس بعد درجة الصديقية إلا الشهادة، وهو - سُبْحَانَهُ - يُحِبُّ أن يتخذ من عباده شهداء، تُرَاقُ دماؤهم في محبته ومرضاته، ويؤثرون رضاه ومحبته على نفوسهم، ولا سبيل إلى نيل هذه الدرجة إلا بتقدير الأسباب المقتضية إليها من تسليط العدو»(١).

وقد دلت الشهادة باسمها على معناها الرفيع: الشهادة هي الحضور، والشهيد حاضر في ساعة الروع حين يغيب الخائف الحريص على الحياة، والشهيد حاضر بذكراه، والشهيد حاضر بآثاره وآثار أعماله وهي حية لا تموت.

والشهادة فضيلة عزيزة لا ينالها كل طامع فيها ولا يدركها إلا من هو أهل لها، مستحق للإيمان بها، صابر على شدائدها وأهوالها.

الشهادة درجة عالية لا يهبها اللَّه إلَّا لمن يستحقها...

إنها اختيار من العلي الأعلى للصفوة من البشر؛ ليعيشوا مع الملإ الأعلى؛ حيث قال ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَيَتَخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءً ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

إنها اختيار واتخاذ واصطفاء للأفذاذ النبلاء من البشر؛ ليكونوا في صحبة الأنبياء؛ ﴿وَمَن يُطِع ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُولَئَيْكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّتَنَ وَأَلْصَلِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئَيْكَ رَفِيقًا ﴿ النساء: ٦٩].

﴿ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءً ﴾:

هو تعبير عجيب عن معنى عميق...

<sup>(</sup>١) زاد المعاد (٣/٢١١، ٢٢٢).

إن الشهداء لمختارون؛ يختارهم الله من بين المجاهدين، ويتخذهم لنفسه من سُبْحَانَهُ من هي رزية م إِذَنْ م ولا خسارة أن يُسْتَشْهَدَ في سبيل الله مَنْ يُسْتَشْهَدُ!!

إنما هي اختيار وانتقاء، وتكريم واختصاص.. إن هؤلاء هم الذين اختصهم اللَّه ورزقهم الشهادة؛ ليستخلصهم لنفسه ـ شُبْحَانَهُ ـ، ويخصهم بقربه.

ثم هم شهداء يتخذهم الله، ويستشهدهم على هذا الحق الذي بعث به للناس... يستشهدهم فيؤدون الشهادة...

يؤدونها أداء لا شبهة فيه، ولا مطعن عليه، ولا جدال حوله...

يؤدونها بجهادهم حتى الموت في سبيل إحقاق هذا الحق، وتقريره في دنيا الناس...

يطلب اللَّه \_ شبكانَهُ \_ منهم أداء هذه الشهادة:

على أن ما جاءهم من عنده الحق..

وعلى أنهم آمنوا به، وتجردوا له، وأعزوه حتى أرخصوا كل شيء دونه.. وعلى أن حياة الناس لا تصلح ولا تستقيم إلا بهذا الحق..

وعلى أنهم هم استيقنوا هذا؛ فلم يألوا جهدًا في كفاح الباطل، وطرده من حياة الناس، وإقرار هذا الحق في عالمهم، وتحقيق منهج الله في حكم الناس..

يستشهدهم الله على هذا كله فيشهدون، وتكون شهادتهم هي هذا الجهاد حتى الموت، وهي شهادة لا تقبل الجدال والمحال!!

إذا اقتضى الأمر أن يموت في سبيله؛ فهو ـ إِذَنْ ـ شهيد؛ أي: شاهد، طَلَبَ اللّه إليه أداء هذه الشهادة فأدّاها، واتخذه اللّه شهيدًا، ورزقه هذا المقام..

هذا فقه ذلك التعبير العجيب ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهُدَآةً ﴾ (١).

<sup>(</sup>١) الظلال (١/١٨٤، ١٨٤).

### لله ما أحلاها من كلمة!!

«الشهيد هو الذي يقدم شهادة من روحه ودمه أن دين اللَّه أغلى عنده من حياته؛ ولذلك يبذل روحه وحياته فداءً لدين الله!!».

سوف تبقى في الحنايا عَلَمًا حاديًا للرَّكب رمزًا للفدى ما نسينا أنت قد علمتنا بسمة المؤمن في وجه الردى

يا شهيدًا رفع الله به جبهة الحق على طول المدى

إن الناس يعيشون ويموتون، لكن الشهداء يعيشون ويعيشون!!

إن الناس يعيشون؛ ليموتوا، ولكن الشهداء يموتون؛ ليعيشوا!!

إنهم الذين يحسنون طريقة الموت. . الواحد منهم آنِسٌ بالموت من الطفل بثدي أمه!!

إنهم الذين يخطُّون تاريخ الأمم؛ لأن صروح المجد لا تُبْنَى إلا بجماجمهم وأشلائهم، وهم الذين يحفظون شجرة هذا الدين من أن تضمحل أو تذوى؛ لأن شجرة هذا الدين لا تُرْوَى إلا بالدماء، وهم الخالدون بذكرهم في الأرض والسماء، وبذكرهم تحيا القلوب؛ لأنهم قُتِلُوا؛ لتحيا أممهم، ويَحْيَونَ هم أنفسهم، هؤلاء هم عُشَّاق الموت الذين تُبْنَى بهم الحياة؛ فهم يبحثون عن الموت، ويبغونه في مظانه؛ ليبعثوا الحياة في أممهم وفي الأجيال التي تأتي من بعدهم؛ كما قال ﷺ: «مِنْ خير معاش الناس لهم رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله، يطير على متنه، كلما سمع هَيْعَةً أو فَزْعَةً طار عليه، يبتغي القتل والموت مظانَّهُ...»<sup>(١)</sup>.

فهم يبتغون الموت مظانَّهُ؛ أي: أنهم حيثما ظنوا مكان الموت أسرعوا إليه ومضوا مسرعين يطلبونه.

ما العيش إلا معهم، وقربهم حياة للأرواح، وبذكرهم تطيب المجالس وتحيا القلوب.

<sup>(</sup>١) أخرجه مسلم (١٨٨٩).

تضيق بنا الدنيا إذا غبتم عنا وتزهق بالأشواق أرواحنا منا بعادكم موت وقربكم حيا ولو غبتم عنا ولو نفسًا متنا نعيش بذكراكم ونحيا بقربكم ألا إن تذكار الأحبة ينعشنا

الشهادة في سبيل اللَّه مرتبة سامية ورتبة عظيمة، لا يُلَقَّاهَا إلا ذو حظ عظيم، ولا ينالها إلا كفؤ ماجد نبيل كريم، سبقت له من ربه الحسنى والفوز المقيم.

# □ فَحيَّهَلَا إن كنت ذا همة... إلى الشهادة وبلوغ أعلى الجنَّة:

قال - تَعَالَى بَ ﴿ إِنَّ اللَّهَ الشَّتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمُولَهُم بِأَتَ لَهُمُ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمُولُهُم بِأَتَ لَهُمُ اللَّهِ نَيقَلُلُونَ وَيُقْلُلُونَ وَيُقْلُلُونَ وَعُدًا عَلَيْهِ حَقًا فِ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَالِلُونَ وَالْقَارِدُ وَمُنَ أَوْفَ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهُ فَأَسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ التَّوْمِةُ وَالْإِنِي وَاللَّهُ هُو الفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿ وَالتوبَة: ١١١].

قال ابن كثير: «يخبر ـ تَعَالَى ـ أنه عَاوَضَ عباده المؤمنين عن أنفسهم وأموالهم إذا بذلوها في سبيله بالجنة، وهذا من فضله وكرمه وإحسانه؛ فإنه قَبِلَ العوض عما يملكه بما تفضَّل به على عباده المطيعين له؛ ولهذا قال الحسن البصري وقتادة: بايعهم ـ واللَّه ـ فأغلى ثمنهم.

وقال شمر بن عطية: ما من مسلم إلا ولله وَ عَجَلَلٌ في عنقه بيعة، وَفَّى بها أو مات عليها، ثم تَلَا هذه الآية؛ ولهذا يُقَالُ: من حمل في سبيل اللَّه بايع الله؛ أي: قَبِلَ هذا العقد وَوَفَّى بِهِ.

وقال محمد بن كعب القرظي وغيره: قال عبدالله بن رواحة ولله لله لرسول الله عني ليلة العقبة: اشترط لربك ولنفسك ما شئت. فقال: «أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم» قالوا: فما لنا إذا فعلنا ذلك؟ قال: الجنة. قالوا: ربح البيع، لا نقيل ولا نستقيل. فنزلت ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱنْفُسَهُم وَأَمُولُكُم الآية. وقوله: ﴿ يُقَالِلُونَ فِي سَهِيلِ ٱللَّهِ فَيَقَالُونَ وَيُقَالُونَ \* أي: سواء قَتَلُوا أو وقوله: ﴿ يُقَالِلُونَ فِي سَهِيلِ ٱللَّهِ فَيَقَالُونَ وَيُقَالُونَ \* أي: سواء قَتَلُوا أو

قُتِلُوا أو اجتمع لهم هذا وهذا فقد وجبت لهم الجنة؛ ولهذا جاء في «الصحيحين»: «وَتَكَفَّلَ اللَّه لمن خرج في سبيله، لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي وتصديق برسلي بأن توفاه أن يدخله الجنة، أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه، نائلًا ما نال من أجر أو غنيمة» (١).

وقوله: ﴿ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًا فِ التَّوْرَكَةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْءَانِ ﴾ تأكيد لهذا الوعد، وإخبار بأنه قد كتبه على نفسه الكريمة، وأنزله على رسله في كتبه الكبار؛ وهي: التوراة المنزلة على موسى، والإنجيل المنزل على عيسى، والقرآن المنزل على محمد ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وقوله: ﴿ وَمَنْ أُوْفَ بِعَهْدِهِ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ فإنه لا يخلف الميعاد، وهذا كقوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿ وَمَنْ أَصَدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ ﴿ وَمَنْ أَصَدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ ؛ ولهذا قال: ﴿ فَٱسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِدٍّ وَذَلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمَظِيمُ ﴾ ؛ أي: فليستبشر من قام بمقتضى هذا العقد، وَوَفّى بهذا العهد بالفوز العظيم والنعيم المقيم (٢).

هم العُصبة الْمُثَلَى ولولا جراحُهم وظلَّت خفافيشُ الظلام تَنُوشُنِي إلى اللَّه أمضي والجهاد يَهُزُّني لعلي إذا ما مِتُ ألقاه راضيا كرامًا على درب الجهاد توسَّدوا

لظلَّ بهيمُ الليل كالموج عاتيا وظلَّتُ كلابُ الأرضِ تَوْلَغُ إِنَائِيا أُسَدِّدُ فيه السهمَ يومًا وثانيا وألقى أحبائي هناك وجاريا ترابًا يفوح المسكَ ريَّان قانيا(٣)

«جعل ـ سُبْحَانَهُ ـ هاهنا الجنة ثمنًا لنفوس المؤمنين وأموالهم؛ بحيث إذا بذلوها فيه استحقوا الثمن، وعقد معهم هذا العقد وأكده بأنواع من التأكيد:

<sup>(</sup>١) صحيح البخاري ـ كتاب فرض الخمس (٣١٢٣)، وصحيح مسلم ـ كتاب الإمارة رقم (١٨٧٦). (٢) تفسير القرآن العظيم (٢٩١/٧، ٢٩٢)، طبعة أولاد الشيخ.

 <sup>(</sup>٣) إنها الصحوة .. إنها الصحوة، لمحمود مفلح ص (٤٤)، دار الوفاء.

أحدها: إخبارهم ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ بصيغة الخبر المؤكد بأداة «إن».

الثاني: الإحبار بذلك بصيغة الماضي الذي قد وقع وثبت واستقر.

الثالث: إضافة هذا العقد إلى نفسه ـ سُبْحَانَهُ ـ، وأنه هو الذي اشترى هذا لبيع.

الرابع: أنه أخبر بأنه وعد بتسليم هذا الثمن وعدًا لا يخلفه ولا يتركه.

الخامس: أنه أتى بصيغة «على» التي للوجوب؛ إعلامًا لعبادة بأن ذلك حق عليه أحقه هو على نفسه.

السادس: أنه أكد على ذلك بكونه حقًّا عليه.

السابع: أنه أخبر عن محل هذا الوعد، وأنه أفضل كتبه المنزلة من السماء؛ وهي: التوراة، والإنجيل، والقرآن.

الثامن: إعلامه لعباده بصيغة «استفهام الإنكار»، وأنه لا أحد أوفى بعهده منه ـ شُبْحَانَهُ ـ .

التاسع: أنه مس سُبُحَانَهُ م أمرهم أن يستبشروا بهذا العقد ويبشر به بعضهم بعضًا بشارة مَنْ قد تَمَّ له العقد ولزم؛ بحيث لا يثبت فيه خيار ولا يعرض له ما يفسخه.

العاشر: أنه أحبرهم إخبارًا مؤكدًا بأن ذلك البيع الذي بايعوه به هو الفوز العظيم، والبيع ههنا بمعنى المبيع الذي أخذوه بهذا الثمن؛ وهو: الجنة، وقوله: ﴿ بَا يَعْتُمُ بِهِ مَا يَعْتُمُ وَثَامَنْتُمْ به، ثم ذكر ـ سُبْحَانَهُ ـ أهل هذا العقد الذي وقع العقد، وتم لهم دون غيرهم (١).

### □ لله در ابن القيم من إمام رباني:

يقول ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «أخبر ـ سُبْحَانَهُ ـ أنه اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، وَأَعَاضَهُمْ عليها الجنة، وأن هذا العقد والوعد قد أودعه أفضل كتبه

<sup>(</sup>١) حادي الأرواح، لابن القيم (٧٥، ٧٦).

المنزلة من السماء؛ وهي: التوراة والإنجيل والقرآن، ثم أَكَد ذلك بإعلامهم أنه لا أحد أوفي بعهده منه ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ، ثم أَكَد ذلك بِأَنْ أَمَرَهُمْ بأن يستبشروا ببيعهم الذي عاقدوه عليه، ثم أعلمهم أن ذلك هو الفوز العظيم، فليتأمل العاقد مع ربه عقد هذا التبايع، ما أعظم خطرَهُ وأجلّه؛ فإن اللّه فَحَيْلٌ هو المشتري، والثمن جنات النعيم والفوز برضاه والتمتع برؤيته هناك، والذي جرى على يده هذا العقد أشرف رسله وأكرمهم عليه من «الملائكة والبشر»، وإن سلعة هذا شأنها لقد هُيّتَتْ لأمر عظيم وخطبٍ جسيم».

قد هَيْئُوكَ لأُمر لو فَطِنْتَ له فَارْبَأْ بنفسِك أن ترعى مع الهَمَلِ (۱) مَهْرُ المحبة والجنة بذلُ النَّفس والمال لمالكهما الذي اشتراهما من المؤمنين، فما للجبانِ المُعْرِضِ المُفْلِسِ وَسَوْمٍ هذه السلعة، باللَّه ما هُزِلَتْ فَيَسْتَامُهَا المفلسون، ولا كَسَدَتْ فيبيعها بالنسيئة المُعْسِرُونَ، لقد أُقيمت للعرض في سوق من يُريد، فلم يرض ربُّها لها بثمن دون بذل النفوس؛ فَتَأَخَّرَ البُطَّالُون، وقام المحبون ينتظرون أيهم يصلح أن يكون نفسه الثمن، فدارت السلعة بينهم، ووقعت في يد ﴿ أَذِلَةٍ عَلَى المُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٤٥].

لما كثر المدَّعون للمحبة، طُولِبُوا بإقامةِ البينة على صحة الدعوى، فلو يُعْطَى الناس بدعواهم، لَادَّعَى الحَليُّ محرَّقَةَ الشجيِّ، فتنوَّع المدَّعون في الشهود؛ فقيل: لا تشبت هذه الدعوى إلا ببينة: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَأُتَبِعُونِي يُحْبِبُكُمُ اللَّهُ ﴿ [آل عمران: ٣١]؛ فتأخر الحلق كلهم، وثبت أتباع الرسول في أفعاله وأقواله وهديه وأخلاقه، فَطُولِبُوا بعدالة البيِّنة وقيل: لا تُقْبَلُ العدالة إلا بتزكية: ﴿ يُجُهِدُونَ فِى المحبة، وقام سَبِيلِ اللهِ وَلا يَعَافُونَ لَوْمَةَ لاَ يَعْرِ المائدة: ٤٥]؛ فَتَأْخَرَ أكثر المدَّعين للمحبة، وقام المجاهدون، فقيل لهم: إن نفوس المحبين وأموالهم ليست لهم، فسلموا ما وقع عليه العقد؛ فإن اللَّه اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، وعقد التبايع العقد؛ فإن اللَّه اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، وعقد التبايع

<sup>(</sup>١) هو آخر بيت من «لامية العجم»، للطغراثي.

يُوجب التسليم من الجانبين، فلما رأى التجار عظمة المشتري، وَقَدْرَ الثمن، وجلالة قَدْرِ من جرى عقد التبايع على يديه، ومقدارَ الكتاب الذي أثبت فيه هذا العقد، عرفوا أن للسلعة قدرًا وشأنًا ليس لغيرها من السِّلَعِ؛ فرأوا من الحسران البينُ والغَبْن الفاحش أن يبيعوها بثمن بخس دراهم معدودة، تذهب لذتها وشهوتها وتبقى تَبِعَتُهَا وَحَسْرَتُهَا؛ فإن فاعل ذلك معدود في جملة السفهاء، فعقدوا مع المشتري بيعة الرِّضوان رِضًى واختيارًا من غير ثبوت خيار، وقالوا: والله، لا نقيلك ولا بستقيلك، فلما تَمَّ العقد، وسلموا المبيع، قيل لهم: قد صارت أنفسكم وأموالكم لنا، والآن فقد رددناها عليكم أوفرَ ما كانت وأضعاف أموالكم معها ﴿ وَلَا عَمِان: ١٩٩]، النَّيْ أَمُوتَنَا بَلَ أَحْياً عُينَدَ رَئِهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿ اللهِ مِن الثمن والمكرم في لم نبتع منكم نفوسكم وأموالكم طلبًا للربح عليكم؛ بل ليظهر أثر الجود والكرم في قبول المعيب والإعطاء عليه أَجَلَّ الأثمان، ثم جَمَعْنَا لكم بين الثمن والمثمّن.

تأمل قصة جابر بن عبدالله «وقد اشترى منه ﷺ بعيره، ثم وَفَّاهُ الثمنَ وزاده، وَرَدَّ عليه البعير» (١)، وكان أبوه قُتِلَ مع النبي ﷺ في وقعة أحد، فذكَّره بهذا الفعل حال أبيه مع الله، وأخبره «أن الله أحياه، وَكَلَّمَهُ كِفَاحًا وقال: يا عبدي تَمَنَّ عليً » (٢)، فسبحان من عَظُمَ جودُهُ وكرمُهُ أن يُحيط به علمُ الخلائق؛ فقد أعطى السلعة، وأعطى الثمن، وَوَفَّقَ لتكميل العقد، وَقَبِلَ المبيع على عيبه، وَأَعَاضَ عليه أَجَلَّ الأثمان، واشترى عبده من نفسه بما له، وجمع له بين الثمن والمُثَمَّنِ، وأثنى عليه، ومدحه بهذا العقد، وهو ـ شُبْحَانَهُ ـ الذي وَفَقَهُ له، وشاءه منه:

فَحَيَّهَلَا إِنْ كَنتَ ذا هِمَّةِ فقد حَدَا بكَ حادي الشوقِ فَاطُو المراجِلا

<sup>(</sup>۱) أخرجه البخاري (۳۹۰/۳) في الوكالة، (٤٠/٥) في الاستقراض، (٨٤) في المظالم، (٢٢٩، ٢٣٦) في الشروط، (٩/٦، ٥٠) في الجهاد؛ ومسلم (٧١٥)؛ والترمذي (١٢٥٣)؛ وأبو داود (٣٥٠٥)؛ والنسائي (٢٩٧/٧ ـ ٢٩٧/٠)؛ وابن ماجه (٢٢٠٥).

<sup>(</sup>٢) سنده حسن: أخرجه الترمذي (٣٠١٣)، وابن ماجه (١٩٠، ٢٨٠٠) من حديث جابر بن عبدالله.

إذا ما دَعَا لَبَّيْكَ أَلْفًا كَوَامِلا نَظَرْتَ إلى الأطلالِ عُدْنَ حوائِلا وَدَعْهُ فَإِنَّ الشَّوْقَ يَكْفِيكَ حَامِلا طريق الهدى والحُبِّ تُصْبِحُ واصِلا ركابُك فالذكرى تُعيدُك عَامِلا أمامَكِ وِرْدُ الوَصْل فابغِي المَناهِلا فَنُورُهُمُ يهديك ليس المشاعلا عَسَاكَ تراهُمْ ثُمَّ إِنْ كنتَ قَائِلًا حِبَّةِ فَاطْلُبْهُمْ إِذَا كَنتَ سَائِلًا تَفُتْ فَمِنَّى يا ويحَ مَن كانَ غَافِلا مَنَازِلُكَ الْأُولَى بها كُنتَ نازلا وقفتَ على الأطلالِ تبكى المنازلا خُلُودِ فَجُدْ بالنفس إنْ كنتَ باذلا مَقِيلٌ وَجَاوِزُهَا فليستْ منازلا قتيلٌ وكم فيها لِذَا الخلق قاتلا عليه سَرَى وَفْدُ الأَحِبَّةِ آهِلا فَعِنْدَ اللَّقَا ذَا الكَدِّ يُصبحُ زائلا وَيُصْبِحُ ذُو الأحزانِ فَرْحَانَ جاذلا

وقل لمنادى خبتهم ورضاهم ولا تَنْظُر الأطلالَ مِن دُونِهم فإِنْ ولا تنتظر بالسير رفْقَةَ قاعد وخُذْ مِنْهُمُ زادًا إليهم وَسِرْ على وأخى بذكراهم شِرَاكَ إذا دَنَت وَإِمَّا تَخَافَنَّ الكَلالَ فَقُلْ لها وَخُذْ قَبَسًا مِن نورهمْ ثُمَّ سِرْ به وَحَيَّ على وادي الأرَاكِ فَقِلْ بهِ وإلَّا فَفَى نَعْمَانَ عندي مُعَرِّفُ الأَ وإِلَّا فَفِي جَمْع بِلَيْلَتِهِ فَإِنْ وَحَيَّ على جناتِ عَدْنِ فَإِنَّها ولكن سَبَاكَ الكاشحون لِأَجْل ذَا وحَيَّ على يوم المزيدِ بجنةِ الـ فَدَعْهَا رُسومًا دارساتِ فما بها رُسُومًا عَفَتْ يَنْتَابُهَا الخَلقُ كُمْ بِهِا وخُذْ يَمْنَةً عَنْهَا على المنهج الذي وَقُلْ ساعدي يا نفسُ بالصبر ساعةً فما هِيَ إلا ساعةٌ ثم تَنْقَضِي

لقد حَرَّكَ الداعي إلى اللَّه وإلى دار السلام النفوسَ الأبية والهمم العالية، وأسمع منادي الإيمان مَنْ كانت له أذن واعية، وأسمع اللَّه من كان حيًّا؛ فَهَزَّهُ السماع إلى منازل الأبرار، وَحَدَا به في طريق سيره؛ فما حَطَّتْ به رحاله إلا بدار القرار؛ فقال: «انتدب اللَّه لمن خرج في سبيله، لا يُخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسلي أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة أو أدخله الجنة، ولولا أن أشق على أمتي ما قعدت خلف سرية،

ولوددت أني أُقْتَلُ في سبيل اللّه ثم أحيا، ثم أُقْتَلُ ثم أحيا، ثم أُقْتَلُ هِ اللّهِ عَلَيْكِ!! فَأَعْظِمْ بها ميتةً تَمَنّاهَا رسول اللّه عَلِيْكِ!!

فهل لك من شوق إليها؟!

رزقنا اللَّه وإياك شهادةً في سبيله.

﴿ إِنَّ اللهَ اَشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْفُوْمِنِينَ الْفُكَسَهُمْ وَأَمُوَلَكُمْ مِأْتَ لَهُمُ الْجَنَّةُ وَلَمُولَكُمْ مِأْتَ لَهُمُ الْجَنَّةُ وَيُقَائِلُونَ ﴾:

«هذا النص الذي تلوتُهُ من قَبْلُ وسمعتُهُ ما لا أستطيع عَدَّهُ من المرات، في أثناء حفظي للقرآن، وفي أثناء تلاوته، وفي أثناء دراسته بعد ذلك في أكثر من ربع قرن من الزمان..

هذا النص حين واجهتُهُ في «الظلال» أحسستُ أنني أدرك منه ما لم أدركه من قَبْلُ في المرات التي لا أملك عَدَّهَا على مدى ذلك الزمان!!

إنه نص رهيب!!

إنه يكشف عن حقيقة العلاقة التي تربط المؤمنين بالله، وعن حقيقة البيعة التي أعطوها ـ بإسلامهم ـ طوال الحياة!! فمن بايع هذه البيعة وَوَفَّى بها فهو المؤمن الحق الذي ينطبق عليه وصف «المؤمن» وتتمثل فيه حقيقة الإيمان.

حقيقة هذه البيعة ـ أو هذه المبايعة؛ كما سماها الله كرمًا منه وفضلًا وسماحة ـ أنَّ الله ـ شبْحَانَهُ ـ قد استخلص لنفسه أنفسَ المؤمنين وأموالهم؛ فلم يَعُدْ لهم منها شيء.. لم يَعُدْ لهم أن يَسْتَبْقُوا منها بقيةً لا ينفقونها في سبيله.. لم يَعُدْ لهم خيارٌ

<sup>(</sup>١) أخرجه البخاري (٨٦/١) في الإيمان ـ باب الجهاد من الإيمان، وفي الجهاد ـ قول النبي ﷺ: «أُحِلَّت لكم الغنائم»، وفي التوحيد ـ باب قول الله ـ تَعَالَى ـ: ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين﴾، وباب قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿قَل لُو كَان البحر مدادا لكلمات ربي﴾، وأخرحه النسائي (١١٩/٨) في الإيمان ـ باب الجهاد، وابن ماجه (٢٧٥٣) في الجهاد ـ باب فضل الجهاد في سبيل الله من حديث أبي هريرة. (٢) زاد المعاد، لابن قيم الجوزية (٢٧٧٣)، مؤسسة الرسالة.

في أن يبذلوا أو يمسكوا.. كلا.. إنها صفقة مشتراة.. لشاريها أن يتصرف بها كما يشاء، وفق ما يفرض ووفق ما يحدد، وليس للبائع فيها من شيء سوى أن يمضي في الطريق المرسوم، لا يتلفت ولا يتخير، ولا يناقش، ولا يجادل، ولا يقول إلا الطاعة والعمل والاستسلام.. والثمن: هو الجنة.. والطريق: هو الجهاد والقتل والقتال.. والنهاية: هي النصر أو الاستشهاد.

وَإِنَّ اللّهَ اللّهَ اللّهَ اللّهِ فَيَقَنْلُونَ وَلُقَى اللّهِ اللّهِ فَيَقَنْلُونَ وَلُقَى اللّهِ اللّهِ مَن بايع على هذا.. من أمضى عقد الصفقة.. من ارتضى الثمن وَوَقَى، فهو المؤمن.. فالمؤمنون هم الذين اشترى اللّه منهم فَبَاعُوا.. ومن رحمة اللّه أن جعل للصفقة ثمنًا، وإلا فهو واهب الأنفس والأموال، وهو مالك الأنفس والأموال، ولكنه كَرَّمَ هذا الإنسان فجعله مُرِيدًا، وَكَرَّمَهُ فجعل له أن يعقد العقود ويمضيها - حتى مع الله -، وكرَّمَهُ فقيده بعقوده وعهوده؛ وجعل وفاءه بها مقياس إنسانيته الكريمة، ونقضه لها هو مقياس ارتكاسه إلى عالم البهيمة.. ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَاتِ عِندَ اللّهِ الذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لا يُقَمِنُونَ ﴿ وَهُمْ لَا عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ عَلَى مَا اللّه عَلَى اللّهِ اللهِ اللهِ اللهُ عَلَى مَا اللهُ اللهُ

وإنها لبيعة رهيبة ـ بلا شك ـ ولكنها في عنق كل مؤمن ـ قادر عليها ـ لا تسقط عنه إلا بسقوط إيمانه؛ ومن هنا تلك الرهبة التي أستشعرها اللحظة وأنا أخط هذه الكلمات:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَلَهُمْ بِأَنَ لَهُمُ ٱلْجَنَّةُ لِيَكُونَ وَيُقَالُونَ وَيُقَالُونَ وَيُقَالُونَ ﴾ . يُقَالِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقَالُمُونَ وَيُقَالُونَ ﴾ .

# عونك اللهم!! فإن العقد رهيب..!!

ولقد كانت هذه الكلمات تطرق قلوب مستمعيها الأولين على عهد رسول الله ولقد كانت هذه الكلمات تطرق المؤمنة إلى واقع من واقع حياتهم، ولم تكن

مجرد معان يتملونها بأذهانهم، أو يحسونها مجردةً في مشاعرهم.. كانوا يتلقونها للعمل المباشر بها؛ لتحويلها إلى حركة منظورة، لا إلى صورة متأملة.. هكذا أدركها عبدالله بن رواحة صلى بيعة العقبة الثانية؛ قال محمد بن كعب القرظي وغيره: قال عبدالله بن رواحة صلى لله الله الله الله الله الله الله المعنى الله العقبة»: اشترط لربك ولنفسك ما شئت. فقال: «أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم». قال: فما لنا إذا نحن فعلنا ذلك؟ قال: «الجنة». قالوا: ربح البيع، ولا نقيل ولا نستقيل.

هكذا.. «ربح البيع، ولا نقيل ولا نستقيل»..

لقد أخذوها صفقة ماضية نافذة بين متبايعين، انتهى أمرها، وأمضي عقدها، ولم يَعُدْ إلى مرد من سبيل: «لا نقيل ولا نستقيل»؛ فالصفقة ماضية لا رجعة فيها ولا خيار.. والجنة: ثمن مقبوض لا موعود!! أليس الوعد من الله؟ أليس الله هو المشتري؟ أليس هو الذي وعد الثمن؟ وعدًا قديمًا في كل كتبه: ﴿وَعُدًا عَلَيْهِ حَقًا لِفَ اللَّهُ مَا اللَّهُ وَاللَّهُ مَا اللَّهُ وَاللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَا اللَّهُ وَاللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ

﴿ وَمَنَ أُوْفَ بِعَهْدِهِ مِنَ ٱللَّهُ ﴾؟ أجل، ومن أوفى بعهده من الله؟

إن الجهاد في سبيل الله بيعة معقودة بعتق كل مؤمن. كل مؤمن على الإطلاق منذ كانت الرسل ومنذ كان دين الله. إنها السنة الجارية التي لا تستقيم هذه الحياة بدونها ولا تصلح الحياة بتركها: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضِ لَمُدِّمَتُ صَوَمِعُ لَفَسَكَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾. ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضِ لَمُدِّمَتُ صَوَمِعُ وَبَيعٌ وَصَلَوَتُ وَمَسَحِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللّهِ كَثِيرًا ﴾. ﴿ فَٱسْتَبْشِرُوا 

وَبِيعٌ وَصَلَوَتُ وَمَسَحِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللّهِ كَثِيرًا ﴾. ﴿ فَٱسْتَبْشِرُوا 

بِبَيْعِكُمُ ٱلّذِى بَايَعْتُم بِدٍّ وَذَلِكَ هُو ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾.

استبشروا بإخلاص أنفسكم وأموالكم لله، وأخذ الجنة عوضًا وثمنًا؛ كما وعد الله. وما الذي فات؟ ما الذي فات المؤمن الذي يسلم لله نفسه وماله ويستعيض الجنة؟

والله، ما فاته شيء؛ فالنفس إلى موت.. والمال إلى فوت.. سواء أنفقهما صاحبهما في سبيل الله أم في سبيل سواه!!

والجنة كسب.. كسب بلا مقابل في حقيقة الأمر ولا بضاعة.. فالمقابل زائل في هذا الطريق أو ذاك!!

وَدَعْ عنك رفعةَ الإنسان وهو يعيش لله.. ينتصر ـ إذا انتصر ـ؛ لإعلاء كلمته، وتقرير دينه، وتحرير عباده من العبودية المذلة لسواه.

وَيُسْتَشْهَدُ ـ إذا اسْتُشْهِدَ ـ في سبيله؛ ليؤدي لدينه شهادةً بأنه خير عنده من الحياة.. ويستشعر في كل حركة وفي كل خطوة أنه أقوى من قيود الأرض، وأنه أرفع من ثقلة الأرض.. والإيمان ينتصر فيه على الألم.. والعقيدة تنتصر فيه على الحياة!!.

إن هذا وحده كسب. كسب بتحقيق إنسانية الإنسان التي لا تتأكد كما تتأكد بانطلاقه من أوهاق الضرورة، وانتصار الإيمان فيه على الألم.. وانتصار العقيدة فيه على الحياة.. فإذا أضيفت إلى ذلك كله الجنة.. فهو بيع يدعو إلى الاستبشار.. وهو فوز لا ريب فيه ولا جدال:

# ﴿ فَٱسۡـنَبۡشِرُواۡ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعۡـتُم بِذِّ وَذَالِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ ·

واللَّه ـ سُبْحَانَهُ ـ يقول في كتابه المُحفوظ: إن وعده بالجنة لمن يقاتلون في سبيل اللَّه فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ثابت في التوراة والإنجيل والقرآن.. فهذا ـ إِذَنْ ـ هو القول الفصل الذي ليس بعده لقائل مقال!!

إن الجهاد في سبيل الله بيعة معقودة بعنق كل مؤمن. كل مؤمن على الإطلاق.. منذ كانت الرسل.. ومنذ كان دين الله..

ولكن الجهاد في سبيل الله ليس مجرد اندفاعة إلى القتال؛ إنما هو قمة تقوم على قاعدة من الإيمان المتمثل في مشاعر وشعائر وأخلاق وأعمال، والمؤمنون الذين عقد الله معهم البيعة، والذين تتمثل فيهم حقيقة الإيمان هم قوم تتمثل فيهم صفات إيمانية أصلية.

﴿ النَّنَبِبُونَ ٱلْعَكِيدُونَ ٱلْحَكِيدُونَ ٱلسَّكَيِحُونَ ٱلرَّكِعُونَ ٱلسَّكِجِدُونَ ٱلْأَمِرُونَ وَالنَّامِهُونَ عَنِ ٱلْمُنكِرِ وَٱلْحَكَفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ﴾.

توبة تَكُفُّهُ عن الذنب وتدفعه إلى العمل الصالح.. وعبادة تصله باللَّه وتجعل اللَّه معبوده وغايته ووجهته.. وَحَمْدٌ لله على السراء والضراء؛ نتيجة الاستسلام الكامل لله والثقة المطلقة برحمته وعدله.. وسياحة في ملكوت اللَّه مع آيات اللَّه الناطقة في الكون الدالة على الحكمة والحق في تصميم الخلق.. وأمرٌ بالمعروفِ ونهيٌّ عن المنكر يتجاوز صلاح الذات إلى إصلاح العباد والحياة.. وحفظٌ لحدودِ اللهِ يَرُدُّ عنها العادين والمضيعين ويصونها من التهجم والانتهاك.

هذه هي الجماعة المؤمنة التي بايعها الله على الجنة، واشترى منها الأنفس والأموال؛ لتمضي مع سنة الله الجارية منذ كان دين الله ورسله ورسالاته، قتال في سبيل الله؛ لإعلاء كلمة الله، وقتل لأعداء الله الذين يحادّون الله، أو استشهاد في المعركة التي لا تَفْتُرُ بين الحق والباطل، وبين الإسلام والجاهلية، وبين الهدى والضلال.

وليست الحياة لهوًا ولعبًا، وليست الحياة أكلًا كما تأكل الأنعام ومتاعًا، وليست الحياة سلامةً ذليلةً، وراحةً بليدةً وَرِضًى بالسلم الرخيص؛ إنما الحياة هي هذه: كفاح في سبيل الحق، وجهاد في سبيل الخير، وانتصار لإعلاء كلمة الله، أو استشهاد كذلك في سبيل الله، ثم الجنة والرضوان.

هذه هي الحياة التي يُدْعَى إليها المؤمنون بالله: ﴿ يَثَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ يِنَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمُ لِمَا يُحَيِيكُمُ ﴾...

وصدق الله، وصدق رسول الله»(١).

# أجر الشهادة ومنزلة الشهيد

لقد مَنَّ اللَّه على الشهداء بنعم لا تُحْصَى، وفضائل ومآثر لا تُنْسَى، ومن أَجَلِّ هذه النعم وأعظمها أن اللَّه ـ شبْحَانَهُ ـ جعلهم أحياء عنده يُرزقون من الجنة حيث يشاءون.

﴿ وَلَا نَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُورَتُ ۚ بَلْ أَخْيَآ ۗ وَلَكِن لَا تَشْعُرُونَ

إن هنالك قتلى سيخرون شهداء في معركة الحق، شهداء في سبيل الله، قتلى أعزاء أحباء، قتلى كرامًا أزكياء؛ فالذين يخرجون في سبيل الله، والذين يضحون بأرواحهم في معركة الحق هم عادة أكرم القلوب وأزكى الأرواح وأطهر النفوس، هؤلاء الذين يقتلون في سبيل الله ليسوا أمواتًا، إنهم أحياء، فلا يجوز أن يقال عنهم: أموات. لا يجوز أن يعتبروا أمواتًا في الحس والشعور، ولا أن يقال عنهم: أموات بالشفة واللسان، إنهم أحياء بشهادة الله ـ سُبْحَانَهُ م، فهم لا بُدَّ أحياء.

إنهم قتلوا في ظاهر الأمر، وحسبما ترى العين، ولكن حقيقة الموت وحقيقة الحياة لا تقررها هذه النظرة السطحية الظاهرة.. إن سمة الحياة الأولى هي الفاعلية والنمو والامتداد. وسمة الموت الأولى هي السلبية والخمود والانقطاع.. وهؤلاء الذي يقتلون في سبيل الله فاعليتهم في نُصْرَةِ الحق الذي قُتلوا من أجله فاعلية مؤثرة، والفكرة التي من أجلها قُتلوا ترتوي بدمائهم وتمتد، وَتَأَثّرُ الباقين وراءهم باستشهادهم يقوى ويمتد؛ فهم ما يزالون عنصرًا فعالًا دافعًا مؤثرًا في تكييف الحياة وتوجيهها، وهذه هي صفة الحياة الأولى؛ فهم أحياء أولًا بهذا الاعتبار الواقعي في

<sup>(</sup>١) الظلال (١٧١٦ - ١٧٢٠) باختصار.

دنيا الناس، ثم هم أحياء عند ربهم؛ إما بهذا الاعتبار، وإما باعتبار آخر لا ندري نحن كُنْهَهُ؛ وحسبنا إخبار اللَّه ـ تَعَالَى ـ به: ﴿ أَحْيَآ اللَّهِ مَشْعُرُونَ ﴾..

لأن كُنْهَ هذه الحياة فوق إدراكنا البشري القاصر المحدود، ولكنهم أحياء.

أحياء: ومن ثَمَّ لا يُغَسَّلُونَ كما يُغَسَّلُ الموتى، ويكفنون في ثيابهم التي استشهدوا فيها؛ فالغسل تطهير للجسد الميت وهم أطهار بما فيهم من حياة، وثيابهم في القبر؛ لأنهم بعد أحياء.

أحياء: فلا يشق قتلهم على الأهل والأحباء والأصدقاء.

أحياء: يشاركون في حياة الأهل والأحباء والأصدقاء.

أحياء: فلا يصعب فراقهم على القلوب الباقية خلفهم، ولا يتعاظمها الأمر، ولا يهولنها عِظَمُ الفداء.

ثم هم بعد كونهم أحياءً مكرمون عند الله، مأجورون أكرم الأجر وأوفاه.

في «صحيح مسلم»: «إن أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش، فَاطَّلَعَ عليهم ربك اطلاعةً، فقال: ماذا تبغون؟ فقالوا: يا ربنا، وأي شيء نبغي وقد أعطيتنا ما لم تُعْطِ أحدًا من خلقك؟ ثم عاد عليهم بمثل هذا، فلما رأوا أنهم لا يتركون من أن يسألوا، قالوا: نريد أن تردنا إلى الدار الدنيا فنقاتل في سبيل الله حتى نقتل فيك مرة أخرى لا يرون من ثواب الشهادة -!! فيقول الربُّ - جَلَّ جَلَالُهُ -: إني كتبت أنهم إليها لا يرجعون».

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا فَيُقْتَلُ الله على الأرض من شيء إلا الشهيد، يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فَيُقْتَلُ عشر مرات؛ لما يرى من الكرامة (١٠).

<sup>(</sup>١) أخرجه مالك والشيخان.

ولكن مَنْ هم هؤلاء الشهداء الأحياء؟

إنهم أولئك الذين يقتلون «في سبيل الله»..

في سبيل الله وحده، دون شركة في شارة، ولا هدف، ولا غاية إلا الله. في سبيل هذا الحق الذي أنزله..

في سبيل هذا المنهج الذي شرعه..

في سبيل هذا الدين الذي اختاره..

في هذا السبيل وحده، لا في أي سبيل آخر، ولا تحت أي شعار آخر، ولا شركة مع هدف أو شعار.

وفي هذا شدد القرآن وشدد الحديث، حتى ما تبقى في النفس شبهةً أو خاطرٌ غير الله.

عن أبي موسى في قال: «سئل رسول الله عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال: «من قاتل؛ لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله»(١).

وعن أبي هريرة صَحِيَّة: «أن رجلًا قال: يا رسول الله، رجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عرضًا من الدنيا؟ فقال: «لا أجر له»، فأعاد عليه ثلاثًا، كل ذلك يقول: «لا أجر له» (٢٠).

فهؤلاء هم الشهداء، هؤلاء الذين يخرجون في سبيل الله، لا يخرجهم إلا جهاد في سبيله، وإيمان به، وتصديق برسله.

ولقد كَرِهَ رسول اللَّه عَلِيْ لفتى فارسي يجاهد أن يذكر فارسيته ويعتز بجنسيته في مجال الجهاد؛ عن عبدالرحمن بن أبي عقبة عن أبيه ـ وكان مولى من أهل فارس ـ قال: «شهدت مع النبي عَلِيْ أحدًا، فضربت رجلًا من المشركين، فقلت:

<sup>(</sup>١) أخرجه مالك والشيخان.

<sup>(</sup>٢) أخرجه أبو داود.

خذها وأنا الغلام الفارسي. فالتفت إليَّ النبي ﷺ فقال: «هَلَّ قلتَ: وأنا الغلام الأنصاري؟ إن ابن أخت القوم منهم، وإن مولى القوم منهم» [أخرجه أبو داود].

فقد كره له ﷺ أن يفخر بصفة غير صفة النصر للنبي ﷺ، وأن يحارب تحت شارة إلا شارة النصر لهذا الدين، وهذا هو الجهاد، وفيه وحده تكون الشهادة، وتكون الحياة للشهداء.

ثم يمضي السياق في التعبئة لمواجهة الأحداث، وفي تقويم التصور لحقيقة الأحداث:

﴿ وَلَنَبَلُونَكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقَصِ مِّنَ ٱلْأَمْوَالِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلنَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّدِينَ ﴿ اللَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُصِيبَةٌ قَالُوَا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَجِعُونَ ﴿ ﴾.

ولا بد من تربية النفوس بالبلاء، ومن امتحان التصميم على معركة الحق بالمخاوف، والشدائد، وبالجوع، ونقص الأموال والأنفس والثمرات..

لا بد من هذا البلاء؛ ليؤدي المؤمنون تكاليف العقيدة؛ كي تعز على نفوسهم بمقدار ما أدوا في سبيلها من تكاليف ـ والعقائد الرخيصة التي لا يؤدي أصحابها تكاليفها ـ، لا يعز عليهم التخلي عنها عند الصدمة الأولى؛ فالتكاليف هنا هي الثمن النفسي الذي تعز به العقيدة في نفوس أهلها قبل أن تعز في نفوس الآخرين، وكلما تألموا في سبيلها، وكلما بذلوا من أجلها، كانت أعز عليهم وكانوا أضن بها.

كذلك لن يدرك الآخرون قيمتها إلا حين يرون ابتلاء أهلها بها وصبرهم على بلائها.. إنهم عندئذ سيقولون في أنفسهم: لو لم يكن ما عند هؤلاء من العقيدة خيرًا مما يبتلون به وأكبر ما قبلوا هذا البلاء، ولا صبروا عليه؛ وعندئذ ينقلب المعارضون للعقيدة باحثين عنها، مقدرين لها، مندفعين إليها؛ وعندئذ يجيء نصر الله والفتح، ويدخل الناس في دين الله أفواجًا.

ولا بد من البلاء كذلك؛ ليصلب عود أصحاب العقيدة ويقوى؛ فالشدائد تستجيش مكنون القوى ومذخور الطاقة، وتفتح في القلب منافذ ومسارب ما كان ليعلمها المؤمن في نفسه إلا تحت مطارق الشدائد، والقيم والموازين والتصورات ما كانت لتصح وتدق وتستقيم إلا في جو المحنة التي تزيل الغبش عن العيون، والران عن القلوب.

وأهم من هذا كله، أو القاعدة لهذا كله الالتجاء إلى الله وحده حين تهتز الأسناد كلها، وتتوارى الأوهام وهي شتى، ويخلو القلب إلى الله وحده، لا يجد سندًا إلا سنده؛ وفي هذه اللحظة فقط تنجلي الغشاوات، وتتفتح البصيرة، وينجلي الأفق على مد البصر. لا شيء إلا الله. لا قوة إلا قوته. لا حول إلا حوله. لا إرادة إلا إرادته. لا ملجأ إلا إليه؛ وعندئذ تلتقي الروح بالحقيقة الواحدة التي يقوم عليها تصريح صحيح.

والنص القرآني هنا يصل بالنفس إلى هذه النقطة على الأفق:

﴿ وَكِشِّرِ ٱلصَّنبِرِينَ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَلَبَتْهُم مُّصِيبَةُ قَالُوۤاْ إِنَّا لِلَّهِ وَالِّنَآ إِلَيْهِ رَجِعُونَ ﴿ وَكِشِّرِ ٱلصَّنبِرِينَ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَلَبَتْهُم مُّصِيبَةُ قَالُوۤاْ إِنَّا لِلَّهِ وَالِّنَآ إِلَيْهِ رَجِعُونَ

وإَنَ اللهَ كلناد. كل ما فينا. كل كياننا وذاتيتنا. لله، وإليه المرجع والمآب في كل أمر وفي كل مصير. التسليم. التسليم المطلق. تسليم الالتجاء الأخير المنبثق من الالتقاء وجهًا لوجه بالحقيقة الوحيدة وبالتصور الصحيح.

هؤلاء هم الصابرون. الذين يبلغهم الرسول الكريم بالبشرى من المنعم الجليل. وهؤلاء هم الذين يعلن المنعم الجليل مكانهم عنده جزاء الصبر الجميل: ﴿ أُوْلَتِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَتُ مِن رَبِهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَتِكَ هُمُ ٱلْمُهَتَدُونَ ﴿ فَالَتِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَتُ مِن رَبِهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَتِكَ هُمُ ٱلْمُهَتَدُونَ ﴿ فَاللَّهِمَ مَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ يَصلي صَلَوَتُ مِن رَبِهِمْ عَلَيْهِمْ بها إلى المشاركة في نصيب نَبِيّهِ الذي يصلي

وَصَلُوتَ مِن رُبِهِمْ في يرفعهم بها إلى المشاركة في تصيب تبيّه الذي يصلي عليه هو ـ شبّحانَهُ ـ وملائكته.. وهو مقام كريم.. ورحمة وشهادة من الله بأنهم هم المهتدون.

وكل أمر من هذه هائل عظيم..

وَبَعْدُ.. فلا بد من وقفة أمام هذه الخاتمة في تلك التعبئة للصف الإسلامي.. التعبئة في مواجهة المشقة والجهد، والاستشهاد والقتل، والجوع والخوف، ونقص الأموال والأنفس والثمرات.. التعبئة في هذه المعركة الطويلة الشاقة العظيمة التكاليف.

إن الله يضع هذا كله في كِفّة. ويضع في الكِفّة الأخرى أمرًا واحدًا.. وصكورت مِن رَبِّهِم وَرَحْمَةً وَأُولَتِكَ هُمُ المُهَتَدُونَ .. إنه لا يعدهم هنا نصرًا، ولا يعدهم هنا تمكينًا، ولا يعدهم هنا مغانم، ولا يعدهم هنا شيئًا إلا صلوات الله ورحمته وشهادته. لقد كان الله يُعِدُّ هذه الجماعة لأمر أكبر من ذواتها وأكبر من حياتها؛ فكان من ثم يجردها من كل غاية، ومن كل هدف، ومن كل رغبة من الرغبات البشرية... كان يجردها من كل شائبة تشوب التجرد المطلق له ولطاعته ولدعوته. كان عليهم أن يمضوا في طريقهم لا يتطلعون إلى شيء إلا رضى الله وصلواته ورحمته وشهادته لهم بأنهم مهتدون.. هذا هو الهدف، وهذه هي الغاية، وهذه هي الثمرة الحلوة التي تهفو إليها قلوبهم وحدها.. فأما ما يكتبه الله لهم بعد ذلك من النصر والتمكين فليس لهم، إنما هو لدعوة الله التي يحملونها.

إن لهم في صلوات اللَّه ورحمته وشهادته جزاءً.. جزاءً على التضحية بالأموال والأنفس والثمرات.. وجزاءً على الخوف والجوع والشدة.. وجزاءً على القتل والشهادة.. إن الكفة ترجح بهذا العطاء؛ فهو أثقل في الميزان من كل عطاء، أرجح من النصر، وأرجح من التمكين، وأرجح من شفاء غيظ الصدور..

هذه هي التربية التي أخذ الله بها الصف المسلم؛ لِيُعِدَّهُ ذلك الإعداد العجيب، وهذا هو المنهج الإلهي في التربية لمن يريد استخلاصهم لنفسه ودعوته ودينه من بين البشر أجمعين (١).

<sup>(</sup>١) في ظلال القرآن (١٤٣/١ - ١٤٦).

وقال - تَعَالَى - ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ آمْوَتَا بَلَ ٱحْيَاءً عِندَ رَبِهِمْ يُرْزَقُونَ اللَّهِ فَرَحِينَ بِمَآ ءَاتَنْهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ ، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِاللَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَا خَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ اللَّهِ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِن ٱللّهِ وَفَضْلِ وَأَنَّ ٱللّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ اللهِ [آل عمران: ١٦٩ - ١٧١]. وَفَضْلِ وَأَنَّ ٱللّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ اللهِ [آل عمران: ١٦٩ - ١٧١].

ر قال ابن كثير: «يخبر ـ تَعَالَى ـ عن الشهداء بأنهم وإن قُتِلُوا في هذه الدار، فإن أرواحهم حية مرزوقة في دار القرار».

الله على المذين أرسلهم نبي الله إلى أهل بئر معونة، قال: «لا أدري أربعين أو سبعين، وعلى ذلك الماء عامر بن الطفيل الجعفري، فخرج أولئك النفر من أصحاب رسول الله على، حتى أتوا غارًا مشرفًا على الماء فقعدوا فيه، ثم قال بعضهم لبعض: أيكم يبلغ رسالة رسول الله على أهل هذا الماء؟ فقال ـ أراه ابن ملحان الأنصاري ـ: أنا أبلغ رسالة رسول الله على. فخرج حتى أتى حَيًا منهم، فاختبأ أمام البيوت، ثم قال: يا أهل بئر معونة، إني رسول رسول الله إليكم، إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله؛ فآمنوا بالله ورسوله. فخرج إليه رجل من كسر(١) البيت برمح، فضربه في جنبه حتى خرج من الشق الآخر، فقال: الله أكبر، فزت ورب الكعبة. فاتبعوا أثره، حتى أتوا أصحابه في الغار، فقتلهم أجمعين عامر بن الطفيل».

ت وقال إسحاق: حدثني أنس بن مالك: «أن اللَّه أنزل فيهم قرآنًا ﴿بلغوا عنا قومنا أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه ﴾، ثم نُسِخَتُ فَرُفِعَتْ بعدما قرأناه (١٧٢/٤).

زمنًا، وأنزل اللَّه ـ تَعَالَى ـ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَ اللَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُواَتَا بَلْ أَحْيَاءُ عِندَ رَبِهِمْ فُرُزَقُونَ ﴿ أُرُواحِهِم فِي جُوفَ طَيْرَ خُضِر لَهَا قَنَادِيل تحت العرش (١٠). طير خضر لها قناديل تحت العرش (١٠).

وعن جابر على قال: قال لي رسول الله على: «أَمَا عَلِمْتَ أَن اللّه أَحيا أَباك، فقال له: تَمَنَّ عليَّ. فقال: أُرَدُّ إلى الدنيا فَأُقتل فيك مرة أخرى!! قال: إني قضيت الحكم أنهم إليها لا يرجعون»(٣).

• وعن ابن عباس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لَمَّا أُصِيبَ إخوانكم بأحد، جعل اللَّه أرواحهم في جوف طير خُضر ترد أنهار الجنة، تأكل من

<sup>(</sup>۱) تفسير ابن جرير (۸۲۲٤/۷)، وحديث بئر معونة، أخرجه أحمد (۲۱۰/۳)، والبخاري ـ كتاب الجهاد ـ باب من ينكب في سبيل الله (۲۸۰۱)، ومسلم ـ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ـ باب استحباب القنوت (۲۹۷، ۷۷۷).

<sup>(</sup>٢) أخرجه مسلم ـ كتاب الإمارة ـ باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة (١٢١، ١٨٨٧)، وأخرجه الترمذي في كتاب تقسير القرآن ـ باب «ومن سورة آل عمران» (٣٠١١)، وابن ماجه ـ كتاب الجهاد ـ باب فضل الشهادة في سبيل الله (٢٨٠١).

<sup>(</sup>٣) حسن: أخرجه أحمد في «مسنده» (٣٦١/٣)، والحميدي (١٢٦٥)، (٣٣/٢)، وعبد بن حميد (٢٠٠٩)، وأبو يعلى (٢٠٠١) (٦/٤)، والحاكم بأطول من هذا في «المستدرك» (٢٠٠١).

ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم ومقيلهم (١)، قالوا: من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نرزق؛ لئلا يزهدوا في الجهاد ولا يتَّكلوا عند الحرب؟! فقال اللَّه ـ تَعَالَى ـ: أنا أبلغهم عنكم» (١).

• وفي رواية: «قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله لنا؛ لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا ينكلوا عن الحرب. فقال الله وَ لَخَلْق: أَنَا أَبَلَغهم عنكم. فأُنزل الله وَ لَخَلْق مؤلاء الآيات: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللهِ أَمُواتًا بَلُ أَحْيَاءً عِندَ رَبِّهِمْ فَرُزَقُونَ اللهَ ﴿ وَمَا بعدها».

حمزة وعن ابن عباس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قال: «نزلت هذه الآية في حمزة وأصحابه ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلَ أَحْيَاءً عِندَ رَبِّهِمْ لُرْزَقُونَ ( اللهِ عَنْسَبَنَ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمُواتًا بَلَ أَحْيَاءً عِندَ رَبِّهِمْ لُرْزَقُونَ ( اللهِ ١٠٠٠).

وعن جابر بن عبدالله قال: «نظر إليَّ رسول الله ﷺ ذات يوم، فقال: «يا جابر، ما لي أراك مُهْتَمَّا؟! قال: قلت: يا رسول الله، استشهد أبي وترك دينًا وعيالًا. قال: فقال: «ألا أخبرك؟ ما كَلَّمَ اللهُ أحدًا قط إلا من وراء حجاب، وإنه كَلَّمَ أباك كفاحًا؛ قال: سلني أعطك. قال: أسألك أن أُرَدَّ إلى الدنيا؛ فَأُقْتَلَ فيك

<sup>(</sup>١) وفي رواية: «طيب مشربهم ومأكلهم وحسن منقلبهم».

<sup>(</sup>٢) صحيح: أخرجه أحمد (٢٦٦/١) (٢٣٨٩)، وبقي بن محلد، كما في «التمهيد، لابن عبدالبر» (٦١/١٦)، وأبو داود ـ كتاب الجهاد ـ باب في فضل الشهادة (٢٥٢٠)، وعنه البيهقي في «السنن الكبرى» (٦١/١٦)، والحاكم في «المستدرك» (٢٩٨، ٢٩٧، ٢٩٨)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/٤٠٣)، وفي «شعب الإيمان» (٤/٤٠٤)، وفي «الأسماء والصفات» (٢٧٥/٢)، وفي «البعث» (٢٠١١)، وابن أبي عاصم في «الجهاد» (٢٥، ١٩٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢٣٣١/٤)، والضياء في «المختارة» (٣٨٥١)، وآصَحَحَهُ الحاكم على شرط في «المشريعة» (٣٨٥١)، وصحَحَحَهُ الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وصَحَحَهُ الألباني في «شرح الطحاوية» (٣٨٥)، و«المشكاة» (٣٨٥٣)، و«صحيح الجامع» (٥٠٠٥).

<sup>(</sup>٣) صحيح: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣٨٧/٢) وقال الحاكم: «حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

ثانية. فقال الرب رَجَّنِكِّ: إنه قد سبق مني القول أنهم إليها لا يرجعون. قال: أي رب، فَأَبْلِغْ من ورائي. فأنزل الله: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمُوَتَا ﴾ حتى نفد الآية (١٠).

م وعن ابن عباس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «الشهداء على بارق نهر بباب الجنة، في قبة خضراء، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيًا»(٢).

قال ابن كثير: «وكأن الشهداء أقسام: منهم من تسرح أرواحهم في الجنة، ومنهم من يكون على هذا النهر بباب الجنة، وقد يحتمل أن يكون منتهى سيرهم إلى هذا النهر؛ فيجتمعون هنالك، وَيُغْدَى عليهم برزقهم هناك وَيُرَاحُ، واللَّه أعلم. وقد روينا في «مسند الإمام أحمد» حديثًا فيه بشارة لكل أحد مؤمن بأن روحه

<sup>(</sup>۱) صحيح: أخرجه الترمذي في «سننه»، كتاب تفسير القرآن، باب «ومن سورة آل عمران» (۱۰، ۳)، وابن ماجه في «المقدمة»، باب ما أنكرت الجهمية (۱۹، ۱)، وكتاب الجهاد ـ باب فضل الشهادة في سبيل الله (۲۸۰۰)، وابن أبي عاصم في «السنة» (۲/۱، ۲)، وابن خزيمة في «صحيحه» (۹۹/۲)، وعزاه لابن والحاكم في «المستدرك» (۲۰۳۲، ۲۰۶)، وابن حبان في «صحيحه» (۲۲۲/۱۰)، وعزاه لابن مردويه السيوطيّ في «الدر المنثور» (۱۸۸/۲)، والواحديّ في «أسباب النزول» ص (۸٦)، والبيهقيّ في «دلائل النبوة» (۲۹۸/۳)، وصَحَحَهُ الحاكم، وقال الترمذي: حديث حسن غريب. وَصَحَحَهُ الجاكم، حزيمة وابل حبان.

<sup>(</sup>٢) حسن: أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٦٦٦) وقم (٢٦٣٩)، وأخرجه ابن أبي سيبة في «المصنف» (٢٦٣٥)، والله جرير (٣٨٧/، ٣٨٨)، والله أبي حاتم (٤٤٩٤/٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٨٢٥/١) وفي «الأوسط» (١/ ٣٨٢)، وقال الطبراني: «لا يُروى هذا الحديث عن ابن عباس إلا بهذا الإسناد، تَفَوَّدَ به محمد بن إسحاق، قلت: وهو صدوق مدلس، وقد صرح بالتحديث هنا؛ ولذا حَوِّدَ إسناده المصنف، وصَحَّحه من طريقه ابن حبان (٢٥/١٠)، والحاكم (٤٢٧١) على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وذكره الهيتمي في موضعين من «المجمع» (٢٩٧٥)، والحاكم (١٤/٢)؛ قال في «الثاني»: الأول: «رواه أحمد وإسناده رجاله ثقات، ورواه الطبراني في الكبير والأوسط»، وقال في «الثاني»: «رواه أحمد والطبراني ورجاله أحمد ثقات، والحديث زاد نسبته السيوطيّ في «الدر المنثور» (١٧١/٢) الى عبد بن حميد، وابن المنذر، والبيهقي في البعث». وأخرجه أيضًا الضياء وَجَوَّدَ إسنادَهُ ابنُ كثير في «تفسيره» (٢٦٢٢)، وَحَسَّنَهُ الألباني في «صحيح الجامع» (٣٧٤٢)، و«الترغيب» (٢٦٢٢).

تكون في الجنة تسرح أيضًا فيها، وتأكل من ثمارها، وترى فيها من النضرة والسرور، وتشاهد ما أعدَّهُ اللَّه لها من الكرامة، وهو إسناد صحيح عزيز عظيم اجتمع فيه ثلاثة من الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبعة؛ فإن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ ـ رواه عن محمد بن إدريس الشافعي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ عن مالك بن أنس الأصبحي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ، عن الزهري، عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك، عن أبيه صَلَّى قال:

9 قال رسول الله ﷺ: «نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه»(١)

قوله: يعلق: أي يأكل.

أما أرواح الشهداء فكما تقدم في حواصل طير خضر؛ فهي كالكوالب بالنسبة إلى أرواح عموم المؤمنين؛ فإنها تطير بنفسها؛ فنسأل الله الكريم المنان أن يميتنا على الإسلام» اهـ. وقد ورد الحديث بلفظ آخر:

الله ﷺ: «أرواح المؤمنين في أجواف طير خضر تعلق في أشجار الجنة حتى يردها الله إلى أجسادها يوم القيامة»(٢).

ال وعند أحمد: «إن أرواح المؤمنين في أجواف طير خضر تعلق بشجر

<sup>(</sup>۱) صحيح: أخرجه أحمد في «مسنده» (۲۰۵/۳)، ومالك في «الموطا»، كتاب الجنائز ـ باب جامع الجنائز ـ (۲۰۲/۱)، وأبو نعيم في «الحلية» (۱۰۵/۹)، والبيهقي في «البعث والنشور» رقم (۲۰۲)، والنسائي (۱۰۸/۶)، وابن ماجه (۲۲۷۱)، والطبراني في «المعجم الكبير» (۱۲۰/۱) والآحري في «الشريعة» (۹۸۰/۲)، وأخرجه أحمد (۲۰۵/۵، ۵۱) (۲۸۲/۳)، والترمذي (۱۲۶۱)، وابن حبال (۲۰۲/۱۰)، والطبراني (۱۱۹/۱۹، ۱۲۱، ۱۲۲، ۱۲۲)، والبيهقي (۲۰۲)، وقال لترمذي: «حديث حسن صحيح»، غير أن لفظ الرواية عنده: «إن أرواح الشهداء في طير خضر تعلق من شمرة الجنة، أو شجر الجنة»، وحكم عليها الألباني بالشذوذ في «الصحيحة» (۹۹۰).

 <sup>(</sup>٢) صحيح: رواه الطبراني في «المعجم» عن كعب بن مالك وأم مبشر، ورواه أحمد (٣/٥٥٨).
 وصَحَمَهُ الألباني في «صحيح الحامع» رقم (٩١٢)، وقال: على شرط الشيخير.

الجنة» (١).

قال ابن كثير في «**تفسيره**» (٢٦٣/٣، ٢٦٤):

«قوله - تَعَالَى -: ﴿ فَرِحِينَ بِمَا ءَاتَنَهُمُ اللّهُ مِن فَضَلِهِ - وَيُسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلّا خَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿ أَي: الشهداء الذين قُتِلُوا في سبيل اللّه أحياء عند ربهم، وهم فرحون بما فيهم من النعمة والغبطة، ومستبشرون بإخوانهم الذين يقتلون في سبيل اللّه أنهم يقدمون عليهم، وأنهم لا يخافون مما أمامهم، ولا يحزنون على ما تركوه وراءهم، نسأل اللّه الجنة.

وقال محمد بن إسحاق: ﴿ وَيَسْتَشِرُونَ ﴾ ؛ أي: ويسرون بلحوق من خلفهم من إخوانهم على ما مضوا عليه من جهادهم؛ ليشركوهم فيما هم فيه من ثواب الله الذي أعطاهم.

قال سعيد بن جبير: لما دخلوا الجنة، ورأوا ما فيها من الكرامة للشهداء، قالوا: يا ليت إخواننا الذين في الدنيا يعلمون ما عرفناه من الكرامة؛ فإذا شهدوا القتال باشروها بأنفسهم حتى يستشهدوا؛ فيصيبوا ما أصبنا من الخير. فأخبر رسول اللَّه على بأمرهم وما هم فيه من الكرامة، وأخبرهم؛ أي: ربهم أني قد أنزلتُ على نبيكم، وأخبرته بأمركم وما أنتم فيه، فاستبشروا بذلك؛ فذلك قوله: ﴿ وَيَسْتَبُشِرُونَ لَمْ يَدْحَقُوا بَهِم مِّنَ خَلِفِهِم الآية ) اهـ.

وحول هذه الآيات كتب الأستاذ سيد قطب ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في «الظلال» (۱۷- ۱۸۰):

«لقد شاء الله بعد أن جَلَا في قلوب المؤمنين حقيقة القدر والأجل، وتحدى ما يبثه المنافقون من شكوك وبلبلة وحسرات بقولهم عن القتلى: «لو أطاعونا ما قتلوا»، فقال يتحداهم: ﴿ قُلُ فَأَدَرَءُوا عَنَ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمُ صَدِقِينَ ﴾.

<sup>(</sup>١) صحيح: رواه ابن ماجه (١٤٤٩)، والحربي في «غريب الحديث» (١/٢١٠/٥)، وابن منده في «المعرفة» عن كعب بن مالك، وصَحَّحَهُ الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٩٩٥).

شاء الله بعد أن أراح القلوب المؤمنة على صدر هذه الحقيقة الثابتة أن يزيد هذه القلوب طمأنينة وراحة؛ فكشف لها عن مصير الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله وليس هنالك شهداء إلا الذين يقتلون في سبيل الله خالصة قلوبهم لهذا المعنى مجردة من كل ملابسة أخرى .؛ فإذا هؤلاء الشهداء أحياء، لهم كل خصائص الأحياء؛ فهم «يرزقون عند ربهم»، و«هم فرحون بما آتاهم الله من فضله»، و«هم يستبشرون بمصائر من وراءهم من المؤمنين»، و«هم يحفلون الأحداث التي تمر بمن خلفهم من إخوانهم». فهذه خصائص الأحياء: من متاع، واستبشار، واهتمام، وتأثر وتأثير.. فما الحسرة على فراقهم وهم أحياء موصولون بالأحياء وبالأحداث، فوق ما نالهُمْ من فضل الله، وفوق ما لقوا عنده من الرزق والمكانة؟ وما هذه الفواصل التي يقيمها الناس في تصوراتهم بين الشهيد الحي وَمَن خلفه من إخوانه؟ والتي يقيمونها بين عالم الحياة وعالم ما بعد الحياة؟ ولا فواصل ولا حواجز بالقياس والتي يقيمونها بين عالم الحياة وعالم ما بعد الحياة؟ ولا فواصل ولا حواجز بالقياس إلى المؤمنين، الذين يتعاملون هنا وهناك مع الله.

إن جلاء هذه الحقيقة الكبيرة ذو قيمة ضخمة في تصور الأمور، إنها تُعَدِّلُ ـ بل تنشئ إنشاء ـ تصور المسلم للحركة الكونية التي تتنوع معها صور الحياة وأوضاعها، وهي موصولة لا تنقطع؛ فليس الموت خاتمة المطاف؛ بل ليس حاجزًا بين ما قبله وما بعده على الإطلاق!!

إنها نظرة جديدة لهذا الأمر، ذات آثار ضخمة في مشاعر المؤمنين، واستقبالهم للحياة والموت، وتصورهم لما هنا وما هناك.

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَتَا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَتًا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ

والآية نص في النهي عن حسبان أن الذين قتلوا في سبيل الله، وفارقوا هذه الحياة، وبعدوا عن أعين الناس أموات.. ونص كذلك في إثبات أنهم «أحياء».. «عند ربهم»، ثم يلى هذا النهى وهذا الإثبات وصف ما لهم من خصائص الحياة؛

# فهم ﴿ يُرْزَفُونَ ﴾ .

ومع أننا نحن ـ في هذه الفانية ـ لا نعرف نوع الحياة التي يحياها الشهداء، إلا ما يبلغنا من وصفها في الأحاديث الصحاح، إلا أن هذا النص الصادق من العليم الخبير كفيل وحده بأن يغير مفاهيمنا للموت والحياة، وما بينهما من انفصال والتئام.. وكفيل وحده بأن يعلمنا أن الأمور في حقيقتها ليست كما هي في ظواهرها التي ندركها، وأننا حين ننشئ مفاهيمنا للحقائق المطلقة بالاستناد إلى الظواهر التي ندركها لا ننتهي إلى إدراك حقيقي لها، وأنه أولى لنا أن ننتظر البيان في شأنها ممن يملك البيان ـ شبئحانة وتعالى.

فهؤلاء ناس منا، يُقْتَلُونَ، وتفارقهم الحياة التي نعرف ظواهرها، ويفارقون الحياة كما تبدو لنا من ظاهرها، ولكن لأنهم: ﴿ فَتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ ، وتجردوا له من كل الأعراض والأغراض الجزئية الصغيرة، واتصلت أرواحهم بالله؛ فجادوا بأرواحهم في سبيله، لأنهم قتلوا كذلك؛ فإن الله ـ سُبْحَانَهُ ـ يخبرنا في الخبر الصادق: أنهم ليسوا أمواتًا، وينهانا أن نحسبهم كذلك، ويؤكد لنا أنهم أحياء عنده، وأنهم يرزقون؛ فيتلقون رزقه لهم استقبال الأحياء.

ويخبرنا كذلك بما لهم من خصائص الحياة الأخرى:

﴿ فَرِحِينَ بِمَا ءَاتَنْهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَى ١٠٠

فهم يستقبلون رزق اللَّه بالفرح؛ لأنهم يدركون أنه ﴿ مِن فَضَٰ لِهِ عَلَيهم؛ فهو دليل رضاه، وهم قد قتلوا في سبيل الله، فأي شيء يفرحهم ـ إِذَنْ ـ أكثر من رزقه الذي يتمثل فيه رضاه؟

ثم هم مشغولون بمن وراءهم من إخوانهم، وهم مستبشرون لهم؛ لما علموه من رضى الله عن المؤمنين المجاهدين: ﴿ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنَ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْرَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجَرَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجَرَ ٱللَّهِ مِنْ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ اللَّهِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِمْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْرَنُونَ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِمْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْرَنُونَ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهِمْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ اللَّهُ عَلَيْهُمْ وَلَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ اللَّهُ عَلَيْهُمْ وَلَوْ اللَّهُ عَلَيْهُمْ اللَّهُ عَلَيْهُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ اللَّهُ عَلَيْهُمْ اللَّهُ عَلَيْهُمْ اللَّهُ عَلَيْهُمْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُمْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ الللَّهِ عَلَيْهِمْ الللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِمْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ الللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْكُوا الللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْكُوا عَلَيْهُ عَلَيْه

إنهم لم ينفصلوا من إخوانهم ﴿الذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ﴾، ولم تنقطع بهم صلاتهم؛ إنهم ﴿أَخَيَآ ﴾ كذلك معهم، مستبشرون بما لهم في الدنيا والآخرة، موضع استبشارهم لهم: ﴿أَلَّا خَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.. وقد عرفوا هذا واسْتَيْقَنُوهُ من حياتهم ﴿عِندَ رَبِّهِمْ ﴾، ومن تلقيهم لما يفيضه عليهم من نعمة وفضل، ومن يقينهم بأن هذا شأن الله مع المؤمنين الصادقين، وأنه ﴿لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلمُؤْمِنِينَ ﴾.

فما الذي يبقى من خصائص الحياة غير متحقق للشهداء الذين قُتِلُوا في سبيل الله؟

وما الذي يفصلهم عن إخوانهم الذين لم يلحقوا بهم من خلفهم؟

وما الذي يجعل هذه النقلة موضع حسرة وفقدان ووحشة في نفس الذين لم يلحقوا بهم خلفهم وهي أولى أن تكون موضع غبطة ورضى وأُنْس عن هذه الرحلة إلى جوار الله، مع هذا الاتصال بالأحياء والحياة؟!

إنها تعديل كامل لمفهوم الموت ـ متى كان في سبيل الله ـ وللمشاعر المصاحبة له في نفوس المجاهدين أنفسهم، وفي النفوس التي يخلفونها من ورائهم.. وإفساح لمجال الحياة ومشاعرها وصورها؛ بحيث تتجاوز نطاق هذه العاجلة، كما تتجاوز مظاهر الحياة الزائلة، وحيث تستقر في مجال فسيح عريض، لا تعترضه الحواجز التي تقوم في أذهاننا وتصوراتنا عن هذه النقلة من صورة إلى صورة، ومن حياة إلى حياة!!

ووفقًا لهذا المفهوم الجديد الذي أقامته هذه الآية ونظائرها من القرآن الكريم في قلوب المسلمين سارت خطى المجاهدين الكرام في طلب الشهادة في سبيل الله».

□ تمني الشهداء . دون غيرهم من المؤمنين . الرجوع إلى الدنيا للجهاد في سبيل الله مرة أخرى؛ لما علموا من عِظُم أجر الشهداء:

الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا، وله ما على الأرض من شيء، إلا الشهيد؛ يتمنى أن يرجع إلى الدنيا، وله ما على الأرض من شيء، إلا الشهيد؛ يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فَيُقْتل عشر مرات؛ لما يرى من الكرامة»(١).

وعن أنس رَجِيَّه، عن النبي عَلَيُّ قال: «ما مِنْ نفس تموت، لها عند الله خير، يَسُرُّهَا أنها ترجع إلى الدنيا، وأن لها الدنيا وما فيها، إلا الشهيد؛ فإنه يتمنى أن يرجع؛ فَيُقْتَل في الدنيا؛ لما يرى من فضل الشهادة»(٢).

1٤ وعن عبادة بن الصامت على قال: قال رسول الله على الأرض من نفس تموت، ولها عند الله خير، تحب أن ترجع إليكم، ولها الدنيا، إلا القتيل في سبيل الله؛ فإنه يحب أن يرجع؛ فَيْقتل مرة أخرى؛ لما يرى من ثواب الله له (٣٠).

ره وعن أنس مرفوعًا: «ما من نفس تموت فتدخل الجنة فتود أنها رجعت إليكم ولها الدنيا وما فيها إلا الشهيد؛ فإنه وَدَّ أنه قُتِلَ كذا وكذا مرة؛ لما رأى من الثواب (٤٠٠).

رعن أنس ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «يُؤْتَى بالرجل من أهل الله عليُّ: «يُؤْتَى بالرجل من أهل

<sup>(</sup>۱) أخرجه البخاري (۲۷۹۵)، (۲۸۱۷)، ومسلم رقم (۱۸۷۷)، والترمذي برقم (۱٦٤٣)، وابن حبان برقم (٤٦٦١)، والبيهقي (٤٦٣/٩)، وأحمد (١٠٣/٣، ١٧٣، ٢٧٦).

<sup>(</sup>٢) أخرحه أحمد، والبخاري، ومسم واللفظ له.

<sup>(</sup>٣) صحيح: أخرجه أحمد (٣١٨/٥، ٣٢٢)، والنسائي (٦٢/٢)، وَصَحَّحُهُ الأَلباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٣٨)،

<sup>(</sup>٤) إسناده صحيح على شرط الشيخين: أحرجه الدارمي (٢٠٦/٢)، وقال الألباني في «الصحيحة» (٢٦٩/٥): إسناد صحيح على شرط الشيخين، وقد أخرجه بمعناه.

الجنة، فيقول له: يا ابن آدم، كيف وجدت منزلك؟ فيقول: أي رب، خَيْر منزل. فيقول: سَلْ وَتَمَنَّ. فيقول: يا رب، ما أسأل ولا أتمنى إلا أن تردني إلى الدنيا؛ فَأُقْتل في سبيلك عشر مرار؛ لما يرى من فضل الشهادة، وَيُؤْتَى بالرجل من أهل النار، فيقول له: يا ابن آدم، كيف وجدت منزلك؟ فيقول: أي رب، شر منزل. فيقول له: أتفتدي منه بطلاع الأرض ذهبًا؟! فيقول: أي رب، نعم. فيقول: كذبت؛ قد سألتك أقلً من ذلك وأيسر؛ فلم تفعل فَيُرَدُّ إلى النار»(١).

وعن ابن أبي عميرة هُ أن رسول الله ﷺ قال: «ما من الناس نفس مسلمة يقبضها ربها ﷺ كن تعود إليكم ولها الدنيا وما فيها غير الشهيد»(٢٠).

الله وعن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «ما من أهل الجنة أحد يسره أن يرجع إلى الدنيا وله عشرة أمثالها إلا الشهيد؛ فإنه وَدَّ لو أنه رُدَّ إلى الدنيا فَقُتِلَ شهيدًا عشر مرات؛ لما يرى من الفضل»(٣).

الله. قال: فَأَوْحَى ربهم - جَلَّ ثَنَاؤُهُ - إليهم أني رسولكم إلى إلى إخوانكم بما أحببتم.

 <sup>(</sup>١) صحيح: أخرجه أحمد (١٣١/٣)، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٣٩)، والنسائي برقم (٣١٦٠)، وأبو عوانة (٥/ ٣٣)، والحاكم (٧٥/٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢٥٣/٦)، وَصَحَّحَهُ الحاكم ووافقه الذهبي، وهو كما قالا، وأصله في الصحيحين.

<sup>(</sup>٢) سنده حسن: أخرجه النسائي برقم (٣١٥٣)، وأحمد (٢١٦/٤)، وابن أبي عاصم في «الجهاد» برقم (٢١٤)، وابن أبي عاصم في «الجهاد» برقم (٢١٤)، وابن السكن، وابن شاهين كما في «الإصابة»، وقال الألباني في «تخريج كتاب الجهاد، لابن أبي عاصم» (٢٧/٢) حديث (٢١٤): إسناد المصنف حسن إن سلم من تدليس بقية، وأما الحديث فصحيح.

<sup>(</sup>٣) إسناده حسن: أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٥١/٣ - ٢٨٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ق: ٩٣)، والبغوي في «الجهاد» (٢١٧)، وَصَرَّحَ وَصَرَّحَ وَالبغوي في «الجهاد» (٢١٧)، وَصَرَّحَ وَالبغوي، وَحَمَّنَ إسناده الألباني في «تعليقه على الجهاد، لابن عاصم» وتنادة بالتحديث عند أحمد والبغوي، وَحَمَّنَ إسناده الألباني في «تعليقه على الجهاد، لابن عاصم» (٢/٠٥٠).

قال: فأنزل اللَّه ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱمْوَاتًا بَلَ أَحْيَاَةً عِندَ رَتِهِمْ كُرِّزَقُونَ ۞﴾ [آل عمران: ١٦٩]» (١).

وعن ابن مسعود رضي محدَّثَ أن الثمانية عشر الذين قُتلُوا من أصحاب رسول اللَّه ﷺ جعل اللَّه أرواحهم في الجنة في طير خُضْر» (٢).

وقال رسول اللَّه ﷺ: «ما من الناس من نفس مسلمة يقبضها ربها تحب أن ترجع ُ اللَّه وَاللَّه أحبُّ إليَّ من إليكم، وأن لها الدنيا وما فيها غير الشهداء، ولأن أُقْتَلَ في سبيل اللَّه أحبُّ إليَّ من أن يكون لي أهل الوبر وَالْمَدَر» (٣٠).

ومن فضل الشهادة أنها الميتة التي تمنَّاها رسول اللَّه ﷺ وَنَالَهَا:

الم عن أبي هريرة شيئه قال: سمعت النبي في يقول: «والذي نفسي بيده، لولا أن رجالًا من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني، ولا أجد ما أحملهم عليه، ما تخلَّفت عن سرية تغزو في سبيل الله، والذي نفسي بيده لوددت أني أُقْتَلُ في سبيل الله ثم أُقْتَلُ ثم أحيا، ثم أُقْتَلُ ثم أحيا، ثم أُقْتَلُ ثم أحيا، ثم أُقْتَلُ ثم أُدياً، ثم أُقْتَلُ ثم أُدياً، ثم أُقْتَلُ ثم أحيا، ثم أُقْتَلُ ثم أحياً ثم أُتَلُ ثم أحياً ثم أُدياً ثم أدياً ثم أدي

وَنَالَهَا النبي ﷺ فقد مات من جراء سم اليهودية له بالشاة المسمومة، وكان يعاوده حتى مات من جرائه؛ ولذا نعته الذهبي بأنه ﷺ النبي الشهيد.

عن ابن أبي عميرة رضي قال: قال رسول الله على «لأن أُقْتَلَ في

<sup>(</sup>۱) حديث حسن: أخرجه ابن أبي عاصم في «الجهاد» برقم (۱۹۷)، واللفظ له، والطبراني في «مسند الشاميين» (ق/١٤٢)، وأخرجه ابن المنذر، كما في «الدر المنثور» (٩٥/٢)، لكن جعله موقوفًا؛ وقال الألباني في تخريج «الجهاد، لابن أبي عاصم» (٥١٥/٢): حديث حسن.

<sup>(</sup>٢) إسناده حسن: أخرجه ابن أبي عصام في «الجهاد» برقم (١٩٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠/ ) ٢٤٩: ٢٤٦٦)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩٠/٦): «رواه الطبراني ورجاله ثقات»، وحسن إساده الألباني في «التعليق على كتاب الجهاد» (١٧/٢).

 <sup>(</sup>٣) حسن: رواه أحمد في «مسنده»، والنسائي عن عبدالرحمن بن أبي عميرة، وَحَسَّنَهُ الألباني في
 «صحيح الجامع» رقم (٩٦٨٤).

<sup>(</sup>٤) أخرجه البخاري (٢٧٩٧)، ومسلم (١٨٧٦)، والنسائي (٣١٢٢)، وابن ماجه (٢٧٥٣).

سبيل اللَّه أحبُّ إلىَّ من أهل المَدَر<sup>(١)</sup> والوَبَر<sup>(٢)</sup>»<sup>(٣)</sup>.

#### 🗖 ومن فضلها مشروعية سؤالها خلافًا للموت:

ومن فضل الشهادة أن الشارع الحكيم رَغَّبَ في سؤالها خلافًا لما ورد في النهي عن تمني الموت، وأن من سألها بصدق بلَّغة اللَّه منازل الشهداء وإن مات على فراشه.

حن سهل بن مُخيف على أن رسول الله على قال: «من سأل الشهادة بصدق، بلَّغه اللَّه منازل الشهداء، وإن مات على فراشه» (٤٠).

حسيل الله فُواق ناقة، فقد وجبت له الجنة، ومن سأل الله القتل من نفسه صادقًا ثم مات أو قُتِلَ، فإن له أجر شهيد، ومن جُرِحَ جرحًا في سبيل الله أو نُكِبَ نكبةً، فإن له أجر شهيد، ومن جُرِحَ جرحًا في سبيل الله أو نُكِبَ نكبةً، فإنها تجيء يوم القيامة كأغزر ما كانت، لونها لون الزعفران، وريحها ريح المسك

<sup>(</sup>١) أهل المدن؛ وهم: سكان البيوت المبنية بالطين.

<sup>(</sup>٢) أهل الوبر: سكان البادية.

<sup>(</sup>٣) إسناده حسن: أخرجه ابن أبي عاصم في «الجهاد» واللفظ له (١٨٨)، والطبراني في «مسند الشاميين» (ق/٢٢)، وأحمد في «مسنده» (٢١٦/٢)، والنسائي في «سننه» (٣٣/٦)، كتاب الجهاد ـ باب تمني القتل في سبيل الله، وحَسَّنَ إسناده المنذريُّ في «الترغيب والترهيب» (١٩٠٢)، والألباني في «تعليقه على الجهاد، لابن أبي عاصم» (٤٩٩/٢، ٥٠٠)، وقال: إسناده حسر إن سلم من تدليس قيّة.

<sup>(</sup>٤) رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه.

<sup>(°)</sup> رواه مسلم، والحاكم وقال: «صحيح على شرطهما».

<sup>(</sup>٦) صحيح لغيره: رواه أبو داود، والترمذي وقال: «حديث حسن صحيح»، والنسائي، وابن ماجه، وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٢٧٨): صحيح لغيره.

# ومن فضلها أنها تُكَفِّرُ ذنوب الشهيد التي بينه وبين الله:

والله، إن غفران ذنب واحد خير من الدنيا وما فيها، وخير مما طلعت عليه الشمس أو غربت، انظر إلى الصحابي الفقيه الذي مُلئ علمًا عبداللَّه بن مسعود فلي خيب عليه عليه عليه عليه الله عفول: «وددتُ أن اللَّه غفر لي ذنبًا واحدًا ولا يُدْرَى لي نسب»، «وددتُ أن اللَّه غفر لي ذنبًا واحدًا وأني عبداللَّه بن روثة»؛ فكيف إذا جاءت الشهادة بمغفرة أن اللَّه غفر لي ذنبًا واحدًا وأني عبداللَّه بن روثة»؛ فكيف إذا جاءت الشهادة بمغفرة الذنوب كلها؛ قال - تَعَالَى -: ﴿ وَلَهِن قُتِلْتُمْ فِي سَكِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُمَّ مَ اللَّهِ عَرْحُمَةً فَرَاتُ مَا يَجَمَعُونَ اللَّهِ وَلَهِن مُتَمَّ أَوَ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحَمَّمُونَ اللَّهِ وَرَحْمَةً فَرَاتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحَمَّمُونَ اللَّهِ وَلَهِن مُتَمَّ أَوَ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحَمَّمُونَ اللَّهِ وَرَحْمَةً فَرَاتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحَمَّمُونَ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى ال

فالموت أو القتل في سبيل الله - بهذا القيد وبهذا الاعتبار - خير من الحياة، وخير مما يجمعه الناس في الحياة من أعراضها الصغار؟ من مال، ومن جاه، ومن سلطان، ومن متاع . . خير بما يعقبه من مغفرة الله ورحمته، وهي في ميزان الحقيقة خير مما يجمعون، وإلى هذه المغفرة وهذه الرحمة يكل الله المؤمنين . إنه لا يكلهم - في هذا المقام - إلى أمجاد شخصية، ولا إلى اعتبارات بشرية؟ إنما يكلهم إلى ما عند الله، وهي خير مما يجمع الناس على الإطلاق، وخير مما تتعلق به القلوب من أعراض.

وكلهم مرجعون إلى الله، محشورون إليه على كل حال، ماتوا على فراشهم، أو ماتوا وهم يضربون في الأرض، أو قتلوا وهم يجاهدون في الميدان؛ فما لهم مرجع سوى هذا المرجع، وما لهم مصير سوى هذا المصير، والتفاوت ـ إِذَنْ ـ إنما

<sup>(</sup>١) حسن صحيح: رواه ابن حبان في «صحيحه» واللفظ له، والحاكم وقال: صحيح على شرطهما. وقال الأباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٢٧٨): حسن صحيح.

يكون في العمل والنية وفي الاتجاه والاهتمام، أما النهاية فواحدة: موت أو قتل في الموعد المحتوم والأجل المقسوم، ورجعة إلى الله وحشر في يوم الجمع والحشر، ومغفرة من الله ورحمة، أو غضب من الله وعذاب.. فأحمق الحمقى من يختار لنفسه المصير البائس وهو ميت على كل حال!!»(١).

الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال. فقام رجل فقال: يا رسول الله: الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال. فقام رجل فقال: يا رسول الله: أرأيتَ إن قُتِلْتُ في سبيل الله، تُكَفَّرُ عني خطاياي؟ فقال له رسول الله على: «نعم؛ إن قُتِلْتَ في سبيل الله وأنت صابر محتسب، مقبل غيرُ مدبر»، ثم قال رسول الله على: «كيف قلت؟» قال: أرأيتَ إن قُتِلْتُ في سبيل الله أَتَكَفَّرُ عني خطاياي؟ فقال رسول الله على: «نعم، وأنت صابر محتسب، مقبل غير مدبر، إلا الدَّيْن؛ فإن جبريل قال لي ذلك»(٢).

حَرَّ وَعَن عبداللَّه بن عمرو بن العاص - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أن رسول اللَّه عَنْهُمَا - أن رسول اللَّه عَنْهُمَا : «يَعْفَرُ للشهيد كل ذنب إلا الدَّيْن»، وفي رواية أخرى قال: «القتل في سبيل اللَّه يُكَفِّرُ كل شيء إلا الدَّيْن» (٣).

النبر فقال: أرأيتَ إن قاتلتُ في سبيل الله، صابرًا محتسبًا، مقبلًا غيرَ مدبرٍ، أيُكَفُّرُ الله، على الله عني سيئاتي؟ قال: نعم. ثم سكت ساعة، قال: أين السائل آنفًا؟ فقال الرجل: ها أنا ذا. قال: ما قلت؟ قال: أرأيتَ إن قُتِلْتُ في سبيل الله صابرًا محتسبًا، مقبلًا

<sup>(</sup>١) الظلال (٩٩٤).

<sup>(</sup>۲) أخرجه مسلم (۱۸۸۵)، والترمذي (۱۷۱٤)، والنسائي (۳۱۵، ۳۱۵۷، ۳۱۵۸)، وأحمد (٥/ ۳۰۳، ۳۰۶)، والبيهقي (۳۰/۹)، وأبو عوانة (٥١/٥، ٥٢).

<sup>(</sup>٣) أحرحه مسلم (١٨٨٦)، وأحمد (٢٢٠/٢)، واحاكم (١١٩/٢).

# 🗖 الشهادة في سبيل اللَّه مُوجبَةٌ لدخول الجنة:

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال: قال رجل للنبي ﷺ يوم أُحُد: أرأيتَ إن قَتِلُ وَعَلَى اللَّهُ عَنْهُ ـ قال: قال رجل للنبي ﷺ يوم أُحُد: أرأيتَ إن قُتِلُ وَعَلَى الْجَنَةَ. فألقى تمرات في يده، ثم قاتل حتى قُتِلَ (٤٠).

#### □ تظليل الملائكة للشهداء بأجنحتها:

س عن جابر بن عبدالله ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قال: «لما قُتِلَ أبي جعلتُ أكشفُ الثوبَ عن وجهه أبكي، وَيَنْهَوْنِي عنه، والنبي ﷺ لا ينهاني، فَجَعَلَتْ عمتي فاطمة تبكي؛ فقال النبي ﷺ: تَبْكِينَ أَوَ لَا تَبْكِينَ، ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه!!» (٥).

## 🗖 ومن الشهداء من يكون رفيقًا لرسول اللَّه ﷺ في الجنة:

وتلك أقصى ما يتمناه المرء في دنياه وآخرته؛ فاللهم ارزقني الصدق في سؤال الشهادة، وارزقني رفقة النبي ﷺ في أعالي الجنان:

٣١ عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال يوم أحد لما رَهِقُوهُ (٦)،

<sup>(</sup>۱) صحيح لغيره: أخرجه النسائي برقم (٥٥ ٣١)، وأحمد (٣٠٨/٢، ٣٣٠).

<sup>(</sup>٢) يهراق: يسيل.

 <sup>(</sup>٣) حسن: رواه الطبراني في «المعجم الكبير»، والحاكم في «المستدرك» عن سهل بن محنيف، وَحَسَّنَهُ الأَلباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٥٧٨)، و«السلسلة الصحيحة» رقم (١٧٤٢).

<sup>(</sup>٤) أخرجه البخاري (٤٠٤٦)، ومسلم (١٨٩٩)، والنسائي (٣٣/٦)، والبغوي (٣٧٨٩)، والبيهقي (٤٣/٩)، والبيهقي (٤٣/٩)، وأحمد (٢٠٨/٣)، وابن حبان (٤٦٥٣).

<sup>(</sup>٥) أخرحه البخاري (١٢٤٤)، ومسلم (٢٤٧١)، والنسائي (١٨٤٢).

<sup>(</sup>٦) أي: غشوه وقربوا منه. قاله النووي في «شرح مسلم» (٦٤٧/١٢).

وهو في سبعة من الأنصار وَرَجُلَيْنِ من قريش: «مَن يَرُدُّهُمْ عنا وهو رفيقي في الجنة؟!»؛ فقام رجل من الأنصار فقاتل حتى قُتِلَ، ثم قال مثل ذلك؛ فقام آخر فقاتل حتى قُتِلَ، فلم يزل كذلك حتى قُتِلَ السبعة؛ فقال رسول اللَّه ﷺ: «ما أنصفنا أصحابنا ﴿' ).

### 🗖 دار الشهداء في الجنة أحسن الدور:

ورأيت الليلة عن سمرة بن جندب ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قال النبي عَلَيْنَ: «رأيت الليلة رجليْنِ أَتَيَاني، فصعدا بي الشجرة، فأدخلاني دارًا هي أحسن وأفضل لم أر قط أحسن منها، وقالا: أما هذه الدار فدار الشهداء (٢٠٠٠).

# 🗖 عُلُوُّ منازل الشهداء في الجنَّة:

سَرَاقة ـ أتت النبي عَنِي فقالت: يا رسول الله، ألا تحدثني عن حارثة ـ وكان قُتِلَ يوم سُرَاقة ـ أتت النبي عَنِي فقالت: يا رسول الله، ألا تحدثني عن حارثة ـ وكان قُتِلَ يوم بدر؛ أصابه سهم غرب ـ؟ فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه بالبكاء. فقال: «يا أم حارثة، إنها جنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى الأعلى .

 وعند الترمذي: «يا أم حارثة، إنها جنات في جنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى، والفردوس ربوة الجنة، وأوسطها، وأفضلها (٥٠٠٠).

<sup>(</sup>۱) أخرجه مسدم (١٤١٥)، وأبو يعلى في «مسنده» (٣١٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٦٩٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٦٩٨)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣٣٤/٣ - ٢٣٥)، وفي «السنن» (٤٤/٩)، وكذا أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٨٦/٣)، والنسائي في «السنن الكبرى»، وعبد بن حميد ي «مسنده» (١٣٨٥)، وابن أبي عاصم (٢١٩)، وفيه: «ورجلين من غيرهم».

<sup>(</sup>٢) أخرحه البحاري (٢٥٩١)، ومسلم (٢٢٧٥)، والترمذي (٢٢٩٤).

 <sup>(</sup>٣) كذا وقع في «البخاري» وهو وَهُمّ نَبَّهَ عليه غير واحد، وإنما هي الرُّبيع بنت النضر.

<sup>(</sup>٤) أخرجه البخاري.

<sup>(</sup>٥) أخرجه الترمذي في «سننه»، كتاب التفسير ـ باب «ومن سورة المؤمنون» (٣١٧٤).

وفي رواية: «يا أم حارثة، إنها ليست بجنة واحدة، ولكنها جنان كثيرة، وإن حارثة لفي الفردوس الأعلى»(١).

□ الشهيد المفتخر في خيمة اللَّه تحت عرشه لا يفضله إلا النبيون:

وسول الله على: «القتل ثلاثة: رجل مؤمن قاتل بنفسه وماله في سبيل الله حتى إذا لقي العدو قاتلهم حتى يُقْتَلَ؛ فذلك الشهيد الممتحن [الْمُقْتَخِر] في خيمة الله، لقي العدو قاتلهم حتى يُقْتَلَ؛ فذلك الشهيد الممتحن ورجل مؤمن قرف على نفسه تحت عرشه، لا يفضله النبيون إلا بدرجة النبوّة. ورجل مؤمن قرف على نفسه من الذنوب والخطايا، جاهد بنفسه وماله في سبيل الله حتى إذا لقي العدو قاتل حتى يُقْتَلَ (عُ)، مُحِيتُ ذنوبه وخطاياه؛ إن السيف مَحَّاءُ الخطايا، وأُدْخِل من أي أبواب الجنة شاء؛ فإن لها ثمانية أبواب، ولجهنم سبعة أبواب، وبعضها أفضل من بعض. ورجل منافق جاهد بنفسه وماله، حتى إذا لقي العدو قاتل في سبيل الله عن يقْتَلَ، فإن ذلك في النار؛ السيف لا يمحو النفاق (٢٠).

<sup>(</sup>۱) أخرجه البخاري (۲۸۰۹، ۲۸۰۹، ۲۰۱۷)، وأحمد (۲۱۰/۳)، وابن جرير في «تفسيره» (۲۸/۱۲)، وابن جرير في «تفسيره» (۳۸/۱۲)، وابن خزيمة في كتاب التوحيد ص (۳۹۹)، (۲۱۳/٤)، وابن حبان في «صحيحه» (۲۶۳٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (۲۲۲۲ ـ ۳۲۳)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (۱۲۷/۹)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (۲۸۹/۵، ۲۹۰) وابن أبي شيبة في «المصنف» (۲۸۹/۵، ۲۸۰)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة».

<sup>(</sup>٢) أي: المُصفَّى المهذب، وكذا في «النهاية» قال: (متحنت الفضة إذا صفَّيتها وخلَّصتها من النار»، وقال المنذري: هو المشروح صدره؛ ومنه: ﴿أُولئكُ الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى﴾؛ أي: شرحها ووسَّعها. وفي رواية لأحمد: «المفتخر».

<sup>(</sup>٣) قرف على نفسه من الذنوب والخطايا؛ أي: كسبها؛ قرف الذنب واقترفه : إذا عمله.

<sup>(</sup>٤) في رواية: «قاتل حتى يقتل؛ فتلك ممصمصة محت ذنوبه وخطاياه»، ممصمصة؛ أي: مطهرة من دنس الخطايا؛ يقال: مصمص إناءه: إذا جعر فيه الماء وَحَرَّكه؛ ليتنظَّف.

<sup>(</sup>٥) أي: فيما يبدو للناس، والحقيقة أنه إنما يقاتل نفاقًا.

<sup>(</sup>٦) حسن: أخرجه أحمد (١٨٥/٤، ١٨٦) واللفظ له، والطبراني (٣١٠/١٧ ـ ٣١١)، والبيهقي في «السنن» (٦٦٤/٩)، والدارمي (٢٤١٦)، والطيالسي (١٢٦٧)، وابن حبان (٤٦٦٣ ـ الإحسان)، =

ولفظ ابن حبان:

وسيل الله حتى إذا لقي العدو قاتلهم حتى يُقتل؛ فذلك الشهيد الممتحن في خيمة الله تحت عرشه، لا يفضله إلا النبيون بدرجة النبوة. ورجل قرف على نفسه من الذنوب والخطايا<sup>(1)</sup> حتى إذا لقي العدو قاتل حتى يُقتل؛ فتلك ممصمصة مَحَتْ ذنوبه وخطاياه؛ إن السيف مَحَاءٌ للخطايا، وأُذْخِل من أي أبواب الجنة شاء؛ فإن لها ثمانية أبواب، وبعضها أفضل من بعض. ورجل منافق جاهد بنفسه وماله حتى إذا لقي العدو قاتل في سبيل الله حتى يُقْتَل؛ فذلك في النار؛ إن السيف لا يحو النفاق».

ايثار اللَّه لهم على الملائكة، ودخول الملائكة عليهم من كل باب يسلمون عليهم:

عن عبدالله بن عمرو بن العاص - رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا - عن رسول اللّه ورسوله أنه قال: «هل تدرون أوَّلَ من يدخل الجنة مِن خلق الله؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: أول من يدخل الجنة من خلق الله الفقراء والمهاجرون الذين تُسَدُّ بهم النغور، ويُتَقَى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجَتُهُ في صدره لا يستطيع لها قضاء، فيقول الله لمن يشاء من ملائكته: ائتوهم فحَيُّوهم. فتقول الملائكة: نحن سكان سمائك وخيرَتُك من خلقك، أفَتَأْمُرُنَا أن نأتي هؤلاء فنسلم عليهم؟ قال: إنهم كانوا عبادًا يعبدوني لا يشركون بي شيئًا، وتُسَدُّ بهم النغور، ويُتَقَى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجتُهُ في صدره لا يستطيع لها قضاء. قال: فتأتيهم الملائكة عند

وابن المبارك في «الجهاد» (٧)، والهيتمي في «مجمع الزوائد» (٢٩١/٥)، وقال: «رجال أحمد رجال الصحيح خلا أبي المثنى الأملوكي. وهو ثقة». وحَمَّنَهُ الألباني في «صحيح الترغيب» (١٣٧٠).
 (١) وفي رواية أخرى: «ومؤمن خلط عملًا صالحاً وآخر سيئًا جاهد بنفسه وماله في سبيل الله».

ذلك؛ فيدخلون عليهم من كل باب: ﴿سَلَنَمُ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمُ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرُتُمُ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ اللهِ اللهُ الللّهُ الل

قال: سمعت رسول الله على يقول: «أول ثلة يدخلون الجنة: الفقراء المهاجرون الذين تُتَقَى بهم المكاره، إذا أُمِرُوا سمعوا وأطاعوا، وإن كانت لرجل منهم حاجة الذين تُتَقَى بهم المكاره، إذا أُمِرُوا سمعوا وأطاعوا، وإن كانت لرجل منهم حاجة إلى السلطان لم تُقْضَ له حتى يموت وهي في صدره، وإن الله على ليدعو يوم القيامة الجنة فتأتي بزخرفها وزينتها، فيقول: أين عبادي الذين قاتلوا في سبيلي، وقُتِلُوا، وأُودُوا، وجاهدوا في سبيلي؟ ادخلوا الجنة. فيدخلونها بغير حساب، وتأتي الملائكة فيسجدون، فيقولون: ربنا نحن نسبح بحمدك الليل والنهار، ونقد سلك الملائكة فيسجدون، فيقولون: ربنا نحن نسبح بحمدك الليل والنهار، ونقد سلك من هؤلاء الذين آثرتهم علينا؟ فيقول الرب على هؤلاء عبادي الذين قاتلوا في سبيلي، وأوذوا في سبيلي. فتدخل عليهم الملائكة من كل باب: ﴿ سَلَمُ عَلَيْكُم بِمَا صَمَرَتُمُ فَنِعْمَ عُقَبَى الدَّارِ ﴿ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْكُم بِمَا صَمَرَتُمُ فَنِعْمَ عُقَبَى الدَّارِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْكُم بِمَا صَمَرَتُمُ فَنِعْمَ عُقَبَى الدَّارِ اللهُ الل

□ الشهداء من أول الناس دخولًا الجنة:

لله درهم، وما أحسن ما لهم، وما أجملها من كرامة أعدها الله لهم:

<sup>(</sup>١) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ١٦٨) واللفظ له، والحاكم في «المستدرك» (٧٢/٢) وصحّحة ووافقه الذهبي، وأبو نعيم في «الحلية» (٤٧/١)، والهيثمي (٢٥٩/١٠) وعزاه لأحمد والبزار والطبراني ثم قال: «ورجالهم ثقات، ورجال الطبراني رجال الصحيح غير أبي عشانة، وهو ثقة».

<sup>(</sup>٢) صحيح: رواه الأصفهاني في «الترغيب والترهيب»، وأخرج نحوه أحمد (١٦٨/٢)، وابن حبان (٢٥٦٥)، والبزار (٢٥٦٥)، والبزار (٢٥٦٤، ٢٥٧ - كشف الأستار)، وأخرجه الحاكم (٢١/٢)، ومن طريقه البيهقي في «الشعب» (٢٧/٤، ٢٨)، وقال: «صحيح الإسناد»، ووافقه الذهبي، وقال المنذري في «الترغيب»: «رواه الأصبهابي بإسناد حسن، ومتنه غريب»، قال الشيخ الألباني بعد رده على المنذري: «فالحديث صحيح عندي لا غبار عبيه»؛ انظر: «السلسلة الصحيحة» رقم (٢٥٥٩)، و«صحيح الترغيب» (١٣٧٣).

مع عدالله بن عمرو - رَضِيَ الله عَنْهُمَا - قال: قال رسول الله عَلَى الله عَنْهُمَا - قال: قال رسول الله عَلَى الله عَنْهُمَا مَا أَعْلَى الله عَمْرُون الله الله الله الله ورسوله أعلم؟ فقال: المهاجرون؛ يأتون يوم القيامة إلى باب الجنة ويستفتحون، فيقول لهم الخزنة: أو قَدْ حُوسِبتُمْ؟ فيقولون: بأي شيء نحاسب، وإنما كانت أسيافنا على عواتقنا في سبيل الله حتى متنا على ذلك؟! قال: فَيْفتح لهم، فيقيلون فيه أربعين عامًا قبل أن يدخلها الناس» (١).

ضحك اللَّه إلى الشهداء، ومن ضحك اللَّه إليه فلا حساب عليه:

وس عن أبي سعيد الخدري على قال: قال رسول الله على «أفضل الجهاد عند الله يوم القيامة الذين يلتقون (٢) في الصف الأول، فلا يلفتون وجوههم حتى يُقْتَلُوا، أولئك يَتَلَبَّطُونَ في الغرف من الجنة، يضحك إليهم ربك، وإذا ضحك ربك إلى قوم فلا حساب عليهم» (٣).

وعن نعيم بن همَّار ﷺ؛ أن رجلًا سأل رسول اللَّه ﷺ: أي الشهداء أفضل؟ قال: «الذين إن يُلْقَوْا في الصف لا يلفتون وجوههم حتى يُقْتَلُوا، أولئك ينطلقون في الغرف العلا من الجنة، ويضحك إليهم ربهم، وإذا ضحك ربك إلى

<sup>(</sup>١) صحيح على شرط مسلم: أحرجه الحاكم (٧٠/٢) وقال: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي، قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٨٥٣): «إنما هو على شرط مسلم فقط؛ فإن عياشًا هذا ـ عياش بن عباس ـ إنما أخرج له البخاري في جزء القراءة».

<sup>(</sup>٢) في الأصل «يُلقون»، والتصويب من «المعجم الأوسط» (٥/٨٠/٥) قاله الألباني.

<sup>(</sup>٣) حسن صحيح: رواه الطبراني في «الأوسط» (٢٤٩/١)، وقال الهيئمي في «المجمعة (٢٩٢/٥): «رواه الطبراني في «المجمعة عن طريق عنبسة بن سعيد، وثقه الدارقطني، كما نقل الذهبي، ولم يضعفه أحد، وبقية رجاله جال الصحيح، وَحَشَنَ إسناده المنذري في الترغيب والترهيب»، وقال الألباني في «صحيح الترغيب» (١٣٧٢): حسن صحيح. ويتلبطون معناها هنا: يضطجعون.

عبد في الدنيا فلا حساب عليه»(١).

### وفي لفظ آخر:

أفضل الشهداء الذين يقاتلون في الصف الأول فلا يلفتون وجوههم حتى يُقْتَلُوا، أولئك يَتَلَبَّطُونَ في الغرف العُلَى من الجنة، يضحك إليهم ربك، فإذا ضحك ربك إلى عبد في موطن فلا حساب عليه "(٢).

الله ويضحك وفي حديث أبي الدرداء عن النبي الله الله الله ويضحك اللهم، ويستبشر بهم: الذي إذا انكشفت فئة قاتل وراءها بنفسه لله الله الله الله عنه أن ينصره الله ويكفيه، فيقول: انظروا إلى عبدي هذا كيف صبر لي بنفسه؟!»(٣) الحديث.

تَكُ وقال رسول اللَّه ﷺ: «يضحك اللَّه إلى رجلين قَتَلَ أحدهما الآخر يدخلان الجنة؛ يُقاتل هذا في سبيل اللَّه فَيُقْتَلُ، ثم يتوب اللَّه على القاتل فَيُسْلِمُ، فيقاتل في سبيل اللَّه فَيُسْتَشْهَدُ» (٤٠).

كَ اللَّهُ عَنْ رَجَلِينَ قَتَلَ أَحَدُهُمَا صَاحِبُهُ، وَكَلَاهُمَا فَى الْجَنَةُ» (٥٠).

<sup>(</sup>۱) صحيح: رواه أحمد في «مسنده» (۲۸۷/٥)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (۹٥/۲/٤)، والبيهقي (۲۲۱/۲)، وفي «صحيح الترغيب» (۱۳۷۱)، وابن أبي عاصم في «الجهاد» برقم (۲۲۸). وَصَحَّحَهُ الألباني.

<sup>(</sup>٢) صحيح: رواه أحمد، والطبراني في «الكبير»، وأبو يعلى عن نعيم بن همَّار، وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الجامع» برقم (١١٠٧).

<sup>(</sup>٣) حسن لغيره: رواه الطبراني بإساد حسن، قاله المنذري في «الترغيب»، وَحَسَّنَهُ لعيره الألباني في «صحيح الترغيب» (١٣٨٤) (١٤٦/٢).

<sup>(</sup>٤) رواه أحمد، والبحاري، ومسلم، والنسائي، وابن ماجه عن أبي هريرة.

<sup>(°)</sup> صحيح: أخرجه ابن حبان في «صحيحه» عن أبي هريرة، وَصَحَّحَهُ الأَلباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٧٤)، و«صحيح الجامع» رقم (٣٨٨٥).

### 🗖 ويعجب ربك من الشهيد وحُسْنِ فعاله:

وعن عبدالله بن مسعود ـ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا ـ قال: قال رسول اللّه ﷺ: «عجب ربنا ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ من رجل غَزَا في سبيل اللّه فانهزم ـ يعني أصحابه ـ فعلم ما عليه، فرجع حتى أهريق دمه، فيقول اللّه ﷺ لملائكته: انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي، وشفقة مما عندي، حتى أهريق دمه»(١).

### الشهداء أمناء الله على خلقه:

والنفساء؛ فغضب أبو عتبة وقال: حدثنا أصحاب نبينا عن نبينا عَلَيُّ أنه قال: «إن شهداء اللَّه في الأرض أمناء اللَّه في الأرض (٢) في خلقه قُتِلُوا أو ماتوا»(٣).

قال المناوي في «**فيض القدير**» (١٦٥/٤):

«شهداء اللَّه في الأرض هم أمناء اللَّه على خلقه سواء (قُتِلُوا) في الجهاد في سبيل الله؛ لإعلاء كلمة الله، (أو ماتوا) على فرشهم من غير قتال؛ فإنهم شهداء؛ أي: في حكم الآخرة» اهـ.

# الشهيد لا يجد من ألم القتل إلا كَمَسً القرصة:

ك عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: «ما يجد الشهيد من مَسِّ القتل إلا كما

<sup>(</sup>١) حسن لغيره: رواه أبو داود، وأحمد، وأبو يعلى، وابن حبان، وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٣٨٤): حسن لغيره.

<sup>(</sup>٢) وفي «صحيح الجامِع» (٣٧١٦): «شهداء الله في الأرض أمناء الله على خلقه قُتِلُوا أو ماتوا».

<sup>(</sup>٣) صحيح: أخرجه أحمد (٢٠٠/٤)، قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٠٠/٤) حديث (٢٠٠): «وهذا إسناد جيد رجاله ثقات معروفون غير أبي عنبة الخولاني؛ قال ابن أبي حاتم: «ليست له صحبة، وهو من الطبقة الأولى من تابعي أهل الشام»، وَرَجَّعَ الحافظ في «الإصابة» قول أحمد بن محمد بن عيسى: «أدرك الجاهلية، وعاش إلى خلافة عبدالملك، وكان ممن أسلم على يد معاذ والنبي على حقى»، وصحبح الجامع»، رقم (٣٧١٦).

يجد أحدكم من مس القرصة $(^{(1)}$ .

ولفظ النسائي: «الشهيد لا يجد مس القتل إلا كما يجد أحدكم القرصة يقرصها».

د الشهيد لا يجد ألم القتل إلا كما يجد أحدكم مس القرصة»(٢).

قال المناوي في «فيض القدير» (١٨٢/٤):

«القرصة: الأخذة بأطراف الأصابع، وَعَبَّرَ بأداة الحصر؛ دفعًا لتوهَّم تصور أن ألمه يفضل على ألمها، وهذه تسليةٌ لهم عن هذا الحادث العظيم، والخطب الجسيم، وتهييجُ الصبر على وقع السيوف واقتحام الحتوف».

وقال أيضًا: «يعني أنه ـ تَعَالَى ـ يُهَوِّنُ عليه الموت ويكفيه سكراته وكربه؛ بل رب شهيد يتلذذ ببذل نفسه في سبيل اللَّه طيبة بها نفسه؛ كقول خبيب الأنصاري حين قُتِلَ:

ولست أبالي حين أُقتل مسلما على أي جنب كان في الله مصرعي».

#### 🗖 جراح الشهداء تفوح منها رائحة المسك:

<sup>(</sup>١) صحيح: رواه النسائي (٦٢/٢)، والترمذي (١٩/٣) وابن ماجه (١٨٥)، والدارمي (٢٠٥/٢)، وابن بشران في «الأمالي»، وأبو نعيم في «الحلية» (٢٦٤/٨، و٢٦٥)، والبيهقي (١٦٤/٩)، والبغوي في «شرح السنة» (١/١٤١/٣)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح. وقال أبو نعيم: «ثابت مشهور من حديث القعقاع عن أبي صالح»، وَصَحَّحَهُ الألباني في «الصحيحة» رقم (٩٦٠)، وهمحيح الجامع» رقم (٣٧٤٦).

<sup>(</sup>٢) صحيحُ: رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» عن أبي قتادة، وَصَحَّحَهُ الأَلباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٧٤٥).

<sup>(</sup>٣) يُكُلِّم: أي يجرح.

واللون لون الدم والريح ريح المسك(١) (٢).

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٢٥/٦): «ولأصحاب السنن، وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم من حديث معاذ بن جبل: «من جرح جرحًا في سبيل الله أو نُكِبَ نكبةً فإنها تجيء يوم القيامة كأغزر ما كانت لونها لون الزعفران وريحها المسك»، وعُرِفَ بهذه الزيادة أن الصفة المذكورة لا تختص بالشهيد بل هي حاصلة لكل من جُرِح، ويحتمل أن يكون المراد بهذا الجرح هو ما يموت صاحبه بسببه قبل اندماله لا ما يندمل في الدنيا؛ فإن أثر الجراحة وسيلان الدم يزول، ولا ينفي ذلك أن يكون له فضل في الجملة، لكن الظاهر أن الذي «يجيء يوم القيامة وجرحه يثعب دمًا» من فارق الدنيا وجرحه كذلك، ويؤيده ما وقع عند ابن حبان في حديث معاذ المذكور «عليه طابع الشهداء».

وقوله: «كأغزر ما كانت» لا ينافي قوله: (كهيئتها)؛ لأن المراد لا ينقص شيئًا بطول العهد، قال العلماء: الحكمة في بعثه كذلك أن يكون معه شاهد بفضيلته بذل نفسه في طاعة الله، واستدل بهذا الحديث على أن الشهيد يدفن بدمائه وثيابه».

وقال رسول الله ﷺ: «لا يُكْلَمُ أحد في سبيل الله ـ والله أعلم بمن يُكْلَمُ في سبيله ـ إلا جاء يوم القيامة وجرحه يَثْعَبُ (٣) دمًا، اللون لون الدم، والريح

<sup>(</sup>١) وفي رواية همام «والعَرْف»؛ وهو: الرائحة.

<sup>(</sup>٢) أخرجه البخاري (٢٨٠٣، ٣٥٣٥)، ومسلم (١٨٧٦)، وأحمد في اللمسند، (٢٤٢/٢)، والترمذي (١٦٥٦)، والنسائي (٢٤٢/١، ٢٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى، (١٦٤٨، ١٦٥)، ومالك في «الموطإ» (٢١١٦)، وابن حبان (٢٥٦١)، والدارمي (٢٤١١)، وابن أبي عاصم في «الجهاد» (١٧٥)، والحميدي (١٠٩٢)، وأبو عوانة (٢٣/٥، ٢٤)، وسعيد بن منصور (٢٥٧١).

<sup>(</sup>٣) يثعب: ينزف.

ريح المسك»<sup>(۱)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، لا يُكْلَمُ أحد في سبيل الله الله على الله على الله على الله الله الله الله أعلم بمن يُكْلَمُ في سبيله ـ، إلا جاء يوم القيامة وجرحه يَشْخُبُ (٢)، اللون لون الدم، والريح ريح المسك (٣).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مجروح يُجْرَحُ في سبيله ـ إلا جاء يوم القيامة وجرحه كهيئته يوم جُرحَ، اللون لون الدم، والريح ريح المسك (٤٠).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مكلوم يُكْلَمُ في الله، إلا جاء يوم القيامة وَكُلْمُهُ (٥٠ يَدْمِي (٢٠)، اللون لون الدم، والريح ريح المسك (٧٠).

وعن أبي هريرة صلى قال: قال رسول الله على: «كُلُّ كُلْم يُكْلَمُهُ المسلم في سبيل اللَّه ـ تَعَالَى ـ يكون يوم القيامة كهيئتها إذا طُعِنَتْ؛ تَفَجَّرُ دمًا، اللون لون الدم، والعَرْفُ عَرْفُ المسك» (٨).

ه عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: ﴿إِن جُرْحَ الرجل الذي

<sup>(</sup>١) صحيح: أخرجه الترمذي، والنسائي، وأحمد (٢٤٢/٢) عن أبي هريرة، وَصَحَّحَهُ الألباسي في «صحيح الجامع» رقم (٧٧٧٢).

<sup>(</sup>٢) أي: ينزف.

<sup>(</sup>٣) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم عن أبي هريرة.

<sup>(</sup>٤) صحيح: رواه ابن ماجه عن أبي هريرة، وَصَحَّحَهُ الأَلباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٧٥٣).

<sup>(</sup>٥) كَلْمُه: جُرحه.

<sup>(</sup>٦) يَدمى: أي ينزف دمًا.

<sup>(</sup>٧) رواه البحاري.

<sup>(</sup>A) رواه البخاري ومسلم. والعرف: أي الرائحة.

يُجْرَحُ به في سبيل اللَّه ـ واللَّه أعلم بمن يُجْرَحُ في سبيله ـ يأتي يوم القيامة يغازى؛ كلون الدم وريح المسك»(١).

وعن معاذ الله على الله على الله الله الله على الله على الله في سبيل الله فواق ناقة فقد وجبت له الجنة، ومن سأل القتل في سبيل الله من نفسه صادقًا ثم مات أو قُتِلَ فإن له أجر شهيد، ومن مجرح جرحًا في سبيل الله أو نُكِبَ نكبةً فإنها تجيء يوم القيامة كأغزر ما كانت، لونها لون الزعفران وريحها ريح المسك، ومن خَرَجَ به خُرَاجٌ في سبيل الله كان عليه طابع الشهداء» (٢).

وعن أبي مالك الأشعري عن النبي ﷺ قال: «من خَرَجَ عليه نُحرَاجٌ (٣) في سبيل الله كان عليه طابع (٤) الشهداء» (٥).

الشهداء لا يُفْتَنُونَ في قبورهم ولا يُصْعَقُونَ عند نشورهم:

من راشد بن سعد، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ: «أن رجلًا قال: ولله عن راسول الله، ما بال المؤمنين يُفْتَنُونَ في قبورهم إلا الشهيد؟! قال: «كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة»(٦٠).

<sup>(</sup>١) إسناده حسن: أخرجه ابن أبي عاصم (٢٤٧) وقال الألباني في «تعليقه على كتاب الجهاد» (٢/ ٥٩٥): «إسناده حسن، إن سلم من تدليس بقيّة، لكن للحديث طرق أخرى عن أبي هريرة».

<sup>(</sup>٢) صحيح: رواه أحمد (٢٤٤/٥)، وأبو داود (٤٦/٣) (٢٤٥١)، والترمذي (١٨٥/٤) (١٦٥٧)، والترمذي (١٨٥/٤)، والنسائي (٢٥٩٦)، وصَحَّحَهُ الأَلباني في «صحيح الجامع» رقم (٢١٦٦).

<sup>(</sup>٣) هو ما خرج على الجسد من دُمَل وبحوه من القروح.

<sup>(</sup>٤) طابع: أي الحاتم الذي يحتم به، قاله ابن سِيدَه في «المحكم» (٣٤٩/١).

<sup>(</sup>٥) إسناده حسن لغيره: أخرجه ابن أبي عاصم في الجهاد، (٢٤٨) واللفظ له، والطبراني في المعجم الكبير، (٣٤١٥) (٣٤١/٣)، وللحديث شاهد من حديث معاذ السابق، وقال الألباني: إسناده حسر لغيره.

<sup>(</sup>٦) صُحيح: أخرجه النسائي (٩/٤)، وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٨٣).

وعن أبي هريرة على عن رسول الله على: «أنه سأل جبريل عن هذه الآية: ﴿وَنُفِخَ فِي الشَّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ اللَّهُ ﴾ الآية: ﴿وَنُفِخَ فِي الشَّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ اللَّهُ ﴾ [الزم: ٢٨]، مَنِ الذين لم يشأ اللَّه أن يصعقهم؟ قال: هم شهداء اللَّه وَ اللَّه وَ الله وَ الله وَ الله وَالله وَله وَالله وَله وَالله وَله وَالله وَلّه وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله وَله وَالله وَالله وَالله وَله وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله وَله وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله وَلم وَلم وَله وَالله وَلمُوالله وَالله وَلم وَلمُوالله وَالله وَالله وَلم وَ

حَن غَيرَان بن عتبة الذماري قال: دخلنا على أم الدرداء، ونحن أيتام، فقالت: أبشروا؛ فإني سمعت أبا الدرداء على يقول: قال رسول الله على: «يُشَفَّعُ الشهيد في سبعين من أهل بيته» (٢).

□ للشهيد عند اللَّه سبع خصال كلُّ منها خير من الدنيا وما فيها:

آآ عن المقدام بن معدي كَرِب الكِنْدِيِّ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إن للشهيد عند اللَّه ستَّ (٣) خصال: أن يُغْفَر له في أول دُفْعَة (٤) من دمه، ويُرَى مقعدَهُ من الجنة، وَيُحَلَّى حُلَّة الإيمانِ، ويُزَوَّجَ من الجور العين، ويُجَارَ من عذاب القبر، ويَأْمَنَ من الفزع الأكبر، ويُوضَعَ على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه حير من الدنيا وما فيها، ويُزَوَّجَ اثنتين وسبعين زوجة من الجور العين، ويُشَفَّعَ في سبعين إنسانًا من أقاربه» (٥).

<sup>(</sup>١) صحيح: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢٥٣/٢) وَصَحَّحَهُ، ووافقه الذهبي، وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٤٧/٢) (١٣٨٧).

<sup>(</sup>٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٢٥٢٢)، وابن حبان (٢٦٦٠)، والبيهقي في «السنن» (١٦٤/٩)، والآجري ص (٣٥٠)، وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٣٦٩): صحيح لغيره. وَصَحَّحَهُ في «صحيح الجامع» برقم (٨٠٩٣).

<sup>(</sup>٣) هو في هذا الحديث يجعل الإجارة والأمن من الفزع واحدة.

<sup>(</sup>٤) «في أوّل دُفعة»: بضم الدَّال؛ كما قال المنذري، وكما هو مضبوط بجامع الترمذي، وكذلك قال أهل اللغة: الدُّفعة: ما دُفع من إناء أو سقاء فانصب بمرة، وكذلك الدفعة من المطر.

أما الدُّفْعة ـ بفتح الدال ـ: فهي المرة الواحدة من الدفع؛ وهو: الإزالة بقوة، فلا يصلح ههنا.

<sup>(</sup>٥) صحيح: أخرجه الترمذي (١٦٦٣)، وابن ماجه (٢٧٩٩)، وابن أبي عاصم في (الجهاد) (٢٠٤)، =

حب عبادة بن الصامت عنى النبي عنى النبي عنى الله عند الله عند الله سبع خصال: أن يُغْفَرَ له في أول دُفْعَة من دمه، وَيُرَى مقعدَهُ من الجنة، وَيُحَلَّى حلة الإيمان، وَيُجَارَ من عذاب القبر، وَيَأْمَنَ من الفزع الأكبر، ويُوضَعَ على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، وَيُزَوَّجَ [اثنتين وسبعين زوجة] من الحور العين، وَيُشَفَّعَ في سبعين إنسانًا من أقاربه (۱).

رجل كانت له صحبة ـ قال: قال النبي ﷺ: «يُعْطَى للشهيد ستُّ خصال: عند أول قطرة من دمه يُكَفَّرُ عنه كل خطيئة، ويُرَى مقعده من الجنة، ويُزَوَّجُ من الحور العين، وَيُؤَمَّنُ من الفزع الأكبر، ومن عذاب القبر، ويُحَلَّى حلة الإيمان (٢٠).

وفي «السلسلة الصحيحة، للشيخ الألباني» الحديث رقم (٣٢١٣):

عن المقدام بن معدي كرب، عن رسول الله على :

«للشهيد عند الله خصال:

١. يُغْفَرُ له في أول دُفعة من دمه.

۲ـ ويُرَى مقعده من الجنة.

٣. وَيُحَلَّى حلية الإيمان.

<sup>=</sup> وعبدالرزاق (٩٥٥٩)، وأحمد (١٣١/٤)، وقال الترمدي: حديث صحيح غريب. وَصَحَّحَهُ الأَلباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٣٧٥).

<sup>(</sup>۱) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (۳۱/٤) والطبراني، وقال المنذري: «رواه أحمد والطبراني، وإساد أحمد حسن»، وصَحَّحَهُ الألباني، وهذه رواية الطبراني، ولفظ أحمد: «ست»، وصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (۱۳۷٤)، وَصَحَّحَهُ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/

<sup>(</sup>٢) إسناده حسن: أخرجه أحمد في «المسند» (٢٠٠/٤)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (١٤٣/١/٤)، وابن سعد (٢٦/١)، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» برقم (٢٤٦)، وَحَسَّنَ إسناده الألباني في «الصحيحة» في «المجلد السابع ـ القسم الأول» ص (٦٤٩، ٦٥٠) في الحديث رقم (٣٢١٣).

- ٤- وَيُزَوَّجُ [اثنتين وسبعين زوجة] من الحور العين.
  - ٥. وَيُجَارُ من عذاب القبر.
    - ٦ـ وَيَأْمَنُ الفزع الأكبر.
- ٧. وَيُوضَعُ على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها.
  - ٨ـ وَيُشَفُّعُ في سبعين إنسانًا من أهل بيته (١٠).

#### 🗖 ما تفعل الحور الحسان بشهيد الحرب والطِّعان:

عن مجاهد، عن يزيد بن شجرة (٢) ﷺ - وكان يزيد بن شجرة ممن يصدق قوله فعله -: خطبنا فقال: «يأيها الناس، اذكروا نعمة اللَّه عليكم، ما أحسن نعمة اللَّه عليكم، ترى من بين أخضر وأحمر وأصفر، وفي الرِّحال ما فيها»، وكان يقول: «إذا صَفَّ الناس للصلاة، وصَفُّوا للقتال، فُتِحَتْ أبواب السماء وأبواب الجنة، وَغُلِّقَتْ أبواب النار، وَزُيِّنَ الحور العين وَاطَّلَعْنَ، فإذا أقبل الرجل قُلْنَ: اللهم انصره. وإذا أدبر احتجبن منه وَقُلْنَ: اللهم اغفر له. فأَنْهكُوا (٣) وجوه القوم فِدًى

<sup>(</sup>١) حديث صحيح: أخرجه الترمذي (١٦٦٣)، وابن ماجه (٢٧٩٩)، وأحمد (١٣١/٤)، والبيهقي في «الشعب» (١٧/٥)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. قال الألباني: «قلت: وإسناده شامي صحيح، وما بين المعقوفتين للترمذي، وليست عنده الفقرة (٣)، وهي عند ابن ماجه وأحمد، لكن ليس عند ابن ماجه الفقرة (٧)؛ فمحموع الفقرات في «السند» «سبع»، وفي «المسند» «ثمان»، ومع ذلك فلفظ الحديث عندهم «ست خصال»، وهذا من نوادر الاضطراب في المتن مع صحة السند، واختلف موقف الحفاظ الحُورِين لهذا الحديث؛ فمنهم من ذكره كما ورد «ست»؛ كالمنذري وابن كثير، وخالف السيوطي وتبعه النبهاني؛ فجعل مكان لفظ «ست» «سبع»، ولكن بقي الحلاف عندهم بالنسبة لرواية أحمد؛ فإن المعدود عنده «ثمان»؛ كما في سياق رواية البيهقي وابن عساكر دون لفظ العدد؛ فسلمت من الاضطراب المذكور»، ثم ذكر الألباني رواية أحمد للحديث عن عبادة بن الصامت ﷺ، وَمَالَ الشيخ الألباني إلى ترحيح حديث المقدام؛ لأنها رواية الأكثر عن ابن عياش. انظر: «السلسلة الصحيحة» رقم (٣٢١٣).

<sup>(</sup>٢) يزيد بن شَحَرة: قيل له صحبة، ولا يثبت، والله أعلم.

 <sup>(</sup>٣) أُنْهِكُوا وجوه القوم؛ أي: أجهدوهم. قال الألياني: والصواب فتح الهاء، و«النَّهَك»: المبالغة في كل شيء.

لكم أبي وأمي، ولا تُخْزُوا الحور العين؛ فإن أول قطرة تنضح من دمه يُكَفَّرُ عنه كل شيء عَمِلَهُ، وتنزل إليه زوجتان من الحور العين يمسحان التراب عن وجهه ويقولان: قد أَنَى (١) لك. ويقول: قد أَنَى لكما. ثم يُكْسَى مئة حُلَّة، ليس من نسيج بني آدم، ولكن من نَبْتِ الجنة، لو وضعن بين أصبعين لوسعن» وكان يقول: «نُبَّتُ أن السيوف مفاتيح الجنة» (١).

«رواه الطبراني من طريقين إحداهما جيدة صحيحة، والبيهقي في «كتاب العث» إلا أنه قال:

«فإن أول قطرة تَقْطُرُ من دم أحدكم يحط اللَّه منه بها خطاياه؛ كما يحط الغصن من ورق الشجر، وتبتدره اثنتان من الحور العين، ويمسحان التراب عن وجهه، ويقولان: قد أنّى لك. ويقول: قد أنّى لكما. فَيُكْسَى مئة حلة، لو وُضِعَتْ بين إصبعي هاتين لَوسِعَتَاهُمَا، ليست من نسج بني آدم، ولكنها من نبات الجنة، مكتوبون عند اللَّه بأسمائكم وسماتكم» (٢٠) الحديث.

<sup>(</sup>١) بالألف المقصورة، وهو الصواب، وقد جاء بلفظ «آن لك» و«آن لكما» في رواية عند ابن الأثير في «أُسْد الغابة»، وهي رواية البزار.

<sup>(</sup>٢) قد جاء من طرق مرفوعة أحدها صحيح.

<sup>(</sup>٣) صحيح: رواه الطبراني من طريقين إحداهما جيدة صحيحة، والبيهقي في كتاب «البعث» قاله المنذري، ووافقه الألباني، وصَحِّح الحديث في «صحيح الترغيب والترهيب» و«السلسلة الصحيحة» (٢/٦) ص (٣٧٤) حديث رقم (٢/٦٧)؛ فقال: «رواه الطبراني من طريقين إحداهما جيدة صحيحة؛ كما قال المنذري (٢٩٥/١). وقال الهيشمي (٢٩٤/٥): ورجالها رجال الصحيح. قلت: أخرجه في «الكبير» (٢٢/٣٤، ٢٤٧) من طريقين؛ أحدهما عبد عبدالرزاق، وهذا في «المصنف» أخرجه في «الكبير» (٢٥/٥)، وهذا إسناد صحيح موقوف، لكن له طريق أخرى مرفوع» اهد. قال المنذري: «ورواه البزار والطبراني عن يزيد بن شجرة مرفوعًا ومختصرًا، وعن جدار أيضًا مرفوعًا، والصحيح الموقوف، مع أنه قد يُقَالَ: إن مثل هذا لا يُقَالُ من قِبَلِ الرأي؛ فسيل الموقوف فيه سبيل المرفوع، والله أعدم».

### السيوف مفاتيح الجنة»(١)

حن أنس ﷺ «أن رجلًا أسود أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني رجل منتن الريح، قبيح الوجه، لا مال لي، فإن أنا قابلت هؤلاء حتى أُقْتَلَ، فأين أنا؟ قال: «في الجنة»؛ فقاتل حتى قُتِلَ، فأتاه النبي ﷺ فقال: «قد بَيَّضَ اللَّه وجهك، وَطَيَّبَ ريحك، وأكثر مالك».

وقال لهذا أو لغيره: «فقد رأيت زوجته من الحور العين نازعته جبة له من صوف، تدخل بينه وبين جبته»(٢).

#### 🗖 ومن الشهداء من هو من ملوك الجنة:

وهو في أصحابه يريدون الغزو، فرفع الأعرابي ناحية من الخباء، فقال: مَنِ القوم؟ وهو في أصحابه يريدون الغزو، فرفع الأعرابي ناحية من الخباء، فقال: مَنِ القوم؟ فقيل: رسول اللَّه عَنْ وأصحابه يريدون الغزو. فقال: هل من عرض الدنيا يصيبون؟ قيل له: نعم، يصيبون الغنائم، ثم تقسم بين المسلمين. فعمد إلى بكر فاعتقله، وسار معهم، فجعل يدنو ببكره إلى رسول اللَّه عَنْ وجعل أصحابه يذودون بكره عنه فقال رسول اللَّه عَنْ : «دعوا لي النجديّ؛ فوالذي نفسي بيده إنه لمن ملوك الجنة». قال: فلقوا العدو، فَاسْتُشْهِدَ، فَأَخْبِرَ بذلك النبي عَنْ فَاتَاه فقعد عند رأسه مستبشرًا وقال: مسرورًا يضحك ـ، ثم أعرض عنه؛ فقلنا: يا رسول الله، رأيناك مستبشرًا تضحك، ثم أعرضت عنه؟! فقال: «أمًا ما رأيتم من استبشاري ـ أو قال: من سروري ـ؛ فَلِمَا رأيتُ من كرامة رُوحِهِ على اللَّه عَنْ ، وَأَمًا إعراضي عنه؛ فإن

<sup>(</sup>١) صحيح: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢/١٤٥/٧) وَصَحَّحَهُ الأَلباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٢٦٧٢).

<sup>(</sup>٢) صحيح: أخرجه الحاكم وقال: «صحيح على شرط مسلم»، وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» رقم (١٣٨١).

# زوجته من الحور العين الآن عند رأسه<sub>»(۱).</sub>

ما ظنك بهذا الجزاء العظيم .. اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين.. نَصِيفُ الواحدة منهن خير من الدنيا وما فيها.. فما ظنك بصاحبة الشال وربة الخمار؟!

ريحًا تهزُّ ذوائب الأغصان إنسان لا النغمات والأوزان مِنْ مثل أقمار على أغصان كالبدر ليل الست بعد ثمان والليل تحت ذوائب الأغصان ليل وشمس كيف يجتمعان وهما بثوب الوصل مشتملان من بعد فاطر<sup>(۲)</sup> يا أخا العرفان

قال ابن عباس ويرسل ربنا فتثير أصواتًا تَلذُ لمسمع الـ يا حسن ذياك السماع وطيبه والشمس تجري في محاسن وجهها والشمس تجري في محاسن وجهها فيظل يعجب وهو خالق ذاك من غاب الرقيب وغاب كل منغص وكذاك فُسِّرَ شغلهم في سورة هذا ـ واللَّه ـ النعيم:

دَع المصوغات من ماء وطين

واشغل هواك بحور عين

\* \* \*

اللَّه من قطرتين وأثرين؛ قطرة دموع من خشية الله، وقطرة دم تُهراق في سبيل الله، وأما الأثران؛ فأثر في سبيل الله، وأثر في فريضة من فرائض الله» (٣).

<sup>(</sup>١) حسن: رواه البيهقي بإساد حسن، قاله المنذري. وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٣٨٢): حسن.

 <sup>(</sup>٢) وهي قول الله ﷺ في يس : ﴿إِنَّ أَصْحَابَ ٱلْجَانَةِ ٱلْنَوْمَ فِي شُغُلِ فَاكِهُونَـ﴾ [يس: ٥٥]؛ أي:
 مشغولون بفض الأبكار.

<sup>(</sup>٣) حسن: رواه الترمذي وقال: «حديث حسن غريب»، وَحَسَّنَهُ الأَلباني في «صحيح الترغيب» رقم (١٣٧٦).

# ﴿ وَٱلَّذِينَ قُئِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَلَكُمْ ﴾ ﴿ وَٱلَّذِينَ قُئِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَلَكُمْ ﴾ [محمد: ٤]

# □ الشهداء تُجْرَى عليهم أجورهم بعد موتهم:

قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ وَٱلَّذِينَ قُلِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَلَكُمْ ﴾ [محمد: ٤]. قرأ أبو عمرو، وحفص، ويعقوب: ﴿ وَٱلَّذِينَ قُئِلُواْ ﴾.

وقرأ الباقوذ: ﴿والذين قاتلوا﴾.

قال ابن جرير الطبري (٢٦/١): «اختلف القرَّاء في ذلك؛ فقرأته عامة قُرَّاء الحجاز والكوفة: ﴿والذين قاتلوا ﴾ بمعنى: حاربوا المشركين وجاهدوهم ـ بالألف ـ، وكان أبو عمرو يقرؤه: ﴿وَالذَينَ قُلِلُوا ﴾ ـ بضم القاف وتخفيف التاء ـ؛ بمعنى: والذين قتلهم المشركون بالله. وأولى القراءات بالصواب قراءة مَن قال: ﴿والذين قالوا ﴾؛ لاتفاق الحجة من القُرَّاء وإن كان لجميعها وجوه مفهومة».

﴿ فَلَن يُضِلَّ أَعَمَٰلَهُم ﴾: أي فلن يجعل اللَّه أعمالهم التي عملوها في الدنيا ضلالًا عليهم كما أضل أعمال الكافرين.

وقال ابن كثير: «لن يذهبها؛ بل يكثرها، وينميها، ويضاعفها، وهنهم من يجري عليه عمله في طول برزخه»(١).

وقال ابن القيم: أي أنه لَا يُتْطِلُهَا عليهم ولا يترهم إياها (٢).

«هي أعمال مهتدية واصلة مربوطة إلى الحق الثابت الذي صدرت عنه، وانبعثت حماية له واتجاهًا إليه، وهي باقية من ثُمَّ؛ لأن الحق باقٍ لا يهدر ولا يضيع».

<sup>(</sup>١) تفسير ابن كثير (٦٢/١٣)، طبعة أولاد الشيخ.

<sup>(</sup>٢) شفاء العليل، لابن قيم الجوزية ص (١٦١).

رود قال رسول اللَّه ﷺ: «أربعة تَجْرِي عليهم أجورهم بعد الموت: مَنْ مات مرابطًا في سبيل الله، وَمَنْ عَلَّمَ عِلْمًا أُجْرِيَ له عمله ما مُحمِلَ به، وَمَنْ تصدق بصدقة فأجرها يجري له ما وُجِدَتْ، ورجل ترك ولدًا صالحًا فهو يدعو له» (١).

٧٠ وعن سلمان ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جَرَى عليه عمله الذي كان يعمله، وَأُجْرِيَ عليه رزقه، وَأُمِنَ الفَتَّان» (٢٠).

٧١ وعن فضالة بن عُبيد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «كل الميت يُخْتَمُ على عمله إلا المرابط؛ فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة، ويُؤَمَّنُ من فَتَّانِ القبر» واللفظ لأبي داود.

وفي لفظ آخر: «كل ميت يُخْتَمُ على عمله إلا الذي مات مرابطًا في سبيل الله، فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة، وَيُؤَمَّنُ من فتان القبر» (٣).

٧٢ وعن عقبة بن عامر شيئة قال: سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «كل ميت يُخْتَمُ على عمله إلا المرابط في سبيل الله، فإنه يُجْرَى له أجر عمله حتى يُبْعَثَ، وَيُؤَمَّنُ من فَتَّانِ القبر» (٤٠).

<sup>(</sup>١) حسن: أخرجه أحمد في «مسنده»، والطبراني في «الكبير» عن أبي أمامة، وَحَسَّنَهُ الألباني في «صحيح الحامع» رقم (٨٧٧)، و«صحيح الترغيب» (١١٠).

<sup>(</sup>٢) أخرجه مسدم (١٩١٣) واللفظ له، والسائي (٣٩١٦)، وأحمد (٤٤١/٥)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٣٨/٣)، والحاكم في «المستدرك» (٨٠/٢)، والبيهةي في الكبرى (٣٨/٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩٠/٥)، والبغوي (٣٥/١٠).

<sup>(</sup>٣) صحيح: أخرحه أبو داود (٢٥٠٠)، والترمذي (١٦٢١)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٣/ ١٠٢)، وسعيد بن منصور (٢٤١٤)، وابن حبان رقم (٤٦٠٥)، (٤٦٢٤)، والحاكم في «المستدرك» (٢٩/٢)، وأحمد في «المسند» (٢٠/٦)، والطبراني (٣١٢/١٨)، وَصَحَّحَهُ الحاكم، ووافقه الذهبي، وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٥٦٢).

<sup>(</sup>٤) **صحيح**: أخرجه أحمد في «مسنده» (١٥٠/٤ ـ ١٥٧)، والدارمي (٢٤٣٠)، والطبراني =

٧٣ وقال رسول الله ﷺ: «من مات مرابطًا في سبيل الله، أُجْرَى الله عليه عمله الصالح الذي كان يعمله، وَأَجْرَى عليه رزقه، وَأَمِنَ من الفتان، وبعثه الله يوم القيامة آمنًا من الفزع»(١).

كُلُّ وقال رسول اللَّه ﷺ: «من مات مرابطًا في سبيل الله، أُمَّنَهُ اللَّه من فتنة القبر»(٢).

#### 🗖 والذي يموت مرابطًا يموت شهيدًا:

قال ابن حجر: «ولابن حبان من حديث أبي هريرة: «من مات مرابطًا مات شهيدًا».

وأشار ابن حجر إلى أنه جيد في «فتح الباري» (٢/٦).

<sup>= (</sup>٣٠٨/١٧)، وابن عبدالحكم في «فتوح مصر» ص (٢٨٩)، وقال الهيثمي في المجمع (٢٨٩/٥): وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن. وَصَحَّحَهُ الأَلباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٥٦٢).

<sup>(</sup>١) صحيح: أخرجه ابن ماجه عن أبي هريرة، وأخرجه أبو عوانة، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانَي في الصحيح الجامع، (١) ٢٥٤٤).

 <sup>(</sup>٢) صحيح: أخره الطبراني في «المعجم الكبير» عن أبي أمامة، وكذا رواه في «الأوسط»، وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٥٤٥).

# هداية الله للشهداء

◘ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتَ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰ أُولَتَبِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۖ ۞﴾

اً قَالَ ـ تَعَالَى ـ: ﴿ وَالَّذِينَ قُلِلُوا ۚ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنَ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالْهُمْ ( اللَّهِ عَالَمُ اللَّهُ عَالَمُمُ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللَّاللَّهُ اللَّهُ اللَّالَّاللَّالِمُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّالَا ال

قال ابن جرير: «سيوفقهم اللهُ ـ تَعَالَى ذِكْرُهُ ـ للعمل بما يرضي».

وقال ابن القيم: «فيحتمل أن لا يكون من هذا (٢)، وتكون الهداية في الآخرة إلى طريق الجنة؛ فإنه رَتَّبَ هذا الجزاء على قتلهم، ويحتمل أن يكون منه، ويكون قوله: ﴿سَيَهُدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَاهَمُ ﴿ فَيَهُمُ الْحَارُا منه ـ سبحانه ـ عما يفعله بهؤلاء الذين قُتِلُوا في سبيله قبل أن يُقْتَلُوا، وأتى به بصيغة المستقبل إعلامًا منه بأنه يجدد له كل وقت نوعًا من أنواع الهداية وإصلاح البال شيئًا بعد شيء.

فإن قلت: فكيف يكون ذلك المستقبل خبرًا عن الذين قُتِلُوا؟!

قلت: الخبر قوله: ﴿فَلَن يُضِلَّ أَعْمَلُهُم ﴾؛ أي: أنه لا يبطلها عليهم ولا يترهم إياها، هذا بعد أن قُتِلُوا، ثم أخبر ـ سُبْحَانَهُ ـ خبرًا مستأنفًا عنهم أنه سيهديهم ويصلح بالهم لما علم أنهم سيقتلون في سبيله، وأنهم بذلوا أنفسهم له، فلهم جزآن: جزاء في الدنيا بالهداية على الجهاد، وجزاء في الآخرة بدخول الجنة، فيرد السامع كل جملة إلى وقتها؛ لظهور المعنى وعدم التباسه، وهو في القرآن كثير، والله

<sup>(</sup>۱) تفسیر ابن کثیر (۱۳/۱۳).

<sup>(</sup>٢) أي: من باب: أن الحسنة الثانية قد تكون من ثواب الحسنة الأولى.

أعلم» (١).

وقال عن هدايتهم في الآخرة: «فهذه هداية بعد قتلهم؛ فقيل: المعنى: سيهديهم إلى طريق الجنة، ويصلح حالهم في الآخرة بإرضاء خصومهم وقبول أعمالهم.

وقال ابن عباس: سيهديهم إلى أرشد الأمور، ويعصمهم أيام حياتهم في الدنيا. واستشكل هذا القول؛ لأنه أخبر عن المقتولين في سبيله بأنهم سيهديهم، واختاره الزجاج، وقال: يصلح بالهم في المعاش وأحكام الدنيا.

قال: وأراد به يجمع لهم خير الدنيا والآخرة وعلى هذا القول فلا بد من حمل قوله: ﴿ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ على معنًى يصح معه إثبات الهداية وصلاح البال»(٢٠).

قال أبو تراب النخشبي: «إذا صدق العبد في العمل وجد حلاوته قبل أن يعمله، فإذا أخلص فيه وجد حلاوته وقت عمله».

◘ كأنس بن النضر ﷺ؛ وجد ريح الجنة قبل أن يُقَاتِلَ:

عن أنس بن مالك عليه: «عمي أنس بن النضر - سُمِّيتُ بِهِ - لم يشهد بدرًا مع رسول اللَّه عليه؛ فقال: أول مشهد قد شهده رسول اللَّه عليه غبتُ عنه!! أما والله، لئن أراني اللَّه مشهدًا مع رسول اللَّه على ليرينَ اللَّه ما أصنع!!. قال: فَهَابَ أن يقول غيرها، فشهد مع رسول اللَّه على يوم أُحُد، من العام المقبل، فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: يا أبا عمرو، إلى أين؟ قال: وَاهًا لريح الجنة أجدها دون أحد!! فقاتل حتى قُتِلَ؛ فَوُجِدَ في جسده بضع وثمانون؛ من بين ضربة وطعنة ورمية. قالت عمتي الرُبيِّع بنت النضر: فما عرفت أخي إلا ببنانه. ونزلت

<sup>(</sup>١) شفاء العليل، لابن قيم الجوزية ص (١٦١).

<sup>(</sup>٢) شفاء العليل (٨٤، ٨٥).

هذه الآية: ﴿ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَنهَدُواْ اللَّهَ عَلَيْتُهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنَظِرُ وَمَا بَذَّلُواْ تَبَدِيلًا ﴾ (١)

الله فالشهادة سبق اختيار من الله . تَعَالَى .، والشهداء سبقت لهم الحسنى من ربهم:

٧٦ عن البراء طَنَّجُهُ قال: «أَتَى النبيَّ رَجلٌ وهو مُقنَّع بالحديد، فقال: يا رسول الله، أُقَاتِلُ أو أُسْلِمُ؟ قال: أَسْلِمْ ثم قَاتِلْ. فأسلم ثم قاتل؛ فَقُتِلَ؛ فقال رسول الله، يَالِيُّ: عَمِلَ قليلًا وَأُجِرَ كَثيرًا» (٢٠).

هم مُرادُ اللَّه قبل أن يُوجدوا .. منارات في سماء الهدى .. هداهم إلى طريق الجهاد وَمَنَّ عليهم بالشهادة.

## 🗖 ﴿ وَيُصْلِحُ بَالْهُمْ ﴾:

قال ابن كثير: «أي أمرهم وحالهم».

وقال ابن جرير الطبري: «يصلح أمرهم وحالهم في الدنيا والآخرة».

وقال ابن عباس: «سيهديهم إلى أرشد الأمور ويعصمهم أيام حياتهم الدنيا». وقال الزجاج: «يصلح بالهم في المعاش وأحكام الدنيا».

«يتعهدهم بإصلاح البال وتصفية الروح من بقية أوشاب الأرض، أو يزيدها صفاء؛ لتتناسق مع صفاء الملإ الأعلى الذي صعدت إليه، وإشراقه وسناه؛ فهي حياة مستمرة في طريقها لم تنقطع إلا فيما يرى أهل الأرض المحجوبون، وهي حياة يتعهدها الله ربها في الملإ الأعلى، ويزيدها هدًى، ويزيدها صفاء، ويزيدها إشراقًا، وهي حياة نامية في ظلال الله.

<sup>(</sup>١) صحيح: أخرحه الترمذي في «جامعه»، كتاب التفسير، وقال: حسن صحيح. والنسائي في «الكبرى»، وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الترمذي» رقم (٢٥٥٧)، وهو عند البخاري مختصرًا: أن هذه الآية نزلت في أنس بن النضر، وهو عند مسلم أيضًا.

<sup>(</sup>٢) أخرجه البحاري (٢٨٠٨)، ومسلم (١٩٠٠).

حفظ اللَّه عليهم الإيمان، وكتب في قلوبهم الإيمان، وأيدهم بروح منه، وأبقى لهم حسن الأحدوثة بعد مماتهم.. وظهرت عناية اللَّه وإكرامه لهم ولذويهم في الدنيا وبعد رحيلهم.. لقد نَمَّ ترابُ قبورهم عن إكرام اللَّه لهم، فَشُمَّ من قبر سعد بن معاذ صَيَّى المسك، وَشُمَّ من قبر أبي قريش العابد الطيِّب.

قال المغيرة بن حبيب: لما برز العدو، قال أبو قريش العابد عبدالله بن غالب: «على ما آسى من الدنيا؛ فوالله ما فيها للبيب جذل، ووالله لولا محبتي لمباشرة السهر بصفحة وجهي وافتراش الجبهة لك يا سيدي والمراوحة بين الأعضاء والكراديس في ظلم الليالي رجاء ثوابك وحلول رضوانك، لقد كنت متمنيًا لفراق الدنيا وأهلها، ثم كسر جفن سيفه، وتقدم فقاتل حتى قُتِلَ، فلما دُفِنَ أصابوا من قبره المسك، وكان الناس يأخذون من تراب قبره؛ كأنه المسك، ورآه رجل فيما يرى النائم فقال: يا أبا فراس، ماذا صنعت؟ قال: خير الصنيع. قال: إلام صرت؟ قال: إلى الجنة، قال: بم؟ قال: بحسن اليقين وطول التهجد وظمإ الهواجر. قال: فما هذه الرائحة الطيبة التي توجد من قبرك؟ قال: تلك رائحة التلاوة والظمإ» (١). وانظر كيف حمى الله جسد عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح بالدَّبْرِ ثم بالسير؟!

وكيف وارت الملائكة جثمان عامر بن فهيرة؟!

وكيف غسلت حنظلة بن أبي عامر وحمزة بن عبد المطلب؟!

وانظر كيف حفظ اللَّه أجساد شهداء أحد بعد طول العهد تتثنى أجسادهم وكأنهم ماتوا في التوِّ والحال وذلك في خلافة معاوية ﷺ!

ومنهم من يشم ريح الجنة قبل موته...!!

ومنهم من يطير مع الملائكة؛ كجعفر...!!

<sup>(</sup>١) مختصر قيام الليل، للسمرقندي ص (٢٩).

بل وانظر إلى حفظ النبي والصالحين لذويهم.. يضعون أكاليل الفخار فوق رءوسهم بما تتقطع دونه الأعناق علوَّ مكانة بين المسلمين.

يا حبيب، ما يبكيك.. أَمَا ترضى أن أكون أنا أبوك، وعائشة أمك؟!

عن بشر بن عقربة قال: استشهد أبي مع النبي في بعض غزواته، فَمَرَّ
 بي النبي على وأنا أبكي، فقال لي: «اسكت، أَمَا ترضى أن أكون أنا أبوك وعائشة أمك؟!»(١).

وعند ابن عساكر: «يا حبيب، ما يبكيك؟ أَمَا ترضى أن أكون أنا أبوك، وعائشة أمك؟!».

أي شرف وفخار أعظم من هذا وأعلى وأغلى؟! يقوله النبي ﷺ لابن شهيد.

## 🗖 «هذا منى وأنا منه» قالها ﷺ بعد استشهاد جليبيب:

وَسَلَّمَ ـ يُقَالُ له: «جليبيب» في وجهه دمامة، فعرض عليه رسول اللَّه عَلَيْهِ وآله فقال: إذًا تجدني كاسدًا!! فقال: «غير أنك عند اللَّه لست بكاسد» (٢).

٧٩ عن أبي برزة الأسلمي ﴿ الله على الأنصار، وكان أصحاب النبي ﴿ إذا كان لأحدهم أَيِّم لم يزوجها حتى يعلم أَلِلنَّبِي ﴾ فيها حاجة أم لا؟! فقال رسول الله ﷺ ذات يوم لرجل من الأنصار: زوجني ابنتك. فقال: نعم، ونعمة عين. فقال له: إني لست لنفسي أريدها!! قال: فَلِمَنْ؟ قال: لجليبيب. قال: حتى أَسْتَأْمِرَ أمها!! فأتاها فقال: إن رسول الله ﷺ يخطب ابنتك. قالت:

<sup>(</sup>١) صحيح: أخرجه البخاري في «التاريخ» (٧٨/٢/١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٧٧/٣)، وصَحَّحَهُ الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٣٢٤٩).

<sup>(</sup>٢) حسن: أخرجه أبو يعلى (٨٩/٦).

نعم، ونعمة عين زوج رسول الله ﷺ. قال: إنه ليس يريدها لنفسه. قالت: فَلِمَنْ؟ قال: لجليبيب. قالت: حَلْقَى (١) لجليبيب أنيه؟! مرتين، لا، لعمر الله، لا أزوِّجُ جليبيبًا!! قال: فلما قام أبوها ليأتي النبي ﷺ، قالت الفتاة لأمها من خدرها: مَنْ خطبني إليكما؟ قالت: النبي ﷺ. قال: فَتَرُدُونَ على النبي ﷺ أمره؟! ادفعوني إلى النبي ﷺ، فقال: شأنك بها، فزوجها النبي ﷺ، فقال: شأنك بها، فزوجها جليبيبًا "٢) ثم ذكر الحديث الآتي:

معزى له، عن أبي برزة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: «أن النبي كُلُّ كان في مغزى له، فأفاء اللَّه عليه؛ فقال لأصحابه: هل تفقدون من أحد؟ قالوا: نعم، فلانًا وفلانًا وفلانًا. ثم قال: هل تفقدون من أحد؟ قالوا: لا. قال: لكني أفقد جليبيبًا، فاطلبوه. فطلب في القتلى؛ فوجدوه إلى جنب سبعة قد قَتَلَهُمْ ثم قَتَلُوهُ، فَأَتَى النبيُ كُلُّ فوقف عليه؛ فقال: قتل سبعة ثم قتلوه، هذا مني وأنا منه، هذا مني وأنا منه. قال: فوضعه على ساعديه ليس له إلا ساعدا النبي كُلُّ ، قال: فحفر له، ووضع في قبره، ولم يذكر غسلًا (٣).

والله، إن نعيم الدنيا كله لا يساوي معشار هذه الكلمات التي تتطاير لجلالها الأرض وزخرفها وما عليها.

قال ثابت عن زوجة جليبيب: فما في الأنصار أَيِّمٌ أنفق منها!!.

<sup>(</sup>١) أي: حلقه الله؛ يعني: أصابه وجع في حلقه، وهذا دعاء عليه.

<sup>(</sup>٢) صحيح: أخرجه أحمد (٤٢٢/٤، ٤٢٥)، وابن حبان (موارد/ ٢٢٦٩).

وباقي القصة: قال إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة لثابت: أتدري ما دعا لها به النبي ﷺ ؟ قال: وما دعا لها به النبي ﷺ ؟ قال: وما دعا لها به النبي ﷺ ؟ قال: «اللهم، صُبَّ عليها الخير صبًّا صبًّا، ولا تجعل عَيْشَهَا كدًّا كدًّا».

<sup>(</sup>٣) أخرجه مسلم (٢٤٧٢)، وأخرجه أحمد (٢٢/٤، ٤٢٥) بالقصة التي ذكرناها قبل هدا الحديث، والنسائي في «فضائل الصحابة» (١٤٢).

#### 🔲 «ليتني كنتُ صاحبَ اللحد»:

قالها عبداللَّه بن مسعود ضَيُّتُه لَمَّا رأى الكرامة التي نَالَهَا عبداللَّه بن عبد نهم ذو البجادين ضَيَّتُه.

(حلاً من مزينة ـ وهو ذو البجادين ـ يتيمًا في حجر عمه، وكان محسنًا له، فبلغ عمَّهُ أنه أسلم؛ فنزع منه كل شيء أعطاه حتى جرَّدَهُ من ثوبه، فأتى أمه فَقَطَعَتْ له بجادًا لها باثنتين، فآثر نصفًا، وارتدى نصفًا، ثم أصبح؛ فقال له النبي على: أنت عبدالله ذو البجادين؟ فالتزم بابي. فلزم بابه، وكان يرفع صوته بالذكر؛ فقال عمر: أمُرَاءِ هو؟! قال: بل هو أحد الأوّاهين».

قال التميمي: وكان ابن مسعود يحدث قال: قمتُ في جوف الليل في غزوة تبوك، فرأيتُ شعلة من نار في ناحية العسكر فاتبعتها؛ فإذا رسول اللَّه ﷺ وأبو بكر وعمر، وإذا عبداللَّه ذو البجادين قد مات، فإذا هم قد حفروا له ورسول اللَّه ﷺ في حفرته، فلما دفناه قال: اللهم، إني أمسيتُ عنه راضيًا، فَارْضَ عنه»(١).

فقال ابن مسعود: «ليتني كنتُ صاحبَ اللحد».

مرك وعند ابن سعد: «فلما خرج النبي الله الله الله الله الذع لي الشهادة. فربط النبي الله على عضديه لح سَمُرة (٢)، وقال: اللهم، إني أَحُرِّمُ دمه على الكفار. فقال: ليس هذا أردتُ!! قال النبي الله إذا خرجتَ غازيًا فأخذتك الحمى فقتلتك فأنت شهيد، أو وقصتك (٣) دابتك فأنت شهيد. فأقاموا

<sup>(</sup>۱) انظر: رسالة «الأولياء» من كتاب «مجموعة الرسائل، لابن أبي الدنيا» ص (۱۱۹)، والحلية (۱/ ٣٦٥)، والحلية (۱/ ٣٦٥)، والإصابة (۳۸/۲). قال ابن حجر: رواه البغوي بطوله من هذا الوجه، ورحاله تقات إلا أن فيه انقطاعًا وهو كذلك في السيرة النبوية، وأحرجه ابن منده.

<sup>(</sup>٢) اللحاء . بكسر اللام .: القشر. والشَّمُرة: ضرب من شجر الصلح.

<sup>(</sup>٣) الوقص: كسر العنق.

بتبوك أيامًا ثم توفى».

رَضِيَ اللَّهُ عَنْكُمْ، لقد أتعبتم مَنْ بعدكم، وسبقتم على خيل ضمر، وتركتمونا على بغال عرجاء كَمَنْ تَحْمِلُ، سبقتمونا ولسان حالكم يقول:

إن كان عندكم كَرْمٌ بلا عنبِ إنا لدينا معًا التينُ والعِنْبُ أو كان أفقَكُمُ مزنٌ بلا سحبِ فالمزن في أفقنا حبلي به السحبُ(١) من عن أبي أمامة رضي قال: قال رسول الله على الفضل الشهداء من شفِكَ دمه، وعُقِرَ جواده (٢).

«الفتح أو الشهادة»(٣)؛ كما قاله الحافظ ابن حجر العسقلاني، بل الشهادة ـ والله ـ أعظم؛ فالشهداء أفضل ممن انتصر وعاد سالمًا.

٨٤ عن جابر ﷺ قال: قالوا: يا رسول الله، أي الجهاد أفضل؟ قال: «مَن عُقِرَ جواده وأُهْريقَ دمه»(٤).

م وعن عبدالله بن محبشِي الخنعمي ﷺ: «أن النبي ﷺ سُئِلَ: أَي الأعمال أفضل؟

قال: إيمان لا شك فيه، وجهادٌ لا غلول فيه، وحجة مبرورة.

قيل: فأي الصلاة أفضل؟

قال: طول القنوت.

(١) انظر: صفة الصفوة، لابن الجوزي (٦٧٨/١، ٦٧٩).

<sup>(</sup>٢) صحيح: أخرجه الطبراني في «الكبير»، وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١١٠٨)، و«السلسلة الصحيحة» رقم (١٥٠٤).

<sup>(</sup>٣) فتح الباري (٢٥/٦).

<sup>(</sup>٤) حسن: أخرجه أحمد (٢٠٠/٣)، وابن أبي شيبة (٢٩٠/٥)، وَحَسَّنَهُ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢٩٠/٥)، وَحَسَّنَهُ الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٢٥٥).

قيل: فأي الصدقة أفضل؟

قال: مجهد المُقِلِّ.

قيل: فأي الهجرة أفضل؟

قال: من جاهد المشركين بماله ونفسه.

قيل: فأى القتل أشرف؟

قال: من أُهْريقَ دمه وَعُقِرَ جواده»<sup>(١)</sup>.

٨٦ وعن عمرو بن عبسة ﷺ قال:

قال رجل: يا رسول الله، ما الإسلام؟

قال: أن يُسْلِمَ قلبك لله وَ الله وَ الله وَ الله عَلَيْ الله الله ويدك.

قال: فأي الإسلام أفضل؟

قال: الإيمان.

قال: وما الإيمان؟

قال: تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت.

قال: فأي الإيمان أفضل؟

قال: الهجرة.

قال: فما الهجرة؟

قال: تهجر السوء.

قال: فأي الهجرة أفضل؟

قال: الجهاد.

<sup>(</sup>۱) حسن: أخرجه أبو داود (۱٤٤٩)، والنسائي (۸٥/٥)، وأحمد (۱٤٢٣)، والدارمي (۱۳۳/۱). انظر: صحيح النسائي، للألباني رقم (۲۳٦٦)، و«صحيح أبي داود» (۱۳۸٦)، و«الصحيحة» رقم (۱۳۸۲).

قال: وما الجهاد؟

قال: أن تقاتل الكفار إذا لقيتهم.

قال: فأي الجهاد أفضل؟

قال: مَنْ عُقِرَ جواده وَأَهْرِيقَ دمه.

قال رسول اللَّه ﷺ: ثم عملان هما أفضل الأعمال إلا من عمل بمثلهما: حجة مبرورة أو عمرة (١).

# ﴿ وَمُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۞ ﴿

قال ابن كثير: «عرَّفهم بها وهداهم إليها».

قال مجاهد: «يهتدي أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم، وحيث قسم الله لهم منها، لا يُخطئون؛ كأنهم ساكنوها منذ خُلِقُوا، لا يستدلون عليها أحدًا».

وقال محمد بن كعب: «يعرفون بيوتهم إذا دخلوا الجنة؛ كما تعرفون بيوتكم إذا انصرفتم من الجمعة».

معيد الخدري: أن رسول اللَّه ﷺ قال: «إذا خَلَصَ المؤمنون من النار حُبِسُوا بقنطرة بين الجنة والنار يَتَقَاصُونَ مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذِّبُوا وَنُقُوا أُذِنَ لهم في دخول الجنة، والذي نفسي بيده، إن أحدهم بمنزله في الجنة أهدى منه بمنزله كان في الدنيا» (٢).

وقد مَرَّ بك في حديث أول ثلة يدخلون الجنة: «إن اللَّه صَّجَلَتٌ ليدعو يوم القيامة

<sup>(</sup>١) ر**جاله ثقات**: أخرجه أحمد في «المسند» (١١٤/٤)، والهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/١). ورجاله ثقات.

<sup>(</sup>٢) صحيح البحاري ـ كتاب المظالم ـ باب قصاص المظالم (٢٤٤٠)، كتاب الرقاق ـ باب القصاص يوم القيامة (٦٥٣٥)، وأخرجه أحمد (١٣/٣، ٥٧، ٦٣، ٧٤)، وعبد بن حميد (٩٣٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٨٦).

الجنة؛ فتأتي بزخرفها وزينتها؛ فيقول: أين عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وقُتِلُوا وَأُوذُوا وجاهدوا في سبيلي؟ ادخلوا الجنة فيدخلونها بغير حساب».

وهذا هو المعنى الثاني لتفسير هذه الآية ﴿عَرَّفَهَا لَمُمَّ ﴾: «طيبها لهم من العَرْف وهو طيب الرائحة» (١٠).

وذكره القرطبي، وهو أيضًا في «التحرير والتنوير» للطاهر بن عاشور.

# ﴿ وَٱلشُّهَدَآهُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾:

قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ وَاللَّذِينَ ءَامَنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ أَوْلَيْكَ هُمُ ٱلصِّدِيقُونَ ۗ وَٱلشُّهَدَاءُ عِندَ رَجِيمٌ لَهُمْ أَجُرُهُمْ وَنُورُهُمُ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَبُواْ بِعَاينَتِنَا أَوْلَتَإِكَ أَصْحَبُ ٱلْحَجَيْمِ لَهُمْ الْحَدِيدِ ﴾ [الحديد: ١٩].

قال ابن عباس: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِمِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلصِّدِيقُونَ ﴾ هذه مفصولة ﴿ وَٱلشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمُ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۚ ﴾.

وقال مسروق: هي للشهداء خاصة.

ثم قال ابن جرير بعد عرضه للأقوال: «والذي هو أولى الأقوال عندي في ذلك بالصواب قول من قال: الكلام والخبر عن ﴿ اللَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ مُتَنَاهِ عند قوله: ﴿ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِم ﴾ خبر مبتدإ عن ﴿ الشُّهَدَاءِ ﴾ ، وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال في ذلك بالصواب؛ لأن ذلك هو الأغلب من معانيه في الظاهر، وأن الإيمان غير موجب في المتعارف للمؤمن اسم شهيد، لا بمعنى غيره إلا أن يراد به شهيدًا على ما آمن به وَصَدَّقَهُ، فيكون ذلك وجهًا، وإن كان فيه بعض البُعْدِ؛ لأن ذلك ليس بالمعروف من معانيه إذا أُطْلِقَ بغير وصل.

فتأويل قوله: ﴿ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمُّ ﴾ إذًا: والشهداء الذين

<sup>(</sup>١) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للقمي النيسابوري على هامش تفسير الطبري (٢٨/١١).

قتلوا في سبيل اللَّه أو هلكوا في سبيله عند ربهم لهم ثواب اللَّه إياهم في الآخرة ونورهم». اهـ(١).

وأي ثواب أعظم من ثوابهم الذي مر بك؟!

وأي نور أعظم من نورهم؟!

وهم أول ثلة يدخلون الجنة، وقد قال رسول الله على: «أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والثانية على لون أحسن من كوكب دري في السماء»(٢) الحديث.

وقوله ﷺ: «أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين على أثرهم كأشد كوكب دري في السماء إضاءة...» (٣).

وهم سكان الغرف العلى من الجنة من أهل عليين...

إذا خرج الرجل منهم يسير في ملكه فما من خيمة في الجنة إلّا ودخلها من نور وجهه وطيب ريحه حتى يخرج أهل الجنة فيقولون: رجل من أهل عليين خرج يسير في ملكه...

نور الرجل منهم يضيء كل قصور وخيام الجنة التي عرضها السموات والأرض، فاختر لنفسك!!.

أنت القتيل بكل من أحببته فاختر لنفسك في الهوى من تصطفى

<sup>(</sup>١) تفسير الطبري (١١/١٣٤).

<sup>(</sup>٢) صحيح: أخرجه أحمد في «مسنده»، والترمذي عن أبي سعيد، وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٥٦٤).

<sup>(</sup>٣) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة.

# ﴿ وَرِضْوَانٌ مِنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾

مم عن أنس بن مالك على قال: «جاء ناس إلى النبي الله المناه البعث معنا رجالًا يعلمونا القرآن والسنّة. فبعث إليهم سبعين رجلًا من الأنصار يُقَالُ لهم: القرّاء -، فيهم خالي حرام، يقرءون القرآن، ويتدارسون بالليل يتعلمون، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه في المسجد ويحتطبون؛ فيبيعونه ويشترون به الطعام لأهل الصفة وللفقراء، فبعثهم النبي على فعرضوا لهم؛ فقتلوهم قبل أن يبلغوا المكان.

فقالوا: اللهم، بَلِّغْ عنا نبينا أنا قد لقيناك، فرضينا عنك، ورضيت عنا!! قال: وأتى رجل حرامًا خالَ أنس من خلفه فطعنه برمح حتى أنفذه؛ فقال حرام: فزت ورب الكعبة.

فقال رسول اللَّه ﷺ لأصحابه: إن إخوانكم قد قُتِلُوا، وإنهم قالوا: اللهم، بلِّغ عنا نبينا أنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا!! (''.

خرجوا من الدنيا وما نالوا منها ولا نالت منهم؛ فتم أجرهم، ونالوا
 الرضوان الأكبر:

٨٩ عن عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قال: قال رسول الله عَنْهُمَا ـ قال: قال رسول الله عَنْهُمَا ـ فازية فتغنم؛ تغزو في سبيل الله، فيصيبون الغنيمة؛ إلا تعجَّلوا ثلثي أجرهم من الآخرة، ويبقى لهم الثلث، فإن لم يصيبوا غنيمة تَمَّ لهم أجرهم "٢).

#### □ وبلفظ آخر:

<sup>(</sup>۱) أخرجه البخاري برقم ( ۲۸۰۱، ۲۸۱۵، ۳۰۹۵، ۴۰۹۵، ٤٠٩١، (٤٠٩٥)، ومسلم برقم (۲۷۷) واللفظ له ـ في الجهاد ـ باب ثبوت الجنة للشهيد، والبغوي (۳۷۹۰)، وابن حبان (٤٦٥١). (۲) رواه أحمد، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه.

٩٠ هما من غازية أو سرية تغزو فتغنم وتسلم إلا [كانوا قد] تعجلوا ثلثَيْ
 أجرهم، وما من غازية أو سرية تُخْفِقُ أو تُصَابُ، إلا تم أجرهم»..

انظر بربك إلى قول الصادق ﷺ: «تخفق» هذا عند أهل الدنيا، وعند الحق «تم أجرهم».. ورضوا عن ربهم ورضي عنهم ربهم.

#### 🗖 وأخيرًا إِنْ تصدق اللَّه يصدقك:

وَمَن به واتبعه، ثم قال: أهاجر معك. فأوصى به النبي بي بعض أصحابه، فلما كانت غزاة، غنم النبي الشيئا فقسم، وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، كانت غزاة، غنم النبي الشيئا فقسم، وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟ قالوا: قسم قسمه لك النبي الله فأخذه فجاء به إلى النبي الله فقال: ما هذا؟ قال: قسمتُ لك. قال: ما على هذا اتبعتك، ولكن اتبعتك على أن أُرْمَى إلى ههنا ـ وأشار إلى حَلْقِهِ ـ بسهم فأموت؛ فأدخل الجنة. فقال: إن تَصدُق الله يصدقك. فلبثوا قليلًا، ثم نهضوا في قتال العدو؛ فأتي به إلى النبي الله يُحمَلُ قد أصابه سهم حيث أشار؛ فقال النبي أهو هو؟!». قالوا: نعم. قال: صدق الله فصدقه. ثم كَفَّنَهُ النبي في في جبته التي عليه، ثم قَدَّمَهُ فصلى عليه وكان مما ظهر من صلاته: «اللهم، هذا عبدك خرج مهاجرًا في سبيلك، فَقُتِلَ شهيدًا، أنا شهيد على ذلك»(١)..

وانظر إلى صورة عظيمة من صور الصدق في طلب الشهادة نختم بها: «يا خيل الله اركبي»...

قالها الصادق الزاهد الصوَّام الشهيد شهيد غزاة أذربيجان عمرو بن عتبة بن فرقد السلمي العظيم الشأن.

<sup>(</sup>١) صحيح: رواه النسائي، وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٣٣٦).

قال عمرو بن عتبة بن فرقد: «سألتُ اللَّه ثلاثًا فأعطاني اثنتين، وأنا أنتظر الثالثة: سألته أن يزهِّدني في الدنيا فما أُبَالِي ما أَقْبَلَ وما أَدْبَرَ، وسألته أن يُقَوِّيني على الصلاة فرزقني منها، وسألته الشهادة فأنا أرجوها.

واشترى ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ فرسًا بأربعة آلاف درهم فَعَنَّفُوهُ، يَسْتَعْلُونَهُ، فقال: ما خطوة يخطوها، يقومها إلى الغزو إلا وهي أحبُّ إليَّ من أربعة آلاف (١٠).

قال عنه مولاه: «كنا نخرج إلى العدو فلا نتحارس؛ لكثرة صلاته، ورأيته ليلة يصلي، فسمعنا زئير الأسد؛ فهربنا وهو قائم يصلي لم ينصرف!! فقلنا له: أَمَا خِفْتَ الأسد؟! فقال: إنى لأستحيى من الله أن أخاف شيئًا سواه!!»(٢).

عن علقمة قال: «قطع عمرو بن عتبة جبة بيضاء فلبسها وقال: والله، إن تَحَدَّرُ الله على هذه حسن. فَرُمِيَ؛ فرأيتُ الدمَ يَتَحَدَّرُ على المكان الذي وضع يده عليه؛ فمات (٣٠٠).

وعن عبدالرحمن بن يزيد قال: خرجنا في جيش فيهم علقمة، ويزيد بن معاوية النخعي، وعمرو بن عتبة بن فرقد، ومعضد. قال: فخرج عمرو بن عتبة وعليه جبّة جديدة بيضاء، فقال: ما أحسن الدم يتحدّر على هذه!! فخرج فتعرض للقصر؛ فأصابه حجر؛ فشجّه، قال: فَتَحَدَّرَ عليها الدم ثم مات منها فدفناه، ولما أصابه الحجر فشجّه، جعل يلمسها بيده ويقول: إنها صغيرة وإن الله يبارك في الصغير!!»(٤).

قال ابن عَمِّ لعمرو بن عتبة: نزلنا في مرج حسن، فقال عمرو بن عتبة: ما أحسن هذا المرج، ما أحسن الآن لو أن مناديًا ينادي: يا خيل اللَّه اركبي، فخرج رجل، وكان في أول من لقي، فأصيب ثم جيء به فَدُفِنَ في هذا المرج، قال: فما

<sup>(</sup>١) صفة الصفوة (٦٩/٣).

<sup>(</sup>٢) المصدر السابق ص (٧٠).

<sup>(</sup>٣) ، (٤) صفة الصفوة (٧١/٣).

كان بأسرع من أن نادى مناد: يا خيل اركبي. فخرج عمرو في سرعان الناس<sup>(۱)</sup> في أول من خرج، فأتى عتبة فأخبر بذلك، فقال: عليَّ عَمْرًا، عليَّ عمرًا. فأرسل في طلبه فما أُدرِك حتى أصيب.

فما أراه دُفِنَ إلا في مركز رمحه وعتبة يومئذ على الناس (٢) هؤلاء هم الرجال: لا تقعدن لذكرنا في ذكرهم ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد لما مات عمرو بن عتبة، دخل بعض أصحابه على أخته فقال: أخبرينا عنه. فقالت: قام ليلة فاستفتح حمر ش فأتى على هذه الآية: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْاَرْفَةِ ﴾ [غافر: ١٨] الآية؛ فما جاوزها حتى أصبح (٣).

اللهم، إنك تعلم أنا نحب هؤلاء القوم ونشرف بذكر تراجمهم؛ ليتأسى بهم الناس، فارزقنا بعض صدقهم، وَمُنَّ علينا بصدق النية... نسألك باسمك الأعظم الذي إذا دُعِيتَ به أجبت أن ترزقنا أفضل الشهادة في سبيلك، تبيض بها وجوهنا، وتحسن بها خاتمتنا، إنك على كل شيء قدير.

# مَاذَا سَأَشْدُو

ماذا أُغَنِّي؟ والسَّمَاءُ بِقُدْسِهَا وَبِنُورها.. غَنَّتْ لهَمْ..؟!!

.. والأرض لَمَلَمَتِ العبيرَ وَضَمَّخَتْهُ بعاطرٍ من ذِكْرِهمْ
واللهُ قَرَّبَهُمْ وَمَدَّ العَرْشَ أَظْلَالًا لِرَفْرُفِ خُلْدِهِمْ.
وكَتَائِبُ الأَحْرَارِ شَدَّتْ في النِّضَالِ ضِيَاءَهَا مِنْ دَرْبِهِمْ
وخُطَا الشَّعوب تضلُّ إن لَمْ تَسْتَمِدَّ حَيَاتَهَا مِنْ خَطْوِهِمْ
عرفوا طَرِيقَ الخُلَّد فاتَّجَهُوا إِلَيْهِ وَعَانَقُوهُ بِعُمْرِهِمْ،

<sup>(</sup>١) سرعان الناس؛ أي: أوائلهم السابقون.

<sup>(</sup>٢)، (٣) صفة الصفوة (٢١/٣، ٧٢).

ويِرُوحهم، وبِسِرِّهِمْ

وبكلِّ ما حملَتْ مَنَابِتُ كَرْمِهِمْ.

وَبِكُلِّ مَا وَهَبِتُهُ أَقداحُ الحِياةِ لِدَمْعِهِمْ ولخمرهِمْ بالتُّور.. والأغْلال تَرْفُضُ ضَوْءَهُ - من عِزَّةٍ - عنْ لَيْلِهمْ بالحُبِّ.. وَالأعلال تنسخُهُ لَظِّي متأججًا منْ سُخْطِهِمْ بِالدُّم.. وهو النَّارُ عاطِشة مُدَمْدِمَةٌ لساعةِ تأرهِم بالحُلْم.. وَهُو تميمَةُ الجُبناء تَعجَزُ أَن تَطُوف بِلَيْلِهِمْ بِالرُّوحِ.. وَهْيَ الطَّائرُ الْجُرُّوحُ من غَيْظِ الترابِ بِأَرْضِهِمْ بِوُجُودِهِمْ.. وَوُجُودُهُمْ هَذَا التُّرابُ الحرُّ يَصْرُخُ تَحْتَهُمْ: إِنْ لَمَ أَكُنْ خُرًّا فَلَا دَاسَتْ عَلَى وَجْهِي عُرُوبَةُ وَجْهِهِمْ؛ رَدُّوا عليه بأَنْ سَقَوْهُ بكُلِّ آخر قطرَةٍ في كأسِهمْ بِدمائِهم، بِفدائهم، بِمَضَائِهِمْ قَطَفُوا الحياةَ بِمَوْتِهمْ واللهِ ما ماتوا.. ولا عَرَفَ الْبِلَي عِرْقًا يَجِفُ بَجَسْمِهُمْ عَرَفُوا طريقَ الخُلَّدِ فَاتَّجَهُوا إليه وَبَايَعُوهُ بعمرهمْ!! مَنْ هؤلاء؟ هُمُ الَّذين مَشَاعِلُ الإِنْسانِ تحمِلُ ضَوْءَهُمْ صَنَعُوا منَ الآجالِ مصباحًا عَرَفْتُ بِهِ أَشِعَّةَ شمسهِمْ.. فَعَرَفْتُهُمْ لَأَ رأيتُ العارَ تَغْسِلُهُ الدماءُ بِجُرْحِهمْ وَعَرَفْتُهُمْ.. لَمَّا رأيتُ الذُّلُّ يحصدهُ الإِباءُ بِكِبْرِهِمْ وَعَرَفْتُهُمْ.. لَمَّا رأيتُ اليأسَ بَدَّدَهُ اليقينُ بِعزمهمْ وَعَرَفْتُهُمْ.. لَمَّا رأيتُ الأرضَ ترفْعُ رأسْها من بأسَهِمْ وَبَكُلِّ يُومُ تَشْتَهِيهِمْ حاصدًا لِعَدُوِّهَا مِنْ تُرْبِهِمْ وَعَرَفْتُهُمْ.. لَمَّا رأيتُ كرامَةَ الأوطانِ تَهزجُ باسمهم

وَعَرَفْتُهُمْ.. لَمَّا اسْتَعْدَتُ وُجُودَ وَجْهَى في الْوَجُود يَيْومِهمْ قد كانَ ضاعَ وضَاعَ.. حَتَّى عَادَ يَمْتَشِقُ الإباءَ بِكَفِّهِمْ!! شَهداءُ تَخْشَعُ كُلُّ ذَرَّاتِ الْفضَاءِ لهالَةٍ مِنْ طُهْرهمْ وتميسُ راياتُ المعاركِ كلَّما نَشَقتْ مَعارجَ عِطْرهمْ كُلُّ البطولَةِ قطرَةٌ شِرَبَتْ رحيق مِضائها مِنْ بَحْرهِمْ كلُّ الثَّرى عَبْدٌ إذا لمْ يَرْشُقُوهُ بوَقْدَةٍ منْ جَمْرهمْ شهداءُ.. صَوْتُ الحقِّ جَلْجَلَ كالأذان مُحَلَّقًا من صَوْتِهمْ شهداءُ.. ريحُ النَّصر هَبَّتْ منْ لَظَي قَبَس اللَّظَي مِنْ صَدْرهِمْ ذبحوا أساطير الطُّغاة وَلَقَّنُوَهَا آيَةَ مِنْ دَرْسِهِمْ وَمَضَوًّا، وَيَمْضِي كلُّ يوم لِلْفَرَادِس زائرٌ مِنْ ركبهمْ حتَّى تُغَرِّدَ في التراب حقيقة تُشْجِي سرائرَ طَيْرهمْ!! حَيَيْتَهُمْ في كلِّ شِبْر أَهْلَكُوا فيه سَلَاسِلَ قَيْدِهِمْ وطرقتُ بابَ الحُلْدِ أَسأَلُ أيِّ رَوْض في الأرائكِ ضَمَّهُمْ؟ وَبِأَيِّ رِفْرِفِ جَنَّةٍ أَمْلاكُهَا وَطُيُورُهَا حَظيت بِهِمْ؟ فَعَلِمْتُ أَنَّ اللهَ كرَّمهم وَنعَّمَ بِالشهادةِ قربَهُمْ.. .. ماذَا أغنى؟ والسماءُ بقُدْسِهَا وبِنُورِها غَنَّتْ لهُمْ!! .. أَنَا إِنْ شَدَوْتُ فلَنِ أَكُونَ سِوَى صَدى لقصيدة من شِعْرهِمْ؟؟(١)

<sup>(</sup>١) قصيدة «موسيقا من الشهداء» من ديوان «موسيقا من السر»، لمحمود حسن إسماعيل (١٩٦٧ ـ ١٩٦٧) ـ الأعمال الكاملة، لمحمود حسن إسماعيل ـ دار سعد الصبّاح.

# الشهيد الكامل

«قال ابن الزملكاني: للشهيد الكامل المقتول في سبيل اللَّه شرائط وخصائص. فمن شروطه: أن يقاتل مخلصًا؛ ومعنى الإخلاص أن يُقاتِل لتكون كلمة اللَّه هي العليا، وهذا دليل على أن العمل إنما يكون بالنية الصالحة فيما يعتبر، وإذا لم تصح النية فلا أثر له، وهو دليل على أن الفضل الذي ورد في الجهاد وما أعدَّ اللَّه للمجاهدين مختص بمن قاتل لتكون كلمة اللَّه هي العليا، فمن قاتل لغير ذلك فليس في سبيل اللَّه ـ إن ذلك مقرون بالإخلاص واللَّه أعلم به فإنه من أفعال القلوب.

ومن شرائط الشهادة الكاملة: أن يُقاتل صابرًا محتسبًا مقبلًا غير مدبر فذلك هو السعيد الكامل «().

## فضل الشهادة أرفع من فضل العلم في قول جَمْع من أهل العلم:

ترغيبًا في جهاد أهل الطغيان بحدِّ السيف والسنان، وإعلام بالتربية بما تحصل به التصفية بما يؤدي إليه مناصبة الكفار، ومقارعة أهل دار البوار، وجمعًا بين الأدلة قال بعض أهل العلم: فضل الشهادة أرفع من فضل العلم، وإليه ذهب جمع فاحتجوا له بما منه:

م أن العلم يحصله العبد في الحياة الدنيا؛ ليتقرب إلى الله زلفى، والأجر في الآخرة يلقى، والشهادة تحصل للعبد عند خروج روحه من بدنه، فهي ثواب الله الذي لا يبلغ أحدٌ أقصى أمده.

فالعلم مثاب عليه والشهادة من الثواب، وفي تفاضل الثواب والمثاب عليه نظر لا يخفى على أولي الألباب.

<sup>(</sup>١) فيض القدير (١٨٣/٤).

- وأيضًا فالشهادة درجة عند الله - شبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، والعلم يحصله العبد في الدنيا؛ ليكمل به عمله وإيمانه، والشهادة متى اتصف بها العبد حصلت له الدرجة العالية بيقين.

«والعلم قد يتصف به من لا يكون من المتقين؛ فيرجع علمه وبالاً عليه ولا يرغب بحق فيما لديه.

ولأن الشهادة اسم مدح في كل حال، والمتصف بها مخصوص بالأجر الذي لا تنقطع دونه الأماني وتنتهي إليه الآمال.

والعلم في نفسه ينقسم إلى محمود ومذموم، والمتصف بالممدوح مثاب ومرحوم.

والتحقيق أنه: لا يمكن إطلاق القول بتفضيل العلم ولا الشهادة، وأن ذلك لا يقاس بتفضيل عبادة على عبادة»(١).

<sup>(</sup>١) فيض القدير (١٨١/٤).

# الشهداء وأنواع الشهادة

قال المناوي في «فيض القدير» (١٧٩/٤) : «قد التقط ابن العماد الشهداء من الأحبار ونظمها فقال:

> من بعد حمد الله والصلاة خذ عدَّة الشهداء سردا نظما محب آل المصطفى ومن نطق وذو اشتغال بالعلوم ثم مَنْ ومن يمت فجاءة أو حريق لديغ أو مسحور أو مسموم أكيل سبع عاشق مجنون ومن بذات الجنب أو ظلمًا قُتِلْ أو دِينِ أَوْ في الحربِ أو مات به وجالب يبيع سعر يومه كذا الغريب أو بعين أوقرا ومسن يسلازم وتسره وورده وفي هذا النظم أسباب صحيحة للشهادة وأخرى غير صحيحة.

على النبي وآله العلاة واحفظ هديت للعلوم فهما عند إمام جائر بقول حق عملى وضبوء موتمه نبال المنن ومائله بلغيله غريلق أو عطش بجرعة مألوم والنفسا والهدم والمطون أو دون مال أو دم أهل نُقِلْ مؤذن محتسب لربه أو مات بالطاعون بين قومهِ أواخر الحشر بها نال الذرا عند الضحى والصوم حتم سعده

قال ابن حجر في «فتح الباري» (٥١/٦): «إن الشهادة لا تنحصر في القتلي، بل لها أسباب أخر، وتلك الأسباب اختلفت الأحاديث في عددها؛ ففي بعضها خمسة، وفي بعضها سبعة، والذي وافق شرط البخاري الخمسة، فَنَبُّهَ بترجمة على أن العدد الوارد ليس على معنى التحديد» انتهى. وقد اجتمع لنا من الطرق الجيِّدة أكثر من عشرين خصلة (١)، ووردت أحاديث أخرى في أمور أخرى

<sup>(</sup>١) ذكر منها «موت الغريب» وقد نُوزعَ فيها.

لم أُعَرِجْ عليها لضعفها.

قال ابن التين: هذه كلها ميتات فيها شدَّة، تفضَّل اللَّه على أُمَّة محمد عَلَيْ بأن جعلها تمحيطًا لذنوبهم، وزيادةً في أجورهم، يبلِّغهم بها مراتب الشهداء. قلت: والذي يظهر أن المذكورين ليسوا في المرتبة سواء. ويدلُّ عليه أن النبي عَلَيْ سُئل: أي الجهاد أفضل؟ قال: «من عقر جواده وأُهريق دمه».. ويتحصَّل مِمَّا ذُكِرَ في هذه الأحاديث أن الشهداء قسمان:

- (١) شهيد الدنيا.
- (٢) وشهيد الآخرة: وهو من يقتل في حرب الكفار مُقبلًا غير مدبر، مخلصًا. وشهيد الآخرة ـ وهو من ذُكِرَ ـ بمعنى أنهم يُعطون من جنس أجر الشهداء، ولا تجري عليهم أحكامهم في الدنيا».
  - 🗖 ها نحن نورد أسباب الشهادة وأنواعَهَا:
    - ١٠ القتل في سبيل الله في ميدان الجهاد.

#### ٢- الطاعون:

عن أنس ضَطِّهُ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «الطاعون شهادة لكل مسلم»(١).

وعن عائشة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ قالت: سألت رسول اللَّه ﷺ عن الطاعون؟ فقال: «كان عذابًا يبعثه اللَّه على من كان قبلكم، فجعله اللَّه رحمة للمؤمنين، ما من عبد يكون في بلد يكون فيه، ويمكث لا يخرج صابرًا محتسبًا، يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب اللَّه له، إلا كان له مثل أجر شهيد» (٢).

وعن أبي عَسيب مولى رسول اللَّه ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «أتاني جبرائيل

<sup>(</sup>١) رواه البخاري في الجهاد ـ باب الشهادة سبع سوى القتل (١/٦) (٢٨٣٠)، ومسلم (٢٢٣٠).

<sup>(</sup>٢) رواه البخاري.

التَّكِيُّلُا بالحمى والطاعون؛ فأمسكتُ الحمى بالمدينة (١)، وأرسلت الطاعون إلى الشام، فالطاعون شهادة لأمتي، ورجز على الكافر»(٢).

وعن أبي منيب الأحدب قال: خطب معاذ بالشام فذكر الطاعون فقال: «إنها رحمة ربكم، ودعوة نبيكم، وقبض الصالحين قبلكم»، اللهم اجعل على آل معاذ نصيبهم من هذه الرحمة. ثم نزل عن مقامه ذلك، فدخل على عبدالرحمن بن معاذ، فقال عبدالرحمن ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَبِّكَ فَلاَ تَكُنُ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿ اللَّهُ مِنَ ٱلصَّامِرِينَ ﴾، فقال معاذ: ﴿ سَتَجِدُنِ إِن شَاءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّامِرِينَ ﴾ (٣).

وذُكِر الطاعون عند أبي موسى فقال: سألنا عنه رسول اللَّه ﷺ فقال: «وَخْزُ أَعدائكم الجن، وهو لكم شهادة» (٢٠).

<sup>(</sup>١) لعلَّ هذا كان في أول هجرته ﷺ إلى المدينة؛ فإنه قد صَعَّ أن النبي ﷺ دعا بنقل الحمى إلى الجحفة كما جاء في أحاديث... راجع «فيض القدير».

<sup>(</sup>٢) صحيح: روّاه أحمد، والطبراني في «الكبير»، ورواة أحمد ثقات مشهورون، قاله المنذري، وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الترغيب» برقم (١٤٠١). الرجز: العذاب.

<sup>(</sup>٣) صحيح: رواه أحمد بإسناد جيد، قاله المنذري، وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣): صحيح.

<sup>(</sup>٤) الوَخْر: هو الطعن لكن ليس بنافذ، كذا قَيَّده أهل اللغة الجوهري وغيره. أفاده الناجي.

<sup>(</sup>٥) صحيح: رواه أحمد بأسانيد أحدها صحيح، قاله البزار، ورواه أبو يعلى، والنزار، والطبراني في «الكبير» عن أبي موسى، وكذا رواه الطبراني في «الأوسط» عن ابن عمر، وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الترغيب» رقم (٤٢٣١).

<sup>(</sup>٦) حسن صحيح: رواه الحاكم (٥٠/١) وقال: «صحيح على شرط مسلم»، وقال الألباني في «صحيح الترعيب» (١٤٠٤): «حسن صحيح».

وكذا أخرجه أحمد (١٣/٤)، وابن خزيمة في كتاب التوكل من «صحيحه»، واللفظ له، والطبراني كما في «بذل الماعون» ص (١١٦). قال الحافظ ابن حجر في «بذل الماعون» ص (١١٨): «فالمتن بهذه الطريق صحيح بلا ريب، والله اعلم».

وعن أبي بردة بن قيس أخي أبي موسى ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «اللهم الجعل فناء أمتي قتلًا في سبيلك بالطعن والطاعون» (١٠).

وقال رسول اللَّه ﷺ: «يختصم الشهداء والمتوفَّوْن على فرشهم إلى ربنا في الذين يتوفوْن من (٢) الطاعون، فيقول الشهداء: إخواننا، قُتِلوا كما قُتِلنا، ويقول المتوفَّوْن على فرشهم: إخواننا ماتوا على فرشهم كما متنا. فيقول ربُّنَا: انظروا إلى جراحهم، فإن أشبهت (٣) جراحهم جراح المقتولين، فإنهم منهم ومعهم، فينظرون إلى جراح المطعونين، فإذا جراحهم قد أشبهت جراح الشهداء، فيلحقون بهم» (٤).

وعن عائشة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «لا تفنى أمتي إلا بالطعن والطاعون». قلت: يا رسول الله! هذا الطعن قد عرفناه، فما الطاعون؟ قال: «غدَّة كغدّة البعير، المقيم بها كالشهيد، والفارُ منها كالفارِّ من الزحف» (٥٠).

وقال رسول الله ﷺ: «وخزة تصيب أمتي من أعدائهم من الجن كغدة الإبل، من أقام عليها كان مرابطًا، ومن أصيب به كان شهيدًا، ومن فرَّ منه كان كالفارِّ من

<sup>(</sup>۱) إسناده حسن صحيح: أخرجه أحمد (۲۳۷/۳)، وأبو إسحاق الحربي في «غريب الحديث»، كما في «بذل الماعون» ص (۱۲۱)، وابن أبي عاصم في «كتاب الجهاد» (۱۸/۱»: ٩ الحديث»، كما في «الأحاد والمثاني» له (٤٠٠/٤: ٣٠٠٣)، والدولايي في «الكنى» (۱۸/۱)، وابن حبان في «ثقاته» (۳۵/۳)، والطبراني في «الكبير» (۲۲/۲/۲»: ۷۹۲، ۷۹۳)، والحاكم (۹۳/۲)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (۹۸/۲)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (۸۶/۲).

وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣٣٦/٢): «رواه أحمد بإسناد حسن»، وقال الألباني في «صحيح الترغيب» (١٤٠٥): حسن صحيح.

<sup>(</sup>٢) في صحيح الترغيب والترهيب: «في».

<sup>(</sup>٣) في صحيح الترغيب والترهيب: «جراح المقتولين فإنهم منهم ومعهم، فإذا جراحهم قد أشبهت جراحهم».

<sup>(</sup>٤) حسن صحيح: أخرجه أحمد في «مسنده»، والنسائي عن العرباض بن سارية، وقال الألباني في «صحيح الجامع» برقم (١٤٠٧).

<sup>(°)</sup> حسن لغيره: رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني، وقال الألباني في «صَحيح الترغيب والترهيب» (١٤٠٨): حسن لغيره.

الزحف»<sup>(۱)</sup>.

وعن عائشة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ قالت: قلت: يا رسول الله! هذا الطعن قد عرفناه، فما الطاعون؟ قال: «يشبه الدمل، يخرج في الآباط والمراقِّ<sup>(۲)</sup>، وفيه تزكية أعمالهم، وهو لكل مسلم شهادة»<sup>(۳)</sup>.

وعن جابر بن عبداللَّه ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قال:

سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول في الطاعون: «الفار منه كالفار من الزحف، ومن صبر فيه كان له أجر شهيد»(٤).

وعن عتبة بن عبد في عن النبي على قال: «يأتي الشهداء والمتوفون بالطاعون، فيقول أصحاب الطاعون: نحن شهداء، فيقال: انظروا فإن كانت جراحتهم كجراح الشهداء تسيل دمًا كريح المسك، فهم شهداء، فيجدونهم كذلك»(°).

#### ٣- الغرق:

قال رسول الله ﷺ: «الغريق في سبيل الله شهيد»<sup>(٦)</sup>.

## ٤ - المرأة تموت بجُمْع:

أي: ماتت في شيء مجموع فيها غير منفصل عنها من حمل أو بكارة.

<sup>(</sup>١) حسن لغيره: رواه أبو يعلى، وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٤٠٨): حسن لغيره.

<sup>(</sup>٢) (الْمَرَاقُ): ما رَقُّ من أسفل البطن وَلَانَ، ولا واحد له، وميمه زائدة؛ كذا في «النهاية».

<sup>(</sup>٣) حسن لغيره: أخرجه البزار، وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٤٠٨): حسن لغيره. وَخَرَّجَهُ في «الصحيحة» (١٩٢٨).

<sup>(</sup>٤) صحيح لغيره: رواه أحمد والبزار والطبراني، وقال المنذري في «الترغيب»: وإسناد أحمد حسن. وقال الألباني في «صحيح الترغيب»: صحيح لغيره.

<sup>(</sup>٥) حسن صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» بإسناد لا بأس فيه، قاله المنذري، وأخرجه أحمد (١) ١٣٤)، وَحَشَنَهُ الحافظ في «الفتح» هو وحديث العرباض (١٩٤/١٠)، وقال الألباني في «صحيح الترغيب» (٤٠٧): حسن صحيح.

<sup>(</sup>٦) صحيح: رواه البخاري في «التاريخ» عن عقبة بن عامر، وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٧٣).

#### ٥ الهدم:

صاحب الهدم الذي يموت تحت الأنقاض.

#### ٦- الحرْق.

#### ٧- المجنوب:

هو المريض بذات الجنب، وهي التهاب غلاف الرئة.

عن جابر بن عتيك على قال: قال رسول الله على: «... وما تعدون الشهادة»؟ قالوا: القتل في سبيل الله. فقال النبي على: «إن شهداء أمتي إذن لقليل، القتل في سبيل الله شهادة، والمطعون شهادة، والمرأة تموت بجُمْع شهادة، والغرق، والحرق، والمجنوب شهادة» (١).

#### ٨ الشل:

عن عبادة بن الصامت ضيطته قال: قال رسول الله عَلَيْنَ: «السَّل شهادة» (٢٠). ٩- المبطون:

المبطون هو صاحب داء البطن، وهو الإسهال. وقال القاضي عياض: هو الذي به الاستسقاء وانتفاخ البطن. وقيل: هو الذي يموت بداء بطنه مطلقًا.

وعن عبادة بن الصامت على قال: قال رسول الله على: «القتل في سبيل الله شهادة، والطاعون شهادة، والبطن شهادة، والغرق شهادة، والنفساء شهادة» (أك. وقال رسول الله على: «الطاعون والغرق والبطن والحرق والنفساء شهادة الأمتى» (٤).

<sup>(</sup>١) صحيح: رِواه ابنِ ماجه، وَصَحَّحَهُ الأَلباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٠٩٦).

<sup>(</sup>٢) صحيح: أخرجه أبو الشيخ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانيَ في الصَّحيح الجَامع، برقم (٣٦٩١).

<sup>(</sup>٣) صحيح: رواه أحمد، والصَّياء، وَصَحَّحَهُ الصَّياءُ، والأَلبانيُّ في «صحيح الجامع» رقم (٤٤٣٨).

<sup>(</sup>٤) صحيح: رواه أحمد، والطبراني في «الكبير»، والضياء في «المختارة» وَصَحَّحَهُ، وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٩٥٠).

وقال على: «الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله؛ المقتول في سبيل الله شهيد، والمطعون شهيد، والغريق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمبطون شهيد، وصاحب الحريق شهيد، والذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجمع شهيدة (۱) (۲).

وعن أبي هريرة عَلَيْهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «الشهداء خمسة: المطعون، والمبطون، والغريق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله» (٣).

وقال رسول اللَّه ﷺ: «البطن والغرق شهادة» (٤٠).

# • 1 ـ من افترسه السبع:

عن ابن قانع، عن ربيع الأنصاري صَحَيَّة قال: قال رسول اللَّه عَيَّة «الطَّعْن، والطاعون، والهدم، وأكل السبع، والحرق، والبطن، وذات الجنب ـ شهادة "(°).

١١- النفساء شهيدة:

وعن راشد بن حبيش عَلِيَّتُه، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**القتل في سبيل اللَّه** 

<sup>(</sup>١) أي: تموت وفي بطنها ولد، أو من الولادة.

<sup>(</sup>٢) صحيح: أحرحه مالك، وأحمد، وأبو داود (٣١١١)، والنسائي (١٣/٤ - ١٨٤٦)، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم، وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٧٣٩).

<sup>(</sup>٣) أخرجه مالك، والبخاري، ومسلم، والترمذي.

<sup>(</sup>٤) صحيح: أخرجه الطبراني في «الأوسط» عن أبي هريرة، وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٨٨٨).

<sup>(</sup>٥) صحيح: قال الألباني: «أورده المذري في «الترغيب والترهيب»، والهيثمي من رواية الطبراني دون قوله: «أكل السبع»، وجعل مكانه: «والنفساء بجمع شهادة». وقالا: ورجالهم محتج بهم في الصحيح. وفقرة السبع لم أجد لها شاهدًا إلا من قول ابن مسعود موقوفًا عليه».

<sup>(</sup>٦) صحيح: رواه ابن عساكر في «تاريخه»، وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الجامع» (رقم ١٧٢٤).

شهادة، والطاعون شهادة، والغرق شهادة، والبطن شهادة، والحرق شهادة، والسُّل، والنُّفَساء يجرُّها ولدها بسررها إلى الجنة»(١).

وعن عبدالله بن بسر رضي قال: قال رسول الله ﷺ: «القتيل في سبيل الله شهيد، والمنقساء شهيدة»(٢).

وعن سعد بن أبي وقاص على قال: كنا عند بعض أصحاب محمد على يومًا في مرضة مرضها وهو مغمي عليه، فأقبل عليه النبي على فقال: «ما الذي كنتم فيه آنفًا؟»، قال: تذاكرنا الشهداء من هذه الأمة، ما نراه إلا من خرج بماله حتى يُقتَل. قال على: «إن شهداء أمتي إذًا لقليل، يستشهدون بالقتل، والطاعون، والغرق، والبطن، وموت المرأة مجمعًا، وموتها في نفاسها»(٣).

وعن سعد بن أبي وقاص رَفِيُهُ عن رسول اللَّه ﷺ قال: «يستشهدون بالقتل، والطعن، والغرق، والبطن، وموت المرأة جمعًا، وموتها في نفاسها»(٤).

١٢- منْ صُرِع عن دابَّته في سبيل الله.

١٣. مَنْ وَقَصَتْه فرسُه أو بعيرهُ وهو في سبيل الله.

٤ ١ ـ من لَدَغَتْه هامةٌ وهو في سبيل الله.

١٥ من فصل في سبيل الله فمات، أو مات على فراشه بأي حتف:
 عن عقبة بن عامر في الله عال وسول الله على: «مَنْ صُرع عن دابته فمات

<sup>(</sup>١) حسن: رواه أحمد، وَحَشَّنَهُ الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٤٣٩).

<sup>(</sup>٢) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير»، وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٤٤١).

<sup>(</sup>٣) إسناده صحيح ورجاله رجال الصحيحين: أخرجه الدورقي في «مسند سعد بن أبي وقاص» ص (٢١٢): ٢٧١) والبزار في «مسنده» (١٧١٩)، وهو في «كشف الأستار» (٢٨٦/٢: ٢٧١٩)، وحمزة السهمي في «تاريخ جرجان» ص (٣٧٥)، وابن أبي شيبة في «مسنده» (ق: ٢٦/ب)، وعبد بن حميد في «مسنده» (٢٦١٦: ٢٧٧/٢)، وابن حجر في «المطالب العالية» (١٩١١)،

<sup>(</sup>٤) إسناده صحيح، رجاله رجال الصحيحين: أخرجه ابن أبي شيبة في «مسنده»، وابن حجر في «المطالب العالية» (١٩٢٠).

فهو شهید»(۱).

عن أبي مالك الأشعري صَّلِينه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «من فصل في سبيل اللَّه فَات، أو قُتِل، أو وَقَصَتْه فرسُه أو بعيرُه، أو لدغتْه هامةٌ، أو مات على فراشه، بأيِّ حتْفِ شاء الله؛ فإنه شهيد، وإن له الجنة»(٢).

قال المناوي في «فيض القدير» (١٦٣/٦): «من صرع عن دابّته» في سبيل اللّه فمات «فهو شهيد»؛ أي: من شهداء المعركة إن كان سقوطه بسبب القتال، وعلى ذلك ترجم البخاري «باب فضل من صُرع في سبيل اللّه فمات فهو منهم»؛ أي: من المجاهدين، فلمّا كان الحديث ليس على شرطه، أشار إليه بالترجمة، وفي الباب ما رواه أبو داود والحاكم والطبراني عن أبي مالك الأشعري مرفوعًا. والصرع - كما في القاموس وغيره -: الطّرح على الأرض، وعلّة معروفة، والمراد بالحديث السقوط عن الدابة حال قتال الكفار بسبب أي وجه كان؛ إمّا بطرح الدابّة له، أو بعروض تلك العلّة في تلك الحالة عروضًا ناشعًا عن القتال، كأن أورثه شدّة الانفعال».

١٦ـ مَنْ قُتِلَ دون أهله.

١٧ـ مَنْ قُتِلَ دون ماله.

١٨- مَنْ قُتِلَ دون دمه.

١٩ مَنْ قَتِلَ دون دينه.

٢٠ مَنْ قُتِلَ دون مظلمته:

<sup>(</sup>۱) إسناده حسن: رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (۸۹۲: ۳۲۳/۱۷)، وأبو يعلى في «مسنده» (۳/ ۱۹۰ ، ۲۹۰)، وابن أبي عاصم في «الجهاد» (۲۷۸/۱۰: ۲۳۷)، والروياني في «مسنده»، وابن حجر في «المطالب العالية» (۱۹۱٦)، وقال الألباني في «الصحيحة» (۵۹/۵): إسناده حسن. وَصَحَّحَهُ في «صحيح الجامع» رقم (۲۳۳٦).

<sup>(</sup>٢) آسناده قوي: أخرجه أبو داود (١٩/٣: ٢٤٩٩)، والحاكم في «المستدرك» (٧٨/٢) وَصَحَّحَهُ، والبيهقي في «الكبرى» بنحوه (١٦٦/٩)، وَحَسَّنَهُ ابن حجر، والألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٤١٣).

وعن سعيد بن زيد ضَيِّتُهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَنْ قُتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد» (١٠).

وعن سويد بن مقرن ﴿ عَلَيْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللَّهُ ﷺ: «مَن قُتلَ دُونَ مَظْلَمَتِهِ فَهُو شَهِيد» (٢٠).

وعن ابن عمرو ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «من قُتل دون ماله مظلومًا دخل الجنة» (٢٠٠٠).

وعن ابن عمر ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَنْ أَتي عند ماله، فَقُوتل، فقاتل، فهو شهيد»(٤٠).

وقال رسول اللَّه ﷺ: «من قُتِل دون ماله فهو شهيد»(°).

عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: والذي بعث محمدًا بالحق لسمعتُ رسول اللَّه يقول: «من قاتل على ماله ـ أو مَالِ له ـ فقُتل، كان شهيدًا»<sup>(٦)</sup>. وقال رسول اللَّه ﷺ: «من قُتِل دون ماله مظلومًا فله الجنة»<sup>(٧)</sup>.

<sup>(</sup>۱) صحيح: رواه أحمد في «مسنده» (۱۹۰/۱)، والنسائي (۱۱۵/۱، ۱۱۲)، والترمذي (۱۱۸)، وار والترمذي (۱۶۱۸)، وأبو داود (۲۷۷۲)، والطيالسي (۲۳۳)، وأبو يعلى (۹۶۹)، والبيهقي (۱۸۷/۸)، وابن حبان. والخطيب في «تاريخه» (۸۱/۱۰)، وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الجامع» رقم (۲۶۵۰).

<sup>(</sup>٢) صحيح: رواه النسائي، والضياء في «المختارة» عن سويد بن مقرن، ورواه أحمد في «مسنده» عن ابن عباس، وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٤٤٧)، و«أحكام الجنائز» (٤٢).

 <sup>(</sup>٣) صحيح: رواه النسائي عن ابن عمرو، وَصَحْحَهُ الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٤٤٦).

<sup>(</sup>٤) صحيح: رواه ابن ماجه عن ابن عمر، وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٩٤٨). أُتي: أي: هوجم.

<sup>(</sup>٥) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم عن ابن عمرو، والترمذي وابن حبان عن سعيد بن زيد، والنسائي عن بريدة، وأبو يعلى في «مسنده» عن جابر بن عبدالله.

<sup>(</sup>٦) إسناده حسن: رواه ابن حجر في «المطالب العالية» (١٩١٢)، والبوصيري في «إتحاف المهرة» (٤/ ١٨١أ) من مسند إسحاق، وأحمد بن منيع، ولفظ الأخير: «مَنْ قُتِلَ دون ماله فهو شهيد».

<sup>(</sup>٧) صحيح: رواه النسائي عن ابن عمر، وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٤٤٦).

وقال ﷺ: «نِعْمَ المِيَّةُ أن يموت الرجل دون حقه» (١٠).

وقال رسول اللَّه ﷺ: «ما من مسلم يُظلَم مظلمة، فيقاتل فيُقتل، إلا قُتِل شهيدًا» (٢٠).

#### ٢١ لالمائد في البحر:

عن أم حرام ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «للمائِد أَجْرُ شهيدٍ، وللغريق أَجْرُ شهيدٍ، وللغريق أَجْرُ شهيدٍ،

وعن أم حرام ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «المائِدُ في البحر الذي يُصيبه الَقْيءُ له أجرُ شهيدٍ، والغريق له أجْر شهيدين» (٤).

قال المناوي في «فيض القدير» (٢٩١/٥): «للمائد»؛ أي: الذي يلحقه دوران رأسه من ريح البحر واضطراب السفينة، من مادة يميد: إذا دار رأسه «أجر شهيد، وللغريق أجر شهيدين» قال المظهر: هذا إن ركبه لنحو طاعةٍ؛ كغزوٍ وحجِّ، وطلب علم وكذا التجارة، ولا طريق له غيره، وقَصَدَ طَلَبَ القُوت لا زيادة ماله».

#### ٢٢ ـ سؤال الشهادة بصِدْق:

عن أنس ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَنْ طَلَبَ الشهادة صادقًا، أُعطيها ولو لم تُصِبْهُ» (°).

وعن سهل بن حنيف ضِّيَّة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «من سأل اللَّه الشهادة

<sup>(</sup>١) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، والترمذي عن أبي هريرة، وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٩٧)، و«السلسلة الصحيحة» رقم (٦٩٧).

<sup>(</sup>٢) صحيح: رواه أحمد عن ابن عباس، والنسائي عن سويد بن مقرن، وَصَحَّحَهُ الألباني في «أحكام الحنائز» ص (٤٢)، و«صحيح الجامع» رقم (٥٧٦٥).

<sup>(</sup>٣) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» عن أم حرام، ورواه أبو داود، والحميدي، وابن معين، والدولابي، وَصحَّحَهُ الألبابي في «صحيح الجامع» رقم (١٨٧).

<sup>(</sup>٤) صحيح: رواه أبو داود، وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح اجامع» رقم (٦٦٤٢).

<sup>(</sup>٥) رواه أحمد في «مسنده»، ومسلم.

بصدق، بلُّغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشهه (``.

وقال رسول اللَّه ﷺ: «مَنْ سأل اللَّه القتل في سبيل اللَّه صادقًا من قلبه، أعطاه اللَّه أجر شهيد، وإن مات على فراشه»(٢).

# ٣٣ـ مَنْ قام إلى إمام جائِرٍ، فأمرَهُ بمعروفٍ؛ فَقَتَلَهُ:

قال رسول اللَّه ﷺ: «سيِّدُ الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجلٌ قام إلى إمام جائر، فأمره ونهاه، فقتله (٣٠٠).

وقال رسول اللَّه ﷺ: «أحب الجهاد إلى اللَّه كلمة حق تُقَالُ لإمام جائر»<sup>(1)</sup>. عن طارق بن شهاب أن رجلًا سأل النبي ﷺ وقد وضع رجله في الغرز: أيُّ الجهاد أفضل؟ قال: «كلمة حق عند سلطان جائر»<sup>(٥)</sup>.

وعند ابن ماجه: عن أبي سعيد الخدري عَلَيْهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «أفضل الجهاد كلمة عَدْلِ عند سلطانِ جائر»(٦٠).

# ٤ ٢- الشريق:

قال ابن الأثير في «النهاية»: هو الذي يشرق بالماء فيموت.

قال ابن حجر في «الفتح» (٢/٦): «وللطبراني من حديث ابن عباس مرفوعًا: «المرء يموت على فراشه في سبيل الله شهيد».

<sup>(</sup>١) رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي.

 <sup>(</sup>٢) صحيح: رواه الترمذي، وأحمد، وابن حبان، والحاكم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، والدارمي
 عن معاذ، ورواه الحاكم عن أنس، وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٢٧٧).

<sup>(</sup>٣) **حسن**: رواه الحاكم والضياء عن جابر، وَحَسَّنَهُ الأَلباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٦٧٥).

<sup>(</sup>٤) حسن: رواه أحمد، والطبراني في «الكبير» عن أبي أمامة، وَحَسَّنَهُ الأَلباني في «صحيح الجامع» رقم (١٦٨). و«الترغيب» (١٦٨/٣).

<sup>(</sup>٥) رواه النسائي، وَصَحُحَهُ الألباني في «صحيح النسائي» رقم (٣٩٢٥)، و«صحيح سنن ابن ماجه» رقم (٤٠١٢).

<sup>(</sup>٦) صحيح: رواه ابن ماجه، وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» رقم (٢٠١١).

وقال ذلك ـ أيضًا ـ في المبطون، واللَّدِيغ، والغريق، والشريق، والذي يفترسه السبع، والخارِّ عن دابَّته، وصاحب الهدم، وذات الجنب».

#### ٢٥ ـ مَنْ تَرَدَّى من رءوس الجبال:

عن ابن مسعود على قال: «إن من يتردَّى من رءوس الجبال، وتأكله السِّباع ويغرق في البحار، لشهيدٌ عند الله»(١).

#### ٢٦ المتمسِّك بالسُّنة في وقت الفتن:

عن ابن مسعود ضَهِنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مَنْ ورائكم زمانَ صبرِ، للمتمسَّك فيه أُجْرُ خمسين شهيدًا منكم» (٢).

وعن عتبة بن غزوان أن رسول اللَّه ﷺ قال: «إن من ورائكم أيامَ الصبر، للمتمسَّك فيهنَّ يومئذِ بما أنتم عليه، أَجْرُ خمسين منكم». قالوا: يا نبيَّ الله، أوْ منهم؟ قال: «بل منكم» (٣).

# ٧٧ من دعا بدعوةِ يونس أربعين مرَّة في مرضه:

عن سعد بن مالك صَلَّى الله على الله على الله على الله على الله المحت الم

﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَننَكَ إِنِّ كُنتُ مِنَ ٱلظَّلِلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧]. فقال رجل: يا رسول الله، هل كانت ليونس خاصَّةً أم للمؤمنين عامَّةً؟ فقال رسول اللَّه

<sup>(</sup>١) إسناده صحيح: أخرجه عبدالرزاق في «المصنف»، كتاب الجهاد، باب في التسهادة (٢٦٩/٥)، موقوفًا بإسناد صحيح، والطبراني في «معجمه»، قال الحافظ في «الفتح» (٢/٦): إسناده صحيح، وأخرجه سعيد بن منصور في «سننه».

<sup>(</sup>٢) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» عن ابن مسعود، قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١/ ٢٦٨): «إسناده صحيح، ورجاله كلهم ثقات رجال مسلم»، وَصَحَّحَهُ في «صحيح الجامع» رقم (٢٣٣٤).

<sup>(</sup>٣) صحيح: صححه الألباني بشواهده في «الصحيحة» رقم (٤٩٤) (٢٦٨/١).

عَلَيْ: «**أَلَا تَسَمَع قُولَ اللَّه** وَجَلَّلْ: ﴿ وَنَجَيَّنَنَهُ مِنَ ٱلْغَيِّرِ وَكَذَلِكَ نُسْجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء :٨٨]».

وقال رسول اللَّه ﷺ: «أَيُّها مسلم دعا بها في مرضه أربعين مرة، فمات في مرضه ذلك، أُعطي أجر شهيد، وإن برأ، برأ وقد غُفر له جميع ذنوبه»(١).

٢٨ من أدَّى زكاة ماله طيِّب النَّفْس بها، فتُعُدِّي عليه في الحقِّ، فأخذ سلاحه فقاتل فقُتِل:

عن أُمِّ سلمة أن النبي ﷺ بينما هو في بيتها وعنده رجالٌ من أصحابه يتحدَّثون إذ جاء رجل فقال: يا رسول الله، كم صدقة كذا وكذا من التمر؟ قال رسول الله على «كذا وكذا من التمر».

فقال الرجل: إن فلانًا تعدَّى عليَّ، فأخذ مني كذا وكذا، فازداد صاعًا. فقال رسول اللَّه ﷺ: «فكيف إذا سعى عليكم من يتعدَّى عليكم أشدَّ من هذا التَّعدِّي؟!». فخاض الناس، وبهر الحديث حتى قال رجل منهم: يا رسول الله، إن كان رجلًا غائبًا عنك في إبله وماشيته وزرعه، فأدَّى زكاة ماله، فتُعدِّي عليه الحقُّ، فكيف يصنع وهو غائب؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «من أدَّى زكاة ماله، طيِّبةً بها نَفْسه، يريد به وجه اللَّه والدار الآخرة، لم يُغيِّب شيئًا من ماله، وأقام الصلاة وأدى الزكاة، فتُعدِّي عليه الحق، فأخذ سلاحه فقاتل فقُتِل، فهو شهيد» (٢).

# ٢٩- الموت بعد المواظبة على قيام رمضان:

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيت إن شهدت أن لا إله إلا اللَّه وأنك رسول الله، وصلَّيتُ الصلوات الخمس، وأدَّيتُ الزكاة، وصُمت رمضان

<sup>(</sup>١) أخرجه الحاكم في «المستدرك»، كتاب الدعاء (١/٠٠٥). وَصَحَّحَهُ، ووافقه الذهبي.

<sup>(</sup>٢) صحيح: أخرحه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط»، ولحاكم واللفظ له، كتاب الزكاة (٤٠٤/١)، ٤٠٥). وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين. وأقرَّهُ الذهبي، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح.

وقُمتُه، فممَّن أنا؟ قال: «من الصِّدِّيقين والشهداء»(١).

ولفظ ابن خزيمة: جاء رسول الله ﷺ رجلٌ من قضاعة فقال له: إنْ شهدتُ أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وصليتُ الصلوات، وصمت الشهر، وقمتُ رمضان، وآتيت الزكاة؟ فقال النبي ﷺ: «من مات على هذا كان من الصّديقين والشهداء».

قال ابن خزيمة: «استحقاق قائمة اسم الصديقين والشهداء، إذا جَمَعَ مع قيامه رمضان صيامَ نهاره، وكان مُقيمًا للصلوات الخمس، مؤدّيًا للزكاة، شاهدًا لله بالوحدانيَّة، مُقِرًّا للنبي ﷺ بالرسالة».

#### • ٣- موت الغريب:

أخرج ابن ماجه عن ابن عباس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «موت الغريب شهادة».

قال المناوي: «فيه الهذيل بن الحكم، قال في «الميزان»: قال ابن حبان والبخاري: منكر الحديث جدًّا، قال: ومن مناكيره هذا الحديث. قال ابن حجر في «المترجيح»: حديث ضعيف؛ لأنه ـ يعني ابن ماجه ـ أخرجه من طريق الهذيل بن الحكم عن ابن أبي روَّاد عن عكرمة، والهذيل قال البخاري: منكر الحديث، وزعم عبدالحق أن الدارقطني صححه، فتعقبه ابن القطان فأجاد. اهـ. وسبقه له البيهقي، فقال عقب تخريجه في «الشعب»: أشار البخاري إلى تفرُّد الهذيل به، وقال: هو منكر الحديث. اهـ.

وقال المنذري: قد جاء في أن موت الغريب شهادة جملة من الأحاديث، لا يبلغ شيء منها درجة الحسن. وزاد الديلمي بعد قوله ﷺ: «موت الغريب شهادة»: «وإنه إذا احتضر فرمى ببصره عن يمينه ويساره، فلم يَرَ إلَّا غريبًا، وذَكَرَ أهلهُ وولده

<sup>(</sup>١) صحيح: رواه البزار، وابن خزيمة وابن حبان في «صحيحيهما»، واللفظ لابن حبان، وَصَحَّحَهُ الأَلباني في «صحيح الترغيب» رقم (٩٩٣) و«التعليق على ابن خزيمة» رقم (٢٢١٢).

فيتنفَّس، فله بكل نَفَسٍ يتنفَّسه يمحو اللَّه عنه أَلْفَيْ أَلف سيئة، ويكتب له أَلفي حسنة». اهـ.

قال البغدادي: وهذا فيمن تغرَّب لقُربة أو مباحٍ؛ كتجارةٍ، فمات غريبًا متوحِّشًا عن مُؤانِسٍ متحسِّرًا في وحدته، مستسلمًا في نفسه، مسلِّمًا إلى ربه فيما نزل به، فهو شهيد؛ لصعوبة ما حلَّ به (۱).

وقال ابن حجر في «الفتح» (٥٢/٦): «وَصَحَّحَ الدارقطني من حديث ابن عمر: «موت الغريب شهادة»».

# ٣١ من مات مُرابطًا في سبيل الله:

قال ابن حجر: «ولابن حبان من حديث أبي هريرة: «من مات مُرابطًا مات شهيدًا»».

وأشار ابن حجر إلى أنه جيد في «فتح الباري» (٢/٦).

وعن سلمان أنه سمع النبي على يقول: «من مات مرابطًا في سبيل الله، أومن عذاب القبر، ونما له أجرُه إلى يوم القيامة (٢٠).

وقال ﷺ: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «من مات مرابطًا، أُجرِي عليه عملُه الذي كان يعمل، وأُومِن الفتَّان، ويُجرى عليه رزقه» (٣).

# ٣٣ـ مَنْ قَتَلَ الخوارج أو قَتَلَتْهُ الخوارج:

عن الفرزدق الشاعر، أنه سمع أبا هريرة وأبا سعيد، وسألهما فقال: إني رجل من أهل المشرق، وإن قومًا يخرجون علينا يقتلون من قال: لا إلا الله، ويؤمّنون من سواهم. فقالا لي: سمعنا النبي على يقول: «من قتلهم فله أجر شهيد، ومن قتلوه فله

<sup>(</sup>١) فيض القدير، للمناوي (٢٤٦/٦).

<sup>(</sup>٢) صحيح ابن حبان، وإسناده قوي.

<sup>(</sup>٣) إسناده صحيح. وفي الباب عن أبي هريرة عند ابن ماجه، والبزار، والمقصود: أجر عمله الذي كان يعمل في حياته من الطاعات.

أجر شهيدٍ»<sup>(١)</sup>.

هؤلاء الذين كفَّروا أهل الكبائر، وحَكَمُوا بخلودهم في النار، انظر كيف حكم النبي ﷺ بأن من قتلوه أو قتلهم يُغفر له ذنبه كلَّه إلا الدَّيْن... ألا سحقًا وبُعدًا للخوارج الذين قتلوا الصحابة.

أخرج يعقوب بن سفيان بسندٍ صحيح، عن حميد بن هلال، قال: حدَّثنا رجل من عبد القيس، قال: لحقت بأهل النهر فإني مع طائفة منهم أسير، إذ أتينا على قرية بيننا نهر، فخرج رجل من القرية مروَّعًا، فقالوا له: لا روع عليك. وقطعوا إليه النهر، فقالوا له: أنت ابن خبَّاب صاحب النبي ﷺ قال: نعم. قالوا: فحدِّثنا عن أبيك. فحدَّثهم بحديث: «يكون فتة، إن استطعت أن تكون عبد الله المقتول فكن». قال: فقدَّموه فضربوه عنقه، ثم دعوا شرِّيَّته وهي حُبْلَى، فبقروا عمًا في بطنها.

ولابن أبي شيبة: وإنهم بقروا بطنها، وكانوا مرّوا على ساقته، فأخذ واحدٌ منهم تمرةً فوضعها في فيه، فقالوا له: تمرة معاهدٍ، فيم استحللتها؟ فقال لهم عبدالله بن خبّاب: أنا أعظمُ حُرمةً من هذه التمرة. فأحذوه فذبحوه (٢).

## ٣٣ قَتْلُ الصبر:

وهو أن يُمْسَكَ بالرجل في غير معركة بغير حق؛ فَيُقْتَلُ ظُلْمًا.

عن عائشة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «قَتْلُ الصبر لا يَمُوُّ بِذِنب إلا محاه»(٣).

<sup>(</sup>١) سنده جيد: رواه الطبراني في «الأوسط»، وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٣١٦/١٢): بسند جيد.

<sup>(</sup>٢) فتح الباري (٢١٠/١٢).

<sup>(</sup>٣) حسن: أُخرَجه البزار عن عائشة، وَحَسَّنَهُ الألباني في «صحيح الجامع» (٤٣٦٠)، و«السلسلة الصحيحة» رقم (٤٣٦٠).

# أحاديثُ أُخَرُ من بستان السنة

قال رسول اللَّه ﷺ: «من أُريد ماله بغير حق فقاتل فقُتِل، فهو شهيد» (١٠.

وقال ﷺ: «قاتِل دون مالك حتى تحوز (٢) مالك، أو تُقتَل فتكون من شهداء الآخرة (٣).

وعن خالد بن عرفطة وسليمان بن صرد قالا: قال رسول اللَّه ﷺ: «من قتله بطنه لم يعذَّب في قبره ﴿٤٠٠ .

وعن عقبة بن عامر نظفي قال: قال رسول الله عَلَيْنِ : «الميت من ذات الجنب شهيد» ( ) .

وعن أبي هريرة على قال: قال رسول الله على: «ما تقولون في الشهيد فيكم؟» قالوا: القتل في سبيل الله. قال على الله فهو شهيد، والمبطون شهيد، والمطعون الله فهو شهيد، والمبطون شهيد، والمطعون شهيد، والمعون شهيد، والمعرف شهيد، والعريق شهيده (٦).

وعنه ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «من قتل في سبيل اللَّه فهو شهيد، ومن مات في مات في سبيل اللَّه فهو شهيد، ومن مات في

<sup>(</sup>۱) صحيح: رواه أبو داود، والترمذي، والنسائي عن ابن عمرو، وأخرجه أيضًا أحمد، وَصَحَّحَهُ الألباني في «الإروء» (۱۰۲۸)، و«صحيح الجامع» رقم (۲۰۱۱).

<sup>(</sup>٢) تحوز: تمتلكه.

 <sup>(</sup>٣) صحيح: رواه أحمد، والطبراني في «الكبير» عن مخارق، وَصَحَّحَهُ الألباني في «الإرواء» رقم
 (١٥٢٨)، و«صحيح الجامع» رقم (٤٢٩٣).

<sup>(</sup>٤) صحيح: أخرجه أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن حبان، وَصَحَّحَهُ الألباني في «أحكام الجنائز» (٣٨)، و«صحيح الجامع» (٦٤٦١).

<sup>(</sup>٥) صحيح: أخرجه أحمد، والطبراني في «الكبير»، وَصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الجامع» (٦٧٣٨)، والصحيحة» رقم (٢٣٧٢).

 <sup>(</sup>٦) صحيح: رواه ابن ماجه، وَصَحَّحَهُ الألباني في ٥صحيح الجامع، رقم (٦٠٢).

البطن فهو شهيد، ومن غرق فهو شهيد». رواه مسلم.

وأخيرًا من شهد له النبي ﷺ بالشهادة دون سبب ظاهرٍ من أسبابها:

عن يحيى بن عبدالحميد بن رافع بن حديج عن جدته ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ قالت: أصيب رافع بن حَدِيج عَلَيْ يوم أحد في ثندوته بسهم، فأتى رسولَ اللَّه عَلَيْ فقال: انزع السهم، فقال: «إن شئت نزعت السهم والقطنة (٢)، وإن شئت نزعت السهم واتركت القطنة وشهدت لك يوم القيامة أنك شهيد؟» فقلت: انزع السهم واترك القطنة، واشهد لي يوم القيامة أني شهيد، فقال: «نعم»، فنزع السهم وترك القطنة.

فعاش حياة رسول اللَّه عَيْقِي وأبي بكر، وعمر، وعثمان ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ـ، فلما كان زمن معاوية رضي اللَّهُ عَنْهُمَا ـ: إن مثل رافع بن خديج لا يُخرج به حتى يؤذن من حولنا من القرى، فجلس من الغد، فلما كان الغد أُخرِج، فبكت مولاة له على شفير القبر، فقال ابن عمر ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ: إن الشيخ لا طاقة له بعذاب اللَّه وَعَنِلُ من هذه السفيهة، أو كلمة نحوها»(٣).

اللهم يا رحمن، يا رحيم، يا ودود أسألك باسمك الأعظم أن تمنَّ عليَّ بأفضل

<sup>(</sup>١) صحيح: رواه النسائي، وَصَحَّحَهُ الأَلباني في ٥صحيح الجامع٥ رقم (٧١٢٤).

<sup>(</sup>٢) هكذا في جميع النسخ، ولعلها تصحيف، وفي «الإتحاف»: «قطبة»؛ والقطبة: هي نصل السهم؛ كما في «النهاية» (٧٩/٤)، و«كتاب السلاح، لأبي عبيد» ص (٢٦).

<sup>(</sup>٣) <u>إسناده حسن، ويرتقي متنه إلى الصحيح بمجموع شواهده:</u> رواه ابن حجر في «المطالب العالية» (٣) ( ١٩١٣)، والطبراني في «الكبير» (٢٣٩/٤) (٢٣٩/٤)، والباروري في «الصحابة»، ومن طريقه ابن منده، لكنه قال: «بسهم في سرته»، وأخرجه أحمد في «المسند» (٣٧٨/٦) بنحوه.

الشهادة في سبيلك.

وبعد هذه المقدمة الطويلة نأتي إلى تراجم فرسان النهار على مر الأيام والأزمان... وكثيرون ما نذكرهم لا يضيع أجرهم عند ربهم... إن لم نعرفهم وما ضرّهم إن لم نعرفهم - فإن الذي شرّفهم باختيارهم لنصرة دينه يعرفهم... وكفى بهذا شرفًا ورفعة.، وذلك ابتداءً من أول المجلد الثاني إن شاء الله تعالى

# فهرس الموضوعات

# فرسان النهار المجلد الأول

0	ـ اهداء اهداء اهداء
٧.	ي مُفَكِلُمْنَة
١.	🗆 «رُهْبَانُ اللَّيْل» وَ«فُرْسَانُ النَّهَارِ» هَذِهِ سِمَتُهُمْ:
11	🖵 وَقْفَةٌ مُهمَّةٌ
١,	🗖 وَوَقْفَةٌ أُخْرَى مُهِمَّةٌ
11	🗆 أما سفك دماء المسلمين فهو من أكبر الكبائر:
	الفصل الأول
	فُرْسَانُ النَّهَارِ لَمِاذَا؟
۱ ۹	🗖 فُرْسَانُ النَّهَارِ لِلَاذَا؟
44	🗖 فُرْسَانُ النَّهَارِ لِمَاذَا؟
	١_ أن الجهاد ذروة سنام الإسلام، وعلاة الهمم لا يرضون بالدون من
**	الأمور:
	٧- الاستجابة للنداء الرَّباني:
۲ ٤	
7 £	٣ـ الاستجابة للنداء الرَّباني:

٣- رد اعتداء المعتدين على المسلمين: ٤٨
🛘 بغداد عودي (شعر)۱۵۰
٧- إزالة الفتنة عن الناس حتى يستمعوا إلى دلائل التوحيد من غير عائق: ٢٠٠
٨- حماية الدولة الإسلامية من شر الكفار: ٢٨
٩ـ قتل الكافرين وإبادتهم ومحقهم:٧٠
<ul> <li>١٠ إرهاب الكفار، وإخزاؤهم، وإذلالهم، وإيهان كيدهم، وإغاظتهم: ٧٢</li> </ul>
١١ـ كَشْف المنافقين:
۱۲ـ تمحيص المؤمنين من ذنوبهم ومغفرتها ٧٤
١٣ـ تربية المؤمنين على الصبر والثبات، والطاعة وبذل النفس، وغير ذلك من
الفوائد التربوية:
١٤ ـ ولأن الجهاد أفضل العبادات بعد الإيمان:٥٧
١٥- الجهاد أفضل الأعمال على الإطلاق:٠٠٠
١٦ـ الجهاد لا يعدله شيء:
١٧- وهو أحب الأعمال إلى الله: ٧٦
١٨. المجاهد من أفضل الناس عند الله: ٧٧
١٩ـ الجهاد مذهب للهمِّ والغم:٧٧
٠ ٢ ـ طلبًا للدرجات العلى من الجنة: ٢٠٠٠
٢٦ـ طلبًا للشهادة، وهذا بيت القصيدة: ٢٦ـ طلبًا للشهادة،
٣٢- الحصول على الغنائم والسبي، وإن لها لموقعًا في النفس البشرية: ٨٢
٣٣ـ المجاهد في ضمان الله:
٢٤ المجاهدون وفد اللَّه يستجيب دعاءهم ويتولاهم بعنايته:٥٨
٣٥ـ الجهاد رفعة للأمة: ٨٥ ٨٥ ٨٥.
٢٦ - تحريم المجاهد الذي اغبرَّت قدماه في سبيل اللَّه على النار: ٨٦

٢٧ـ نكتب هذا خوفًا من النار واتقاء لغضب القوي الجبَّار: ٨٦.
٢٨- رفضًا للواقع البائس المرير رفضًا لهزيمة المسلمين: ٢٨٠
<ul> <li>٢٩ أمر الإسلام قائم بالكتاب والبأس الشديد</li></ul>
الجهاد ماضِ إلى يوم القيامة
٣٠ وأخيرًا: إحياءً للأمل وما أحلى الشعر في تصوير الأمل:٩٦
أخي يا بن الإسلام: ٩٩
وللفرسان أشدو
رفيق صلاح الدين هل لك عودة (شعر)١١٢٠
ي إلى الصابرين المتطلِّعين إلى فجر الإسلام الآتي١١٣
🖵 أمل أمل أمل أمل

# الفصل الثاني الجهاد في القرآن الكريم

الحث عليه وبيان ثوابه وفضله، والترهيب من تركه والنكوص عنه
□ فضل الجهاد والترغيب فيه والترهيب من تركه في القرآن الكريم . ١٢٣ ◘
١ ـ قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ يَكَأَيُّهُا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَكَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ ۚ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمِ يُحِيِّهُمْ
وَيُحِبُّونَهُۥ﴾ الآية [المائدة: ٤٥] ١٢٣
٧- قالَ - تَعَالَى -: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَانِتُلُونَ فِي سَبِيلِهِ ـ صَفًّا كَأَنَّهُ م بُنْيَنَ
مَّرَّصُوصٌ ﴾ [الصف: ٤]١٣١
🗖 وقفة مع آيات سورة الصف:
﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢- ٤]. ١٣٣
🗖 تجارة مع الله فيها غفران الذنوب، ودخول جنات عدن والنصر على

• • •	
١٣٦	الأعداء، ورضا الله:
لَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلَ أَدُلُّكُو عَلَىٰ تِجِنَرَةٍ نُنجِيكُمُ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ	٣ـ قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ بَثَاتُهُا ٱ
187	[الصف: ۱۰- ۱۳].
121	🗖 المجاهدون أنصار الله:
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ أَنصَارَ ٱللَّهِ ﴾ [الصف: ١٤] ١٤١	
صالحين، وثوابه عظيم في الدنيا، وحسن الثواب في	🗖 الجهاد سبيل النبيين وال
122	الآخرة
مِن نَابِي قَلَتُلَ مَعَهُم رِبِيْتُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي	<ul> <li>\$_ قال _ تَعَالَى _: ﴿ وَكَأْيِن</li> </ul>
، عمرانُ: ١٤٦- ١٤٨] ١٤٦	سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [آل
نِتِلْتُكُمْ فِي سَكِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمَّ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا	٥ـ قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ وَلَهِن قُ
مَ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ١٥٨ ﴾ [آل عمران: ١٥٧، ١٥٨]	يَجُمَعُونَ ۞ وَلَهِنَ مُتَّدِّ
101	
نَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَدِيلِ مِنكُم مِن ذَكٍّ أَوْ	
﴾ [آل عمران: ١٩٥]	
نَيِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَنْهَدُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ	٧- قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ وَأَلَّ
تُؤْمِنُونَ حَقَّا لَمُّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ١٧٤].	وَّنْصَرُوٓاْ أَوْلَتِهِكَ هُمُ ٱلْمُ
101	
نَ جَهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ شُبُكُنّا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۞﴾	٨ـ قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ وَالَّذِيرَ
101	[العنكبوت: ٦٩].
تُمُ سِقَايَةَ ٱلْحَاجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كُمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ	٩ قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ أَجَعَدُ
ٱللَّهِۚ لَا يَسۡتَوُونَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١٩، ٢٠].	ٱلْآخِرِ وَجَنْهَدَ فِي سَبِيلِ
100	
ْ يَسْتَوِى الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِينِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي	•
سِيمً والنساء: ٩٥، ٩٦] ١٥٨	سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُ

١١ - قال - تَعَالَى -: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا نُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَتُ ٱلسَّمَنوَتِ وَٱلْأَرْضَ
﴾ [الحديد: ١٦٠]
١٢ ـ قالْ ـ تَعَالَى ـ: ﴿ لَكِينِ ٱلرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكُم جَاهِدُواْ بِأَمْوَلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ
وَأُولَكِيكَ لَمُنْمُ ٱلْمَدِرَاتُ مِنْ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ ١٦٨
١٣- قَالَ - تَعَالَمَى -: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَنْهَدُوا فِي سَكِيلِ ٱللَّهِ
أُوْلَتِهِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيـمٌ ۞﴾ [البقرة: ٢١٨]. ١٦٨.
1. • ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّقُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا
يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِمِ عَن نَّقْسِدِّء [التوبة: ١٢٠] ١٦٩
<ul> <li>١٤ قال - تَعَالَى -: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ، ثُمَّ لَمْ بَرْتَابُواْ وَجَنهَدُواْ</li> </ul>
بِأَمْوَلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَكِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ١٥]١٧١
و 1 - قال - تَعَالَى -: ﴿ فَلْيُقَنْتِلْ فِي سَكِيكِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَاوَةَ ٱلدُّنْيَا
بِٱلْآخِرَةِ﴾ [النساء: ٧٤]
١٦- قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَـرُواْ فِي سَكِيبِلِ ٱللَّهِ ثُـمَّ قُتِــلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ
لَيَـرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًــا حَسَــنَأَ﴾ [الحج: ٥٩، ٥٩] ١٧٣
🗖 رَضِيَ اللَّهُ عَنْ أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان الذين بايعوا
رسول اللَّه ﷺ على عدم الفرار أو على الموت: ٢٧٥
١٧ ـ قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ
الفتح: ١٠]
١٨- وقَالَ ـ تَعَالَى ـ: ﴿ لَقَدْ رَضِي ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَابِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَة
🗖 كلمات أعطر من شذا الورد وأحلى من الشهد وأرق من نسيم
السحر
<ul> <li>الحض على القتال والأمر به في القرآن الكريم ۱۸۳</li> </ul>
<u>-</u>
🗖 مراحل تشریع الجهاد:

المرحلة الأولى:
المرحلة الثانية
المرحلة الثالثة
المرحلة الرابعة
١٩ ـ قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ وَقَاتِلُواْ فِي سَكِيلِ اللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعَسْتَدُوٓاً إِنَ اللَّهَ
لَا يُحِبُ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠-١٩٣] ١٩٧
٧٠- قال - تَعَالَى -: ﴿ فَلَيُقَاتِلَ فِي سَكِيكِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوْةَ ٱلدُّنْيَ
بِٱلْآخِرَةِ﴾ [النساء: ٧٤]
🗖 وقفات مهمة مع آية سورة النساء: ٢٠٦
٢١ ـ قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ فَقَائِلُ فِي سَلِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَّ
﴾ [النساء: ٤٨]
٢٧- قال - تَعَالَى -: ﴿ يَتَأَيُّهُا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَعُواً إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ
وَجَهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۞﴾ [المائدة: ٣٥]. ٢١٦. ٢١٦
٢٣-قال - تَعَالَى -: ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْمِيكُمْ ﴾
[الأنفال: ٢١٧]
٢٤- قال - تَعَالَى -: ﴿ وَقَائِلُوهُمْ حَتَىٰ لَا تَكُونَ فِتَنَدُّ وَيَكُونَ ٱلدِينُ كُلُّهُ لِلَّهِ
فَإِنِ ٱنتَهَوَّا فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ [الأنفال: ٣٩، ٤٠].
Y 1 ∧
<ul> <li>لَعِثَ النبي ﷺ بأربعة أسياف: ٢٢٠</li></ul>
٧٠- قال - تَعَالَى -: ﴿ فَإِذَا أَنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْخُرُمُ فَأَقَنْلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدَّتُمُوهُمْ
وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدِ [التوبة: ٥]. ٢٢١
<ul> <li>□ يا ليت قومي يوقنون بكلام الله، فما بعد قول الله من أقوال: ٢٢٣</li> </ul>
٢٦- ﴿ أَشْتَرُواْ بِعَايَتِ ٱللَّهِ ثُمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُواْ
يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ٩، ١٠]

٧٧ ـ قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ وَإِن نَّكُثُوا أَيْمَنَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِ دِينِكُمْ
فَقَنْلِلُوٓا أَبِيَّهَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا آَيْمَنَ لَهُمْ لَكَأَهُمْ يَنتَهُونَ ١٤].
<ul> <li>٢٨ قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ أَلَا ثُقَائِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ وَهَكُمُواْ بِإِخْرَاجِ</li> <li>ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَك مَرَّةً﴾ [التوبة: ١٣] ٢٣٦.</li> </ul>
الرسولِ وهم بد اولات مرم مرم المرب المرب الموجد الموجد المرب
وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمِ مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤، ١٥]. ٢٣٧ ٢٣٧
٣٠- قال - تَعَالَى -: ﴿ قَانِيْلُوا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ
مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتُبَ حَتَّى
يُعْطُوا ٱلْحِزْيَةَ عَن يَدِ وَهُمَّ صَلْغِرُونَ ۞ [التوبة: ٢٩]. ٢٣٩
🗖 اختلاف العلماء في قدر الجزية
🗖 يا ليت قومي يعلمون:
■ كيد اليهود وحربهم للمسلمين: ٢٤٩
٣١- قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ إِنَّ عِـدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِنَّا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَبِ ٱللَّهِ
يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَتُهُ حُرُمٌ ﴿ [التوبة: ٣٦]. ٢٥٥
٣٧ قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ آنفِ رُواْ خِفَافًا وَثِقَ اللَّا وَجَنِهِ دُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُهِكُمْ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمُ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞﴾ [التوبة: ٤١] ٢٥٨ . ٣٣ قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ يَتَأَيُّهُا ٱلنَّبِيُّ جَهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَافِقِينَ وَٱغْلُظَ عَلَيْهِمُ وَمَأْوَنِهُمْ
٢٣- قال - تعالى -: ﴿ يَتَابِهَا النَّبِي جَهِدِ الصَّفَارُ وَالْمَنْفِقِينَ وَاعْلَطُ عَلَيْهِم وَمَاوَلَهُمْ جَهَنَّمُ ۗ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿ ﴾ [التوبة: ٧٣، التحريم: ٩]. ٢٦٣ ٢٣٠
جهد والله عنه الله الله الله الله الله الله الله ال
وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: ١٢٣] ٢٦٥
🗖 دعوة إلى الثبات
٣٥. قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا لَقِيتُدُ فِئَكُ فَٱفْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ
كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ نُفُلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥- ٤٧] ٢٧٤

🖵 عوامل النصر وأسبابه کام النصر وأسبابه 🗀
٣٦- قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ۚ إِذَا لَقِيتُهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا رَحْفًا فَلَا تُولُّوهُمُ
ٱلْأَدْبَكَارَ﴾ [الأنفال: ١٥، ١٦]. أَأ ٢٨١
٣٧- قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُه مِن قُوَّةِ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرِّهِبُونَ
بِهِ، عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ [الأَنفال: ٦٠] ٢٩٠
🗖 والأحاديث الواردة في فضل ارتباط الخيل كثيرة: ۲۹۳
٣٨- قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ
صَنبِرُونَ يَغْلِبُو ْ مِأْنَايِنِ مِنْ اللَّهِ [الأنفال: ٦٥، ٦٦]
٣٩. قال - تَعَالَى -: ﴿ وَجَابِهِ دُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ ٱجْتَبَكُمْمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ
فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٌ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَهِيءً﴾ [الحج: ٧٨] ٣٠٩
🗖 الترهيب من النكوص عن الجهاد وتركه وذمُّ من يتشاغل عنه 📖 ٣١١
<ul> <li>٤- قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَ آؤَكُمْ وَأَبْنَآ أَوْكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَا جُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَلُـ</li> </ul>
ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَيَجِدَرُةُ تَخْشُونَ كَسَادَهَا وَمُسَدِكِنُ تَرْضُونَهَاۤ أَحْبَ إِلَيْكُمُ مِّن ٱللَّهِ
وَرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤]
13- وقال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ يَتَأَيُّهُا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ
لَيَأْ كُلُونَ أَمْوَلَ ٱلنَّـاسِ بِٱلْبَطِلِ﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥] ٢٣
٢ ٤- قال - تَعَالَى -: ﴿ يَكَأَيُّهُمَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُورَ إِذَا فِيلَ لَكُورُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ
ٱللَّهِ ٱثَّـاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [التوبة: ٣٨، ٣٩] ٢٧٠
٣٠٠ قِالٍ - تَعَالَى -: ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاَتَبَعُوكَ وَلَكِنَ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ
الشُّقَةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اَسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ [التوبة: ٤٢]. ٣٢٥
عَ ٤٠ قَالَ - تَعَالَى -: ﴿ لَا يَسْتَغَذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِدِ أَن يُجَنِّهِدُواْ
بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِمِمٌ مِنْ [التوبة: ٤٤، ٤٥] ٢٣٧٠.
وع- قال - تَعَالَى -: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَكَفُولُ ٱثْذَذَ لِي وَلَا نَفْتِنِيَّ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ
سَلَقُطُواً وَإِنَّ جَهَنَّكُ لَمُحِيطَةٌ بِٱلْكُفِينَ ١٤٥ [التوبة: ٤٩] ٣٢٩

ر سَانُ النَّهَارِ رَسَانُ النَّهَارِ	710		نرسَانُ النَّهَارِ
---------------------------------------	-----	--	--------------------

٤٦ـ قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَـنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَـنَا أَوَعَلَى ٱللَّهِ
فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١، ٥٣]٣٣٠
🗖 فَرْحُ الْخَلْفَينَ بَمْقَعَدُهُمْ خَلَافُ رَسُولُ الله، وَفَرَحَ المُؤْمَنِينَ بَالْجِهَادُ وَالشَّهَادَةُ
في سبيل الله:
٧٤. قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ فَرَحَ ٱلْمُخَلِّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَكَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا أَن يُجَاهِدُواْ
٧٤ ـ قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلِّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا لَا نَنفِرُوا فِي ٱلْحَرُّ قُلُ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ
كَانُواْ يَفْغَهُونَ ۞﴾ [التوبة: ٨١]. ٢٣١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
٤٨ ـ قال . تَعَالَى .: ﴿ وَإِذَآ أَيْزِلَتُ سُورَةٌ أَنَّ ءَامِنُواْ بِأَللَّهِ وَجَنِهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَعَذَّنَكَ
أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمُ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَنعِدِينَ﴾ [التوبة: ٨٦، ٨٧].
Ψτε
🗖 لا يستويان ولا يلتقيان:
🗖 بكاء الرجال حزنًا على حِرمانهم من الجهاد: ٣٣٧
<ul> <li>٩٤ ـ قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا</li> </ul>
أَخِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلُّوا ۚ وَأَعْيِهُمُ تَفِيضٌ مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾ [التوبة: ٩٦]. ٣٣٧.
ا فرحهم بالجهاد: ۴۳۸ ما فرحهم بالجهاد
• ٥ - قَالَ - تَعَالَى -: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ
[آل عمران: ۲۷۲- ۱۷۶] ۴٤٠. ٢٤٠
□ صورة أخرى وضيئة للموقنين الصادقين: ٢٤٥
١٥ ـ قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَخْزَابَ قَالُواْ هَلَاَ مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ
وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُمْ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا آبِيمَنَا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢،
T10
🗖 الجهاد اختبار وتمحيص لشرف أهله عند الله ۳۵۰
🔲 الجهاد منهج عجيب في التربية على التفويض والرضا باختيار
الله عَناه ٢٥٠

٧٥- قال - تَعَالَى -: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرَّهُ لَكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُواْ شَيْعًا
وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمُّ﴾ [البقرة: ١١٦]٣٥٠
٣ - قال - تَعَالَى -: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدُخُلُواْ ٱلْجَنَّكَةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثُلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِن
قَبْلِكُمْ مَّسَّتَهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّاهُ وَزُلْزِلُواْ ﴿ [البقرة: ٢١٤] ٥٥٣
٤٥- قال - تَعَالَى -: ﴿ إِن يَمْسَلُكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَدْحٌ مِّشْلُهُمْ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ
نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠، ١٤١] ٣٥٧
٤٥- قال - تَعَالَى -: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَلهكُواْ
مِنكُمْ وَيَعْلَمُ ٱلصَّدِينَ ۞﴾ [آل عمران: ١٤٢] ٣٦٠
٥٥- قال - تَعَالَى -: ﴿ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ ﴾ . ٣٦٢
ً ودرس قبل ذلك من حياة بني إسرائيل وآيات عالية المقام بعيدة
الغايات الغايات
٥٦- قال - تَعَالَى -: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَامِ مِنْ بَنِيَ إِسْرَةِ مِلْ مِنْ بَعْتِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُواْ لِنَبِي
لَهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلُ فِي سَكِيلِ ٱللَّهِ قَالَ هَلَ عَسَكِيْتُمْ إِن كُتِبَ
عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا لُقَاتِلُوا ﴿ ﴾ [البقرة: ٢٤٦_ ٢٥١] ٢٣٤
٧٥- قال - تَعَالَى -: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِيرَ عَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ تُحَكَّمَةُ
وَذُكِرَ فِهَا ٱلْقِتَـالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّــرَضُّ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَــرَ ٱلْمَغْشِيّ عَلَيْهِ
مِنَ ٱلْمُوْتِ [محمد: ٢٠ - ٢٣] ٣٧٣
٥٨- قال - تَعَالَى -: ﴿ وَلَنَبْلُونَكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ ٱلْمُجَهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّنبِينَ وَنَبْلُوا أَخْبَارَكُو
€ [محمد: ۳۱]
9 ٥- قال . تَعَالَى .: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضِرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَنْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا ٱلْوَتَاقَ
فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَلِمَّا فِلَآءً حَتَّى تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارِهَا ۚ﴾ [محمد: ٤٠] ٣٧٨
• ٦- قال - تَعَالَى -: ﴿ وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يَجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَالَمِينَ
€ العنكبوت: ٦]

<ul> <li>١٦ـ قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَنْفِرِينَ وَجَنْهِدْهُم بِهِ حِهَادًا كَبِيرًا ۞ ﴾</li> <li>[الفرقان: ٥٦]</li></ul>	
[الفرقان: ۲۰]	
۲ هـ قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوۤا إِن نَصُرُواْ اللَّهَ يَنصُرَكُمْ وَيُثَبِتَ أَقَدَامَكُمْ ۚ ۞ ﴿ ٢٨٠ قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوۤا إِن نَصُرُواْ اللَّهَ يَنصُرَكُمْ وَيُثَبِتَ أَقَدَامَكُمْ ۞ ﴿ ٢٨٧	
[محمد: ۷]	
[محمد: ۷]	
[البقرة: ۲۴٤]	
٦٤- قال - تعالى -: ﴿ فَدَ كَانَ لَكُمْ ءَايِهُ فِي فِئْسَتِينِ التَّقْتَا فِئَةً تَقَائِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ	
وَأُخْـرَىٰ كَـافِرَةٌ مَـ﴾ [آل عمران: ١٣] ٣٩٧	
وَأُخْـرَىٰ كَافِرَةُ مَـ﴾ [آل عمران: ٣١]	
ٱلطَّلْغُوتِ ﴾ [النساء: ٧٦]	
٦٦- قال - تَعَالَى -: ﴿ يُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ: آشِدَّآهُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَّآهُ بَيْنَهُمُّ تَرَعُهُمْ	
رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَنًا ﴾ [الفتح: ٢٩]	
٧٧- قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿فَلَا نَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى ٱلسَّلَمِ وَأَنتُدُ ٱلْأَعْلَوَنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَكَن يَتِرَكُرُ	
أَعْمَاكُمْ اللَّهِ اللَّهُ اللَّالِي اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللَّا الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللّل	
فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم: فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم:	
ومن الملائكة مقاتلون: ١٦٤	
<ul> <li>٦٨- قال - تَعَالَى -: ﴿إِذْ نَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَثَةِ ءَالَفِ مِنَ</li> </ul>	
ٱلْمُلَتَبِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٤- ١٧٧] ١٢٠	
٦٩- قال - تَعَالَى -: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَأَسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ	
ٱلْمُلَتَبِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ [الأنفال: ٩، ١٠]	
• ٧- قالَ - تَعَالَى -: ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَتِ كَذِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَيِّتُوا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا أَ سَأَلْقِي	
فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كُلُورُوا الرُّعَبِ ﴿ [الْأَنْفال: ١٢] ١٩٠	
النصر من عند اللَّه والمنة والفضل له: ٢٦٤	
٧١- قال - تَعَالَى -: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَةً ۚ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَكُمْ تَثَكُرُونَ	
€ [آل عمران: ۱۲۳]	

فرسَانُ النَّهَارِ	>
] وما رمیت إذ رمیت: گفتُمُ وَلَكِنَ اللهَ قَنْلَهُمْ وَلَكِنَ اللهَ قَنْلَهُمْ وَمَا رَمَیْتَ إِذْ رَمَیْتَ	j
وَلَكِمَ اللَّهُ رَمَى ﴾ [الأنفال: ١٧، ١٨]٢٢	
متى نصر الله:	
ملى كَرْ مُعَدَّدُ اللهُ لَهُ اللهُ عُنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓأَ إِنَّ ٱللّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانِ اللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانِ كَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلُّ خَوَّانِ كَاللهُ لَا يُحِبُ كُلُّ خَوَّانِ كَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلُّ خَوَّانِ كَاللهُ لَا يَعْمِثُ كُلُّ خَوَّانِ كَاللهُ لَا يَعْمِلُ لَا يُعْمِلُ لَا يَعْمِلُونِ لَهُ كُلُّ خَوَّانِ كَاللهُ لَا يَعْمِلُونُ لَا يَعْمِلُونُ لَا يَعْمِلُونُ لَكُونِ لَنِ لَا يَعْمِلُونُ لِللهُ لَا يَعْمِلُونُ لَكُونُ لِلللهُ لَا يَعْمِلُونُ لَا يَعْمِلُونُ لَا يَعْمِلُونُ لَا يَعْمِلُونُ لَا يَعْمِلُونُ لَا يَعْمُ لَا يُعْمِلُونُ لَللّهُ لَا يُعْمِلُونُ لَا يَعْمِلُونُ لَا يَعْمِلُونُ لَكُونُ لِلللهُ لَا يَعْمِلُونُ لَلْ لَا يَعْمِلُونُ لَكُونُ لِلللّهُ لَا يَعْمِلُونُ لَكُونُ لِلللّهُ لَا يَعْمِلُونُ لَكُونُ لِلللّهُ لَا يَعْمِلُونُ لَا لَهُ لِلللّهُ لَا يَعْمِلُونُ لَا لَهُ لِللللّهُ لَا لَا يَعْمِلُونُ لَا لِلللّهُ لَا لَا يَعْمِلُونُ لِلللّهُ لَا لِلللّهُ لَا لِلللّهُ لَا لِللللّهُ لِللللّهُ لِللللللّهُ لَا لِلللّهُ لِلللّهُ لَا لَا يَعْمُ لَا لِللللّهُ لَا لِلللللّهُ لِللللّهُ لِلللللّهُ لَا لِلللللّهُ لِللللللّهُ لِللللّهُ لَا لِلللللّهُ لَا لِلللللّهُ لِلللللّهُ لَا لَا لَا لِلللللّهُ لِللللللّهُ لِلللللّهُ لِللللللللّهُ لِلللللّهُ لَا لِلللللللللّهُ لِللللللللّهُ لِللللللللللللللللللللللللللللللللللل	
ی مراتب اًلجهاد	]
أعدى عدو لك نفسك التي بين جنبيك:	
٧٤ قال الله تعالى: ﴿قَانِلُوا ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم﴾	
الفصل الثالث	
الترغيب في الجهاد ذروة سنام الإسلام	
والترهيب من تركه في السنة المطهرة	
الترغيب في الجهاد ذروة سنام الإسلام والترهيب من تركه في السنة 🗔	]
المُطهرة المُطهرة المُعلم المُعلم المُعلم المُعلم المُعلم المُعلم المُعلم المُعلم المُعلم الم	
المبايعة على الجهاد أبدًا:	]
🗆 الجهاد من أحب الأعمال إلى الله: ٤٤١	]
🗆 الجهاد من أفضل الأعمال: ٤٤٣	]
🗖 تمنى النبي ﷺ للغزو والشهادة في سبيل الله وأي شرف فوق ما تمناه	)
النبي ﷺ:	
الجهاد باب من أبواب الجنة:	
المجاهد في سبيل الله كالصائم القانت: ٤٥١ ٤٥١	
الجهاد ذَرُوة سنام الإسلام:	

(119)	فرسَانُ النَّهَارِ
سيوف:	🔲 الجنة تحت ظلال ال
الأمة؛ كالصوم: كالصوم	🔲 الجهاد سياحة هذه ا
<b>£00</b> ::	الجهاد رهبانية الإسلاء
أفضل من الذي يعتزل الناس: ٤٥٦ ٤٥٦	المجاهد في سبيل اللَّه
مدها اللَّه للمجاهدين في سبيله:	في الجنة مئة درجة أ:
اللَّه وعونه وحمايته: ٤٦٠	المجاهدون في ضمان
، الجنة يُذْهِبُ اللَّه به الهم والغم:	الجهاد باب من أبواب
سبيل اللَّه خير من الدنيا وما فيها، وخير مما طلعت	الروحة والغدوة في س
٤٦٣	عليه وغربت:
لذين دعاهم فأجابوه وسألوه فأعطاهم: ٤٦٥	الغازي من وفد اللَّه ا
£77	عُلُوَّ درجة المجاهدين:
حَرِّهُ النار على المجاهد: ٤٦٦	الغبار في سبيل اللَّه يُـ
ه في سبيل الله: ٤٦٨	فضل من اغْبَرَّتْ قدم
سَّ عين المجاهد:	حرام على النار أن تم
£V1	عينان
وأجرها العظيم: ٤٧٢.	قيام ساعة في الصف
ن الثابت حبيب إلى الله: ٤٧٥	-
من ضحك اللَّه إليه فلا حساب عليه: ٤٧٦.	ويضحك اللَّه إليه، و
ي صبر بنفسه لله:	ويعجب ربك من الذ
امًا إلى الجنة بالسلاسل؛ فيعجب الرب ـ جَلَّ وَعَلَا ـ	المجاهدون يقودون أقو
له الكرُّيم ﷺ: ٤٧٨	ويعجب رسول الأ
الله المهاد:	أقب الحما السالَّه

فرسّانُ النُّهَارِ	
£AY	<ul> <li>الطائفة المنصورة طائفة مجاهدة:</li></ul>
£A0	□ فضل الرباط في سبيل الله:
£AV	☐ «رباط يوم وليلة أفضل من صيام شهر وقيامه». رباط عُبَّاد السلف:
ِخلفهم في أهلهم:	□ الترغيب في النفقة في سبيل اللَّه وتجهيز الغزاة و فضل النفقة في سبيل الله:
٤٩٧	🗖 من رمى بسهم وجبت له الجنة:
٤٩٧	<ul> <li>فتح أبواب السماء وإجابة الدعاء عند الصف:</li> </ul>
£9A	☐ المجاهد ضامن على الله:
£9A	الإسلام ثمانية أسهم:
يموت الإنسان ولم يحدث	🗖 الترهيب من التكاسل عن الجهاد وتركه، أو أن
٤٩٩	نفسه بالغزو:
سيد ولد عدنان ﷺ: ٠٠٠	<ul> <li>تَغَيُّرُ بني الزمان وحديث عظيم من أعلام نبوة سال الرابع</li> </ul>
مُلَّاثُ هُ دُلِ.	المنس الرابع إعْلَامُ النُّبلَاءِ بِفَصْل الشَّهَادَةِ
٥٠٩	<ul> <li>إِعْلامُ النُّبَلَاءِ بِفَصْلِ الشَّهَادَةِ وَالشُّهَدَاءِ</li> </ul>
	🗖 الشهيد ومعاني الشهادة:
	🗖 ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهُكَآءً﴾:
	لله ما أحلاها من كلمة!!
ى الجنَّة:	فَحَيَّهَالَا إن كنت ذا همة إلى الشهادة وبلوغ أعلم
017	لله در ابن القيم من امام رباني:

.

040.	الجر الشهادة ومنزلة الشهيد الشهيد المستحد الشهادة ومنزلة الشهيد
	تمنى الشهداء ـ دون غيرهم من المؤمنين ـ الرجوع إلى الدنيا للجهاد
01.	ُ في سبيل اللَّه مرة أخرى؛ لما علموا من عِظَم أجر الشهداء:
024.	ومن فضل الشهادة أنها الميتة التي تمنَّاها رسولَ اللَّه ﷺ وَنَالَهَا:
024.	ومن فضلها مشروعية سؤالها خلافًا للموت:
011.	ومن فضلها أنها تُكَفِّرُ ذنوب الشهيد التي بينه وبين الله:
٥٤٦.	الشهادة في سبيل اللَّه مُوجِبَةً لدخول الجنة:
٥٤٦.	تظليل الملائكة للشهداء بأجنحتها:
٥٤٦.	ومن الشهداء من يكون رفيقًا لرسول اللَّه ﷺ في الجنة:
0 £ V .	
٥٤٧.	عُلُوُّ منازل الشهداء في الجِنَّة:
0£A.	الشهيد المفتخر في خيمة اللَّه تحت عرشه لا يفضله إلا النبيون:
	إيثار اللَّه لهم على الملائكة، ودخول الملائكة عليهم من كل باب يسلمون
019.	عليهم:
00.	الشهداء من أول الناس دخولًا الجنة:
001.	ضحك اللَّه إلى الشهداء، ومن ضحك اللَّه إليه فلا حساب عليه:
004.	
004.	
004.	الشهيد لا يجد من ألم القتل إلا كَمَسِّ القرصة:
	جراح الشهداء تفوح منها رائحة المسك:
	<ul> <li>الشهداء لا يُفْتَنُونَ في قبورهم ولا يُصْعَقُونَ عند نشورهم:</li> </ul>
	<ul> <li>وَيُشَفَّعُ الشهيد في سبعين من أهل بيته:</li> </ul>
	<ul> <li>□ للشهيد عند الله سبع خصال كل منها خير من الدنيا وما فيها:</li> </ul>
/ 1	الشهيد عند الله سنع حصال تارسها حير س العنيا راه سي

فرسَانُ النَّهَارِ	121		\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\
٥٦٠	ب والطِّعان:	ر الحسان بشهید الحرا	🗖 ما تفعل الحو
017	and the second second	ءِ من هو من ملوك الج	
071		فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَنَ يُضِلُّ	344
071	1	ي عليهم أجورهم بعد	
٥٦٦.	,,,,,	مرابطًا يموت شهيدًا:	
077			🗆 هداية الله
	أُوْلَتِهِكَ عَنَّهَا مُنْعَدُونَ ﴿	ii.	
	و فَكُن يُضِلُ أَعْمَلُكُمُ سَيَهْدِيهِمْ		
077		ه] [٥	[محمد: ٤،
٥٦٨		ر ﴿ فَيْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ الْجُنَاةُ اللَّهُ مِنْ اللَّالِمُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّالِّمِ مِنْ اللّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللّه	
<del>خ</del> سنی 	ـ والشهداء سبقت لهم ا	الحتيار من الله ـ تعالى .	فالشهادة سبق
ov1	مهاد جليبيب:	منه» قالها ﷺ بعد است	• -
0VT		احبَ اللحد»:	
ovi	حُسْنَيَـنُّنِّ﴾ [التوبة: ٥٥].	َ بِنَا إِلَّا إِحْدَى أَلْ	﴿ قُلُ هَلَ تُرَبُّصُو
ov1		عَرْفَهَا لَمُمْ ۞﴾:	· ·
<b>٥</b> ٧٧		رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُ	1
OV9		> الله أَكْبَرُ دا دوا نال دورا و لا ناا	
الوا الوصوان	ت منهم؛ فتم أجرهم، وi 	ي وما دانوا منها ولا داد. 	عرجوا من الله الأكبر:
٥٨٠		مدق الله يصدقك:	🗖 وأخيرًا إنْ تص
٥٨٢		,155 	مَاذَا سَأَشْدُو
	· r	Ť	الله الماك

.

ì

E .			
097			٢١- المائد في البحر
097		صِدْق	٢٢ سؤال الشهادة
091	هِ فَقَتَلَهُ	جَائِرٍ، فأمرَهُ بمعروفِ	٣٦- مَنْ قام إلى إمام
091			ع ٢٠ الشريق
099		4	۲۵ مَنْ تَرَدَّى من ر
099			٢٦ المتمسَّك بالسُّنة
099			٧٧ من دعا بدعوة
أخد سلاحه	فتُعُدِّي عليه في الحقِّ، ف	i i	<ul> <li>۲۸ من أدَّى زكاة م فقتل فقتل</li> </ul>
٠		بة على قيام رمضان	٢٩ـ الموت بعد المواظ
A.Y			٣٠ موت الغريب
7. V			٣١- مَنْ مات مُرابطًا
٦٠٢		_	٣٢ـ مَنْ قَتَلَ الخوارج
1.4		į.	٣٣ قَتْلُ الصبر
٦٠٤		1	🗖 أحاديثُ أُخَرُ من بـ
3.1	دون سبب ظاهر من	النبي ﷺ بالشهادة	🗖 وأخيرًا من شهد له
7.0			أسبابها:
٦٠٧			🗖 فهرس المحتويات



تم بحمد الله المجلد الأول ويليه المجلد الثاني